الغرب والإسلام
وفلسطين
حقوق تاريخية وصراع حضارات
أم استعمار وصراع مصالح؟

دعوة لوضع حد لانتهاكات الغرب
لحقوق الشعوب بحجة مكافحة الإرهاب

تأليف
محمود طلب خليل النمورة
فلسطين

1427 هـ - 2006 م

الغرب والإسلام

وفلسطين

حقوق تاريخية وصراع حضارات

أم استعمار وصراع مصالح؟

دعوة لوضع حد لانتهاك الغرب

حقوق الشعوب بحجة مكافحة الإرهاب

تأليف

محمود النمورة

خليل الرحمن- فلسطين

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

تصميم الغلاف: **الفنان التشكيلي يوسف كتلو**

عنوان المؤلف:

دورا- الخليل – فلسطين
تلفون (٠٠٩٧٢-٠٢-٢٢٨٠١٣٣)
فاكس (٠٠٩٧٢-٠٢-٢٢٢٦٣٤٩)
e-mail: Al_bader١@yahoo.com

يطلب الكتاب من:

- مكتبة الشرباتي- الخليل- تلفون ٠٢-٢٢٢٨٢٢٧
- مكتبة الرافدين- دورا
- مكتبة الجعبة - رام الله
- دار الشروق- رام الله
- مكتبة حجاوي- نابلس
- مكتبة عين كارم- بيت لحم - بيت جالا

مطبعة بابل الفنية- حلحول

تلفون ٢٢٢٤١٨٦ -٠٢-

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي مؤلفي هذا:

- إلى الشهداء والجرحى والأسرى في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان، الذين سطّروا بدمائهم ومقاومتهم أسمى آيات التضحية والفداء دفاعاً عن شرف الأمة وكرامتها، فأحبطوا مخططات الغرب الظالم، فلا هو بقادر على تحقيق النصر، ولا على الانسحاب مع حفظ ماء وجهه، هذا إن بقي في وجهه ماء.
- إلى روح المرحوم والدي والمرحومة والدتي الأرملة التي ضربت المثل الأعلى في التضحية رغم فقدان الأرض - مصدر رزقنا الوحيد عام ١٩٤٨- ، والتي عندما لم يتوفر لديها قطرات من النفط لإشعال سراجنا الكنعاني الصغير لنطالع دروسنا، كانت تنير لنا البيت بإيمانها، وبإيقاد الحطب(النتش) الذي كانت تنقله من الجبال على رأسها.
- إلى شريكة حياتي " أم أمين " المؤمنة بقضاء الله وقدره، التي كانت خير الناس برا بوالدتي، والتي - رغم مرضها العضال منذ أكثر من ربع قرن، ورغم هدم بيتها، وحرمانها من رؤية فلذات كبدها أنيس وأكرم المحكوم على كل منهما بالسجن المؤبد مرتين- وقفت إلى جانبي ، وهيأت لي بإيمانها وصبرها وعقلها بيئة ساعدتني على إنجاز هذا الكتاب.

دورا- خليل الرحمن - فلسطين المحتلة

٥ رمضان عام ١٤٢٧ هـ محمود طلب خليل النمورة

٢٨ أيلول عام ٢٠٠٦ م

كلمة شكر

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأمين، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين وبعد:

فالحمد والشكر كله لله رب العالمين، الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، ويسّر له سبل العيش على هذه الأرض، والذي أعانني على أنجاز هذا المؤلف - وهو ثامن بحث أنجزه بالعربية والإنجليزية- ، بعد أن تجاوزت السبعين من عمري،- رغم سبع عمليات جراحية، وتوالي النكبات والمصائب التي كان منها حرماني من مورد رزقي وعملي الذي أحببت في التربية والتعليم وهدم بيتي، والحكم على أولادي بالسجن المؤبد - والذي منحني القوة والإرادة، وهداني إلى طريق العلم والبحث والتنقيب.

وأتقدم بالشكر الجزيل للعديدين الذين ساعدوني في إنجاز هذا الجهد، وذلك بالإطلاع على المسودة، وإبداء ملاحظاتهم، أو قيامهم بتصحيح الأخطاء اللغوية والمطبعية، وأخص بالذكر الكاتب سعيد مضية، والموجه التربوي فتحي الذيبة، والدكتور إسماعيل شندي، ، والمربي موسى الدرابيع، والصحفي حسن ربعي، والبروفيسور عبد الستار قاسم، وفضيلة الشيخ نايف الرجوب ، وفضيلة الشيخ فتحي عمرو، والمربين: محمود موسى أبو شرار، ، وأحمد حنتش، وحسين المشارقة، والباحثين ، يوسف العمايرة ومجدي العواودة، وحافظ بريوش، ومحمد ذياب أبو صالح. ومع تقديري الكبير لجهودهم المشكورة وجهود الكثيرين الذين لا مجال لذكرهم، فإني أنوه أنهم لا يتحملون مسئولية ما به من نقص أو خطأ، فهذه تظل مسئوليتي الخاصة، لا سيما أنني كنت لا أتوقف عن الحذف والإضافة والتغيير. كما وأخص بالشكر الصحفي خالد العمايرة الذي تفضل وأثرى البحث بكتابة تقديم له.

وأعتذر لمن نسيت ذكر أسمه، في هذه المرحلة التي هزت الصخور، ولكنها لم تضعضع إيمان شعبنا بربه، وبحقه في أرضه وتقرير مصيره، رغم أنف الجبابرة والطغاة الذين مصيرهم الهزيمة ، ومأواهم جهنم وبئس المصير.

دورا- خليل الرحمن - فلسطين المحتلة

٥ رمضان عام ١٤٢٧ هـ   محمود طلب خليل النمورة

٢٨ أيلول عام ٢٠٠٦ م

تقديم

هذا الكتاب الذي بين أيدينا "الغرب والإسلام وفلسطين- حقوق تاريخية وصراع حضارات - أم استعمار وصراع مصالح" يتصف بصفات قلما نجدها في كثير من المراجع والكتب التي تتناول المسألة الفلسطينية والاحتلال الاستيطاني الصهيوني وتحالفه مع القوى الغربية التي طالما كادت وتربصت بالعرب والمسلمين.

فهو كتاب جامع شامل يحوي كمّا هائلا من المعلومات يعرض فيه المؤلف ويحلل كلّ شاردة وواردة تتصل بالقضية الفلسطينية من كافة الأوجه الإنسانية والدينية والأخلاقية والتاريخية والقانونية والسياسية منذ أقدم العصور وحتى وقتنا الحاضر. والكاتب يفعل ذلك كله مستندا إلى الأدلة والبراهين العلمية الموثقة وهو ما يعطي الكتاب صفة أكاديمية لا يمكن إنكارها.

وهكذا يمكن أن يشكّل الكتاب مرجعا معرفيا موسوعيا للباحثين وطلبة الجامعات على وجه الخصوص، حيث أنه غني بالمراجع العربية والغربية على اختلافها.

ومن حسنات الكتاب الظاهرة كونه يجمع بين السرد التاريخي والتحليل العلمي القائم على المفاضلات القانونية الأخلاقية واعتبارات العدل والحرية والمساواة وليس على منطق القوة وقانون الغاب والأخلاق الظرفية والنفعية الأنانية- أي المنطق الذي يتبناه كثير من الدارسين والأكاديميين الغربيين خاصة لدى تعاملهم مع الشعوب والقضايا الإسلامية.

فالكاتب على سبيل المثال يبرز التناقض الصارخ بين المنظومة الأخلاقية التي يدّعي الغرب أنه يتبناها وبين الممارسات العنصرية والإجرامية للبلدان الغربية في تعاملها مع الشعب الفلسطيني وشعوب العالم الثالث. كما يبيّن أن سيادة الغرب لم تأتِ بسبب تفوّقه الأخلاقي أو الديني بل بسبب نجاحه في فرض

العنف المنظم أي الإرهاب على الشعوب الضعيفة لأجل تحقيق مآربه ومطامعه الاستعمارية.

ويبين الكاتب بصورة منهجية أنّ الأنماط العنصرية الغربية في التعامل مع الشعوب الضعيفة هي ذاتها التي تبنتها واستخدمتها إسرائيل والحركة الصهيونية ذات المنشأ الأوربي، حيث أنّ ما فعله الكيان الإسرائيلي ضد الشعوب العربية في فلسطين ولبنان من قتل وإرهاب واضطهاد وإهلاك للحرث والنسل ونشر الفساد والظلم في الأرض يتناقض مع الشريعة التي جاء بها النبي موسى عليه السلام تماما كما تتعارض العقلية العنصرية الغربية والتجليات الشريرة المنبثقة عنها مع المثل السامية التي بشر بها السيد المسيح عليه السلام.

وهكذا يمكن اعتبار هذا الكتاب بمثابة إدانة أخلاقية قوية للسياسات الغربية تجاه القضية الفلسطينية منذ قرون والتي توجت بقيام الكيان الإسرائيلي على أرض فلسطين عام ١٩٤٨ و ما تبع ذلك من تمكين الغرب لهذا الكيان وإمداده بكافة مقومات البطش والغطرسة والعدوان.

وأنّ الذي يجدر ملاحظته في هذا الكتاب هو أنّ الكاتب يقارن بصورة رائعة وموضوعية بين القواعد والأنماط الإسلامية في التعامل مع الغير والممارسات الغربية الشائنة القائمة على الكذب والخداع والعنصرية، تلك الممارسات التي ورثتها وتبنّتها الدولة الصهيونية لاحقا.

لكن هذه المقارنات والمفاضلات ليست انتقائية ولا تنبثق عن هوى بل نجدها مدعمة بالأدلة والبراهين الواضحة من المراجع الغربية والعربية على حد سواء.

وقد يرى البعض أن الكاتب ينحاز في أحيان كثيرة إلى طرف الأمتين الإسلامية والعربية والشعب الفلسطيني دون أن يعطي وجهة النظر الأخرى، أي الرواية الصهيونية حظها من البحث والتمحيص. والحقيقة هي أنّ الكاتب لا يفعل ذلك بصورة انفعالية مجرّدة من الموضوعية كما يفعل كثير من الكتّاب والمؤلفين الصهاينة والغربيين المصهينين، بل إنّه يتحرى و يثبت ويدعم ويوثق آراءه بصورة لا تقبل التأويل مستعينا بكمٍّ هائلٍ من المراجع الأكاديمية والتاريخية.

ثم إنه ليس أمراً مذموما أن ينحاز المؤرخ إلى وجهة النظر العربية والإسلامية ما دام يفعل ذلك بعيداً عن التعصّب ولا يمسّ بشروط الموضوعية و الأمانة العلمية، علما أنّ المؤلف، أيّ مؤلف، هو بشر ولا يستطيع أن يتخلص بشكل كامل من كينونته الثقافية التي نشأ وتربى عليها.

وفي الحقيقة يمكن القول إنّ الكاتب نجح إلى أبعد الحدود في التوفيق بين انحيازه العادل إلى قضية شعبه وأمته وتوخّيه واستيفائه عوامل الدقة والموضوعية والأمانة العلمية في ذلك، لدرجة أننا نستطيع أن نشبّهه بمحامٍ ماهر يدافع عن قضية عادلة. وفي ضوء ذلك، يمكن النظر إلى هذا الكتاب كمرافعة قضائية ناجحة وفصيحة تدافع عن قضية عادلة، أصحابها مظلومون، وحقوقهم مغتصبة، وأعداؤهم مجرمون، قضية طالما تعامل الغرب معها بمنطق القوة الغاشمة، وليس بقوة المنطق القائم على العدل والإنصاف.

و علاوة على ما تقدم، فقد قام الكاتب بتفنيد كثير من المقولات والادعاءات الغربية والصهيونية التي نمت وترعرعت عليها أجيال كاملة من المثقفين ليس فقط في البلدان الغربية ولكن في العالم العربي أيضا، وطالب بإعادة كتابة تاريخ فلسطين بشكل خاص ، وتاريخ العرب والمسلمين – بشكل عام بطريقة أكثر موضوعية، لتدارك ما ألحقه الغرب من تشويه وتزوير . ومن الأمثلة على ذلك، أنّ المؤلف:

- أوضح أنّ الوجود العربي في فلسطين سبق الغزو العبري بآلاف السنين وأنّ العُملة النقدية التي تعرف ب"الشاقل" التي يتخذها الصهاينة اليوم عملة لهم هي في الواقع عملة كنعانية عربية قديمة سبقت وصول النبي إبراهيم عليه السلام أرض فلسطين.كما أثبت أنّ مقولات الشعوب المختارة والحقوق التاريخية لليهود في فلسطين لا أساس لها من الصحة، وأنّ القانون الدولي لا يعترف بها.
- أثبت أنّ النزاع الحالي في حقيقته ليس بين العرب واليهود الذين عاشوا معاً قروناً عديدة في إخاء وسلام، إنما هو بين المشرق الإسلامي /العربي وبين الغرب من أجل الربح المادي والأسواق والمواقع الاستراتيجية.فالغرب-كما أوضح المؤلف- هو الذي صنع النزاع خدمة لمصالحه، ولهذا يلقي المؤلف اللوم على العرب والمسلمين الذين يعلقون آمالاً على الغرب في أن يحلّ النزاع، ويكتفون بوصف الغرب بأنه مجرد منحاز لإسرائيل، فالمنحاز يكون طرفاً ثالثاً ينحاز لأحد طرفي النزاع، بينما من الواضح أنّ الغرب هو الذي صنع النزاع ، وهو الطرف الأساسي فيه، والمستفيد الأول منه.
- أوضح -اعتماداً على المصادر الغربية والصهيونية- أنّ التآمر على فلسطين لم يبدأ مع وعد بلفور عام ١٩١٧، ولا مع مؤتمر بازل عام ١٨٩٧، ولا مع غزو نابليون لمصر وفلسطين عام ١٧٩٨، وإنما تعود أصوله إلى القرن السادس عشر عندما اعتنقت بريطانيا البروتستنتية ودعت إلى إعادة اليهود إلى فلسطين، من أجل تعجيل قدوم المسيح المخلّص، ومعركة "هرمجدون" التي ينتصر فيها الغرب الخيّر على المشرق الشرّير، حسب زعم الغرب.

- فنّد ادعاءات الغرب في أنه يحتل البلدان انطلاقا مما يسمى "بعبء الرجل الأبيض الحضاري"، ورغبة منه في تحضير وتحرير الشعوب الأخرى، وأوضح أنه لو سلمت تلك الشعوب من شرور الغرب لكانت بألف خير.
- قارن بين الحضارة الإسلامية التي تقوم على العدل والتسامح والثبات لأنّ مصدرها الله سبحانه وتعالى، وبين والحضارة الغربية التي تقوم على القتل والاغتصاب والنفاق والنفعية والتمييز، وتتغير بتغير المصلحة والظروف.
- أثبت بما لا يدع مجالا للشك في أنّ الصراعات في العالم هي صراعات على الهيمنة والمصالح المادية بالدرجة الأولى وليست صراعات بين حضارات.
- أثبت أنّ العولمة هي "أمركة" واستعمار أمريكي، وأنّ ما تسميه الدول العظمى إرهابا هو إرهاب منظم تقوم به تلك الدول ضد الشعوب التي تسعى للتحرر من الاحتلال والاستعمار والاستغلال الاقتصادي والثقافي، كما تهدف منه إحكام قبضتها على تلك الشعوب.
- أورد أدلة عديدة- من مصادر مختلفة لا يمكن دحضها أو تفنيدها-على أنّ أمريكا والدول الغربية العظمى، أنانية وعنصرية في تطبيقها لمبادئ الحق والعدل والحرية، ولا تلتزم بالمبادئ والقيم التي تنادي بها، بل تتاجر في تلك القيم، وتنافق في تطبيقها كما تتطلب مصالحها المادية والاستراتيجية.
- فنّد ادعاءات الغرب والصهيونية بأنّ الدولة الإسلامية أهملت فلسطين، وأنّ الحكم العثماني لفلسطين وغيرها من البلدان العربية كان حكم استعمار، وأنّ الغرب هو الذي حرر العرب من حكم الدولة العثمانية الإسلامية، وأثبت بما لا يدع مجالا للشك أنّ الغرب هو الذي هدم دولة الخلافة الإسلامية التي وحّدت العرب في ظلها وحمت فلسطين، وهو الذي لا يزال يحرم العرب والمسلمين من الاستقلال الحقيقي، ويسفك دمهم، ويقودهم من فتنة إلى أخرى.

إنني أوصي باعتماد هذا الكتاب في كليات التاريخ والعلوم السياسية والشريعة الإسلامية ليس فقط في فلسطين بل في العالم العربي بأكمله إنْ أمكن. كما أوصي أيضا بالإسراع في ترجمة الكتاب إلى اللغات الأجنبية وخاصة اللغة الإنجليزية حتى يصبح مرجعاً علميا لدى طلبة الجامعات والباحثين الغربيين الذين طالما تأثروا بالدعاية الاستعمارية والصهيونية التي تعتمد أساسا على الكذب والتي نجحت للأسف الشديد في إقامة كيان سياسي (إسرائيل) قائم على الكذب.

خالد عمايرة | دورا- خليل الرحمن – فلسطين المحتلة

كاتب وصحفي | رمضان عام ١٤٢٧ هـ

٢٨ أيلول عام ٢٠٠٦ م

الفهرس

فهرس الملاحق والجداول

أ- الملاحق

ملحق رقم (٩-ج)عدد قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة المتعلقة بالصراع العقدي وحقوق الشعب الفلسطيني التي رفضتها أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإسرائيل أو امتنعت عن التصويت عليها وأعاقت بذلك إيجاد حل للنزاع١٩٦٧-١٩٩٧م.	٥٠٠

ب- الجداول

جدول رقم (١) بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي دعت دول الشرق الأوسط وضع أسلحتها النووية تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية	٣٤٦
جدول رقم (٢) بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أعربت فيها عن أسفها لرفض إسرائيل وضع أسلحتها النووية تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة .	٣٤٧
جدول رقم(٣) بعض قرارات مجلس الأمن الدولي التي أكّد فيها أنّ مبدأ عدم جواز اكتساب الأرض عن طريق القوة ينطبق على الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧	٣٤٩
جدول رقم (٤)بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أكدت على مبدأ عدم جواز احتلال الأرض بالقوة	٣٤٩
جدول رقم (٥)بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أكدت حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وطالبت إسرائيل بالتوقف عن انتهاك هذا الحق والاعتراف به.	٣٥١
جدول رقم (٦)بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي دعت إسرائيل إلى إعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم.	٣٥٥
جدول رقم (٧) بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي دعت إسرائيل إلى إعادة النازحين الفلسطينيين إلى ديارهم.	٣٥٥
جدول رقم (٨) بعض قرارات مجلس الأمن الدولي التي قرر فيها أنّ اتفاقية جينيف الرابعة لعام١٩٤٩ الخاصة بالمدنيين تنطبق على الأراضي الفلسطينية والعربية الأخرى المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، بما فيها القدس.	٣٦١
جدول رقم (٩)بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أكدت انطباق اتفاقية جينيف لعام ١٩٤٩ على الأراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧بما فيها القدس وأن ضم الأرض وإقامة المستوطنات باطل وغير قانوني.	٣٦٢
جدول رقم (١٠) بعض قرارات مجلس الأمن الدولي التي أدانت إسرائيل بسبب ضمها القدس والتي اعتبرت الضم باطلاً وغير قانوني.	٣٦٥
جدول رقم (١١) بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أدانت إسرائيل بسبب ضمها القدس والتي اعتبرت الضم باطلاً وغير قانوني.	٣٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أ- خلفية تمهيدية

النزاع حول فلسطين، وباسمها، من أطول النزاعات التي عرفها العالم في العصر الحديث، وبدلاً من إيجاد حل له تضافرت عوامل وقوى دولية ومحلية، وأخفت الحقيقة، وأدخلته في دوامات ومتاهات لا نهاية لها.

وهناك أسئلة هامة تطرح نفسها عند البحث في النزاع حول فلسطين وباسمها:

١- هل كتبنا تاريخ فلسطين العربية الإسلامية، أم أننا تركناه لأعدائنا من علماء التوراة، أمثال اليهودي الأمريكي الصهيوني " وليم أولبرايت" الذي نقب في آثار مملكة "بيت المرسم" الكنعانية الواقعة في أراضي دورا الخليل، وسخر -هو وأمثاله- تاريخ فلسطين الكنعانية لخدمة الصهيونية والغرب؟

٢- هل قمنا بتصحيح ما زوره، وشوهه أعداؤنا في المحطات الرئيسية لتاريخنا، أم أننا اعتبرنا تلك التشويهات حقائق وأخذنا نبني عليها؟

٣- هل حللنا النزاع تحليلاً علمياً موضوعياً، وشخصنا المرض، أم أننا لا زلنا لا نعرف من هو الطرف الحقيقي فيه، ومن هو الوكيل، أو الأداة للطرف الحقيقي؟

وعلاوة على طغيان القوى الدولية المهيمنة، والتي لها مصالح في تأبيد النزاع، فإنّ الأخطاء في المفاهيم والمناهج والأساليب المتبعة في تحليل المشكلة، لها دور يعادل، بل ربما يفوقَ دور القوى الدولية. فرغم مرور ما يقرب من قرن على بدء النزاع، لم نكتف بالتقاعس عن تشخيص المرض، بل لا زلنا لا نعرف اسمه الحقيقي، ونقع في التسمية التي أطلقتها عليه القوى العاتية التي أوجدته، والتي تدعوه "النزاع العربي الإسرائيلي". فهل عرف التاريخ، منذ الفتح الإسلامي لفلسطين وحتى وعد بلفور، نزاعاً بين المسلمين والعرب واليهود الذين عاشوا معاً، في إخاء وسلام، في ظل تسامح الإسلام، لأكثر من ثلاثة عشر قرناً؟!

إننا نعرف أن الغرب هو الذي اضطهد اليهود وحرمهم من حقوقهم الإنسانية، لأكثر من ألفي عام، لكننا لا زلنا لم ندرس دراسة وافية كيف تحول ذلك الغرب من مضطهدٍ لليهود، إلى مدافع عن حقوقهم، بل متبنٍّ لها.

إن الحقيقة التاريخية الثابتة تؤكد أنّ الغرب هو الذي تسلط على المشرق، عبر الحكمين اليوناني والروماني، وخمسة حروب صليبية. وحاول الغرب إعادة احتلال المشرق، حين احتلت الأساطيل البرتغالية مسقط، وهاجمت ميناء الإسكندرية، لولا أن منّ الله علينا بالفتح الإسلامي العثماني الذي حمانا من شرور الاستعمار البرتغالي. وعندما ضعفت الدولة العثمانية الإسلامية، غزا

نابليون مصر وفلسطين، ولحتلت فرنسا الجزائر وتونس والمغرب، ولحتلت بريطانيا مصر، وفرضت وصايتها على الخليج العربي. ثم أتت أمريكا لتفرض طغيانها على المشرق. وهذه القوى هي التي أوجدت إسرائيل واتخذتها أداة لحراسة مصالحها في المنطقة. نعم هذه هي القوى التي كانت –ولا تزال- تضربنا، وإسرائيل ليست أكثر من أداة بيدها. فهل صحيح أن نبقى ندين العصا التي يضربنا بها الغرب، وندعم الغرب الذي يضربنا بتلك العصا، ونرتمي في أحضانه، ونمنحه أرضنا ليبني له فيها قواعد، علاوة على نفطنا واقتصادنا، ونتبنى أيدلوجيته المناقضة لديننا وقيمنا وثقافتنا؟ ولو كان الغرب يكتفي بضربنا بالعصا لهان الأمر، ولكنه يقتل العرب والمسلمين نساءً وأطفالاً وشيوخاً بالقنابل والصواريخ، ويهدم مساجدهم وبيوتهم فوق رؤوسهم، ويعذب رجالهم ونساءهم في معتقلاته المنتشرة في أرجاء العالم.

وتشهد المصادر التاريخية الموضوعية أن اليبوسيين العرب الكنعانيين بنوا القدس عام ٤,٠٠٠ ق. م.، أي قبل مملكة اليهود بثلاثة آلاف عام، وأن قبائل عربية عديدة، استوطنت فلسطين قبل العبرانيين، وأن بعضها ساعد العرب المسلمين في فتحهم لفلسطين. ودام الحكم العربي الإسلامي في فلسطين مدة ثلاثة عشر قرناً متواصلة، باستثناء الانقطاع فترة الصليبيين التي دامت حوالي مئة عام.

ومن الثابت أن مملكة إسرائيل الموحدة عمرت حوالي ٧٣ عاماً، ثم انقسمت إلى مملكتين ضعيفتين متخاصمتين، وكانتا تخضعان للإمبراطوريات الكبرى المجاورة، وتدفعان الضرائب لها.

لقد اضطهد الغرب اليهود لقرون عديدة، وعلى سبيل المثال أبعدت بريطانيا اليهود من أراضيها لمدة ثلاثة قرون. وعندما أصبحت الإمبراطورية البريطانية في حاجة لخدمات اليهود في تجارتها الخارجية، ومستعمراتها الجديدة، نظراً لما يملكونه من أموال ضرورية لبناء الأساطيل، ولما يمكن أن يقدموه من خدمات استعلامات وتجسس على الدول المنافسة لبريطانيا، غيّرت بريطانيا نظرتها إلى اليهود عندما تحولت إلى البروتستنتية في القرن السادس عشر. وبعد أن كانت تعتبر اليهود قتلة المسيح، ويتعاطون الربا خلافاً للتعاليم المسيحية، أصبحوا – في نظرها- شعب الله المختار الذي يجب أعادته للقدس، حسب تفسيرها لنبوءات الكتاب المقدس.وهكذا ولدت الصهيونية المسيحية، التي صنعت الصهيونية اليهودية، في القرن السادس عشر، أي قبل وعد بلفور بثلاثة قرون، ولكنها لم تظهر للعيان إلا بعد غزو نابليون لمصر وفلسطين واشتداد المنافسة بين فرنسا وبريطانيا، على أسواق المشرق وطريق الهند الشرقية.

ومن الثابت أيضاً أنّ عدد يهود فلسطين عشية غزو نابليون عام ١٧٩٨م كان حوالي ١% من مجموع السكان. وأنّ الصهيونية لم تأت نتيجة ثورة اليهود مطالبين بتقرير مصيرهم، وأنها لم تولد في فلسطين، ولا في المشرق، وأنها أيضاً لم تولد من رحم اليهود ولا من رحم الديانة اليهودية

السماوية الحقيقية التي عارضت الصهيونية منذ بدايتها، وإنما خلقت من تزاوج نطفة الاستعمار الغربي وبويضته، وزرعت في رحم ذلك الاستعمار في لندن عاصمة الاستعمار في ذلك الوقت، وخدمة لمصالحه بالدرجة الأولى، قبل مصالح اليهود. ونظراً لأن هذا التزاوج اصطناعي فقد احتاج إلى مئة عام (١٧٩٨-١٨٩٧) حتى تباركه وتشهد على عقده القوتان الاستعماريتان الكبريان فرنسا وأمريكا. وبينما يحتاج المولود الطبيعي مدة تسعة أشهر حتى يخرج للحياة، ظل المولود الصناعي الصهيوني مدة خمسين عاماً في رحم الإمبريالية الغربية(١٨٩٧-١٩٤٧) حتى برزت أمريكا- زعيمة الإمبريالية آنذاك- على الساحة الدولية، وراحت تضغط على العالم، وتستخرج له شهادة ميلاد من الأمم المتحدة عام ١٩٤٧، متحدية بذلك الشرعية الدولية، كما تتحداها الآن بحربها العدوانية التي تشنها على العراق، وبدعمها غير المشروط وغير المحدود لما تقوم به الصهيونية من تطهير عرقي ضد الشعب الفلسطيني.

وقد تجنى الغرب على التاريخ والحقيقة عندما ادعى بأن الدولة الإسلامية أهملت فلسطين طيلة عهودها، ووصف حكم الدولة العثمانية الإسلامي لفلسطين وباقي البلاد العربية بأنه حكم استعمار، وأن ذلك الغرب قد جاء لتحرير العرب من نير ذلك الاستعمار.! لقد قام الغرب النفعي والمنافق بتزوير تاريخ فلسطين العربي والإسلامي، وجيّره لصالح الصهيونية التي اختلقها وسخّرها لخدمة أهدافه ومصالحه الاستراتيجية والاقتصادية في المشرق. وكما ينتقل السرطان في الجسم من عضو إلى آخر، انتقل الاستعمار الغربي، ممثلاً في الطاغوت الأمريكي، بعد نجاح مخططاته في فلسطين إلى العراق. والأهم من ذلك كله، أنه شرع يخطط للقضاء على الإسلام، بعد أن ألصق به تهمة الإرهاب. ورغم كل ما تقدم، لم يقم المفكرون المسلمون والعرب بجهود كافية لمواجهة حملة الغرب الباغية، ولا تزال غالبية الأقلام العربية والإسلامية إما تتجاهل الموضوع، رهبة من الغرب ووكلائه في المنطقة، أو طمعاً في الدولارات والمناصب التي يكافئ بها الغرب من ينحرف عن دينه، ويوالي أعداء الله وأعداء أمته. وفي ظل هيمنة الغرب، وسيطرة وسائل إعلامه، وتزوير تاريخنا العربي الإسلامي، ينخدع الكثيرون من المفكرين والمؤلفين، ويبتلعون الطعم السام الذي أعده الغرب، ويملأون الدنيا بالمؤلفات التي تدعي بأن الحكم الإسلامي كان حكم استعمار، وأن الإسلام هو إرهاب، وأن الغرب المتنور والمتحضر لا همّ له سوى تحريرنا من ذلك الاستعمار، وحمايتنا من خطر الإرهاب الإسلامي، كما يحمي الآن الشعب العراقي، بتدمير حضارته العريقة، وسفك دمه، وهدم اقتصاده.

فهل يصدق عاقل، أو ذو ضمير حي، أن عمر بن الخطاب إرهابي ؟!، وأن صلاح الدين إرهابي؟!، وأن ريكاردوس ونابليون وبلفور والصليبيين الجدد في العراق رسل تسامح وإنسانية وخير؟!

ب- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح الحقائق التالية وتقديم الأدلة القاطعة على صحتها، وذلك اعتماداً على مصادر أولية عربية وإسلامية وغربية وإسرائيلية.

- أننا – نحن المسلمين والعرب والفلسطينيين- لم نكتب تاريخ فلسطين بأيدينا، بل تركناه لأعدائنا الغربيين والصهاينة- وهم المتحاملون علينا، والذين هدموا دولتنا الإسلامية، وشردوا شعب فلسطين واغتصبوا حقوقه - ليكتبوه نيابة عنا. ولم نكتف بعدم كتابة تاريخنا، بل صدقنا ما كتبه أعداؤنا، واعتبرناه حقائق، وأخذنا نستشهد به، و نبني عليه.

- أن أصحاب الحق التاريخي في فلسطين هم العرب والمسلمون الذين كان لهم فيها حكم مستقر ومتواصل لآلاف السنين، ولهم فيها آثار وحضارة لا تزال ظاهرة للعيان، وليس اليهود الذين كانت لهم فيها حكومة موحدة لمدة ٧٣ عاماً، ولم يتركوا فيها حضارة ولا آثاراً تذكر، وانقطعت صلتهم بها، كأمة أو دولة، منذ عام ٧٣ م إلى عام ١٩١٨م

- أن اختيار الله سبحانه وتعالى لليهود لنشر رسالة التوحيد السماوية لا يعطيهم حقوقا أكثر من غيرهم من مخلوقاته، وأن اليهود ليسوا الوحيدين الذين اختيروا لتبليغ رسالة سماوية، فالمسيحيون والمسلمون أيضاً اختيروا لتبليغ رسالتين سماويتين.

- أن القانون الدولي لا يعترف بمفهوم الحقوق التاريخية التي تقوم على أساس الأساطير التي ألصقها علماء التوراة واليمين المسيحي اليهودي بالكتاب المقدس، ولا بدور الديانات في تمليك البلدان والأقاليم.

- هناك فروق واضحة بين حروب اليهود والمسيحيين والمسلمين في فلسطين، من حيث القتل، والتدمير، والطرد، والضرائب، والإكراه الديني، كما هناك فروق أيضا بين معاملة كل طرف منهم للأقليات التي تحت حكمه في وقت السلم.

- أن الدولة الإسلامية لم تضطهد اليهود كما فعل الغرب، بل كانت معاملة الحكم العربي الإسلامي لليهود أفضل من معاملة الحكم المسيحي لهم في أوروبا.

- أن تجني الغرب بشأن علاقة الدولة الإسلامية بفلسطين، والزعم بأنها أهملتها ولم تولها العناية التي أولتها للولايات الأخرى طعن باطل، ولا أساس له من

الصحة العلمية. وأنّ حكم الدولة العثمانية الإسلامية لفلسطين وباقي الولايات العربية لم يكن حكم استعمار، كما تدعي بعض المصادر المعادية للإسلام.

- أنّ ادعاء المؤرخين اليهو- مسيحيين من أمثال الكاتب الصهيوني "نورمان بيينتويش"- الذي عمل مدعياً عاماً خلال الفترة من (١٩٢٢-١٩٣١) وأستاذاً للعلاقات الدولية في الجامعة العبرية في القدس - بأنّ الدولة العثمانية تسببت في اندثار عرب فلسطين، ولم يعد لهم فيها وجود يذكر، هو ادعاء باطل، ولا أساس له من الصحة.

- أن الخلاف الناشب ليس بين العرب واليهود، وليس بين المسلمين واليهود الذين عاشوا معاً بإخاء وسلام في ظل الدولة الإسلامية قروناً عديدة، وإنما هو في حقيقته خلاف محتدم بين الدول الإمبريالية الغربية والمشرق العربي والإسلامي من أجل فرض الهيمنة، والنفط والموارد والأسواق، علاوة على حضارته وقيمه الميكيافيلية. وتمثل إسرائيل العصا التي يضربنا الغرب بها، فإلى متى نستمر في تلقي الضرب بالعصا، وأن نرتمي في حضن من يضربنا بتلك العصا، ونعطيه كل خيراتنا؟

- الغرب لم يحررنا من الحكم العثماني، كما يدعي بل استعمرنا وفتت وحدتنا، ولا يزال يضع العراقيل أمام تحررنا.
- الحكم العثماني الإسلامي لفلسطين وغيرها من الولايات العربية لم يكن حكم استعمار، كما يدعي الغرب، والموالون له.

- الغرب يدعي الديمقراطية والشرعية وحقوق الإنسان نظرياً، بينما هو يخالفها عملياً، وينافق ويتاجر في تطبيقها حسب مصالحه.

- أمريكا اختلقت حجج صراع الحضارات والعولمة والإرهاب الكاذبة لفرض هيمنتها، وهي رئيسة محور الشر والإرهاب الذي يجب محاربته، وليس العرب ولا المسلمون، وكما هي مصدر الشر في هذه المنطقة، فإن بيدها مفتاح السلام والتقدم فيها أيضاً، بسبب ما تملكه من قوة ونفوذ.

ج- منهج الدراسة وإجراءاتها

نظراً لأنّ البحث واسع، ويشمل فترة زمنية طويلة،وحقباً تاريخية متعددة ويعالج مواضيع مختلفة، كان من الطبيعي أن يلجأ الباحث إلى غير منهج وأسلوب بحث في إعداد دراسته .فقد أفاد الباحث من المنهج التاريخي، واعتمد بشكل رئيس على المصادر الأولية، كالسجلات، والوثائق ، والملفات،

والقوانين، والأنظمة . كما أفاد من المنهج الوصفي التحليلي، فكان يدرس الحادث، والظروف التي تحيط به، ويبحث عن كل ما له علاقة به من أشخاص، وأشياء ووقائع، إضافة إلى أسلوب تحليل المضمون(Content Analysis) وكان يقوم بتحليل مضمون الوثائق ولا يأخذ منه إلا المعلومات الصريحة الواردة فيها،بعيداً عن العاطفة والحدس والتخمين.

ولكي يسند الباحث تحليلاته بأكبر قدر من الوقائع والمستندات فقد قام بالإجراءات التالية:

- زار مكتبات جامعات محلية وعربية وإسرائيلية، إضافة إلى مكتبات اليونسكو في باريس، والمعهد الدولي لحقوق الإنسان في ستراسبوغ، والأمم المتحدة في جينيف التي زارها أثناء مشاركته في دورات قدم فيها أوراق عمل خاصة بحقوق الإنسان الفلسطيني.
- زار مكتبة المتحف الفلسطيني "روكفلر" في القدس وأفاد من أرشيف الانتداب البريطاني ووثائق وسجلات رسمية بريطانية. كما أفاد من مكتبة المدرسة الأمريكية للآثار ومركز إحياء التراث الإسلامي في القدس، ومتحف الآثار الفلسطيني التابع لجامعة بير زيت .
-اطلع على جزء من سجلات المحكمتين الشرعيتين في القدس والخليل، كما اطلع على القوانين العثمانية والانتدابية والاحتلال الإسرائيلي، وجرائد رسمية، وأوامر عسكرية خاصة بالإدارات التي تعاقبت على فلسطين منذ العهد العثماني إلى اليوم.
-اطلع على منشورات لجنة أولبرايت الأمريكية التي قامت بحفريات في تل بيت مرسم (١٩٢٢-١٩٣٢) -ضمن أراضي دورا-الخليل- التي قامت بدور كبير في تزوير تاريخ فلسطين الكنعاني وتجييره لصالح إسرائيل، والتي يرى الباحث أنها لم تناقش بما فيه الكفاية بعد.

وقد جاءت هذه الدراسة في اثني عشر فصلاً. يستعرض الفصل الأول بعض جوانب التشويه والتزوير الذي قام به الغرب ووكلائهم الصهاينة لتاريخ العرب والمسلمين، وخاصة ما يتعلق بفلسطين.ويحاول إيجاد أجوبة موضوعية للأسئلة التالية:هل أهملت الدولة الإسلامية فلسطين، وتسببت في خرابها وهجرة أهلها، كما يدعي الغرب والصهاينة؟ هل كان حكم الدولة العثمانية الإسلامية لفلسطين وغيرها من الولايات العربية حكم استعمار، أم أن الحقيقة هي على العكس من ذلك؟ وهل حرر الغرب العرب من حكم الدولة العثمانية، أم أنه هدم دولتهم، وفتت وحدتهم، وجزأهم إلى دويلات خانعة له ؟

هل كتبنا تاريخ فلسطين القديم، أم تركناه لأعدائنا ليكتبوه نيابة عنا بالشكل الذي يخدم مصالحهم، ولينشروه للعالم، بما فيه من تحريف وتزوير، بلغات عديدة؟ هل قمنا بالحفريات والتنقيب والدراسات الضرورية لكتابة

تاريخنا؟ هل امتلكنا الحرية والامكانات للقيام بذلك في ظل الضربات المتتالية التي دأب الغرب على توجيهها لنا منذ الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي؟ وهل قمنا بتوعية المواطن العربي والمسلم لئلا يقع فريسة لمؤامرات الغرب وأكاذيبه؟ هل تصدينا بفعالية للدراسات التوراتية وأحبطنا أهدافها في خلق مقولة الحقوق التاريخية لليهود في فلسطين، وفي إسكات تاريخ فلسطين العربي والإسلامي؟

هل كتبنا تاريخ فلسطين في العهد العثماني اعتماداً على مصادره الأولية، أم أننا تجرّعنا ما دسه لنا فيه المستشرقون الغربيون، والمستغربون العرب والمسلمون الذين أغوتهم حضارة الغرب المضللة والفاسدة، أو أسال لعابهم بريق الدولار والجنيه والفرنك، وأعمى بصيرتهم اللهث وراء كرسي وزارة، أو جامعة، أو سفارة ، أو رتبة، فوالوا أعداء الله وأعداء أمتهم؟

ويقدم الفصل الثاني مادة موضوعية مستقاة من مصادر عالمية، وعربية إسلامية، ومسيحية غربية، ويهودية إسرائيلية لترسيخ الوعي العالمي والإسلامي والعربي، بحقيقة تاريخ فلسطين العربي قبل الإسلام، وصولاً إلى الفتح الإسلامي عام ٦٣٧م. فيستعرض الدول والأقوام التي حكمت أو استوطنت فلسطين قبل الإسلام. ومدة حكم كل منها، وسياساتها تجاه فلسطين، وبخاصة من حيث الضرائب وحرية الاعتقاد، وهل تركت حضارة تذكر؟ ثم يستعرض القبائل العربية التي استوطنت، أو حكمت فلسطين أو أجزاء منها، قبل الفتح الإسلامي والتي جاء بعضها قبل العبرانيين واستمر حتى الفتح الإسلامي، وساعدت أخوتهم العرب المسلمين في ذلك الفتح، ولا تزال سلالاتها تقيم في فلسطين إلى اليوم.

ويوضح الفصل الثالث الفرق بين عهود المسلمين وعهود الغرب للأقوام التي يحكمونها أو يتعاملون معها أثناء السلم. كما يوضح الفرق بين حروب العبرانيين واليونان والرومان والصليبيين و نابليون وإبراهيم باشا والإسرائيليين في فلسطين، ويقارن بينها وبين الفتح الإسلامي.من ناحية سلوك المحاربين أثناء الحرب.ومما يجدر ذكره هنا أن حرب إبراهيم باشا ضد الدولة العثمانية الإسلامية تمت بالتواطؤ الكامل مع فرنسا، فكانت في الواقع حربا فرنسية بالوكالة، واستمرارا لحملة نابليون على مصر وفلسطين عام ١٧٩٨م.

ويناقش الفصل الرابع علاقة الحاكم بالأقليات التي تحت حكمه زمن السلم، فيحلل الفرق بين معاملة أوروبا المسيحية لليهود منذ الاحتلال الروماني، ومعاملة الدولة الإسلامية لهم حتى عام ١٩١٨، ومعاملة إسرائيل للعرب منذ عام ١٩٤٨.وحتى تكون المناقشة موضوعية، فقد جزأ الفصل في ستة موضوعات فرعية وهي:

١- الحق في حرية العبادة والاعتقاد. ٢- الحق في الحياة.

٣- الحق في ملكية الأرض ٤- الحق في ملكية بيت بدون هدم.

٥- الحق في السكن والتنقل والعودة بدون طرد أو جيتو.

٦- الحق في العمل والمشاركة في الوظائف والاقتصاد دون تمييز.

ويناقش الفصل الخامس أساطير ومقولات العهود الإلهية، والشعوب المختارة، والحقوق التاريخية، ويفند تلك الأساطير والمقولات، اعتماداً على مصادر موضوعية غربية ويهودية وإسلامية وعربية، ويثبت، بشكل لا يدع مجالا للشك، أن القانون الدولي لا يعترف بأي دور للديانات، ولا للأساطير الملصقة بها زوراً وبهتاناً، في تمليك الأرض والبلدان.كما يوضح الفصل كيف شرعت بريطانية (والغرب) في تغيير موقفها الرسمي المعادي لليهود مع ظهور البروتستنتية في القرن السادس عشر، عندما اقتضت مصالحهم الاستعمارية والاقتصادية الاستفادة من اليهود المنتشرين في شتى أنحاء العالم، في مشاريعهم التجارية والاستعمارية، فبدأت الصهيونية المسيحية في القرن السادس عشر، التي صنعت الصهيونية اليهودية، في نهاية القرن التاسع عشر. ويبين كيف فطنت بريطانيا –بعد طردها اليهود من أراضيها مدة ثلاثة قرون- إلى أنّ اليهود شعب مختار، وكيف أحيت واستغلت (مع بلدان غربية أخرى) أساطير العهودَ الإلهية والشعوب المختارة، ودعت إلى إعادة اليهود إلى فلسطين، ليس من أجل اليهود ذاتهم، وإنما لكي يعتنقوا المسيحية، ويظهر المسيح المخلص في القدس، ليحكم مدة ألف عام، وتأتي نهاية العالم عندما تقع المعركة الفاصلة بين الخير والشر، "هرمجدون". وبمعنى آخر يوضح الفصل كيف سار قطار الاستعمار الغربي على خطين لا يلتقيان ولا يفترقان: حجة الدين بعودة اليهود لفلسطين، وهدف استعمار المشرق والهيمنة على موارده وطرقه التجارية ومواقعه الإستراتيجية.

ويوضح الفصل السادس الفروق بين الحضارتين الغربية والإسلامية، وما الذي يجوز للمسلمين أن يأخذوه من الحضارة الغربية، وفضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية والعالم بشكل عام.علاوة على سلبيات الحضارة الغربية التي عممت النفعية والنفاق وخيانة العهود، و نشرت الجريمة والإباحية، ودمرت الأسرة، وتسببت في ملايين الأطفال خارج نطاق الزوجية، كما اعتدت على كرامة وإنسانية المرأة عندما جعلت جسدها الغض سلعة تنهشها الذئاب البشرية وتشبع بها غرائزها ونزواتها دون إرادتها أو أية مراعاة لشعورها وأحاسيسها، بحيث سجل رسمياً في إيطاليا – على سبيل المثال- ربع مليون حالة اغتصاب في سنة واحدة. كما يناقش الفصل مقولات صراع الحضارات والعولمة والإرهاب، ويجيب على الأسئلة التي تشغل بال الكثيرين اليوم: هل تتصارع الحضارات أم أن مصالح أصحابها هي التي تتصارع؟ لماذا يعادي الغرب الإسلام والحضارة الإسلامية رغم أنه يسيطر على بلاد المسلمين ويستحوذ على خيراتهم وأسواقهم؟ هل هناك عولمة لصالح

شعوب العالم ، أم أنها "أمركة" واستعمار جديد أشدَ فتكا من الاستعمار القديم؟ هل الغرب صادق في محاربة الإرهاب؟ وهل يمكن للدول الغربية التي تمارس إرهاب الدولة المنتظم أن تحارب الإرهاب؟ ولماذا لم تتفق الدول الكبرى على تعريف لمفهوم الإرهاب؟

ويلقي الفصل السابع الضوء باختصار على موضوع شرعية إسرائيل الدولية كقاعدة للغرب في المشرق، ثم يوجز جرائم إسرائيل -والغرب الذي صنعها وأوكل إليها القيام بمهمات نيابة عنه- بحق العرب والمسلمين في حروب أعوام ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧-التي كانت حرب الساعات الثلاث وليس حرب الأيام الستة- والعدوان الأمريكي الإسرائيلي على لبنان عام ١٩٨٢، وجرائم إسرائيل التي قامت بها في ظل الصمت العربي والتآمر الغربي أثناء انتفاضة الحجارة بين عامي ١٩٨٧ و ٢٠٠٠م. وعلاوة على ذلك يوجز الفصل جرائم الغرب بحق شعب فلسطين والتي تتمثل في متابعة صنع الصهيونية اليهودية، وذلك مرورا بمؤتمر "كامبل بنرمان" (Cambel Banermann) الاستعماري في لندن(١٩٠٥-١٩٠٧)، ووعد بلفور، والانتداب البريطاني على فلسطين، وقرار تقسيم فلسطين الظالم، وقيام بريطانيا وأمريكا بإعداد وتجهيز وتدريب جيش يهودي قبيل الحرب العالمية الثانية في الوقت الذي كانت بريطانيا تحاكم الفلسطيني إذا حمل سكينا، وقبول إسرائيل عضواً في الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ وحرمان الشعب الفلسطيني الأصيل من حقه في دولة خاصة به، ثم التغاضي عن الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٤٨ زيادة عما خصص لها بموجب قرار تقسيم فلسطين وضمان حدودها التوسعية خلافاً للقانون الدولي وذلك بإصدار بريطانيا وأمريكا وفرنسا التصريح (الإعلان) الثلاثي عام ١٩٥٠.

ويناقش الفصل الثامن الحجج والأعذار التي استخدمها الغرب من أجل الاعتداء على العرب والمسلمين، مروراً بالحجج الدينية وأساطير معركة "هرمجدون" بين الخير والشر، و"نهاية التاريخ" و "عبء الرجل الأبيض"، و "رسالة التحضير". ثم يوضح كيف انتقل الغرب من النظرية إلى التطبيق، فيشرح ويحلل، جرائم الغرب بحق العرب والمسلمين في عهد ما يسمى ب "صراع الحضارات" و"العولمة" و "الإرهاب"، فيوجز دور أمريكا في الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) ، وفي الانقلاب البعثي في العراق، وفي دعم الرئيس العراقي صدام حسين للاعتداء على الكويت، وكيف اتخذت أمريكا ذلك ذريعة لتحطيم العراق. كما يناقش انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠التي جاءت بقرار من واشنطن ردًا على رفض القيادة الفلسطينية الانصياع لمخططها الرامي لتصفية القضية الفلسطينية، وترسيخ إسرائيل قوة متنفذة وجبارة في المشرق.وبالتالي فإن واشنطن تتحمل أوزار ما نتج وينتج عن تلك الانتفاضة من جرائم بحق شعب فلسطين.كما يناقش الاحتلال الغربي/ الأمريكي لكل من أفغانستان عام ٢٠٠٠و العراق عام ٢٠٠٣م.

ويبين الفصل التاسع كيف استغل الغرب أبشع استغلال الديانات السماوية اليهودية والمسيحية، والأساطير التي ألصقها بها، لتحقيق أغراض استعمارية عدوانية، بينما يقوم بحرمان الشعوب الأخرى من حقها في حرية الاعتقاد، وتدخل في ديانات ومعتقدات الشعوب الأخرى، ويحاول أن يفرض عليها أفكاره وحضارته ومعتقداته الضارة بهم.

ويحلل الفصل – بالتفصيل مع الأمثلة الموثقة من مصادر غربية- ما يسمى ب "بالقيم الغربية"، وخاصة الأمريكية التي استغلها الغرب، ولا يزال يستغلها، في استعمار الشعوب ، ونهب خيرات بلدانها، والتحكم في مصائرها وحرمانها من أبسط حقوقها الإنسانية والقانونية.ونظراً لاستغلال الغرب للدين، فقد لخص الفصل باختصار شديد دور الأديان في الصراع من جورج واشنطن إلى جورج دبليو بوش (١٧٨٩-٢٠٠٦)، وعلاقة إسرائيل الصهيونية بالديانة اليهودية. ويوضح الفصل كيف أن الصهاينة يقتلون ويكذبون ويسرقون ويجرمون خلافاً لتعاليم الديانة اليهودية السماوية، وهو الدور نفسه الذي تقوم به الدول الديمقراطية الغربية التي صنعت إسرائيل ، والتي تؤكد باستمرار على القيم المشتركة بينها وبين إسرائيل. وعلاوة على مخالفة الغرب والصهيونية للقيم الدينية، يفضح الفصل مخالفتهم للقيم الوضعية كمبادئ "الماغناكارتا" البريطانية والثورتين الفرنسية والأمريكية ، وميثاق الأمم المتحدة، والقانون الدولي. وهنا يفضح الفصل نفاق الغرب في "مبدأ عدم جواز اكتساب الأرض بالقوة"، و حق تقرير المصير لشعب فلسطين، وضم مدينة القدس العربية لإسرائيل، ومشاريع نقل أمريكا سفارتها إليها، ودعم الغرب للمستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، وحرمان اللاجئين الفلسطينيين من حق العودة.

ويركز الفصل العاشر على موضوع الديمقراطية الغربية بشكل عام ، والأمريكية بشكل خاص، ويحاول الإجابة على الأسئلة: هل أمريكا ديمقراطية حقاً؟ هل احترمت قيمها الديمقراطية أم أنها "عهّرت" تلك القيم، وأصبحت الديمقراطية "بَغِيّ العالم الحر"؟ حسب رأي "كنجلي " و "أروندهاتي". ويقدم الفصل أدلة واقعية موثقة على أنّ أمريكا وبريطانيا وفرنسا خالفت قيمها الديمقراطية- بل قلبتها رأساً على عقب.

ويبحث الفصل الحادي عشر في الحرب الأمريكية-الإسرائيلية على لبنان والمقاومة اللبنانية هذا العام،وأهداف أمريكا وإسرائيل الحقيقية من تلك الحرب، والحجج والأعذار الكاذبة المعلنة بشأنها، وجرائم الحرب التي ارتكبت أثناءها. كما يحلل نتائج تلك الحرب على لبنان والمقاومتين اللبنانية والفلسطينية، والعرب والمسلمين وأمريكا، وكيف أن إسرائيل خسرت تلك الحرب لأنها لم تحقق الأهداف التي شنتها من أجلها.ويناقش الفصل الحق في المقاومة الذي أقرته الديانات السماوية والشرعية الدولية والأمم المتحدة.

ويوضح موقف الغرب المنافق من ذلك الحق حين يقر حقه في المقاومة، بينما لا يكتفي بمحاولة حرمان الشعوب الأخرى منه، بل يصف مقاومتها للاحتلال على أنها إرهاب، ويطلب من الشعوب نبذها والتخلي عن حقهم في تقرير مصيرهم، وعن إرادتهم في الحرية والتحرر. ويقدم أمثلة على المقاومة في فلسطين قديماً وحديثاً، وأثر تلك المقاومة على الاحتلال والاستعمار ومخططاتهم.

ويلخص الفصل الثاني عشر دور أمريكا وبريطانيا وفرنسا في نكبة فلسطين، ويوضح مسئولياتها عن الجرائم التي ارتكبت بحق فلسطين،وأنها ظلت حتى اليوم تحول دون إيجاد حل للنزاع، وكيف استخدمت الفيتو والامتناع عن التصويت على قرارات الأمم المتحدة لتحقيق هذا الغرض.كما يلخص جميع قرارات مجلس الأمن التي أجهضتها أمريكا عن طريق الفيتو، وقرارات مجلس الأمن التي أدانت إسرائيل. ويوجز اعتداءات الغرب على المشرق منذ الحروب الصليبية، ونفاقه في تطبيق الشرعية الدولية.ومؤامرات الغرب على المشرق منذ سايكس بيكو عام ١٩١٦م إلى اليوم مع التركيز على خدعة أمريكا والسراب الذي اقترحته كحل لنزاع الغرب والشرق في أوسلو، وكامب ديفيد عام ٢٠٠٠، وانتفاضة الأقصى. ويقدم الأدلة على أن أمريكا لم تكن تهدف إلى إحلال السلام. ويوجز ضغوط أمريكا والغرب ووكيلهم الصهيوني على الفلسطينيين ، بشكل عام ، وحركة حماس ، بشكل خاص، للتخلي عن ثوابتهم، والتنكر لنتائج الانتخابات الفلسطينية التي كان الغرب يطالب بإجرائها، وهو الأمر الذي يوضح مدى كذب ادعائهم بالديمقراطية.وأرفق هذا الفصل بملاحق بقرارات الفيتو وقرارات مجلس الأمن الدولي التي أدانت إسرائيل(١٩٤٧-٢٠٠٦) وتصويت أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإسرائيل على قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن فلسطين (١٩٦٧-١٩٩٧).

وفي الختام يلخص الباحث النتائج التي توصل إليها من الدراسة، والتوصيات التي يتقدم بها اعتماداً على تلك النتائج.

الفصل الأول

مآثر الدولة الإسلامية على فلسطين
ومآخذ فلسطين على العرب والمسلمين لتصديقهم
أكاذيب الغرب وعدم كتابتهم تاريخها الصادق ونشره للعالم

تمهيد

١ – ١ تشويه وتزوير تاريخ العرب والمسلمين

١ – ٢ الدولة الإسلامية وفلسطين

١ – ٣ أكذوبة "تحرير !" الغرب للعرب
والمسلمين من حكم الدولة الإسلامية

١ – ٤ تفنيد تهمة الاستعمار عن الحكم العثماني لفلسطين

١ – ٥ هل كتبنا تاريخنا القديم أم تركناه ليكتبه أعداؤنا نيابة عنا؟

١-٥-١- أثر الأوضاع العامة والسياسية على التأريخ والبحث

١-٥-٢- دور الاستعمار في إعاقة كتابة تاريخ قومي صحيح

١-٥-٣- هل قمنا بحفريات أثرية لكتابة تاريخنا الصحيح؟ وهل
سمحت لنا القوى التي تحكمت فينا بالقيام بحفريات أثرية؟

١-٥-٤- كيف استغل الاستعمار والإمبريالية العلاقة بين الديانتين
السماويتين اليهودية و المسيحية لتحقيق أهداف سياسية

١-٥-٥- دور الدراسات التوراتية في التآمر
على تاريخ وحقوق شعب فلسطين

١ – ٦ هل كتبنا تاريخ فلسطين في العهد العثماني اعتماداً على مصادره الأولية؟

الفصل الأول

مآثر الدولة الإسلامية على فلسطين
ومآخذ فلسطين على العرب والمسلمين لتصديقهم
أكاذيب الغرب وعدم كتابتهم تاريخها الصادق ونشره للعالم

تمهيد

منذ انتهاء الحروب الصليبية ظل الغرب يشن الحملات المختلفة من أجل احتلال المشرق من جديد. ويجب التنويه إلى أنّ حملة الغرب علينا لم تقف عند حد الحملات العسكرية، بل تعدتها إلى سياسات وحملات فكرية أعمق وأوسع وأشدّ خطراً. وقد أخذت تلك الحملات أشكالاً متعددة، نشير فيما يلي إلى بعضها:

أولاً: تشويه علاقة الدولة الإسلامية بفلسطين والعرب
ثانياً: محاولة إيغار صدور العرب على الدولة العثمانية الإسلامية بحجة أنّ حكمها لفلسطين وباقي الولايات العربية حكم استعمار، وأن الغرب قد "حرر!" العرب والمسلمين من استعمار الدولة العثمانية المسلمة.
ثالثاً: تزوير تاريخ فلسطين القديم عن طريق تجاهل حكم الكنعانيين والقبائل العربية العديدة الأخرى، والأقوام الأخرى التي استوطنت في فلسطين، وحكمتها لآلاف السنين، والادعاء بأن أرض فلسطين هي ملك للإسرائيليين وحدهم، رغم أن المملكة الإسرائيلية الموحدة في فلسطين لم تعمّر إلا حوالي ثلاثة أرباع القرن.

وكانت النتيجة أن قام الغرب بتشويه المحاور الأساسية في تاريخ فلسطين، وعلاقتها بالدولة الإسلامية، وأعاد كتابة تلك المحاور من ذلك التاريخ بطريقة تخدم أهدافه الاستعمارية، ونشر ذلك التاريخ المزور والمشوه للعالم، بلغات عدة، وبشتى الوسائل، مستغلاً في ذلك هيمنته على وسائل النشر والإعلام.

ومن المعروف أنه انقضى ما يقرب من قرن على استسلامنا للغرب منذ الحرب العالمية الأولى، أو على "تحرير الغرب" لنا. فهل تحررنا حقاً! وهل هذا التاريخ صادق أم كاذب؟ وهل كتبنا تاريخنا بأيدينا أم كتبه عدونا لنا؟ وهل هدف عدونا من كتابته الموضوعية والحقيقية، أم أنه هدف إلى التشويه والتزوير خدمة لمصالحه الاستراتيجية والاقتصادية؟ هل استند إلى المصادر الأولية العديدة المتوفرة، أم أنه استند إلى ما اختلقه من أساطير وأباطيل لخدمة أهدافه؟ وهل لنا تاريخ مكتوب مكتمل الصورة، أو حتى شبه مكتمل من منظور عربي/إسلامي؟ وسوف نلقي الضوء على هذه الموضوعات.

١-١تشويه علاقة الدولة الإسلامية بفلسطين والعرب

تُكثِر المصادر الغربية والإسرائيلية من الطعن في علاقة الدولة الإسلامية بفلسطين، فتدعي أنّ الدولة الإسلامية في عصورها المختلفة قد أهملت فلسطين. وتورد مثالاً واهناً على ذلك وتقول بأنّ الدولة الإسلامية لم تتخذ من القدس عاصمة لها، وأنها لم تعطها نصيبها من الاهتمام، وأنه لم تكن هناك دولة مستقلة في فلسطين. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الكاتب الصهيوني نورمان بينتوش(Norman Bentwich) الذي عمل مدعياً عاماً لفلسطين ١٩٢٢-١٩٣١وأستاذاً للعلاقات الدولية في الجامعة العبرية في القدس، بشأن فلسطين في العهد العثماني والذي قال: "فقد اندثر السكان العرب، وفلسطين أصبحت أرضاً مهملة، في منأى عن الاتجاه الحضاري: الفكري والمادي"(١)

وهذا الادعاء لا أساس له من الصحة، وشبيه بادعاءات الرئيس بوش بوجود أسلحة دمار شامل في العراق، وسنرى مدى تحامل الكاتب الصهيوني "بينتوش" وابتعاده عن الموضوعية، وذلك بالرجوع إلى مؤلفات غربية تستند في معلوماتها إلى تقارير قناصل الدول الأوروبية في فلسطين، وبالتحديد إلى "ألكزاندر شولش" في كتابه "تحولات جذرية في فلسطين " والذي شكك في صحة الصيغة المتكررة التي ترددت في الكتب والقائلة بأنّ "فلسطين كانت بلداً راكداً، مهملاً بل وقاحلاً قبل سنة ١٨٨٢م، أي قبل بداية الاستعمار اليهودي"، كما أكد فيه وجود صادرات فلسطينية إلى دول أوروبا، ومشاركة فلسطين في معارض عالمية فقال:

> في المعرض العالمي الذي أقيم في فينا سنة ١٨٧٧م كان ثلاثة أصناف من المعروضات التي جاءت من فلسطين: المنتجات الزراعية، التحف التذكارية، ونماذج الأماكن المقدسة.ويضم الصنف الأول القمح والشعير والسمسم والذرة والبقول والتبغ والنبيذ والزيت، أما الصنف الثاني فكانت تتشكل فيه تشكيلة كاملة من خشب الزيتون والأواني الصدفية والخشبية التي كانت تصنع في القدس وبيت لحم والخليل.والصنف الثالث كان يشمل نموذجاً لمدينة القدس من الزنك، وكذلك نماذج مصنوعة من الخشب للأماكن المقدسة ... وهنا تنشأ ثلاثة أسئلة فرعية: (ص ٩٧)السؤال الأول هو عن مدى صحة الصيغة المتكررة التي ترددت في الكتب والقائلة بأنّ فلسطين كانت بلداً راكداً، مهملاً بل وقاحلاً قبل سنة ١٨٨٢م، أي قبل بداية الاستعمار اليهودي. والسؤال الثاني يستهدف وضع فلسطين الاقتصادي في الإطار السوري العام، ... ، المصدر الرئيسي لهذا الجزء من الدراسة هو التقارير التجارية والاقتصادية للقناصل الألمان والنمساويين والفرنسيين في القدس ويافا وحيفا وعكا. (ص ٩٥). كانت فلسطين

تنتج في الفترة التي نبحث فيها هنا(١٨٥٦-١٨٨٢) فائضاً زراعياً كبيراً نسبياً كان يصدر إلى البلدان المجاورة مثل مصر ولبنان وكذلك إلى أوروبا التي كانت الصادرات إليها تزداد باطراد.... ص (٩٦) كانت أهم سلع التصدير من يافا طيلة الفترة من سنة ١٨٥٦ إلى سنة ١٨٨٢ هي القمح والشعير والذرة والسمسم وزيت الزيتون والصابون والبرتقال، وغيره من الفواكه وكذلك الخضروات...والمستوردون الرئيسيون كانوا فرنسا ...ومصر ...، وانجلترا...سوريا الشمالية وآسيا الصغرى وكذلك إلى اليونان وإيطاليا ومالطا...كان القطن يصدر لفترة عابرة إلى فرنسا (ص ٩٧) إن فلسطين الشمالية والوسطى ...هي من المناطق التقليدية لزراعة القطن....بل من أهم هذه المناطق، والقطن الذي لم يكن يصنع فيها... كان يصدر كله تقريباً إلى فرنسا(ص٩٩).. وذكر القنصل الألماني أن صادرات عكا من القطن سنة ١٨٧٢ بلغت ١٠٠٠٠٠أقة... ومن بين ٩٤ نموذجاً للقطن عرضت في معرض سنة ١٨٦٣ في القسطنطينية كان هناك بالفعل اثنان من فلسطين (ص١٠٦).. وقد استورد التجار محالج القطن لأنّ هذه الكمية لم يكن في الإمكان التصدي لها بالأدوات المحلية البسيطة...ومن النادر أن تجد قرية من قرى المنطقة (يافا) في سنة ١٨٦٤ لم تلجأ إلى زراعة جز كبير من أرضها قطناً. (١٠٦ص) ومنذ سنة ١٨٧٥ كان برتقال يافا يصدر إلى أوروبا أيضاً• فرنسا وألمانيا والنمسا وروسيا) بكميات وافرة (ص ١١٢) (٢)

١-٢- الدولة الإسلامية وفلسطين (٣)

لا تهدف هذه العجالة إلى تتبع تاريخ الدولة الإسلامية، ومآثرها التي لا تحصى على فلسطين، والبشرية عامة، وإنما تهدف فقط تقديم موجز مختصر جداً لدحض التهم الباطلة التي يلفقها أعداء الإسلام للدولة الإسلامية، بأنها أهملت فلسطين.

لم ينقطع أهل فلسطين العرب عنها، منذ فجر التاريخ، لكنها عانت من اضطهاد واستغلال الاحتلال العبراني، والفارسي، ثم الاحتلال الغربي اليوناني والروماني. و جاء الفتح الإسلامي، فأنقذ فلسطين من الغزو، ونعمت في ظله بالعدل والأمن والسلام والاستقرار، في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين. وعندما ضعفت الدولة الإسلامية عاد الغزو الغربي إليها تحت راية الصليب، ولم يحررها العرب، إنما حررها الأيوبيون والمماليك المسلمون. وفي نهاية حكم المماليك، بدأت من جديد محاولات الغزو الغربي، وخاصة البرتغالي الذي احتلت سفنه مسقط وعمان وهدّدت ميناء الإسكندرية، وكادت أجزاء كبيرة من سواحل الوطن العربي تسقط بيد الاستعمار الغربي، لولا أنْ منّ الله علينا

بالدولة العثمانية التي أعادت فتح البلاد، ورفعت راية الإسلام خفاقة على جزء كبير من العالم، وحمت فلسطين طيلة أربعة قرون. ولم تسقط فلسطين فريسة للاستعمار البريطاني والصهيوني إلا بعد عزل السلطان عبد الحميد، طيب الله ثراه، الذي حمل راية الإسلام في وجه العالم الصليبي لمدة تزيد على ثلاثة عقود.

ومن المعروف أن فلسطين ظلت مصونة عزيزة ما دام الإسلام قوياً، وعندما ضعف الإسلام، سقطت بأيدي الصليبيين. ومن الأدلة العديدة على أهمية فلسطين للإسلام، أن نبي الإسلام (ﷺ) اتخذها قبلته الأولى للصلاة، وأنه أسري به إليها من دون بقاع الأرض.كما أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حضر بنفسه لاستلام القدس، وأعطى أهلها العهدة العمرية التي هي الدستور الذي يحدد العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين (أهل الذمة).

ولا تعوزنا الأدلة على أنّ الدولة الإسلامية لم تهمل فلسطين، فعلاوة على العدد الكبير من مقامات الأولياء، وأضرحة الصحابة، وبعض قادة الفتح، فقد بنى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان المسجد الأقصى المبارك(في حوالي٦٥هـ/٦٨٥م) ورصد لبنائه خراج مصر سبع سنين، وأقام في فلسطين ثلاث عشرة داراً لضرب العملة، مما يعكس الأهمية الاقتصادية لفلسطين. وبنى ولده الوليد قبة الصخرة المشرفة، كما بنى الخلفاء الأمويون ثلاثة قصور في الزاوية الجنوبية من الحرم كانت مقراً وسكناً لهم ولموظفيهم، كما بنوا الحرم الإبراهيمي في الخليل، الذي يعد رابع مسجد في الإسلام من حيث الأهمية. وبنى سليمان بن عبد الملك مدينة الرملة ومسجدها الأبيض، وبنى هشام بن عبد الملك قصره الذي لا تزال آثاره ظاهرة لليوم في أريحا.

وفي العهد العباسي، في أعقاب الزلازل العديدة التي أصابت فلسطين وألحقت أضراراً بالمسجد، أمر الخليفة المنصور بترميم المسجد عام (١٣٢هـ/٧٥٠م)، كما قام الخليفة المهدي بترميمه وتوسيعه في أعقاب زلزال آخر. وزار الخليفة العباسي المأمون الأقصى وتم ترميمه عام (٢١٦هـ/ ٨٣٠م) وأقام الخلفاء الفاطميون داراً للعلم في بيت المقدس ، ورمموا المسجد وشرعوا في بناء سور للقدس. وحرر الأيوبيون المسلمون الأكراد القدس من الصليبيين ليلة الإسراء والمعراج ٢٧ رجب من عام ٥٨٣هـ/ ٢-١٠-١١٨٧م، ورمموا سور القدس، وبنوا المسجد العمري، ومستشفى، وعدد من المدارس. وحينما دمر المغول بغداد، واجتاحوا سوريا، واحتلوا غزة والخليل في فلسطين، وقتلوا ونهبوا.. تصدى لهم المماليك المسلمون فهزموهم في معركة عين جالوت (٦٥٨هـ/١٢٦٠) وحموا فلسطين من الدمار ومن شرورهم.

وفي العهد العثماني، شهدت فلسطين عناية خاصة، فبنى السلطان سليم سور القدس، وأقام سليمان القانوني الطرق وسك العملة الفضية. **وخلافاً لما يدعيه الغرب الغادر والمنافق من أن الدولة العثمانية تسببت في خراب فلسطين وأن أهلها هجروها،- وهو الأمر الذي أشرنا إليه ووثقناه في مقدمة هذه**

الدراسة، - فقد أكدت المصادر الغربية نفسها أن فلسطين في العهد العثماني اشتهرت بزراعة الزيتون والقمح حتى كانت تصدرهما وتصدر الزيت والسمسم إلى أوروبا، فضلاً على شهرتها في صناعة الصابون.

والأهم من ذلك، فقد سقط في معركة الدفاع عن القدس ضد الغزاة الصليبيين برئاسة بريطانيا عام ١٩١٧، ٢٥ ألف جريح من العثمانيين المسلمين، وكان السلطان المسلم عبد الحميد الثاني، طيب الله ثراه، قد وقف في وجه الغرب والصهيونية، ورفض كل عروضها، وإغراءاتها، ورفض بيع فلسطين وقال:"**إني لست مستعداً أن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد..فالبلاد ليست ملكي، بل هي ملك شعبي، وشعبي روى تربتها بدمائه، فليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب. إن عمل المبضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بترت من إمبراطوريتي**".(٣)

ورغم كل ما تقدم يتهم الغرب الكاذب والمنافق الدولة الإسلامية بأنها أهملت فلسطين بدليل أنها لم تتخذ من القدس عاصمة لها. وهذا القول هراء سخيف ومكشوف، وهو شبيه بقولنا بأنّ أمريكا تظلم مدينة نيويورك لأنها لم تجعلها عاصمة لها، وتظلم ولاية نيويورك لأنها لم تمنحها الاستقلال لتصبح دولة تتمتع بحق تقرير المصير. ولو قامت أمريكا بذلك وجعلت من كل ولاية دولة لما كان هناك أمريكا أبداً. وإنجازات الدولة الإسلامية في فلسطين واضحة للعيان، وهي إحدى البديهيات التي لا تحتاج إلى إثبات، وتشهد بكذب هذه المقولة.

وعلاوة على ما تقدم، حاول الغرب الطعن في علاقة المسلمين بفلسطين، فادعى أنّ الحكم الإسلامي لفلسطين وباقي الولايات العربية كان حكم استعمار، وأن الغرب الإنساني والخيّر هو الذي "حرر"!" فلسطين والعرب عامة من نير "الاستعمار العثماني أو التركي."! ، وسوف نفند هذه المقولات التي لا أساس لها من الصحة.

١-٣- أكذوبة "تحرير !" الغرب للعرب والمسلمين من حكم الدولة الإسلاميــــة

لقد غرس الغرب الكذاب والمنافق في أذهان الكثيرين من الذين نهلوا من مناهله المسمومة، أو انخدعوا ببريق حضارته الزائفة، أن ذلك الغرب قد حرّر العرب من استعباد الدولة العثمانية المسلمة. وحقائق التاريخ الواضحة وضوح الشمس تشهد بأنّ الغرب المستعمر لم يتمكن من السيطرة علينا وإذلالنا إلا بعد أن هدم دولتنا الإسلامية، وعمل كلّ ما في وسعه لإبعادنا عن عقيدتنا التي تقوم على الإيمان. ولكي يتمكن المستعمر من ذلك، أدخل في أذهاننا، عن طرق جامعاته وخريجيها ومناهجه التي فرضها علينا،أنّ الاستعمار الغربي العادل والديمقراطي !!؟ "حرّرنا" من استعباد الدولة العثمانية الإسلامية !!

لقد عمل الغرب على استعمار المشرق بالقوة المسلحة منذ غزوة نابليون عام ١٧٩٨م، وأحس العالم الإسلامي أن ذلك لم يكن إلا حرباً صليبية جديدة ضد الإسلام، اختلفت عن سابقتها هذه المرة، بأن اتخذ اليهود أداة فيها، فاضطر الغرب إلى أن يحاول إخفاء أهدافه الحقيقية هذه المرة بأن يتظاهر أنه جاء لتحرير هذه الأرض وليس لاحتلالها. وقد وثقت الدراسة كيف أن القادة البريطانيين والفرنسيين لم يخفوا حقيقة نواياهم حين أكدوا مراراً أن أهدافهم حماية طرقهم التجارية للهند وقناة السويس ، والحصول على النفط. وصرح مسئولون غربيون بأن الحرب الصليبية قد انتهت باحتلالهم فلسطين والمنطقة، كما أكد قادة فرنسيون أنهم قدموا لشمال إفريقيا لنشر العقيدة المسيحية بين المسلمين.

وهكذا، جاءت تهمة استعمار الدولة العثمانية للبلاد العربية، بشكل أساسي من الغرب الذي ناصب الدولة العثمانية الإسلامية العداء، وظلّ يتآمر عليها حتى هدمها.ومن الأمثلة على ذلك أنه منذ بدء الاحتلال البريطاني لفلسطين عام ١٩١٧ :"شنت السلطات البريطانية حملة على الإدارة العثمانية ، ووصفت الحكم العثماني بأنه استعمار جثم على صدور العرب قروناً عديدة. ومنّت السلطات البريطانية على العرب والفلسطينيين بالاحتلال الغربي" المتنوّر" الذي خلصهم من " الاستعمار التركي"(٤)

و قول رئيس وزراء بريطانيا "لويد جورج":لماذا يقوم العرب الذين لم يملكوا من أمرهم شيئاً طوال قرون تحت الحكم التركي والذين سيحصلون على الكثير (من الغرب) بحسد اليهود على هذا الممر الجبلي الصغير- (أي فلسطين) "(٥)

وأورد تقرير اللجنة الملكية لفلسطين عام ١٩٣٧ تصريحاً مماثلاً للوزير البريطاني"بلفور" صاحب الوعد المشئوم جاء فيه:

> " أما فيما يتعلق بالعرب ، ذلك الشعب العظيم ... فإنني آمل أن يذكروا ... أنّ الدول الكبرى ، وخاصة بريطانيا، قد حررّتهم من استعباد قاهرهم الطاغي الذي داسهم تحت قدميه طيلة هذه الأجيال العديدة الماضية ، وإذا ذكروا كل هذا، آمل أن لا يستولي عليهم الحقد إذا أُعْطِيَ ذلك الفرض(الممر الجبلي) الصغير من بلاد العرب الحالية ... لذلك الشعب الذي أقصى عنه طوال القرون الماضية(٦)

وعندما احتل الجنرال البريطاني اللنبي القدس يوم ١٩١٧/١٢/٩ قال:
كان هدف بريطانيا من الحرب في المشرق هو التحرير التام والنهائي لجميع الشعوب التي كانت سابقاً مظلومة من الأتراك (!) وإقامة حكومات وإدارات وطنية في هذه البلدان، وتستمد سلطاتها من مبادرة هذه الشعوب وإرادتها الحرّة (٧).

وكرّر التصريح البريطاني الفرنسي يوم ١٩١٨/١١/٧ نفس الأكاذيب وقال:"إنّ الهدف الذي خاضت من أجله بريطانيا وفرنسا الحرب العالمية (الأولى) كان التحرير النهائي للذين كانوا لمدة طويلة مظلومين من قبل الأتراك(!)، وإقامة حكومات وإدارات وطنية تستند في سلطتها إلى الممارسة والمبادرة الحرّة لشعوب المنطقة."(٨).

وحذت أمريكا حذو بريطانيا، وادعت أنها شنت الحرب الأولى على العراق من أجل تحرير الكويت من الاحتلال العراقي، كما شنت الحرب الثانية لتحرير العراق من استبداد صدام، رغم أنها هي التي دعمت صدام لمدة طويلة، وزينت له احتلال الكويت، ورغم أنّ إيمانها المزعوم بدعم الحرية لم يدفعها للعمل على إنهاء احتلال صنيعتها إسرائيل لفلسطين الذي دام أكثر من نصف قرن. ورغم أن جرائمها في العراق قد فاقت جرائم صدام بآلاف المرات.

يتضح مما تقدم أنّ الدول الاستعمارية الغربية- وبشكل خاص بريطانيا- هي التي وصفت الحكم العثماني للعرب بأنه حكم استعمار. فهل نتّخذ من تلك الدول المعادية للإسلام والمسلمين مصدرا وحيدا، أو رئيسا، لتاريخنا ونعتمد عليه؟

من الواضح مدى كذب ادعاءات الغرب، فقد كذب علينا وخدعنا مراراً. وسوف ندين الغربيين من أفواههم . فقد ذكر بلفور في الوعد الذي أصدره عام ١٩١٧ " على أن يفهم جلياً أنّه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ..." ومع ذلك ، فقد أنكرت وطمست بريطانيا تلك الحقوق التي وعدت بعدم الاعتداء عليها. وتعهدت بريطانيا العظمى للشريف حسين بأن يكون ملكا على ولايات الدولة العثمانية العربية في آسيا بما فيها فلسطين. ولنتأمل ما قاله له بلفور بعد ذلك، بعامين. فقد اعترف بلفور بما تمّ فعله وبتآمر الحلفاء على العرب والغدر بهم ، وأنّهم كانوا يعدون العرب بشيء وهم ينوون في الواقع شيئاً آخر، لا سيما بالنسبة إلى فلسطين، وقال:"أنه بقدر ما يخص الأمر الفلسطينيين، فقوّات الحلفاء لم تصدر بياناً تزعم انه حقيقي وصادق، إلا وكان من المعروف انه كاذب وخطئ، ولم تصدر بياناً بسياسة تنوي اتباعها ... إلا وكان هدفها انتهاكها ...(٩)

وبينما كانت دول الاستعمار الغربي تدّعي أنّها جاءت للمشرق من أجل تحرير أهله من ظلم الأتراك، ولإقامة العدل فيه، كما ادّعى اللنبي -على سبيل المثال- فإنها في الواقع جاءت تحمل في صدورها حقد الصليبيين، ورغبتها في الثأر من القائد المسلم صلاح الدين الذي حرر فلسطين منهم. ومن الأمثلة على ذلك، أنه عندما احتل الجنرال اللنبي القدس، غرس سيفه في جبل الزيتون، وقال مفاخراً: **"الآن انتهت الحروب الصليبية"**. وعندما احتل الجنرال الفرنسي

جورو Gourand دمشق، داس بقدمه قبر صلاح الدين وقال: "لقد رجعنا يا صلاح الدين!" (١٠)

وقد اعترف الحاكم العسكري البريطاني لفلسطين الجنرال ستورز رغم أنه كان صهيونياً، بحقيقة التآمر الاستعماري على فلسطين، وقال:"وإذا أتكلم شخصياً باعتباري صهيونياً مقتنعاً... ففلسطين التي كانت حتى الآن بلداً إسلاميا قد سقطت في يد دولة مسيحية، أعلنت عشية انتصارها أن جزءاً كبيراً من أرضها سيسلم لأغراض استعمارية، لقوم لا يتمتعون بأية شعبية في أي مكان(١١).

نستنتج مما تقدم أن الغرب لم يأت ليحرر الشرق، وإنما جاء لاستعماره، وتحقيق مصالحه الخاصة التي تحالف من أجلها مع الصهيونية . وقد اعترف بذلك أقطاب سياسة وحرب بريطانيون وفرنسيون. كما اعترفوا أن هذه المصالح أهم بكثير من حرية ورغبات أهالي البلاد العربية ومن العهود والتعهدات التي قطعها الغرب للعرب.ولم يخف أولئك المستعمرون حقدهم على الإسلام والمسلمين، واعتبروا أن نصرهم هو ثأر لهزيمتهم في الحروب الصليبية على يد البطل المسلم صلاح الدين. وهذا دليل آخر على أن المعركة ليست بين العرب واليهود ، وإنما بين الحضارتين الشرقية الإسلامية والغربية المسيحية.

١-٤- تفنيد تهمة الاستعمار عن الحكم العثماني لفلسطين

الواقع والتاريخ يشهدان بأنّ الحكم العثماني لفلسطين وغيرها من الولايات العربية لم يكن حكم استعمار. ومن المعروف أن الشعوب المستعمرة تثور ضد الاستعمار وتطالب بالتخلص من نيره . ومن الثابت أنّ العرب لم يثوروا على الدولة العثمانية، ولم يطالبوا بالانفصال عنها إلاّ بعد انخداعهم بالمؤامرة الغربية في العقد الثاني من القرن العشرين، في أعقاب مؤامرة سايكس بيكو. ولم يكتفوا بعدم الثورة عليها، بل كانوا يستشهدون دفاعاً عنها ، ويعدون نصرها نصراً لهم.

وقد قدمنا بحثا مفصلا حول هذا الموضوع في كتابنا بعنوان: "الفلسطينيون ومؤسسات الحكم المحلي بين الحكم الذاتي والاحتلال وحق تقرير المصير الجزء الأول – العهد العثماني (١٧٩٤-١٩١٧)". ومن أراد التوسع وزيادة التأكد من ذلك ، فعليه الرجوع إلى ذلك الكتاب والمراجع الأخرى. وسوف نكتفي هنا باقتباس بعض ما جاء في الاستنتاجات المستخلصة منه:

لقد اتضح من تعريف الاستعمار ، ودراسة الإدارة العثمانية في فلسطين، والنظام الاقتصادي الذي كانت تقوم عليه، أنّ هناك تناقضاً واضحاً للعيان، بين

حكم الاستعمار والحكم العثماني في فلسطين. فالعلاقة بين سلطة الاستعمار والمستعمرة تقوم على أساس عدم التوازن والتسلط والإخضاع والاحتكار والاستغلال، بينما كانت العلاقة بين الدولة العثمانية وفلسطين- بشكل عام – مبنية على المساواة ، والعدالة الاجتماعية وترفض التسلط والاستغلال.

ومن الأدلة على ما سبق ، أنّه يكون هناك عادة قانونان أحدهما للبلد المستعمِر، والآخر للمستعمَرة حتى يتم التمييز . أما في الدولة العثمانية فقد كان هناك قانون واحد للعاصمة وللولايات . ولم يكن ذلك القانون من صنع الدولة أو السلطان ، ليضمن مصالحه ومصالح من حوله، وإنما هو قانون ربّاني مشتق من الشريعة الإسلامية . والسلطان لا يحكم لذاته، أو اعتماداً على حق الملوك الإلهي ... ، إنّما بصفته خليفة المسلمين،... والمال ليس للسلطان ولا للوزير، إنما هو لله والناس مستخلفون فيه، ولهم فيه حقّ الملكية لا الملكية الفعلية. ... والمرافق العامة ملك للأمة جمعاء ، ويمنع اكتناز النقود ، وتقاضي الفائدة، واستثمار الأموال الأجنبية في البلاد ، ومن الواضح أن هذه الأمور جميعها لا تتفق مع الاستعمار ، بل هي على النقيض منه تماما، لأنّها تحول دون السيطرة والاستغلال والتسلط.

وقد أفاد عشرات المعمرين الذين عاصروا الدولة العثمانية، واشغل بعضهم فيها وظائف رسمية، أن العثمانيين لم يستوطنوا فلسطين، أو غيرها من البلاد العربية ... وخلافاً لسلطات الاستعمار التي تقيد إقامة المؤسسات التي تعمل على تطوير وتنمية البلاد ، فإنّ الدولة العثمانية أنشأت اثنتين وعشرين بلدية في فلسطين،... بينما لم ينشئ الاستعمار (الانتداب) البريطاني في فلسطين أية بلدية طوال مدة حكمه البالغة ثلاثين عاماً، وأنشأ فقط بلديتين يهوديتين. . و علاوة على ذلك، فقد أكدت الدراسات العديدة التي قام بها باحثون مختلفون بان الحكم العثماني للبلاد العربية لم يكن حكم استعمار ، وان الدولة العثمانية لم تحاول تغيير التركيبة العربية أو الثقافية لسكان الولايات، ولم تتدخل في شؤونها إلا في أضيق الحدود، وان العرب المسلمين الذين كانوا يشكلون غالبية سكان فلسطين ارتبطوا بتلك الدولة عن طريق رابطة العقيدة الإسلامية، التي هي أقوى بكثير من رابطة القومية، وأنهم عدّوا الحكم العثماني امتداداً طبيعياً للخلافة الإسلامية التي تسلسلت من الراشدين إلى الأمويين والعباسيين فالعثمانيين. (١٢)

وعلاوة على ما تقدم، ففي كتابه "عرب وعثمانيون..رؤى مغايرة" ذكر "محمد عفيفي"أستاذ التاريخ في جامعة القاهرة أن وصف العثمانيين بالمحتلين والغزاة يأتي"لتبرير وشرعنة أسرة "محمد علي" التي حكمت مصر منذ عام ١٨٠٥م إلى أن أنهت ثورة تموز ١٩٥٢م حكم فاروق آخر ملوكها. وأنّ الوجود العثماني لم يكن احتلالاً لأنه التدرج لطبيعي لحكم الدولة الإسلامية، وأن ذلك الحكم ساعد على إيجاد وحدة سياسية واقتصادية من نوع خاص بين الولايات

العربية لأول مرة بعد ضعف الدولة العباسية".(١٣) وقال العالم الفرنسي "رجاء غارودي" إن الإسلام لم يكن غزواً عسكرياً، إنما فتحاً وانفتاحاً وتقديراً لكل الأنبياء والرسل".(١٤)

وفي كتابهما "إسرائيل/ فلسطين الواقع ما وراء الأساطير" قال ميخائيل هرسيغور، و موريس سترون، :"وهكذا وصلت إلى نهايتها أربعماية سنة من التواجد التركي في الهلال الخصيب(١٥١٦-١٩١٧). في هذه الحالة لا يمكن الحديث عن احتلال. عملياً، بما أنه في تلك الفترة كانت للسكان المسلمين الناطقين بالعربية هوية سياسية واحدة فقط، هي دينهم، فلم يمض وقت كبير حتى لم يعد التواجد التركي يعتبر احتلالاً أجنبياً، وحظي بشرعية انطلاقاً من حقيقة أن الخليفة كان ببساطة سلطاناً عثمانياً (مسلماً) استقر في اسطنبول."(١٥)

وبناء على ما تقدم ، فالحكم العثماني لفلسطين وغيرها من البلاد العربية لم يكن حكم استعمار، والغرب لم يحررنا بل هو الذي اغتصب حريتنا واستعمرنا.

١-٥- هل كتبنا تاريخنا القديم أم تركناه ليكتبه أعداؤنا-نيابة عنا؟

تنويه: إنّ هذا التساؤل لا يعني أنه ليس للعرب والمسلمين تاريخ ولا مؤرخون، فهذا خطأ لا يمكن أن يقع فيه عاقل، وتاريخ العرب والمسلمين ومؤرخوهم يعرفه القاصي والداني. وإنما المقصود هو أن العرب والمسلمين، بعد انتهاء عصر القوة، ودخولهم في مرحلة الضعف، لم يقوموا بما يجب أن يقوموا به على المستوى الدولي من حيث الدفاع عن هويتهم وتاريخهم، بشكل عام، وتاريخ فلسطين، بشكل خاص. ومن المعروف أن فترة ضعف العرب والمسلمين هذه تصادفت مع صعود وقوة الغرب الحاقد على الشرق العربي والإسلامي، والذي كان يخطط للهيمنة عليه. وكانت النتيجة أن خلت الساحة للاستعمار الغربي لينجح في تشويه علاقة الدولة الإسلامية بفلسطين، وفي تزييف تاريخ فلسطين العربي والإسلامي.

وظل تاريخ فلسطين الكنعانية العربية الإسلامية واضحاً وبارزاً حتى استهدفته مشاريع الاستعمار والإمبريالية التي اختلقت وضخمت تاريخاً خيالياً لإسرائيل القديمة، من أجل إسكات التاريخ الفلسطيني، والمضي قدما في اقتلاع الشعب الفلسطيني، وزرع إسرائيل قاعدة وموطئ قدم للدول الاستعمارية، لتتسلل منها إلى منابع النفط والأسواق والمواقع الاستراتيجية وتهيمن عليها.

ومما يجدر ذكره أنّ الغرب بحضارته القديمة كان يسيطر على الوطن العربي وأنّ الإسلام بحضارته حلّ محل الغرب في هذا الجزء من العالم.ومنذ هزيمة الغرب الصليبي، على أيدي الأيوبيين والمماليك المسلمين، أسقِط في يده، لكنه ظل يخطط بتصميم كبير لإعادة تسلطه على المشرق، والاستئثار بخيراته، وموقعه الاستراتيجي، معتمداً في ذلك على أسلحة فتاكة، بعضها ماديّ،

والبعض الآخر فكري (ديني ، ثقافي ، تاريخي) . أما الأسلحة المادية فقد تمثلت في الحروب التي شنتها روسيا والدول الغربية ضد الدولة العثمانية، إضافة إلى الحملة الفرنسية على مصر، وبداية التسلل والتغلغل البريطاني والفرنسي إلى أطراف الولايات العربية من الدولة العثمانية.

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة، يجدر بنا بحث وتحليل العوامل المؤثرة على الموضوع حتى نستطيع مناقشته مناقشة موضوعية. ولا جدال في أنّ من ضمن العوامل المؤثرة على كتابة تاريخ فلسطين القديم والحديث كتابة موضوعية من منظور علمي العوامل التالية:

١-٥-١- أثر الأوضاع العامة والسياسية على التأريخ والبحث

من المعروف أن العرب والمسلمين قد أبدعوا في علم التاريخ والعلوم العديدة الأخرى عندما كانت دولتهم الإسلامية في أوج قوتها. وعندما ضعفت تلك الدولة وهرمت، شرعت الدول العظمى في التسابق على اقتسام ممتلكاتها. وكانت قد اضطرت -بسبب ضعفها- إلى إبرام معاهدات مع روسيا وفرنسا، أعطت بموجبها حقوقاً لتلك الدول بشأن الرعايا المسيحيين. وقبيل حملة نابليون على مصر وفلسطين، وبعد تلك الحملة، كانت قوتان هائلتان تتوجهان إلى المشرق في ذلك الوقت. وقد تمثلت القوة الأولى بالغزو العسكري بالبوارج والمدافع، بينما تمثلت الأخرى، والأشد خطراً وفتكاً، بأدمغة العلماء التوراتيين والمستشرقين. وقد رافقت الحملات العسكرية كتائب المستشرقين، وسبقتها في بعض الأحيان. وبدأت عملية قلب الحقائق وتزوير التاريخ. في ذلك الوقت كانت أوضاع العرب والمسلمين متردية، ولم يكن بإمكاننا التصدي لهجمة المستشرقين والتوراتيين الشرسة على تاريخنا القديم. وهنا، انشغل العرب-بمن فيهم الفلسطينيون- في محاولة كتابة التاريخ الحديث، وظلّ التاريخ القديم حكراً على المستشرقين والتوراتيين الذين تلاعبوا فيه بما يخدم أهداف دولهم الاستعمارية وحليفهم الصهيوني.فأغرقوا العالم بأكاذيبهم وفكرهم المضلل حين ألفوا ملايين الكتب حول الموضوع بجميع اللغات.

١-٥-٢- دور الاستعمار في إعاقة كتابة تاريخ قومي صحيح

وعلاوة على عوامل التأخر عن مواكبة التقدم، والتفكك السياسي، التي أشرنا إليها سابقاً، والتي كان لها الأثر الكبير في عدم الاهتمام ببذل مزيد من الجهود للحفاظ على الهوية الوطنية والرد على كتابات المستشرقين الذين شوهوا تاريخنا، وطمسوا كثيراً من حقائقه، فإن سلطات الاستعمار كانت تدرك أن إبراز التاريخ الوطني، الذي هو أحد عوامل بناء هوية وطنية مانعة، ضد

مخططاتها في فرض هيمنتها السياسية والثقافية والاقتصادية. ولذلك كانت تلك السلطات تبذل كل جهودها لحجب التاريخ الحقيقي، وفرض ثقافتها الخداعة التي تغيب المواطنين عن مكائد الاستعمار.

ولم نكن نحن الوحيدين من الشعوب التي استعمرت والتي فشلت في أعادة كتابة تاريخها، فيوضح "إندن" كيف دجّنت القوى الاستعمارية الخطابات القومية في الهند التي نشأت أصلاً لمجابهة الاستعمار فيقول:

فعملية التاريخ التي أخذت بالمنظور القومي في كتابة التاريخ قد تشربت العديد من المسلمات المتضمنة في كتب التاريخ الاستعمارية والتي كان من المفترض أن ترفضها تلك التواريخ القومية، وهكذا يذهب "إندن" (**Inden 1990:402**,) إلى أنه على الرغم من حصول الهند على الاستقلال السياسي رسمياً، فإنها لم تتمكن حتى الآن من استعادة قدرتها على فهم ماضيها وحاضرها بعيداً عن هذا الخطاب.كما بين "براكش" **(Praksh,1990:399)** كيف قبلت القومية الهندية، على الرغم من رفضها للروايات الاستعمارية حول تاريخها،قبلت في نهاية الأمر،النماذج التي وضعتها اتجاهات البحث العلمي البريطانية... ويضيف "فان در فير"(1993:25)"**لم يكتب تاريخ شعوب المنطقة بأغلبيتها الساحقة حتى الآن لأنه لم ينسجم مع مصالح واهتمامات اتجاهات البحث العلمي في الغرب.** (١٦)

ويوضح "وايتلام" كيف أنه يصعب على الشعوب المستعمرة أن تعيد كتابة تاريخها الذي كتبه الاستعمار الغربي فيقول:" وهكذا نعود إلى المشكلة التي طرحها سيزار **(Cesaire)** والتي رددها يونغ **(Young)** (١٩٩٠) وهي كيف نكتب تاريخا جديدا، في حين أن التاريخ برمته هو تاريخ أوروبي، وذكوري وينتمي إلى العرق الأبيض".(١٧)

ولهذا فإن الكثيرين من مؤرخينا وكتابنا لم يتخلصوا إلى الآن من النماذج التي أدخلها الاستعمار في عقولهم، وما زالوا لا يفرقون بين حكم الاستعمار، وحكم دولتنا العثمانية الإسلامية التي حرصت على وحدتنا ضمنها، وحمتنا، ولم تسقط فلسطين فريسة بيد الاستعمار والصهيونية إلا بعد القضاء عليها.ولذلك تراهم يكررون المصطلحات التي أطلقها الاستعمار على الدولة العثمانية ويقولون "الاستعمار التركي للبلاد العربية، والغرب الإنساني الخيّر الذي حرر العرب والمسلمين، وجلب الرخاء والسعادة والتقدم للبلاد التي استعمرها".ويكفي الإشارة لما تعمله أمريكا الآن في العراق وأفغانستان ليتبين لنا مدى ما في هذا القول من بعد عن الحقيقة.

١-٥-٣- هل قمنا بحفريات أثرية لكتابة تاريخنا الصحيح؟ وهل سمحت لنا القوى التي تحكمت فينا بالقيام بحفريات أثرية؟

من المعروف أن كتابة التاريخ القديم تحتاج إلى إجراء حفريات أثرية، ودراسة الآثار الظاهرة للعيان.فهل قمنا – كعرب ومسلمين، تهمنا عروبة فلسطين ومقدساتها الإسلامية والمسيحية- بإجراء حفريات أثرية، ودراسة الآثار الظاهرة للعيان؟ وقد سبق أن أوضحنا كيف أن وضع الدولة العثمانية في كافة المجالات لم يكن يساعدها على القيام بمثل هذه الحفريات والدراسات.

ومن المعروف أن التنقيب عن الآثار في فلسطين قد اقتصر في الأغلب على الأجانب، الذين غالباً ما توجههم المنطلقات التوراتية، " ويجري الآن وببطء تعديل الإهمال الواقع على الفترات الإسلامية، ... في حين أنّ هناك تجاهلاً شبه كامل للعهد العثماني ١٥١٧م - ١٩١٧م " (١٨) ولهذه الأسباب عملت في فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى (في العهد العثماني) خمس مدارس حفريات غربية : فرنسية ، أمريكية، ألمانية، بريطانية، إيطالية.(١٩)

ولهذه الأسباب أيضاً تم إرسال لجنة صندوق استكشاف فلسطين التي قامت بمسح شامل لفلسطين وأنجزت دراسات عنها في عدة مجلدات. كما أنجزت بين عامي (١٨٦٩- ١٨٧٨) ٢٦ خارطة لفلسطين تعتبر من أهم المراجع في بحث جغرافية فلسطين التاريخية، تبدأ من نهر القاسمية (الليطاني) وتنتهي بمدينة بئر السبع.(٢٠)

ولكن لجنة صندوق اكتشاف فلسطين جاءت لخدمة الاستعمار الغربي، وكان جميع العاملين فيها إما من العلماء التوراتيين أو من المستشرقين الذين سخرتهم الجهات الاستعمارية الغربية لخدمتها، أو من العسكريين.

١-٥-٤- كيف استغل الاستعمار والإمبريالية العلاقة بين الديانتين السماويتين اليهودية و المسيحية لتحقيق أهداف سياسية

من المعروف أنّ التاريخ الكامل لغالبية شعوب منطقة الشرق الأوسط لم يكتب حتى الآن لأنه "لم ينسجم مع مصالح واهتمامات اتجاهات البحث العلمي (الغربية)" .(٢١)

ويوضح كيث وايتلام" **(Kieth Whitelam)** التآمر الغربي على فلسطين واستغلال التاريخ التوراتي، وكيف تحالفت المسيحية مع الصهيونية وتحكمت في استراتيجيات ونتائج الأبحاث التاريخية، بحيث ابتعدت الأبحاث العلمية عن الموضوعية، فيقول:

> **إنّ أصول دراسة علم الآثار الحديثة، منذ تدخل نابليون في شؤون مصر، هي قصة المؤامرة الدولية، حيث إنّ التاريخ التوراتي، والكشف عن الكنوز الأثرية في المنطقة، قد استخدمتها القوى الغربية**

لمصلحتها في صراعها على الهيمنة السياسية، وإضفاء الشرعية على أطماعها الاستعمارية..من المهم الا يغيب عن أذهاننا أن الأبحاث والدراسات العلمية حول تاريخ فلسطين قد تشكلت في سياق تكوين وتعزيز سلطة الدولة القومية الأوروبية نفسها وقد انتقل ذلك إلى الشرق الأوسط." وقد تحالفت المسيحية الإنجيلية المحافظة مع الصهيونية السياسية والدينية في بحثها عن الحقيقة المادية لإسرائيل القديمة...وكما أن المسلمات اللاهوتية والسياسية الملازمة للبحث عن إسرائيل القديمة قد تحكمت في تحديد استراتيجيات البحث، فإنها تحكمت أيضاً في تحديد طبيعة النتائج وكيفية استخدامها. وهذا ينفي عن البحث صفة الموضوعية." (٢٢)

ويؤكد عالم الآثار "ألبرت غلوك" Albert Gluck " أنّ التنافس الغربي على السيطرة على المشرق بشكل عام، وعلى فلسطين بشكل خاص، كان من بين العوامل التي أثرت على تاريخ فلسطين ."(٢٣)

وينتقد وايتلام ما ذكره "سميث(Smith) وغيره من مؤرخي الغرب فيقول:

وعلى هذا الأساس، فليس هناك أي معنى جوهري لفلسطين بحد ذاتها، بل 'إنها تستعمل فقط لكونها الخلفية الأساسية لفهم التطور الديني الذي هو أساس الحضارة الغربية في هذا السياق ، لا تملك فلسطين تاريخاً خاصاً بها،إن تاريخها هو تاريخ إسرائيل الذي هو تاريخ الغرب....وهكذا فإن أي اهتمام بالبلاد راجع لكونها مهمة للثقافة الغربية وأصول ديانتها التوحيدية: فالقوى الغربية تعود لتحمي الأرض التي أمدتها بمنبع حضارتها". ص (٨٨)(٢٤)

ويوضح "فابيان" (Fabian 1983:144) التلاعب الإمبريالي بتاريخ فلسطين، واعتبار التاريخ الإسرائيلي المزعوم أنه منبع الحضارة الغربية، وذلك لإعطاء الغرب المبرر للتدخل في شؤون المنطقة فيقول إنّ:

"مفهوم الزمان، مثله مثل مفهوم المكان هو مفهوم سياسي... وقد تم استغلاله من قبل الدراسات التوراتية لإنكار أي حقيقة زمنية للتاريخ الفلسطيني. يشير" فابيان" إلى القبول الشائع للتصوير الإمبريالي للمكان على أنه معظم الوقت"أرض خالية" ينبغي احتلالها لخير الإنسانية ...وهذا التركيز على التقدم الجموح اتجاه الزمان قد أدى إلى إدراك للتاريخ الإسرائيلي على أنه منبع الحضارة الغربية، الذي يحل محل كل مظاهر التاريخ الحقيقي لفلسطين وكأنه جزء من التطور التاريخي الحتمي" .(٢٥)

ومضى وايتلام في توضيح كيف استغلت إسرائيل اتجاهات البحث العلمي الاستعمارية لمصلحتها مستشهدا بِ "ترغر" (Trigger) فيقول:

في مناقشته لعلم الآثار الوطني يشير "تريغر" أنه"في دولة إسرائيل الحديثة، يلعب علم الآثار دوراً مهماً في تأكيد الصلات بين سكان دخلاء وتاريخهم القديم، وبعمله هذا فهو يؤكد حق هؤلاء السكان الدخلاء في تلك الأرض"..ينظر إلى إسرائيل هنا من منظور الدولة القومية،المرتبطة ارتباطاً عضوياً بالأرض القومية بقوة "الاحتلال". كما يقدم التبرير العقلاني لمسألة التاريخ الجغرافي على أنها المصالح التاريخية والدينية للتراث اليهودي- المسيحي. ولا تذكر المصالح الفلسطينية مطلقاً: فهذه أسكتت لمصلحة الاهتمام بتجربة إسرائيل التاريخية والدينية"في سياق جغرافي محدد". (٢٦)

١-٥-٥- دور الدراسات التوراتية في التآمر على تاريخ وحقوق شعب فلسطين

ويؤكد ذلك عالم التوراة الأمريكي كيث وايتلام (Kieth Whitelam) أن الدراسات التوراتية تآمرت على تاريخ فلسطين ويقول انّ :" الدراسات التوراتية، قد ركزت على، بل إنها اختلقت- "كيان" وذلك الكيان هو " إسرائيل القديمة" بينما تجاهلت حقيقة التاريخ الفلسطيني بشكله المتكامل.(ص٤٤)... لقد كانت الدراسات التوراتية، ولا تزال، على الرغم من ادعائها البراءة، متورطة في الصراع المعاصر حول فلسطين، وهذا ما تؤكده مقالة أولبرايت عام ١٩٤٢ في مجلة"فلسطين الجديدة" (New Palestine) تحت عنوان "لماذا يحتاج الشرق الأدنى إلى اليهود". ص(١٥٤)(٢٧)

لقد تجنى المؤرخون التوراتيون على تاريخ فلسطين؛ فرغم أن حكم العرب الكنعانيين لفلسطين دام حوالي ألفي عام قبل الغزو الإسرائيلي؛وحكم الفرس الذي دام حوالي قرنين؛ وحكم اليونان الذي دام قرناً ونصف القرن؛ وحكم الرومان الغربيين والشرقيين الذي دام حوالي سبعة قرون؛ وحكم الدولة العربية الإسلامية الذي دام أكثر من ثلاثة عشر قرناً، ورغم أن حكم دولة إسرائيل الموحدة لم يدم سوى حوالي سبعين عاماً، إلا أن موشي دوثان – أحد المؤرخين التوراتيين- يقول"لقد كان الإسرائيليون كقوم هم الفئة الإثنية الوحيدة التي تمكنت من إنشاء دولة في هذه الأرض، دولة مستقلة لم تتبع أياً من الإمبراطوريات الكبيرة. دوثان (Dothan 139: 1985)".كما يدعي عالم التوراة أهاروني أيضاً أنّ "الشعب الإسرائيلي هو الأول والوحيد الذي استوطن فلسطين"(٢٨)

ومع أن فلسطين عرفت بهذا الاسم منذ عهد المؤرخ اليوناني هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد، وأعيد استخدام الاسم في الفترة

الرومانية، وبعد الفتح الإسلامي، وبعد القرن الحادي عشر الميلادي، إلا أن دوثان يتناسى كل ذلك ويقول:"وهكذا لمدة سبعمائة عام، لم يكن اسم فلسطين يستعمل إلا بالكاد. وفي القرن التاسع عشر فقط، بعد يقظة المصالح الأوروبية الدينية والتاريخية والسياسية في المنطقة، ظهر اسم فلسطين من جديد".(٢٩)

ويرد وايتلام على دوثان قائلاً:

تجدر ملاحظة أن إنكار الاستمرارية بهذا الشكل بالنسبة لاستعمال لفظ فلسطين فيما يتعلق بتاريخها القديم، ينفي أي مطالبة بتاريخ فلسطين. غير أنّ هذا الإنكار هو إنكار لاسم ورد في المصادر الآشورية والهلينستية(اليونانية) وكان هو الاسم المستعمل للدلالة على المنطقة في الفترة الرومانية واستعمل فيما بعد بشكل واسع في المصادر العربية من القرن العاشر حتى الآن "ديفيز" (Davies 23 1992 وسعيد (Said 10 :1992).(٣٠)

ويرد وايتلام على أهاروني بقوله:

إن ما يثير الانتباه هو أنه (أهاروني) لا يقدم أي تفسير لنظرياته القائلة إن "شعب إسرائيل" هو "الشعب الأول والوحيد الذي اتخذ من هذه الأرض وطناً له" ولا يقدم للقارئ أي تفسير للسؤال: لماذا تكون إسرائيل وحدها هي التي بإمكانها أن تزعم أن هذه الأرض هي وطنها الطبيعي.إن اللغة التي يختارها لها مغزى كبير، وهي تعكس تماما ما جاء في وعد بلفور الذي أعلنته الحكومة البريطانية في ٢ نوفمبر ١٩١٧... وعلى ذلك، فمهما حاول الخطاب التوراتي أن يتصف بالموضوعية، تسهل رؤية كيف أنه متورط بالصراع السياسي المعاصر."(٣١)

ويرد "وايتلام "على "ديفز" فيقول:" فالدراسات التوراتية ... تآمرت في عملية السلب، أو على أقل تقدير، إذا ما اقتبسنا عبارة من إدوارد سعيد، تواطأت بالصمت في عملية السلب. إن بناء الكيان الذهني المختلق"إسرائيل القديمة"الذي يشير إليه "ديفيز"، قد أسكت تاريخ السكان الأصليين في فلسطين في العصر الحديدي المبكر.(٣٢)

وعن دور الدراسات التوراتية-التي تقف وراءها المؤسسات الفكرية الغربية- في تجريد الشعب الفلسطيني من حقوقه، وإسكات تاريخه، يقول وايتلام:

"يبدأ تاريخ فلسطين عمليا بالنسبة لهؤلاء الكتاب- فقط عند بدء تاريخ إسرائيل... ولكنهم جميعاً يرفضون بثبات استعمال تعبير "الفلسطينيين" للدلالة على المكان... وعلى هذا فإن الدراسات التوراتية **متورطة في تجريد الفلسطينيين من وطنهم**.ولهذا مقابل سياسي **معاصر متمثل** في السيطرة الصهيونية على الأرض وسلب الشعب **الفلسطيني** من أرضه وتصويره على أنه شعب بلا تاريخ أو تجريده من **هذا**

التاريخ....إنه تفسير قدم على أنه بحث علمي موضوعي، وهو يحمل وراءه ثقل المؤسسات الفكرية الغربية، وهي أسيرة الفهم الشائع للحاضر الذي جعلت فيه دولة إسرائيل المعاصرة الأرض "الفارغة" و"القاحلة" تثمر".(٣٣)

ومن العلماء التوراتيين الذين قاموا بدور خطير في التآمر على حقوق الشعب الفلسطيني في وطنه وليم فوكسويل أولبرايت (William Albright) الذي ترأس المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس) من عام (١٩١٩-١٩٣٦). وكانت تلك المدرسة قد تأسست من قبل عدد من الجامعات ومعاهد اللاهوت عام ١٩٠٠م. وبشأن أولبرايت ،تذكر الموسوعة الفلسطينية أنه:

> لا غرابة في أن يصدر الصهاينة فيما بعد مجلداً خاصاً تخليداً لذكرى وليم أولبرايت يتضمن تقديماً "لن يجد اليهود والإسرائيليون صديقاً مخلصاً مثل ما وجدوه في وليم أولبرايت." ...ويلتصق اسم وليم أولبرايت بحفريات تل بيت مرسم إلى الجنوب الغربي من الخليل التي استمرت تحت إشرافه لأربعة مواسم بين سنوات ١٩٢٦-١٩٣٢...ورغم أنه كان واسع الإطلاع..، إلا أن منهجه في العمل وتفسيره للمكتشفات ومنطلقاته التوراتية قد تعرضت لنقد شديد ... والخطأ الرئيسي عند أولبرايت كان محاولاته المستمرة تفسير الحوادث التوراتية والبرهنة على صحتها من خلال الآثار.(٣٤)

ومما يجدر ذكره أن أولبرايت يهودي الديانة، أمريكي الجنسية، صهيوني النزعة، ابتعد عن الموضوعية في تنقيباته وأبحاثه الأثرية، وتجاهل حقوق السكان العرب الأصليين، وقدم تبريرات لا أساس لها من الصحة لإبادتهم. وقد انتقده بسبب ذلك الباحث الأمريكي كيث وايتلام ، وكان مما قاله:

> ومن وجهة النظر غير المنحازة لفلسفة التاريخ يبدو أنه من الضروري في أحيان كثيرة اختفاء شعب ذي مستوى متدنٍ إلى حد بعيد، ليحل محله شعب ذو صفات متفوقة ... (أولبرايت1957:280-281) ..هذا التبرير لإبادة الشعب الفلسطيني كما نجده لأهم الباحثين التوراتيين في القرن العشرين، هو شيء بالغ الخطورة والأهمية لسببين :.. أنه يعبر عن عنصرية سافرة، ولكن الأكثر خطورة هو أنّ آراء أولبرايت هذه، لم يعلق عليها- على حد علمي-أي من الباحثين التوراتيين في تقييمهم لأعمال أولبرايت. ...وهذا الادعاء يتستر بفرضية أنّ الاستعمار أو الإمبريالية يساهمان في تطوير الشعوب البدائية.. فإن أولبرايت لم يشعر بأي حاجة إلى إعادة النظر في آرائه التي تدعي أن شعوباً "متفوقين" (superior) كان لها الحق في إبادة شعوب "أدنى درجة" (Inferior) وكذلك فإنه لم يعترف بالتناقض المروع لأفكاره اللاهوتية

التي لا تدرك مدى الضرر الذي تسببه نظريات كتلك القائلة إنّ الديانة التوحيدية اليهودية قد أنقذت "أخلاقها التوحيدية العالية" عن طريق إبادة السكان المحليين. (ص١٤٧) .. فتبرير إبادة شعب كامل، وكذلك إسكات التاريخ الفلسطيني، متضمنان في العبارة النهائية في كتابه (Albright 1957:402). (٣٥)

ويقدم وايتلام مزيداً من الأدلة على انحياز أولبرايت لإسرائيل فيقول:

إن الأساس الديني لاختلاق أولبرايت لإسرائيل القديمة وتصويره لها على أنها تمثل الجذور الثقافية والعقلانية والروحية للمجتمع الغربي يبدو ظاهراً في كل أعماله.... دولة إسرائيل كرّمته لأعماله العلمية ولدوره في مساعدة العديد من اللاجئين اليهود على الفرار من الاضطهاد النازي... يقول فان بيك Van Beck "... ما يجب أن نتذكره هو أن استنتاجاته، وإعادة بنائه للماضي، قد شكلت فيما سبق، ولا تزال تشكل، إدراك أجيال من دارسي التوراة والباحثين في هذا المجال وخاصة الأمريكيين منهم والبريطانيين. (٣٦)

ومن المعروف أن سلطات الاحتلال البريطاني لفلسطين قدمت إلى أولبرايت كل التسهيلات لإجراء حفريات في تل بيت مرسم، زوّر من خلالها تاريخ فلسطين القديم، وهو الأمر الذي دفع "سلبرمان" إلى انتقاد العلماء التوراتيين وسلطات الانتداب البريطاني وقال:

من المستغرب أنّ علماء الآثار التوراتيين الحاليين...الذين يفخرون بكونهم غير منحازين، لا يعترفون بأنّ هناك شيئاً كان أولبرايت يرمي إليه... هل يمكن للباحث الذي هو نفسه نتاجاً للمجتمع الحديث، وله وضع قومي وديني واقتصادي معين، أن يدخل إلى مجتمع تمزقه الصراعات (مثل فلسطين في العشرينات)، دون أن يكون له إسهام- سواء عن قصد أو غير قصد- في ذلك الصراع السياسي الدائر هناك؟ هل بإمكانه ، أو هل كان يجب أن يحصل على حق لإجراء تنقيبات أثرية في موقع ما (ذلك الموقع هو أيضاً جزء من النظر الطبيعي الحالي للبلد) ، وأن يتفاوض على السلع ويحصل على الخدمات، وعلى إذن الحكومة، ويوظف العمال المحليين، والأكثر من ذلك، أن يأتي برواية للتاريخ شديدة التأثر بالتحريف السياسي للأحداث في الفترة المعاصرة، دون أن يسهم - بقصد أو غير قصد- في الخطاب السياسي المعاصر. "سيلبرمان" (Silberman 1993:15).(٣٧)

ويتابع وايتلام تقديم مزيد من الأدلة على انحياز الدراسات التوراتية وأولبرايت لإسرائيل، ويؤكد أن الهدف من إقامة إسرائيل هو خدمة الغرب، فيقول :

لقد كانت الدراسات التوراتية، ولا تزال،على الرغم من ادعائها البراءة، متورطة في الصراع المعاصر حول فلسطين، وهذا ما تؤكدة مقالة أولبرايت عام ١٩٤٢في مجلة فلسطين الجديدة تحت عنوان "لماذا يحتاج الشرق الأدنى إلى اليهود؟... إذا ما أخذنا في الاعتبار آراءه حول الشعوب المتفوقة وحقها في أن تحل محل الشعوب الأدنى. لقد اعترف الآن أولبرايت بأن الصهيونية هي الحل الوحيد، مطالباً " بالحق لتاريخي" للشعب اليهودي ، وحقوقه القانونية المعترف بها دوليا في فلسطين"... ففلسطين هي وطن آباء إسرائيل... هي ورشة العمل التي أنتج اليهود فيها ثلاث وسائط للثقافة الغربية: التوراة العبرية والعهد الجديد والناموس الثاني "second law" (١٩٤٢:١٢). ...ما يراد إنشاؤه هو إذاً " **مركز للحضارة الغربية- مركز نفوذ وطاقة هائلة- في قلب الشرق الأدنى" وسيكون في هذا فائدة كبرى للمنطقة من النواحي التكنولوجية والطبية والثقافية التي سيجلبها المهاجرون اليهود إلى المنطقة".**(٣٨)

١-٦- هل كتبنا تاريخ فلسطين في العهد العثماني اعتماداً على مصادره الأولية؟

إن تارخ فلسطين في العهد العثماني لم تكتمل كتابته بعد، ولم يتم الرجوع الى مصادره الأولية، والتاريخ المتداول حالياً اعتمد في غالبيته على المصادر الغربية، رغم أنه لا يجوز الاعتماد على مصادر الدول الاستعمارية الغربية التي تآمرت على الدولة العثمانية ، والتي لا يزال أغلبها- على الأقل – غير حيادي في موضوع علاقة العرب بالدولة العثمانية .وقد أصبح من الثابت أنّ تاريخ فلسطين في العهد العثماني لا يزال بحاجة إلى إعادة النظر فيه، وذلك بالاعتماد على الأرشيفات وسجلات المحاكم الشرعية والمصادر الأولية الأخرى التي لم يتم الاستفادة منها بعد. وهذا ما أكّده باحثون ومختصون عرب وغربيون وإسرائيليون. فقد انتقد المؤرخ "كامل العسلي" –على سبيل المثال- مصادر تاريخ فلسطين وقال:

إنّ المصادر التقليدية لتاريخ القدس وهي الكتب المطبوعة من قديمة وحديثة، عربية وأجنبية، لم تعد كافية للبحوث الحديثة، ولا بد لاستكمال ما ورد فيها من العمل الأثري الميداني من جهة، ومن فتح خزائن الوثائق القديمة من جهة أخرى، وما عمل في هذين الاتجاهين، خاصة الاتجاه الثاني، قليل للغاية،... إنّ سجلات المحاكم الشرعية في القدس مصدر من أهم المصادر لتاريخ القدس وفلسطين... **في ظل** الحكم العثماني، ومع هذا فإنّ عدداً قليلاً من المؤرخين رجعوا **إلى هذا**

المصدر واستفادوا منه...إنّ دراسة تاريخ البلاد العربية (في العهد العثماني)، دراسة علمية وشاملة وعميقة هي أمر غير ممكن في الواقع دون الإطلاع على السجلات والوثائق العثمانية المحفوظة في تركيا... وعلى سبيل المثال يوجد في أرشيف استنبول مجموعات دفاتر الشؤون العامة، وشؤون الأراضي، ووثائق يقدر عددها ب (٤٠) مليون وثيقة لم يتم تصنيف سوى ١٠% منها .... إضافة إلى المراسلات الموجهة من السلطان إلى الولاة وحكام الألوية ... ويبلغ عدد الفرمانات (الأوامر) المسجلة في الدفاتر المهمة حوالي(٢٠٠) ألف فرمان(.قرار، أمر رسمي).(٣٩)

وذكر الباحث "دوماني" أستاذ التاريخ في جامعة بنسلفانيا :

إنّ النظر في التاريخ المكتوب عن فلسطين، والدعوة إلى إعادة اكتشافه، هما تقليدان واسعا الانتشار خصوصاً في الغرب... وقد تم إلى حد كبير إغفال النواحي الاجتماعية والاقتصادية من تاريخ فلسطين... ورغم توفر المصادر الغنية، ما زلنا نعاني من جهل عميق حيال الأربعمائة سنة التي سبقت فترة الانتداب البريطاني. وعليه فإنّ مؤلفات تاريخ فلسطين في القرن العشرين تفتقر إلى السياق والعمق، وتنهج على مستوى سرد الأحداث دون التطرق للأسباب (ص٥)... ومع ذلك فإنّ هناك بعض المصادر مثل سجلات المجلس الإسلامي الأعلى في شرقي القدس، والتاريخ المتناقل -لم يتم استخدامها بعد بشكل فعال، كما لم يتم استخدام المصادر غير السياسية مثل سجلات المحكمة الشرعية، وهبات الوقف الإسلامي، وسجلات الزواج وغيرها، لإلقاء الضوء على أمور مهمة...(ص١٢)

وكما أرجو أن أكون قد بينت، أنّ ما نعرفه، وأهم من ذلك ما نجهله، هو إلى حد كبير نتيجة لسيطرة نماذج على هذا الموضوع، كان من شأنها أن تعامل فلسطين والفلسطينيين كأشياء تتأثر بعوامل خارجية وليس كقوى فاعلة. كما بينت أن هذه النماذج طوّرها كتاب مستشرقون وصهاينة وتبناها إلى حد كبير نظراؤهم من الكتاب الفلسطينيين والعرب. حيث إن التقاليد التاريخية الفلسطينية والصهيونية تبدو غير متلائمة فقط على السطح، أما في العمق فكلا التقليدين يشاركان إلى درجة كبيرة في نظرة مختزلة للفترة العثمانية. ص(٢٦)

ويترتب على ذلك أنه بالرغم من تعدد المصادر وآلاف الكتب والمقالات التي تم نشرها حول التاريخ الفلسطيني لفترة تزيد عن القرن، فإننا ما نزال نجهل وبعمق الأصول الحديثة لفلسطين والشعب الفلسطيني (ص ١٧)...ونتيجة لذلك، فإنّ ما نعرفه عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والحياة الثقافية للفلاحين...من الأغلبية

الصامتة للشعب الفلسطيني يكاد يكون لا شيء. (ص ٢٣) (لذلك) على المؤرخين تطوير إطار جديد للتحليل من شأنه أن:

(١) يتحدى مضامين الكتابة الصهيونية والقومية العربية ..، ويرفض عرض الماضي المثالي.. (٢) يركز على التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للفلاحين ، العمال، النساء، التجار، وعناصر أخرى للغالبية الصامتة تاريخياً بدلاً من إنتاج الروايات السياسية المتكررة.(٣) يعرض تطورات القرن العشرين في سياق التكوين الاجتماعي وإيقاع التغيير خلال الفترة العثمانية التي يجب أن تحدد حسب واقعها وليس بحسب حكم مسبق على أنها نظام يتصف بالانحطاط.(٤) يستخدم مصادر محلية مثل سجلات المحكمة الشرعية، التاريخ المتناقل، الأوراق العائلية، ما ظل غير مستغل إلى حد كبير، ويحتوي على ثروة من المعلومات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية عن المجتمع الفلسطيني بكامله. (ص ٢٥) (٤٠)

وفي مقدمة للكتاب الذي نشرت فيه مداولات مؤتمر تاريخ فلسطين في العهد العثماني الذي عقد في جامعة حيفا عام ١٩٧٩، وشارك فيه أكثر من عشرين مختصاً إسلامياً وغربياً وعربياً وإسرائيلياً، يذكر البروفيسور كشنر :

إنّ الهدف الهام الخاص بكتابة تاريخ شامل لفلسطين في أواخر العهد العثماني ككل لم يتحقق بعد... وإنّ الكثيرين من سكان المنطقة، يهوداً وعرباً، يعتقدون أنّ فترة الحكم العثماني لم تنجح بشكل جيد. وهناك سوء اعتقاد واسع الانتشار بشأن طبيعة الحكومة والإدارة (العثمانية) التي غالباً ما ينظر إليها كأساس للكثير من المصائب التي ابتليت بها المنطقة ... وربما تعزى هذه النظرة السلبية إلى عاملين ... (ولذلك) فمن مصلحة المعرفة العلمية أن يقوم طلاب تاريخ فلسطين بإعادة التفكير في كثير مما قيل أو كتب عن فترة العثمانيين، وأن يحاولوا التوصل إلى أفضل تقييم موضوعي وحقيقي ممكن لواقع ذلك الوقت. (٤١)

وأشار البروفيسور موشى ماعوز، من الجامعة العبرية في القدس والمتخصص في الدراسات الشرقية، إلى الأرشيف والوثائق والمصادر والسجلات التي لم تتم الاستفادة منها بعد بشكل تام والموجودة في فلسطين / إسرائيل وقال :

يوجد في "إسرائيل" (فلسطين المحتلة) عدد كبير من الأرشيفات التي تحتوي على وثائق أصلية من العهد العثماني باللغات التركية والعربية والعبرية والأوروبية، والمجموعات المختلفة تشمل: وثائق عثمانية رسمية، وتقارير ومراسلات القنصليات البريطانية والألمانية،

وسجلات المحاكم الشرعية، ومخطوطات عربية، ومراسلات وسجلات الطوائف المسيحية واليهودية. هذه المادة الأصلية التي لم يتم بحث معظمها بعد، قد يثبت أنها ذات أهمية كبيرة لدراسة مختلف نواحي تاريخ الدولة العثمانية في فلسطين: الحكومة ، الإدارة، وطرق الضرائب ، وحيازة الأراضي وتسجيلها، والتركيب الديموغرافي والاجتماعي للسكان، بالإضافة إلى الأمور الدينية للمسلمين والمسيحيين واليهود."(٤٢)

ويوضح الباحث فندلي (Findley) في الورقة التي قدمها لمؤتمر جامعة حيفا المذكور أهمية دراسة القوانين العثمانية كمصدر من مصادر التاريخ العثماني الذي لم يول العناية الكافية حتى الآن فيقول:

على كل حال، عاجلاً أم آجلاً، فإن الدراسة الصحيحة لبرامج الإصلاحات (العثمانية) تتطلب فهما دقيقاً للقوانين الخاصة بها. ويا له من عمل كبير ، ففي سلسلة القوانين المنشورة (الدستور) وحدها ربما توجد عشرون ألف صفحة بمادة من هذا النوع للسنوات (١٨٣٩هـ -١٩٢٢م) وهذه ليست كبيرة بمستويات القرن العشرين، ومع ذلك فهي كبيرة من حيث المكان والزمان.(٤٣)

وفي ورقته التي قدّمها إلى مؤتمر حيفا المذكور أكّد الباحث العربي عادل مناع أهمية الرجوع إلى سجل المحكمة الشرعية الذي لم تتم الاستفادة منه بشكل كامل حتى الآن وقال:"إنّ البحث الدقيق في السجل سوف يساعد المؤرخين على كتابة تاريخ أكثر شمولاً لفلسطين في العهد العثماني. وفي الحقيقة، فقد اتضح الآن أنّ أيّ توثيق للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي، أو حتى السياسي في فلسطين بشكل عام والقدس بشكل خاص، لا يستفيد من هذا المصدر المركزي، لن يكون كافياً."(٤٤).

يتضح مما تقدّم:

١- أنّ تاريخ فلسطين القديم قد تم تزويره ليقتصر على اليهود الذين كانت لهم في فلسطين مملكة موحدة لمدة ثلاثة أرباع القرن، على حساب حق العرب والمسلمين أصحابها الشرعيين لمدة ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وثلاثة عشر قرناً في ظل الإسلام.
٢- أنّ تاريخ فلسطين في العهد العثماني لم تكتمل كتابته بعد، ولم يتم الاستفادة من مراجعه الأولية العديدة المتوفرة في أكثر من مكان. ولذلك يجب أن لا نعتبر أنّ جميع ما كتب حوله – وخاصة من الغرب- هو حقائق ثابتة، وأن نتجنب ما أدخله عليه الغرب المستعمر من أكاذيب تخدم مصالحه.
٣- أن على جميع المهتمين بفلسطين وتاريخها- مسلمين وعرباً- مسئولية كبيرة في عدم تصديق أضاليل الغرب، والعمل على استدراك النقص المشار

إليه، وإعادة كتابة تاريخ فلسطين بطريقة موضوعية، اعتماداً على مصادره الأولية، بعيداً عن تزوير علماء الآثار الغربيين والصهاينة، ونشره للعالم بلغات عديدة، لتفنيد ما قام به اليهود من تضليل للرأي العام العالمي.

هوامش الفصل الأول

١	بشارة دوماني، من قسم التاريخ بجامعة بنسلفانيا " التاريخ وإعادة التاريخ لفلسطين العثمانية والانتدابية " آفاق فلسطينية، العدد (٦)، صيف ١٩٩١.َ (ص ٩)
٢	الكزاندر شولش، " تحولات جذرية في فلسطين١٨٥٦-١٨٨٢" (كفر عقب: دار الهدى، ١٩٩٠) ترجمة كامل العسلي. ص (٩٦-١١٢)
٣	طارق السويدان،"فلسطين ..التاريخ المصور"(نابلس: مكتبة دار الأعلام، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) ص(٩٠-٩٨) "الموسوعة الفلسطينية" (بيروت: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٩٠)القسم الثاني، المجلد الثاني، ص (٢٩٧، ٣٢٥، ٣٣١) سليم عرفات المبيض،"غزة وقضاؤها"(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧) ص (١٧٨،١٩٣،٢١١،٢١٣) حمد عبد الله يوسف، " بيت المقدس من العهد الراشدي حتى نهاية الدولة الأيوبية"(د.ن.) ص(١١٥، ١٢٠، ١٢١٧، ١٢٨، ١٣٣) الياس شوفاني،"الموجز في تاريخ فلسطين السياسي" (بيروت:مؤسسة الدراسات الفلسطينية،١٩٩٦) ص(١٧٤) مصطفى مراد الدباغ، "الموجز في تاريخ الدول الإسلامية وسلالاتها في فلسطين"(منشورات اليسار، ١٩٨٨) نبيل شبيب، "في قضية فلسطين: الحق والباطل"(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩) ص(٤٠-٤١، ٨٤)
٤	محمود النمورة، الفلسطينيون ومؤسسات الحكم المحلي بين الحكم الذاتي والاحتلال وحق تقرير المصير . الجزء الأول، العهد العثماني، ١٧٩٤-١٩٩٤ ط١ عام ١٩٩٤) ص (١٣)
٥	T.L.Talmon "Israel Among the Nations) Quoted in, N Gordon Levin Jr.(edition), The Zionist Movement in Palestine and World Politics, 1880- 1913" (Lexington and London: D.C. Heath, and Co. 1947) p.254.
٦	حكومة فلسطين ، تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، الكتاب الأبيض رقم (٥٤٧٩) القدس: مكتب الطباعة والقرطاسية ، ١٩٣٧ ص(٢٧-٢٨)
٧	Henry Cattan, " Palestine and International Law" (London: Longman, 1976) P. (15).
٨	Palestine Royal Commission Report Presented by the Secretary the Colonies to Parliament by Command of His Majesty , July 1937. London . Published by His Majesty's Stationary Service , 1937. Cmd. 5479. P. (27).
٩	United Nations: The Question of Palestine. A Brief survey. (New York: United Nations, 1982) p. (7).
١٠	Quoted in A.J. Arberry, "Religion In the Middle East", Vol. 2, P.(585).
١١	منشأ القضية الفلسطينية وتطورها ١٩١٧- ١٩٨٨ الأمم المتحدة، نيويورك، ١٩٩٠، ص(٣١-٣٤).
١٢	محمود النمورة، الفلسطينيون ومؤسسات الحكم المحلي بين الحكم الذاتي والاحتلال وحق تقرير المصير . الجزء الاول، العهد العثماني، ١٧٩٤-١٩٩٤ ط١ عام ١٩٩٤ (ص ٢٢٤-٢٢٥)

	المصير . الجزء الاول، العهد العثماني، ١٧٩٤-١٩٩٤ ط١ عام ١٩٩٤ (ص ٢٢٤-٢٢٥)
١٣	الحياة الجديدة ٢٠٠٥/١١/٧
١٤	الحياة الجديدة ٢٠٠٠/٢/١١
١٥	ميخائيل هرسيغور، و موريس ستررون،" "إسرائيل/ فلسطين الواقع ما وراء الأساطير"(رام الله:مشاعل للصحافة والدراسات، ٢٠٠٠) ص (١٩٩)
١٦	كيث وايتلام،"اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني"(عالم المرفة ، إصدار رقم ٢٤٩) سلسة كتب يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت أيلول ١٩٩٩. ص (٤٥-٥٧) ترجمة : سحر الهندي.
١٧	وايتلام، ص (٧٧)
١٨	ألبرت جلوك، " مدخل إلى نظرية علم الآثار" ، نشرة أبحاث جامعة بير زيت، عدد (٤) ، شتاء ربيع ١٩٨٧. ص (٤ ، ٦) وكان "جلوك" يعمل في دائرة الآثار في جامعة بير زيت.
١٩	Albert Glock, "Journal of Palestine Studies" Vol. XX111, No. (3) Spring 1994,P.(72).
٢٠	غازي فلاح،"الفلسطينيون المنسيون" عرب النقب (١٩٠٦- ١٩٨٦) الطيبة : مركز لحياء التراث العربي، ١٩٨٩) ص(٣٧)، الموسوعة الفلسطينية ، القسم الثاني ،(المجلد الثاني) ص(٨)
٢١	وايتلام ، ص (٥٨)
٢٢	واتلام ، ص(٤٥-٥٢) ، ص(٢٧٩-٢٨٣)
٢٣	Albert Glock," op.cit., P.(40).
٢٤	وايتلام ،ص (٨٨-٩٧)
٢٥	وايتلام ،ص (١١٠)
٢٦	وايتلام ، ص(٤٧-٥٨، ١٠٣)
٢٧	وايتلام ،ص (٤٤،٢٦،١٥٤)
٢٨	وايتلام ، ص(١٠٣-١٠٦)
٢٩	وايتلام ،ص (١٠٥)
٣٠	وايتلام، ص (١٠٥)
٣١	وايتلام، ص (١٠٤)
٣٢	وايتلام، ص (٣٣٩)
٣٣	وايتلام، ص(٩٢-٩٣)
٣٤	الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، القسم الثاني، ص (١٠-١٢)
٣٥	وايتلام، ص (١١٤٤-١٤٩)
٣٦	وايتلام، ص (١٥٢)
٣٧	وايتلام، ص (١٥٣-١٥٤)
٣٨	وايتلام، ص (١٥٤-١٥٥)
٣٩	كامل العسلي ،"وثائق تاريخية مقدسية " المجلد الأول (عمان : د.ن.، ١٩٨٣) ص (٨-٥٠)
٤٠	بشارة دوماني، " آفاق فلسطينية.مرجع سبق ذكره، ص(٥-٢٥)
٤١	David Kushner (editor) "Palestine In the Late Ottoman Period "(Jerusalem: Yad Ishak Ben (Jerusalem: Izhak zvi, 1986)PP.(X,X1).
٤٢	Moshe Maoz, (Compiler), "Palestine During the Ottoman Period. Documents From Archives and Collections in Israel "(Jerusalem: The Hebrew University, 1970).p.(6)
٤٣	Carter V. Findley, "The Evolution of Provincial Administration", in David Kushner's edition . op. cit. p. (3)
٤٤	Adel Manna, "The Sijill as a Source for he Study of Palestine During the Ottoman Period with special Reference to the French Invasion" in David Kushner edition op. cit p.(360).

الفصل الثاني

فلسطين قبل الإسلام (٤٠٠٠ق.م. - ٦٣٧م)

٢-١- تمهـيد.

٢-٢- فلسطين في العهد الكنعاني.

٢-٣- الفلسطينيون (١٢٠٠-٩٧٥ ق. م.).

٢-٤- العبرانيون.

٢-٥- فلسطين في العهد الفارسي (٥٣٨ ق.م.-٣٣٢ق .م.).

٢-٦- فلسطين في العهد اليوناني (٣٣٢ ق.م. -٦٣ ق.م.).

٢-٧- فلسطين وثورة المكابيين.

٢-٨- فلسطين في العهـــد الرومانـــي (٦٣ ق.م. -٣٩٥ م).

٢-٩- الاحتلال الفارسي ٦١٤- ٦٢٧م.

٢-١٠- عودة حكم الروم البيزنطيين لفلسطين.

٢-١١- القبائل العربية التي استوطنت فلسطين قبل الإسلام.

٢-١- تمهيد

فلسطين هي أرض الديانات السماوية الثلاث. ومنذ بدء الخليقة، بدأ الصراع بين الهدى والضلال، بين قوى العدل وقوى البغي والعدوان.وبسبب الصراع بين الهدى والضلال، غادر إبراهيم -عليه السلام- أرض عبادة الأوثان في العراق وارتحل إلى فلسطين في حوالي عام ١٨٠٥ ق.م.، من أجل " حفظ كلمة الله، عن طريق إقامة الحق والعدل" (سفر التكوين١٩:١٨).(١) وهكذا، فمن الواضح أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يدخل فلسطين غازياً ولا محارباً ولا محتلاً. (٢)

وزار إبراهيم -عليه السلام- القدس التي استقبله فيها ملكها الكنعاني العربي ملكي صادق(الملك الصادق) (٣) وفي حوالي عام ١٧٩٤ ق.م. ولدت هاجر "إسماعيل عليه السلام، الذي يتألف من كلمتين: اسمع، وإيل التي تعني في اللغات السامية الله. وعليه يكون معنى إسماعيل ليسمع الله أو طائع الله. (٤)

وفي حوالي عام ١٧٨٠ ق.م. ولد لإبراهيم -عليه السلام- ولده الثاني إسحق -عليه السلام- من زوجته سارة.(٥) وشاءت حكمة الله أن يهاجر إبراهيم بإسماعيل عليهما السلام، وأمه إلى مكة المكرمة، وأن تكون من نسله أمة تحمل عقيدة الإسلام " ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون". (٦) (سورة إبراهيم - آية ٣٧).

ويعزو بعض الكتاب المتعصبين لإسرائيل، النزاع العربي الإسرائيلي في القرن العشرين إلى الخلافات التي حدثت في العهد القديم بين سارة وهاجر بشأن الأخوين إسماعيل وإسحق -عليهما السلام-. (٧) وهذا القول لا أساس له من الصحة. ولو كان صحيحاً، وحمل العرب الأحقاد على اليهود، لما كانوا قد تسامحوا معهم طيلة الحكم العربي/ الإسلامي، ولما كانوا قد أعطوهم حقوقاً لم يتمتعوا بمثلها- في ذلك الوقت- في أوروبا أو أي بلد آخر في العالم.

وساعد إسماعيل -عليه السلام- أباه في بناء الكعبة المشرفة. (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم). (سورة البقرة - آية ١٢٦) وإسماعيل هو جدّ العرب العدنانيين، نسبة إلى عدنان أحد أحفاده والذي ينتمي إليه نسب الرسول الأعظم. وكما يعتبر إسماعيل جد العرب، فان أخاه إسحق يعتبر جد اليهود.(٨) وهكذا فالعرب واليهود هم أبناء عمومة ينتمون إلى جدّ واحد هو إبراهيم -عليه السلام.

وسكن إسحق بعد وفاة أبيه في جنوبي بئر السبع حيث ولد له ولده يعقوب الذي لقب ب "إسرائيل"، بمعنى " جندي الله "، ثم أطلق هذا اللقب على، جميع ذرية يعقوب، الذي اضطر إلى النزوح مع أولاده إلى مصر في حوالي عام ١٦٥٦ ق.م. بسبب القحط الذي أصاب فلسطين.(٩) وعندما لم يستجب

فرعون وقومه لدعوة سيدنا موسى، عليه السلام، أمره الله -سبحانه وتعالى- أن يهاجر من مصر إلى فلسطين، ولما تابعه جيش فرعون، نجّاه الله منهم.(١٠)

ورغم النعم التي أسبغها الله على قوم موسى- عليه السلام - ، إلا أنهم رفضوا أمره إليهم بالتوجه معه إلى فلسطين، وعيّن خليفته يشوع قائداً للإسرائيليين، فعبر بهم نهر الأردن، وحاصر أريحا حوالي سنة (١٣٥٠ق.م.) (١١)

٢-٢- فلسطين في العهد الكنعاني

الكنعانيون ساميون عرب ينتسبون إلى إحدى القبائل السامية التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى فلسطين قبل الميلاد بأربعة إلى ثلاثة آلاف سنة، والتي انحدرت من " سام " الابن الأكبر لنوح عليه السلام.(١٢)

وتشهد عالمة الآثار البريطانية المشهورة دين كاثلين كينيون (Dane Catheleen Kenyon) أن الكنعانيين ساميون عرب.(١٣) و أسس اليبوسيون، وهم فرع من الكنعانيين العرب، مدينة "يبوس" أي "القدس" سنة ٤،٠٠٠ ق.م.(١٤) ودلت الحفريات التي أشرفت عليها كاثلين كينون في أريحا على وجود تحصينات وأسوار تعود إلى ما قبل (٥،٠٠٠) سنة قبل الميلاد، وهي أقدم تحصينات تم اكتشافها.(١٥) ويؤكد المؤرخون أن سكان فلسطين الأصليين القدماء، وقد كانوا كلهم عرباً، هاجروا من جزيرة العرب، فعاشوا في وطنهم الجديد كنعان أكثر من ألفي عام قبل ظهور النبي موسى -عليه السلام- وأتباعه على مسرح الأحداث، وقد أخذ الموسويون بعد ظهورهم في أرض كنعان بلغة الكنعانيين وثقافتهم وحضارتهم وتقاليدهم.(١٦)

وهكذا، قبل قدوم الإسرائيليين إلى فلسطين بآلاف السنين كان أهلها الكنعانيون يقيمون فيها. وتؤكد التوراة ذلك وتقول في سفر العدد: **"**وكلم الرب موسى قائلاً:كلم بني إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان." سفر العدد، (٣٥: ٩-١٠)

وفي حوالي سنة(٣٠٠٠) ق. م. كانت للكنعانيين حضارة مزدهرة في فلسطين.(١٧) وكان الكنعانيون قد أسسوا لهم في فلسطين مدناً حصينة.(١٨) ونسبة إلى الكنعانيين دعيت بلادنا أرض كنعان، وهو أول اسم سميت به. (١٩) وشملت بلاد كنعان أيضاً بلاد الفينيقيين الذين نزلوا الساحل من الكرمل في الجنوب إلى رأس شمرا (أوغاريت) قرب اللاذقية شمالاً، حيث أن الكنعانيين والفينيقيين شعب واحد نسباً ولغةً وديناً وتمدناً. (٢٠)

ويؤكد المحامي المؤرخ هنري كتن أنّ الإسرائيليين لم يكونوا **أول من استوطن فلسطين ويقول:**

الإسرائيليون لم يكونوا أول من سكن فلسطين. لقد كانوا غزاة. وعندما غزت القبائل الإسرائيلية أرض كنعان .. ، وجدوا فيها سكاناً

مستقرين، وحضارةٌ راسخة. وقد اشتمل سكان البلاد في ذلك الوقت على الكنعانيين ... والفلسطينيين، ولم يحدث أن تم إخضاعهم من قبل للغزاة (الإسرائيليين) واحتفظوا بسيطرتهم على سهلهم الساحلي على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. (٢١)

وقد بنى إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- بيت الله (الكعبة) في مكة قبل بناء هيكل إسرائيل في القدس بزمن طويل.(٢٢) ومع أن العبرانيين الأولين من نسل إبراهيم إلا أن العبرانيين الحاليين أبعد ما يكونون عن طريق إبراهيم -عليه السلام-، وهم أعداء الحق والعدل. ومن الأدلة على أنهم لم يسيروا على طريق الأنبياء، أن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- عندما توفيت زوجته في الخليل، لم يغتصب أرضاً ليبني قبراً لها فيها، كما رفض أن يُعطى مكاناً للقبر مجاناً، بل قال: "أنا غريب ونزيل عندكم. أعطوني ملك قبرٍ معكم لأدفن ميّتي من أمامي". (سفر التكوين ٢٣: ١-٤) وداود -عليه السلام- أيضاً لم يطرد اليبوسيين ولم يصادر أرضهم. وعندما أراد بناء الهيكل في القدس قام بشراء الأرض التي أقامه عليها من مالكيها اليبوسيين. (٢٣)

وقد كان الشعب الكنعاني الفلسطيني رائداً في ابتكار الحروف الهجائية وصناعة السفن والزجاج والفؤوس والخناجر والرماح والتماثيل للآلهة والأصبغة الأرجوانية والخزف والأواني من النحاس والفضة والذهب.(٢٤)

٢-٢-١- بعض القبائل الكنعانية التي سكنت في فلسطين

أ- اليبوسيون:

دعوا كذلك نسبة إلى يبوس جدهم الأعلى، ويبوس هو اسم القدس العربي الكنعاني، ويشهد الكتاب المقدس أن اليبوسيين من نسل الكنعانيين وأنهم كانوا يقيمون في فلسطين قبل قدوم الإسرائيليين(سفر التكوين١٠: ١٦، ١٥: ٢١). (٢٥) وبنت قبيلة اليبوسيين الكنعانية العربية مدينة القدس في حوالي ٤٠٠٠ ق.م. (٢٦) وفي زمن سيدنا إبراهيم، عليه السلام، كان يحكم القدس الملك اليبوسي الكنعاني "ملكي صادق". (٢٧) وقد بارك " ملكي صادق " سيدنا إبراهيم -عليه السلام-، عندما زار القدس، وقدم له ما يلزم من معونة، واعترافاً بفضله قدم له سيدنا إبراهيم -عليه السلام- عشر أمواله.(سفر التكوين، ١٤: ١٨-٢٠) (٢٨)

ولما دخل داود القدس في القرن العاشر قبل الميلاد، قاومه اليبوسيون مقاومة شديدة، إلا أنهم في النهاية غلبوا على أمرهم (٢٩) وقد عرفنا "أيضاً من اليبوسيين "أرون" أو أرنان" اليبوسي من سكان القدس، الذي اشترى منه التي داود -عليه السلام- بيدره بست مئة شاقل من الذهب، حيث بنى عليه بعد حين، الهيكل المعروف بهيكل سليمان".(٣٠)

ب-العناقيون: (٣١) سكنوا المنطقة الواقعة جنوبي الخليل، وامتدت منازلهم إلى القدس والساحل. واشتهر العناقيون بطول قاماتهم، وكثرتهم، وقوتهم، وشدة مقاومتهم للعبرانيين، ولكن العبرانيين انتصروا عليهم. ومن العناقيين " أربع " باني ومؤسس " قرية أربع " أي مدينة أربع الكنعانية، وينسب إلى العناقيين أيضا بناء "قرية سفر " أي " بيت مرسم " التابعة لبلدة دورا وعناب " التابعة لبلدة الظاهرية في محافظة الخليل. ويشهد الكتاب المقدس أن العناقيين سكنوا فلسطين قبل الإسرائيليين، وأن منطقة الخليل كانت من ضمن المناطق التي أقاموا فيها.(سفر العدد١٣: ٢٢)

ج- العمالقـــة:(٣٢) سكنوا منطقة الخليل، والنقب (سفر العدد الأول: ١٥: ٥) ومنطقة البتراء وعرفوا بجبابرة الشام، لكبر أجسامهم وطولهم وضخامتهم، ومنهم كانت أم شعيب العربي. والعمالقة وغيرهم من الكنعانيين هم أول شعب عربي حارب اليهود الذين غزوا فلسطين.وهاجم العمالقة والمؤابيون والمديانيون اليهود.(سفر القضاة ٦: ٣٣، ٣٣). وعندما كان داود -عليه السلام- يعمل مع الفلسطينيين في" جت" (عراق المنشية) غزا قبيلة العمالقة، فردّ العمالقة بأن غزوا قاعدته في "زقلاغ" (خربة خويلفة اليوم شمال غرب بئر السبع) وسبوا النساء والأطفال (سفر صموئيل الأول ٣٠: ١-٩)

٢-٢-٢- بعض المدن الكنعانية في فلسطين (٣٣)

ومن المدن الكنعانية في فلسطين التي بقيت محتفظة باسمها حتى اليوم، أريحا، وبئر السبع، وبيت لحم، وحلحول، وعكا، ويافا وهي من الكلمة الكنعانية "يافي" بمعنى جميل، "ويوطة" وهي بلدة يطة جنوب الخليل.ومن المدن التي تغير اسمها أو حرف تحريفاً ظاهراً "اشتموع" بمعنى طاعة وهي قرية السموع جنوبي الخليل، و"أشكلون" بمعنى "مهاجرة" وهي مدينة عسقلان، و"أشنة" وهي بلدة اذنا شمال غربي الخليل، و "جت" وهي "عراق المنشية" من أعمال غزة، و "دومة"بمعنى "سكون" شمال بلدة الظاهرية جنوبي الخليل، و"شامير" ويعرف موضعها اليوم باسم"البيرة" وهي إحدى الخرب التابعة لبلدة دورا جنوب غرب الخليل، "وقرية أربع" بمعنى مدينة "أربع" وهي الخليل، و"قرية سفر"بمعنى مدينة الكتب أو "دبير" وهي خربة "بيت مرسم"التابعة إلى بلدة دورا -الخليل، و"يبوس" وهي القدس."

٢-٢-٣- الشـــاقل عملة كنعانية وليست إسرائيلية (٣٤)

استخدم البابليون العملة المعدنية الفضية التي أطلق عليها باللغة الأكادية "شاقل" أي مثقال، تعود للفعل "شقل" ومعناه وزن، وأخذ الكنعانيون الشاقل عن البابليين. ولعل أقدم ذكر ورد عن "الشاقل" عندما توفيت زوجة أبينا إبراهيم

الخليل -علية السلام- في الخليل اشترى لها قطعة أرض لدفنها حيث جاء في التوراة: " ووزن إبراهيم لعفرون أربعماية شاقل فضة"(سفر التكوين: ٢٣-١٦). ووردت الشواقل عند قصة بيع يوسف -عليه السلام- للتجار العرب الذاهبين إلى مصر "باعوه بعشرين من الفضة". وهكذا فالشاقل عملة كنعانية أخذه العبرانيون عن الكنعانيين، وادّعوا أنه خاص بهم.

٢-٢-٤- الزراعـــة والصناعة في فلسطين في العهد الكنعاني

كانت الزراعة أهم ما اشتغل به الكنعانيون حتى سميت بلادهم (الأرض التي تدّر لبناً وعسلاً)، وكان العنب ومشتقاته والزيتون وزيته أهم حاصلاتهم. (٣٥) وقد وجدت أعمال الزراعة الكنعانية بين (١٥٠٠ ق.م. - ١٣٠٠ ق.م.) في تل بيت مرسم، حيث كانوا يحصدون بمنجل أسنانه من الصوان ويده من العظم أو الخشب، كما عثر في تل بيت مرسم أيضاً على محاريث ومناجل حديدية. (٣٦)

أما الصناعة، فقد عرفوا النحاس والقصدير وصنعوا منه البرونز الذي صنعوا منه المحراث والمنشار والخنجر. (٣٧) و برع الكنعانيون في صناعة الخزف والزجاج والأسلحة الحديدية، والخنجر الفضي، والفؤوس الحديدية والأساور والأقراط. واهتم الكنعانيون بصناعة غزل الصوف ونسيجه، وكانوا يصبغون المنسوجات الصوفية باللون الأحمر(الأرجواني)، كما استعملوا المركبات الحربية والخيول. (٣٨) وكانت النساء تلبس الثياب المطرزة بالألوان الشبيهة بالثوب الريفي الفلسطيني الحالي. وكان الرجال يلبسون العباءة والكوفية والعقال.

٢-٢-٥- المـــأكل والحيـــاة في فلسطين الكنعانية

كانت مياه الشرب تحمل على الظهر في قرب من الجلد، أو في جرّات كبيرة على الرأس. (٣٩) أما المصابيح، فكانت عبارة عن صحون خزفية بسيطة ذات فتحة صغيرة في طرفها لوضع الفتيل (٤٠) وكان الطحين يطحن في مطاحن يدوية من الحجر، والخبز يخبز في أفران أسطوانية من الطين، كما كان اللحم يطبخ عادة مع اللبن.وهو ما يسمى "المنسف". (٤١)

وعرف الكنعانيون "الفريكة التي ما زالت مفضلة لدينا الآن... وكانوا مثلنا يفضلون لحم الفخذ ولا سيما من الغنم والماعز... كما أنهم كانوا يحرصون على عمل الكشك أو اللبن الجميد وتخزينه لوقت الحاجة." (٤٢)ولا تزال هذه هي عادات وطريقة حياة الفلسطينيين حتى يومنا هذا.

٢-٣- الفلسطينيون (١٢٠٠-٩٧٥ ق. م.)

من الثابت أنّ سكان فلسطين الأصليين القدماء، قد كانوا كلهم عرباً، هاجروا من جزيرة العرب إثر الجفاف الذي حل بها، فعاشوا في وطنهم الجديد "كنعان" أكثر من ألفي عام قبل ظهور النبي موسى (عليه السلام) وأتباعه على مسرح الأحداث.(٤٣)

كان الكنعانيون يقيمون في فلسطين، وكانت لهم فيها مدن حصينة، لمدة تزيد على ألف وخمسمائة عام، عندما هاجمهم - في الفترة نفسها تقريباً - العبرانيون من الشرق والفلسطينيون من الغرب في حوالي سنة ١٢٠٠ ق.م. (٤٤)

والفلسطينيون "بليست أو (Peleset) أو "بلستي" الذين ذكرهم العهد القديم باسم الفلسطينيين هم قوم أتوا من جزيرة كريت فسكنوا غزة وجوارها، ثم امتلكوا الساحل الفلسطيني حتى الكرمل، ومن جهة الشرق وصلوا سفوح الجبال.(٤٥) بنى الفلسطينيون مدينتي "اللد" و"صقلاغ" التي يرجح أنها كانت تقوم على البقعة التي تعرف اليوم باسم "تل خويلفة" المجاورة لأراضي دورا- الخليل والتي تقع على بعد (٢٥) كيلومتر للشمال الشرقي من بلدة "بئر السبع". (٤٦)

هزم الفلسطينيون اليهود هزيمة منكرة في معركة "أفيق"أو "رأس العين"،حوالي سنة (١٠٥٠ ق.م.) وغنموا منهم غنائم كثيرة أهمها "تابوت العهد" الذي كانوا يحفظون فيه ملفات شرائعهم، كما غزا الفلسطينيون أراضي "يهودا" في عهد حكم جيهورام(٨٤٩-٨٤٢ق.م.) وفي عهد "أحازيا"(٨٤٢ ق.م. (٤٧)

٢-٤- العبرانيون

يلخص وضع العبرانيين، في التاريخ بشكل عام، وفي فلسطين بشكل خاص، الاقتباسات التالية من مؤرخين غربيين ويهود. فيقول الفيلسوف البريطاني "آرنولد توينبي":"إنّ فلسطين برمّتها، كانت وما تزال وستبقى من الوجهة القانونية ملكاً للعرب الفلسطينيين الذين أجلوا عن ديارهم بالقوة" (٤٨)

ويقول المؤرخ والضابط العسكري اليهودي الذي شارك في حروب اليهود ضد الرومان، ثم تخلى عن قومه وانضم للرومان، "يوسيفوس": "ولا أمة في الأرض، في كل أجيال التاريخ منذ بدء الخليقة إلى الآن تحملت ما تحمل إسرائيل من الكوارث والويلات. على أن تلك الكوارث والويلات لم تكن من صنع غير إسرائيل". (٤٩)

ويقول الجغرافي الغربي " سترابو" عن اليهود:
"هذا الشعب قد شقّ طريقة إلى كل مدينة (في العالم)، ومن الصعب أن تجد مكاناً في العالم المعروف لم يسمح لهذا الشعب بالإقامة فيه ثم هيمن هذا الشعب عليه".(٥٠)

جاء العبرانيون الساميون من الجزيرة العربية. وسبق أن أوضحنا رحلة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- إلى فلسطين، وكذلك قدوم موسى -عليه السلام- من مصر إلى سيناء، وعصيان أتباعه له.(٥١) وأرسل سيدنا موسى عليه السلام اثني عشر جاسوساً (أي رجلاً من كل قبيلة) إلى أرض الكنعانيين (فلسطين) ليتجسسوا، وبعد عودة هؤلاء الجواسيس قالوا إنّ الأرض تفيض لبناً وعسلاً، غير أنّه ليس لنا طاقة على حرب من فيها. فجبن اليهود عن التقدم لفقدانهم همة الفاتحين...، فغضب الله عليهم، وقضى عليهم أن يتيهوا في البرية أربعين سنة، حتى يموت الجيل الذي ألف الجبن وينشأ جيل تعود الدفاع عن نفسه والمحاربة في سبيل ربه" (٥٢)

وكان مما جاء في سفر العدد بهذا الشأن والذي يدل أن العرب كانوا في فلسطين قبل دخول اليهود إليها :
"قالوا قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها حقاً إنها تفيض لبناً وعسلاً ... غير أن الشعب الساكن في الأرض معتزّ والمدن حصينة... رأينا... العمالقة .. واليبوسيين ..، والكنعانيين ... والأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هي أرض تأكل سكانها وجميع الشعب الذي رأيناه فيها طوال القامة. وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق .. فكنا في أعيننا كالجراد وهكذا كنا في أعينهم" (سفر العدد ١٣: ٢٧-٣٣).

وكان مما جاء في القرآن بشأن خوف اليهود من الكنعانيين أهل فلسطين، ورفضهم طلب سيدنا موسى عليه السلام بالدخول إليها: (٥٣)

"قالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ... قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. قال ربّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين. قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض، فلا تأس على القوم الفاسقين". (سورة المائدة: الآيات ، ٢٤-٢٦). (٥٤)

واحتل العبرانيون بقيادة يوشع أريحا سنة ١١٨٦ ق.م.، فقتلوا سكانها وحرقوا بناياتها بعد أن نهبوا ما فيها ...ولم يبق فيها سوى العاهرة رحاب التي ساعدت الجواسيس الذين أرسلهم سيدنا موسى -عليه السلام. (سفر يشوع، ٦:١٦- ٢٥). (٥٥)

٢-٤-١- العبرانيون يذبحون أهالي المناطق التي يحتلونها

كان العبرانيون يهدفون إلى إبادة سكان فلسطين إبادة كاملة والحلول محلهم.(سفر التثنية: ١٠-١٧). وعندما احتل العبرانيون أريحا ذبحوا الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والبقر والغنم والحمير بحد السيف(سفر يشوع:٦، ٣٨:١٠-٣٩) ويلاحظ أن ما ذكر أعلاه يتناقض مع ما جاء في الوصايا العشر في التوراة "لا تقتل".

خلف داود، عليه السلام، في الحكم إبنه سليمان، عليه السلام، (٩٦٣-٩٣٥ق.م.) الذي جمع أيضاً بين النبوة والملك، وبنى الهيكل المعروف باسمه في القدس وكان سياسياً فاستنجد بفرعون مصر شيشنك، وتزوج أخته وساعده ضد الكنعانيين. (٥٦) وقد عمّرت مملكة العبرانيين الموحدة حوالي ثلاثة أرباع قرن، وبعد وفاة سيدنا سليمان، عليه السلام، انقسمت مملكة إسرائيل إلى مملكتين: ١-مملكة إسرائيل (٩٢٣-٧٢٢ ق.م) في الشمال وعاصمتها سبسطية.
٢- مملكة يهودا وعاصمتها القدس.

وسرعان ما نشبت بين المملكتين حروب دامية، ومنازعات سياسية، وتعرضتا إلى فتن داخلية، واستنجدت كل منهما بالدول المجاورة لتساعدها ضد الأخرى.(٥٧) وفي عام (٧٢٢ ق م) قضى ملك الأشوريين سرجون الثاني على مملكة إسرائيل، ردكّ أسوارها وسبى وجوه المملكة، ونخبة الشعب، وأرسلهم إلى بلاده.(٥٨)

وتحالف العبرانيون مع المصريين ضد البابليين، فاحتل نبوخذ نصر الكلداني القدس عام ٥٨٦ ق.م. وجميع المدن اليهودية ودمرها وخربت المدينة وجعلت أكواماً من الأنقاض، وسبى آلافاً من اليهود إلى بابل، وقضى على مملكة يهودا، وأصبحت فلسطين تابعة للكلدانيين. ومسحت الدولتان العبريتان عن الوجود بعد أن عمرتا ما يقرب من أربعة قرون.(٥٩) وكانت سيادة مملكتي إسرائيل منقوصة، وكانتا في أغلب الأحيان تدفعان الجزية للدول الكبرى المجاورة لهما.

وهكذا، "عاشت المملكة الإسرائيلية نحو قرنين(٩٢٣-٧٢٢)، وكان القسم الأكبر من أهالي المملكة يعبدون الأوثان... أما المملكة الجنوبية فقد دامت نحو (١٣٦)سنة بعد خراب المملكة الشمالية. وكانت المملكتان خاضعتين في معظم فترات حياتهما لنفوذ الدول القوية المجاورة في العراق ومصر." (٦٠)

وقد اقتبس العبرانيون كثيراً من حضارة وزراعة وطقوس الكنعانيين.(٦١) لكنهم حرّموا عادة الكنعانيين في طبخ اللحم باللبن اذ جاء في العهدالقديم:"لا تطبخ جدياً بلبن أمه".(سفر الخروج الثاني(٢٣: ١٩، ٣٤: ٢٦)

٢-٤-٢- ملاحظات على ممالك الإسرائيليين وحضارتهم

١- الصراع على العرش داخل كل مملكة وبين المملكتين)

تميزت مملكتا إسرائيل بالصراع بينهما، وفي حربهما مع الآراميين والعمونيين والمؤابيين والأدوميين. (٦٢) ورغم أنّ شاؤول زوج داود -عليه السلام- ابنته، إلا أنه كان يخشى نفوذه، وخاصة أن هزم الفلسطينيين، وأخذ يتآمر عليه، فاضطر داود -عليه السلام- إلى جرء إلى الفلسطينيين والتعاون معهم ضد شاؤول، فمنحوه "زقلاغ" تر لفة بأرضها وقلعتها لتكون ملكاً له.(٦٣)

وأثناء حكم داود عليه السلام بدأ الصراع على وراثته في الحكم، فثار عليه "أبشالوم"وبعد القضاء على "أبشالوم"، دار الصراع بين ولده سليمان وبين خصمه "أدونيجة"، إلا أنّ داود عليه السلام عين ولده سليمان أثناء حياته خليفة له.(٦٤) وبعد انقسام مملكة الإسرائيليين وقعت حرب بين رحبعام بن سليمان(٩٢٢-٩١٥ق.م.) ملك يهودا و "يَرُبعام الأول" (٩٢٢-٩٠١ق.م.) ملك إسرائيل (سفر الملوك ١: ١٤: ٣٠) (٦٥) وبسبب النزاع على العرش: كان الملك أو الزعيم أو القائد يعمل على استئصال جميع أفراد العائلة المالكة التي كانت تحكم قبله، حتّى لا يحاولوا استرداد عرشهم" (٦٦)

وفي عهد "أحازية" (Ahaziah) (٨٥٠-٨٤٩ق.م.) ساءت العلاقات بين مملكتي يهودا وإسرائيل، فقام الملك جيحو (Jehu) بقتل العائلة المالكة في إسرائيل وحاشيتها(ص٤٤-٥٢). وفي مملكة يهودا، بعد وفاة ملكها "أحازية"(٨٤٢) (الذي يحمل نفس الإسم الذي يحمله ملك السامرة) تولت أمه "أثالية" (٨٤٢-٨٣٧)الحكم بعد أن قتلت العائلة المالكة(ص ٥٢).وتجددت الخصومات بين المملكتين.(٦٧)

٢- تحالف الإسرائيليون مع أعداء أمتهم من أجل الكراسي

أدت الخلافات بين الإسرائيليين إلى أن يتحالف الواحد منهم مع أعداء أمته، كما كانوا يتقلبون في ولائهم إلى الدولة الأقوى وهو الأمر الذي جر عليهم الويلات. (٦٨)

وهذا الوضع الذي وقفته "إسرائيل الصغيرة" بين القوى العظمى آنذاك وصفه "مارلو" (Marlowe) بقوله: "ولم يكن ذلك الوضع المتوسط غير ذي تهلكة، فأمة إسرائيل الصغيرة إذ قامت بين "نينوى" المرهوبة ومصر القوية، وكانت تستند إلى إحداهما لمقاومة الأخرى، كانت تشترك في الصراع في الغالب: فتسحق فيه نهائياً."(٦٩) ولا تزال إسرائيل تعتمد على تحالفاتها مع القوى العظمى، فقد اعتمدت على فرنسا وبريطانيا في المرحلة الأولى، وغزت

قناة السويس بالتحالف معهما. ولما لاحظت انتقال مركز الصدارة إلى أمريكا، **صارت أكثر** اعتماداً عليها.

٣- لم يتقيد غالبية اليهود بتقاليد ديانتهم:

يذكر الكتاب الديني اليهودي "التلمود" أنّ تدمير مملكة يهودا يعزى إلى ذنوبها ومخالفاتها لديانتها ويقول: إنّ هذا التدمير لم يكن إلا:"عندما بلغت ذنوب إسرائيل مبلغها،وفاقت حدود ما يطيقه الإله العظيم ". (٧٠)
ووصف اليهود كثير من أنبيائهم بأنهم أبناء الأفاعي وقتلة الأنبياء، وقد تكرر وصفهم بذلك في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، إذ يذكر المؤرخ الدباغ:

"أن الدولة اليهودية... قد بلغ فيها الانحراف مبلغاً عظيماً في معظم أدوارها. وكان الهيكل والمعابد.. مملوءة بالرجاسات... جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا من الخيانة... ونجّسوا بيت الرب ... فكانوا يهزأون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه" (أخبار الأيام الثاني: ٣٦: ١٤-١٧)."... وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء. فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم قتلة الأنبياء ... أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم" (إنجيل متى ٢٣: ٣٠-٣٣)" (٧١)

٤-اليهود (بنو إسرائيل) جميعهم غربـــــــاء عن فلسطيـــن

ينقل المؤرخ الدباغ عن كليرمونت كانو (Clearmont Ganneau) **قوله :**
"لما دخل المسلمون أرض اليهودية (مملكة يهودا سابقاً) لم يجدوا يهوداً. لأن حروب ...(الرومان) واضطهادات ملوك النصرانية لم تترك حجراً على حجر من اليهودية السياسية والوثنية. بل أمعنوا في القضاء عليها. وذروا رمادها في الرياح الأربع ففقدت فلسطين جميع التقاليد اليهودية. وجميع اليهود الذين تراهم ، بلا استثناء، هم من الطرّاء على فلسطين مؤخراً نزلوها بعد أن بادوا منها مدة خمسة عشر قرناً." (٧٢)
ويذكر المؤرخ العربي سوسه أنّ اليهود (بنو إسرائيل) جميعهم غرباء عن فلسطين، ويدعم رأيه بحجتين هما:
١-إنّ أرض إسرائيل باعتراف التوراة ذاتها هي أرض غربة بالنسبة إلى إبراهيم، و إسحق -عليهما السلام- ... ، والتوراة تتحدّث عنهم بصفتهم غرباء وافدين طارئين على فلسطين... فقد وردت كلمة اغتراب كلما ذكر تنقل إبراهيم الخليل - عليه السلام- في فلسطين،

وفي مصر، فقيل:" تغرّب إبراهيم في أرض الفلسطينيين". (سفر التكوين، ٢١:٣٤) ... ولما اشترى إبراهيم أرض مغارة المكفيلا (أرض الحرم الإبراهيمي حالياً) من الحثيين في حبرون (الخليل) قال لهم:"أنا غريب ونزيل عندكم...(سفر التكوين، ٢٣:٤). " وسكن يعقوب أرض غربة أبيه في أرض كنعان" (سفر التكوين، ٣٧:١) ...
٢-إنّ أبناء إسرائيل الاثني عشر ولدوا كلهم باعتراف التوراة في فدان آرام (في العراق) حيث مكث أبوهم يعقوب عليه السلام، المسمى بإسرائيل عشرين سنة.(سفر التكوين، ٣٥: ٢٣-٢٦) (٧٣)

٥-العبرانيون لم يستطيعوا احتلال كل فلسطين

تشهد الموسوعة اليهودية أنّ اليهود لم يستطيعوا احتلال كل فلسطين، ولم يكونوا مستقلين وتقول :

ويتضح من المكتشفات الأثرية أنّ الإسرائيليين فشلوا في احتلال البلاد(فلسطين) جميعها، وأنّ الجيوب الكنعانية بقيت (بدون احتلال). ص (١٥) ...يجب أن لا ننسى أن النجاح الإسرائيلي في احتلال أرض كنعان كان محدوداً من حيث أنهم فشلوا في احتلال السهول، التي كان يحمي سكانها كثيفي العدد القلاع والعربات التي لم تستطع القبائل الإسرائيلية التغلب عليها ... وفي الواقع، لم تحتل القبائل الإسرائيلية سوى المنطقة الجبلية التي لم يستطع الكنعانيون استعمال عرباتهم فيها، إضافة إلى المناطق الجنوبية التي كانت قليلة السكان. (٧٤)

ويؤكد مؤرخ غربي ما سبق ويقول:**إنّ امتلاك اليهود لفلسطين، بالمعنى الحقيقي لكلمة الامتلاك، لم يكن في يوم من الأيام كاملاً، وإنما ظلّ في رقعة داخل حدودها طوال سبعين عاماً. وقد عمّرت مملكتهم الموحدة بما لا يزيد عن عمر الرجل الواحد. وكان هذا قبل ثلاثة آلاف عام. أما عن ملكة المكابيين فكان هذا أقصر عمراً..كان لما يقرب من خمسين عاماً على أكثر تقدير. (٧٥)**

ويذكر المؤرخ نوث (Noth) أن العبرانيين لم " يعملوا على إيجاد مساحة من الأرض لهم عن طريق الغزو أو تدمير المدن الكنعانية، بل استقروا – بوجه عام – في المناطق غير المسكونة ولم يحلوا محل السكان الأصليين". (٧٨) وتؤكد التوراة هذه الحقيقة وتضيف بأن العبرانيين تعايشوا مع الشعوب **التي كانت تقيم في فلسطين قبل قدومهم، فتقول: "فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين... واليبوسيين. واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساءً وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم" (سفر القضاة ٣: ٥-٧). (٧٧)**

ويؤكد المؤرخ الغربي هـ. ج. ولز في كتابه موجز التاريخ أن وجود اليهود في فلسطين كان حدثاً طارئاً ويقول:

كانت حياة العبرانيين (في فلسطين) تشبه حالة رجل يصرّ على الإقامة وسط طريق مزدحم، فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار... ومن الأول إلى الآخر لم تكن(مملكتهم) سوى حادث طارئ في تاريخ مصر وسورية..، ذلك التاريخ الذي هو أكبر وأعظم من تاريخهم. (٧٨)

وتؤكد المصادر التاريخية، ومنها المؤرخ اليهودي الأمريكي أولبرايت (Albright)، أنّ العبرانيين بدأوا بالاستقرار في المناطق الجبلية، غير أنّهم لم يكونوا قادرين على التغلب على العربات الحربية الكنعانية حتى يعصفوا بالمدن المحصنة في السهول ووديان الأنهار، والتي أبدت مقاومة عنيفة لهم. (٧٩)

وتؤكد المصادر أن العبرانيين لم يستطيعوا احتلال كل فلسطين لأن الفلسطينيين "سيطروا على ساحلها الجنوبي... "، كما " سيطر الفينيقيون " الكنعانيون العرب على ما يعرف بالجليل الغربي حتى جنوبي عكا". (٨٠) وفي عهد داود، عليه السلام، بلغت المملكة اليهودية أقصى اتساعها، ولكن" الساحل الفلسطيني الممتد من شمالي يافا إلى جنوب غزة كان تابعاً لمصر، وبالتالي فإنّ عموم فلسطين لم تقع تحت حكم اليهود، حتى في ذروة فتوحاتهم.(٨١)

٦- لم ينقطع الوجود الفلسطيني والكنعاني العربي والقبائل العربية من فلسطين خلال فترة الاحتلال العبراني

تشهد المصادر الإسرائيلية بأن وجود الفلسطينيين والكنعانيين وقبائل عربية عديدة لم ينقطع من فلسطين في فترة الاحتلال العبراني فتقول:

انتهز المؤابيون (العرب) فرصة ضعف..الإسرائيليين، ونجحوا في احتلال أجزاء من أراضي الإسرائيليين في وسط البلاد... وقام المديانيون(العرب) ومرافقوهم بنهب المستوطنات الكنعانيةالإسرائيلية. (سفر القضاة،٣:٦-٥، ١٢:٧). ولم تستطع يهودا إيقاف الفلسطينيين، والأدوسيين، والقبائل العربية، ومنعهم من الاستيلاء على أجزاء من أراضيها. (٨٢)

وينقل ظفر الإسلام خان عن مصدر يهودي رسمي قوله: "رغم استمرار الحرب سنوات طويلة، لم ينجح الإسرائيليون في طرد القبائل الوطنية، ... ولذلك قامت ممالك المؤابيين والعمونيين والإيدوميين التي كانت مستقلة بصفة عامة وإن دفعت الخراج إلى ملوك إسرائيل." (٨٣)

٧- لم يترك اليهود حضارة تذكر

اتبع العبرانيون في مراحل حياتهم الأولى من فلسطين " النموذج الحضاري للشرق الأوسط الذي كان يمثله الكنعانيون، وقد أعطت كنعان لإسرائيل لغتها وأبجديتها" (٨٤) ويذكر المؤرخ العربي "سوسه" أنه لم يكن لليهود (في عهد دولتهم) أية مساهمة تذكر "في تقدم الحضارة الإنسانية،... ومجمل القول إن الموسويين تسلموا حضارة لم تكن من إبداعهم، بل كانت من نتاج غيرهم." (٨٥)

ويذكر محرر دائرة المعارف البريطانية (طبعة ١٩٩٩) عن حضارة الإسرائيليين:"إن الإسرائيليين حسب رواياتهم الذاتية نفسها، خرّبوا أكثر بكثير، وأضافوا حتى أقل من ذلك، إلى الثقافة المادية للبلاد...إن الحفريات التي عثروا عليها من آثار العصر اليهودي تدل على أنهم" كانوا بدائيين جداً وبسطاء."(٨٦)

وينقل "ظفر الإسلام خان" عن الكاتب البريطاني "هيامسون" (Hyamson) قوله بشأن حضارة اليهود:"لم يوجد في فلسطين نقش واحد يمكن أن ينسب إلى المملكة العبرية... لقد فشلت اليهودية في أن تقدم أيّ أثر لداود أو سليمان، أو أيّ نقش أو حجر أو حتى أي نصب تذكاري، ولهذا فإنّ قضيتهم تفتقر إلى دليل مادي مسجل على غرار الأمثلة التي توجد لحياة شعوب غربي آسيا."(٨٧)

أما المؤرخ الغربي "غوستاف لوبون" فيقول بشأن حضارة اليهود:"إنّ تأثير اليهود في تاريخ الحضارة صفر...(وهم) لم يستحقوا أن يكونوا من الأمم المتمدنة بأي وجه" (٨٨)

ويقدم المؤرخ الدباغ وصفاً صادقاً لعلاقة اليهود بفلسطين اقتبسه عن التوراة يقول فيه":دخل اليهود فلسطين وهم بدو رحل يسكنون الخيام...اغتصبوا مدنها وقراها ومزارعها. وقد وجدوا فيها بيوتاً مملوءة بكل خير لم يبنوها، ومدناً عظيمة جيدة لم يؤسسوها، وآباراً محفورة لم يحفروها، وأشجاراً مثمرة مغروسة لم يغرسوها. (سفر التثنية: الإصحاح السادس:١٠-١٢) (٨٩)

ويقول المؤرخ الأمريكي "برستيد" (Breasted) عن حضارة اليهود:

ولا يخفى أن المدن الكنعانية كانت ذات حضارة قديمة، نشأت منذ ألف وخمسمائة سنة، ومنازل متقنة...، ومعرفة بالكتابة وديانة- حضارة اقتبسها أولئك العبرانيون السذّج من الكنعانيين... ولم يكن لليهود فن نحت، ولا رسم، ولا هندسة. (٩٠)

وقال المؤرخ الأمريكي فيليب فان نس ميرز:"لم يقم العبرانيون بخدمة تذكر للعالم ولا ابتكروا أسلوباً جديداً في هندسة البناء. وأما النحت فلم يكن لهم فيه شيء البتة لأن ديانتهم نهتهم عن أن يصنعوا تمثالا منحوتاً. (٩١)

وأكدت عالمة الآثار البريطانية "كاثلين كينون" من خلال تنقيباتها في القدس(١٩٦١-١٩٦٧)أنه "لا توجد آثار معمارية يمكن نسبتها إلى داود أو سليمان، وأن البرج والجزء من السور اللذين أعادهما "مكالستر" سابقاً إلى عهد داود، بنتيجة تنقيباته التي قام بها في الثلاثينات من هذا القرن، إنما يعودان إلى الفترة الهلينيسية.(٩٢)

٢-٥- فلسطين في العهد الفارسي (٥٣٨-٣٣٢) ق.م.

خضعت فلسطين للفرس نحو مائتي سنة(٥٣٢-٣٣٢ ق.م.) ،ولم يكن لهذا النظام تدخلات مباشرة بالأوضاع السياسية والدينية في فلسطين".(٩٣) وفي القرن السادس قبل الميلاد "استعان ملك الفرس كورش الثاني باليهود على فتح بابل، وطلبوا منه في المقابل العودة إلى فلسطين، فسمح لهم بذلك عام (٥٣٩ق.م.)، خصوصاً وأنّ زوجته "أستير" كانت يهودية ".(٩٤) وأمر "كورش" بعودة اليهود المسبيين، وتبرّع لهم بنفقات إعادة بناء الهيكل. (سفرعزرا ٦: ٣-٦) وذلك في حوالي سنة (٥٠٠ ق.م.)وتذكر المصادر الإسرائيلية أن الفرس عندما احتلوا القدس عام (٦١٤م) قاموا بتسليمها لليهود الذين شرعوا في إخراج المسيحيين منها، وإزالة كنائسهم.(٩٥)ومن المعروف أن القرآن الكريم أشار إلى هذين الفتحين في مطلع سورة الروم التي بشرت بالفتح الإسلامي":(٩٦)

﴿الم {١} غُلِبَتِ الرُّومُ {٢} فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ {٣} فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ {٤}﴾(سورة الروم الآيات ١-٤).

وهكذا " أخبر القرآن عن حدث غيبي هام قبل حدوثه، ألا وهو انتصار الروم على الفرس في الحرب التي ستقع قريباً بينهما. وقد حدثت كما أخبر عنه القرآن، وذلك من أصدق الدلائل على صدق محمد (صلعم)، فيما جاء به الوحي، ومن أعظم معجزات القرآن." (٩٧)

وعين كورش حاكماً فارسيا للقدس، ولم" يخوّل أيّاً من العائدين اليهود إليها، أية سلطة سياسية بل اقتصر الأمر على حرية العبادة، وممارسة الشعائر الدينية". ولم يشكل اليهود كياناً سياسياً مستقلا، بل عاشوا تحت حكم أجنبي: فارسي، ثم مكدوني، ثمّ روماني. (٩٨) وانتهى حكم الفرس لفلسطين على يد الإسكندر المكدوني الذي احتل فلسطين عام ٣٣٢ ق.م.

٢-٦- فلسطين في العهد اليوناني (٣٣٢ -٦٣) ق.م.

خضعت فلسطين للحكم اليوناني عندما احتل الإسكندر المكدوني فلسطين عام (٣٣٢ ق.م.) من الفرس. وعندما لاحظ اليهود ضعف الحكم الفارسي، نسوا مساعدتهم لهم، وحولوا ولاءهم إلى القوة الجديدة، وخرج أحبارهم لاستقبال الإسكندر المكدوني عندما اقترب من القدس، وسمى اليهود كل مولود لهم في تلك السنة باسم الإسكندر.(٩٩)

وكان سكان فلسطين- باستثناء اليونان الحكام – يتألفون من " الكنعانيين العرب، ومن العرب (والقبائل العربية) ومن خليط من السامريين والآراميين واليهود والفلسطينيين. (١٠٠)

وعلى العكس من الفرس، قام اليونان بالاستيطان في الأراضي الفلسطينية التي احتلوها على نطاق واسع" وقد أدى ذلك...إلى تغيير في التركيب السكاني، وبالتالي في التنظيم الإداري للمدن التي اتخذت طابعاً يونانياً. وفصلت هذه المدن التي استوطنها اليونان عن محيطها، بإعطائها حكماً ذاتياً متميزاً." (١٠١) ولم يكن للشعب اليهودي كيان مستقل خاص به زمن السلوقيين اليونانيين.(١٠٢)

ويوضح أحد المصادر احتكار الحكام اليونانيين لاقتصاد فلسطين فيقول: "كانت الدولة...مالكة الأرض الرئيسية...، كما تولت المبادرات الصناعية والتجارية...تحول قطاع واسع من الفلاحين إلى عبيد... واحتكرت الدولة الصناعة والتجارة ...فما لم يكن في يدها مباشرة، أو مداورة، فرضت عليه ضرائب عالية." (١٠٣)

وأجمعت مصادر عديدة على أن اليونانيين في حكمهم لفلسطين كان يهمهم قبل كل شيء نشر الحضارة الهلينية، والتحكم في البلاد من أجل الاستئثار بمواردها وذلك عن طريق مصادرة الأراضي واحتكار التجارة وفرض الضرائب. (١٠٤)

٢-٧- فلسطين وثورة المكابيين (١٠٥)

استمر السلوقيون في التشديد على اليهود ليتركوا تقاليدهم ويتبعوا التقاليد اليونانية. (١٠٦) ولاقى اليهود أسوأ اضطهاد في عهد الملك السلوقي "أنطيوخس الرابع "(١٧٥-١٦٤ق.م.) (إيفان) الذي احتل القدس ودمر هيكل اليهود وأجبرهم على اعتناق الوثنية اليونانية، ونبذ الديانة اليهودية، والتخلي عن

الختان، وهنا اشتد الصراع بين اليهودية والإغريقية حتى اندلعت ثورة المكابين سنة (١٦٧ق.م.).(١٠٧) ورفض الكاهن اليهودي "متثياس" (Mattathias) أن يقوم اليهود بتقديم القرابين والأضاحي للإمبراطور الروماني باعتباره إلهاً، خلافاً لتعاليم الديانة اليهودية، وثار على الرومان (١٠٨)

وأخيراً عقد اتفاق بين السلوقيين ويهودا المكابي اعترف بموجبه السلوقيون بالحرية الدينية الكاملة لليهود، لكنهم ظلوا يدفعون الخراج للسلوقيين، ولم يعترف السلوقيون بيهودا المكابي رئيساً لشعب اليهودي. (١٠٩)

"وفي العهد اليوناني لم يحصل اليهود على الاستقلال" بل، يتقدموا "خطوة واحدة نحو الاستقلال".(١١٠) واستمرت حرب المكابيين اليهود ضد السلوقيين أربعين عاماً(١٧٥-١٣٥ق.م.) وأدت إلى قيام الأسرة الحشمونية التي قضى عليها القائد الروماني "بومبي" عندما احتل فلسطين عام (٦٣ق.م.).(١١١) ومن المعروف أن الدويلة اليهودية التي قامت بعد مجيء اليهود من بابل إنما قامت كتابعة للدول الأخرى سواء الفرس أو اليونان الهلينيين.(١١٢)

يتضح مما تقدم أن الحكم اليوناني لفلسطين كان حكم استعمار، وأن الدولة كانت تبالغ في فرض الضرائب، وتحتكر الأرض والتجارة.

٢-٨- فلسطين في العهـــد الرومانـــي (٦٣ ق.م. -٣٩٥ م)

دخلت فلسطين تحت الحكم الروماني عام (٦٣ ق.م.) عندما احتل بومبي القدس.(١١٣)

وفرض الرومان ضرائب ثقيلة على السكان.(١١٤) و على أرض اليهود التي لم يصادروها، وقد زيدت هذه الضريبة بعد تدمير هيكل سليمان، وبينما كان بعض أهالي الدولة الرومانية يدفعون ضريبة الأرض ، بدون دفع ضريبة الجزية – أي ضريبة الرأس- فرض على اليهود في فلسطين دفع الضريبتين معاً. (١١٥)

٢-٨-١- ثورات اليهود في العهد الروماني

في سنة (٦٦م)اندلعت في فلسطين حركة عصيان ضد الحكم الروماني بسبب ارتفاع الضرائب، ومحاولة الإمبراطور الروماني إجبار اليهود أن يعبدوه كإله، ورفض اليهود للحضارة الهلينستية التي استمرت تعمل في الإطار الروماني. (١١٦) بدأت الثورة برفض اليهود الاستمرار في تقديم الأضاحي للإمبراطور الروماني والدولة الرومانية وبمهاجمة اليهود للحامية الرومانية في

القدس.(١١٧) واستمرت حرب اليهود والرومان أربع سنوات. وعندما اشتدت ثورة اليهود سنة ٧٠م، عهد الامبراطور نيرون بإخمادها إلى القائد الروماني "فسبسيان" (Vespasian) الذي أخضع بين عامي (٦٧-٦٨م) منطقة الريف والحصون المنعزلة. وكان أحد الضباط اليهود الذين عهد إليهم بقيادة حركة العصيان "فلافيوس يوسيفوس" (Flavius Yusephus) ولكنه آثر الاستسلام، وسلم نفسه إلى "فسبسيان" ومن المعروف أن هذا الرجل" انصرف إلى وضع كتب باللغة اليونانية عرض فيها لتاريخ الحرب هذه، ولتاريخ اليهود، ولترجمة ذاتية له. وهذه المؤلفات ذات قيمة خاصة في التأريخ لهذه الفترة التي عاصر "يوسيفوس" أحداثها وأسهم فيها عملياً."(١١٨) وعرف باسمه الروماني يوسيفوس.

احتل القائد الروماني تيطس القدس، وأحرق هيكل اليهود سنة (٧٠م)، وسقطت بعد ذلك "مسّادا" ، أقوى القلاع اليهودية، في عام (٧٣) في يد الرومان. " (١١٩) ويمكننا الحصول على" فكرة عن مصير المحاصرين المفجع في مسادا من وصف متبادل بين اليهود تعهدوا فيه بإبادة أنفسهم حين كان الجنود الرومان يقتحمون المدينة. فبعد أن أبادوا نساءهم وأولادهم توقف كل منهم عن القتال، ورمى سلاحه حول أفراد عائلته المذبوحين، وقدم رقبته لضربة من الذي جعلته القرعة يقوم بهذه المهمة الكئيبة، وإشارة إلى الحادث صيغ مصطلح عقدة مسادا." (١٢٠)

ويلقي مصدر إسرائيلي الضوء على أسباب ثورة اليهود وعلى تنكيل الرومان باليهود فيقول:

> تؤكد المصادر أن الرومان نهبوا ودمروا المعابد اليهودية ... ومُنِع اليهود من أداء طقوسهم الدينية ... كانوا يعذبون اليهود لكي يرتدوا عن دينهم. وزاد الرومان المبلغ الذي كان يتبرع به اليهود لهيكل سليمان، وصارت تلك المبالغ ضرائب تدفع لحساب إله الرومان في روما، بدلاً من تبرعات طوعية للهيكل... فإن هذه الضريبة التي فرضت أيضاً على النساء والأطفال، كانت مذلة، وظالمة، علاوة على كونها تفرض بشكل غير مباشر على اليهود عبادة الأوثان. وصودرت أراضي اليهود؛ أما تلك التي لم تصادر فقد رفعت الضرائب عليها... وبينما كان يطلب من المواطنين دفع إما فريضة الأرض، أو فريضة الخراج ، فقد فرض على اليهود دفع الضريبتين معاً. (١٢١)

وفي عهد الإمبراطور الروماني هدريان سنت قوانين جديدة؛ شملت منع الختان (الذي تدعو إليه العقيدة اليهودية). أعلنت الثورة، وأوقعت إصابات بليغة في القوات الرومانية. وكان من أبرز قواد تلك الثورة "باركوخبا أو سيمون"، الذي نجح في السيطرة على منطقة "يهودا" بما فيها القدس، وأنحاء أخرى من فلسطين ، أقام فيها دولة مستقلة. ولكن الرومان أعادوا احتلال

القدس، وقتلوا باركوخبا؛ حرثت القدس بالثيران، وتم تجديد مستعمرة رومانية دعيت باسم" إليا كابيتولينا". (١٢٢)

أنهى الإمبراطور هدريان ثورة اليهود بقيادة "سمعان أو "سيمون" أو باركوخبا" وقضى على سمعان عام (١٣٥م)، ونكل هدريان باليهود ومنعهم من دخول القدس والسكن فيها أو الاقتراب منها، وحرق مكان الهيكل، وحول القدس إلى مستعمرة رومانية، وغير اسمها إلى "إليا كابيتولينا" (Aelia Capitolina) والاسم مشتق من اسم الإمبراطور هدريان الذي كان يدعى "إليا"، ولم يعد لليهود أي وزن في فلسطين على الإطلاق.(١٢٣)

وكان من نتائج ثورة باركوخبا ما يلي:

علاوة على تدمير الأماكن المأهولة والمذابح الكبيرة، تم أسر أعداد كبيرة من اليهود الذين ملأوا أسواق العبيد في "أرض إسرائيل" (فلسطين) وأنحاء متفرقة من العالم، وبرز بشكل خاص السوق التي أقيمت تحت أشجار البطم في الخليل، حيث بيع أحد العبيد اليهود بِ "عليقة" (وجبة طعام) حصان. وشن هدريان حملة ضد التوراة لمحو اسم إسرائيل من البلاد. (١٢٤)

ويرى المؤرخ الدباغ:

أنّ اليهود لم يتمكنوا من تأسيس دولة مستقلة استقلالاً كاملاً إلا لمدة وجيزة جداً. ولم يبرهنوا على أنهم أمة تستطيع أن تعيش بجوار الأمم الأخرى عيشة هدوء وسلام، دون أن يكيدوا فيها المكائد وينشروا فيها القلاقل والفتن... وقد انتهت صلة اليهود بفلسطين، ولم يعد لهم وجود طوال السنوات الألف والثماني مئة التي تلت. ثم قام هدريان ببناء هيكل للمشتري على أنقاض هيكل هيرودوس ...وبعد هذه الحروب لم تقم لليهود قائمة. فإنهم تشتتوا في أقطار العالم... بعد تاريخ مملوء بالانحرافات الدينية والأخلاقية والاجتماعية، وبما اقترفوه من آثام وقضوه من مبادئ ووصايا التي ندد بها أنبياؤهم وقادتهم وصبوا بسببها على قومهم اللعنات.(١٢٥)

ويذكر المؤرخ الغربي روبنسون أنه لم يعد لليهود وجود كشعب أو أمة في أعقاب حربهم مع الرومان، وكان استقلالهم اسمياً، حيث كانوا تحت إشراف حاكم ولاية سوريا، وكان عليهم أن يدفعوا جزية سنوية للرومان.(١٢٦)

٢-٨-٢- إيجابيات الحكم الروماني لفلسطين وسلبياته

كان هدف الرومان الرئيسي في فلسطين أن يجعلوها قاعدة ضد العدو وأن يستثمروا مواردها.(١٢٧) وقد ناءت الإمبراطورية وسكانها تحت هذا الحمل الثقيل... والأشياء التي مست فلسطين... هي: التجنيد والسخرة

والضرائب الجديدة... والعمل الإجباري. (١٢٨) وكانت هناك ضرائب على الرؤوس دون تفرقة بين الإناث والذكور(من سن ١٤ للذكور و١٢ للإناث حتى سن ٦٥ سنة)، وضريبة الخراج على الأملاك وعشر الغلة، علاوة على ضرائب الصادرات والواردات.(١٢٩)

وتوضح الموسوعة الفلسطينية الضرائب التي فرضها الرومان على أهالي فلسطين فتقول:"فقد كان الرومان... يفرضون...ضريبة الأرض .. الجزية، ...الضريبة الجمركية... على كاهل الجميع، والتذمر في الواقع كان يدور حول الطريقة التي تجمع بها. إذ أنّ هذه كانت تلزم... وهؤلاء الملتزمون كانوا يتقاضون أضعاف ما هو مطلوب، ليحققوا لأنفسهم أرباحاً."(١٣٠)

وتعدد الموسوعة الفلسطينية بعض إيجابيات وسلبيات الحكم الروماني في فلسطين فتقول:

أفادت فلسطين من الرومان في المجالات العمرانية والاقتصادية، فأدخلت إليها أساليب بناء الطرق والجسور، وحفر الترع والأقنية للرّي، ... ومع ذلك، فقد كان الفلاح يشقى ويظلم من جرّاء دفع الثمن الأكبر للحروب والعمران ورفاهية الحكام عن طريق الضرائب الكثيرة، التي كانت تجمع بطريقة قاسية...، ونشطت صناعة الأقمشة إضافة إلى انتاج زيت الزيتون، والخمور والثمار المجففة... وعمم الاحتكار في التجارة والصناعة على مقياس كبير.. ونقل مع هذا كله فلسفة وأدب وفكر،...وكان للفن....دور كبير... ثم جاء دور ... كنيستي القيامة والمهد. (١٣١)

وهكذا، فرغم ما قدمه الرومان من خدمات في مجالات العمران والحضارة إلا أنهم استعمروا البلاد، وبالغوا في فرض ضريبة الجزية(الرأس)، وضرائب على الأرض ، كما فرضوا ثقافتهم على أهالي فلسطين.

٢-٩- الاحتلال الفارسي ٦١٤- ٦٢٧م

أعاد الفرس احتلال فلسطين عام ٦١٤م، وذلك بمساعدة اليهود الذين انضموا إلى الجيش الفارسي. وانتقم الفرس ومعهم اليهود، من المدينة المسيحية "إيليا كابيتولينا" (القدس)، ونهبوها، وذبحوا الكثير من سكانها." وسمح الفرس لليهود باستباحة معابد المسيحيين ومنازلهم. وانتهز اليهود الفرصة ظناً منهم أنّ الحكم الفارسي الجديد سيعيد إليهم السلطة في البلاد، كما فعل "كورش"في حينه. لكن هذه الأحلام تبددت بالنصر الذي أحرزه "هيراكليوس(الروماني)على الفرس." (١٣٢)

٢-١٠- عودة حكم الروم البيزنطيين لفلسطين ٦٢٧م

عام ٦٢٧م أعاد الرومان احتلال فلسطين، وفي عام ٦٢٩م دخل الإمبراطور البيزنطي "هيراكليوس" (Heraclius) القدس، وحاول اليهود عبثاً التقرب من الإمبراطور، وقدموا له الهدايا، واستضافه أحد أغنياء اليهود في بيته، وأنفق عليه وعلى جيشه، ولكن الإمبراطور أصدر أمراً بطرد اليهود من القدس وجوارها، وأجبرهم على اعتناق الديانة المسيحية، وقتل الكثيرين منهم.(١٣٣) وفي الفترة بين عودة الحكم البيزنطي والفتح الإسلامي العربي عام ٦٣٨/٦٣٧م، كان هناك اضطهاد لليهود حيث أجبروا على اعتناق المسيحية. إلا أنّ الفتح الإسلامي جلب الغوث لليهود وأنقذهم من استبداد الرومان.(١٣٤)

٢-١١- القبائل العربية التي استوطنت فلسطين قبل الفتح الإسلامي

من الثابت أنّ " علاقة العرب بفلسطين قديمة قدم التاريخ. فقد ورد ذكرهم في نقوش بابلية من أيام " نارام سين" الأكادي الذي يذكر أنه غزا فلسطين وحارب قبائل عربية في جنوبها، نحو سنة ٢٢٥٠ ق.م." (١٣٥) وقبل قدوم الإسرائيليين إليها كان فيها شعوب أكبر وأعظم من إسرائيل وهم:" الحثيون ...والأموريون والكنعانيون...واليبوسيون".(سفر التثنية ٧: ١)(١٣٦)

وقبل الغزو الإسرائيلي استوطنت ثلاثة شعوب سامية فلسطين وبالقرب منها، فقد سكن الإيدوميون العرب الذين غزوا فيما بعد مملكة الإسرائيليين جنوب شرقي الأردن وصحراء النقب الفلسطينية، وسكن المؤابيون جنوب شرقي الأردن، كما سكن العمونيون على حافة الصحراء السورية.(١٣٧)

ولم يسمح المؤابيون العرب لقوم موسى -عليه السلام- بالدخول إلى فلسطين من أراضيهم.(سفر التثنية ٣٤: ٥-٦). وانتهز الإسرائيليون فرصة

ضعف وعدم توحد الإسرائيليين ونجحوا في احتلال جزء من أرضيهم في وسط البلاد لمدة من الوقت.(١٣٨)

وقد "حارب المؤابيون مع أحلافهم العمونيين والعمالقة(العرب) إسرائيل وهزموها،.. وأغارت عصابات عربية على إسرائيل ونهبتها في عهد حكم "جيهوش" (Jehoash) (٨٣٧-٨٠٠ ق.م.) ملك "يهودا"، كما أغارت على يهودا في عهد حكم ملكها "إلياكيم" (Jehoiakim) (٦٠٩-٥٩٨). وانضمت مؤاب إلى الأمم المجاورة إلى يهودا في نهبها بعد هزيمتها على يد "نبوخذ نصّر".(١٣٩)

والمديانيون عرب من قبيلة المعينيين، وينسب إليهم النبي شعيب - عليه السلام- الذي ظهر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.(١٤٠) ولما خرج سيدنا موسى، عليه السلام، من مصر سكن بين المديانيين، وتزوج ابنة "يثرون" كاهن مديان.(١٤١) أما سيرتهم مع بني إسرائيل،" فتنتقل من مصاهرة النبي موسى، وإنقاذهم يوسف من البئر (فهم الذين سحبوه من البئر حيث ألقى به أخوته وباعوه إلى قافلة من الإسماعيليين (العرب) كانت في طريقها إلى مصر إلى سيرة من الصدام والقتال المتواصل(مع الإسرائيليين الذين) ذاقوا الذل سبع سنوات على يد المديانيين.(١٤٢)

والعمونيون هم فرع من الآراميين، ا ستقروا في فلسطين قبل قدوم الإسرائيليين إليها.(١٤٣) وحارب تحالف العمونيين والمؤابيين والعمالقة الإسرائيليين(١٤٤) وقد قاوم العرب إعادة بناء سور القدس في عهد نحميا (٤٤٥-٤٣٢ ق.م.) ملك يهودا.(سفر نحميا ٤: ١-١٠) (١٤٥) وقد قاد يهودا المكابي حملة ضد العمونيين. (١٤٦)

والآراميون عرب.(١٤٧) وكانوا من ألدّ أعداء اليهود، واستمرت الحرب بينهما مدة طويلة وعندما وصلت ضغوط الآراميين ذروتها، اضطرت مملكة إسرائيل أن تتقلص إلى ضواحي السامرة.(١٤٨)

وقبيلة قيدار العربية، وملكها "جشم" عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وكان يمتلك أعلى سلطة إدارية في المنطقة الواقعة جنوبي فلسطين، والمعروفة باسم أدوم. (١٤٩) وعاصر "جشم "عودة" نحميا" (٤٤٥-٤٣٢ ق.م.) إلى القدس بعد السبي البابلي، وقيامه بإعادة بناء سور القدس، واتفق "جشم"العربي مع "سنبلط" الحوروني و"طوبيا العبد أموني على معارضة نحميا ومنعه من إعادة بناء السور.(سفر نحميا ٢: ١٩-٢٠، ٤: ٧-١٠)(١٥٠)

والأموريون عرب، قدموا للمنطقة قبل الإسرائيليين، وكانت نابلس"شكيم إحدى مدنهم". (سفر التكوين٤٨: ٢٢)(١٥١) وقد رفض الأموريون السماح إلى قوم موسى بالدخول إلى فلسطين من أراضيهم. (سفر العدد ٢١: ٢٦)

والأنباط عرب عدنانيون، كانوا يستقرون في سيناء وجنوب فلسطين. (١٥٢) وكانت العداوة شديدة بين الأنباط والمكابيين اليهود، وقد ساعد ملك

الأنباط الحارث الثالث مدينة غزة التي كان يحاصرها اليهود حوالي عام (٩٦ق.م.). وحاصر جيش الأنباط القدس في عهد الملك الحارث الثالث(٨٧-٦٢ ق.م.) وساعد الأنباط حلفاءهم الرومان، وهزموا اليهود

ومن القبائل العربية التي استوطنت فلسطين قبل الإسلام قبائل غسان ولخم وجذام وعاملة والقين وبهراء وكلب، وقبيلة جذام التي ينسب إليها اليوم عرب الجبارات في بئر السبع، وآل الحاج محمد في جبل نابلس.(١٥٣)

وينسب إلى قبيلة لخم، التميميون الذين ينتشرون اليوم في بلاد الخليل ونابلس وبئر السبع والكرك، وهم رهط الصحابي تميم الداري الذي سكن فلسطين قبل الإسلام ، وتوفي في بيت جبرين.(١٥٤) وكان الصحابي "تميم بن أوس الداري" قد استوطن، مع أهله منطقة الخليل، كما كان بين جماعة من الدارية قدمت على رسول الله (ﷺ) بعد إسلامها، إلى مكة، وأقطعه الرسول (ﷺ) مدينة الخليل وجوارها.(١٥٥)

وذكر أبو العلاء المعري في" رسالة الغفران": "سمعت بإسناد صحيح أن تميماً الداري- والدار نسبة لقبيلته، وهي شعبة من لخم، ولخم قبيلة قحطانية يمنية- كان يهدي الرسول (ﷺ) كل سنة شيئاً من مطبوخ العنب".(١٥٦)

ويورد الأستاذ سليم المبيض أدلة عديدة أخرى على التواجد العربي في فلسطين قبل الإسلام فيقول:

فالتواجد العربي سبق الفتح الإسلامي...ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نفصل ما هو إسلامي عن ما هو قبل الإسلام. فقد حاول كثير من المستشرقين اجتثاث كل ما يشير إلى العروبة قبل الإسلام، وهذه ظاهرة خطيرة... فالعرب- وعبر رحلة الشتاء والصيف- استوطنوا في هذه المدن، فقد وفدت القبائل العربية، وخاصة قريش، وأقام بعضها في غزة وما حولها. فقد أتى إلى مدينة غزة.. عبد مناف... وكانت قبيلتا بني عامر.. ترحلان أيضاً إليها في الجاهلية، وقد أقامتا... حياً خاصاً في غزة يعرف الآن "بحي بني عامر".. وكذلك قدم إليها بنو "عبد شمس"بن عبد مناف.. ومات بها (بغزة) جد الرسول(ﷺ) هاشم بن عبد مناف، أثناء رحلاته فأقيم له فيها مقام... مما أضفى عليها دلالة روحية لدى المسلمين، وأصبح من بعدها يطلق عليها اسم(غزة هاشم).(١٥٧)

وتشهد الموسوعة البريطانية على أن العرب استوطنوا فلسطين قبل الإسرائيليين فتقول:

وفي نفس الوقت الذي وقع فيه الغزو الإسرائيلي كانت ثلاثة شعوب سامية عربية تستوطن جنوب شرقي الأردن وهم الإيدوميون

(العرب) في الجنوب...، وكان المؤابيون يسكنون جنوب البحر الميت، ...وكانت هذه الشعوب قد استوطنت في تلك الأرض قبل الغزو الإسرائيلي...فالأرض لم تكن خالية حين غزاها اليهود...(١٥٨)

هوامش الفصل الثاني

١	Frank H. Epp, "Whose Land Is Palestine. The Middle East Problem In Historical Perspective" (Grand Rapid, Michigan-USA : William and Eardmans Publishing CO,1974)pp. (7-9)
٢	أحمد سوسة، "العرب واليهود في التاريخ"(دمشق: العربي للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٢)، ص (٤٨٩)
٣	مصطفى مراد الدباغ ، "بلادنا فلسطين" (عمان: رابطة الجامعيين، ١٩٧٤) القسم الأول، الجزء الأول، ص (٤١٥) ، عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء" (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر،)، ص (٤٥-٤٦)
٤	الدباغ ، ق١ ج ١، ص(٤١٤)
٥	الدباغ ، ق١ ج ١، ص (٤١٨)
٦	الدباغ ، القبائل العربية وسلالاتها في بلادنا فلسطين"(بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٩)، ص (١٧٢ - ١٧٣) وسنشير إليه فيما بعد باسم "سلالات"
٧	Charles Deloah , "Seeds of Conflict from Isaac and Ishmael to Dayan and Sadat sons of Abraham " (Plain field ,N.J. ,U.S.A : Lagos International ,1974) p.5
٨	بيان نويهض الحوت ،"فلسطين القضية، الشعب ، الحضارة . التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين (١٩١٧) " (بيروت : دار الاستقلال ، ١٩٩١) ص (٢٩)
٩	الدباغ، ق١ ج ١، ص ٤١٩
١٠	القرآن الكريم : سورة الشعراء ، الآيات (٦٤-٦٧)
١١	محمود العابدي ، (من تاريخنا – المجموعة الثانية) (عمان : جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٩٦٣) ص (٢٣) .
١٢	"فلسطين، تاريخها وقضيتها" (بيروت:مؤسسة دراسات ص، ١٩٨٣) ، ص (٥)
١٣	M.A. Amiri, "Palestine Arab Origin and Heritage" (London: Longman, 1978) p.(20)
١٤	حمد أحمد عبد الله يوسف،"بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية" ص(٤)، سوسة، ص (٩٣) Henry Cattan, "Palestine and International Law" (London: Lomgman,1073) p. (3)
١٥	John H. Makenzie, S. J., "Dictionary of the Bible"(Milk way-USA: Truce Publishing Co.,1965) p. (285).
١٦	Cattan, "Palestine and International Law" op. cit. p. (3) الحوت، ص ٢٠، الدباغ ، ق١ ج ١، ص (٣٧٨)
١٧	M.A. Amiri, op. cit. p.(20). James Henry Breasted, "History of Early World", (London: Ginn and Co.,1936) P. (138). Cattan, "Palestine and International Law" p.(3))
١٨	الدباغ، ق١ ج ١، ص (٣٨٧)، الحوت، ص ٢١-٢٢

١٩	Cattan, op. cit p.(3) الدباغ، ق١ ج ١، ص (٣٩١)
٢٠	لدباغ، ق١ ج ١، ص (٣٩٤)، الحوت، ص (٢٢، ٨٧)
٢١	Henry Cattan, "Palestine, the Arabs and Israel"(London: Longman, 1969) p.(300)
٢٢	"The Glorious Koran", Translation and Commentary by Abdullah Yousuf Ali, (Beirut: Dar Alfikr, 1938) pp.(52, 147)
٢٣	سوسه، ص(٥٤٠-٥٤٢)
٢٤	أمين أبوبكر، وخضر محمد عودة وآخرون،" التربية الوطنية للصف السابع الأساسي، وزارة التربية والتعليم – دولة فلسطين). أنظر أيضا :محمد اقطيش مصطفى عواد وإدريس جرادات، "الطريق المنير إلى تاريخ سعير" (الخليل: مركز البحث العلمي في جامعة الخليل،١٩٨٧) ص(١٣٢).
٢٥	الدباغ، ق١ ج ١، ص (٣٩٦)، John H. Makenzie, S. J., "Dictionary of the Bible"(Milk way-USA: Truce Publishing Co.,1965) p.(415)
٢٦	سوسه، ص(٢٩٩)
٢٧	Amiri, op. cit. p.(20)
٢٨	الدباغ، ق١ ج ١، ص(٣٩٦) وسنشير إليه فيما بعد بإسم: ق١ ج ١ Amiri,op. cit. p.(3), (8).
٢٩	الدباغ، ق ١ ج ١ ص (٣٩٧)
٣٠	الدباغ، ق ١ ج ١ ص (٣٩٧)
٣١	الدباغ، ق ١ ج ١ ص (٣٩٦)، Makenzie, S. J., "Dictionary of the Bible", p.(29)
٣٢	الدباغ، ق ١ ج ١ ص (٣٩٦) الدباغ سلالات ص (٢٥) Makenzie, S. J., "Dictionary of the Bible", p.(23-24)
٣٣	الدباغ، ق١ ج ١ص (٤٣٣-٤٦١)
٣٤	جريدة القدس بتاريخ ١٧-٥-١٩٨٩
٣٥	الدباغ ،"الموجز في تاريخ فلسطين" ، ص(٩) .
٣٦	فيليب حتي ، " تاريخ سورية ولبنان وفلسطين "(بيروت: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٥٨) ص(٩٣)
٣٧	محمود العابدي ، (من تاريخنا – المجموعة الثانية) ص (١٩) .
٣٨	حتي ، ص (٩٥-٩٦) .
٣٩	حتي ، ص(٩٣) .
٤٠	حتي" ، ص(٩٤) .
٤١	حتي ، ص(٩٣) .
٤٢	" عبد العزيز أبو هدبا " (محرر) " التراث الفلسطيني جذور وتحديات " (الطيبة : مركز إحياء التراث العربي ١٩٩١ . مقال عبد اللطيف البرغوثي التراث الشعبي الفلسطيني جذوره وخصائصه ، وسنشير لهذا المرجع فيما بعد باسم : البرغوثي - التراث (ص ٢٥-٢٦)
٤٣	الحوت ، (ص ٢٠) .
٤٤	Breasted , p. 138.
٤٥	الدباغ، ق١ ج ١ ص (٥٣٦-٥٣٧)

٤٦	الدباغ، ق١ ج ١ ص (٥٣٧)
٤٧	الدباغ، ق١ ج ١ ص (٥٣٩-٥٤٠)، Makenzie, S. J., "Dictionary of the Bible", p.(672-674)
٤٨	سوسة، ص (٢)
٤٩	المؤرخ اليهودي" يوسيفوس ، نقلا عن :" الدباغ ،، ص (٦٥٧) وحتي ص (٦٤) Josephus, "The Jewish War" .Translated by G. A. Williamson. Revised edition of the 1959 translation (Great Britain Penguin Books,1984) p.28
٥٠	Breasted , op. cit p.(737).
٥١	الدباغ، ق١ ج ١ ص (٣٩٧، ٥٤٦-٥٤٧)
٥٢	الدباغ، ق١ ج ١ (٥٤٥-٥٤٨)
٥٣	محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير،(القاهرة: دار الصابوني للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٧٦) ص (٣٣١)
٥٤	الدباغ، ق١ ج ١ ص(٥٤٦)
٥٥	الدباغ، ق١ ج ١ص (-٥٥٢-٥٥١)
٥٦	الحوت، ص (٢٨ - ٢٩). الدباغ ص(٥٦٢-٥٦٣)
٥٧	الدباغ، ق١ ج ١ ص (٥٦٥ - ٥٦٦) . James Henry Breasted and James Henry Robinson, "A General History of the World"(London: Ginn and Co.,1965) p(42-44).
٥٨	الدباغ، ق١ ج ١ ص(٥٧٢)
٥٩	الدباغ، ق١ ج ١ ص (٥٧٨) الموسوعة الفلسطينية، القسم الأول، المجلد الأول، (دمشق: هيئة الموسوعة،١٩٨٤) ص (١٨٦) Breasted, p. (231)
٦٠	عبد الوهاب الكيالي، "تاريخ فلسطين الحديث"(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٩٠) ص (١٤-١٥)
٦١	حتي ، (ص ٢٢١-٢٢٢) .
٦٢	الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني ، المجلد الثاني، ص (١٢١)
٦٣	Hanoch Raviv, et. al. (editor) Israel Pocket History, p. (31-58). شوفاني، ص (٩٤-٩٥٩)
٦٤	Israel Pocket History, op. cit. p. (37-58).
٦٥	Makenzie, S. J., "Dictionary of the Bible", p.(425) Israel Pocket History p. (42-44)
٦٦	الدباغ، ق١ ج ١ ص (٥٦٨)
٦٧	Israel Pocket History, op. cit., p. (57-58).
٦٨	Makenzie, S. J., "Dictionary of the Bible", p.(809-811)
٦٩	ظفر الإ[illegible]م خان،"تاريخ فلسطين القديم من أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي"(ب[illegible]:دار النفائس، ١٩٧٢) ص ٦١-٦٢
٧٠	H. Piano (Tr.), The Talmud Fredrick Wame &C[illegible] London, N.D. pp. (319-320). نقلاً عن: ظفر لإسلام خان،تاريخ فلسطين القديم، ص (٥٩)
٧١	الدباغ، ق١ ج ١، ص (٦٦٢)

٧٢	الدباغ، ق١ ج ١، ص (٦٦٤)
٧٣	سوسه، ص (٤٥٢-٤٥٣)
٧٤	Israel Pocket History, p. (15-22).
٧٥	ظفر السلام خان، ص (٤٩-٥٠)نقلا عن : جيفريز، ج م ن، " فلسطين إليكم الحقيقة " ص (٤٥) ترجمة خليل الحاج ، مراجعة د. محمد أنبي(القاهرة/دار الكاتب العربي، ١٩٧١) الجزء الأول
٧٦	Henry Cattan, "Palestine and International Law" p.(5).
٧٧	Henry Cattan, "Palestine, the Arabs and Israel" (London: Longman, 1969) p.(300) "فلسطين ، تاريخها وقضيتها " (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية) ، ص (٥)
٧٨	الدباغ، ق١ ج ١، ص (٥٦٤)
٧٩	أولبرايت ، (م.س.ذ.) ص(١١٥)
٨٠	Henry Cattan, "Palestine and International Law " p. (6). Amiri , p. (3-5).
٨١	عبدالوهاب الكيالي"تاريخ فلسطين الحديث" ص (١٤).
٨٢	Israel Pocket History, p (25-65).
٨٣	ظفر الإسلام خان، "تاريخ فلسطين القديم" (بيروت: دار النفائس، ١٩٧٢) ص(٣٤-٣٥)
٨٤	حتي، ج ١، ص (٢٢١)
٨٥	سوسه،" " ص (٤٤٠)
٨٦	ظفر الإسلام خان، ص (١٠٦) نقلا عن: Encyclopedia Britannica. Vol. 17 , p. (122)
٨٧	ظفر الإسلام خان، ص (١١٦) نقلا عن الكاتب البريطاني Albert Hyamson, Palestine, The Rebirth of an Ancient Nation "(London: Sigwiick Jackson & Co.,1917) pp, ix-x "الانتداب علي فلسطين، ١٩٤٦) ص (٤٨-٤٩)
٨٨	غوستاف لوبون، "اليهود في تاريخ الحضارات الأولى" ص (٢٠-٢١)
٨٩	الدباغ، ق١ ج ١، ص (٥٧٩)
١٠٠	الدباغ، ق١ ج ١،ص (٥٨٠)، نقلا عن بريستد العصور القديمة (١٧٧-١٧٨) Breasted, "Ancient Times History", p.(228).
٩١	الدباغ، ق١ ج ١، ص (٥٨١) عن التاريخ العام للكليات والدارس العالية، ٢٩/١ النسخة المترجمة للعربية. المطبعة الأمريكانية في بيروت ١٩٢٨
٩٢	الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، ص (٨)
٩٣	الدباغ، ق١ ج ١، ص (٥٨٩) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، ص (١٣١)
٩٤	بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس (القدس: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ١٩٧١)، ص (٤٠). الحوت ص (٥٧) " فلسطين قضيتها وتاريخها" (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٣) ص (٦)
٩٥	عوديد أبيشار،"كتاب الخليل" الترجمة العربية بخط يد ، بدون ذكر المترجم، مكتبة بلدية الخليل، ص (١٩) Israel Pocket History, p.(149-150,170).
٩٦	أبيشار،"كتاب الخليل"، ص (١٩) محمد علي الصابوني، "صفوة التفاسير"(القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩) ص(٤٧٠-٤٧١) مجلد(٢) ط: (٩)
٩٧	محمد علي الصابوني، "صفوة التفاسير"(القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر

	والتوزيع، ١٩٧٩) ص(٤٧٠-٤٧١) مجلد(٢) ط. (٩) أبيشار،"كتاب الخليل"، ص (١٩)
٩٨	شوفاني ص(١٠٩)
٩٩	العابدي ، الجزء الثاني ، (م.س.ذ.) ص (٢٩) .الدباغ ، بلادنا ، (م.س.ذ.) ص (٥٩٢ - ٣
١٠٠	الحوت، فلسطين ص (٦٠)
١٠١	شوفاني ص (١١٤)
١٠٢	الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني المجلد الثاني، ص (١٤٥)
١٠٣	شوفاني، ص (١١٤-١١٦)
١٠٤	الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، ص(١٤٧-١٤٩)
١٠٥	المكابيون: أعضاء العائلة الحسمونية (Hasmonean) من القادة اليهود والحكام وسلالتهم الذين حكموا في يهودا من سنة ١٦٧ ق.م.-٣٧ ق.م. في فترة حكم السلوقيين اليونان أحفاد سلوقس أحد قادة الإسكندر في الشام ومنهم يهوذا المكابي وإخوته. انظر : Stein, The Random House Dictionary op. cit. p. (858). يونس عمرو : مدينة خليل الرحمن - (م.س.ذ) ص (٦٤-٦٥)
١٠٦	الحوت، (٥٩)
١٠٧	سوسه، ص(٥٨٧) الموسوعة الفلسطينية القسم الثاني ، المجلد الثاني، ص (١٢٧) الحوت، ص(٣١) Israel Pocket History , p.(105).
١٠٨	Makenzie" Dictionary of the Bible" p.(553).
١٠٩	Israel Pocket History, op. cit., p.(106). ظفر الإسلام خان،"تاريخ فلسطين القديم" (بيروت: دار النفائس،١٩٧٢) ص(٧٨) نقلا عنBentwich, Palestine , p. (5).
١١٠	الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، ص (١٤٩)
١١١	الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، ص (١٤٥)
١١٢	ظفر الإسلام خان،"تاريخ فلسطين القديم" (بيروت: دار النفائس،١٩٧٢) ص(٨٨) نقلا عنBentwich, Palestine , p. (5).
١١٣	حتي، ج١، ص (٣٠٩). الحوت، ص (٦٠)
١١٤	حتي، ج٢، ص (٣٠٩). الدباغ، ق١ ج ١، ص (٦٧١).
١١٥	Israel Pocket History, op. cit, p. (132).
١١٦	Israel Pocket History, op. cit., p (125). J. B. Bury, A History of the Roman Empire From Its Foundation To the Death of Marcus Aurelius" (27 B.C.-180 A.D.)(L0ndon: John Murray, 1930) p. (24, 214).
١١٧	Israel Pocket History, op. cit., p (125).
١١٨	الموسوعة الفلسطينية القسم الثاني ، المجلد الثاني ص ١٨١
١١٩	Israel Pocket History, op. cit , p (127).
١٢٠	حتي، ج١ ، ص (٣٧٥-٣٧٦).شوفاني ص (١٣٨)
١٢١	Israel Pocket History, op. cit, p. (125-129, 132).
١٢٢	Israel Pocket History, op. cit, p. (145-149).
١٢٣	الدباغ ، ق١ ج ١،ص ٦٥٩-٦٦٠، حوت ص ٣٢-٣٣، شوفاني ص ١٤٨
١٢٤	Israel Pocket History, op. cit, p. (106-107,149-150).
١٢٥	الدباغ، ق١ ج ١، ص (٦٦٠)

١٢٦	Cyril E. Robinson, "A History of Rome(753B.C. –A.D. 410) (London: Methuen and Co.Ltd.,1946) pp. (172, 303)
١٢٧	الدباغ، ق١ ج ١، (٦٦٥)
١٢٨	الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني ، المجلد الثاني، ص (١٩٥)
١٢٩	دباغ ق١ ج ١ص (٦٦٥)
١٣٠	الموسوعة الفلسطينية قسم الثاني المجلد الثاني، ص (١٩٤-١٩٥)
١٣١	الموسوعة الفلسطينية قسم الثاني المجلد الثاني ،ص (٢٤١-٢٤٢)
١٣٢	شوفلتي، ص (١٤٥-١٤٦)
١٣٣	شوفلتي، ص (١٦٤،١٤٦) Israel Pocket History, op. cit. p.(170).
١٣٤	Israel Pocket History, op. cit. p.(170).
١٣٥	شوفلتي، ص (١٥٥)
١٣٦	Makenzie, S. J., "Dictionary of the Bible", p.(794).
١٣٧	ظفر الإسلام خان، ص(٣٩)
١٣٨	Israel Pocket History, op. cit. p.(25).
١٣٩	Makenzie, S. J., "Dictionary of the Bible", p.(581-583).
١٤٠	دباغ، ق١ ج ١ص (٤٠٦) فريدريك ج. بيك، "تاريخ شرقي الأردن وقبائله" ص (١٩)
١٤١	بيان الحوت ص (٥٢). أحمد سوسه ص (٣٥٩) Makenzie, S. J., "Dictionary of the Bible", p.(374-375).
١٤٢	بيان الحوت ص (٥٢)
١٤٣	دباغ ق١ ج ١ص، (٥٠١) Makenzie, S. J., "Dictionary of the Bible", p.(25).
١٤٥	Makenzie, S. J., "Dictionary of the Bible", p.(25).
١٤٦	Makenzie, S. J., "Dictionary of the Bible", p.(26).
١٤٧	Makenzie, S. J., "Dictionary of the Bible", p.(26).
١٤٨	الدباغ، ق١ ج١ ،ص (٤٩٦)
	Israel Pocket History, op. cit. p.(54).
١٤٩	الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، المجلد الثاني، ص (٣٩)
١٥٠	بيان الحوت ص (٥٥). الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، المجلد الثاني، ص (٣٩)
١٥١	Makenzie, S. J., "Dictionary of the Bible", p.(26)
١٥٢	عارف العارف، ص (٢٢٠). حتي، ص (٦٩-٦٨)، سوسة، ص (٢٠٤-٢٠٥) Makenzie, S. J., "Dictionary of the Bible", p.(601).
١٥٣	الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني ، المجلد الثاني ، ص (٢٩٤-٢٩٥) الدباغ،ق ١ ج١، ص (٧١١-٧١٤)
١٥٤	سليم المبيض، غزة وقضاؤها، ص (١٦٤)
١٥٥	الدباغ، القسم الثاني، ج ٥، ص (٥٣)، دباغ ق١ ج١ ص ٣٧٨-٣٨١سليم المبيض، غزة وقضاؤها، ص (١٧٢) الدباغ، بلادنا فلسطين". القسم الثاني، المجلد الخامس، ص (٥٣)
١٥٦	فتحي أحمد، تاريخ الريف الفلسطيني في العهد العثماني منطقة بني زيد نموذجا "(رام الله د.ن. ، ١٩٩٢)، ص (١٢٧)
١٥٧	سليم المبيض، غزة وقضاؤها، ص (١٦٤)
١٥٨	ظفر الإسلام خان ص ٣٩ ، نقلا عن: Encyclopedia Britannica

الفصل الثالث

الفرق بين عهود وحروب اليهود والمسيحيين والمسلمين

٣-١- قوانين وعهود الغرب بشأن اليهود.

٣-٢- عهود المسلمين لليهود في الجزيرة العربية.

٣-٣- عهود المسلمين لأهل الذمة في الدولة الإسلامية.

٣-٤- الفرق بين حروب اليهود والمسيحيين والمسلمين.

٣-١- عهود الغرب بشأن اليهود

لم يسمح الحكم الروماني بوجود ديانات أخرى غير الديانة المسيحية الرسمية. وكان الاضطهاد والإكراه الديني – وخاصة لليهود- يتم عن طريق القانون. (١) وكان اليهود في بعض أنحاء أوروبا يجبرون على تقديم تعهد لكل ملك جديد بأن لا يعبدوا إلا الديانة التي يقرها، مقابل السماح لهم بالاستمرار في العيش في وطنهم تحت حكمه.ومن الأمثلة على ذلك:العهد الذي تقدم به عام ٦٥٤م يهود مدينة "توليدو إلى الملك "ريكسِسْونث" (Recceswinth) والذي تعهدوا فيه بالتخلي عن دينهم، واعتناق الدين المسيحي، وكان مما جاء فيه:" وإذا قمنا بعمل يخالف مبادئ الديانة المسيحية،... فإنا نقسم.. أنّ من يرتكب مخالفة واحدةً من شعبنا يجب أن يحرق أو يرجم حتى الموت. وإذا عفوتم جلالتكم عن مثل هذا الشخص، فإنه يجب أن يحرم من حريته وأن تقدموه جلالتكم لمن تشاءون عبداً إلى الأبد " (٢)

نلاحظ كيف أكره الغرب اليهود على التخلي عن ديانتهم، وأجبروهم على اعتناق المسيحية، وكيف أجبروا على التعهد بأن من يخالف يحرق أو يرجم حتى الموت، أو يصبح عبداً للحاكم الغربي للأبد.

٣-٢- عهود المسلمين لليهود في الجزيرة العربية

يؤكد باحثون عديدون، ومنهم الدكتور إسرائيل ولفنسون- وهو يهودي مصري الجنسية- أنّ اليهود الذين لجأوا للجزيرة العربية بسبب اضطهاد الرومان " كانوا موضع احترام عند العرب، دون أن يحدث ما يكدّر أو يفرّق بينهم."(٣)

٣-٢-١- دستور المدينة أعطى اليهود حقوقاً لم يتمتعوا بمثلها من قبل

والصحيفة أو " دستور المدينة المنورة " هي كتاب كتبه رسول الله (ﷺ) لتوضيح القواعد التي سيتم بموجبها تنظيم العلاقة بين المسلمين واليهود الذين يقيمون في المدينة المنورة "يثرب" وجوارها. وفي تلك الصحيفة " عاهد النبي (ﷺ) اليهودَ، وأقرّهم على دينهم وأمنهم على أموالهم، وتعهد المسلمون بنصرة اليهود الذين يتبعونهم وأن يعاملوهم بالمساواة. واعترف دستور المدينة بكيان اليهود الواحد.وقد ساوت الصحيفة بين اليهود والمسلمين. و كلفت اليهود بالمساهمة في نفقات الحرب التي يشنها أعداء المسلمين، وأن يقدموا للمسلمين النصح، وأن ينصروهم على من حاربهم، فهم يعيشون في المدينة وعليهم المشاركة في الدفاع عنها. واشترطت الصحيفة على اليهود بأن لا ينصروا قريشاً ضد المسلمين، بل أن يعملوا على نصرة المسلمين ضد من يهاجم

يثرب.(٤) وعلاوة على الصحيفة، فقد أبرم النبي -محمد عليه السلام -عهوداً مع قبائل يهودية أخرى ومسيحيين. (٥)

وشهد البروفيسور الإسرائيلي كوهين أن النبي (ﷺ) قد أعطى سابقة أخرى في التسامح في دستور المدينة الذي وضعه لعرب المدينة ويهودها، ومنح بموجبه الحكم الذاتي لليهود.(٦)

ويمكن معرفة أهمية ما منحه دستور المدينة لليهود الذين جاءوا للجزيرة العربية لاجئين، إذا تذكرنا أن الرومان لم يعترفوا بحقوق اليهود الدينية وحاولوا إكراههم على تغيير دينهم وتقديم الأضاحي للإمبراطور الروماني. ويؤكد بارون (Baron) وغربيون عديدون أن دستور المدينة تم الاتفاق عليه بين الأطراف المختلفة. (٧) ولكن اليهود كعادتهم لا يحترمون تعهداتهم.

وهكذا أعطى دستور الإسلام اليهود القلائل الذي فروا إلى الجزيرة العربية من الاضطهاد الغربي الروماني الحكم الذاتي في بداية القرن السابع الميلادي رغم أنهم لم يطالبوا به رسول الله (ﷺ)، ولكن الدساتير الديمقراطية الغربية والصهيونية لا زالت تصرّ على حرمان عرب فلسطين من الحكم الذاتي في بداية القرن الحادي والعشرين، رغم نضالهم والتضحيات التي قدموها من أجل حقهم في تقرير مصيرهم.

٣-٢-٢- اليهود كعادتهم نقضوا عهدهم

وكان اليهود يقرضون العرب مقابل الربا، ويرتهنون أرضهم، ثم لا يلبثون إلاّ أعواماً حتى يتملكوها، كما كانوا يلقون العداوة والشحناء بين القبائل العربية المجاورة، حتى تظل في حروب دامية، ويكسبوا ثروات طائلة. وكانوا يعرفون أن الإسلام إذا ما نجح فسوف يُحرّم أموال الربا، فيتعرض اليهود لخسائر، بل يحتمل أن تتيقظ تلك القبائل وتقوم بإرجاع أرضها التي أضاعتها إلى اليهود في تأدية الربا.(٨) ولذلك لم يحترم اليهود عهودهم، وتآمروا على الدولة الإسلامية التي مدت يد السلام لهم.

ويشهد البروفيسور " مارغوليوت" (margoliouth) أستاذ اللغة العربية في جامعة أكسفورد أن النبي -عليه السلام- لم يقصد طرد اليهود من الجزيرة العربية، وللحقيقة هناك وثائق خاصة به (بالنبي) يشترط فيها صراحة بأنهم ما داموا ينفذون تعهداتهم فلن يتدخل أحد في أمورهم.(٩) ويؤكد المؤرخ اليهودي "جراتس" (graetz) أن اليهود تآمروا ويقول: "اليهود لم ييأسوا من أملهم في التخلص من "محمد " - عليه السلام- فتآمروا عليه، وكوّنوا حلفاً مشتركاً مع عرب حاقدين عليه". ويذكر البروفسور مارغوليت (margolioutht) أن يهود الجزيرة العربية حاولوا إحياء الخلافات القديمة بين القبائل العربية التي نجح محمد -عليه السلام- في توحيدها عن طريق إنشاء القصائد التي تذكر بتلك

الخلافات التي تعود إلى عهد قريب، وقد لاحظ المسلمون ذلك، وأبطلوا مفعول مساعي اليهود تلك.(١٠)

وكان "بنو قينقاع" أول من نقض العهد مع المسلمين، واعتدوا على امرأة مسلمة ونتج عن ذلك قتل مسلم ثم يهودي فحاصرهم المسلمون عام ٢هـ، الموافق٦٢٤م، وتم طردهم من المدينة ومصادرة أموالهم، فجاءوا إلى فلسطين.(١١) واتصل اليهود، - ومن بينهم قبيلة "بني قريظة " و"بنو النضير" الذين أجلوا عن "يثرب" - بأعداء المسلمين في مكة، وحرضوهم على قتالهم، كما وعدوهم بمنحهم نصف ثمار "خيبر" من النخيل. وقد نجحت جهود اليهود، وجاءت حملة كبيرة من أعداء المسلمين لقتالهم في المعركة التي سميت بغزوة الخندق. وأثناء المعركة ساعد اليهود المشركين بأموالهم، وقدموا المؤن للقوات التي تحاصر المدينة، ووقعت مقادير من تلك المؤن في أيدي المسلمين بعد انتهاء معركة الخندق في السنة الخامسة للهجرة /٦٢٦ م.

وبعد نقض اليهود لعهودهم مع المسلمين، وتآمرهم على الدولة التي أعطتهم حرية الاعتقاد، والحكم الذاتي، رغم أنهم قليلو العدد، ولاجئون، حاصر المسلمون يهود "بني قريظة" الذين شكلوا رأس الحربة في التآمر مع أعداء المسلمين، والذين نقضوا عهدهم معهم، وبعد هزيمتهم حُكِّم فيهم "سعد بن معاذ " بأن يُقتل رجالهم، وتُقسّم أموالهم، وتسبى الذراري والنساء ". (١٢)

وقد أخذت قضية يهود "بني قريظة" اهتماماً كثيراً من المستشرقين والمسلمين. فيرى العقاد: أن بني قريظة هم الذين نقضوا العهد وأنّ الجميع يعرف أن نتيجة ذلك الإعدام. والأمر الآخر هو قبولهم بحكم سعد بن معاذ والذي يعتبره العقاد صحيحاً ومستنداً على حكم التوراة وبنصها كما هو موجود من سفر التثنية – الصحاح (١٠-١٥) الذي يقول: (حين تقترب من مدينة كي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك التسخير ويستعبد لك وإن لم تسالمك وعملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فغنيمة لك).(١٣)

ويذكر الباحث "يودلي" أن قضية بني قريظة "إذا قيست بما قام به ملوك بني إسرائيل بالأمم الأخرى، وحتى مع أنفسهم، فعمل الرسول كان قليلاً بحقهم".(١٤) أما "ارفنج " فإنه اعتبر قرار الرسول عليه السلام بشأن بني قريظة، مناقضاً لما عرف عنه من رحمة وإنسانية، لكنه يبرر ذلك بما ظهر منهم من غدر وخيانة." (١٥) ويرى المؤرخ اليهودي إسرائيل ولفنسون أن "الخسارة القليلة التي لحقت بيهود بلاد الحجاز ضئيلة بالقياس إلى الفائدة التي اكتسبها العنصر اليهودي ،.وخاصة اليهود الذين كانوا منتشرين في أقاليم الدولة الرومانية وكانوا يقاسون ألواناً شتى من العذاب زد على هذا أن اتصال اليهود بالمسلمين... كان سبباً في نهضة فكرية عظيمة عند اليهود " (١٦) وبسبب

استمرار اليهود في نقض عهودهم، وتآمرهم على المسلمين ودولتهم، تم التخلص من اليهود في الجزيرة العربية، وأجلي بعضهم إلى خارجها.

٣-٣- عهود المسلمين لأهل الذمة في الدولة الإسلامية

أهل الذمّة هم "المواطنون من غير المسلمين في المجتمع الإسلامي من أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى.. فهم من أهل دار الإسلام...، أو من حاملي الجنسية الإسلامية كما يقول بعض المعاصرين."(١٧) والذمة في اللغة العربية هي"العهد والأمان. والمنتفعون به يسمون أهل الذمة أو الذميون أو المعاهدون" (١٨)

وقد نص القرآن الكريم على"احترام أهل الكتاب، وحسن معاملتهم، ومجادلتهم بالحسنى".(١٩) وجاء في الحديث الشريف:"من ظلم معاهداً، أو كلفه ما لا يطيقه، أو انتقصه حقاً، أو أخذ منه شيئاً بغير خاطر، فأنا حجيجه يوم القيامة". و"من آذى ذمياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد أذى الله". ولما تدانى أجل عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أوصى من بعده وهو على فراش الموت بقوله:" أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، وأن يوفي لهم بعهودهم، وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم".(٢٠) وقال رسول الله (ﷺ) "من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً". (٢١)

٣-٣-١- عهد عمر بن الخطاب لأهالي القدس

سميت المعاهدة التي كتبت بين المسلمين والنصارى عند استسلام القدس للمسلمين عام -١٥ هجري- ٦٣٦م العهدة العمرية، وقد بقيت تلك العهدة حتى اليوم محفوظة في كنيسة القيامة بالقدس.وهذا نصها:
"بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى عبد الله عمر، أمير المؤمنين، أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، سقيمها وبريئها وسائر ملتها. أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من خيرها، ولا من صلبهم، ولا من شيء من أموالهم. ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم. ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية، كما تعطي المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص. فمن خرج منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم، وعلى بيعهم وصلبهم، وحتى يبلغوا مأمنهم. فمن شاء منهم قعد، وعليهم مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله، وذمة رسوله، وذمة الخلفاء، وذمة

المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية كتب سنة ١٥ للهجرة شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان.(٢٢)

ملحوظة: ويشهد التاريخ بأن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عاد وسمح لليهود بالسكن في القدس، رغم معارضة المسيحيين لذلك. ويلاحظ بوضوح الفرق بين عهود المسلمين لأهل الذمة وعهود المسيحيين في أوروبا لليهود.ففي أوروبا كان اضطهاد وإكراه وعبودية، وفي الدولة الإسلامية كان تسامح وحرية دينية.

ومن المواقف التطبيقية لحماية الإسلام لأهل الذمة من العدوان الخارجي، موقف شيخ الإسلام ابن تيمية، حين تغلب التتر على الشام، فسمح القائد التتري للشيخ بإطلاق أسرى المسلمين، وأبى أن يسمح له إطلاق أهل الذمة، فما كان من شيخ الإسلام إلا أن قال: لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسارى من اليهود والنصارى فهم أهل ذمتنا، ولا ندع أسيراً، لا من أهل الذمة، ولا من أهل الملة، فلما رأى إصراره وتشدده أطلقهم له. وأما واجباتهم فهي أداء الجزية والخراج، والتزام أحكام القانون الإسلامي في المعاملات المدنية، واحترام شعائر المسلمين ومشاعرهم.(٢٣)

٣-٣-٢- صيغ أخرى لعهود صيغت فيما بعد ونسبت إلى عمر بن الخطاب

عدا عن صيغة العهدة العمرية الحقيقية المذكورة أعلاه، هناك صيغ أخرى، كتبت بعد عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ونسبت إليه زوراً، وقد صيغت بشكل كتاب قدم من أهالي بعض المدن المسيحية للخليفة، وجاءت على غرار العهود الغربية المشار إليها أعلاه، وبها إضافات تتعلق بملابس أهل الذمة وبتنظيم سلوكهم تجاه المسلمين. وبعد الإضافات المشار إليها أصبح عقد الذمة يقسم إلى قسمين: شروط مستحقة" وأخرى مستحبة، بحيث:

"يشتمل الشرط المستحق على ستة أمور يجب على أهل الذمة تحقيقها وهي: احترام القرآن والرسول، وعدم القدح في الإسلام، وألا يصيبوا مسلماً بزنا أو بنكاح، وألا يحولوا مسلماً عن دينه، وألا يعينوا أهل حرب.أما الشرط المستحب فيشمل ستة أمور وهي: لبس الغيار(وهو الملابس ذات اللون المخالف للون ملابس المسلمين لتمييزهم عنهم، وشد الزنار(الحزام)، وأن تكون مبانيهم أقل ارتفاعاً من مباني المسلمين، وألا يسمعوا المسلمين أصوات نواقيسهم وتلاوة كتبهم، وعدم المجاهرة بشرب الخمر أو ظهار الصلبان والخنازير، وإخفاء دفن الموتى وعدم النواح عليهم، وعدم ركوب الخيل، كما لا يجوز

لأهل الذمة أن يحدثوا بيعة (معبداً) أو كنيسة، وإنما يجوز لهم أن يبنوا ويرمموا ما تهدم من بيعهم وكنائسهم القديمة.(٢٤)

ويذكر "ستلمان" (Stillman) أن بعض نصوص العقد مثل: التزام أهل الذمة بتقديم الطعام للجنود العرب، وأن يزودوهم بعمليات استخبارية، وأن لا يؤووا جواسيس" طبقت في السنوات الأولى للفتح الإسلامي، وفي النهاية بطل استعمالها وبنفس الطريقة أضيفت شروط أخرى لعهد عمر عندما أصبح العرب مستوطنين دائمين يعيشون جنباً إلى جنب مع الذميين.(٢٥) ويؤكد ما سبق العالم الألماني "نوث"(Albrecht Noth) واليهودي الغربي"برنارد لويس" (Bernard Lewis) وأنّ الهدف من هذه التقييدات هو حماية "العناصر المحتلة والحاكمة" (٢٦)

والعهدة العمرية الوارد نصها أعلاه حقيقية ولا مجال للطعن فيها. ولكن هناك شكوكاً فيما ألحق بها من إضافات -عبر العصور - وعمر بن الخطاب من تلك الإضافات براء. ويؤكد ما سبق البروفيسور"لويس"وكُتّاب عديدون غربيون وشرقيون، ويذكرون أن الإضافات الخاصة بملابس أهل الذمة، والدواب التي يركبونها، وبناء الكنائس والمعابد، وما شابه ذلك، بها شكوك، وأصابها تحريف وإضافات وسوء تفسير، بعد عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بقرون.(٢٧)

٣-٣-٣- الرد على الحملة الباغية على الإسلام وعهد عمر بن الخطاب

اتهم كتاب غربيون وإسرائيليون الدولة الإسلامية بأنها ميزت بين المسلمين وأهل الذمة في مجال ضريبتي الرأس و الجزية، والملابس. ونسي أولئك الكتاب، أو تناسوا أنّ ضريبة الرأس "الجزية" ضربت في العصرين الفارسي والروماني وأنّ العرب أخذوها عن الإدارات السابقة.(٢٨) وتؤكد المصادر العديدة أنّ المسلمين لم يخترعوا الجزية إنما كانت موجودة قبل الإسلام بشكل أشد مما استعمله المسلمون. ومن تلك المصادر مؤلفون ومؤرخون غربيون ويهود مشهورون أمثال بيرنارد لويس، وآمنون كوهين، وسيكل روث، ولويس فرنكلشتين، وبات يوعر، والموسوعة اليهودية، وموسوعة الإسلام، و"ترتون".(٢٩) ومن المعروف أنّ الجزية فرضت على اليهود في بعض أنحاء أوروبا بموجب قانون"كارلكول" عام (٢١٢م). (٣٠)

وتناسى منتقدو الإسلام حقيقة أنّ الضرائب الإسلامية كانت أخف من الضرائب الرومانية. حيث فرض الرومان ضريبة الأرض(الخراج) وضريبة الرأس (الجزية) دون تفرقة بين الذكور والإناث (من سن ١٤ سنة للذكور و١٢ سنة للإناث حتى سن ٦٥ سنة).(٣١) أما في الإسلام، فكان يدفعها من أهل الذمة القادر على حمل السلاح فقط.(٣٢) ولا تجب الجزية على صبي، و امرأة

أو مجنون، أو خنثى مشكل، ولا تؤخذ مما هو ليس أهلاً للقتال كالشيخ الكبير، أو الأعمى أو المقعد، ولا على الرهبان إلا إذا كانوا أغنياء.(٣٣)

ويؤكد مختصون غربيون وإسرائيليون ما سبق، ومنهم على سبيل المثال "آدم متز" أستاذ اللغات الشرقية بجامعة "بازل" في سويسرا، (٣٤) و"أمنون كوهين" الأستاذ في الجامعة العبرية في القدس والمؤرخ الغربي "ترتون" (Tritton).(٣٥)

ولا صحة إطلاقاً للادعاء القائل بأن الجزية فرضت على أهل الذمة عقوبة لهم لعدم إسلامهم أو إذلالاً للذمي لحمله على الإسلام "إذ يتنافى ذلك مع مبدأ الإسلام العظيم في منع الإكراه بأيّ ضربٍ من ضروب الإكراه، كما يمنع ظلم الإنسان وإذلاله، وإنما المقصود أن يكف الخصوم عن الحرب ويقبلوا طائعين حياة المسالمة".(٣٦) ولم يكلف الإسلام أهل الذمة دفع الجزية من منطلق التمييز بينهم وبين المسلمين، بل على العكس من ذلك، فقد كلف المسلمين بدفع الزكاة وأعفى منها أهل الذمة، كما كلف المسلمين بالخدمة العسكرية وأعفى أهل الذمة من تلك الخدمة.(٣٧)

وأكدت مصادر عديدة حقيقية أنّ الجزية فرضت بدل الخدمة العسكرية. فيذكر "آدم متز" ولذلك أعفي منها غير القادرين على أداء تلك الخدمة مثل: النساء والأطفال والمعاقين والشيوخ. (٣٨) ويؤكد ابن قيم الجوزية أنّ الإسلام لم يأخذ الجزية من كل ذمي شارك في أداء الخدمة العسكرية، ويعطي مثالاً عن يهودي من أهل مصر..(خدم) الجيش الإسلامي، فكافأ عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- "اليهودي على حسن مشورته بوضع الجزية عنه ما دام حياً."(٣٩) وقد طبقت الجزية في شكل"البدل العسكري" أو "مقابل الإعفاء من الخدمة العسكرية على المسلمين. و في الملحق رقم (١) وثيقة أصلية من الدولة العثمانية بإعفاء المرحوم الحاج مصباح محمد خليل النمورة من الخدمة العسكرية مقابل دفع مبلغ من المال.

ويذكر "سيد سابق " أنّ الإسلام فرض"الجزية على الذميين في مقابل فرض الزكاة على المسلمين، لأنّ المسلمين والذميين يستظلون براية واحدة، ويتمتعون بجميع الحقوق، وينتفعون بمرافق الدولة بنسبة واحدة، ولذلك أوجب الله الجزية للمسلمين نظير قيامهم بالدفاع عن الذميين وحمايتهم في البلاد الإسلامية التي يقيمون فيها.(٤٠)

يأخذ كتّاب على عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- أنه تسبب في تمييز بين المسلمين وأهل الذمة في الملابس. وتتوفر مصادر موضوعية عديدة تثبت الحقائق التالية:

١- أنّ التقييدات في الملابس وبناء المعابد وما شابهها لم تكن من صنع المسلمين، بل كانت موجودة قبل الإسلام. وهذا ما تؤكده الموسوعة اليهودية،

وباحثون غربيون ويهود أمثال: "تيتلمان" (Stillman) و"لاندشت" (Landshut) و"آدم متز" (٤١)

٢- أنّ القيود الواردة على أهل الذمة في ديار الإسلام كانت تراعي وتحترم أكثر في مخالفتها منه في تطبيقها، وأنها لم تكن تطبق بانتظام بدليل كثرة الأوامر التي تطلب العمل بها.(٤٢)

٣- إنّ التمييز في الملابس لم يكن في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بل جاء في عصور لاحقة عندما اختلط المسلمون مع أهل الذمة في السكن في المدن، وما عرض"قط لأزياء الذميين ابن جرير الطبري، ولا البلاذري من أئمة التاريخ المتقدمين".(٤٣)

٤- أنّ اللباس المميز الذي فرضه المسلمون على اليهود وما شابهه من تقييدات لم يقصد فيها الإساءة لليهود، ولكن فقط حماية المسلمين من الاحتكاك(الاختلاط) الزائد أو من انتهاك حرمة أماكنهم المقدسة.(٤٤)

٥-أنّ الغرض من القواعد المتعلقة بالملابس هو سهولة التمييز بين النصارى والعرب. وكان هذا التمييز ضروري في حينه، لأنه لا يوجد طريقة للتمييز غير الزيّ، فلم يكن لدى المسلمين نظام البطاقات الشخصية المتداولة الآن. " (٤٥)

٣-٤- الفرق بين حروب اليهود والمسيحيين والمسلمين

٣-٤-١- حروب اليهود الأولى في فلسطين

تحرّم التوراة القتل، فإحدى الوصايا العشر تقول: " لا تقتل " (سفر الخروج ١٠:١٣) لكن التوراة المتداولة حالياً والتي كتبت بعد سيدنا موسى - عليه السلام- بعدة قرون، تأتي بآيات تتناقض مع ما جاء في الآية السالفة الذكر، وتدعو إلى إبادة الشعوب التي كانت تسكن فلسطين. .

ويعطي سفر التثنية صورة واضحة عن قواعد الحرب عند اليهود حيث يقول:

" حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح، وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها... يستعبد لك وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً... فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة... فتغتنمها لنفسك ...... وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريماً كما أمرك الرب إلهك." (سفر التثنية ٢٠:١٠-١٦).

وقد دمّر يشوع مدينة أريحا، وأحرقها بالنيران، وقتل ما فيها من الرجال والنساء والبقر والغنم والحمير (سفر يشوع ٦:٢١).

وعلاوة على الدعوة إلى إبادة الشعوب وقتل البشر، دعت التوراة وتفسيراتها إلى قتل الحيوانات والأشجار. فيذكر البروفيسور يسرائيل شاحاك أن هناك وصية تقول للجندي الإسرائيلي: "لا تدع شيئاً يتنفس حياً ". (٤٦)

وفي دعوتها للقتل لا تفرق الديانة اليهودية بين المحاربين والمدنيين، ولا بين النساء والأطفال والشيوخ والعجزة، بل تدعو إلى القتل دون تمييز، كما تدعو إلى حرق الممتلكات وتدميرها.

ولم تكتف التوراة بالدعوة إلى القتل بدون رحمة، بل طلبت من أتباعها بأن لا يعقدوا اتفاقات صلح أو عهود مع أعدائهم: " متى أتى بك الرب إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وطرد شعوباً كثيرة من أمامك... وضربتهم فإنك تحرمهم (تفنيهم) لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ". (سفر التثنية ٧:١-٣)

وهذا ما تفعله إسرائيل مع الفلسطينيين منذ حرب عام ١٩٤٨، فإنها لا زالت تسير في طريق القضاء عليهم، وترفض عقد صلح معهم ضاربة عرض الحائط بالقانون الدولي وحقوق الإنسان.

٣-٤-٢- حروب الرومان في فلسطين

الديانة المسيحية هي ديانة تسامح وسلام، ولكنها لا تخلو من إشارات تدعو إلى الحرب والقتل، قد يستغلها المتطرفون والمتعصبون من المسيحيين لتحقيق أهداف اقتصادية واستراتيجية ودنيوية، بعيدة كل البعد عن الديانة المسيحية السماوية السمحاء. ويذكر إنجيل متى : " لا تظنوا إني جئت لألقي سلاما على الأرض ما جئت لألقي سلاما بل سيفاً " (إنجيل متى ١٠:٣٤) . ويذكر إنجيل لوقا: " أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملكَ عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدّامي". (إنجيل لوقا ١٩:٢٧)

وقد أوضحنا في الفصل الثاني أن الرومان فرضوا ديانتهم وحضارتهم على البلاد التي كانوا يحكمونها، كما فرضوا ضريبة الرأس "الجزية" وضريبة الأرض. وأمروا بتحويل الكنس اليهودية إلى كنائس مسيحية، ومنعوا ممارسة الديانة اليهودية، وخيروا اليهود الذين تحت حكمهم بين اعتناق المسيحية أو الطرد من البلاد. كما أوضحنا أن اليهود عندما ثاروا لم يترك الرومان لهم خياراً سوى التحول للمسيحية أو القتل أو الطرد من البلاد، وكانت النتيجة أنهم دمروا القدس بما فيها من معابد، ومنعوا اليهود من الإقامة فيها، وشتتوهم في سائر أنحاء العالم.

٣-٤-٣- الإسلام والحرب

أ- موقف الديانة الإسلامية من الحرب والسلام

لقد رسم بعض الكتاب النصارى صورة للمسلمين العرب، " **يجتاحون البلدان وهم** يعرضون القرآن باليد الواحدة والسيف بالأخرى (٤٧) **وهذا ادعاء** لا أساس له من الصحة، إذ يكذبه الواقع، والمصادر المختلفة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، المؤرخ الأمريكي "بـاينغ" **"Bying"** والموسوعة اليهودية العالمية، و " لا ندشت " **(Land shu)** و **" مارك كوهين " و " فيليب حتى " (Hitti)** حيث أعطى الإسلام للذين **يحاربهم من أهل الكتاب** ثلاثة بدائل وهي : اعتناق الإسلام ، البقاء على دينهم مع **احتفاظهم** بممتلكاتهم مقابل دفع الجزية ، أو الحرب .(٤٨)

ب- متى تشرع الحرب في الإسلام

الإسلام لا يحب القتال، ولا يسمح به إلا لضرورة مشروعة، كما في حالة رد الاعتداء، ورفع الظلم. (٤٩) ويمكن تلخيص الحالات التي يسمح بها الإسلام بالحرب فيما يلي:

- حالة الدفاع عن النفس، والعرض، والمال والوطن عند الاعتداء يقول الله تعالى ..**(وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ {١٩٠} وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ {١٩١})** (البقرة: ١٩٠ – ١٩١).

-حالة الدفاع عن الدعوة إلى الله إذا وقف أحد في سبيلها بتعذيب من آمن بها، أو بصد من أراد الدخول فيها، أو بمنع الداعي من تبليغها:

(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ {١٩٣}). (البقرة ١٩٣)

- القتال في سبيل المستضعفين. وهكذا،يتبين بجلاء؛ أن الإسلام لم يأذن بالحرب إلا دفعاً للعدوان، وحماية للدعوة، ومنعاً للاضطهاد، وكفاية لحرية التدين؛ فإنها حينئذ تكون فريضة من فرائض الدين، وواجباً من واجباته المقدسة ويطلق عليها اسم " الجهاد ". (٥٠)

ت- ملاحظات على نظرة الإسلام للحرب

أولاً: وضع الإسلام أسساً للقتال والجهاد في سبيل الله، يلقي الضوء عليها الشيخ عبد القديم زلوم في كتابه " نظام الحكم في الإسلام " فيقول:
الجهاد والقتال لا يكون إلا بعد أن يبلغ الكفار دعوة الإسلام، وبعد أن يطلب منهم أن يدخلوا في دين الإسلام، فإن أبوا يطلب منهم أن يخضعوا للدولة الإسلامية، وأن يدفعوا الجزية لها، فان رفضوا الدخول في الإسلام، ورفضوا دفع الجزية، والخضوع للدولة الإسلامية عندها يقاتلون. .. لذلك يجب أن تتقدم الدعوةُ إلى الإسلام القتالَ، وأن يتقدم طلبُ الخضوع للدولة الإسلامية ودفع الجزية لها القتال، فالقتال يأتي في المرتبة الثالثة. (٥١)
ثانياً: إن الأساس في تعامل الدولة الإسلامية مع غيرها من الدول هو المحبة والعدل، فيقول -تعالى:(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة: ٨)
ثالثاً: بينما تعارض الديانة اليهودية في الصلح وعقد العهود مع الأعداء المتحاربين – كما بينا سابقاً – فإن الديانة الإسلامية تحث على الصلح، حتى ولو كان ذلك من قبيل الخداع : فيقول- تعالى- :
(وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {٦١} وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ {٦٢}) (الأنفال ٦١-٦٢).
ففي هذه الآية الأمر بالجنوح إلى السلم إذا جنح العدو إليها ، حتى ولو كان جنوحه خداعاً ومكراً . (٥٢)
رابعاً: كان الرسول -عليه السلام- يوصي قادة الجيش بالرحمة في الحرب ويحثهم على تجنب الغدر والتمثيل بالقتلى، ومن أقواله بهذا الشأن: " أغزوا ولا تغلوا (أي لا تخونوا في الغنيمة)، ولا تغدروا، ولا تمثلوا (أي لا تشوهوا القتيل)، ولا تقتلوا وليداً ". (٥٣)

وضرب الخليفة أبو بكر- رضي الله عنه- "المثل الأعلى في الحث على الرحمة والرأفة والعدل ومراعاة حقوق الأطفال والشيوخ والنساء ورجال الدين وعدم إتلاف المحاصيل والمواشي عندما قال لجنوده: لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأةً ولا تقصوا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له. "

ث- فتح القدس -الفتح الإسلامي- تطبيق النظرية ميدانيا

أعطى قائد الجيش الإسلامي أبو عبيدة أهل القدس ثلاثة خيارات: الإسلام، أو الجزية والصلح، وإما القتال. فوافق البطريك على الصلح، لكن اشترط أن لا تسلم المدينة إلا إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان بإمكان "الجيش الإسلامي الذي فتح البلدان العديدة أن يستمر في حصار القدس، ويهدم أبنيتها ومقدساتها، كما فعل الجيش الروماني، ولكن العقيدة الإسلامية تأمر بالرحمة، وتمنع القتل والتدمير، وأعطى الجيش الإسلامي لأعدائه بدائل للقتل. وهكذا وافق الخليفة على الحضور إلى القدس."(٥٤) وبدلا من هدمها وقتل أهلها كما فعل الفاتحون الآخرون، فقد أعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهالي القدس العهدة العمرية التي أمنتهم على أرواحهم و كنائسهم وأموالهم، والتي سبق مناقشتها وتحليلها، وبذلك عرفت القدس أرحم فاتح في تاريخها. (٥٥)

ج- الفتح الإسلامي والقانون الدولي الإنساني

ليس من السهل المقارنة بين الفتح الإسلامي الذي بدأ في بداية القرن السابع والقانون الدولي الإنساني الذي ترسخت معالمه في القرن العشرين. ومن ناحية أخرى فقد اختلفت وسائل الحرب والتكنولوجيا المستعملة فيها اختلافاً كبيراً منذ الفتح الإسلامي وحتى اليوم. ورغم ذلك، فنظرة الإسلام للحرب كثيراً ما تتطابق مع القانون الدولي الإنساني.(٥٦)

وبينما لم ينطن العالم المتحضر إلا في بداية القرن العشرين لكي يضع نصاً في القانون الدولي يلزم المحتل "بالمحافظة على القوانين المطبقة في ذلك البلد، ما لم يحل دون ذلك مانع مطلق"،(٥٧) فان مختصين غربيين وشرقيين عديدين قد أكدوا أن الفتح الإسلامي قد حافظ على النظام الإداري والقوانين التي كانت مطبقة قبله وخاصة فيما يتعلق بالضرائب.(٥٨)

ولم يحافظ الفتح الإسلامي على الهيكل الإداري للأراضي التي فتحها فحسب، بل أيضاً لم يكره أهل البلاد المفتوحة على تغيير دينهم ومعتقداتهم ولم

يجبرهم على اعتناق الإسلام، بل تركهم يمارسون دياناتهم بكل حرية، كما سمح لهم بالاحتفاظ بملكيتهم لأراضيهم وأموالهم وحافظ عليها، وحمى حياتهم واحترم كرامتهم، مقابل دفع ضريبتي الجزية والخراج اللتين كانتا تؤخذان منهم سابقاً، بعد أن خففها وأعفى الكثيرين منها، كما سنوضحه عند بحث حقوق أهل الذمة.

وقد دعا "جان جاك روسو"في كتابه "العقد الاجتماعي" في عام ١٧٦٢م بأن تقتصر الحرب على مقاتلة العسكريين دون الإضرار بالمدنيين أو الممتلكات.(٥٩) وفي وصايا الجندي، قالت اللجنة الدولية للصليب الأحمر عام ١٩٨٧:"لا تقاتل إلا العدو الذي يقاتل. لا تدمر أكثر مما تقتضيه المهمة التي تكلف بها. لا تقاتل الأعداء العاجزين.(٦٠)

وقد سبق الإسلام جميع هذه الدعوات بأكثر من اثني عشر قرناً. ونوجز أدناه بعض ما ذكرته المجلة الدولية للصليب الأحمر بخصوص سلوك المجاهدين في الحرب:

إن القواعد التي كان المجاهدون المسلمون يتقيدون بها في حروبهم... لم تكن مجرد مبادئ أخلاقية عامة، أو وصايا تلقوها من قادتهم...، وإنما كانت واجبات شرعية منصوص عليها غالباً في القرآن والسنة ويعاقب مخالفوها ليس من قبل رؤسائهم فقط، وإنما يتعرضون للعقاب في الحياة الأخرى لأنهم خالفوا نصوصاً شرعية قطعية واردة في القرآن والسنة أو في كليهما. وأهم القواعد التي كانت تحكم سلوك المجاهدين المسلمين في هذا المجال هي:

١- قصر الحرب على رجال العدو المحاربين فقط: حيث يروى عن الرسول (ﷺ) أنه قال موصياً زيد بن حارثة لمّا أنفذه إلى مؤتة: "لا تقتلوا وليداً ولا امرأةً ولا كبيراً ولا فانياً ولا منعزلاً بصومعة"....

٢- خوض المعارك بروح إنسانية... وعلى هذا يمنع التعذيب حتما .. وكذلك التمثيل بالجثث وذلك احتراماً لقدسية الميت وإنسانية الإنسان...، "إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور".

٣- منع النهب... ٤- منع الخيانة والغدر: حتى في حالة الشك بسوء نية العدو، فقد ورد في الآية الكريمة:" وإما تخافنّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين (سورة الأنفال- الآية ٥٨)... (وتقول وصية الرسول(ﷺ) ..."لا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً"...

٥- منع التدمير وإتلاف الأموال: كما أن القانون الدولي الإنساني المعاصر يمنع ما يسمى (التدمير المنهجي) تمنع شريعة الحرب في الإسلام... قطع الأشجار المثمرة، وحرق النخيل، وذبح شياه العدو وبقره وبعيره، إلا إذا كان ذلك مراعاة لضرورة حربية..

٦- إذا كانت الحروب الأوروبية لم تعرف حتى أوائل القرن العشرين وجوب احترام "طلب الأمان" الذي يمكن أن يطلبه بعض جنود العدو،

بحيث اضطر المتفاوضون في لاهاي عام ١٨٩٩م تضمين"لائحة الحرب البرية" نصاً يشجب... عدم قبول طلب الأمان، فإن الإسلام اعترف بهذا الحق وطبقه منذ ظهوره، وذلك عملاً بنص الآية الكريمة :"وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره...، ثم أبلغه مأمنه، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون"(سورة التوبة- الآية٦)

٧- الانقطاع عن القتال إذا انقطع العدو... يجب عدم الإصرار على مقاتلة العدو إذا انقطع العدو عنه، وهذا نزولاً عند حكم الآية الكزيمة:"وإن جنحوا للسلم فاجنح لها، وتوكل على الله إنه هو السميع العليم". (سورة الأنفال، الآية ٦١).(٦١)

٣-٤-٤- الحروب الصليبية ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م

أ- الأهداف الحقيقة للحروب الصليبية اقتصادية وليست دينية

ظلّ المحتلون عبر التاريخ يحاولون إيجاد أعذار وحجج لتبرير احتلالهم لأراضي الغير بالقوة. وكانت الحجة المعلنة للحروب الصليبية إنقاذ القبر المقدس وحماية الحجاج المسيحيين الغربيين من اعتداءات المسلمين عليهم. ويشهد التاريخ بأن هذه الحجة كانت كاذبة، وأن "المدخل إلى الحروب الصليبية من خلال الدين مضلل... فالباعث الديني غالباً ما ذاب وسط التيارات الاقتصادية والسياسية الجارفة... فالأمراء (كانوا) يريدونها لكسب الأرض والاقطاعات، والكنيسة تريدها لسيطرة البابوية عالمياً، والمدن الإيطالية تريدها للوصول إلى تجارات الشرق وموانئه.(٦٢)

وتؤكد المصادر الموضوعية العديدة أن محركات الحروب الصليبية كانت اقتصادية – مادية وليست دينية، ولو كان "هدفها دينياً محضاً لما اتسع مداها الاستراتيجي ليتعدى أرض فلسطين المقدسة وليهدد مصر والحجاز والعراق".(٦٣) وأحد الأدلة التي لا يمكن تفنيده على أنّ الصليبيين لم تكن دوافعهم دينية، أنهم قاموا عام ١٢٠٤ بنهب القسطنطينية، وفي هذه المرة كان الجزارون والضحايا مسيحيين.. واستمرت المذبحة ثلاثة أيام، ولم يسلم شيء أو إنسان، حتى ولا الكنائس ولا الراهبات، حدث هذا عندما كان الغدر والعنف باسم الدين والعدالة؟!(٦٤)

ويذكر "كينيث كلارك" (Kenneth Clark) أنه خلال تاريخ الجنس البشري لم تشن حرباً أسوأ من الحروب الصليبية المتوحشة، التي كانت دوافعها تلهّف النورمانديين للأرض، ورغبة الأوروبيين في جني أرباح التجارة الشرقية الوفيرة.".(٦٥)

ولو كان هدف الصليبيين مجرد حماية القبر المقدس من المسلمين كما كانوا يدعون، لما هاجموا الدولة البيزنطية المسيحية، ولما "تسببت الحملة الصليبية الرابعة في انهيار السلطة السياسة والوضع الاقتصادي للامبراطورية البيزنطية" عام ١٢٠٤.(٦٦)

وتؤكد ما سبق مصادر عديدة "أنّ الدولة البيزنطية (المسيحية) شعرت أن الصليبيين أشد خطراً عليها من الدولة السلجوقية،... (حيث) تصاعد الصراع بين الطرفين حتى ألحق الصليبيون ضربة مميتة بالإمبراطورية البيزنطية عام ١٢٠٤ (٦٧)

ويوضح المؤرخ الغربي "جيمس باركس" (James Parkes) أن الهدف الأساسي للحملات الصليبية كان المكسب المادي ويقول:

> "بينما كان الصليبيون في طريقهم إلى فلسطين، خيروا اليهود الأوروبيين بين اعتناق المسيحية أو القتل. وفي حالات عديدة عندما أجبر الصليبيون يهوداً على اعتناق المسيحية، تبع ذلك عمليات نهب للأحياء اليهودية أو قبول رشاو كبيرة من اليهود. وفي مثل هذه الحالات، فمن المسلم به أنّ الرغبة في النهب والتلهف الديني على سفك الدماء كانت هي الدافع الحقيقي لأعمالهم، وليس الرغبة الحقيقية في تحويل اليهود عن دينهم.(٦٨)

شن الأوروبيون خمس حملات صليبية ضد فلسطين والمشرق. وفي الحملة الصليبية الأولى، احتل الصليبيون القدس يوم ٢٣ شعبان عام ٤٩٢هـ الموافق ١٥ تموز ١٠٩٩م. وعمرت المملكة الفرنجية في القدس ٨٨عاماً(٤٩٢هـ-٥٨٣هـ/ ١٠٩٩م-١١٨٧م). وتم القضاء نهائياً على الوجود الصليبي في فلسطين والمشرق عام ١٢٩١م في عهد الظاهر بيبرس.

ب- مذابح الصليبيين لأهالي القدس

وصف ستيفن رنسيمان جرائم الصليبيين في القدس عام ١٠٩٩م فقال: "انطلقوا في شوارع المدينة، وإلى الدور والمساجد، يقتلون كل من يصادفهم من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز... اقتحم باب المسجد ثلة من الصليبيين، فأجهزت على جميع اللاجئين. وحينما توجه ريموند آجيل في الضحى ، لزيارة ساحة المعبد أخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبتيه. وفر يهود بيت المقدس جميعاً إلى معبدهم... فلم تأخذهم بهم الرحمة والرأفة، فأشعلوا النار في المعبد، ولقي اليهود بداخله مصرعهم محترقين.".(٦٩)

وينقل المؤرخ "غوستاف لوبون" عن الكاهن"ريموند آجيل" وصفه لما فعله الصليبيون بأهالي القدس من مختلف الديانات فيقول:

" قطعت رؤوس بعض العرب، وبقرت بطون بعضهم، وقذف ببعضهم من على الأسوار وحرق بعضهم في النار، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم...ولم يكتف قومنا الصليبيون الأتقياء بذلك، فعقدوا مؤتمراً أجمعوا فيه على إبادة سكان القدس من المسلمين واليهود وخوارج النصارى...، فأفنوهم عن بكرة أبيهم... ولم يستثنوا منهم امرأة ولا ولداً ولا شيخاً.(٧٠)

ويصف المؤرخ الأمريكي "باينغ" (Bying) مذابح الصليبيين فيقول:

حدثت أكبر المذابح الدموية للمدنيين عرفها التاريخ.ذبحت الغالبية العظمى من سكان المدينة المقدسة، رجالاً ونساءً وأطفالاً. قطعت الرؤوس والأيدي والأرجل. خصي الرجال، وبقرت بطون النساء الحوامل. ويفاخر المؤرخون المعاصرون للمذبحة بقولهم إن المحاربين الأوروبيين كانوا يخوضون في الدماء حتى ركبهم.(٧١)

لقد اتضح مما سبق أن الدوافع الحقيقية للصليبيين كانت الاستعمار وجني الأرباح، ولو كان الدافع الديني هو الدافع الوحيد، لما ذبح الصليبيون يهود أوروبا ولما نهبوا أموالهم، ولكانت الحرب قد اقتصرت على الأرض المقدسة- فلسطين، ولم تتعداها للأقاليم المحيطة بها، ولم يهاجموا الدولة البيزنطية المسيحية، ويلحقوا بها أضراراً بالغة.كما تتضح أيضاً المفارقة المذهلة بين فتح عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- للقدس الذي كانت تحكمه الديانة السماوية السمحاء، وبين الاستعمار الصليبي الذي كانت دوافعه النهب والسلب والتعصب الأعمى، والذي ادّى إلى ارتكاب جرائم تعد من أبشع الجرائم التي عرفتها الإنسانية.

٣-٤-٥- حرب صلاح الدين الأيوبي ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م

وكما حررت فلسطين من الاحتلال الروماني تحت راية الإسلام، كذلك حررت من الاحتلال الصليبي تحت راية الإسلام، بقيادة البطل المسلم الكردي صلاح الدين الأيوبي، الذي حقق نصراً حاسماً على الصليبيين في معركة حطين عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧.

وخلافاً للغزاة الآخرين، تمسك الفاتحون المسلمون بمبادئ عقيدتهم التي كانت تفرض عليهم دعوة خصومهم للسلام، قبل خوض المعارك معهم. وكذلك عندما حاصر صلاح الدين القدس بجيوشه لم يشأ أن يفتحها "عنوة" وبالقوة، ففاوض حاميتها على التسليم، متعهداً باحترام الأماكن المقدسة وشعائر الديانة المسيحية، وكتب لهم في ذلك، إلا أنهم رفضوا الدعوة إلى السلم... وهنا أقسم صلاح الدين على أخذ القدس بحد السيف، ومع ذلك تصرف صلاح الدين مع من بداخل المدينة من الصليبيين تصرفاً كريماً.(٧٢)

واستعادت جيوش المسلمين بقيادة صلاح الدين مدينة القدس من الصليبيين يوم ٢٧ رجب ٥٨٣هـ/ تشرين الأول ١١٨٧م. ومرة أخرى تقيد المسلمون بتعاليم عقيدتهم التي تأمر بالرحمة والتسامح وتحرم قتل غير المحاربين والنساء والأطفال والشيوخ وهذا ما تشهد به المصادر المسيحية واليهودية علاوة على الإسلامية /العربية، والتي سنقدم أمثلة تشهد بانّ صلاح الدين بدلاً من أن يذبح الصليبيين الذين ارتكبوا المجازر بحق المسلمين، فقد ضرب رقماً قياسياً في التسامح. ويصف المؤلف الغربي رنسيمان الفرق بين معاملة صلاح الدين للمدنيين من الإفرنج، ومعاملة الإفرنج للمسلمين فيقول:

"الواقع أن المسلمين الظافرين اشتهروا بالاستقامة والإنسانية، فبينما الفرنج منذ ثمانٍ وثمانين سنة يخوضون في دماء ضحاياهم، لم تتعرض دار من الدور للنهب، ولم يحل بأحد من الأشخاص مكروه. إذ صار رجال الشرطة بناء على أوامر صلاح الدين يطوفون بالشوارع والأبواب يمنعون كل اعتداء يقع على المسيحيين.(٧٣) ويصف مؤرخ أمريكي تسامح صلاح الدين بقوله: "نادراً ما سجل التاريخ أن قائداً قام بالرد الفوري على همجية الصليبيين، برد أنبل، وأكثر إذلالاً للصليبيين، من صلاح الدين الذي تحلى بضبط النفس"(٧٤) وتعترف المصادر الإسرائيلية بأن صلاح الدين سمح لليهود بالعودة إلى القدس بعد أن كان الصليبيون قد منعوهم من السكن فيها.(٧٥)

ويقارن مسئول الصليب الأحمر الدولي "بكتيت" (Pictet) بين تسامح صلاح الدين المسلم وبين جرائم الصليبيين فيقول:

عندما دخلت جيوش صلاح الدين القدس لم يقتلوا أيا من سكانها، ولم يسيئوا معاملة أحد من أهلها. ولكي يتأكد صلاح الدين من ذلك فقد عيّن دوريات لحماية المسيحيين...وقد أرسل طبيبه الخاص لعلاج ريكاردوس قلب الأسد أثناء مرضه...وفيما بعد رد ريكاردوس على صنيع صلاح الدين بأن ذبح بدم بارد (٢٧٠٠) من المسلمين.(٧٦)

وأشاد الناشط اليساري الإسرائيلي" لطيف دوري" بإنسانية صلاح الدين وانتقد طغيان الصليبيين فقال:"كان لصلاح الدين نظرة إنسانية متقدمة ليس فقط لليهود ولكن لكل الطوائف غير الإسلامية التي كانت تعيش في القدس" وأمام الأوضاع المعقدة والدموية التي تعيشها فلسطين والقدس يرى دوري، بأنه لا بد من انتظار قدوم صلاح الدين جديد. (٧٧)

٣-٤-٦- حملة نابليون- الحملة الصليبية السادسة على فلسطين والمشرق ١٢١٣هـ - ١٢١٦هـ ، ١٧٩٨م – ١٨٠١م

بعد الحروب الصليبية الخمس الأولى، شنت الدول الغربية الإستعمارية حروباً صليبية عديدة على المشرق، وينحصر اهتمامنا هنا على تلك الحروب

التي كان لها ارتباط مباشر مع فلسطين. ولذلك لن نتعرض هنا إلى احتلال الغرب للبلدان العربية والإسلامية في القارة الإفريقية، ولا لفرض نفوذها على الجزيرة العربية والخليج العربي. ويعرف الفريق سعد الدين الشاذلي المقصود بتعبير "الصليبيين" وأهداف الحروف الصليبية فيقول:

" فالصليبيون إذن من وجهة نظر المؤمنين، هو تعبير لا يعني كل المسيحيين... بل يعني فريقاً منهم... هذا الفريق الذي يعتدي على ديار المسلمين من أجل أن ينهب أموالهم... ومن أجل أن يستعمر أرضهم... ومن أجل أن يفتنهم في دينهم، فيدعوهم إلى اعتناق دين غير دينهم... أو أن يدفعهم إلى نبذ تطبيق الشريعة الإسلامية، فيفرغ الدين الإسلامي من مضمونه. ولذلك فإن مفهومنا للحرب الصليبية "هي كل حرب تشنها دولة نصرانية ضد دولة أو مجتمع مسلم، ويكون من أهدافها تنصير هذا المجتمع، أو تغريبه، أو اقتطاعه أو عزله أو فصم الروابط بينه وبين باقي الأمة الإسلامية، أو ترسيخ التجزئة السياسية والاقتصادية التي فرضتها الدول الصليبية على الأمة الإسلامية في أزمنة سابقة"(٧٨)

وبناءً على ما تقدم، فحملة نابليون على مصر وفلسطين، واحتلال بريطانيا وفرنسا لفلسطين والشام والعراق في أعقاب الحرب العالمية الأولى هي حروب صليبية. ووعد بلفور هو وعد استعماري صليبي لإسرائيل بشن حرب صليبية عام ١٩٤٨، على شعب فلسطين، ولتحقيق الأهداف الصليبية حسب تعريف الشاذلي المذكور أعلاه. والحرب العدوانية على غزة ومصر التي شنتها بريطانيا وفرنسا وإسرائيل عام ١٩٥٦ هي حرب صليبية، وحرب إسرائيل ضد لبنان عام ١٩٨٢ التي دعمتها قوات المارينز الأمريكية والفرنسية هي حرب صليبية وحروب أمريكا في أفغانستان والعراق هي أيضاً حروب صليبية، لأنها شنت باسم الدين، أو العدالة ، أو الديمقرطية، بينما كان الدافع الحقيقي وراءها هو الربح والسيطرة على المواقع الاستراتيجية.

أ- **مبررات الحملة:** الغزاة المصابون بحب السيطرة والاستعمار كانوا يختلقون الأعذار الكثيرة لتبرير غزوهم. وهكذا، ادعى نابليون أنه "ما جاء إلا لوضع مصر في مصاف الدول المتقدمة، ولكي يقضي على المماليك الذين أذلوا أهل البلاد، واستولوا على خيراتها"(٧٩) كما ادعى نابليون أيضاً أنّ سبب حملته على مصر يتمثل في سوء إدارة المماليك في مصر كانت تُعرِّض للحظر ممتلكات المواطنين الفرنسيين، كما ادعى أن سبب حملته على فلسطين هو إهانة حاكم عكا لمبعوثه الذي عرض عليه إقامة علاقات حسنة وتجارية بين الطرفين.(٨٠)

وعلاوة على ما تقدم، فعندما تقدم الوزير الفرنسي"تاليران" **بمشروع** غزو مصر قال:"كانت مصر مقاطعة في الجمهورية الرومانية، **فيجب أن** تصبح للجمهورية الفرنسية.(٨١) وهكذا تعددت أعذار نابليون، **ولكنها كانت** كاذبة ولم تستطع حجب الحقيقة.

ب- الأهداف الحقيقة لحملة نابليون كانت استعمارية صليبية

تؤكد المصادر العديدة الموثوقة أن حملة نابليون على مصر وفلسطين تعدّ بداية للصراع الاستعماري الأوروبي لاحتلال الوطن العربي في أعقاب الثورة الصناعية، وكان هدف فرنسا من تلك الحملة الاستيلاء على "منطقة ومواردها، وضرب تجارة بريطانيا في الهند.(٨٢) وأكد كثير من الكتاب والسياسيين، ومن ضمنهم"بريستا" سفير فرنسا في القسطنطينية أن الاستيلاء على مصر أمر لا مفر منه لخدمة المصالح الفرنسية"(٨٣)

ويورد الدكتور "عبد الغني" رئيس القسم الثقافي لجريدة الأهرام، شهادات كتاب فرنسيين معاصرين بأنّ حملة نابليون كانت صليبية فيقول:

"وتصل العنصرية إلى أقصاها حين يختلط استغلال الدين باختراع الأسطورة فحتى بعد رحيل بونابرت، يجيء العديد من الكتاب المؤرخين ليتحدثوا عن الحرب النابليونية في الشرق، فيرى أحدهم (عام ١٨٣٢) أنها تكاد تكون حرباً صليبية جديدة، إذ انه يقول عن أحد انتصارات الجيش الفرنسي في الشام "ستة آلاف فرنسي هزموا سبعة وعشرين ألف تركي! وفي هذا المكان نفسه، في الخامس من يوليو سنة ١١٨٧، هزم المسلمون "جي دي لوزينان"! يا له من ثائر!. وفي أحد ثورات المصريين على الفرنسيين يذكر نفس الكاتب أنّ نابليون كان في عكا، لماذا؟ يسأل ويجيب بلهجة عنصرية عالية "ليثأر لهزيمة الصليبيين في القرن الثاني عشر"(٨٤).

ج- الحملة لم تكن حضارية بل ارتكبت مجازر بشعة بحق الإنسانية

كان المستعمرون الغربيون يدعون أنهم يحكمون بلاداً أجنبية انطلاقاً من "المهمة الحضارية التي يجب أن يضطلع بها الرجل الغربي على أهل البلاد الأقل تحضراً"(٨٥) هذه هي ادعاءات المستعمرين الغربيين الكاذبة، أمّا الحقيقة فقد تمثلت في جرائم بشعة ارتكبها المحتلون الفرنسيون بحق الشعبين المصري والفلسطيني يوضحها الدكتور عبد الغني"، الذي ينقل ما ذكرته جريدة الحملة الفرنسية الرسمية بشان ما فعله الفرنسيون بالمجاهد السوري سليمان الحلبي الذي اغتال الجلاد الفرنسي كليبر فيقول:

"لقد اختارت اللجنة بالإجماع نوعاً من العذاب... ولهذا فقد حكمت على سليمان الحلبي بأن يُحرَق معصم يده اليمنى، ثم يُغرَس في

مؤخرته وتد ليخترق أمعاءه، ثم يُترك وحيداً وبه الوتد إلى أن تأتي الغربان والطيور الجارحة لتنهش جسده و... ويصف ضابط فرنسي شاهد عيان للأحداث كيف تم تنفيذ الحكم في المناضل العربي المسلم سليمان الحلبي الذي ترك بيته وأهله ليدافع عن كرامة العرب والمسلمين فقال الضابط بالحرف الواحد، مما هو مسجل في الوثائق الفرنسية: " يُطرَحَ أرضاً وشُقَّ شرجه وأُدْخِلَ فيه الخازوق وربطوا ساقيه وفخذيه ويديه وجسمه... وَدُفِعَ الخازوق... وهو ثابت...)(٨٦)

وبعد أن أكد "عبد الغني" قسوة حملة نابليون التي انتهكت الحرمات والبيوت والأعراض وسلبت الأملاك ودنست المقدسات، رغم ما كان نابليون يردده من بياناته المخادعة إلى الشعب المصري، أورد شهادات شهود عيان من وثائق الحملة الفرنسية وصفوا جرائم الفرنسيين وقال:

"إنهم شرعوا في خلع البوابات... هدموا الحارات والدروب والحمامات والمساجد والمزارات والتكايا.... ذبحوا الرجال والنساء والكبار والصغار، وحتى الأطفال عن بكرة أبيهم، وبعد نحو أربع ساعات هدأت ثورة جنودنا في النهاية...وحين رفضت قرية إمداد الفرنسيين بالبضائع ... ضرب أهلها بحد السيف... وأحرقت بالنار وذبح وأحرق... رجل وامرأة وطفل ليكونوا عبرة..." ويضيف سكرتير نابليون:" وكنت أتولى في مساء كل يوم كتابة الأوامر القاضية بإعدام اثني عشر سجيناً كل ليلة، وكانت جثث القتلى توضع في زكائب وتغرق في النيل، واستمر ذلك ليال عديدة ومنهم كثير من النساء ممن نفذ فيهن أحكام الإعدام الليلة....وفي رسالة الجندي الفرنسي"بروس" لأهله بشأن مذبحة الأسرى الذين استسلموا في يافا قال بالحرف الواحد: "صدرت التعليمات للجنود بألا يسرفوا بالذخيرة فبلغت بهم الوحشية أن أعملوا فيهم الطعن ...". وقد وجدنا بين الضحايا أطفالاً كثيرين تشبثوا وهم يموتون بآبائهم"(٨٧)

وفي كتابه" القانون الدولي الإنساني قال "بكتيه" "قلما كان هذا الفاتح الكبير يهتم بالجرحى. فهو يحتاج دوماً إلى اللحم الغض يغذي به طاحونته، طاحونة الجنود... وأمر نابليون ... أثناء حملته... بمنتهى الهدوء، بإعدام ٤،٠٠٠ جندي من جنود حامية يافا التركية بالبنادق والحراب، رغم أنهم استسلموا بناء على وعد بالإبقاء على حياتهم."(٨٨)

لقد اتضح مما تقدم مدى تجني الغرب على الحقيقة عندما ادعى بأنه جاء المشرق للعمل على تحضيره، كما اتضح أيضاً مدى الخطأ الذي يرتكبه

المثقفون العرب والمسلمون الذين انخدعوا بكلام الغرب المعسول، وبريق حضارته الهدامة، ونستذكر هنا كلمات الدكتور "عبد الغني" الذي يقول:
"إنه بدلاً من الشعارات البراقة التي تتشدق بها فرنسا لإغراقنا في ضياع جديد، فليقم علماؤها ومؤرخوها بحصر آلاف القتلى المصريين والفلسطينيين والأتراك الذي حصدهم رجال الحملة، ويحصوا عدد المدن والقرى والآثار الإسلامية التي هدموها وأحرقوها، وليحصوا عدد الآثار المصرية والقبطية والإسلامية وكل المخطوطات والنفائس التي نهبوها وأثروا بها متاحفهم ومكتباتهم.(٨٩)

د- علاقة نابليون باليهود:

كانت فرنسا أول من طرح بشكل جدي فكرة توطين اليهود في فلسطين ليعملوا وكيلاً لها في المشرق، حيث تؤكد المصادر أنّ "حكومة الإدارة الفرنسية أعدّت عام ١٧٩٨م خطة سرية لإقامة كومنولث (Commonwealth) يهودي في فلسطين حال نجاح الحملة الفرنسية في احتلال مصر والمشرق العربي "بما فيه فلسطين، وذلك مقابل تقديم الممولين اليهود قروضاً مالية للحكومة الفرنسية والمساهمة في تمويل الحملة الفرنسية"...الامبراطورة اوجيني- زوجة نابليون - شملت برعايتها لجنة تكونت في باريس من أجل تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين".(٩٠)

وعندما وطأت أقدام نابليون أرض فلسطين، بعد احتلاله مصر، وجه دعوة إلى يهود إفريقيا وآسيا، أن يسيروا تحت رايته، وينضموا إلى جيشه، ووعدهم بمنحهم الأرض المقدسة(فلسطين) ليقيموا لهم فيها دولة، تحت الحماية الفرنسية.(٩١)

٣-٤-٧- حرب محمد علي باشا في فلسطين وسوريا (١٨٣١-١٨٣٩) حرب صليبية الأهداف بأيدٍ إسلامية

تمهيد:

انتقل محمد علي من والٍ يعمل في خدمة السلطان العثماني إلى غازٍ احتل أراضيه.ولم يتم له ذلك بقوته الذاتية، بل بتعاونه وموالاته لفرنسا العدو اللدود للدولة العثمانية، التي احتلت مصر وفلسطين قبل ثلاثة عقود من حكمه، ورأت في غزو محمد علي لفلسطين استمراراً لغزوة نابليون؟ وبصفته والياً في دولة إسلامية لم يراع في حروبه قواعد الحرب في الإسلام، بل ارتكب جرائم أثناء تلك الحروب؟ وبدلاً من أن يعمل لصالح الشعب المصري الذي وقف إلى جانبه في صراعه مع المماليك، فقد أدار مصر بطريقة استأثر بمواردها. ورغم أن محمد علي ليس عربياً إنما مسلم ألباني، فلا يزال الغرب -والمصادر التي نقلت عنه- يردد بأن "محمد علي باشا كان رائد نهضة تحرر مصرية وعربية.

محمد علي ألباني المولد، جاء إلى مصر نائباً لرئيس كتيبة ألبانية أرسلتها الدولة العثمانية من ضمن جيش لطرد قوات نابليون الغازية من مصر. وقد قدّم محمد علي باشا وولده إبراهيم خدمات جليلة للدولة العثمانية وخاصة في معركة نافارين البحرية عام ١٨٢٦م في اليونان، وفي محاربة ثورة الوهابيين في السعودية، فوعده السلطان العثماني بمنحه سوريا مكافأة له على جهوده، لكن الوعد لم ينفذ،" فحقد محمد علي باشا على الدولة العثمانية وصمم على أخذ سوريا بالقوة". (٩٢)

وقد سعى المماليك الذين يتلقون الدعم المادي والأدبي من الإنجليز لنقل محمد علي من ولاية مصر، إلا أنّ زعماء الشعب المصري من المشايخ وعلى رأسهم عمر مكرم حصلوا على موافقة السلطان على إبقاء محمد علي باشا والياً على مصر عام عام١٨٠٥م. (٩٣)

وتبالغ مصادر عربية وغربية في تضخيم الجهود التي قام بها محمد علي في "بناء نهضة مصر الحديثة" في المجالات العسكرية والإدارية والاقتصادية والتعليمية. (٩٤)

وقد أثبت التاريخ أن تلك الجهود لم تهدف أصلاً خدمة الشعب المصري بل خدمة محمد علي ونظامه، فالجيش كان الهدف من إنشائه إقامة إمبراطورية لمحمد علي، وقد تسبب في القضاء على عشرات الآلاف من أبناء مصر، دون هدف سام، وخدم فرنسا التي ساعدت في بناء ذلك الجيش، والتي كانت تعمل على إضعاف الدولة العثمانية لتتمكن من الاستيلاء على ممتلكاتها.أما إدارة محمد علي الحديثة، فقد قصرت الوظائف العليا على عائلته والمقربين منه ، وهم الذين أيضاً احتكروا الاقتصاد، وحرموا الشعب المصري من حقه في اقتصاد بلده.أما التعليم فقد كان الهدف الأساسي منه إعداد كوادر الضباط والجنود، ولذلك تراجع بعد فشله في تحقيق هذا الهدف.

وكان محمد علي يدعي أنه جاء لإحداث نهضة وطنية عربية في المنطقة، الأمر الذي مكّنه من احتلال سوريا، دون مقاومة تذكر، ولكن بعد أن ضايق الأهالي في عدة مجالات، ثاروا ضده، فارتكب مجازر. وفي الحقيقة لم يكن محمد علي باشا عربياً، وإنما مسلم الباني، ولاه السلطان العثماني ولاية مصر، فتآمر مع فرنسا ضده. ولم يكن هدفه الحقيقي الوحدة العربية والتحرر العربي، وإنما هدف إلى تحقيق مآربه الشخصية.

أولاً: ملاحظات على حكم محمد علي باشا

أ- أعذار محمد علي لاحتلال ولاية الشام كانت كاذبة

استخدم محمد علي باشا النزاع القائم بينه وبين والي عكا بسبب ستة آلاف مصري الذين كانوا قد هربوا عام ١٨٣١ من التجنيد ولجأوا إلى فلسطين كذريعة للتمرد على الدولة العثمانية، واحتلال فلسطين وسوريا.(٩٥)

ولكن نوايا محمد للتوسع على حساب الدولة العثمانية التي ولته منصباً عالياً كانت قد ظهرت قبل عام ١٨٣١م. فقبل توفر هذا العذر الكاذب، وقبل أن يعده السلطان العثماني بفلسطين، كان محمد علي يطمع في تكوين إمبراطورية له ولأولاده من بعده، تضم فلسطين وسوريا والسودان. وكان يفصح عن أهدافه لحليفته فرنسا. وفي عام ١٨١٠ كتب قنصل فرنسا في مصر إلى بلاده قائلاً:" إن محمد علي طلب من السلطان ولاية الشام محتجاً بأنه في حاجة لطاقاتها البشرية والمادية لمعاونته على قتال الوهابيين" (٩٦)

وقد اتضحت أهداف محمد علي في تحدي السلطان العثماني عام ١٨٢٢ " عندما احتضن الأمير بشير الشهابي الذي فر من السلطان نتيجة ولائه لعبد الله باشا المخلوع من قبل السلطان... فأحسن لقاءه وأعلن تأييده له، فأرسل للسلطان كتاباً يقول فيه(إذا لم يرجع عبد الله باشا كما كان، يضطره الأمر إلى الخروج عن الطاعة..كما طلب من عبد الله باشا سراً أن يجهز له عشرة آلاف مقاتل لحماية ظهره وهو زاحف لتركيا."(٩٧) وفي حديث محمد علي مع الجنرال الفرنسي "بوابيه" عام ١٨٢٥ قال: أنه (سوف)... يضع يده على أراضي الشام ، ولن يقف ..إلا عند دجلة والفرات... و ... القطيف عند الخليج العربي (٩٨)

وكانت بريطانيا وفرنسا تتنافسان على التدخل في شؤون الدولة العثمانية واقتسام الولايات الناطقة بالعربية التابعة لها، وذلك عن طريق إيجاد أو خلق ركائز لهما من المسئولين والزعماء المحليين في تلك الولايات. .(٩٩)

ولكي يحقق إبراهيم باشا أطماعه في إمبراطورية خاصة به،احتلت القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا عام ١٨٣١م فلسطين بدون مقاومة تذكر، وتقدمت في سوريا والأراضي التركية وهزمت القوات العثمانية في معركة "نصيبين" عام ١٨٣٣، فاضطر السلطان العثماني إلى الارتماء في أحضان روسيا ، فأفزع التدخل الروسي بريطانيا وفرنسا. وثارت ثائرة بريطانيا التي خططت ، مع الدول الأخرى، لإخراج قوات إبراهيم باشا من الأراضي العثمانية .(١٠٠)

وقد عمل محمد علي باشا على تحديث الزراعة والتعليم والجيش ومجالات عديدة أخرى، ولكن تلك الخدمات لم تكن لمجرد حبه لمصر، ولا لوجه الله –تعالى- ولكن كان هدفه إعداد جيش قوي ليحقق به مكاسب شخصية له ولورثته، لا سيما وأنه كان يعرف مدى تدهور الأوضاع في الدولة العثمانية، وخاصة بعد غزوة نابليون عام ١٧٩٨.

ب- محمد علي باشا خان الدولة الإسلامية بالتآمر مع فرنسا

كان محمد علي كمسلم يعرف أنّ موالاةَ أعداء المسلمين حرام. فالقرآن الكريم يقول:"لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه" (آل

عمران :٢٨). و يقول: "بشر المنافقين بأنّ لهم عذاباً أليماً . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإنّ العزة لله جميعاً." (النساء: ١٣٨-؟؟) ورغم كل ما تقدم، فقد والى محمد علي فرنسا العدو اللدود للدولة العثمانية المسلمة، والتي شنت الحروب عليها.

وقد انشق محمد علي عن سيده السلطان الشرعي المسلم الذي ولاه مصر، في زمن وصل فيه تآمر الدول العظمى الصليبية ضد الدولة العثمانية ذروته، وقد حدث الانشقاق بالتخطيط والتآمر مع فرنسا، العدو اللدود للدولة العثمانية. وكانت فرنسا ترى أن محمد علي "نابليون آخر ظهر في بلاد المشرق، وأنّ تجربته لديها محل تقدير وإعجاب، لأنها شاركت في إنجاحها بإمداده بالخبراء لتدريب جيشه ، واستقبال البعثات العلمية من أبناء مصر"(١٠١)

ولكي يستطيع محمد علي تحقيق طموحاته بضم سوريا إليه، عمد إلى التآمر مع الدول الغربية لتحقيق أهدافه.. وبعد أن فشلت فرنسا في احتلال مصر وفلسطين، شرعت في إقامة تعاون بينها وبين محمد علي باشا والي مصر، وساعدته في تحديث الجيش المصري ووسائل الزراعة، في كافة الميادين. (١٠٢)

وتؤكد المصادر أن محمد علي باشا كان على علاقة وطيدة مع فرنسا، وتقول :

> كان لحملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨، أكبر الأثر في وصول محمد علي باشا إلى حكم مصر،...إذ لعبت الأحداث التي نجمت عن تلك الحملة، دورا مهماً في تهيئة الظروف المناسبة لذلك الوصول...واقترحت فرنسا على محمد علي عام ١٨٢٩-قبل احتلالها للجزائر- أن يقوم بحملة للتوسع في المغرب العربي(طرابلس وتونس والجزائر) وتعهدت بتمويل تلك الحملة، وقد تبنى محمد علي تلك الفكرة وراح يعد جيشاً قوامه ٤٠،٠٠٠جندي...وقد طلب من فرنسا مساعدة مكونة من أربع سفن حربية، إلا أن فرنسا رفضت تلك الفكرة، وعرضت مشاركة الأسطول الفرنسي في تلك الحملة، فلم يوافق على ذلك الاقتراح.(١٠٣)

وحاول الفرنسيون إشراكه معهم في حملتهم على الجزائر عام ١٨٣٠، إلا أنه رفض.(١٠٤) وتؤكد المصادر التاريخية، أن رغبة محمد علي باشا في تكوين دولة له، ولورثته من بعده، على حساب الدولة العثمانية الإسلامية، قد جعلته يفتح الباب على مصراعيه أمام عدد كبير من المستشرقين والخبراء الأجانب في كافة الميادين ، وخاصة الفرنسيين، ليساعدوه في تحديث الجيش المصري.كما تؤكد تلك المصادر أنّ التعاون بين محمد علي باشا وولده إبراهيم من جهة، وفرنسا ، من جهة أخرى ، لم

يقف عند حد التدريب، بل كان ضمن جيشه في حملته على فلسطين ضباط فرنسيون مستشرقون، كان أحدهم يدعى الكولونيل " سيف"(Seve) الذي دعا نفسه " سليمان باشا الفرنساوي" والذي ساعده في إخماد ثورة القدس، وعيّنه حاكماً لمدينة الخليل .(١٠٥)

وهكذا، تطلبت مصلحة إبراهيم باشا الشخصية تعيين حاكم مسيحي فرنسي على مدينة خليل الرحمن العربية المسلمة، وتعاون مع فرنسا وهو يعرف أنها كانت قد اعتدت على الدولة العثمانية قبل فترة وجيزة عندما احتلت مصر وهاجمت فلسطين.ومن الأدلة على أنّ محمد علي باشا كان يتآمر مع فرنسا، ويعد العدة على الدولة الإسلامية التي ولته منصبا رفيعا أنه استقدم ضباطاً فرنسيين لتدريب جيشه، كان على رأسهم "الكولونيل سيف"(Seve) ، وأنهى تدريب الجيش عام ١٨٢٤، أي قبل حربه التي شنها على فلسطين وسوريا بسبع سنين(١٠٦) ورغم معرفة محمد علي باشا بالنوايا التي تبيتها الدول الأوروبية للدولة العثمانية، فقد اعتمد على خبراء أوروبيين في تدريب الجيش، وفي المعاهد والمصانع... واستشرق بعضهم. (١٠٧)

وتؤكد مصادر عديدة علاقة فرنسا بحملة محمد علي باشا وولده إبراهيم على فلسطين وسوريا، وأن تلك الحملة تمت بتشجيع من فرنسا، وأنّ الفتح المصري قد أرضى فرنسا التي كانت تقف وراء محمد علي، وتؤيده بالخبراء والدعم،وتحاول الاستفادة من هذا الفتح في إقامة قواعد مستقرّة لنفوذها القديم لدى الطوائف المسيحية في سوريا ولبنان". (١٠٨)

ج- لم يراع محمد على باشا النواحي الإنسانية في حروبه، بل ارتكب جرائم بشعة

- عندما أرسل جيشه للقضاء على تمرد الوهابيين في نجد على السلطان عام ١٨١٦م حولت جيوشه " واحات تلك المناطق إلى صحراء جرداء، بعد أن قطعوا أشجار النخيل التي تعتبر ثروة البلاد الأولى، وأحرقوا البيوت ودمروا آبار المياه، وشنوا حرب إبادة ضد سكان المنطقة... وكانت الممارسات اللاإنسانية التي قام بها جنود محمد علي قد تركت آثاراً سيئة في نفوس سكان البلاد(١٠٩)
- فاخر بممارساته غير الإنسانية في مدينة الكرك وقال:"وحرقنا مدينة الكرك بالنار" وقطعنا أشجارها حتى لا يعود أحد يسكنها، وكذلك القرايا (القرى) التي في أطراف الكرك أعطيناهم تربيتهم"(١١٠)

- عندما ثارت الخليل وذبحت حاميتها المصرية وعدد رجالها مئتا جندي، ولوت الثوار الذين فروا إليها من نابلس، حاصرها إبراهيم باشا، وذبح ستمائة من رجالها، وأباحها لجنوده الذين نهبوا كل شيء، حتى ذهب النساء، وأرزاق الحرم الإبراهيمي الخليل، وباعوا ما نهبوه إلى اليهود الذين يسكنون مدينة الخليل بسعر رخيص جداً، وألقى القبض على مئة وعشرين ولداً من ابن ثماني سنوات إلى ابن اثنتي عشرة سنة(من أبناء الخليل) وأرسلوهم إلى مصر ولم (يبق) في الخليل "غير العاجز والاختيار... ثم دخل إبراهيم باشا الخليل، دخول الظافر المنتصر، في ٢٩ ربيع الأول من عام ١٢٥٠هـ". (١١١)

ثانيًا: سلبيات إدارة محمد علي

١ ـ الاستيلاء على أراضي الأوقاف

بدأ منذ عام ١٨٠٩م "باستملاك أراضي الأوقاف، مما " أثار عليه تذمّر علماء الدين المشايخ الذين كانوا من أهم العوامل التي أوصلته إلى الحكم. ونظراً لأنه كان لا تهمّه إلا مصلحته في الدرجة الأولى ، فقد عمل على إبعاد الزعماء وعلماء الدين من القاهرة ، وكان بينهم عمر مكرم. " (١١٢)

٢- احتكار الوظائف والصادرات والواردات وتوزيع الأراضي على أفراد أسرته

طبّق محمد علي على الفلاحين" نظام الاحتكار الزراعي .. حدد أنواع المزروعات.. وكان يقوم بشراء المحاصيل بالسعر الذي يحدده هو....معظم الوظائف والمناصب العليا ظلت في أيدي...المقربين من محمد علي، فحققت حكومة محمد علي الكثير من الفوائد المالية على حساب الفلاحين الفقراء... وسمح بتوزيع مساحات شاسعة من الأراضي على أفراد أسرته ... وكبار قادة الجيش... وأصبحت حكومة محمد علي بوساطته المصدر الوحيد للبضائع المصرية، والمستورد الوحيد لاحتياجات السوق المحلي في مصر (١١٣)

وتابع أولاده وأحفاده سياسة التبعية للغرب، واحتكار موارد مصر ورهنها للغرب،فقام ولده محمد سعيد (١٨٥٤-١٨٦٣) بمنح فرنسا مشروع قناة السويس ، وفي عهد إسماعيل باشا (١٨٦٣-١٩٧٩) بيعت حصة الحكومة المصرية في أسهم قناة السويس إلى بريطانيا. (١١٤)

٣- المبالغة في الجزية والتجنيد وتجريد المواطنين من السلاح

فرض إبراهيم باشا بن محمد علي باشا ضريبة "الرأس" أو الجزية على الأشخاص المسلمين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٦-٦٠ سنة، وقد "طالت

هذه الضريبة الكبرياء الدينية للمسلمين، فقد حصلت منهم لأول مرة" .(١١٥) وجرّد السكان من السلاح بالقوة، وذلك كوسيلة لمنعهم من مقاومة التجنيد والضريبة، ولأن " ضرب الجزية ... والتجنيد الإجباري، ونزع السلاح، كلها صدرت دفعة واحدة، فكانت النتيجة أن ثار الأهالي، وأحدثوا فتنة تفاقم أمرها، وامتد لهيبها في طول البلاد وعرضها." (١١٦) ومن أجل تحقيق مآربه الشخصية بالغ محمد علي باشا في فرض الضرائب على المصريين، كما فرض التجنيد الإجباري الذي "أفقدهم عدداً من أبنائهم، فرحل الكثيرون منهم إلى فلسطين وسوريا. (١١٧)

٤- صبغ التعليم بالصبغة العسكرية

رغم أن إدارة محمد علي قدمت التعليم والمسكن والملبس والغذاء للطلبة مجاناً، إلا أن "المدارس لم تستمر طويلاً، لعدم رغبة الأهالي إرسال أولادهم إليها،لاعتبارهم إياها نوعاً من التعليم العسكري،لأن نظام محمد علي كان يصطبغ بالصبغة العسكرية، إذ سار على نهج نابليون في فرنسا، فكان الطلبة يرتدون البزة العسكرية ويخضعون لنظام عسكري، لذا نجد هذه المدارس تتراجع بعد تراجع دور محمد علي العسكري إثر معاهدة لندن عام ١٨٤١".(١١٨)

٥- إدارة البلاد بطريقة ميكافيلية

ومما زاد الطين بلة، فقد كانت إدارة إبراهيم باشا ميكافيلية، حيث استعان برجال الدين ضد المماليك. ولكنه قام بإسكات المقاومة الدينية لحكمه في مصر" التي كانت تعارض تعاونه مع فرنسا الصليبية ضد الدولة الإسلامية العثمانية. (١١٩)

٦- التدخل في الشؤون المحلية للسكان

تدخّل إبراهيم باشا، تدخلاً مباشراً في الشؤون المحلية للسكان، بشكل لم يعرفوه في ظل الدولة العثمانية. (١٢٠)

إنّ هذه السلبيات والسياسات المركزية لم ترق للشعب الذي اعتاد على الحكم العثماني الذي كان قليل التدخل في شؤون الأهالي، ولذلك اندلعت الثورة ضد إبراهيم باشا عام ١٨٣٤م الذي لم يواجه مقاومة جدية من الأهالي في البداية، لأنهم لم يعرفوا حقيقة نواياه.

ثالثاً: نتائج حملة محمد علي وولده إبراهيم على فلسطين

١- أعطت هزيمة العثمانيين على يد إبراهيم باشا الدول الأوروبية فرصة للتدخل في شؤون الدولة العثمانية، ويذكر كارمل بهذا الصدد:

"أصيب العثمانيون بهزيمة تامة عام ١٨٣٩م، لدرجة أن الإمبراطورية العثمانية أصبحت على حافة الانهيار ... ولم يحدث منذ الحروب الصليبية أن حصلت أوروبا المسيحية على فرصة أفضل لكي تفرض حكمها على البلاد المقدسة، لقد قامت أربع دول أوروبية عظمى بإنقاذ الدولة العثمانية وهي على حافة الهاوية، وأعادت إلى السلطان مناطق كانت قد اعتبرت بأنها غير قابلة للاسترجاع ونتيجة لذلك، اعتبر الأوروبيون أن فلسطين ستكون ثمناً معقولاً يدفعه العثمانيون مقابل الخدمات التي أسداها الأوروبيون لهم" .(١٢١)

٢- فتح القنصليات الأجنبية التي كانت تشجع هجرة اليهود إلى فلسطين
ساعد احتلال مصر لفلسطين الدول الأوروبية على تأسيس قناصل لها، داخل الإمبراطورية العثمانية، وفي القدس بشكل خاص .(١٢٢) فقد سمح إبراهيم باشا لأول مرة بفتح قنصليات أجنبية في فلسطين، بعد معارضة طويلة من قبل رجال الدين المسلمين.(١٢٣) وقد كانت هذه القنصليات تتجسس على الدولة العثمانية وتعمل على تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين. ومنح السلطان العثماني "دولة فرنسا لقاء تخليها عن محمد علي باشا،حق حماية المسيحيين، فأصبح قناصلها (وقناصل بريطانيا) يتدخلون في الصغيرة والكبيرة في سوريا. (١٢٤)

٣- وجد اليهود فرصة لهم للمطالبة بفلسطين، ففي أعقاب الاحتلال المصري، جاء في مقال لكاتب صهيوني في جريدة التايمز (Times) في ٢٦ آب ١٨٤٠ بأن " الهدف من إعادة اليهود إلى فلسطين هو إيجاد حل لمشكلة سوريا واحتلالها من قبل إبراهيم باشا.(١٢٥)

٤- وفي أثناء الاحتلال المصري لفلسطين،حاولت بريطانيا استغلال الوضع لصالحها، فاقترحت إقامة رابطة بريطانية يهودية في فلسطين، بحجة أنّ ذلك سوف يساعد العثمانيين الذين تدعمهم بريطانيا، ضد المصريين الذين تدعمهم فرنسا إلا أنّ السلطان العثماني رفض الاقتراح.(١٢٦) وفي رسالة "بالمرستون" وزير خارجية بريطانيا إلى سفير بلاده لدى الآستانة طلب منه إقناع السلطان بتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين لأنّ ذلك يحول دون مخططات محمد علي الشيطانية. (١٢٧)

٥- وأثناء المداولات بين الدول العظمى لحل مشكلة الاحتلال المصري لسوريا وفلسطين أرسل اللورد أشلي (Ashly) مذكرة إلى وزير الخارجية البريطانية بالمرستون دعا فيها الدول العظمى إلى استعمار فلسطين من قبل اليهود لأن من شأن ذلك أن يثير الحماس التجاري لكل من يسعى للحصول على النقود في العالم. (١٢٨)

٦-ويذكر المؤرخ البريطاني كيرك(Kirk) أن السلطان عبد المجيد أصدر مرسوم "خط شريف كولخانة" (الذي أعطى الأجانب حقوقاً في الدولة العثمانية لاستجداء دعم الدول الأوروبية ضد محمد علي باشا لإخراجه من الشام ". (١٢٩)

٧- قبيل الحملة المصرية على فلسطين احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠، وأثناء تلك الحملة احتلت بريطانيا عدن عام ١٨٣٩، وشرعت الدولتان في بسط نفوذهما على الوطن العربي في إفريقيا(١٣٠)

٨- على النقيض من الدولة العثمانية التي حرصت على صهر القومية العربية في بوتقة العقيدة الإسلامية، فقد قام محمد علي وولده إبراهيم باشا "أثناء سعيهم لتحقيق طموحاتهم الشخصية، بتشجيع القومية العربية كوسيلة لسلخ الشرق الأوسط الناطق بالعربية عن تركيا " رغم أنهم ألبان مسلمون وليسوا عرباً.(١٣١)

وقد نما الشعور القومي العربي في مرحلة لاحقة،واستغلته الدول الاستعمارية الغربية لحث العرب على الانفصال عن الدولة العثمانية التي وحدتهم وحمتهم قروناً عديدة. وهكذا استغل محمد علي القومية على الرغم من أنه وابنه لم يكونا عربا.وكان إبراهيم باشا يجيب من ينكر عليه عروبته بقوله:" أنا لست تركياً، فإني جئت إلى مصر صبياً، ومنذ ذلك الحين قد مصّرتني شمسها وجعلتني عربيا"(١٣٢)

هوامش الفصل الثالث

١	Bat yoar, "The Thimmi. Jews and Christians Under Islam "(London :Associated University Press, 1985)p.(68) Richard Allen, 'Imperialism and Nationalism in the fertile crescent .sources and prospects of Arab Israeli conflict, '(new York: Oxford University Press, 1974) pp.(44-46) .
٢	Jacob R. Marcus." The Jew in the Medieval World. A Source Book 315-179". (New York: Atheneum, 1969) pp. (20-22)
٣	هاني أبو الرب، "تاريخ فلسطين في صدر الإسلام". ص(٤٩) (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٢) ص(٤٩) . إسرائيل ولفنسون ،"تاريخ اليهود في بلاد العرب" (القاهرة:لجنة التأليف والترجمة والنشر،١٩٢٧) ص(، ٨٦-٨٧، ٢٢ ، ٢٣ ، ٥٥) . انظر أيضا: Heinrich Graetz, "History of the Jews"(Philadelphia: The Jewish Publication Society of America,1894) vol .3,p.(61).

	D.S. Margrliouth," The Relation between Arabs and Israelites prior **to the rise** of Islam " (London: Humphrey Milford, oxford **university** press, (924) p. (60).
٤	ابن هشام المعا فري، " السيرة النبوية " (القاهرة:مكتبة مصطفى ألبابي الحلبي، ١٩٥٥) **الجزء الثاني**، ط١، ص (١-٥)
٥	إسرائيل ولفنسون، ص (١١٥).
٦	Mark R. Cohen, Under the Crescent and the Cross. The Jews in the Middle East"(New Jersey,Princeton: Priceton University Press, p. (55)
٧	Moshe Gill," The Constitution of Medina: A Reconsideration" Israel Oriental Studies, IV. Tel –Aviv University,1974. pp.(44-60). W. Baron,"A Social, Religious History of the Jews," (Frankfort a.m. klostermanann, 1957)p.(160) . Max I. Margolis and Alexander Marx "History of the Jewish People " (New York: Meridian Books &The Jewish Publication Society of America , 1966 p. (251).
٨	المباركفوري " صفي الرحمن المباركفوري " الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية"(مكة:رابطة العالم الإسلامي، ١٤١١ ه-١٩٩١م) ص(٢٢)
٩	Margoliouth, op. cit. p.(2).
١٠	Margoliouth, op. cit. p. (44).
١١	عمر فروخ،"العرب في حضارتهم وثقافتهم"(بيروت: دار العلم للملايين،١٩٦٦) ص(٦٣). صفي الدين المباركفوري، ص (٢٦٢-٢٦٤) Graets, History of Jews , vol. 3.p.(77)
١٢	عمر فروخ ، مصدر سبق ذكوة ، ص (٦٦-٦٧) إسرائيل ولفنسون، مصدر سبق ذكره، ص (١٦٢) صفي الدين المباركفوري، مصدر سبق ذكره، ص (٣٣٨، ٣٥١) ابن هشام، ح٣، مصدر سبق ذكره، ص (١٢٧) محمود شاكر، " موسوعة تاريخ اليهود " (عمان: دار اسامة للنشر، ٢٠٠٢) ص(١٩٢) Greatz ,op. cit .pp.(79-80).
١٣	عباس العقاد، " عبقرية محمد " (بيروت: المكتب المصرية) ص (٨٥)
١٤	محمود شاكر، "موسوعة تاريخ اليهود " (عمان:دار سامة، ٢٠٠٢) ص(٢٠١) نقلا عن: بودلي، "حياة محمد " ص (٢٥٩)
١٥	محمود شاكر، المصدر نفسه، ص(٢٠١) نقلا عن "ايرفنج"، "حياة محمد " (القاهرة:دار المعارف، ص (١٩٥).
١٦	إسرائيل ولفنسون، المقدمة ص (٢٢)
١٧	خلقي خنفر، " الحضارة الإسلامية" (الخليل: جامعة الخليل، ١٩٩١) ص(٥٣٠)
١٨	سيدة إسماعيل الكاشف، "مصر الإسلامية وأهل الذمة"(القاهرة: الهيئة المصرية العامة،١٩٩٣) ص(٩)
١٩	خلقي خنفر، ص(٥٣٠)
٢٩	أ.س. ترتون،"أهل الذمة في الإسلام"(القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧) ص (١٣٥). ترجمة حسن حبشي.
٢١	صحيح البخاري، الجزء السادس، ص(٢٥٣٣) / رقم (٦٥١٦)
٢٢	محمد سعيد طنطاوي، شيخ الجامع الأزهر، "بنو إسرائيل في القرآن والسنة" (القاهرة: دار الشروق، -١٩٦٨) ص(٢١٥)
٢٣٠	يوسف القرضاوي،"غير المسلمين في المجتمع الإسلامي"(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣) ص

(٩-١٠، ٣١)	
خلقي خنفر، ص(٥٣٧)	٢٤
Norman A. Stillman,"The Jews of Arab Lands. A History and a Source Book"(Philadelphia: The Jewish Publication Society of America,1979) 4pp.(025-26).	٢٥
Mark R.Cohen, "Under Crescent and Cross. The Jews in the Middle Ages" (Princeton- New Jersey: Princeton University Press, 1994) p. (57). Bernard Lewis, "The Jews of Islam"(Princiton: Princiton University Press,1984) p.(25).	٢٦
سيدة إسماعيل كاشف،"محرر" الإسلامية وأهل الذمة" (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢) ص(٤١،٤٤) أنظر أيضا: ترتون، ص(٥١) Bernard Lewis, "The Jews of Islam" op.cit. pp.(24-25,57).	٢٧
Leon Polikov, "History of Anti-Semitism" (London: Routledge and Kegan Paul, 1979) vol. II, pp.(34-35). Bat Yoer, op.cit., p.(68). مصطفى مراد (الدباغ) "بلادنا فلسطين" (القسم الأول ، الجزء الأول) ص(٦٦٥) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، ص(٢٤١-٢٤٢)	٢٨
Bernard Lewis," The Jews of Islam" op.cit. , p. (26) Mark R. Cohen, "Under Crescent and Cross" pp. (52-55). Cecil Ruth, in Louis Franklestein," The Jews in History (New York: Schoren,197) p.(225). Bat Yoer, op. cit., p.(68). Israel Pocket History, op. cit., p.(132). Bernard Lewis, et. Al ."Encyclopedia of Islam" (Leiden: E.J. brill, 1978) vol. II, pp .(227). (1031) ترتون، "أهل الذمة في الإسلام"(القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧)، ص(٢٦٦) حسن الزين، "أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي "(بيروت: د.ن، ١٩٨٢) ص(٨٢) فيليب حتي، "تاريخ سوريا وفلسطين"الجزء الثاني، ص(٣٠٦)	٢٩
Cecil Ruth, "The European Age in Jewish History " in , Louis Franklestein (editor)"The Jews in History"(New York: Schocken, 1970) pp.(225,232).	٣٠
مصطفى مراد الدباغ،"بلادنا فلسطين"القسم الثاني المجلد الثاني، ص (٢٤١-٢٤٢)	٣١
احمد شلبي، "مقارنة الأديان" (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦) الإسلام، الجزء الثالث، ص(١٦٧)	٣٢
شلبي، مصدر سبق ذكره، مقارنة الأديان ج ٣ ص(١٦٧) قاسم عبده قاسم، "أهل الذمة في مصر في العصور الوسطي"، دراسة وثائقية "(القاهرة، ١٩٧٧)، ص(٢٨) سيد سابق، " فقه السنة " (القاهرة: مكتبة دار التراث، د.ن.د. ت)، الجزء الثاني، ص(٦٦٦)	٣٣
ادم متز"الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري" (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٧) (بيروت: دار الكتاب العربي) ١٩٦٧) ص(٩٦). ترجمة عن الألمانية محمد عبد الهادي أبو ريدة.	٣٤
Amnon Cohen op. cit. p. (20).	٣٥
راشد الغنوشي، "حقوق المواطنة. حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي"( ) ص(١٠٢) أنظر أيضا: د.خلقي خنفر، "الحضارة الإسلامية" (الخليل، جامعة الخليل،١٩٩١) ص(٥٣٦).	٣٦
د. يوسف القرضاوي، ص(٣٣)	٣٧
Salahhuddin Khuda Baksh and D. S. Margolouth, "The	٣٨

renaissance of Islam"(atna: The Jubilee Printing and Publication House, 1937) Translated by Metz , from German. p.(45, 96) Amnon Cohen, op. cit. p. (20). قاسم عبده قاسم ، "أهل الذمة في مصر"، ص(٤٠)	
ابن قيم الجوزية، "أحكام أهل الذمة" (بيروت: دار العلم للملايين....)، القسم الأول، حققه: الدكتور صبحي الصالح. ص(٩٠-٩٣)	٣٩
سيد سابق، "فقه السنة"، الجزء الثاني ص(٦٦٤)	٤٠
Encyclopedia Judaic, Jerusalem: Keter Publishing House, 1971vol. 8 , p(661). Stillman, op. cit, p.(26) S. Landshut, "Jewish Communities in the Moslem Countries" (London: he Jewish Chronicle,) pp.(8). Salahhuddin Khuda Baksh and D. S. Margolouth, "The renaissance of Islam" p.(42).	٤١
Jacob Marcus," The Jews in Medieval world" p.(13). David Berger, (editor) "A History of Hate " p.(80). Cohen, "Under Crescent and Cross" p.(55) Encyclopedia of Islam, vol. II, p.(227). C. E. Bosworth, "The Concept of Dhimma in Early Islam" in Braude and Lewis," Christians and Jews in the Ottoman Empire" p.(48) and vol. p.(6). Bernard Lewis, "The Jews of Islam" pp.(30-31). ترتون، ص(٢٧٥، ٢٧٨) قاسم عبده قاسم "أهل الذمة في مصر"، ص(٩٨) سيدة إسماعيل كاشف، ص(١٥٦-١٥٧)	٤٢
ترتون، ص(٤٦)	٤٣
Amnon Cohen ,op. cit p.(73).	٤٤
خلقي خنفر، "تاريخ الحضارة الإسلامية"(جامعة الخليل، ١٩٩١) ص(٥٣٨)	٤٥
شاحاك، ص(١٤١)، احمد سوسة، "العرب واليهود في التاريخ"ص (٣٢٧)	٤٦
فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنات وفلسطين ، ج٢، ص (١٧)	٤٧
Edward J. Bying "The World of the Arabs "(Boston :little brown and co. , 1944)pp. (144-145). Universal Jewish Encyclopedia , (New York: Universal Jewish Encyclopedia Co.) vol. 5 pp. (612,615), S. Land shut ,op. cit, p. (5). Philip Hitti , " history of Arabs, p. (143) حتي، "تاريخ سوريا" ، مصدر سبق ذكره ، ج٢ ، ص (١٧)	٤٨
شلبي، ص (١٩٢)	٤٩
المعلومات مقتبسة باختصار عن: السيد سابق، " فقه السنة " (القاهرة: مكتبة دار التراث، د.ت.د. ت) الجزء الثالث، ص (١٥- ٢٠) إلا إذا ذكر غير ذلك. انظر أيضا: السيد سابق، " فقه السنة " (المجلد الثالث)، ص (٦١٧).	٥٠
عبد القديم زلوم، " نظام الحكم في الإسلام " كتاب موسع مبني على كتاب " تقي الدين نبهاني، منشورات حزب التحرير." (بيروت : دار الأمة للطباعة والنشر ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) ص (١٦٩ – ١٧٠)	٥١
السيد سابق،"فقه السنة "(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) الجزء الثاني ص(٦١٤-٦١٥)	٥٢
السيد السابق، "فقه السنة " المجلد الثاني، ص (٦٤٤)	٥٣

٥٤	طارق السويدان، "فلسطين... التاريخ المصور"(نابلس:مكتبة دار الأعلام، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ص(٨٣)
٥٥	المصدر نفسه (ص ٨٣-٨٥)
٥٦	Yadh ben Ashoor "Islam and International Humanitarian Law". Extracts from International Review of the Red Cross. April- March 1980. p.(11).
٥٧	عثمان التكروري، الأستاذ عمر ياسين، "الضفة الغربية وقانون الاحتلال الحزبي" (القدس: نقابة المحامين الفلسطينيين، ١٩٨٦) ص(١٧)
٥٨	A. S. Tritton. The Caliphs p.(19) S. Landshutt: "Jewish Communities in the Muslim Countries of the Middle East" (London: The Jewish Chronicle, 1950) p.(7) G. Kirk, :A Short History of the Middle East" New York: Fredrick A Preager, Publishers,1959), p.(16), Stillman, pp.(26-27) قاسم عبده قاسم ، "أهل الذمة"، ص(٣٩) ميخائيل هرسيغور، موريس سترون، "الواقع. ما وراء الأساطير" (رام الله: مشاعل للصحافة والدراسات، ٢٠٠٠) ص(١٠٢)
٥٩	ستانيسلاف أ. نهليك، "عرض موجز للقانون الدولي الإنساني" الترجمة العربية لمقال نشر في "المجلة الدولية للصليب الأحمر، تموز / أب ١٩٨٤ ص(١٣)
٦٠	فيدريك دي مولينان، "قانون الحرب والقوات المسلحة" (جنيف: معهد هنري دونان، ١٩٨٤، ص(١٣)
٦١	إحسان القدامي، أثر الثقافة والأخلاق والدين في القانون الدولي الإنساني". المجلة الدولية للصليب الأحمر ٢٠٠٤/٩/١٤ موقع www.icrc.org
٦٢	الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، ص(٣٦٥).
٦٣	سليم عرفات المبيض،"غزة وقضاؤها"(القاهرة: الهيئة العربية العامة للكتاب، ١٩٨٧) ص(١٩٧)
٦٤	جان بكتيه،"القانون الدولي الإنساني، تطوره ومبادئه" (جنيف: معهد هنري دونان،١٩٨٤) ص(١٧)
٦٥	Israel Pocket History ,p.(20).
٦٦	جوزيف نسيم يوسف، "دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى" (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨) ص(١٤٤).
٦٧	علي سعود عطية،"تاريخ الحروب الصليبية"(القدس: جامعة القدس المفتوحة، ٢٠٠٤) ص(١٩).
٦٨	James Parkes,"The Jew in the Medieval Community" (New York Hermon Press, 1976) p.(58).
٦٩	مصطفى مراد الدباغ،"بلادنا فلسطين ، الجزء التاسع" (كفر قرع: دار الهدى، ٢٠٠٣). نقلاً عن: ستيفن رنسيان،"تاريخ الحروب الصليبية "(بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٩) الجزء الأول، ص(٤٠٠-٤٠٣)
٧٠	بيان نويهض الحوت،"فلسطين" نقلاً عن : غوستاف لوبون"حضارة العرب"(القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٥) ص(٣٥٣-٣٥٤) ترجمة محمد عادل إزعيتر. Raimundus de Agiles "Historia Francorum qui Ceperuntris",1884).
٧١	State of Israel Facts op cit p.(38)
٧٠	جان بكتيه،"القانون الدولي الإنساني، تطوره ومبادئه" (جنيف: معهد هنري دونان،١٩٨٤) ص(٢٩-٣٠)
٧٢	علي سعود عطية،"تاريخ الحروب الصليبية"(القدس:جامعة القدس المفتوحة، ٢٠٠٤)

	ص(١٩٠)
٧٣	مصطفى الدباغ، "بلادنا فلسطين. الجزء التاسع" (كفر قرع: دار الهدى، ٢٠٠٣) ص(٢٠٠). فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص(٢٣٨)
٧٤	Edward T. Bying, "The World of the Arabs"(Boston: Little Brown and Company, 1944) p.(182)
٧٥	E. Ashtor Straus "Jerusalem , Saladdin and the Jews". The Hebrew Union College Annual و Vol. xxvii (1956) p.(324).
٧٦	جان بكتيه،"القانون الدولي الإنساني، تطوره ومبادئه" (جنيف: معهد هنري دونان،١٩٨٤) ص(٢٩-٣٠)
٧٧	الحياة الجديدة ١١-٩-٢٠٠٥
٧٨	سعد الدين الشاذلي ،"الحرب الصليبية الثامنة". تدمير أكبر وأقوى جيش بناه المسلمون منذ ظهور الإسلام" (دار الحكمة، ١٩٩١) ص(٤٥٧-٤٥٨).
٧٩	مصطفى عبد الغني: "لا حقيقة بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية" (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ومركز الحضارة العربية، ٢٠٠١) ص(٢٦)
٨٠	Carl Brokleman, "History of Islamic peoples" (London: Rotledge and Kegan Paul, 1959) p.(348) عبد الكريم رافق،"الموسوعة الفلسطينية، القسم ٢/ مجلد ٢، ص(٧٢١)
٨١	مصطفى عبد الغني، ص(٩٦).
٨٢	عبد الكريم رافق، "الموسوعة الفلسطينية.القسم الثاني، المجلد الثاني" ص(٧١٩) Denis Richard, "Modern Europe 1789-1945) (London: Longmans Green and Company, 1945) pp(40-41).
٨٣	مصطفى عبد الغني، حقيقة الغرب بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية" (القاهرة :- الهيئة المصرية العامة للكتاب ومركز الحضارة العربية) ص(٢٠٠)
٨٤	عبد الغني، ص(٢٠٠)، ص (٧٤-٧٥)
٨٥	عبد الغني ، ص(٦٨)
٨٦	عبد الغني، ص(٢٠٠) ، ص(١٢)
٨٧	عبد الغني ، ص(١٤٦،١٤٥،١١٢) وكان نابليون يهدف إلى الاستعمار والتوسع وجني الأرباح، بغض النظر عن القيم، والأخلاق ، والرحمة.
٨٨	جان بكتيه،"القانون الدولي الإنساني، تطوره ومبادئه" (جنيف: معهد هنري دونان،١٩٨٤) ص(٢٩-٣٠)
٨٩	عبد الغني، ص(٢٠٠) ،ص(١٥١)
٩٠	عبد الغني، ص(١٢٣-١٢٤)
٩١	محمود النمورة، الجريمة غربية أمريكية وفلسطين الضحية(الخليل،مطبعة بابل الفنية،٢٠٠٢) ص(٨٣) Nahum Sokolow, "History of Zionism(1600-1918)),(Longman Green and Company, 1919) Vol. one p.(66) , vol. Two p.(202).
٩٢	إحسان النمر ،"تاريخ جبل نابلس والبلقاء "ج١ (د.ن.١٩٧٥) ص(٣٧٨)
٩٣	محمد عرابي نخلة ،"تاريخ العرب الحديث"(القدس: جامعة القدس المفتوحة،١٩٩٨) ص (١٦٧)
٩٤	نخلة، ص (١٨١ ، ١٩١)
٩٥	لوتسكي ، ب:" تاريخ الأقطار العربية "(بيروت : دار الفارابي ، ١٩٨٥) ص(١٢٥)
٩٦	سليم المبيض : "غزة وقضاؤها" ص (٣٤٢)
٩٧	سليم المبيض، غزة وقضاؤها ، ص (٣٤٢-٣٤٣) نقلا عن :عبد المنصف محمود،"الفاتح إبراهيم

	باشا"(القاهرة: ١٩٤٨) ص(١٤٥-١٤٦)
٩٨	نخلة، ص (١٦٩)
٩٩	نخلة، ص (١٩٨)
١٠٠	محمود النمورة ، (الفلسطينيون ومؤسسات الحكم المحلي"،١٩٩٤) ص (٥٩)
١٠١	نخلة، ص (١٩٦)
١٠٢	جورج كيرك :" موجز تاريخ الشرق الأوسط " (القاهرة: وزارة التربية والتعليم .د.ت) ص (١١٥-١٢٣). أنظر أيضا: النمورة، ص (٥٩) Brokelman, Op. cit. pp. (347-348).
١٠٣	نخلة، ص ١٥٧، ١٦٩
١٠٤	المصدر نفسه، أنظر أيضاً: لوتسكي، "تاريخ الأقطار العربية" (بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٥) ص (١٢٥)
١٠٥	محمود العابدي، "من تاريخنا" مصدر سبق ذكره، ص(٢٠٠-٢٠١) أنظر أيضا: علي حسن الخربوطلي، " المستشرقون والتاريخ الإسلامي"(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٨٩١) ص (٧٧١-٦٧١)
١٠٦	نخلة، ص ١٧٦
١٠٧	علي حسن الخربوطلي،"المستشرقون في التاريخ الإسلامي"(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨) ص (١٧٦-١٧٧)
١٠٨	الموسوعة الفلسطينية ـ القسم العام- المجلد الثاني مصدر سبق ذكره،ص(٢٨٣) ميخائيل هرسيغور، موريس سترون، "إسرائيل . فلسطين. الواقع ما وراء الأساطير" (رام الله: مشاعل للصحافة والدراسات،٢٠٠٠) ص (١٦٨)
١٠٩	نخلة، ص(١٩٨،١٨٦)
١١٠	النمر ، جـ ١، مصدر سبق ذكره ، ص(٣٣٢)
١١١	الدباغ، ص(١٢٤) انظر أيضاً:الموسوعة الفلسطينية، ص(٨٥٩). جبارة، ص(٥٢). العابدي، ص(٢٠٤).
١١٢	نخلة، ص(١٦٣-١٦٤)
١١٣	نخلة، ص (١٨١-١٨٤)
١١٤	Lexicon Universal Encyclopedia (Lexicon Publications, Inc,1988) p.(406).
١١٥	بازيلي،"سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين التاريخية والسياسية " ترجمة يسر جابر.(بيروت دار الحداثة، ١٩٨٨). ص(١٨١)
١١٦	الموسوعة الفلسطينية ،القسم الثاني ،المجلد الثاني (دمشق :هيئة الموسوعة الفلسطينية – ١٩٨٤) ص(٨٥٩) أنظر أيضا" مصطفى مراد الدباغ، ج١ قسم ٢ ص(٢٤). بيان الحوت، "فلسطين "، ص(٤١٦). إبراهيم خليل سكيك ،"غزه عبر التاريخ ، ج٣ ص(١٩)
١١٧	النمر، مصدر سبق ذكره ، ج١ ، ص (٣١٩)
١١٨	نحلة، ص (١٨١)
١١٩	BatYoer, "The Thimmi. Jews and Christians under Islam"(London and Toronto: Associated University Press, 1985) p. (100) Moshe Maoz, (editor) "Studies On Palestine During the Ottoman Period" (Jerusalem: The Hebrew University- Institute of Asian and African Studies, 1979) . P. (320).
١٢٠	سكيك، ج٣، ص(١٠٩)
١٢١	Alex Carmel, "A Note on The Christian Contribution to

	Palestine's Development" in David Kushner (edition) "Palestine In The Late Ottoman Period" (Jerusalem: Yad Izhak Ben-Zvi,1986) p. (30)
١٢٢	Ceasar Farah, in, David Kushner (edition) "Palestine In The Late Ottoman Period" (Jerusalem: Yad Izhak Ben-Zvi,1986) p. (321).
١٢٣	زكي حسن نسيبة، "اليهود في القدس العربية الاسلامية بعد الفتح العمري وحتى القرن التاسع عشر"، (د. ن . ١٩٩٠)، ص(٥٠)
١٢٤	النمر ، مصدر سبق ذكره، ص(٣٤٥)
١٢٥	Sokolow op. Cit., Vol. II , pp. (236-237)
١٢٦	النمورة، ص(٥٩)
١٢٧	محمد عرابي نخلة ،"تاريخ العرب الحديث". (القدس: جامعة القدس المفتوحة،١٩٩٨). ص(١٩٦)
١٢٨	Sokolow, Vol. II, op. cit pp.(236-237).
١٢٩	عبد الكريم وافق، "العرب والعثمانيون"(عكا: مكتبة ومطبعة السروجي، ١٩٧٨) ص(٣٨٠-٣٨١).
١٣٠	رفيق شاكر النتشه، "الاستعمار وفلسطين.إسرائيل مشروع استعماري". (عمان: دار الجليل، ١٩٨٤)، ص (٥٩، ١٥٩)
١٣١	لوتسكي، ص (١٢٥)
١٣٢	أحمد إبراهيم خليل،"تاريخ الوطن العربي". (الموصل:١٩٨٣) ص (١٦١) نقلا عن محمد عرابي نخلة، "تاريخ العرب الحديث" (القدس: جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٨) ص(١٩٤)

الفصل الرابع

الفرق بين معاملة المسيحيين والمسلمين واليهود للأقليات التي يحكمونها

٤-١- حرية العبادة والاعتقاد.

٤-٢- الحق في الحياة.

٤-٣- الحق في ملكية الأرض والعقارات.

٤-٤- هدم البيوت والقرى .

٤-٥- الحق في السكن والتنقل والعودة بدون طرد أو جيتو.

٤-٦- الحق في المشاركة في الوظائف والاقتصاد دون تمييز.

٤-٧- شهادات عالمية بتفوق المسلمين على المسيحيين واليهود في مراعاتهم لحقوق الأقليات التي يحكمونها.

الفصل الرابع
الفرق بين معاملة المسيحيين والمسلمين واليهود للأقليات التي يحكمونها

تمهيد: سنقوم بتوضيح الفرق بين معاملة المسيحيين والمسلمين واليهود للأقليات التي يحكمونها عن طريق مناقشة حرية العبادة والاعتقاد، الحق في الحياة، الحق في ملكية الأرض، الحق في المسكن بدون هدم، والحق في حرية التنقل والإقامة دون إبعاد، والحق في العمل والمشاركة في النشاطات الاقتصادية. ولا يمكننا هنا القيام بدراسة شاملة لجميع هذه البنود، ولكن سنكتفي بإيراد أدلة موثقة توضح الطريقة التي عوملت بها الأقليات من قبل المسيحيين والمسلمين واليهود. وسنبدأ بالناحية الأيديولوجية والنظرية، ثم نتبعها بالناحية العملية، وشهادات المختصين في هذا الشأن.

٤-١- حرية العبادة والاعتقاد

٤-١-١- حرية العبادة والاعتقاد لليهود في أوروبا

في كثير من الأوقات، كان للعبيد في بعض مناطق أوروبا حقوق أكثر مما لليهود الذين أصبحوا في العصور الوسطى مملوكين ملكية خاصة كاملة للأمراء والبارونات، بحيث" إذا هرب يهودي من سيّده إلى منطقة بارون آخر، فيمكن لسيده أن يلقي القبض عليه عن طريق القانون كما لو كان عبده الخاص. ففي القرنين الثاني عشر والثالث عشر فرضت الكنيسة العبودية بلا رحمة على اليهود."كانت هناك عهود أو مواثيق بين اليهود والملوك لحمايتهم، مقابل قيام اليهود بدفع مبالغ كبيرة. وقد ورد في بعض العهود الملكية لفظ "يهود خزينتنا".. وحتى يحظى اليهود في أوروبا بالحماية، أصبح اليهود يعتمدون اعتماداً كلياً على الملوك والأمراء، وأصبح لهؤلاء حقوق ملكية على اليهود."(أي أصبح اليهود ملكية خاصة للملوك والأمراء يستطيعون بيعهم كما يشاءون.) ويضيف "كوهين"(Mark R.Cohen): "كان اليهود متاعاً أو أموالاً منقولة يملكها الملك." (١)

وقد لحقت باليهود أضرار من جراء تحالفهم مع الملوك بحيث "أصبح اليهود والدولة شركاء في عمل ويتقاسمون الدخل وعملوا قناة تُبتَزّ الأموالُ عبرها من السكان المسيحيين لتصل إلى خزينة الدولة. وأدّت وظيفة اليهود هذه إلى أن يصبحوا مكروهين من المواطنين (المسيحيين)..وكثيراً ما أدّت تلك الكراهية إلى قيام الملوك باضطهاد اليهود كوسيلة للحصول على رضا الجماهير المسيحية."(٢)

وأكره الغرب اليهود على اعتناق الديانة المسيحية، في أكثر من بلد، وفرض الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول (٣٠٦-٣٧٧) التنصر على اليهود. وفي عام ٥٣٥م حوّلت المعابد اليهودية إلى كنائس مسيحية.(٣) ومنع الإمبراطور الروماني هرقل (٦١٠-٦٤٠) ممارسة الديانة اليهودية منعاً باتاً، وخير ملوك فرنسا و ملوك إسبانية (٥٨٦-٦٠١) اليهود بين اعتناق المسيحية أو الطرد من البلاد. (٤)

وتدخّل البابا في الديانة اليهودية، كما أمر ملوك فرنسا بحرق الكتاب الديني اليهودي" التلمود" في الأعوام ١١٨٣ و ١٢٤٢، وأجبر لويس التاسع ملك فرنسا اليهود على اعتناق الديانة المسيحية. واضطهد اليهود في بريطانيا، وفي عام ١٢٨٢ صودرت أماكن العبادة اليهودية للمرة الثانية.(٥)

٤-١-٢- حرية العبادة والاعتقاد لليهود والمسيحيين في ظل الإسلام

وبينما كانت عهود المسيحيين لليهود تقوم على المنفعة والمصلحة، وتعتمد على مزاج الملك أو الأمير،(٦) كانت عهود المسلمين لليهود والمسيحيين – الذمة- ينظمها قانون إلهي لا يستطيع المسلمون حكاماً وأفراداً أن يخالفوه. ونتج عن ذلك استقرار العلاقة بين اليهود والمسلمين في الدولة الإسلامية، وأصبح وضع اليهود في ظل الإسلام أفضل من وضعهم في ظل المسيحية. وهو الأمر الذي يقره، ويشهد به، مختصون يهود وغربيون وعرب وإسرائيليون، منهم ستلمان(**Stillman**)، و"لاندشت **Landshut**" ، وحتي، وبيرنارد لويس "**Lewis**" الذين يؤكدون أن المسلمين لم يكرهوا غيرهم على إتباع دينهم.(٧)

و لم يتدخل المسلمون في حرية العبادة لأهل الذمة، والشهادات التالية من مختصين غربيين وإسرائيليين تثبت ذلك. فيشهد برنارد لويس (**Bernard Lewis**) أن "اليهود تمتّعوا بممارسة ديانتهم بحرية، .. ولم يحدث قط أن أكرهوا على تحمّل عقوبة الاستشهاد (الإعدام) أو النفي بسبب معتقداتهم الدينية."(٨)

ويشهد ليون بولياكوف " **Leon poliakov**" أنه"طبقاً لتعاليم النبي محمد (ص) فقد أبدى الخلفاء الأوائل درجة كبيرة من التسامح الديني" (٩) و يشهد "ول ديورانت ' بتسامح الإسلام وأن المسيحيين .. واليهود كانوا" يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم."(١٠)

ويشهد المسئول البريطاني "فتزجرالد" " **Fitzgerald** " بأنه " لمدة ثلاثة عشر قرناً أظهر الحكام الجدد (المسلمون) تسامحاً دينياً لم يكن بمقدرة المسيحية الغربية أن تمارس مثله، أو أن تفهمه" (١١) وشهد المستشرق"أرنولد" بأننا " لم

نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصدِ منه استئصال الأديان الأخرى".(١٢)
ويشهد مؤرخ يهودي اشترك بضلع كبير في المؤامرة اليهودية البريطانية في تهويد فلسطين، وهو "ألبرت هيامسون"Hyamson" الذي عمل مديراً لدائرة أراضي فلسطين بأنه: " تحت حكم عمر وخلفائه المباشرين تمتعت الأرض ...، وتمتع سكانها دون تمييز ديني براحة كانت غريبة عنهما بصفة عامة بالأمن (الأرض والسكان) منذ قرون"(١٣)

٤-١-٣- حرية العبادة والاعتقاد للعرب تحت الحكم الإسرائيلي

لم تُبقِ إسرائيل حقاً للعرب دون أن تنتهكه.فبعد أن اغتصبت وطنهم، اعتدت على جميع حقوقهم. وانتهكت حق العرب (مسلمين ومسيحيين) في حرية الاعتقاد وممارسة طقوس ديانتهم، و لم تراع إسرائيل حرمة المساجد والكنائس ولم تحترم حق العرب في ممارسة شعائرهم الدينية فيها. وسنكتفي بأمثلة فقط.

أ- أمثلة على ممارسات إسرائيل في الحرم الإبراهيمي الشريف في الخليل (١٤)

في ١٩٦٨/١/١١ فجَّر الجيش الإسرائيلي بالديناميت درج المسجد المؤدي للمدخل الرئيس.. ثم صادر منطقتي "اليعقوبية" و"الإبراهيمية" وقسَّم الحرم بين المسلمين واليهود وهكذا تحوّل قسم من الحرم الإبراهيمي الشريف إلى كنيس يهودي. وفي شهر ١٠/ ١٩٧٦م ضرب اليهود نائب مدير المسجد وحرّاسه، وهاجموا شيخاً أثناء تأديته الصلاة، كما مزّقوا نسخ القرآن الكريم. وأحرق اليهود غرفة رئيس حرس الحرم المسلم، وأتلفوا الأثاث، وسرقوا مخطوطات من الحرم. وصادر الجيش " عنبر" المسجد الذي تبلغ مساحته١٦٠م[٢] وحوّلوه إلى موقع عسكري دائم داخل الحرم. و في يوم ١٩٧٨/١٢/١٩م أطلق الجيش النار على المواطن إبراهيم كاتبه وجرحوه داخل الجرم. ويوم ١٩٧٨/١٢/٢٣م ضرب اليهود المصلين المسلمين ومنعوهم من دخول المسجد. وأطلق الجنود قنابل الغاز على المصلين. وفي كانون الثاني ١٩٩٠م أتلف المستوطنون نسخاً من القرآن الكريم ورسموا شعارات تهاجم النبي محمداً (ﷺ) على صفحات القرآن ورسموا نجمة داود على صفحات أخرى.
وفي ليلة ٢٥/٢/ ١٩٩٤ دخل المجرم الإسرائيلي من أصل أمريكي "باروخ جولدشتاين"، الحرم الإبراهيمي الشريف في مدينة الخليل، رغم حراسة الضباط والجنود، وذلك قبيل الفجر، في شهر رمضان المبارك، أثناء صلاة الصبح، وفاجأ المصلين الساجدين في صلاتهم في المسجد، من ورائهم وأطلق النار عليهم من رشاشه، فسقط داخل المسجد (٢٩) شهيداً و(٢٥٠) جريحاً. إضافة إلى (٢٢) شهيداً وأكثر من (١٠٠) جريح في المصادمات التي وقعت

في أعقاب الحادث في الأراضي الفلسطينية المحتلة. و منع الجيش الإسرائيلي النجدة، وقتل وجرح العرب، ومنع وأعاق سيارات الإسعاف من الوصول وإنقاذ الجرحى في الوقت المناسب. (١٤)

ب- بعض ممارسات إسرائيل في المسجد الأقصى المبارك في القدس (١٥)

(١)- في عام ١٩٦٩أشعل "ميشيل روهان" النار التي أتلفت أجزاء من الحرم، ومنبر صلاح الدين الأيوبي.وأدان مجلس الأمن الدولي إسرائيل في قراره رقم (١٩٦٩/٢٧١) واعتبر أن حرق وتدنيس الأماكن المقدسة تهدد السلام والأمن الدوليين، ولكن أمريكا امتنعت على التصويت على القرار لأنها لا توافق على إدانة إسرائيل مهما عملت. (٢)- صلى حاخامون وأعضاء كنيست ويهود آخرون في الحرم يومي ١٥-٨-١٩٦٧ و٨-٨-١٩٧٣. وسمح قاض إسرائيلي لليهود بالصلاة في الحرم عام ١٩٧٦، وجرت عدة محاولات لليهود المتطرفين للصلاة في الحرم. (٣)- يوم ١١-٤-١٩٨٢ اقتحم الجندي الإسرائيلي هاري "غولدمن" الحرم واستشهد مواطنان، وجرح (٦٠). ويوم ١٩٩٠/١٠/٨: ارتكبت القوات الإسرائيلية مجزرة في الحرم واستشهد (٢٤)، بينهم نساء وأولاد. وأصيب أكثر من (٢٠٠) فلسطيني بجروح.وأدان مجلس الأمن الدولي في قراره رقم(١٩٩٠/٦٧٢) قتل الفلسطينيين وأعرب عن ذعره بسبب العنف الذي حدث في المسجد الأقصى. وفي مذبحة نفق المسجد الأقصى - ١٥/٩/١٩٩٦: استشهد أكثر من سبعين فلسطينياً، وزاد عدد الجرحى عن الألف، وهو الأمر الذي دعا مجلس الأمن الدولي أن يعرب في قراره رقم (١٩٩٦/١٠٧٣) عن قلقه من أحداث المسجد الأقصى في القدس.وفي مذبحة المسجد الأقصى، يعد تدنيس شارون للمسجد يوم ٢٠٠٠/٩/٢٨ قتلت السلطات الإسرائيلية خلال يومي ٢٩-٢٠٠٠/٩/٣٠ (٢٣) فلسطينياً وجرحت ما يزيد على (٧٠٠)،وهو الأمر الذي أدى إلى تفجّر انتفاضة الأقصى.وقد أدان مجلس الأمن الدولي في قراره رقم (٢٠٠٠/١٣٢٢) أعمال إسرائيل في المسجد الأقصى، ولكن أمريكا كعادتها امتنعت عن التصويت على القرار.

ج-إسرائيل تهدم وتدنس الكنائس والمساجد وتجرّف المقابر (١٦)

لم تراع دولة إسرائيل ولا مواطنوها حرمة المقابر والكنائس والمساجد، واعتدت على كنائس في قريتي "إكرت" و"كفر وبرعم"، والمذابح التي ارتكبتها إسرائيل بحق المسلمين في مساجدهم، ومحاولة هدمها ووضع المتفجرات في مداخلها خير شاهد على ذلك. وفي كثير من "الأماكن تعرضت المقابر للنبش والتخريب، والمساجد تحولت إلى أوكار للدعارة.ومجمعات للنفايات. وتم نبش عظام الموتى في مقبرة "سلمة" على يد شركة "حلميش" الإسرائيلية، وأقيمت مزبلة ضخمة على مقبرة "خيرية" قضاء يافا. "

وكشف التقرير السنوي لجمعية "سيكوي" الإسرائيلية لتكافؤ الفرص أنّ:

١- أربعة مساجد إسلامية تقع في الخالصة -(التي تدعى اليوم كريات شمونة)- وصفد وبئر السبع وطبريا تستعملها إسرائيل كمتاحف ومعارض.
٢- أربعة مساجد أخرى - تقع في الزيب وقيسارية وعين هود(عين حوض) ومجدال دافيد - تم تحويلها إلى خمّارات وأماكن سياحية.
٣- ثلاثة مساجد أخرى تم تحويلها إلى حظائر للبقر ومخازن.
٤- مسجد عين كارم الذي يستعمل اليوم وكراً للأعمال الرذيلة. ومسجد عسقلان الذي حول إلى متحف ومطعم وخمارة. ومسجد الأحمر في صفد الذي أصبح ملتقى الفنانين وتم بداخله تصوير أفلام للعراة.

٥- قبورَ ومزارات إسلامية جرى تحويلها إلى أماكن مقدسة لليهود، ومن أمثلة ذلك: قبر "أبي هريرة" في "يبنة" تحول إلى قبر "أبي جملئيل"، وقبر "سكينة بنت الحسين" تحوّل إلى قبر "ليئة."

وتحولت مساجد "واد حنين"، يازور، صفد، العباسية، الطيرة إلى كنس يهودية. وبعضها تحول إلى اسطبلاتٍ ومقاهٍ. ودمرت إسرائيل مساجد وكنائس في القرى الفلسطينية التي دمرتها، وقدّر الشيخ رائد صلاح - رئيس بلديةأم الفحم ورئيس الحركة الإسلامية في فلسطين ١٩٤٨- عدد المساجد الإسلامية التي دمرتها الدولة اليهودية خلال ٥١ عاماً منذ إعلان تأسيسها بنحو (١٢٠٠) ألف ومئتي مسجد .و تصرّ إسرائيل على تحويل مسجد بئر السبع إلى متحف.وأفاد تقرير للأمم المتحدة أن الهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة في الأسابيع الستة الأولى من انتفاضة الأقصى أسفر عن تدمير (١٤)مسجداً بشكل كلي أو جزئي.

(http.//free sprrch.org/American state terrorism/ Palestine/ American Israel Terrorism. gtml)

د- إسرائيل تعرقل وصول الحجاج والمصلين المسلمين والمسيحيين إلى أماكنهم المقدسة

وتمنع إسرائيل سنوياً أعداداً من الحجاج المسلمين من تأدية فريضة الحج، كما تمنع المسلمين والمسيحيين من الوصول إلى أماكنهم المقدسة، وأداء شعائرهم الدينية خلافاً للقانون الدولي. كما تكررت عمليات تدنيس وتمزيق القرآن الكريم، بهدف جرح مشاعر المواطنين المسلمين.

٤-٢- الحق في الحياة

٤-٢-١- الحق في الحياة في أوروبا (١٧)

يسجل التاريخ أن حق اليهود في الحياة في العصور الوسطى و في القرن العشرين لم يُحترم في مناطق عديدة في أوروبا. وعلاوة على المذابح في ألمانيا النازية، ذُبح اليهود في بريطانيا في أربع مناطق خلال الفترة ١١٤٤-١١٨٨م.وفي عام ١٢٦٢م ذبح ٢٦٢يهودياً في مدينة لندن، ونهبت أموالهم. وفي فرنسا أحرق أربعون يهودياً على الأعمدة يوم ١١٧١/٥/٢٦م، وفي أثناء حكم لويس التاسع ذبح الصليبيون ثلاثة آلاف يهودي. وحصد الهجوم الذي شنه البابا "إنوسنت الثالث" (١٢٠٩-١٢٢٠) عدداً كبيراً من يهود فرنسا. وفي إسبانيا حدثت مذابح عامي ١٣٩١، ١٤٨١راح ضحيتها آلاف اليهود.

٤-٢-٢- الحق في الحياة في ظل الإسلام (١٨)

هناك آيات قرآنية وأحاديث نبوية حثت على عدم الاعتداء على حياة الإنسان مسلماً كان أم ذمياً، وسبقت الإشارة إليها. ويشهد العالم بأنّ الخليفة عمر بن الخطاب عندما فتح القدس حافظ على"أرواح وكنائس وممتلكات المسيحيين. ورغم أن الصليبيين فاخروا وتباهوا بأن خيولهم كانت تخوض حتى ركبها في دماء المسلمين واليهود في القدس، إلا أن القائد المسلم صلاح الدين عندما استردّ القدس، عفا عنهم ولم يسفك دمهم.

ويقارن مارك كوهين بين مذابح اليهود والمسلمين على يد المسيحيين في أوروبا فيقول: " كثير من المؤرخين يعتبرون حظّ يهود البلاد الإسلامية أفضل من حظّ يهود أوروبا المسيحية. فالمذابح ضدّ اليهود كانت أقلّ شيوعا في البلدان الإسلامية منها في البلدان المسيحية، وعمليات حرق اليهود الجماعية على الأعمدة (وهم أحياء) التي حدثت في عدة أنحاء من أوروبا، لم يعرف أنها حدثت في العالم الإسلامي".

٤-٢-٣- إسرائيل واليهود وحقّ العرب في الحياة

أ- حمّموا الفتاة العربية وجزّوا شعرها وأغتصبوها قبل قتلها

هذا ليس عنواناً لفلم ولا مسلسل تلفزيوني، وإنما جريمة حقيقية بشعة من جرائم الصهيونية بحق شعب فلسطين. وقد أوردتها صحيفة هآرتس الإسرائيلية في ملحقها الأسبوعي يوم١-٧-٢٠٠٥، وأشار إليها "بن غوريون" في مذكراته. فبعد احتلال إسرائيل لأراضي النقب،

قامت وحدة من الجيش الإسرائيلي بقتل رجل عربي من النقب واختطاف ابنته الصبية التي عمرها (١٥) سنة، واقتادتها إلى قاعدة عسكرية، حيث أمر القائد الجنود بأن يعرّوا الصبية من ملابسها، وأن يجزوا شعرها، وأن يأخذوها كما ولدتها أمها تحت صنبور ماء في الساحة المكشوفة أمام الجنود، ثم يحمموها. وبعد ذلك أدخلوها في كوخ مهجور وتناوب الجنود على اغتصابها، وهي تصرخ حتى أغمي عليها. وعندما حاولت الهرب في اليوم التالي، حفر الجنود حفرة عمقها ٣٠ سنتيمترا، وأطلقوا النار عليها، ثم دفنوها في الحفرة.(١٩)

ب-إسرائيل تقتل الإنسان العربي وتعذبه عن طريق القرعة

ولم تكن هذه الحادثة عملاً شاذاً، بل هي تأتي ضمن منهجية القتل التي يشتهر بها "الشعب المختار" والسادية التي تتلذذ بتعذيب غيرها. ومن الأمثلة العديدة على براعة الصهاينة في ابتكار فنون جديدة للتعذيب والقتل بطريقة "الديمقراطية" الإسرائيلية هي اختطاف الصبية العرب من الشوارع، وإجراء "قرعة" يسحب فيها الشاب الفلسطيني ورقة من بين أوراق تحمل شكل التعذيب الواجب تنفيذه بحقه ومن أمثلة المكتوب في تلك الأوراق التي يحملها الجنود الإسرائيليون: أن يكسروا ذراع الصبي بضربها بالبندقية والذراع مثبتة على الصخر، أو أن يُلقى به على الأرض من السيارة العسكرية التي تسير بسرعة كبيرة. وهذا ما حدث مع الشاب "عمران أبو حمدية" عمره ١٧ سنة، من الخليل الذي جاءت قرعته بأن يضرب ضرباً مبرحاً، ثم يُرمى من السيارة وهي مسرعة، وتم تنفيذ الحكم بحقه، فأصيب بكسور في جمجمته وعظامه، وظل في حالة غيبوبة إلى أن استشهد. http://jerusalem-usconsulate.gov/hr2004html)

(الشرق الأوسط الأربعاء ٨-١-٢٠٠٣)http://www.asharqalawsat.com

ج- قتل الشيوخ والنساء والأطفال والحيوانات والنباتات:

والعرض التالي يثبت أن قتل الصهاينة للعرب ليس أمراً عارضاً، ولا يشترط أن تقتضيه ضرورة أمنية أو عسكرية، وإنما هو أيديولوجية ناتجة عن معتقدات عنصرية باسم الدين. وتؤمن إسرائيل بأيديولوجية القتل من منطلقات دينية وعنصرية، و تأمر التوراة بقتل الأطفال والنساء والشيوخ والبهائم والشجر." (٢٠)

وفي أثناء الحرب توصي التوراة الجندي :"لا تدع شيئاً يتنفس حياً". ويدعو التلمود – مجموعة القوانين والتعاليم اليهودية – إلى القتل حيث أنه يدعو اليهودي"أن يقتل جميع غير اليهود، لأنه بفعله هذا، يقدم تضحية " قرباناً لله"(٢١) وصرح حاخام مستوطنة قريات أربع التي اغتصبت أراضي مدينة

الخليل"دوف ليئور" أنه في ظل القتال" مسموح للجيش الإسرائيلي أن يمس بالمدنيين الأبرياء .. وأنه لا حاجة لرحمة المدنيين من غير اليهود"(٢٢)

وفي حرب عام ١٩٧٣، وزعت قيادة الجيش الإسرائيلي منشوراً على الجنود يلزمهم بناء على تعليمات "الهالاخا "(الشريعة اليهودية) بقتل المدنيين العرب الأحياء أثناء المعركة".(٢٣) والهالاخاه كلمة عبرية تشير في الأصل إلى " القانون الذي أعطي لموسى (عليه السلام) على جبل سيناء .. (أي) إلى النظام القانوني للشريعة اليهودية ، وعلى هذا فإنّ الهالاخاه هي القوانين الدينية اليهودية التي ترشد اليهود على المستوى الشخصي أو الاجتماعي أو القومي أو العالمي ". وصرح الرابي عوفيديا يوسف زعيم حركة شاس الأصولية عام ٢٠٠١ أن على إسرائيل أن " تضرب العرب بالصواريخ المرة تلو المرة،."(٢٤)

وانطلاقاً من هذه الأيدلوجية اليهودية التي تأمر بقتل النساء والأطفال والحيوانات، والشجر ارتكبت إسرائيل مذابح ومجازر بحق الفلسطينيين، وحيواناتهم وبساتينهم وكرومهم. وقال الكاتب اليهودي الأمريكي "نورمان فنكلشتين" "**Norman Finklestein**"، اعتماداً على أرشيف الجيش الإسرائيلي أن إسرائيل ارتكبت في حرب عام ١٩٤٨ أعمالاً تُعرّف بأنها"جرائم حرب مثل القتل والمذابح و الاغتصاب (هتك العرض) ويضيف "أوري ميلشتين" " **Uri Milstein**" المؤرخ الموثوق به لحرب عام ١٩٤٨ أنّ "كل مناوشة انتهت بمذبحة للعرب".(٢٥)

ومن الأدلة على أن إسرائيل تشجع الإسرائيليين على قتل المدنيين الفلسطينيين أن القاضي الإسرائيلي "نيتسا شسوا"(**Nitsa Shiswa**) حكم على مستوطن إسرائيلي قتل فلسطينياً ببقائه في منزله لمدة أسبوع، أما رجال المقاومة الفلسطينية الذين يقتلون جندياً محتلاً فيحكم عليهم بالسجن لأكثر من مئة عام، ويعذبون ويحجزون في زنازين بشكل منفرد، بعد هدم بيوتهم وحرق محتوياتها، وترك أهلها في العراء. وحكمت محكمة إسرائيلية على أربعة جنود قتلوا فلسطينياً مدنياً بريئا بالسجن لمدة سنة.(٢٦) ومن المؤكد أن يتم العفو عنهم قبل انتهاء مدة حكمهم، كما حدث مع الكثيرين أمثالهم.

د- قتل الأسرى العزل من السلاح بعد أن يستسلموا

وتقتل إسرائيل الأسرى العزل من السلاح،وعلى سبيل المثال، فقد أصدر مركز "بيتسيلم"الإسرائيلي لحقوق الإنسان بياناً أكد فيه أن الجيش الإسرائيلي قتل الأسير الجريح محمد اكميل من قرية "رابا -جنين"، رغم أنه كان مطروحاً على الأرض وينزف ولا سلاح معه، وذكر تقرير وزارة الأسرى الفلسطينية أن إسرائيل قتلت أكثر من (٤٥)أسيراً فلسطينياً أثناء انتفاضة الأقصى من ٢٠٠٠/٩/٢٨ وحتى٢٠٠٤/١١/٢٨ (٢٧)

وقد شاهد العالم، من خلال البث الحي، كيف قتل الجيش الإسرائيلي الطفل محمد الدرة وهو يحاول الاحتماء في حضن والده من وابل الرصاص الذي أطلق نحوه. كما قتل ضابط إسرائيلي الطفلة إيمان الهمص، بأن أفرغ رصاصات مخزن رشاشه في جسدها، ثم أمر جنوده بقتل أي إنسان يتحرك قرب المنطقة، حتى لو كان طفلاً عمره ثلاث سنوات. (٢٨) واعترف الجيش الإسرائيلي في أحد تقاريره أنه قتل خلال عام (٢٠٠٤) ١١٩ مدنياً فلسطينياً أعزلاً، بينهم عدد من المارة الذين لم يكونوا طرفاً في النزاع.(٢٩)

هـ- قتل الطواقم الطبية والاعتداء على سيارات الإسعاف والمستشفيات

وبعد أن جربت إسرائيل التي تدعي "الديمقراطية !" جميع فنون القتل؛ بالرشاشات عيار ٥٠٠، والمدافع والصواريخ والقذائف زنة طن التي أسقطتها على مخيمات اللاجئين، ذات البيوت الهشة، لتقتل الشيوخ والنساء والأطفال وهم نيام، وتخلط جثثهم ودماءهم بالردم، فطنت أن تزيد في تفعيل عملية القتل، وتمنع سيارات الإسعاف من نقل الجرحى للمستشفيات عن طريق تجريف الشوارع والطرق، ووضع حواجز من الصخور والركام في طريق سيارات الإسعاف.ولما لاحظت أنّ طواقم الإسعاف الفلسطينية كانت تتخطى تلك الحواجز عبر الجبال والممرات الوعرة، انتهكت إسرائيل جميع بنود القانون الدولي الإنساني، وصارت تطلق النار على سيارات الإسعاف العربية، أو تعيق وصولها إلى المستشفى، وقد وثقت جمعيات حقوق الإنسان الإسرائيلية والعربية والدولية حالات كثيرة بهذا الشأن، نقتبس أمثلة منها.

فقد جاء في تقرير المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان عن الفترة من بداية أيلول لعام ٢٠٠٠ وحتى ١٢-١١-٢٠٠٠ أن الجيش الإسرائيلي منع سيارات الإسعاف من الوصول إلى مواقع الاشتباكات مما تسبب في استشهاد الكثيرين. وعلى سبيل المثال يذكر د. جوهر الصايج مدير الخدمات الطبية الفلسطينية في رام الله أن ثلاثة فلسطينيين استشهدوا بسبب منع سيارات الإسعاف، وفي حالات أخرى استهدف الجيش الإسرائيلي الأشخاص الذين ساعدوا على نقل الجرحى بشكل مباشر، رغم الزي والإشارات الطبية المميزة. ومن أمثلة ذلك استشهاد بسام البلبيسي في غزة بينما كان في سيارة الإسعاف يحاول الاقتراب من الطفل الشهيد محمد الدرة، ووالده الجريح، كما استشهد المسعف أمجد عبد الله دراغمة من طوباس أثناء قيامه بعملية إسعاف ضمن الطواقم الطبية في نابلس بتاريخ٣٠-٩-٢٠٠٠ واستشهد المسعف محمد توفيق من مخيم طولكرم أثناء قيامه بإسعاف الجرحى في نابلس بتاريخ ٣٠-٩- ٢٠٠٠.

و ذكر تقرير جمعية القانون- الجمعية الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان والبيئة-القدس-جريدة الأيام ١٦-٨-٢٠٠٥- عن الفترة من بداية أيلول لعام

٢٠٠٠ وحتى نهاية كانون بتاريخ٩-٣-٢٠٠٢أنّ:" الجيش الإسرائيلي حاصر مستشفى اليمامة في بيت لحم يوم ٨-٣-٢٠٠٢ لمدة عشر ساعات، وفي أعقاب ذلك استطاع الصليب الأحمر الدولي في القدس وبيت لحم عمل ترتيب مع الجيش الإسرائيلي لتسهيل وصول الدكتور أحمد عثمان الخضري مدير المستشفى المذكور ليقوم بواجبه الإنساني، وبعد أن تلقى الدكتور رسالة الصليب الأحمر بموافقة الجيش الإسرائيلي الذي يحاصر المنطقة على السماح بوصوله للمستشفي الذي يبعد حوالي ٥٠ متراً عن منزله وهو يلبس قميصاً أبيض دون جكيت. وسرعان ما أطلقت دبابة إسرائيلية ثلاث طلقات على الدكتور الخضري من رشاش عيار ٥٠٠ من مسافة قريبة، فاستشهد.علماً بأن هذا ليس حادثاً فريداً من نوعه، فخلال أسبوعين قتلت إسرائيل ١٢ فلسطينيا يعملون في سيارات الإسعاف والطواقم الطبية. وقد قام الجيش الإسرائيلي بإعاقة سيارات الإسعاف التي تنقل الجرحى، واعتدى على الأطباء والطواقم الطبية، وهاجموا المؤسسات الطبية.(204 Mid-East Realties).

وذكرت جريدة الحياة في عددها الصادر بتاريخ ٧-٩-٢٠٠٤أن إسرائيل قامت منذ بداية انتفاضة الأقصى حتى تاريخه ب (٣٤٥) اعتداء على المستشفيات والمراكز الطبية الفلسطينية.

و- إسرائيل ترتكب جرائم حرب بحق الفلسطينيين

وجاء في تقرير المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان -جريدة الأيام ١٦-٨-٢٠٠٥- عن الفترة من بداية أيلول لعام ٢٠٠٠ وحتى نهاية كانون أول لعام ٢٠٠٤، أنّ إسرائيل ارتكبت جرائم حرب حيث قتلت ١٩ وجرحت ٢٠٠ من الطواقم الطبية الفلسطينية، ليرتفع عدد المصابين من تلك الطواقم من بداية انتفاضة الأقصى يوم ٢٠-٩-٢٠٠٠وحتى نهاية كانون أول لعام ٢٠٠٤ حوالي ٤٥٠ شخصاً، كما تعرضت ٣٨ سيارة إسعاف للتدمير، فيما تعرضت أكثر من ١٣٢ عربة إلى أضرار جسيمة من جراء تعرضها لإطلاق النار وشظايا القذائف وتضررت العديد من المستشفيات والعيادات الطبية."

وأدانت منظمة أمنستي انتهاك إسرائيل للقانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان، في الأراضي الفلسطينية المحتلة والتي.شملت عمليات القتل غير المشروع، والإعدام خارج نطاق القانون، والتعذيب،ThePanama News.com . http://web.amnesty.org، كما أدانت "بتسيلم" قيام إسرائيل بقتل المدنيين الفلسطينيين، وأشارت إلى أن إسرائيل قتلت منذ بدء الانتفاضة في ٢٠٠/٩/٢٨ وحتى٢٠/١٠/٢٠٠٤ (١،٦٥٦) مدنياً فلسطينياً، كان من ضمنهم (٥٢٩) قاصراً. (٣٠)

ز- إسرائيل تتسبّب في قتل الحوامل والمواليد:

وكثيراً ما يمنع الجيش الحوامل اللواتي في طريقهن للولادة من الوصول للمستشفى، وهو الأمر الذي أدى إلى وفاة الأم أثناء وضع مولودها دون عناية على الحواجز في الحر والبرد، فتموت الأم أو المولود، وربما كلاهما.

ح- أمثلة على المجازر التي ارتكبتها إسرائيل بحق عرب فلسطين

مذبحة دير ياسين- ١٩٤٨/٤/٩م: استشهد فيها (٢٥٠) مواطناً مجزرة اللد: ١٩٤٨/٧/١٢م، استشهد فيها (٢٥٠) مواطناً. **مذبحة الدوايمة- ١٩٤٨/١٠/٢٤** ذبح الجيش الإسرائيلي ليلاً أهلها وألقى بجثث الأطفال والنساء والكهول في أحد آبار القرية. **مذبحة قبية**: ليلة ١٩٥٣/١٠/٥م: استشهد (٦٧) أغلبهم تحت الردم بعد نسف بيوتهم وهم نائمون. **مذبحة كفر قاسم - ١٩٥٦/١٠/٢٩**: استشهد ٤٩. **مذبحة جامعة الخليل** هاجم ستة يهود مسلحين بالرشاشات، يوم ١٩٨٣/٩/٢٢م، جامعة الخليل مما أدى إلى استشهاد ثلاثة طلاب وجرح (٣٨). **مذابح المسجد الأقصى** يوم ١٩٩٠/١٠/٨، ويوم ١٩٩٦/٩/١٥ و يوم ٢٠٠٠/٩/٢٨ التي تسببت في اندلاع انتفاضة الأقصى العظيمة، والتي كانت أول حرب تتكبد فيها إسرائيل خسائر فادحة،وتمتد لأكثر من خمس سنوات، خلافاً لحروبها السابقة والخاطفة مع العرب. وفي الغارات الإسرائيلية على مدينة رفح في قطاع غزة المحتل استشهد خلال أسبوع واحد (٦٢) فلسطينيا، وجرح (٢٨٠) نصفهم كانوا من الأطفال. وفي **مذبحة دير ياسين** يروي الضابط الإسرائيلي "شاي" أن عائلات قتلت بأكملها، نساءً وشيوخاً وأطفالاً، وكذلك الأسرى الذين وقعوا بأيدي العصابات الإسرائيلية، كما اغتصبوا عدداً من البنات العربيات ثم قتلوهن. وفي **مذبحة الدوايمة** فاخر جندي من جنود الشعب المختار بأنه اغتصب امرأة فلسطينية ثم أطلق النار عليها وقتلها، وأنه أيضاً ترك امرأة أخرى لتنظف الساحة لمدة يومين ومعها طفلها، ثم أطلق النار عليها وعلى طفلها.وكان الصهاينة يتعمدون إتاحة الفرصة لبعض شهود العيان العرب للهرب لكي يخبروا أهلهم بفظائع اليهود من أجل إلقاء الرعب في نفوسهم ليرحلوا عن مدنهم وقراهم. (٣١)

ط- منظمات دولية وحقوق إنسان أدانت إسرائيل بسبب قتل الفلسطينيين

وفي قراره رقم (١٩٨٠\٤٧١) أدان مجلس الأمن الدولي محاولة اعتداء الجيش الإسرائيلي على حياة رئيسي بلديتي رام الله ونابلس، وفي قراره

رقم (١٩٨٢/٥٢١)أدان مذابح الفلسطينيين في لبنان، كما أدان قتل وجرح طلاب جامعة بير زيت عام ١٩٨٦، والمدنيين العزل عام ١٩٨٧ في القرارين رقم (١٩٨٦/٥٩٢) ورقم(١٩٨٧/٦٠٥).وفي قراره رقم(٢٠٠٠/١٣٢٢) أدان المجلس استعمال الجيش الإسرائيلي المفرط للقوة يوم ٢٠٠٠/٩/٢٨في أعقاب تدنيس المسجد الأقصى، الذي نتج عنه استشهاد وجرح العديد من الفلسطينيين.

ومن المعروف أن الجيش " الأكثر أخلاقية" في العالم قتل ٦٠٠-٧٠٠ طفل في السنوات الأربع الأخيرة.(٣٢) وفي نهاية السنة الخامسة للانتفاضة، أعلن الجهاز الفلسطيني المركزي للإحصاء أنّ حصيلة جرائم إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني كانت (٣٨٩١) شهيداً، كان (٧٧٦) شهيداً منهم تقل أعمارهم عن (١٨) سنة، أي ما نسبته ١٩،٩% وبلغ عدد الجرحى (٢٩٢٢٢) جريحاً.(٣٣)

٤-٣- الحق في ملكية الأرض والعقارات

٤-٣-١- موقف أوروبا من حق اليهود في ملكية الأرض قبل القرن العشرين

ُمنع اليهود من امتلاك الأرض في أماكن متفرقة من أوروبا، وفي فترات مختلفة. وحرم يهود بريطانيا من الحق في ملكية الأرض عام ١٢٦٩م بعد أن باعهم الملك إلى ولده "إدوارد"، والذي رهنهم إلى منافسيهم في إيطاليا.وفي عام ١٧١٨ سمح لليهود المولودين في بريطانيا بتملك الأرض. وفي فرنسا صادر الملك شارلز (٨٩٨-٩٢٩) أراضي وكروم عنب اليهود، وحولها لملكية الكنيسة. وفي عام ١١٨٢ صادر الملك فيليب أراضي اليهود.(٣٤)

٤-٣-٢- موقف الإسلام من ملكية اليهود للأرض والعقارات

حرّمت الشريعة الإسلامية أكل مال أهل الذمة والإضرار بهم، ومن هنا برزت القاعدة العامة:" لا الإمام ولا السلطان يستطيعان أن يجردا الذمي من ممتلكاته".(٣٥) وقد أقر هذه الحقيقة البروفيسور اليهودي برنارد لويس فقال:" أثناء الفتوحات العربية الإسلامية، استولى العرب المسلمون فقط على أراضي الدولة. أما الملاكون الذين اعترفوا بحكم الدولة الإسلامية فقد احتفظوا بأراضيهم وعقاراتهم مقابل دفع ضريبة الخراج.(٣٦)

ويؤكد البروفيسور الإسرائيلي " أمنون كوهين " أن اليهود في ظل الإسلام " قد امتلكوا أرضاً وعقارات، كما شاركوا في بيع وشراء وتأجير البيوت والغرف والأراضي والمباني العامة. وقد قاموا بتلك النشاطات فيما بينهم، علاوة على المسيحيين، وبشكل أساسي مع المسلمين".(٣٧)

٤-٣-٣- موقف إسرائيل الصهيونية من حق العرب في ملكية أراضيهم

رغم أن الديانات السماوية والقانون الدولي الوضعي تحرم الاعتداء على الأرض والعقارات الخاصة، إلا أن إسرائيل- المدعومة من أمريكا والغرب- داست على جميع الأعراف والقوانين، واغتصبت أراضي الفلسطينيين.وفي كتابه الحصاد المر، يؤكد سامي هداوي" "أن الاحتلال العسكري لا يلغي الحق الخاص في الممتلكات، ولا يعطي حقاً للمنتصر بمصادرة البيوت، والممتلكات وما يخص المدنيين.. إن استيلاء إسرائيل على الممتلكات العربية كان انتهاكاً لحرمة القانون."(٣٨)

أ- موقف الديانة اليهودية من حق غير اليهود في ملكية الأرض والعقارات

تعتبر إسرائيل أن لها الحق في امتلاك الأراضي الواقعة بين نهري النيل والفرات، وأن الله أعطى تلك الأرض لليهود فقط، بصفتهم الشعب المختار. وتمنع "الهالاخاه" بيع الأموال غير المنقولة –البيوت والحقول- في أرض إسرائيل لغير اليهود... عندما يكون اليهود أقوى من غير اليهود، ممنوع علينا أن نقبل وثنياً بيننا حتى ولو للإقامة المؤقتة". (٣٩)

وهكذا تعتبر إسرائيل أن الأرض هي ملك لليهود فقط، وليس لمالكيها منذ آلاف السنين، وهذا يعني أنه إذا اعتنق أفراد من قبائل البيرو الديانة اليهودية" يحق لهم أن يصبحوا مواطنين إسرائيليين وأن يستفيدوا من حوالي ٧٠% من أراضي الضفة الغربية ومن ٩٢% من مساحة إسرائيل الأصلية (المنطقة التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٤٨) أما الأغيار-غير اليهود- كافة، وليس الفلسطينيون وحدهم فإنهم يمنعون من الاستفادة من هذه الأراضي".(٤٠)

ب- موقف دولة إسرائيل من حق عرب فلسطين في ملكية أراضيهم وعقاراتهم.

يوضح هرتزل في يومياته، يوم ١٢ حزيران ١٨٩٥م موقف الصهيونية فيقول: "علينا ... نزع الملكية الخاصة بالأرض.. يجب أن تتم إجراءات نزع الملكية." (٤١).

وبعد توقف الحرب عام ١٩٤٨م عمدت إسرائيل إلى عدة طرق ووسائل لانتزاع أرض الفلسطينيين وعقاراتهم، فطردت أكثر من ٨٠% من المواطنين

العرب، ونقلت قسماً من العرب الذين لم يغادروا بيوتهم، إلى مناطق بعيدة عنها، واعتبرتهم حاضرين غائبين، ووضعت يدها على أراضيهم وعقاراتهم، ومن الأمثلة على ذلك، صادرت إسرائيل بين عامي ١٩٥٣-١٩٥٤ما مساحته(١،٢٢٥،١٧٤) دونم من أراضي العرب، كما صادرت ٦٥% من أراضي ٧٨ قرية أخرى. (٤٢) **وعندما أعلنت إسرائيل عن نيتها مصادرة (١،٥) مليون دونم من أراضي الجليل، أعلن العرب في إسرائيل إضرابا يوم الأرض ١٩٧٦/٣/٣٠م الذي استشهد وجرح فيه الكثيرون.(٤٣)ولا تزال إسرائيل مستمرة في مصادرتها أرض الفلسطينيين سواء في المناطق التي احتلت عام ١٩٤٨، أو تلك التي احتلت عام ١٩٦٧. وعلى سبيل المثال، صادرت إسرائيل (١٣٤٠) دونماً من أراضي العرب في "عين ماهل" في الجليل عام ٢٠٠٠م.(٤٤)**

وكان مجموع ما صادرته إسرائيل من أراضي القدس الغربية منذ عام ١٩٦٧ (٢٤٢٠٠) دونماً، كما صادرت أكثر من ٦٠% من أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة، و ٩٨% من أراضي غرب النقب. وحتى تشرد عرب النقب من أراضيهم، ذكر "أورين يافتاشيل" "**Oren Yaftachel**" أن الطائرات الإسرائيلية رشت ١٢،٠٠٠دونم من أراضيهم بمواد كيماوية سامة وأتلفت محاصيلها. (٤٥)

وتصادر إسرائيل الأرض بحجة إقامة جدار الفصل العنصري حالياً. وهكذا حرمت إسرائيل العرب من حقهم في ملكية أراضيهم التي ورثوها عن آبائهم من آلاف السنين، وصادرتها، أو منعتهم من إقامة مساكن لهم عليها. ففي عام ١٩٢٠ كان اليهود يملكون (٢,٥ %) من أراضي فلسطين، وفي عام ١٩٦٧ أصبح اليهود يملكون (٩٥ %) من أراضي فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، ولم تترك إسرائيل للعرب الذين تحت حكمها سوى (٥ %) من أراضيهم. (٤٦)

وكانت سياسات جنوب إفريقيا العنصرية بشأن الأرض أ فضل من سياسات إسرائيل كدولة يهودية، فقد استولى المستعمرون البيض في جنوب إفريقيا على ٨٧% من الأرض، وتركوا ١٣% لأهلها الوطنيين.أما المستعمرون الصهاينة فقد استولوا على ٩٥% من الأرض ولم يتركوا لأهلها الفلسطينيين الوطنيين سوى ٥%.(٤٧)

ولا تخفي إسرائيل استيلاءها على أراضي العرب، طالما أنها تعرف أن الشرعية الدولية مجمدة، والقوة العربية غائبة عن الساحة.فيذكر وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق "ديان": "أمام سمع وبصر الفلسطينيين، اغتصبنا أرضهم التي عاشوا عليها هم وأجدادهم. نحن جيل المستعمرين، بدون الخوذة الفولاذية وبرميل البارود لا يمكننا أن نزرع شجرة أو نبني بيتاً."وهكذا فان العرب الذين كانوا يملكون عام ١٨٩٧ ما نسبته ٩٩% من أرض فلسطين، **Jewishwatch.com** ليست لهم السيادة اليوم على متر واحد من الأرض.

ومن المعروف أن إسرائيل لا تحترم قرارات الأمم المتحدة، وعلى سبيل المثال فقد طالبها قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٥٢(١٩٦٨) أن تلغي الإجراءات التي قامت بها لتغيير وضع مدينة القدس ومن ضمنها مصادرة الأراضي، إلا أنها صعّدت من تلك الإجراءات، ورفضت قرارات مجلس الأمن.

٤-٤- هدم البيوت والقرى

٤-٤-١-موقف الديانة الإسلامية من هدم البيوت والقرى

لم يتوفر للباحث معلومات عن هدم بيوت في أوروبا، أما موقف الإسلام من هدم البيوت والكنائس فهو واضح وضوح الشمس، فقد نهى عن هدمها وأعطى أهل الذمة أماناً عليها. ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى عماله أن"لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار" " كما وأعطى أهل القدس "الأمان لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم... انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم".(٤٨) وشهدت "كارين أرمسترونغ" **Karen Armstrong** "أن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما فتح القدس" لم يهدم أية ممتلكات".(٤٩)

وفي العهد العثماني كان القانون ينص "على عدم هدم أي بيت، بعد أن يتم سقفه، سواء كان البناء قانونياً (مرخصاً) أم لا. وقد كان اليهود القادمون الجدد يستفيدون من القانون العثماني إذ يقيمون أعمدة البيوت ويسقفونها وبعدها يتمون بناءها ويسكنوها دون ترخيص، ولم تقم الدولة العثمانية بهدم تلك الأبنية بعد أن سقفت. ولا تزال إسرائيل تعمل بعدة قوانين عثمانية لكنها لا تعمل بهذا القانون". (٥٠)

وتأكيداً لما سبق ذكره، لم يذكر التاريخ عمليات هدم بيوت يهود في ظل الإسلام كما حدث لليهود من حرق بيوت ومذابح وطرد في ظل أوروبا المسيحية.

٤-٤-٢- موقف دولة إسرائيل من هدم البيوت والقرى العربية

إن هدم إسرائيل بيوت الفلسطينيين يعتبر جريمة حرب، لما فيه من أضرار بالأبرياء، ولأنه يشكل عقوبة جماعية، ومخالف لحقوق الإنسان والقانون الدولي. ومن المعروف أن التوراة تدعو إلى حرق جميع مدن ومساكن غير اليهود، وحصونهم بالنار"(سفر العدد 31:10) وقد لجأت إسرائيل منذ عام 1948م إلى هدم البيوت والقرى العربية وطرد سكانها حتى تضمن الأرض لليهود وحدهم. واعترف وزير الدفاع الأسبق "ديان أن القرى العربية لم تهدم لضرورة حربية، وإنما كعقوبة للعرب وطردهم ومنعهم من العودة ".(٥١) ومن

الأمثلة على هدم أسرائيل لبيوت العرب بعد انتهاء الحرب بحوالي عام، **ما قامت به إسرائيل** يوم ٢٥-٩-١٩٥٠من هدم ٤٥ بيتاً وجميع آبار **المياه التي تملكها** قبيلة "نعيم" قرب بلدة" شفا عمرو"، وذلك علاوة على ما ذكره **تقرير حقوق** الإنسان الذي أعده البروفيسور شاحاك رئيس جمعية حقوق الإنسان **في إسرائيل** أن إسرائيل هدمت (٣٨٥) قرية عربية في فلسطين من أصل(٤٧٥) **قرية، ولكن** بعد فتح أرشيف حرب عام ١٩٤٨ للباحثين تبين أن عدد القرى الفلسطينية التي هدمتها إسرائيل هو (٥٣١) قرية وليس (٣٨٥). (٥٢)

ومنذ عام ١٩٤٨، لم تتوقف إسرائيل عن هدم البيوت والقرى داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨ وفي الأراضي الفلسطينية المحتلة عام١٩٦٧. ومن الأمثلة الحديثة على ذلك ما صرح به د.حنا سويد، رئيس مجلس عيلبون المحلي"إن هناك عشرة آلاف بيت عربي في إسرائيل معرضة للهدم" (٥٣)

وفي عام ١٩٦٧ هدمت إسرائيل قرى بيت عوا وبيت مرسم، و يالو وعمواس وبيت نوبا بالكامل إضافة إلى ما هدمته في منطقة طولكرم وغزة، وفي القدس هدمت(١٣٥) بيتاً من أوقاف المسلمين و مسجدين إسلاميين، وبلغ عدد البيوت العربية التي هدمتها إسرائيل في القدس وجوارها منذ عام ١٩٦٧ حوالي ألفي بيت(٥٤)

ونتيجة لعدم وجود مخططات تنظيم هيكلي يضطر العرب في إسرائيل إلى إقامة أبنية بدون ترخيص، وهذا أدى إلى نشوء مشكلة "القرى غير المعترف بها" أي التي لا تعترف بها إسرائيل أنها مرخصة بشكل قانوني، وحرمانها من خدمات الماء والكهرباء والطرق وغيرها. وهذه القرى موجودة في الجليل في الشمال وفي النقب في الجنوب.وفي عام ١٩٧٠م كان أكثر من ٨٠% من السكان البدو يعيشون في قرى غير معترف بها، بحجة أنها بنيت خارج حدود التنظيم وعام ١٩٨٢م كانت هناك (3220) قضية خاصة بالأرض(٥٥)

وردّ العرب على عدم اعتراف إسرائيل بالقرى التي بنوها بعد رفض إسرائيل منحهم تراخيص بناء، بتشكيل "منتدى اعتراف" ليدافع عن حقهم القانوني والإنساني في بناء مساكن لهم.وذكر المنتدى أنه يوجد في النقب ٣٧ قرية لا تعترف بها إسرائيل، وتضيق عليهم من أجل طردهم، ونهب أرضهم. (٥٦)

ويذكر البروفيسور الإسرائيلي " شاحاك " أن عدد البيوت التي هدمت بين ١٩٦٧-١٩٧١ هو(١٦،٣١٢) بيتاً، وذكرت دراسات أمريكية وبريطانية أن إسرائيل هدمت وأغلقت حوالي (٢٠،٠٠٠) بيت ومتجر خلال المدة ١٩٦٧-١٩٧٦، بينما تذكر الحكومة الإسرائيلية أنها هدمت فقط (١،٢٢٤) **بيتاً خلال تلك المدة** .(٥٧) وذكرت صحيفة "هارتس"الإسرائيلية أن مجموع **البيوت التي** هدمت في مدينة رفح في قطاع غزة في السنوات الأربع الأولى لانتفاضة

الأقصى بلغ (١،٥٠٠) بيت. (٥٨) وحسب تقارير منظمة العفو الدولية فإن عدد البيوت التي هدمت خلال المدة ١٩٨٧-١٩٩٩ بلغ (٢،٦٥٠) بيتاً وأن عدد البيوت التي دمرت بين ٢٩-٩-٢٠٠٠ و ١٧-٥-٢٠٠٤ بلغ ثلاثة آلاف منزل.(٥٩) وذكر وزير الإسكان الفلسطيني أن أكثر من (٦٢٥٠) بيتا قد هدمت بالكامل و (٥٨)ألف بيت تعرضت لتدمير وأضرار جزئية، من بداية انتفاضة الأقصى وحتى تاريخ ٢٩-٥-٢٠٠٤، وأنه لا تتوفر مساعدات لإعادة البناء أو إصلاح الضرر.(٦٠)

واعترف وزير الدفاع الأسبق الإسرائيلي أن إسرائيل هدمت القرى العربية وقال في مدرسة التخنيون في حيفا عام ١٩٦٦:"لا توجد قرية واحدة في إسرائيل غير مبنية على أنقاض قرية عربية، فقرية "نهلال" أخذت اسم القرية العربية "محلول" و"جفعات"أخذت اسمها من "جفنة". وذكر "أهارون سيزلن" أن الهدم لم يحدث أثناء حمّى وطيس المعركة، بل كان يتم بدم بارد بعد شهر من المعركة.(٦١)

ومن أجل تهجير العرب ترفض إسرائيل منحهم تراخيص، فيضطروا للبناء بدون تراخيص، فتلجأ لهدم بيوتهم، مع ما يلحق ذلك من خسارة مادية، وضغط نفسي. وذكرت دراسة لمركز بحث عربي في مدينة أم الفحم في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ أن عدد الأبنية غير المرخصة والتي تنتظر الهدم في النقب وصل إلى ستين ألف بناء. (٦٢)

ولا تتورع إسرائيل عن هدم المدارس، فقد هدمت مدرسة دار الأرقم في غزة وهو الأمر الذي أدى أن يتلقى الأطفال دروسهم في خيمة، رغم قساوة الجو.

٤-٤-٣- هيئات ومنظمات أدانت إسرائيل لحرمانها الفلسطينيين من حقهم في بيوتهم

وأدانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قيام إسرائيل بهدم بيوت الفلسطينيين في قراراتها التي نذكر منها على سبيل المثال:القرار رقم ٢٨٥١ لعام ١٩٧١، ورقم ٣٠٠٥العام ١٩٧٢،ورقم٣٢٤٠ لعام١٩٧٤

كما أدانت منظمة "هيومان رايتس ووتش" الأمريكية إسرائيل بشدة لقيامها بتدمير الآلاف من منازل الفلسطينيين. وأكدت أنه وفقاً للقانون الدولي لا يجوز لإسرائيل باعتبارها دولة احتلال تدمير الممتلكات المدنية بهدف تحسين الوضع الأمني العام لدولة الاحتلال. (٦٤)

وندد تقرير منظمة "بتسيلم"الإسرائيلية لحقوق الإنسان بسياسة هدم بيوت الفلسطينيين باعتبارها جريمة حرب وانتهاكاً فاضحاً للحقوق الدولية. (٦٥) وانتقدت المحامية البريطانية " إما بلايفير" ولجنة الحقوقيين الدولية قيام إسرائيل بهدم البيوت.(٦٦)

وفي شهادته أمام الكونغرس الأمريكي انتقد البروفيسور "شاحاك" رئيس اللجنة الإسرائيلية لحقوق إسرائيل لهدمها البيوت وقال:"لم أرَ في حياتي خبرة صدمتني مثل عملية هدم بيوت الفلسطينيين على أيدي فرق التدمير الإسرائيلية في الأراضي المحتلة."(٦٧)

وانتقد "شموئيل طوليدانو" هدم البيوت وقال:"فُقِدَ المبدأ المقدس لطهارة السلاح. الجيش يهدم مبنى على رأس ساكنيه العجوز والمقعد معاً!.. يلقي قنبلة بوزن طن على حي سكني". (٦٨)

وذكر "بيتر هانسن" مفوض وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين أن هدم البيوت يعتبر انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي.(٦٩)

وانتقد أربعة ضباط من نخبة سلاح الجو الإسرائيلي هدم (١٥٠٠) بيت في رفح ووصفوا العمل بأنه غير أخلاقي ويمس بالأبرياء.(٧٠)

وطالب مجلس الأمن الدولي في قراره رقم (١٤٣٥)(٢٠٠٢) إسرائيل بأن تضع حداً لعمليات هدم البنية التحتية المدنية والأمنية للفلسطينيين، وأن تنسحب إلى المواقع التي كانت فيها قبل اندلاع العنف، إلا أنّ إسرائيل كعادتها لم تأبه لقرارات الأمم المتحدة ولا للقانون الدولي وحقوق الإنسان.

٤-٥- الحق في السكن والتنقل والعودة بدون طرد أو جيتو

٤-٥-١- موقف أوروبا من حق اليهود في السكن والتنقل والعودة بدون طرد أو جيتو (٧١)

منعت قوانين أوروبية اليهود من تملك بيوتهم داخل "الجيتو".وفي ألمانيا نظراً لأنه لم يكن بالإمكان تحديد المواليد، فقد لجأوا إلى تحديد الزواج وعدد بيوت السكن التي يمكن للعائلة اليهودية أن تبنيها من أجل تقييد عدد اليهود.ولذلك لم تسمح بالزواج وبناء بيت إلا للولد اليهودي الأكبر،كما حددت عقود الزواج بعدد الموتى، فكلما مات يهودي كانوا يسمحون ليهودي أن يتزوج.وأبعد اليهود من أربع مناطق في بريطانيا في أعوام ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٤٢و ١٢٤٤، وفي عام ١٢٩٠ أبعد (١٥،٠٠٠) يهودي. وفي عام ١٢٨٨ طرد ملك بريطانيا جميع اليهود المقيمين فيها، ولم يكن هناك أي دليل على وجود لليهود لمدة ثلاثة قرون ونصف. وسمح لليهود بالعودة إلى بريطانيا عام ١٦٥٥ .وفي فرنسا طرد الملك فيليب (١٢٥٨-١٣١٤) اليهود وصادر ممتلكاتهم. وفي عام ١٣٢١ طرد الملك شارلز اليهود من فرنسا. وطُرد الآلاف عام ١٣٩٤ وفي عام ١٤٩٢ طرد ملك إسبانيا جميع اليهود المقيمين في مملكته.وطرد البابا بيوس الخامس:"**Pius V**" (١٥٦٦-١٥٧٢) اليهود من الدول البابوية.وأجبرت قوانين الملوك والكنيسة اليهود في بعض الدول الأوروبية على السكن داخل "جيتو" معزولين عن المسيحيين،وعلى سبيل المثال عام ١٥١٦

عُزل اليهود في "جيتو" في إيطاليا وفرنسا وألمانيا، وكان مدخل الجيتو يحرسه حارس مسيحي يدفع راتبه اليهود، وكان وجود اليهودي بعد منتصف الليل خارج الجيتو يعتبر جريمة خطيرة.

٤-٥-٢- موقف الدولة الإسلامية من حق اليهود في السكن والتنقل والعودة بدون طرد أو إبعاد

أقر الإسلام لأهل الذمة كسائر المواطنين حق الإقامة والتنقل في دار الإسلام، ومنها وإليها مصانين في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.ويشهد مختصون غربيون ويهود أمثال البروفيسور اليهودي برنارد لويس، و"أمنون كوهين"Cohen"، و"Stillman" بأنّ اليهود " لم يعيشوا في جيتوات(حارات منعزلة) في ظل الإسلام ".(٧٢) كما أكدت الباحثة اليهودية المصرية "بات يوعر" بأن "عمليات إبعاد اليهود والمسيحيين من الدولة الإسلامية كانت نادرة الحدوث، وغالباً ما كان يتم إلغاء قرارات الإبعاد"(٧٣)

يشهد كوهين (Mark R. Cohen) و"لاندشت Landshut" أنه: "في ظل الإسلام لم يواجه اليهود معاناة الإبعاد. بينما طردت أوروبا اليهود وأبعدتهم من بيوتهم عدة مرات، فلم تسجل في التاريخ الإسلامي إلا حادثة واحدة طرد فيها اليهود، وذلك عام ١٦٧٨م، عندما طلب من يهود اليمن إما قبول الإسلام أو مغادرة البلاد، وقد غادروا بالجملة ... (لكن بعد ثلاث سنوات) في عام ١٦٨١م سمح لهم بالعودة إلى اليمن أو البقاء على دينهم".(٧٤)

ويشهد البروفيسور" شاحاك" رئيس لجنة حقوق الإنسان في إسرائيل، بأن: " مسألة طرد اليهود لم تكن معروفة في العالم الإسلامي" .(٧٥) ويؤكد البروفيسور "مارك كوهين" Mark R. Cohen"" بأن اليهود في الدولة الإسلامية لم يواجهوا خطر الإبعاد. (٧٦)

٤-٥-٣- موقف دولة إسرائيل من حق العرب في السكن والتنقل والعودة بدون طرد أو إبعاد

أ- موقف الديانة اليهودية من حق غير اليهود في السكن

أوضح ميناحيم باراش موقف الديانة اليهودية فقال:" علينا أن نقتدي بيهوشع لكي ننتزع أرض إسرائيل ونستقر فيها،على نحو ما تأمر به التوراة... ليس في هذه الأرض مكان لشعوب أخرى غير شعب إسرائيل. وهذا يعني أن علينا أن نطرد منها كل الذين يعيشون فيها ... إنها الحرب المقدسة التي تأمر بها التوراة".(٧٧)

ويوضح الحاخام كوهين الموقف من غير اليهود فيقول:" إن سكان العالم يمكن تصنيفهم بين إسرائيل من ناحية، وبين الأمم الأخرى مجتمعة من ناحية أخرى. إسرائيل هي الشعب المختار: هذه عقيدة أساسية. من هنا تنبع ضرورة طرد كل من هم ليسوا يهوداً من أرض الميعاد لصاحبها الشعب المختار، هذا إن لم تكن هناك ضرورة لإبادتهم. (٧٨)

ويمنع المتدينون اليهود إقامة الفلسطينيين بين اليهود أو بيع بيت لفلسطيني، إذ يوصي الحاخام عوفيديا هدايا:"بأن لا ندع غريباً بيننا، وأن لا نبيع بيتاً للغريب" (٧٩)

ب-موقف الصهيونية من حق غير اليهود في السكن

من الثابت أنّ إسرائيل تمنع غير اليهود من السكن في المناطق المخصصة لليهود. ويوضح هرتزل في يومياته موقف الصهيونية فيقول: "علينا ... تيسير خروج السكان المعدمين... مع منعهم من العمل في بلدنا ...، وكذلك إبعاد الفقراء" .."علينا أن نستعد لطرد القبائل صاحبة الملكية بحد السيف كما فعل أجدادنا"(٨٠) وصرح بن غوريون:"عن طريق الطرد الإجباري سنملك مساحات واسعة، إنني أؤيد الطرد الإجباري للفلسطينيين ولا أجد فيه أمراً غير أخلاقي".(٨١) وصرح آرثر روبين(Arthur Ruppin) مدير دائرة الاستيطان الصهيوني بأنه " لا يؤمن بإبعاد الفرد بل بإبعاد قرى بأكملها" (٨٢)

وذكر "يورام بار بورات" في صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية(١٤ تموز ١٩٧٢) أنه" لا وجود للصهيونية ولا لبناء المستعمرات، ولا للدولة اليهودية، ما لم نطرد العرب ونستولي على أراضيهم".(٨٣)

وفي آذار عام ٢٠٠١، اجتمعت (٣٠٠)من القيادات الصهيونية الأدبية والأكاديمية في هيرتسيليا وقررت "ترحيل عرب إسرائيل والفلسطينيين لتعزيز مناعة دولة إسرائيل".(٨٤) وكان الطرد غالباً ما ترافقه عمليات قتل الفلسطينيين وهتك عرضهم، ونهب أموالهم.(٨٥)

ج-إسرائيل تطرد الفلسطينيين من أرضهم وبيوتهم(٨٦)

منذ حرب عام ١٩٤٨م، شرعت إسرائيل في عمليات طرد الفلسطينيين وتهجيرهم. واستمرت عمليات الطرد بعد إقامة دولة إسرائيل، ولا تزال مستمرة حتى اليوم. ومن الأمثلة على ذلك، أن إسرائيل طردت عام ١٩٤٨ حوالي(٧٥٠,٠٠٠) من أصل (٩٠٠،٠٠٠) عربي كانوا موجودين (في فلسطين) قبل الحرب. وطردت عشرة آلاف مواطن فلسطيني من بلدة المجدل يوم١٧-٨-١٩٥٠ ، وأربعة آلاف من عشيرة العزازمة يوم ١٩٥٠/٩/٢م. وطردت إسرائيل عام ١٩٥١المدنيين العرب من المناطق منزوعة السلاح، ولم

تمتثل إسرائيل لقرار مجلس الأمن رقم (١٩٥١/٩٣) الذي دعاها إلى السماح لهم بالعودة.وفي عام ١٩٦٨ شجب مجلس الأمن الدولي في قراره رقم (١٩٦٨/٢٥٩) رفضَ إسرائيل السماح بعودة النازحين الفلسطينيين في أعقاب حرب عام ١٩٦٧. وطردت (٦٠٠٠٠)عربي من بدو النقب بحجة إقامة مطار جديد. ووثقت مؤسسة الحق في رام الله أسماء ما لا يقل عن (١،١٥٦) فلسطينياً أبعدوا بين عامي ١٩٦٧-١٩٧٨.

وأدان يعقوب حزان، أحد قادة حزب مبام الإسرائيلي عمليات إبعاد الفلسطينيين من أرضهم، ووصفها بأنه لا مثيل لها، وأنها لم تحدث في حروب النازيين.PalesineRemembered.com

ومنذ عام ١٩٦٧م أبعدت إسرائيل آلاف الفلسطينيين بعضهم بشكل غير مباشر، والبعض الآخر، بشكل مباشر عن طريق أوامر الإبعاد التي تستند إلى قوانين الطوارئ البريطانية. وبعد عملية السلام لم تتوقف إسرائيل عن إبعاد الفلسطينيين رغم إدانة الأمم المتحدة والعالم أجمع لتلك العمليات.واعترفت مصادر إسرائيلية أن إبعاد العرب لم يكن بسبب ضرورة حربية، وإنما لأنهم- على حد قول "ديفيد هاكوهين"، رئيس لجنة الخارجية والأمن- " ليسوا مخلوقات إنسانية، ليسوا شعباً، أنهم عرب".(٨٧)

وفي عام ١٩٨٠ أعرب مجلس الأمن الدولي في قراره رقم (١٩٨٠/٤٦٨) عن عميق أسفه لقيام إسرائيل بإبعاد رئيسي بلديتي الخليل وحلحول المرحوم فهد القواسمة ومحمد ملحم والقاضي الشرعي المرحوم رجب بيوض التميمي .وفي قراره رقم (١٩٨٠/٤٦٩) طالبها بإلغاء جميع قرارات إبعاد الفلسطينيين وإعادتهم إلى وطنهم.، وفي قراره رقم ١٩٨٠/٤٨٤ طالب بشدة إسرائيل بعودة المبعدين،إلا أن إسرائيل لم تُعِر قرارات مجلس الأمن الدولي أي اهتمام. ورغم أن المرحوم فهد القواسمة قد رفع قضية لمحكمة العدل العليا الإسرائيلية،إلا أن محكمة عدل الاحتلال لم تعدل ولم تلغ قرار الإبعاد الظالم وغير القانوني . وتكررت إدانات مجلس الأمن لإسرائيل وطلبه منها التوقف عن عمليات الإبعاد، وأن تعيد الذين أبعدوا وذلك في القرارات رقم (١٩٨٧/٦٠٥)، (١٩٨٨/٦٠٧)، (١٩٨٨/٦٠٨)، (١٩٨٩/٦٣٦)، (١٩٨٩/٦٤١)، (١٩٩٠/٦٨١)، (١٩٩١/٦٩٤)، (١٩٩٢/٧٢٦)، (١٩٩٢/٧٩٩).

ولكن إسرائيل لم تمتثل لأي من تلك القرارات.أما كيف استطاعت إسرائيل الصغيرة التي خلقت بقرار من الأمم المتحدة أن تتحدى العالم ممثلاً بمجلس الأمن الدولي، فسوف نناقشه في فصل قادم، بإذنه تعالى.

د- حق الإنسان الفلسطيني في التنقل والعودة بحرية

منذ أن اغتصبت إسرائيل أرض فلسطين، لم تسمح للفلسطينيين الذين رحلوا قسراً، أو هربوا خوفاً من القتل أن يعودوا لبيوتهم، وجعلت حقّ العودة مقصورا على اليهود فقط. كما أنها وضعت العرب الذين لم يغادروها تحت حكم عسكري قيّد حركتهم، رغم أنه لم تكن هناك ضرورة أمنية لذلك الإجراء.وهكذا حكمت إسرائيل المنطقة التي يعيش فبها ٩٠% من العرب بموجب قوانين الطوارئ بحيث أصبحت (٩٣) قرية من أل (١٠٤)قرى العربية في إسرائيل تكوّن منطقة مغلقة، لا يستطيع أحد التحرك فيها بدون ترخيص من الحكم العسكري."(٨٨)

وتحرم إسرائيل العرب من حقهم في التنقل والسفر وخاصة في العودة إلى وطنهم، فتخضع حقهم في السفر إلى موافقة الأمن الإسرائيلي الذي كثيراً ما يشترط تعاون الفلسطينيين معه ضد شعبهم ووطنهم مقابل السماح لهم بالسفر.وبعد انتفاضة الأقصى صعّدت إسرائيل ممارساتها في التضييق على الفلسطينيين فصارت تعزل كل منطقة عن غيرها فيما يشبه "الجيتو" الذي فرضته أوروبا على اليهود، كما عزلت المدينة عن الأخرى والقرية عن المدينة، وهو الأمر الذي ألحق أضراراً اقتصادية واجتماعية (تعليمية، نفسية) وكثيراً ما تسبب في حرمان الزوج من زوجته، والأم من أولادها نتيجة وجود كل منهم في منطقة لا يستطيع مغادرتها إلى المنطقة الأخرى. وعلاوة على إغلاق المناطق ومنع السفر، ابتكرت إسرائيل وسيلة جديدة لإيقاع الضرر بالفلسطينيين، ألا وهي نصب الحواجز الثابتة والمتحركة في كافة أنحاء الأراضي المحتلة، حيث يتعمد الجيش الإسرائيلي إعاقة السفر لساعات عديدة فيبقى الفلسطينيون أطفالاً ونساءً وشيوخاً فريسة للحر والبرد. وكثيرا ما يكون من بين المسافرين مرضى بحاجة للوصول إلى المستشفى بأقصى سرعة، وحوامل في طريقهن للوضع في المستشفى. وقد اضطرت الحوامل في حالات عديدة أن يضعن مواليدهن على الحواجز في سيارات خاصة أو نقل عام، وهو الأمر الذي كثيراً ما تسبب في وفاة المولود، أو مرضه، أو وفاة الوالدة والمولود معاً.وذكر الدكتور مصطفى البرغوثي مدير عام معهد الإعلام والسياسات الصحية والتنموية أن الدراسة التي أجراها المعهد كشفت أن (٦٥) إمرأة فلسطينية أجبرن على الولادة على الحواجز العسكرية أو بوابات الجدار العنصري، وأن نصف الأمهات فقدن أولادهن بسبب تلك السياسة، وأضاف بأن ٢٠% من وفيات الأطفال كانت بفعل الحواجز ، وجدار الفصل العنصري. والأهم من ذلك كله أن إغلاق المناطق وفرض نظام منع التجول يحرم مئات آلاف العمال الفلسطينيين من العمل ومن الحصول على عائد يعيلون به عائلاتهم.(٨٩)

وتعاني مدينة الخليل العربية بشكل خاص من تقييد الحق في الحركة، حيث خضع أكثر من مئة ألف فلسطيني داخل البلدة القديمة في جيتو ليل نهار، ولذلك من أجل توفير الأمن والهدوء لحفنة من المستعمرين الإسرائيليين العنصريين. ولاحظت جمعية حقوق الإنسان في إسرائيل "بيتسيلم" أن نظام فرض التجول فرض في إحدى المرات على البلدة القديمة في الخليل لمدة ثلاثة أشهر من أجل توفير "الراحة" للمستعمرين الإسرائيليين الذين فرضوا أنفسهم هناك.(٩٠)

وانتقدت منظمة العفو الدولية "أمنستي" إجراءات إسرائيل وقالت:" إنّ القيود غير المسبوقة التي فرضتها إسرائيل على تنقل (٣،٥٠٠،٠٠٠) فلسطيني يعيشون في الأراضي المحتلة قد تسببت بآلام تفوق الوصف حيث أعاقت وصول الفلسطينيين إلى أماكن عملهم وتعليمهم ومرافقهم الصحية...وشهدت البطالة ارتفاعاً عالياً حيث وصلت إلى ما يزيد على أل ٤٠%."وجاء جدار الفصل العنصري ليصادر أراضي الفلسطينيين ويعيق حركتهم، ويفصل الأخ عن أخيه، والأم عن أولادها، والعامل والموظف عن مركز أعمالهم. وانتقدت حركة السلام الإسرائيلية هذا الوضع وقالت:"توجد خارج المدن شبكة كثيفة من نقاط التفتيش والحواجز التي تخنق محاولات الفلسطينيين التحرك حتى إلى القرية المجاورة".(٩١)

وانتقدت المنظمة العالمية للمحامين الديمقراطيين في تقريرها لعام ٢٠٠١ تضييق حرية الفلسطينيين من قبل إسرائيل وقالت:"يحشر ملايين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة مثل السردين البشري. يجب على جميع الفلسطينيين أن يتحملوا عناء الوقوف في صفوف طويلة على الحواجز الإسرائيلية، حيث يعتقل الفلسطينيون بانتظام ويذلون لساعات عديدة. وفي الحقيقة فإن ملايين الناس لا يستطيعون السفر، ولا شراء حاجاتهم، أو تلقي العناية الصحية".(٩٢)

٤-٦- الحق في العمل والمشاركة في الوظائف والاقتصاد دون تمييز

٤-٦-١-الحق في العمل والمشاركة في الوظائف والاقتصاد دون تمييز في أوروبا (٩٣)

حرمت القوانين الكنسية والإمبراطورية في أوروبا اليهود من الوظائف والمشاركة في كثير من النشاطات الاقتصادية في فترات مختلفة ومناطق متعددة في أوروبا. ومن الأمثلة على ذلك أن قوانين الإمبراطور هونوريوس"Honorius" عامي (٤٠٤و ٤١٤) م. وقانون ثيودوسيوس "Theodosius" عام ٤٣٨منعت اليهود من الوظائف العامة.وفي عام ١٢٨٨

حرمت بريطانيا اليهود من ممارسة مهنة الطب. وكان اليهود ممنوعين من عضوية مجلس البرلمان ولم يسمح لهم بالمشاركة في الانتخاب إلا في عام ١٨٦٦ م.وفي فرنسا منع اليهود من الوظائف العامة عامي (٦١٣و ٦٢٣) م . وفي عام ٦٩٣ م منع مجلس توليدانو "Toledo" اليهود من تولي الوظائف العامة ثم حرمهم من حقوقهم العامة "وفي عام ١٢١٥ منع البابا "إنوسنت الثالث" اليهود من الوظائف العامة. كما حرم اليهود من المشاركة في النقابات بسبب عدم استطاعتهم أداء اليمين المسيحي المطلوب أدائه عند الاشتراك في تلك النقابات. وفي بريطانيا كان هناك قانون يمنع الكاثوليك واليهود من تولي مناصب حكومية، وظل اليهود محرومين من تولي المناصب الحكومية إلى عام ١٨٥٨م.

٤-٦-٢- موقف الدولة الإسلامية من حق اليهود في العمل والمشاركة في الوظائف والاقتصاد دون تمييز

وعلى عكس ما كان الحال بالنسبة لليهود في أوروبا، فقد اندمج اليهود في النظام الاجتماعي في العالم الإسلامي الكبير الذي عاشوا فيه، ولم يكن هناك أي تحامل على أساس ديني نحو التاجر اليهودي كما كان الحال عليه في أوروبا. وبشأن علاقة المسلمين باليهود كأهل ذمة يقول برنارد لويس (Bernard Lewis): " فقد تمتعوا بحقوق ملكية عادية، وكثيراً ما عملوا في وظائف الدولة، وعلى الأغلب، في أعلى المراكز، وقد سمح لهم بالاشتراك في النقابات المهنية، حيث كانوا فعلاً هم العنصر المهيمن في بعضها. " (٩٤) ومن المعروف أن "برنارد لويس" من أشد المثقفين الأمريكيين المعاصرين عداءً للعرب والمسلمين، وكتاباته تصدر حسب طلب الجماعات الأصولية المسيحية.

ويوضح الدكتور يوسف القرضاوي موقف الشريعة الإسلامية من تولي أهل الذمة وظائف الدولة فيقول: " لأهل الذمة الحق في تولي وظائف الدولة كالمسلمين، إلا ما غلب عليه الصفة الدينية كالإمامة ورئاسة الدولة وقيادة الجيش،... وما عدا ذلك من وظائف الدولة يجوز إسناده لأهل الذمة إذا توفرت فيهم الشروط التالية: الكفاءة، والأمانة، والإخلاص للدولة."(٩٥)

ومنذ البداية شارك أهل الذمة في وظائف الدولة. فالرسول (ص) عين سفيراً له في الحبشة هو عمرو بن أمية الضميري وهو غير مسلم، وسمّى عمر بن الخطاب في ديوانه عدداً من الكتبة الذميين.(٩٦)

وانطلاقاً من موقف الشريعة الإسلامية هذا، عمل اليهود في مختلف الوظائف في الدولة الإسلامية. كما شاركوا في جميع النشاطات الاقتصادية. ومن المعروف أيضاً أن اليهود عاشوا في ظل تسامح الإسلام في فلسطين وسائر أنحاء الدولة الإسلامية بسلام. ويذكر كوهين أن "اليهود في ظل الإسلام لم يحدث أن أصبحوا أتباعاً مباشرين للحاكم بحكم القانون، كما أن

العهدة العمرية لم تربط التسامح مع اليهود بمنفعتهم الاقتصادية، كما كان عليه الحال في أوروبا".(٩٧)

وفي القدس –على سبيل المثال – عندما بنت الدولة العثمانية سوقا عامة تتألف من أربعين دكاناً في القرن السادس عشر، ويذكر البروفيسور الإسرائيلي أمنون كوهين، اعتمادا على سجلات محكمة القدس الشرعية، أنّ الدولة العثمانية قسّمت الدكاكين بالعدل بين مختلف أتباع الديانات السماوية، فأجّرت (١٣) دكاناً لليهود و(١٣) دكاناً للمسيحيين، و(١٤) دكانا للمسلمين، وأوضح المسئول العثماني أنه لم يتمكن من قسمة الدكان الأخير فأجّره للمسلمين .(٩٨) وكان اليهود في القدس أكثر من أقلية دينية، حيث شكلوا عنصراً حيوياً وبنّاءً في اقتصاد المدينة، وفي اقتصاد البلاد بشكل عام.(٩٩)

وقد"أشركت الدولة العثمانية أهل الذمة في مجلس الشورى.في القدس – على سبيل المثال – عام ١٢٥٦هـ- ١٨٤٠م. ومما يجدر ذكره أنه في ذلك الوقت لم تسمح بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا لليهود بمثل هذه المشاركة. وفي المجالس الإدارية، أشركت الدولة أهل الذمة في مجلس إدارة الولاية اللواء.(١٠٠)

ويؤكد أمنون كوهين **(Amnon Cohen)** اعتماداً على دراسته لسجلات المحكمة الشرعية في القدس أن الدولة العثمانية الإسلامية أعطت اليهود الحق في العمل ويقول: "اشتغل اليهود في العقارات، فباعوا واشتروا الممتلكات، واستأجروا واجروا المباني والغرف، وقطع الأراضي، والأبنية العامة. لقد عملوا في هذه المجالات مع بعضهم البعض، ومع المسيحيين، وبشكل أساسي مع المسلمين".(١٠١)

ويؤكد المؤرخ الأمريكي "باينغ""**Bying**" أن اليهود في ظل الحكم الإسلامي تنافسوا مع المسلمين في المهن الحرة كمدرسين وأطباء وعلماء ومحامين وموظفي في الإدارة المدنية".(١٠٢)

وشهد مختصون غربيون ويهود منهم ترتون **(Tritton)** و"**Ashtor**" و"غويتين""**Goitein**"و"لاندشت" "**Landshut**"و ""غوتمن"" **Gutmann**" بأن الدولة الإسلامية ساعدت اليهود على تولي وظائف مختلفة، وفي المشاركة في الاقتصاد والمجالس البلدية والإدارية، بعكس ما كان الحال عليه في أوروبا".

٤-٦-٣- موقف دولة إسرائيل من حق العرب في المشاركة في العمل والوظائف والاقتصاد دون تمييز(١٠٣)

أكد مختصون آخرون بأن المسلمين تسامحوا مع اليهود وأشركوهم في الوظائف وفي الاقتصاد، وذلك خلافاً لما فعلته أوروبا التي منعتهم من الوظائف الحكومية حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر.(١٠٤)

وتدعو الهالاخاة (الشريعة اليهودية) " اليهودي أن لا يعيّن غير يهودي في وظيفة مسئول عن يهود، مهما كانت صغيرة." (١٠٥) وكان مخطّط اليهود منذ البداية يقوم على طرد العرب وحرمان من تبقى منهم من العمل في الأعمال ذات الدخل الجيد، وعليهم أن يعملوا حطابين وسقائين في الدولة اليهودية. وكتب هرتزل في يومياته ، يوم ١٢يونيو ١٨٩٥م، أنه يجب نزع الملكية الخاصة بالأراضي (العربية) .. سنحاول تيسير خروج السكان المعدمين بتيسير العمل لهم في البلدان التي يذهبون إليها مع منعهم من العمل في بلدنا". (١٠٦)

وقد طبقت توصيات هرتزل، ولا يزال يعمل بها إلى اليوم. وإسرائيل تحرم العرب الذين تحت حكمها من العمل في أراضيهم التي استولت عليها، وتعطيها لمستوطنين يهود يستأجرونها بعقود تنص على منع تشغيل العرب في هذه الأرض. ولم تكتف إسرائيل بحرمان العرب من أرضهم، بل منعت من تبقى منهم في فلسطين من استئجار الأرض أو العمل فيها. (١٠٧)

وكشف تقرير جمعية حقوق المواطن في إسرائيل النقاب عن:

> سياسة التمييز التي تحول دون عمل العرب في المناصب الحكومية في كافة قطاعات الإنتاج... ففي شركة الكهرباء يعمل ١٣ ألف موظف دائم، ستة منهم من العرب فقط، أي ما نسبته ٠،٠٠٠٠٤٦ في المائة... وفي أغلبية الوزارات الحكومية في القدس حيث توجد إدارات الوزارات لا يوجد أي موظف عربي منذ قيام دولة إسرائيل(وحتى نشر كتاب لوستيك الذي أورد هذه المعلومات عام ١٩٧٩) لم يتم تعيين عربي لمنصب مدير عام، أو حتى مدير عام مساعد لوزارة حكومية" (١٠٨)

وقدم "إيان لوستيك" المعلومات التالية عن تمييز إسرائيل ضد مواطنيها العرب في المؤسسات العامة الإسرائيلية، رغم أن العرب يشكلون ٢٠% من سكان إسرائيل، وقال انه:" من بين ١٨٦٠ مسئولاً مسجّلاً في الوزارات الحكومية والوكالات المستقلة سنة ١٩٧٦ فقط (٢٦) كانوا من العرب. وفي إحدى وعشرين من الثلاثين دائرة الموصوفة في الكتاب السنوي الحكومي

الرسمي لم يكن قطعاً أي عربي. وأنّ المصانع اليهودية ترفض تشغيل مهندسين عرباً" (١٠٩)

وفي ورقة عمل قدمها الدكتور إبراهيم أبو جابر من مركز الدراسات المعاصرة في أم الفحم البلدة العربية في إسرائيل، ذكر أنّ ٤٠٠ عربي يحملون شهادة الدكتوراة ويعيشون في إسرائيل هم بلا عمل.(١١٠)واعترف "أوري لوبراني" مستشار الشؤون العربية في إسرائيل أن "للعرب مظالم، بإحدى اليدين نأخذ ما نعطيهم بالأخرى". (١١١)

وقد أبادت إسرائيل محاصيل نحو و٧، ٢٩ ألف دونم من أراضي عرب النقب عن طريق رشها بمواد كيماوية فتاكة بالطائرات، كما اقتلعت حوالي مليون ومئة ألف شجرة زيتون يملكها الفلسطينيون في الضفة والقطاع، وهو الأمر الذي ألحق بهم أضراراً اقتصادية بالغة. (١١٢)

٤-٧- شهادات عالمية بتفوق المسلمين على المسيحيين واليهود في مراعاتهم لحقوق الأقليات التي يحكمونها

وبشأن علاقة المسلمين باليهود كأهل ذمة يقول برنارد لويس:

"ولكن على العموم، فقد كان وضعهم أعلى بكثير جداً من وضع أمثالهم من المجتمعات التي اختلفت مع الكنيسة الحاكمة في أوروبا الغربية في نفس الفترة. فقد تمتّعوا بممارسة ديانتهم بحرية، وحقوق ملكية عادية، وكثيراً ما عملوا في وظائف الدولة، وعلى الأغلب، في أعلى المراكز، وقد سمح لهم بالاشتراك في النقابات المهنية، حيث كانوا فعلاً هم العنصر المهيمن في بعضها. ولم يحدث قط أن أكرهوا على تحمل عقوبة الاستشهاد (الإعدام) أو النفي بسبب معتقداتهم الدينية (كما كان يحدث في الغرب)." (١١٣)

وفي كتابه "تحت حكم الهلال والصليب. اليهود في العصور الوسطى" يقارن أستاذ الدراسات اليهودية في جامعة برنستون مارك كوهين (Mark Cohen) بين أوضاع اليهود في ظل الحكم المسيحي في أوروبا، واليهود في ظل الإسلام ويقول:

" عاش اليهود في العالم الإسلامي في العصور الوسطى بأمان أكثر مما كان عليه الحال تحت الحكم المسيحي ... وفي الواقع، فعلى عكس ما كان عليه الحال في ظل المسيحية، فقد أتيح المجال، في ظل الإسلام، لليهود ليزدهروا، وحتى للمشاركة في الحياة السياسية والثقافية في مجتمع الأغلبية "(الإسلامي).(١١٤)

وفي الموسوعة الإسلامية التي تصدر بالإنجليزية، يشهد بيرنارد لويس بأن وضع يهود البلاد العربية كان أفضل من وضع يهود أوروبا ويقول:

"تقتضي منا الموضوعية أن نقوم بالمقارنة بين عدم تسامح المسيحيين وتسامح المسلمين...فالإسلام- رغم عدة نكسات- قد أبدى تسامحاً نحو اليهود الذين بقوا على أرضه أكثر مما أبدته أوروبا نحو اليهود على أرضها... وأخيراً فعندما طردت إسبانيا اليهود (عام ١٤٩٢م) ... سمح دستور الدولة العثمانية بإعادة التكافل الإسلامي والذمي... ووجد اليهود المطرودون من إسبانيا الأمان في الدولة العثمانية الإسلامية". (١١٥)

أما رئيس الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية في القدس، غويتن" "Goitein" فإنه يستشهد برأي مؤرخي اليهود في القرن التاسع عشر بشأن وضع اليهود في الدولة الإسلامية ويقول:

" إنّ المؤرخين اليهود قد أوضحوا، بكل تأكيد أنّ الوضع القانوني والواقعي لليهود في القرون الوسطى كان في البلدان العربية المسلمة أفضل بكثير من أوروبا المسيحية... وعلاوة على ذلك، فإن الشعب اليهودي في عهود الإسلام الأولى قد تمتع بنهضة تامّة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية، كانت مساهمة العرب فيها غير مباشرة". (١١٦)

ويشهد "مارتن غلبرت" (Martin Gilbert) أن اليهود"وجدوا تحت الحكم الإسلامي تسامحاً أكثر مما وجدوا تحت الحكم المسيحي" . (١١٧)

ويصف تقرير اللجنة الملكية البريطانية لفلسطين الصادر عام ١٩٣٧م، وضع اليهود في إسبانيا في ظل الإسلام فيقول:

"وفي إسبانيا، وصلت الحياة اليهودية أعلى نقطة لها منذ أن فقدت وطنها القديم. وكانت جميع المهن مفتوحة أمامهم،..، وعندما كانت إسبانيا في عهد الحكم العربي تقود العالم، كانوا قادة في إسبانيا في عهد العرب-أمناء سر، أو وزراء للخليفة، دبلوماسيين، ممولين، علماء، وأطباء، وأساتذة. "(١١٨)

ويشهد لاند شت (Land shut) أن المسلمين لم يستغلوا اليهود كذميّين ويقول: "وبكلّ صدق، يجب أن نضيف-إلى ما سبق- أن وضعهم (وضع اليهود) كأناس محميّين (أهل ذمة)، لم يكن دائماً مجرّد غطاء لاستغلالهم، ففي أكثر من مرة كان ذلك الوضع مفيداً جداً لهم". (١١٩)

ويقول غوستاف لوبون :"رأينا من آيات القرآن التي ذكرناها آنفاً أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية، وأنه لم يقل بمثلها مؤسسو الأديان التي ظهرت قبله كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص ". (١٢٠)

وقارن البروفيسور "مارك كوهين Cohen Mark" أستاذ التاريخ في جامعة برنستون، بين معاملة المسلمين لليهود ومعاملة أوروبا لهم فقال:

"وعلى عكس ما كان الحال عليه في أوروبا، فإن اليهود في ظلّ الإسلام، لم يحدث أن أصبحوا تحت التبعية القانونية المباشرة للحاكم، كما لم تربط العهدة العمرية التسامح مع اليهود بالمنفعة والحاجة الاقتصادية إليهم، كما كان يحدث في أوروبا". (١٢١)

وقال الكاتب اليساري وناشط السلام الإسرائيلي "أوري افنتيري":" Uri "Avneri:

(كل يهودي نزيه، وعلى علم بتاريخ شعبه، لا يستطيع إلا أن يشعر بالعرفان بالجميل للدين الإسلامي، فهو الذي حمى اليهود عبر خمسين جيلاً، بينما النصارى اضطهدوهم وحاولوا المرات العديدة "بواسطة حد السيف" إجبارهم على اعتناق الدين المسيحي والتخلي عن دينهم). (www.counterpunch.org)

هوامش الفصل الرابع

Mark R Cohen" Under Crescent & Cross The Jews in, Middle Ages.(Princeton: Princeton University Press , 1994) pp(48-.52-54). James Parkes, "The Jew In the Medieval Community"(New York: Hermon Press, 1976) pp vii. 206. Encyclopedia Judaica, (Jerusalem: Keter Publishing Jouse,1971) vol. pp. (669-670). عبد الوهاب المسيري، "مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي" (د.ن. ط١، ٢٠٠٤) ص (٤١)	١
Palestine Royal Commission. Report Presented by the Secretary of Colonies, by Command of His Majesty Stationary Service, 1937.Cmd. 5479. P P.8 Robert Chazan, "Church State and Jew in the Middle Ages"(New York): Behrman House Inc. Publishers, 1890) pp.(5-15)	٢
'Norman A. Stillman " ،The Jews of Arab Lands" (Philadelphia; The Jewish Publication Society of America, 1979) p. (108).	٣
يوسف القرضاوي،"غير المسلمين في المجتمع الإسلامي"(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣) ص(٩-١٠). هاني أبو الرب،تاريخ فلسطين في صدر الإسلام ". ص(٤٩) (بيروت: دار العلم للملايين) ص (٧٥) Louis Franklestein, "The Jews .Their History"(New York: Scocken Books, 1970)p.(22). Universal Jewish Encyclopedia (New York: Universal Jewish Encyclopedia Co.) Vol. 4, p.369)' Norman A Stillman، op. cit. p. (108).	٤
Mark R. Cohen, "Under Crescent and Cross The Jews in the Middle East" (Princeton: Princeton University Press, 1994)p. `(39). Chazan , pp.(24-33). Universal Jewish Encyclopedia , (New York:Universal Jewish	٥

Encyclopedia Co.) vol. 3 p. (372) , and vol.4 p.(112).	
Benjamin Braude and Bernard Lewis," Christians and Jews in the Ottoman Empire" (London: Holmes and Meir Publishing Inc.,1982)p.(9).	٦
Stillman ,op. cit. pp. (20,76,150). S.Landshut, "Jewish Communities in the Moslem Countries of the Middle East A Survey" (London: he Jewish Chronicle Ltd. 1950,) p. (5). Philip Hitti, "Histpry of the Arabs"(London: Macmillan &CO.1940) pp. 143-144 Bernard Lewis," The Jews of Islam " (Princeton: Princeton University Press 1984)p. (13).	٧
Bernard Lewis, "The Arabs In History" (London: Hutchinson,(1975) P(93-94).	٨
Leon Poliakov, "The History of Anti Semitism" (London: Routledge and Kegan Paul, 1974) vol. It, p. (53).	٩
ول ديورانت "قصة الحضارة" ترجمة محمد بدران مجلد ١٣ ص١٣٠ عن د. مروان القدومي، جريدة القدس ١٩٨٩/٩/١م.	١٠
Great Britain – Palestine. Report by Sir William Fitzgerald on the Administration of Jerusalem.28 August, 1945. No. 14 of 1946. Printed by the Government Printer, Palestine. P.(4).	١١
حسن علي الخربطلي،"" العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة والإسلامية"(القاهرة: جامعة الدول العربية-معهد البحوث والدراسات العربية،١٩٦٩) ص (٨٧)	١٢
ظفر الإسلام خان، "تاريخ فلسطين القديم" (بيروت: دار النفائس، ١٩٧٢) ص (١٥٢)	١٣
سعد الدين العلمي ،" وثائق الهيئة الإسلامية العليا " (القدس: ١٩٨٥) عام على أحداث مجزرة الحرم الإبراهيمي بالخليل" (رام الله : مؤسسة الحق، ١٩٩٥) ص (١٢-١٥) " المجزرة في الحرم في الحرم الإبراهيمي الشريف. الحادث وما أعقبه" (القدس، مركز المعلومات الفلسطيني لحقوق الإنسان ، ١٩٩٤) ص(٨١).	١٤
فايز رشيد ، "تزوير التاريخ في الرد على كتاب نتنياهو "مكان تحت الشمس". (عمان:د.ن، ١٩٩٧ص(٨) Palestine & the UN. A Monthly Bulletin Issued by the permanent Observer Mission to the UN. Mid-January 2001. القدس- الحياة الجديدة ٣١-١٢-١٩٩٩٨	١٥
الصنارة ٨-٦-١٩٩٩، الرسالة ٣-٦-٥،١٩٩٩/١٠/١/٢٠٠٠،. الحياة الجديدة ١٩٩٩/٤/٢٤. مجلة حق العودة- تصدر عن مركز "بديل" العدد ١٠-١١ أيار ٢٠٠٥، الحياة ١٧-٥-٢٠٠٥ نقلا عن: جريدة هارتس الإسرائيلية .الحياة ٩-١-٢٠٠٤ القدس٢٠-٩-٢٠٠٥،أخبار الخليل ١٠-٨-٢٠٠٤	١٦
Universal Jewish Encyclopedia, vol, 4, p. 110-112, 370 Cecil Ruth, A History of the Jews"(New York: Schocken,1961)pp. 219-220.224	١٧
Great Britain – Palestine. Report by Sir William Fitzgeraldop.cit. P.(4). Mark R Cohen" Under Crescent & op. cit., p.(13).	١٨
الحياة ٣-٧-٢٠٠٠	١٩
أحمد سوسه، " العرب واليهود في التاريخ"، ص (٣٢٧)	٢٠
إسرائيل شاحاك"التاريخ اليهودي والديانة اليهودية. وطأة ثلاثة آلاف سنة" (بيروت: بيسان للنشر	٢١

	والتوزيع، ١٩٩٥) ص(١٤١) ترجمة صالح سوداح. احمد شلبي، " مقارنة الأديان (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦) الإسلام، ج١، ص(٢٧٤)
٢٢	الحياة ٢٠٠٤/٥/٢١
٢٣	إسرائيل شاحاك، "الديانة اليهودية وتاريخ اليهود"(بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٧) ص (١٣، ١٣١)
٢٤	Oren Yiftachel,"The shrinking Space of Citizenship. Ethnocratic Politics in Israel Barriers To Peace, Middle east Report,223, Summer 2002
٢٥	Norman Finklestein""Image and Realty of of the Israel Palestine Conflict"(Berkley C.A.: Jews For Justice in the Middle East.2000) 3rd Edition. (www.Cactus 48.com)
٢٦	الحياة الجديدة، ٢٠٠٤/٩/٢٩
٢٧	القدس ١٢-٧-٢٠٠٤،٧، ٢٠٠٤/١٢/٢، الحياة ٢٠٠٤/١١/٢٨
٢٨	الحياة الجديدة٢٠٠٤/١١/٢٣
٢٩	القدس ٢٠٠٤/١٢/٩
٣٠	الحياة ٢٠٠٤/١٠/٢٠
٣١	Htpp://www.Palestinerememered.com
٣٢	www.al-Mashad.org
٣٣	جريدة الحياة الجديدة ٢٠٠٥/٩/٣٠
٣٤	Cecil Ruth," op. cit. p. (276-277). Louis Franklestein, p. (249), (232) James Parkes, "The Jew of the Medieval Community" (New York : hermon Press,1976)p.(263) Universal Jewish Encyclopedia, vol, 4, pp.(112, 116,370) Chazan, p.(311,318)
٣٥	القرضاوي ، مصدر سبق ذكره ،ص(١٤-١٥). حسن الزين ،"أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي" (بيروت : د.ن، ١٩٨٢) ص (١٦-١٧).
٣٦	Bernard Lewis ,(Editor) Islam From the Birth of the Prophet Muhammad to the Capture of Constantinople" Vol. II : Religion and Society.(New York & Oxford: Oxford University Press, 1978) pp. (223-224). Bernard Lewis, The Arabs in History" London : Hutchinson, 1975) M 93-94
٣٧	Amnon Cohen, "Jewish Life Under Islam-Jerusalem in the 16th Century"(Cambridge Massachusets and London: Harvard University Press,1984) p.(217).
٣٨	سامي هداوي الحصاد المر Origin of the Palestine Israel Conflict"(Berkley C.A.: Jews For Justice in the Middle East. 3rd edition) (www.Cactus48.com)
٣٩	شاحاك، ص(١٥١). شلبي، ج١، ص(٢٧٣). Amnon Cohen, "Jewish Life , op. cit., p.(217).
٤٠	شاحاك، "الديانة اليهودية " ص (٢٠-٢١)
٤١	روجيه غارودي، " ملف إسرائيل . دراسة للصهيونية السياسية " (القدس : وكالة أبو عرفة ، ١٩٨٦) ص ١٢١، ترجمة مصطفى كامل فودة، ص(١٢٤). America and the Founding of Israel. P. (49) & Righteous Victims, p. (221-22) PalesineRemembered.com

Abdul Jawad Saleh and Dr Walid Mustafa,"The Collective Destruction of Palestinian villages and Zionist Colonization 1882-1982"(London: Jerusalem Center for Development Studies,1987) p.(17).	
Gazi Fallah," How Israel Controls the Bedouins in Israel?" Journal of Palestine Studies," Volume XIV, No. (2),(Winter 1985). Pp.(36-51). Hanna Nakara, op. Cit. Pp. (29-30)	٤٢
Alfred Lielenthal, " What Price Is Israel " (Chicago : Henry Regnery Co. ,1953) , p. (120).	٤٣
جريدة الحياة الجديدة، ٢٠٠٠/٧/٨	٤٤
Israeli League For Human and Civil Rights. The Shahak Papers, Compiled and Edited by Adnan Ahmed.(Beirut: NEEBIL, n.d.. (Shahak Papers), p.(213). Meron Benvenisti, et. Al. "The West Bank Handbook. A Political Lexicon"(Jerusalem: The Jerusalem Post) pp.(113-119) Lelienthal, p. 91600 Middle Eat Report 223, Summer 2002 الحياة ١٩-٩-٢٠٠٥، ٢٠٠٥-٥-١٩ الحياة ١٩-٥-٢٠٠٠	٤٥
(Sami Hadawi, and Walter Lehn, "Zionism and the Lands of Palestine"(EAFORD, 1974,) pp . (15-16.)	٤٦
Israel Shahak, "Jewish History, Jewish Religion the weight of 3000 years"(London: Plutu Press,1977) p. (100). Elizabeth Mathiot. "Zionism A System of Apartheid"(The International Organization For Elimination of all Forms of Racial Discrimination-EAFORD) year... p. (4).	٤٧
ابن قيم الجوزية ، " أحكام أهل الذمة" (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١) ج١. تحقيق د.صبحي الصالح ص(٢٤، ٤٤).	٤٨
Karen Armstrong, "Jerusalem : One City Three Faiths"(New York: Knopf, 1996)p. (228).	٤٩
The Other Israel: Newsletter of the Israeli Council For Israeli - Palestinian Peace. August 1999 No 89/90 . p.(18).	٥٠
Righteous Victims p.(328). Benny Morris p.(168) PalestinRemembered.com	٥١
Israeli League ..The Shahak Papers, op. cit., p.(9). (www.PalestineRemembered.com), (230Zionist Myths exposed www.jap.org), Abdul Jawad Saleh et/al. op. cit. p.(17).	٥٢
Israeli League.. The Shahak Papers, op. cit., p.(9). الحياة الجديدة ١٩٩٩/٦/١٦.	٥٣
الشيخ سعد الدين العلمي، " وثائق الهيئة العليا"، ص(٢٧). الحياة الجديدة، ١٩٩٩/٩/١٤.	٥٤
Gazi Fallah , op. Cit. ,p.(47).	٥٥
الحياة ١١-٥-٢٠٠٧	٥٦
Shahak Papers, op. cit, pp.(94,211) National Lawyers Guild "Treatment of Palestinians in Israeli Occupied West Bank and Gaza" Report of the National Lawyers Guild 1977 Middle East Delegation"(New York,1978) p. (63-66) Punishing the Innocent. House Demolishing and SEALING IN	٥٧

	THE West Bank. A Palestine Chronicle(London: Council For the Advancement of Arab British Understanding,1987) p.(13)
٥٨	(القدس ٢٤-٨-٢٠٠٤)
٥٩	الأيام ١٨-٥-٢٠٠٤www.iap.org
٦٠	الأيام ٢٩-٥-٢٠٠٤
٦١	Palestineremembered.com, Lielenthal, op. cit. p.(159)
٦٢	الحياة ١٤-١٠-٢٠٠٥
٦٣	الحياة الجديدة ٢-١٠-٢٠٠٥
٦٤	الحياة ١١٩-١٠-٢٠٠٤
٦٥	الحياة ١٦-١١-٢٠٠٤
٦٦	Emma Plyfair, Demolishing and Sealing of Houses as a Punitive Measure in the Israeli Occupied West Bank"(Ramallah: Al-Haq Law in Service of Man,1987) p.(20)
٦٧	Lielenthal, op. cit., p. (175)
٦٨	مجلة الطريق: العدد ١٠ ، أوائل أيلول ٢٠٠٥
٦٩	القدس١٩-١٠-٢٠٠٤
٧٠	الحياة ٢٩-٩-٢٠٠٤
٧١	Universal Jewish Encyclopedia, vol, 4, p. (112,370). A. C. Bouquet," Comparative Religion"(Harmonds worth Middlewsex : Penguins,1951) p. (228) Cecil Ruth, "A History of the Jews"(New York: Schocken, 1961)pp. (210-211,226-228,273-277, (280))Lewis Franklestein p. 249).
٧٢	Bernard Lewis," The Jews of Islam ", pp. (27-28). Amnon Cohen, in Braude and Lewis, "Christians and Jews in the Ottoman Empire " p.(10) Stillman, op. cit., p.(62).
٧٣	Bat Yeor, "The Dhimmi. Jews and Christians under Islam"(London and Toronto: Associated University Press, 1985) P. (52).
٧٤	Mark R. Cohen, "Under Crescent op. cit., p.(8).
٧٥	إسرائيل شاحاك، " التاريخ اليهودي ، الديانة اليهودي وطأة ثلاثة آلاف سنة" (بيروت : نيسان للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٥) ترجمة صالح سوداح.ص (٢٢-، ٢٦، ٩١).
٧٦	Mark R. Cohen, Under Crescent and Cross , p.(168).
٧٧	إسرائيل شاحاك، " التاريخ اليهودي ، ص (٢٢-٢٦)
٧٨	شاحاك، المصدر السابق، ص (٥٠).
٧٩	الزرو، "" ، ص (١٨٢-١٨٣)
٨٠	روجيه غارودي ، " ملف إسرائيل . دراسة للصهيونية السياسية " (القدس : وكالة أبو عرفة ، ١٩٨٦) ص ١٢١، ترجمة مصطفى كامل فودة.ص(١٢٤). السفير طاهر شاش، "التطرف الإسرائيلي.جذوره وخصائصه(القاهرة: دار الشروق، ١٩٦٨) ص (٦٤) +Righteous Victims p. (21-22). America and the Founding of Israel p. (49).
٨١	Palestineremembered.com Righteous Victims p. (14).
٨٢	One Palestine Complete p. (45). PalestineRemembered.com

روجيه غارودي، " محاكمة الصهيونية الإسرائيلية"(لبنان: الفهرست، ١٩٩٨) ص (٤٩)	٨٣
الحياة ٣٠-٣-٢٠٠١، نقلا عن يديعوت.	٨٤
www.cavtus.com	٨٥
إيان لوستيك، " العرب في الدولة اليهودية" (القدس: مكتب أبو عرفة، ١٩٨٢) ترجمة غسان عبد الله. ص (٢٧) Elizabeth Mariuot, "Zionism A System of Apartheid "(The Organization for Elimination of All kinds of Racial Discrimination) (EAFORD) p.(5-7),ABDUL Jawad Saleh, et. al., op. cit. p. (17) Al-JHAq LSm Briefing Papers. Israeli Occupied West Bank aqnd Gaza Strip" p. (260). جريدة الحياة الجديدة ١٩٩٩/٣/٢٢ نقلاً عن هآرتس وتقرير جمعية حقوق المواطن في إسرائيل.	٨٦
Expulsion of the Palestinians p.(18). JEWWATCH.COM, WWW,IAP.ORG	٨٧
The Library of the Congress Country Studies.geographic.org لوستيك، ص (١١٢)	٨٨
الحياة ٢٨-٩-٢٠٠٥	٨٩
http://www.btselem.org	٩٠
The Other Israel-Newsletter of the Struggle.for Israeli Palestinian Peace. September- October 2004, NO.115/116 p.(25) www.Al-mashad.org	٩١
(IADL) International Associations of Democratic Lawyers," *Report of the IADL Mission to the Palestinian Occupied* Territories-2001"	٩٢
Mark R.Cohen, "Islam and the Jews Myth and Counter Myth, History" in ,SHlomo Deshen and Walter P. Zenner (edition)"Jews Among Muslim Communities of the Middle East"(London: Macmillan Press Ltd, 1996)p. (53, 58). Paul E. Zmirnach (editor)"Aspects of Jewish Culture in the Middle Ages(New York: State University of New York Press,1979)"p. (73) Universal Jewish Encyclopedia, vol, 3, p. 370, vol.iv p. 112, 369 Mark R. Cohen, "Under Crescent "p.(35,38) Universal Jewish Encyclopedia p, 654. محمود النمورة، الفلسطينون ومؤسسات الحكم المحلي، ص (٥٧)	٩٣
Bernard Lewis, "The Arabs In History" (London: Hutchinson, (1975) P(93-94)	٩٤
القرضاوي ، ص (٢٢-٢٣).	٩٥
راشد الغنوشي، " حقوق المواطنة، حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي" (هيرندن- فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٣) .ص(٩٠-٩١).	٩٦
Mark Cohen"،Islam and the Jews : Myth op. cit., p. (57).	٩٧
Amnon Cohen "، Jewish life op. cit., p. (219).	٩٨
Amnon Cohen, op. Cit. p.(219)	٩٩
محمود النمورة، " الفلسطينيون ومؤسسات الحكم المحلي بين الحكم الذاتي والاحتلال وحق تقرير المصير- الجزء الأول – العهد العثماني ١٩٩٤) ص (٢٨٦-٢٨٧).	١٠٠
Amnon Cohen, "Jewish Lifeop.cit., p.(217).	١٠١

Edward Bying,"" The World of the Arabs" (Boston: Little Brown and Co., 1944) p.(144).	١٠٢
أ. س . ترتون، أهل الذمة في الإسلام"(القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧) ص (١٠٠) E. Ashtor(Hebrew University) "Prolegomena to the Medieval History of Oriental Jews The Jewish Quarterly Review , Volt 1, No, 50(1959-1960)p. (150,159, 165). Goltein, "Jews and Arabs .Their Contacts Through Ages" (New York: Schocken Books Inc.1955) p. (82). "Landshut, op. cit. p(55 " Gutmann, Shekner, pp.(62-63).Landshut, p-. 28,55, ,Mar; R. Cohen, "Under Crescent and cross, the Jews, op. cit., p.(195)	١٠٣
Graetz" ،History of the Jews" Vol. II, (Philadelphia: The Jewish Publication Society ofAmerica,1967) pp. (627-628). محمد بحر عبد المجيد، "اليهود في الأندلس"(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠) ص(١٤).	١٠٤
إسرائيل شاحاك، " التاريخ اليهودي ، الديانة اليهودي وطأة ثلاثة آلاف سنة" (بيروت : نيسان للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٥) ترجمة صالح سوداح.ص (١٣٦)	١٠٥
روجيه غارودي، "ملف إسرائيل. دراسة للصهيونية السياسية " (القدس: وكالة أبو عرفة، ١٩٨٦) ص ١٢١، ترجمة مصطفى كامل فودة.	١٠٦
كاميليا بدر، نظرة على الأحزاب والحركات السياسية الإسرائيلية"(القدس: جمعية الدراسات العربية،١٩٨٥) ص (٣٢)	١٠٧
جريدة الحياة الجديدة ٢٠/١٢/١٩٩٩ نقلاً عن هارتس وتقرير جمعية حقوق المواطن في إسرائيل.	١٠٨
إيان لوستيك، " العرب في الدولة اليهودية" (القدس: مكتب أبو عرفة ، ١٩٨٢) ترجمة غسان عبد الله. ص (٨١، ٢٢، ٨١).	١٠٩
الرسالة ١٥-١١-٢٠٠١	١١٠
لوستيك، ص (٦)	١١١
الحياة ٢٧-٧-٢٠٠٤، مجلة الكريق ، عدد ١٤، ١٤ تشرين أول عام ٢٠٠٥	١١٢
Bernard Lewis, "The Arabs In History" (London: Hutchinson, (1975) P(93-94).	١١٣
Mark R.Cohen "Under Crescent op. cit. pp. (lx ،xvii, xvii,xviii, 2).	١١٤
Bernard Lewis, et. al. "The Encyclopedia of Islam" op. cit. p. (230).	١١٥
S.D. Goitein "Jews And Arabs. Their contacts Through Age" (New York .Schocken Books Inc. 1955)p.(7) .	١١٦
Martin Gilbert "Jewish Historical Atlas" (London: Widen field and Nicolson, n. d.) p.(19).	١١٧
Palestine Royal Commission Report presented to the Secretary of State for the Colonies, July 1977. Cmd. 5479 London His Majesty Stationary Office, 1937 p.(7).	١١٨
S.Landshut, op. cit. p.(8).	١١٩
يوسف القرضاوي، "غير المسلمين في المجتمع الإسلامي" (بيروت: دار الرسالة) ١٩٨٣ ص(٢١)	١٢٠
Mark Cohen"،Islam and the Jews : Myth op. cit., p. (57). عوديد أبيشار، " كتاب الخليل " الترجمة العربية بخط يد، بدون ذكر المترجم، مكتبة بلدية الخليل ، ص (٩٧).	١٢١

الفصل الخامس

العهود الإلهية

والشعوب المختارة والحقوق التاريخية

والصهيونيتان المسيحية واليهودية

تمهيد- تحريف التوراة الأصلية لخدمة أهداف مخالفة للدين

٥-١- العهود الإلهية

٥-٢- الشعوب المختارة.

٥-٣- أسطورة الحقوق التاريخية المزعومة لليهود في فلسطين.

٥-٤- الصهيونيتان المسيحية واليهودية.

الفصل الخامس

العهود الإلهية

والشعوب المختارة والحقوق التاريخية

والصهيونيتان المسيحية واليهودية

يناقش هذا الفصل موضوعاً على جانب كبير من الأهمية، ألا وهو موضوع الأساطير التي اختلقها الفكر المسيحي- اليهودي، والتي لا يزال يحاول من خلالها تبرير خلق دولة إسرائيل لتعمل قاعدة للإمبريالية الغربية في المشرق، تحرس مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية، وتحافظ على وضع التجزئة والتخلف، وتمنع قيام وحدة وديمقراطية حقيقيتين، تهددان مصالح الغرب في المشرق. وهذه الأساطير تتلخص في العهود الإلهية، والشعوب المختارة، والحقوق التاريخية المزعومة لليهود في فلسطين، والصهيونية. ومن المعروف أن هذه الأساطير بنيت على أساس ما ورد في التوراة والكتاب المقدس. وهنا سؤال يطرح نفسه: هل الكتاب المقدس مصدر تاريخي موضوعي؟ وهل التوراة الحالية هي التوراة التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام؟

تمهيد - تحريف التوراة الأصلية لخدمة أهداف مخالفة للدين

يؤكد مختصون عالميون بأن التوراة لم تكتب في زمن سيدنا موسى عليه السلام، بل كتبت بعده بعدة قرون، وأنه شارك في كتابتها أكثر من كاتب، وهو الأمر الذي يشكك في مصداقية نصوص التوراة الحالية.وعلى سبيل المثال، أكد المؤرخ"سوسة" تزوير التوراة وأنه لا يمكن الاعتماد عليها كمصدر تاريخي، واستشهد بآراء المختصين فقال:

"إن التوراة التي بين أيدينا دونت... بعد زمن إبراهيم الخليل -عليه السلام-، بألف وثلاثمائة عام وبعد زمن موسى – عليه السلام- بمقدار ثمانمائة عام، وقد دونها الكتبة والأحبار عن أفواه أسلافهم على الأكثر، فأضافوا وحرفوا ما حرفوا بحسب أهوائهم ونزاعاتهم الدينية، حتى أصبح من المتعذر التمييز بين الأصل وبين المضاف أو المحرف... لذلك فإنّ بعض علماء اللاهوت من المسيحيين أخذ يدعو إلى عدم اعتراف المسيحية بكتاب العهد القديم ككتاب ديني وحتى

ككتاب تاريخي وثائقي، ففي رأي البحاثة والمستشرق "سبنسر تريمنغهام" الرئيس السابق لكلية العلوم الشرقية في جامعة غلاسكو في بريطانيا وأستاذ العلوم الإسلامية في كلية اللاهوت ببيروت"إن كتاب العهد القديم استخدم ويستخدم لأغراض سياسية لا تقع ضمن إطاره الصحيح، وما استخدامه من قبل المؤرخين وغيرهم كمادة تاريخية لإثبات بعض الأغراض سوى تشويه للحقيقة."(١)

وقد كتب المفكر اليهودي الهولندي اسبنيوزا(١٦٣٢-١٦٦٧) "نقداً للتوراة، معتبراً إياها مصدراً تاريخياً غير سليم، ومشككا في الأحداث التي تضمنتها أسفارها.(٢)

وينتقد عالم التوراة الأمريكي "طومسون" "الانحياز الأخلاقي والأيديولوجي واللاهوتي، الذي يشكل سمة شائعة في الأطر الأكبر التي تجمع مرويّات إسرائيل،...(ويضيف أنّ) مثل هذا التعريف المرتكز على فهم إسرائيل لذاتها، أكثر ملاءمة للانثروبولوجيا والسلالات والقصص الإنشائي...، ويتعلق بالميثولوجيا أكثر مما يتعلق بالتاريخ".(٣)

٥-١- العهود الإلهية

جاءت فكرة العهد مع الديانات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلامية. وبموجب العقيدة الإسلامية.

٥-١-١- العهد الإلهي لليهود

ورد أول عهد من الله - سبحانه وتعالى - إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، أبي الأنبياء. وتذكر التوراة أن الله - سبحانه وتعالى- عقد عهداً مع سيدنا إبراهيم – عليه السلام- ونسله ليكون لهم إلهاً ويعطيهم أرض كنعان: (سفر التكوين(٧: ١٢، ٧:١٧). " وهذا الوعد أو العهد كان لجميع ذرية إبراهيم – عليه السلام- العرب واليهود، وليس مقصوراً على اليهود وحدهم.

ويدّعي مروجو مقولة الحقوق التاريخية لليهود في فلسطين أنّ المقصود بكلمة "نسلك" في الوعد الإلهي هو "إسحق"- عليه السلام- وليس "إسماعيل" – عليه السلام- لأنه كان "ابن جارية"حسب رأيهم. وهم بذلك جعلوا من الله،عز وجل، مجرد شيخ إقطاع يوزع الميراث والمراتب حسب النسل والقرابة، والمركز الاجتماعي، ونسوا أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون، العادل الذي لا يظلمّ، وأنّه الله –سبحانه وتعالى- لا يقيس مخلوقاته حسب أجناسهم وأنسابهم، وإنما حسب إيمانهم وتقواهم. ويؤكد الإسلام أنه "لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى. ويقول كتاب العهد الجديد:"لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. .. ليس يهودي ولا يوناني عبد ولا حر، ليس ذكر أو أنثى لأنكم

جميعا واحد في المسيح يسوع. فان كنتم للمسيح فانتم إذا نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة، (غلاطية ١٩/٣-٢٩). (٤)

ويفند الأستاذ"حداد" ادعاءات اليهود بأنّ الوعد اقتصر عليهم وحدهم فيستشهد بالعهد القديم الذي يؤكد أنّ إبراهيم- عليه السلام- أب لجمهور الأمم وليس لليهود وحدهم، وأنّ الله - سبحانه وتعالى - وعد أن يجعل من إسماعيل – عليه السلام أمة، فيقول:"فلا يدعى اسمك بعد إبرام بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم"(سفر التكوين ٥/٧)، "وأجعل نسلك كتراب الأرض"(تكوين ١٦/١٣)، "وابن الجارية (إسماعيل) سأجعله أمة لأنه نسلك"(تكوين ١٣/٢١). (٥)

وأكد مختصون عديدون أنّ أبناء إبراهيم -عليه السلام- الذين يرثون وعد الله هم الذين يؤمنون بما آمن به، وليس أبناءه من جسده أو من أصله العرقي"فأبناء إبراهيم الروحيون يمكن أن يشملوا جميع اليهود والمسلمين والمسيحيين الذين يعتنقون الديانات التوحيدية التي قامت على أساس ديانة إبراهيم. "اعلموا أن الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم"(غلاطية ٣:٧)... "وقالوا له أبونا إبراهيم. قال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم".(يوحنا ٨:٣٩) (٦)

ودليل آخر على مكانة "إسماعيل" – عليه السلام- عند الله -الله سبحانه وتعالى- هو أنه-تعالى- قطع عهداً مع إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام-:"وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي..." (سورة البقرة (٢) آية رقم ١٢٥). وبينما أخلف اليهود وعدهم، بل وعودهم، نجد أنّ الله -سبحانه وتعالى- وصف إسماعيل بأنه صادق الوعد." واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد"(سورة مريم(١٩) آية رقم (٥٤)

ولم تغفل التوراة ذكر إسماعيل- عليه السلام- ، بل قالت "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمّره وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمةً كبيرةً.(سفر التكوين ١٧ :٢١). ويذكر أحد المصادر أنّ الله -سبحانه وتعالى-، منح "إسماعيل" -عليه السلام-أكثر مما منح"إسحق"-عليه السلام-إذ لم يمنح إسحق-عليه السلام- اثني عشر أميراً من سلالته."(٧)

كان عهد الله مع سيدنا موسى عليه السلام مشروطا بطاعة الله وعبادته، وإن خالفوا العهد فإن الله سيعاقبهم عقاباً شديداً. (خروج ٥/١٩)." وإذا عصوا فإن الله سوف يقتلعهم من الأرض(سفر التثنية ٢٩:٨)

ويؤكد القرآن الكريم ذلك ويقول:"يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ..." (سورة البقرة) (٢) آية (٤٠) وكان الوعد التوراتي لإسرائيل مشروطاً، وقد خالف اليهود شروطه بخروجهم تكراراً على الوصايا والناموس، فخسروا وعد الله لهم بأن

يمنحهم أرض فلسطين.وهذا ما يؤكده الكتاب المقدس،بعهديه القديم والجديد: "قد أخطأ إسرائيل بل تعدوا عهدي. "(يشوع ١١/٧)..، " لم يحفظوا عهد الله وأبوا السلوك في شريعته. .."(مزمور ١٠:٧٨، ٣٧). "أليس موسى قد أعطاهم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس "(يوحنا ١٩/٧) ." لذلك أقول لكم أنّ ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره"(متى ٤٣/٢١). (٨)

ويقدم الأستاذ "حداد" وصفاً لأعمال بني إسرائيل، مستشهداً بأسفار العهد القديم فيقول:

يقول ميخا:" اسمعوا يا رؤساء، بيت يعقوب وقضاة بيت إسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم. الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم. رؤساؤها يقضون بالرشوة وكهنتها يعملون بالأجرة وابناؤها يعرفون بالفضة وهم يتوكلون على الرب قائلين أليس الرب في وسطنا. لا يأتي علينا شر. لذلك بسببكم تفلح صهيون كحقل وتصير أورشليم خرباً. (ميخا ٩/٣- ١٢)...

"ها أنكم متكلون على كلام الكذب الذي لا ينفع. أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً وتبخرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها"(ارميا ٨/٧- ٩). هذا في الماضي وبسببه كان العقاب السماوي، ولا تختلف مواقف إسرائيل وممارساتها بالحاضر عما كانت عليه في أيام ارميا، فالعدل غائب والظلم قائم، وسفك الدماء مستمر. والصهيونية السياسية أحلت دولة إسرائيل محل إله إسرائيل. (٩)

٥-١-٢- من مظاهر عصيان اليهود لله سبحانه وتعالى-:

أ- عصيان أمر سيدنا موسى -عليه السلام- بدخول فلسطين

وطلب سيدنا موسى -عليه السلام- من بني إسرائيل الدخول إلى أرض كنعان واحتلالها – كما طلب الرب – إلا أنّ بني إسرائيل رفضوا ذلك. "...(٩ :١-٢٤) فغضب الرب عليهم وقاصصهم بالتيه في صحراء سيناء مدة أربعين سنة(سفر العدد ١٤ :١٠-٣٥). ويؤكد ذلك، القرآن الكريم ويقول :"قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها... فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون... قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة، يتيهون في الأرض، فلا تأس على القوم الفاسقين. (سورة المائدة(٥)الآيات ٢٤-٢٩))

ب- عبادة الأصنام و تقديم أضاحي بشرية

يذكر "يشعياهو ليبوفتش "Yeshayahu Leibuwitz" وهو يهودي متدين مناهض للاحتلال وعالم كيميائي وطبيب، أنّ الكتاب المقدس مليء بالحالات التي عصى فيها الإسرائيليون الله عن طريق عبادة الأصنام.(١٠)

وفي أثناء ذهاب سيدنا موسى-عيه السلام- للقاء ربه على جبل سيناء، عبد اليهود عِجْلاً من ذهب. (سفر الخروج (٣٢ :١١) (سورة الأعراف)الآيات (١٤٨-١٥٢). ويذكر سفر القضاة حالات عديدة عصى فيها بنو إسرائيل إلههم فغضب عليهم، وتسبب في هزيمتهم من قبل ملوك كنعان، والمديانيين العرب الإسماعيليين. (سفر القضاة ٣ :١٢، ٤ :١، ٦ :١) .(١١)

يتبين مما تقدم أنّ:" شروط الوعد والعهد لم يلتزم بها اليهود، ولم يؤمنوا بالمسيح، الأمر الذي يجعل العهد والوعد منسوخين، ومن جهة ثانية فإن التنبؤات بشأن العودة قد تحققت بعودة اليهود من بابل، ولم تظهر نبوءة جديدة تلمح إلى عودة أخرى بعد شتات اليهود على أيدي الرومان عام ٨٠م وهذا يعني أنه لا علاقة للنبوءات بولادة دولة إسرائيل المعاصرة."(١٢)

٥-١-٣- العهد الإلهي للمسيحيين

عقد الله عهداً مع سيدنا عيسى، عليه السلام، ويذكر المسيحيون، والكتاب المقدس- العهد الجديد، أن عهد المسيح -عليه السلام- كان أفضل(من العهد الذي قطع لليهود) .(سفر العبرانيين ٢٠:٧) وهكذا، يقارن المسيحيون بين عهد الله لبني إسرائيل وعهد المسيح فيقولون أن عهد الله إلى بني إسرائيل كان بأن يكافئهم بتبرعات مادية مؤقتة، بينما وعدنا الله بأن يمنحنا "الروح المقدسة"، وبالتالي فإن وعد المسيحيين الروحي كان أفضل من وعد اليهود المادي.(١٣)

٥-١-٤- العهد الإلهي للمسلمين

وكما أخذ الله -سبحانه وتعالى- عهداً من الأنبياء السابقين، أخذ عهداً من نبيه محمد -عليه الصلاة والسلام-. "وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً. (سورة الأحزاب رقم(٣٣) آية رقم (٧)). أي أخذنا منك يا محمد ومن الأنبياء السابقين عهداً وثيقاً عظيماً على الوفاء بما التزموا به من تبليغ الرسالة.(١٤)

٥-١-٥- العهد والمسلمون واليهود اليوم

يميز اليهود بينهم وبين غيرهم من الأمم الذين يدعونهم "الأغيار" أو "جوويم" فهم يعتقدون أنّ الرب "رب إسرائيل" فقط، وأنّ العهد لهم وحدهم. ومع ذلك عصوا ربهم فقضى عليهم بأن يكونوا صغاراً بين الأمم.(سفر عوبديا ١ :٣) أما إسماعيل -عليه السلام-، فقد أطاع الله عندما كلف مع أبيه ببناء الكعبة وقالا: "ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم"(سورة البقرة آية (١٢٧)، "واذكر في الكتاب إسماعيل إنّه كان صادق الوعد"(سورة مريم آية (٥٤).

ويظهر أنه نتيجة لطاعة المسلمين لله وعملهم بموجب شريعته فقد كثر الله عددهم ووسّع دولتهم، وأطال مدة حكمهم بعكس اليهود الذين قضى عليهم بأن يكونوا قلة ومدة حكمهم قصيرة إذا ما قورنت بمدة حكم الدولة الإسلامية. وهو الأمر الذي يؤكده الأستاذ "علي" ويقول:

نشر المسلمون ديانة الإسلام التوحيدية... فكانت النتيجة أنّ الأمم والشعوب، من كل الألوان والأجناس ، دخلت في الإسلام... فالمسلمون اليوم يشكلون ما نسبته ٢٠-٢٥% من سكان العالم (١,٢إلى ١,٥ بليون) ينتشرون في جميع أنحاء العالم ويتزايدون . بينما يقل عدد اليهود عن ١٥ مليون نسمة (ويتناقصون) ، أي ٢٥و0 % من سكان العالم أو ١% من عدد المسلمين. وهكذا فالمسلمون يشكلون أمة أكبر بكثير من اليهود... والحقائق التاريخية تثبت أنّ الله حرم اليهود من عهد إبراهيم -عليه السلام- لأنه لم يدعهم يحكمون فلسطين إلا لفترات قصيرة، بينما منح الله القوة للمسلمين ليحكموا مدة أطول بكثير. (١٥)

٥-٢- الشعوب المختارة

٥-٢-١- اليهود كشعب مختار

جاءت فكرة الاختيار في التوراة: "إن سمعتم صوتي وحفظتم عهدي تكونون خاصة من بين جميع الشعوب... مملكة كهنة "(سفر الخروج ١٩ :٥-٦). ويوضح الفيلسوف البريطاني "توينبي" (Toinby) وجهة نظر اليهود في موضوع اختيار الله لهم فيقول:" قال اليهود قصتهم من وجهة نظرهم الخاصة بهم بأنهم شعب مختار، وأن جميع بني البشر الآخرين هم " أغيار ، أي من نسل أدنى " حسب قول كبلنج Kipling". (١٦)

وهكذا، يفاخر اليهود بأنهم شعب الله المختار، ويستعلون على غيرهم بسبب ذلك الاختيار، رغم أن الاختيار " لم يكن ناجماً عن أفضلية اليهود عن

سواهم. "إياك قد اختار الرب إلهك فتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. ليس من كونهم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب"(تثنية ٧/٦-٧). (١٧)

وقد اختار الله الشعب اليهودي حتى "يكون خادماً له، وليكون الوسيلة التي يصلح العالم ويوحد بها الأمم، مما يجعل الاختيار ليس ميزة بحد ذاتها فقط، وإنما تكليف الهي بحمل المسؤوليات. (١٨)

ويوضح الكاتب الإنجليزي"ونجلي" المعنى الحقيقي لاختيار الله لليهود فيقول إنّ الاختيار:

" لا يعني بالضرورة أن الشعب المختار تحت حماية خاصة من الرب ورعايته المخصوصة... والغرض من اختيارهم، بعيد تماماً عن أن يكون ذلك بسبب امتيازهم،... إنهم مختارون لكي يكونوا شهودا مخصوصين على التوحيد. .. وبالفعل يؤكد كل المدرسين اليهود أنّ اختيار الرب لليهود ليس من أجل الامتياز وإنما من أجل الخدمة".(١٩)

وقد أوضح القرآن الكريم أنّ الله -سبحانه وتعالى- قد فضّل آباء اليهود على عالمي زمانهم "بإرسال الرسل، وإنزال الكتب السماوية"، ولم يفضّلهم ليمارسوا ممارسات عنصرية أنانية وعدوانية على غيرهم من مخلوقاته. "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين". (سورة البقرة آية (٤٧) (٢٠)

ويعتبر كتاب متخصص في الديانة اليهودية أن اختيار الله -سبحانه وتعالى- لليهود هو" من طبيعة أخلاقية من الطراز الأول، وأنّه لا يضفي امتيازات على الشعب المختار، كما أنّه لا يمنح المجموعة المختارة أي تفوق فطري، بل على العكس من ذلك، فإنّه يفرض عليها طريقة سلوك شاقة "(٢١)

وتؤكد ذلك مصادر غربية عديدة ، منها موسوعات، وقاموس الكتاب المقدس التي تذكر أنّ اليهود "لم يختاروا لصفات أو مميزات خاصة بهم ، وإنما اختيروا لإيصال رسالة الله للناس عن طريق أن يكونوا قدوة لهم في ذلك" (٢٢)

٥-٢-٢- المسيحيون- الإنجليز – الأمريكان – كشعوب مختارة

يعتقد المسيحيون بأنهم أيضاً شعب الله المختار. وأنّ اليهود"كان لهم حق ساري المفعول في الخطة الإلهية حتى قيام المسيح.فحتى تلك اللحظة كان اليهود هم الشعب المختار، كما يدّعون هم... ولكن بعد نبوءة عيسى، عليه السلام، فقد استبدل الله التوراة بقانون جديد". (٢٣) و ظل موقف الكنيسة

الرسمية التقليدي تجاه اليهود طوال ما يقرب من ألفي عام(حتى المجمع المسكوني الثاني عام ١٩٦٤) يقوم على مقولات أنّ اليهود بقتلهم المسيح قد قتلوا (الإله) وأنّ الشعب المختار صار هو شعب الكنيسة.(٢٤)

و قال المسيح لأتباعه: "وأما أنتم فجنس مختار.. أمة مقدسة... شعب الله(رسالة بطرس الأولى ٢ :٩)". ويعطي "غارودي" أمثلة بالشعوب التي اعتبرت نفسها شعوبا مختارة في مناطق عديدة من العالم فيقول:

> نعم إنّ كل قومية متعصبة هي بحاجة إلى خلع طابع القداسة على مزاعمها: فبعد تمزق المسيحية كانت كل (دولة- أمة) تزعم أنها قد تلقت الحق في الإرث المقدس بتكليف من الله... من روسيا إلى ملوك إسبانيا... إلى فرنسا... إلى ألمانيا التي هي (فوق الجميع) لأنّ الله معها. وها هي ذا (إيفا بيرون) تعلن أنّ رسالة الأرجنتين هي حمل رسالة الله إلى العالم و.. يعلن "فورستر " رئيس وزراء جنوبي إفريقية المشهور بعنصريته الرهيبة إعلان المتنبئين:"علينا أن لا ننسى أننا شعب الله المخولون بحمل رسالته". بعد هذا ... فلماذا إذن لا تضرب القومية الصهيونية على الوتر نفسه الذي ضربت عليه كل النزعات القومية المتعصبة؟(٢٥)

واعتبرت إنجلترا نفسها أنها الشعب المختار، وفي الدوائر والأوساط الإنجيلية كان الاعتقاد منتشراً أنّ "انجلترا قد حلت محل اليهود كشعب الله المختار"..وبعد دخول البروتستانتية إلى انجلترا ظل الإنجليز يطلقون على إنجلترا صفة"الشعب المختار، .. وقد عُرِّف المختارون بأنهم "أولئك المعرفون فعلاً للرب... القبيلة الإنجليزية البيضاء، الشعب المختار المرئي الذين كانوا أول من اعتنق البروتستانتية من الإنجلوسكسون."(٢٦)

واعتبر الأمريكيون أنفسهم أنهم الشعب المختار، وبعد الثورة الأمريكية ضد الإنجليز كان الآباء المؤسسون في وثائق مثل إعلان الاستقلال والدستور يريدون"أن يكونوا "بلد الرب".(٢٧)

ويذكر الكاتب المسيحي الغربي المتدين "اب" (Epp) أنّ الأمريكيين يعتبرون أنفسهم الشعب المختار، كما يعتبرون واشنطن المدينة المختارة، فيقول:
"الفكرة العالمية بوجود أرض طيبة، وُعِد بها شعب أفضل، من قبل آلهة أعلى، حدثت كثيراً في التاريخ... وأمريكا،..، أصبحت الأرض الموعودة بالنسبة إلى شعوب مهاجرة عديدة. وكان شعورهم قوياً اتجاه البلاد التي أقاموا فيها..، لدرجة أنهم ... سمعوا ربهم يأمرهم بقتل الهنود، واستبعاد الزنوج، ومحاربة

الإسبان، وحصار اليابانيين، وحتى ذبح الفيتناميين لكي يجعلوا الأرض الموعودة آمنة للشعب المختار"... وكان مما جاء في النشرة الإعلامية لمدينة واشنطن:"في كل عصر من العصور كانت هناك مدينة واحدة ظهرت بأنها مركز العالم، والتي اختارها القدر لأن تحرس آمال الرجال، وأن تمسك وتدير طموحاتهم، وأن تقرر إمكانية عظمتهم، أو سعادتهم أو شقاؤهم، عبوديتهم أو حريتهم. وهذه المدينة العالمية في زمننا هذا هي واشنطن".(٢٨)

٥-٢-٣- المسلمون كشعب مختار

اختار الله - سبحانه وتعالى- المسلمين لعبادته ونشر رسالة التوحيد للناس كافة. ولم يكن اختيار المسلمين لميزة خاصة بهم قبل اختيارهم، وإنما اختيروا لكي يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويتقيدوا بتعاليم دينهم."كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله.." (سورة آل عمران (٣) آية (١١٠). ويرى المؤرخ الغربي "كرك"(Kirk) أنه في القرون الأولى من حكم الدولة الإسلامية أصبح"من الطبيعي أن يعتبر المسلمون حكم الدولة الإسلامية بأنه دليل ملموس لفضل الله على شعبه المختار".(٢٩)

ويرى الكاتب اليهودي الفرد لينتال أنه لما كان المسلمون والمسيحيون الآن "يحملون فكرة الشعب المختار أيضاً ويؤمنون بأفكارها نفسها فلم يعد لخصوصية اليهود محل كشعب مختار." (٣٠)

٥-٢-٤- نقد وتفنيد نظرية الشعب المختار بالمعنى الصهيوني العنصري

انتقد كتاب مسلمون ومسيحيون ويهود فكرة الشعب المختار. ويقول الأستاذ حداد:" إنّ الله منزّه عن المحاباة بين شعب وآخر"لأن ليس عند الله محاباة"(رومية ٢:١١)، وأنه رب العالمين وليس خاصاً بشعب دون بقية الشعوب، فمفهوم الخصوصية مفهوم قبلي بدائي." (٣١)

وقال المفكر الفرنسي "جارودي:

> فكرة الشعب المختار فكرة صبيانية من الناحية التاريخية، فكل الشعوب قد عبرت في الكتابات الصادرة منها عن ذلك الإحساس أنها متميزة عن غيرها، وتترجم ذلك بعبارة "الاختيار" فلماذا نصدّق ما يقوله شعب واحد عن نفسه ولا نصدق الآخرين؟ فكرة الشعب المختار فكرة إجرامية من الناحية السياسية لأنها هي التي.أضفت دائما صفة القداسة على كل ألوان العدوان والتوسع والسيطرة. وفكرة الشعب المختار من الناحية اللاهوتية فكرة لا يمكن احتمالها فوجود "مختارين " معناه وجود "مبعدين" غير مرضي عنهم. فكل سياسة تقوم على هذه

الأسطورة تؤدي بالضرورة إلى إنكار الغير وعدم الاعتراف بهم. ومن ينكر غيره فهو جاحد بعيد عن الله الذي يسوّي بين الناس جميعا.(٣٢)

وتقول جماعة "ناطوري كارتا" اليهودية المتدينة المعادية للصهيونية : " لم يُختر الشعب اليهودي للسيطرة على الآخرين، ولا للفتح أو الحرب، إنما اختير لعبادة الله، وبالتالي لخدمة الإنسانية. لم يُختر الشعب اليهودي ليكون مثالا للتفوق الحربي، والإنجازات التكنولوجية، ولكن ليصل إلى درجة الكمال في التفوق الأخلاقي، والطهارة الروحية."(٣٣)

ونحن لا ننكر أنّ اليهود قد اختيروا لأداء رسالة التوحيد السماوية، ولكننا نود أن نؤكد حقائق هامة وهي: (١) أنهم ليسوا الجهة الوحيدة التي اختيرت لأداء رسالة التوحيد، حيث اختير المسيح ومحمد عليهما السلام لأداء رسالة المسيحية، ورسالة الإسلام التوحيدية. (٢) أنّ اليهود لم يختاروا لذاتهم أو لميزة خاصة بهم تميزهم عن سائر الأمم.(٣) أنّ اختيارهم كان مربوطاً بطاعة الله، وعبادته وحده . وقد سبق أن أوضحنا أنّ ذلك الشرط لم يتحقق.ومع ذلك فقد استغل اليهود الديانة السماوية السمحاء التي تفرق بين جنس وآخر من مخلوقات الله، وفسروها تفسيراً عنصرياً، وأعطوا أنفسهم حقوقاً أنكروها على غيرهم من البشر. وفي الواقع، فإنّ فكرة الشعب المختار غير منطقية، ولا أساس لها من الصحة.

ويخلص الكاتب البريطاني" لونجلي" من دراسته لفكرة الشعب المختار إلى أنّ:

استنتاجنا النهائي ..أنّه بينما ما تزال هذه النظرية مؤثرة. فإنها ليست حقيقية – ولم تكن أبداً – والدليل التاريخي وحده يفندها، مهما نفخنا في الموضوع اللاهوتي، وبينما حقنت حيوية قوية في حيازة الأمتين اللتين آمنتا بها عن أنفسهما، (بريطانيا وأمريكا)، فإنّ هذه النظرية جعلتهما يعتقدان أيضا أنّ من حقهما السعي وراء مصالحهما الخاصة حتى لو تعارضت مع مصالح الآخرين.
مثل هذه الأمم مصدر تهديد محتمل للأمم الأخرى، بيد أنها سوف تشعر شعوراً مكثفاً بأنّها على حق، وتقتنع بأنّ التبرير الأخلاقي لأفعالها يكمن في وضعها الفريد، كما أنها لن تسمح للآخرين بمحاسبتها إذا كان "ملاك يركب الريح الدوارة ويوجه هذه العاصفة " كما كتب "جون بيج" إلى "توماس جيفرسون"، فإنّ استنتاج "جورج بوش إذن، يكون صحيحاً: إن الوقوف في وجه أمريكا هو مقاومة لإرادة الرب. ... بيد أنّ هذا ليس قانوناً عالمياً، إذ أنّ تأثيرات أمة قوية مقتنعة بأنّ الرب إلى جانبها لا يمكن أن تكون محدودة بذاتها. فهي يمكن أن تعمل، صواباً أم خطأ، وهي متمتعة بالحصانة.

والحقيقة، أنه في الحالة المتطرفة، يمكن لحالة الشعب المختار أن تتحول إلى نزعة وطنية دينية حماسية يمكن أن تتحول إلى فاشية.(٣٤)

ورأي "لونجلي"هذا ينطبق ١٠٠% على ما يجري الآن في العراق. فاعتقاد الرئيس الأمريكي "بوش" أنه "يحقق إرادة الرب" تحوّل إلى فاشية تسببت في إزهاق أرواح عشرات الآلاف من العراقيين المدنيين الأبرياء، وآلاف الجنود الأمريكيين المعتدين.رغم أنه من الواضح تماماً أنه ارتكب هذه الجرائم من أجل مكاسب اقتصادية، وأنّ الله سبحانه وتعالى برئ منه ومن جرائمه بحق الإنسانية.

ويشارك الكاتب المسيحي المتديّن "إب" (Epp) الكاتب "لونجلي" الرأي ،ويوضح كيف أسيء استعمال مفاهيم " الشعب المختار" و"والوعد الهي" لتخدم سياسات استعمارية فيقول:

غالباً ما ترجمت فكرة الشعوب المختارة إلى عنصرية، قومية، استعمار وتعصب طائفي، فلا تزال فكرة الشعب المختار تُستعمَل لتبرير سرقة الأرض، بدلاً من اقتسامها، ومملكة الله تُختزَل لتصبح مملكة الإنسان (ص ١٨٨)... فاليهود ادعوا أنهم الشعب المختار لمجرد كونهم يهوداً، والمسيحيون ادعوا أنهم الشعب المختار لمجرد كونهم مسيحيين، وفي نظر الله، ربما فقد الفريقان صفة الاختيار" (٣٥)

٥-٣- أسطورة الحقوق التاريخية المزعومة لليهود في فلسطين

يدعي اليهود أنّ لهم حقوقاً دينية في فلسطين اعتماداً على وعد رباني لهم، ولأنّهم شعب الله المختار، وأنّ الله وعدهم بالعودة إليها، كما أنّهم يحنّون إليها منذ السبي البابلي، وينتظرون مسيحاً جديداً يعيدهم إليها، كما يدّعون أيضا أنّ لهم الحق في فلسطين بصفتهم "جنس" أو "عرق"، ولأنّهم عانوا من اللاسامية واضطهاد ومذابح الغرب لهم. والأمر الغريب هو أنّ هؤلاء الصهاينة المسيحيين واليهود، يصرون على أن يكفّر العرب والمسلمون عن خطايا الغرب بحق اليهود، وأن يقيموا علاقات سلام معهم، رغم احتلالهم أرض فلسطين العربية الإسلامية ،وسفك دم شعبها،وتشريده، وهتك عرضه، واغتصاب جميع حقوقه القانونية والإنسانية.كما أنّ الأمر الأكثر غرابة هو أنّ اليهود المشتتين في العالم منذ تدمير القدس عام (٧٠م) ادعوا أنّ لهم الحق في "عرق" وقومية، ودين، لكنّهم يرفضون أن يعترفوا بالفلسطينيين كشعب، وينكرون ما للإسلام والعروبة معاً من دور في فلسطين والشعب الفلسطيني، لأنّه بدون ذلك لا يمكن

أن يشكلوا قاعدة تخدم أسيادهم الذين صنعوا الصهيونية، ولا يمكن أن تكون لهم دولة، وظلوا يصرون على أنّ الشعب الفلسطيني غير موجود، ولما ثار ذلك الشعب وأثبت وجوده، رفضوا الاعتراف بحق ذلك الشعب في وطن ودولة مستقلة.

ومن الضروري أن ننوه سلفاً إلى الأمور التالية:-

أولاً: من المعروف أن من له حقوق يطالب بها، ومن الثابت أن اليهود لم يثوروا ولم يقوموا بأية محاولة جماعية للعودة إلى فلسطين منذ طردهم من قبل الرومان عام (٧٠م) وحتى مؤتمر بازل عام ١٨٩٧م. ولم تكن فكرة استغلال مقولة"الشعب المختار" منتشرة في العصور الوسطى. وهذا ما تؤكده المصادر اليهودية، وتذكر أنّ ذلك الموضوع نادراً ما تطرق إليه أعظم مفكر يهودي في ذلك الوقت وهو "ابن ميمون" وأنّه لم يذكر فكرة الشعب المختار ضمن مبادئه الخاصة بعهود الله".(٣٦)

وقد بدأت عملية استغلال مقولة الحقوق التاريخية مع غزو نابليون لمصر وفلسطين عام ١٧٩٨م، وقبيل ذلك، عن طريق المستعمرين الغربيين ، لا عن طريق اليهود.

ثانياً:- الديانة اليهودية ضد عودة اليهود بالقوة إلى فلسطين،وهي تدعو إلى عودة عن طريق مسيح من جانب الله يعيد اليهود إلى القدس. وغالبية اليهود المتدينين كانوا ضد عودة اليهود إلى فلسطين عن طريق الاستعمار الغربي، وقوته المادية، ضد رغبة ومصلحة أهل فلسطين العرب، وهو الأمر الذي سنناقشه عند بحث موضوع الصهيونية.

ثالثاً:- إذا صدّقنا أسطورة "الحقوق التاريخية " التي تقوم على أساس "العهود الإلهية" وأنّ "كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته"(سفر يشوع ٣:١) فإنه يترتب علينا أن نعطي اليهود كل أرض العالم، فلا يوجد بلد في العالم لا يسكنه يهود أو لم تطأ ، أو وطئت أرضه يهود. وهنا نقع في مشكلة أعظم، فأين نذهب بسكان العالم ما دام اليهود يرفضون الأغيار، ويسعون لكي تكون الأرض لهم وحدهم.؟!

ولن نناقش هنا ادعاءات اليهود المبنية على وعد بلفور وعلى الاضطهاد الغربي، بل سيؤجل ذلك إلى حين بحث علاقة الصهيونية بالاستعمار الغربي.

وتقتصر مناقشتنا هنا على توضيح مدى كذب أسطورة الحقوق الدينية والتاريخية المزعومة لليهود في فلسطين باستعراض أسطورة العهود الإلهية وأسطورة الشعوب المختارة، ثم القانون الدولي.وسوف نفنّد ادعاءات اليهود بحق ديني أو تاريخي لهم في فلسطين، بطريقة موضوعية وذلك بالاستعانة بآراء ودراسات مفكرين ومؤرخين عالميين.

ويرى الكاتب الفلسطيني عادل سمارة أنّه" أمام تحقق المشروع الصهيوني بالقوة المجردة والعنف المفتوح، يصبح الاحتماء بالحق التاريخي العربي وحده حجة تشكّي لا قوة تصدّي".(٣٧)

ورغم هذه الحقيقة الساطعة، وهذا الوضع المتردي الذي وصلنا إليه، إلا أننا نرى أنّه من الضروري أن نبذل كل جهد ممكن لتعميق الوعي بحقنا القانوني والتاريخي الثابت في فلسطين، وغرس الإيمان بذلك الحق في عقول شعبنا والعرب والمسلمين، وكشف مدى تحدي الغرب والصهيونية للشرعية الدولية، وكيف أنهم كالوا بآلاف المكاييل، ضاربين عرض الحائط بمبادئ العدل والحق والمساواة وحقوق الإنسان التي قدّم العالم من أجلها ملايين الضحايا عبر العصور.إننا نرى أنّ حملة نشر الوعي العالمي بمدى انتهاك الغرب للشرعية وحقوق الإنسان، ومدى نفاقه في تطبيق المبادئ التي ينادى بها، هي خطوة أساسية، وجزء لا يتجزأ من عملية إعداد القوة التي تحمي الحقوق، فكلّ حقٍّ لا تدعمه قوة يظل حقاً ضعيفاً، لا تتوانى ذئاب الغرب الإمبريالي والصهيوني-المسيحي في أن تنقضّ عليه، فتأكل لحمه، وتمتص دمه، وتكسر عظامه، ولا تتورع أن تدعي أنّها قامت بذلك تنفيذاً لرغبة "ربٍّ "خاصٍّ بها، وحفاظاً على ديمقراطية وحضارة مزعومتين.!

٥-٣-١- تفنيد الادعاء بحق ديني لليهود في فلسطين

١- لقد ناقشنا موضوع التوراة المتداولة حالياً والكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد-بشكل عام، وأثبتنا أنّ التوراة الحالية ليست التوراة الأصلية، وأنها مليئة بالمتناقضات، وتخالف نتائج الحفريات والتنقيب ، وأنها بذلك لا يمكن الاعتماد عليها كمصدر تاريخي.

٢- وأثبتنا – بما لا يدع مجالاً للشك- أنّ اليهود خسروا الوعد لأنهم عصوا الله، والأنبياء . كما أثبتنا أنّ وعد الله لإبراهيم- عليه السلام- ونسله يشمل العرب، وأوردنا آراء علماء لاهوت مسيحيين ويهود، يرون أنّ المقصود بنسل إبراهيم – عليه السلام- هم الذين يؤمنون بما آمن به، وليس المقصود مجرد النسل الجسدي. وأوردنا الأدلة على أنّ العرب المسلمين قد كانوا أصدق من اليهود في الالتزام بعهد اللهّ.

٣- وبالنسبة لحجة اليهود بأنّ الله اختارهم، فإننا ننوه إلى الحقائق التالية:

أ- سبق أن فندنا فكرة "الاختيار"، وبينا أنه لما كان المسلمون والمسيحيون يحملونها الآن أيضاً ويؤمنون بأفكارها نفسها، فلم يعد لخصوصية اليهود محل كشعب مختار.
ب- إن الله- سبحانه وتعالى – ليس إلهاً لشعبٍ دون غيره، بل هو ربّ العالمين، وإله كل الشعوب، وهو منزّه عن المحاباة بين شعب وآخر.وقد عصى اليهود الله سبحانه وتعالى، فاختار غيرهم لنشر رسالته الخاصة بالتوحيد بين البشر.

٤- أما حجة اليهود بأنّ الله وعدهم بإعادتهم إلى فلسطين"، فمن الثابت أنّ عودة اليهود إلى فلسطين قد تمّت من قبل يوم عاد اليهود من الأسر البابلي، ولم تظهر بعد ذلك نبوءة تلمح لعودة جديدة ثانية. وليس في التوراة أية إيماءة بعودة ثانية بعد العودة الأولى...إن روح اليهودية"تقرر أن الخلاص يتم بقدرة إلهية، وليس بقدرة بشرية(وإما بيت يهودا فارحمهم وأخلصهم بالرب إلههم ولا أخلصهم بقوس وبسيف وحرب وبخيل وفرسان"(وشع ١: ٧). ورغم هذه الآيات فقد تحققت عودة اليهود بالدبابات والصواريخ . (٣٨)

٥- ويفند حجة عودة مسيح منتظرْ يعيد اليهود إلى فلسطين مختصون عديدون منهم ، دافيد ر.سلرز (David R. Sellers) أستاذ العهد القديم سابقاً وعميد معهد ماك كورمك اللاهوتي (Mc Cormick Theolgical) قس الكنيسة المسيحية الذي قال إنّ "نبوءات مجيء "المسيا"(المسيح) تمت بمجيء المسيح يسوع"(٣٩).

وعلاوة على الحقائق المذكورة أعلاه، يشهد مختصون عالميون بأنه لا يوجد حق ديني لليهود في فلسطين، وأنّ دولة إسرائيل الحالية ليست وليدة نبوءات توراتية. و قدم الأستاذ "حداد" الأدلة التي تدعم هذا الرأي فقال:
الاعتبارات الدينية أصلاً لا محلّ لها في القانون الدولي المعاصر الذي يستند منذ القرن السادس عشر إلى ممارسة السيادة ممارسة مستمرة فعلية على أرض الدولة والى إشغال بلد ما إشغالاً فعلياً. ناهيك بأنه "ليس هناك أساس إنْ في العهد القديم أو في العهد الجديد ما يدعم الادعاء الصهيوني بأنّ دولة يهودية معاصرة في فلسطين مبررة أو مطلوبة في الإنجيل أو حسب النبوءة الإنجيلية. إنّ وعود النبوة الإنجيلية تنطبق على البشرية جمعاء وليس على اليهود أو الصهيونيين... العهد القديم وحده، بمعناه الحقيقي، ومن خلال أصدق مفسريه، أشار إلى مملكة روحية للبشرية جمعاء وليس إلى إسرائيل سياسّية ستحتل أرضاً وبيوتاً تخص شعباً آخر.(٤٠)
وصرح المفكر الفرنسي"غارودي" أنه:"يؤمن كل الإيمان بأنه لا أساس تاريخي أو سياسي أو ديني لقيام دولة إسرائيل، وأنّ هذا الكيان يشكل خطراً على العالم تماماً كما يشكل خطراً على الأمة العربية والإسلامية" (٤١)

ويرى الدكتور وليم "ستنسبرينغ" (William H. Stinspring)، أستاذ العهد الجديد والساميات في جامعة ديوك في ولاية كارولينا الشمالية، وقس الكنيسة البريسبيتارنية(Presbyeterian)، أنه لا يوجد أساس في العهد القديم أو الجديد من الكتاب المقدس يدعم الدعاوى الصهيونية بأنّ دولة يهودية عصرية في فلسطين نشأت تحقيقاً لنبوءات توراتية وأنّ "الوعود" السماوية، وفق النبوءات تشمل كل الجنس البشري وليس اليهود أو الصهاينة وحدهم.لا مؤمن مسيحي حقيقي بالعهد الجديد يربكه التمييز بين إسرائيل المعاصرة التي قامت بالقوتين السياسية والعسكرية واغتصاب حقوق أهالي البلاد، وبين إسرائيل الله بالمعتقد المسيحي، فهذان "الإسرائيليان"، يتناقضان. (٤٢)

ويرى "بول فندلي" عضو مجلس الكونجرس الأمريكي الذي فقد عضويته بسبب معارضته للصهيونية أنّ" قيام دولة إسرائيل تم بقوة السلاح ولم "يكن تحقيقاً لنبوءات توراتية".(٤٣)

وتوصل الحاخام الدكتور الأمريكي"المربيرغر"(Elmer Berger) إلى النتيجة ذاتها التي"توصل إليها باحثون لاهويتون مسيحيون، مضيفاً أنه لا أرثوذكسي يهودي يعتقد أنّ دولة إسرائيل الحالية خرجت إلى الوجود تحقيقاً لنبوءات توراتية".(٤٤)

٥-٣-٢- حجة الأسبقية في السكن والاستقرار المتواصل

أثبتنا في فصل سابق أنّ الكنعانيين عرب، وأنهم بنوا مدينة القدس "يبوس" قبل قيام مملكة سيدنا داوود -عليه السلام- بحوالي ثلاثة آلاف عام، وأنّ قبائل عربية عديدة استوطنت فلسطين وجوارها قبل العبرانيين، وأثناء حكمهم لفلسطين، وبعد زوال حكمهم. كما أنّ العرب والمسلمين حكموا فلسطين لمدة ثلاثة عشر قرناً. ويؤكد ذلك الباحث الغربي "إب" (Epp) فيقول:

من المعروف أنّ الشعب الذي يكون سباقاً لاحتلال بلاد غير مأهولة، يكون هو مالك تلك البلاد. وهو لا يحتاج إلى سند أو كوشان طابو لكي يعترف له بحقه في الأرض في العصور القديمة...لكنّ الإسرائيليين لم يكونوا أول من احتل فلسطين... كما أنّ الاكتشافات دلت على أنّ الإسرائيليين جاؤوا متأخرين في عمر التاريخ"...إنّ المملكتين العبرانيتين "لم تكونا مستقرتين، فقد عمرت إحدى السلالات مدة سبعة أيام فقط، وأنّ عدداً قليلاً من ملوكها التسعة عشر الذين احتلوا العرش ما ت ميتة طبيعية".(٤٥)

ويؤكد ما سبق الكاتب المسيحي "إيليسين"(Ellisen) ويقول: " سكن الكنعانيون العرب، والقبائل العربية الأخرى، قبل الإسرائيليين بآلاف السنين. ومن ناحية أخرى، فإنّ حجة صاحب الإقامة الأحدث (الأقرب) في فلسطين ترجح كفة العرب الذين عاشوا في فلسطين غالبية القرون الثلاثة عشر الماضية."(٤٦)

أما من حيث المدة التي حكم فيها اليهود فلسطين، فلا أساس من الصحة لما يدعيه اليهود ومؤيدوهم الغربيون أنّ اليهود حكموا فلسطين لمدة ٣٠٠٠ سنة. فمن المعروف أن مملكة داوود الموحدة عمرت مدة(٧٣) سنة فقط، ثم انقسمت إلى مملكتين بلغ مجموع مدة حكمها مع حكم المملكة الموحدة ٤١٤ سنة(٤٧).

ولم تظهر" المملكتان ولا المملكة الموحدة... عبقرية في الحكم. وكما أوضح الدكتور جوليان مورجنستيرن **(Julian Morgenstern)** فلم يكن هناك سوى فترتين متزامنتين، لم تزد أي منهما عن خمسين عاماً، كان فيها دليل على قوة قومية وعظمة". (٤٨)

ويذكر وايتلام- أستاذ اللاهوت ورئيس جامعة أمريكية- "أن إسرائيل التاريخية هذه لم تكن إلا لحظة عابرة في مسيرة التاريخ الحضاري لفلسطين القديمة... وأنّ التاريخ اليهودي القديم هو مجرد جزء من التاريخ الكنعاني – أو الفلسطيني- القديم." (٤٩)

وبيّن الأستاذ هداوي في كتابه "الحصاد المر" أنه:"من الحقائق الموضوعية المتفق عليها عالمياً هي أنّ حق أي شعب بوطن يرتكز على قاعدتين: الأسبقية في السكن والاستقرار المتواصل دون انقطاع، وهاتان القاعدتان غير متوفرتين للشعب اليهودي بالدليلين التوراتي والتاريخي، وهما متوفران بهذين الدليلين للعرب الفلسطينيين، وليس من حق إرادات دولية إسباغ حق لا يستند إلى هاتين القاعدتين لشعبٍ ما بوطنٍ لا حقّ له فيه".(٥٠)

ويقول الأستاذ "حداد" :"من ذلك يتضح بطلان أيّ ادعاء بحق تاريخي، إنْ من حيث الولادة على أرض فلسطين، وإنْ من حيث أقدمية السكن فيها، وإنْ من حيث الاستمرار الحضاري المتواصل فيها،.. وبأيّ منطقٍ يجيز ليهود أوروبا غير المنحدرين من ذرية إبراهيم ولا المولودين على أرض فلسطين أن يدعوا بحقٍّ تاريخي بها وباقتلاع سكانها منها؟(٥١)

٥-٣-٣- حجة "الجنس" أو "العرق"

تشهد المصادر الموضوعية العالمية أنّ اليهود لا يشكلون عرقاً، ونكتفي بأمثلة من هذه المصادر قدمها العالم الفرنسي غارودي، والمؤرخ العربي"حداد".ويرى غارودي أنّ مفهوم العرق هو من ابتكار القرن التاسع عشر، ويرفض ادعاء الصهاينة بحقهم في العودة إلى فلسطين اعتماداً على "خرافة استمرارية الصلة عرقا وتاريخيا بين العبريين التوراتيين ويهود اليوم، ويستشهد بما ذكره:

١- ثوماس كيرنان من أنه:" لا توجد أية علاقة من علاقات علم الأحياء أو علم الأجناس بين أجداد يهود أوروبا والقبائل العبرية القديمة."

٢-رفائيل بتاي" في الموسوعة البريطانية الذي قال:"إن الاكتشافات الأنثروبولوجية الفيزيائية تدل على أنه ليس هناك عرق يهودي خلافاً لكل رأي سائد... يمكن القول إنه ليس هناك من بين اليهود أكثر من واحد في المئة قد وطئ، أجدادهم أرض فلسطين.
٣- مؤسس الصهيونية هرتزل الذي قال:" أنا لا أستطيع قبول مفهوم وحدة العرق اليهودي، ويكفي أن أرى الاختلاف في ملامح وجهينا..نحن نعتمد على وحدة تاريخية، ونحن أمة تضم سلالات بشرية متنوعة... وهذا يكفي عن كل حال لإقامة دولة يهودية، فليس هناك أمة صافية العرق."(٥٢)

ويؤكد "حداد" إنّ اليهود المعاصرين، وعلى الأخص الإشكناز الأوروبيين، وكافة القادة الصهاينة الأوائل، لا يمتون بصلة إلى العرق السامي، وأنهم من العروق الخزرجية، ولا صلة عرقية لهم بقدامى العبرانيين. .. و يقرر الأستاذ هاري ل. شابيرو، رئيس قسم الإنثروبولوجيا في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي .. أنّ اليهود ليسوا أسرة ولا قبيلة ولا امة بالمعنى الصارم للكلمة... إنّ الاختلاف العريض في الصفات الجسيمة للسكان اليهود وتنوع الجينات الموروثة المتوافرة في فئات دمهم، تجعل إدراجهم تحت أي تصنيف عرق موحد، التناقض بعينه. "(٥٣)

٥-٣-٤- حجة حنين اليهود إلى العودة إلى فلسطين

اتخذ اليهود من حنينهم لفلسطين ذريعة لطرد أهلها منها. وقد نفي البروفيسور "كتن" حجة الحنين قائلاً:" لا الحنين الروحي، ولا المعتقدات الدينية بإمكانها أن تخلق حقوقاً، ولا أن تتخذ كأساس لانتزاع الأرض من أهلها"... وتشكل خرافة الحنين "للعودة" غطاءً للواقع الاستعماري للدولة الصهيونية في القرن العشرين، ويبقى سادة الروحانية اليهودية منعزلين، وينادون بالعودة إلى فلسطين. (٥٤)

ومن المعروف أن المسلمين الشيعة في جميع أنحاء العالم يحنون إلى أماكن العبادة الخاصة بهم في العراق، فهل يعقل أن يطالب أولئك الشيعة من خارج العراق بملكية أرض العراق لأنهم يحنون إلى الأماكن المقدسة هناك. وجميع المسيحيين في العالم يقدسون القدس ويحنون لزيارتها، فهل يعقل أن يطالب جميع المسيحيين في العالم بملكية أراضي القدس، وأن يعملوا على طرد أهلها منها؟ كما أن مسلمي العالم يعتبرون القدس أولى القبلتين، والمسجد الأقصى المبارك ثالث الحرمين الشريفين، فهل يعقل أن يطالب مسلمو العالم بالعودة إلى القدس، والإقامة الدائمة فيها، ومصادرة أرضها وعقاراتها من أهلها الذين يملكونها ملكية قانونية خاصة منذ قرون، ثم يقوموا بطرد أهلها منها،

وذبح كل من يعارض ذلك، أو تعذيبه في غياهب السجون؟ من الواضح أن الجواب على هذه التساؤلات هو بالنفي في جميع الأديان والأعراف والقوانين، ما عدا في عرف الإمبريالية الغربية، ويمينها المسيحي وحليفه الصهيوني، بل وكيله وحارس مصالحه في المشرق، أي إسرائيل.

٥ ـ٣ـ٥ـ القانون الدولي لا يعترف بأسطورة الحقوق التاريخية لليهود في فلسطين

يؤكد مختصون في القانون الدولي، غربيون وعرب ويهود، أن القانون الدولي لا يعطي دوراً للديانات في تمليك البلدان والأقاليم. وسنقدم أمثلة على ذلك. فيذكر البروفيسور ج. أي. درايبر، خبير القانون الدولي:

"أن الدعاوى اليهودية التي تستند إلى حقوق تاريخية قديمة في فلسطين التي أنهاها السبي الروماني عام ١٣٥ بعد الميلاد ليس لها أي أساس قانوني في القانون الدولي للحديث لإثبات حق السيادة على الأرض، شأنها في ذلك شأن دعاوى مصر لو قالت بأنّ لها حقوق سابقة في إسرائيل خسرتها في عهد أخناتون.. ما بين ١٣٦٧و ١٣٥٠ قبل الميلاد. وفي كلتا الحالتين لا يوجد أي أساس قانوني للمطالبة بتلك الحقوق حيث أن الفترة الزمنية الطويلة التي تفصل بين الوقت الحاضر وسبي اليهود، وبين الوقت الحاضر وخسارة اخناتون لإسرائيل لا تدع مجالا لأي أساس قانوني للمطالبة بتلك الحقوق، خاصة مع الأخذ بعين الاعتبار الهوية الجديدة للذين يطالبون حالياً بتلك الحقوق. ولذلك فإنّ مثل هذه الدعاوى ليس لها أي أساس قانوني في ظل القانون الدولي المعاصر لإثبات أي حق شرعي لإسرائيل أو لمصر في "أرض إسرائيل" أو في إسرائيل بمفهوم التوراة.(٥٥)

ويفند البروفيسور الإسرائيلي ويربلوسكي (Werblosky) الأستاذ في الجامعة العبرية في القدس، في خطب له في أمستردم عام ١٩٧٤ مقولة الحقوق لتاريخية ويقول:" التوراة، والوعد التوراتي بالأرض الموعودة إلى بني إسرائيل ليس كوشان طابو يمكن تقديمه لمكتب تسجيل الأراضي".(٥٦)

ويدحض القانوني الفلسطيني هنري كتن فكرة الحقوق التاريخية ويقول: المطلب الصهيوني بحق تاريخي في فلسطين ليس له أساس لا في القانون، ولا في الحقيقة (الواقع).أنماط اكتساب الأرض معروفة جيداً، بموجب القانون الدولي، وليس من ضمنها الادعاء بحق تاريخي.. إن الرابطة التاريخية القديمة لا تعطي سند ملكية، ولا حقاً أو مطلباً في الأرض، ولا يمكنها أن تحل محل

سند الملكية أو تبرر طرد أهالي البلاد الوطنيين والحلول محلهم.والفلسطينيون هم سكان فلسطين الأصليون الذين ظلوا فيها باستمرار منذ زمن بعيد. لقد حافظوا على بقائهم فترة الاحتلال الإسرائيلي العارض المؤقت في عهد التوراة، واحتلالات أخرى... فلسطين ليست الوطن التاريخي لليهود....ولا يملك اليهود حقاً في فلسطين أكثر مما يملك أحفاد الروم في هذه البلاد. فقد احتل الرومان هذه البلاد لنفس المدة التي احتل فيها اليهود فلسطين، وقد خلفوا وراءهم أعمالاً أثمن وأكثر فائدة. وإذا اعترفنا بمطالب مبنية على أساس الفتح الذي تم قبل آلاف السنين، فإن العالم جميعه سينقلب رأساً على عقب. والحق الحقيقي الوحيد في فلسطين يخص السكان الحاليين، الذين ينحدر بعضهم من فترة ما قبل الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين.(٥٧)

وقال القس الأمريكي "جسي جاكسون" (Jessy Jakson) "يجب أن لا نستخدم الكتاب المقدس كدليل للعقارات .(٥٨)

وبشأن الحق التاريخي الذي يدعيه الإسرائيليون في فلسطين تقول بيان الحوت:

والرد المنطقي، على إدعاء اليهود بحقهم في بناء دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨، استناداً إلى دولتهم الغابرة منذ آلاف السنين، هو استحالة تقسيم الكرة الأرضية بناء على التاريخ الغابر. ولو صح ذلك لكان بالإمكان عودة الحكم العربي إلى إسبانيا مثلاً، وعودة الحكم الإسباني إلى أمريكا الجنوبية...، وعودة حكم بريطانيا إلى الولايات المتحدة...ليس هنالك حقوق تاريخية، لا في الشرائع السماوية، ولا في الشرائع الدولية، ولا في شرائع الأمم الممارسة منذ أقدم الأزمان. فالحركة الصهيونية السياسية المعاصرة هي الحركة الوحيدة التي ادّعت هذه الحقوق.

"بالإضافة إلى الاستحالة الواقعية والسياسية، فإن مبدأ الحق التاريخي نفسه لا وجود له في المبادئ السياسية الحديثة، ولم يكن له أي شأن في تاريخ العلاقات بين الأمم أو في نشأة الدول. وحتى لو افترضنا أنّ هذا المبدأ قائم، وتناولنا الفرضية الإسرائيلية نفسها، فالشعب الفلسطيني لا الإسرائيلي يصبح صاحب الحق الأقوى، أن لم نقل الأوحد في أرض فلسطين. (٥٩)

ويذكر ارشيدات بهذا الصدد:

لا يقبل القانون الدولي العام الادعاءات الصهيونية القائمة على مفاهيم ذات صفة رئيسية مثل:"شعب الله المختار" و"أرض الله المقدسة"، و"الوعد الإلهي" وغيرها. وإذا كان العالم اليوم يضم (١٥) مليون يهودي يقدسون فلسطين ويحنون إليها ويقيمون لها في قلوبهم منزلة، فهناك مليار مسلم وأكثر من مليار مسيحي تربطهم بها أوثق الروابط

ويحق لهم أن يطالبوا بالأراضي المقدسة على نحو ما يدعيه اليهود".(٦٠)

ويفند الكاتب اليهودي زئيف ستيرنهيل حجة الحق ويقول: " إنّ حجة الحق التاريخي لليهود في الأرض لم تكن سوى مسألة سياسية وترويج إعلامي. (٦١) ويقول أستاذ القانون الدولي:" عادل يحيى" : " الكتاب المقدس لا يعتبر في الحقيقة أساساً للقانون الدولي للاعتراف بشرعية الدول "(٦٢)

٥-٣-٦ - دراسات تفند أسطورة الحق التاريخي لليهود في فلسطين

سنورد بعض الدراسات والباحثين الذين رفضوا مقولة الحقوق التاريخية تلك. يشهد البروفيسور اليهودي الأمريكي"نورمان فنكلشتاين" **(Norman Finklestein)** أنّ "الحق التاريخي لليهود في فلسطين لم يكن حقاً، كما لم يكن تاريخياً. إنه لم يكن تاريخياً بالقدر الذي تجاهل فيه ألفي عام مدة استيطان غير اليهود في فلسطين، وألفي عام مدة استيطان اليهود خارج فلسطين. ولم يكن حقاً إلا في نظر التصوف الرومانسي..."(٦٣)

وقالت لجنة كنج كرين الأمريكية **"King Crane"** التي حققت في رغبات أهالي سوريا وفلسطين في أعقاب وعد بلفور أن "الادعاء" الذي كثيراً ما يتقدم به ممثلو الصهاينة بأنّ لهم "حقاً" في فلسطين، مبني على احتلال قبل ألفي عام، لا يمكن النظر فيه بجدية.(٦٤)

ويذكر البروفيسور وليد الخالدي أنّ الفلسطينيين لم ولن ينكروا الرابطة التاريخية والروحية (بين اليهود وفلسطين) ولكن الذي لم ولن يوافقوا عليه هو أنه بعد مرور ٢٠٠٠ سنة يكون لليهود المعاصرين من شتى أنحاء العالم حق سياسي مهيمن في فلسطين، ينفي أو يحل محل ، أو يلغي الحقوق السياسية للفلسطينيين في وطنهم".(٦٥)

وعندما بحث موضوع الانتداب على فلسطين من قبل مجلس اللوردات البريطاني، أعلن اللورد سيدنهام **(Lord Sydenham)** :

إني أتعاطف بشكل كامل مع رغبات اليهود في أن يكون لهم وطن قومي، ولكني أقول أن هذا الوطن القومي يجب أن لا يمنح إذا كان لا يمكن أن يمنح بدون التسبب في ظلم فادح لشعب آخر، فلسطين ليس الوطن الأصلي لليهود، لقد حصلوا عليها بعد احتلال لا رحمة فيه، ولم يحدث أن احتلوها جميعها... ولا يملك اليهود حقاً في فلسطين أكثر مما يملك أحفاد الروم في هذه البلاد فقد احتل الرومان هذه البلاد لنفس المدة التي احتل فيها اليهود فلسطين، وقد خلفوا وراءهم أعمالاً أثمن وأكثر فائدة..(٦٦)

ويدحض البروفيسور والكاتب اليهودي "أيريخ فروم" (Eirich Fromm) ادعاء اليهود بالحق في فلسطين ويقول: "وهكذا، لا يمكن أن يكون ادعاء إسرائيل بالحق في فلسطين ادعاءً واقعياً(حقيقياً)، فإذا طالبت جميع الدول بالأقاليم التي عاشت فيها قبل ألفي عام، سوف يصبح هذا العالم مستشفى للمجانين." (٦٧)

٥-٣-٧ - دراسات تدعم حق العرب والمسلمين في فلسطين

توصل المؤرخ العربي"سوسة" من دراسته الخاصة بالعرب واليهود في فلسطين إلى أن:

"الفترة التي عاشتها فلسطين في الألفين الثالثة والثانية قبل الميلاد هي فترة عربية بحتة في قوميتها وثقافتها ولغتها، ولا توجد لعصر موسى واليهود الذي يأتي بعد أكثر من ألفي سنة من حياة فلسطين العربية هذه أية صلة بهذا العصر القديم... إن فلسطين نشأت عربية منذ أكثر من خمسة آلاف عام، سكنها أول من سكنها الكنعانيون العرب الذين نزحوا من الجزيرة العربية وذلك قبل ظهور موسى بأكثر من ألفي عام".(٦٨)

وفي كتابه"فلسطين إليكم الحقيقة" يقول المؤرخ البريطاني"جيفريز" "حقوق العرب في فلسطين حق احتفظ به بطريق بسيط صدوق دؤوب منذ خرج الإنسان من غياهب المجهول، وربما كان أبسط وأوضح حق من حقوق الملكية في العالم"(٦٩)

وتشهد دائرة المعارف اليهودية بعروبة فلسطين وتقول:"فلسطين أصبحت بلاداً عربية، ليس فقط بسبب الفتح المحمدي، ولكن لأن العرب كانوا قد أتوا إلى البلاد مهاجرين منذ قرون مضت، فمنهم البدو ومنهم جاليات المحاربين المجربين والتجار، وكانت مسيحيتهم، بالأصح، هرطوقية (غير مستقيمة)، غير عميقة بصورة كافية، ولذلك استبدلوها بسهولة بالإسلام."٠(٧٠)

ويشهد البروفيسور البريطاني "فريزر" بعروبة فلسطين ويقول:

إن رأي الفقهاء الأكفاء من أهل الخبرة والمعرفة أنّ فلاحي فلسطين الناطقين بالعربية هم أخلاف للقبائل الوثنية التي كانت تعيش هناك قبل الغزو الإسرائيلي، وظلت أقدامهم ثابتة في التربة منذ ذلك التاريخ". وتوالت عليهم موجات الفتح المتعاقبة التي طغت على البلاد دون أن تحطمهم.إن هؤلاء الفلاحين هم: الأخلاف الأصلاء للكنعانيين الذين ورد ذكرهم في التوراة، إنهم أخلاف اليبوسيين والعموريين.(٧١)

ويذكر البروفيسور "مكسيم رودنسن" (Maxime Rodinson) أن "

أهالي فلسطين العرب كانوا مواطنين بكل ما تعنيه كلمة مواطن". وقد اختلط بالفلسطينيين أجناس أخرى، وبشكل خاص من اليونانيين، والرومانيين، والمسلمين العرب والصليبيين ولكن العرق الفلسطيني، الذي يضم المسلمين والمسيحيين، ظل يمثل العنصر الرئيسي للسكان رغم الغزوات والحروب العديدة حتى طرد غالبية سكان فلسطين الأصليين على يد إسرائيل عام ١٩٤٨.(٧٢)

وقد توصل "كليرمونت جانو" (Clermont Gannau) الذي عمل في صندوق استكشاف فلسطين إلى "نتيجة أنّ فلاحي فلسطين، بشكل عام هم الممثلون الحقيقيون لتلك القبائل القديمة التي وجدها العبرانيون مستقرة في البلاد، والتي منها الكنعانيون، والحثيون، والأموريون، والفلسطينيون، والإيدميون..." (٧٣)

ويشهد الكاتب نبيل شبيب:

أنّ حقنا التاريخي في فلسطين حق ثابت، مسطور في وجه التاريخ لا يعمى عنه إلا فاقد الوجدان، فاقد البصر والبصيرة... منقوش على أعمدة المساجد وأهلّة المآذن(وصلبان الكنائس) في كل مدينة وقرية، محفوظ في التلال والجبال، في أشجار الزيتون والبرتقال ... كامن مع الأنبياء والصالحين تحت تراب فلسطين ... مكتوب بدماء الشهداء والجرحى في طريق فلسطين.(وآهات عشرات آلاف الأسرى الذين يعذبون في زنازين الاحتلال). (٧٤)

ومن هذه الأدلة الموثقة، وأخرى كثيرة غيرها، يتّضح بما لا يدع مجالا للشك، أنه لا أساس لما يدعيه اليهود من حقوق دينية أو تاريخية في فلسطين. وسوف نوضح في الفصل القادم أن الذي أقام دولة فلسطين هو الاستعمار الغربي وليس مبادئ الحقوق الدينية والتاريخية.

٥-٤- الصهيونيتان المسيحية واليهودية

٥-٤-١-أ- تعريف الصهيونية

الصهيونية"فكرة استعمارية عدوانية ظهرت في أوروبا في عصر صعود حركة الاستعمار العالمي والاستيطان الأوروبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبلورت في حركة سياسية منظمة في أواخر ذلك القرن، وقامت الصهيونية على مزج الدين بالقومية، محوّلة اليهودية من مجرد ديانة سماوية إلى رابطة سياسية- دينية- تهدف إلى جمع يهود العالم فوق أرض شعب آخر، في دولة يهودية خاصة بهم."(٧٥)

والصهيونية مشتقة من لفظة "صهيون"، وصهيون اسم رابية في القدس كان قد أقام عليها اليبوسيون العرب"حصناً" قبل ظهور بني إسرائيل، بحوالي ألفي عام، ولذا تكون اللفظة كنعانية (عربية) وليست عبرية(يهودية). (٧٦)
وتعرف وزارة الخارجية الإسرائيلية الصهيونية على أنها:"حركة تحرر وطني "تهدف" إلى إعادة إقامة الشعب اليهودي في وطنه ومواصلة السيادة اليهودية على أرض إسرائيل كما تدعي أن الصهيونية جاءت كرد فعل على الحنين اليهودي لصهيون (التي تعتبر مرادفة للقدس)، وعلى معاداة السامية التي تعتبر جوهر "المسألة اليهودية" (الجماعات اليهودية التي تقطن المجتمعات غير اليهودية)، والتي يكمن "حلها الوحيد" في بناء "دولة يهودية على أرض إسرائيل بأغلبية يهودية".(٧٧)

٥-٤-١- ب- تعريف الصهيونية المسيحية

الصهيونية المسيحية هي" الطائفة المسيحية (البروتستانتية) التي تأخذ بأساطير التوراة بقوة فيما يتعلق بالنبوءات ومقولات "الوعد" "أرض الميعاد" و"الشعب المختار " و"المجيء الثاني للمسيح"و"نهاية العالم".(٧٨)
ويعرف القس الدكتور "رياض جرجور" الأمين العام لكنائس الشرق الأوسط الصهيونية المسيحية على أنها "الدعم المسيحي للصهيونية..إنها حركة قومية تعمل من أجل عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين وسيادة اليهود على الأرض. ويعتبر الصهيونيون المسيحيون أنفسهم كمدافعين عن الشعب اليهودي.. ويتضمن هذا الدعم معارضة كل من ينتقد أو يعادي "إسرائيل"... إنّ الصهيونية المسيحية تعبر" عن مأساة في استعمال الكتاب المقدس، واستغلال المشاعر الدينية في محاولة تقديس إنشاء دولة ما، وتسويغ سياسات حكومية مخصوصة.(٧٩)

٥-٤-٢- علاقة أوروبا المسيحية باليهود قبل القرن السادس عشر

استمرت علاقة أوروبا المسيحية باليهود بشكل عام، لقرون عديدة، علاقة عداء واضطهاد بسبب رفضهم اعتناق الديانة المسيحية، واتهامهم بقتل المسيح – عليه السلام-، وتعاطيهم الربا الفاحش الذي تحرمه المسيحية.
وكان ملوك وأمراء أوروبا يتعاملون مع اليهود بطريقة نفعية ميكيافيلية، حيث كانوا يمنحونهم عهود الحماية مقابل دفع مبالغ باهظة، ويطلقون أيديهم في إقراض المسيحيين مقابل الربا الفاحش. وعندما كانت الشعوب تثور ضد استغلال اليهود لهم، كان الملوك يسكتون عن المذابح التي ترتكب بحق اليهود، وكثيراً ما كانوا يصدرون أوامرهم بإبعاد اليهود دون أن يعطوهم مهلة كافية لبيع ممتلكاتهم التي تنقل للمسيحيين بأثمان رمزية.

كان هذا هو حال العلاقة بين اليهود والمسيحيين في أوروبا حتى بداية القرن السادس عشر، حين طرأت ظروف سياسية واقتصادية أدت إلى تغيير تلك المعادلة في البلدان التي اعتنقت البروتستانتية، وبشكل خاص في بريطانيا.

ويوضح الأستاذ "حداد" موقف أوروبا من اليهود قبل حركة الإصلاح الديني فيقول:

"لم تكن أوروبا الغربية تنظر إلى اليهود قبل حركة الإصلاح الديني البروتستانتية على أنهم شعب الله المختار، كما لم تكن تقول أنّ فلسطين هي أرضهم التي وعدهم الله بها، وبقي اليهود في نظر مسيحي أوروبا، هم أعداء المسيح وقتلته... كانت الكنيسة الكاثوليكية تتمسك باعتقادها بأنّ... الله طرد اليهود من فلسطين إلى بابل عقاباً على معاصيهم... ولم يكن في الفكر التقليدي الكاثوليكي قبل عهد الإصلاح الديني البروتستانتي أدنى مكان لاحتمال العودة اليهودية إلى فلسطين... بعد أن تنكروا للمسيح... (أما) النبوءات التوراتية التي تتنبأ بمستقبل مشرق لإسرائيل فإنها تنطبق على "إسرائيل الجديدة" أي الكنيسة المسيحية ...الوريث المباشر للديانة اليهودية... ولم تعد القدس توصف بأنها صهيون اليهودية، بل مدينة العهد الجديد المقدسة.(٨٠)

٥-٤-٣- الظروف والاعتبارات الدينية والاقتصادية التي غيرت نظرة بريطانيا إلى اليهود اعتباراً من القرن السادس عشر الميلادي

كانت الكنيسة الكاثوليكية تملك أراضي شاسعة وثروات معفاة من الضرائب، وتمارس سلطات واسعة في أوروبا، كما كانت تفرض ضرائب زادت من أعباء المواطنين والتجار. وعمّ الفساد في تصرفات المسئولين في الكنيسة، وهو الأمر الذي أدّى إلى ظهور مصلحين دعوا إلى إصلاح الكنيسة. وكان من أهم أولئك المصلحين الألماني "مارتن لوثر" (Martin Luther) (١٤٨٣-١٥٤٦) الذي احتج على فساد الكنيسة وطالب بإجراء إصلاحات فيها، فسمي أتباعه "المحتجون" أي البروتستنت (Protestant) بالإنجليزية. وقد اعتنق البروتستنتية أيضاً المصلح الفرنسي "جون كالفن"(JohnCalvin)(١٥٠٩-١٥٦٤) الذي انتقل إلى سويسرا، والذي من المعتقد أنه يهودي واسمه الحقيقي "كوهين"، ويعتبر مذهبه أصل مذهب "البيوريتان أو الطهوريين" (البروتستنت) المتشددين، وهو المذهب الذي أرسى دعائمه كرومويل في بريطانيا فيما بعد.(٨١)

وتعطي الكاتبة اليهودية الديانة الأمريكية الجنسية "بربارا توكمن" تفاصيل عن دور العامل الاقتصادي في التغيرات التي حدثت في بريطانيا، والتي يمكن أجمالها في الاقتباسات التالية:

أدّت الحروب إلى تراجع قوة بريطانيا في منافسة الدول الأوروبية الأخرى على التجارة الخارجية، ولا سيما اسبانيا والبرتغال وهولندا.وكان وراء نجاح تجارة هولندا المساعدة التي قدّمها اليهود التجار ومالكي السفن والسماسرة في أمستردام، والذين شاركوا في الأعمال عن طريق علاقاتهم مع الاسبان والمشرق. ص (١٣٨-١٣٩)..

وكانت غالبية طبقة التجار ورجال الأعمال في بريطانيا تكاد تكون من البروتستنت، وكانت تحسد هولندا التي حققت نجاحا كبيرا في تجارتها مع الشرقين الأدنى والأقصى بفضل التجار اليهود...وكان كرومويل بحاجة إلى مال اليهود، وإلى استعمال اليهود جواسيس، حيث أن علاقاتهم الممتدة ستجلب له معلومات عن السياسات التجارية في بلدان المنافسة، وعن المؤامرات الملكية في الخارج. ص(١٣٨-١٤٦). (٨٢)

وفي بداية القرن السادس عشر، كانت في أوروبا مجموعات حاكمة تتعطش للثروة، وترغب في استغلال المعتقدات الشعبية لصالحها، وذلك بالاستيلاء على ممتلكات الكنيسة في بلدانها، وإلغاء ضرائب البابا، والتخلص من سلطة الكنيسة الكاثوليكية.(٨٣)

وكان "مارتن لوثر" قد ألف عامي ١٥٢٣م، ١٥٤٤م كتابين، أيّد في الكتاب الأول اليهود، وأدان اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لهم، وكان هدفه من ذلك أن يتحول اليهود إلى الديانة المسيحية. ولما فشل في تحقيق ذلك الهدف، انقلب على اليهود، وطالب بإبعادهم إلى فلسطين لأنهم"عبء علينا، وهم بلاء على وجودنا".(٨٤)

٥-٤-٤- لماذا تبنت بريطانيا البروتستنتية؟
وما علاقة ذلك بنشأة الصهيونيتين المسيحية واليهودية؟

أدركت بريطانيا أنّ خلاصها من سلطة الكنيسة الكاثوليكية في روما، وتفوقها على منافسيها السياسيين والاقتصاديين لابدّ أن يتطلب إجراءً جذرياً فاستغل "هنري الثامن" ملك بريطانيا دعوات الإصلاح الديني، واعتنق البروتستانتية، وفصل الكنيسة الإنجليكانية عن الكنيسة الكاثوليكية في روما عام ١٥٣٤م، وتخلص من نفوذها.

وفي عام عام١٥٣٥م أقرّ البرلمان الملك هنري رئيسا لكنيسة انجلترا، وأصبح رجال الدين يخضعون للملك.وتصف :بربارا توكمن" التغير الذي حدث، وأسبابه فتقول:

"أصبح الملك هنري بروتستنتياً فقط ليتخلص من البابا، وليس من أجل الأمور العقائدية. وقد سمح بترجمة الكتاب المقدس فقط لأن الكتاب المقدس الإنجليزي سيكون رمزاً لاستبدال سلطة البابا بسلطته هو . وبشكل أو بآخر، اعتبر الملك نفسه "بابا" في بريطانيا"...

ومع ترجمة الكتاب المقدس إلى الإنجليزية وتبنية كأعلى سلطة من قبل الكنيسة البريطانية المستقلة (عن كنيسة روما) أصبح التاريخ و التراث و القانون الأخلاقي للأمة العبرية جزءاً من الثقافة البريطانية. ص(٨٠)..وبعد أن كان الحكم لأوامر البابا سابقاً أصبح الحكم الآن" لكلمة الله كما تتجلى في العهود العبرية لإبراهيم و موسى ... وعيسى (عليهم السلام) ...هذه هي الحقيقة الغريبة التي يصبح فيها التاريخ العائلي لأمة ما، الملحمة التاريخية الوطنية لأمة أخرى ".(٨٥)

وبدأ نفوذ "أوليفر كرمويل" عام ١٥٣٠م ،و بقي عشر سنوات رئيساً للكومنولث البيوريتاني(١٦٤٩-١٦٥٨) وكان متعصبا دينياً وسياسيا، دينيا في الإصرار على عودة اليهود إلى فلسطين، وسياسيا بالإفادة من استخدام التجار اليهود كجواسيس يزودونه بمعلومات عن السياسات التجارية للدول المنافسة.(٨٧) وكان اليهود يمولون مالية "كرومويل" مقابل الحصول على إقرار من السلطة بقبولهم مواطنين في بريطانيا.(٨٧)

ويوضح الأستاذ "حداد " لماذا نشأت الصهيونية المسيحية ، فيقول:
"كان الباعث على نشأة الصهيونية المسيحية إغراقها في نبوءات العهد القديم من الكتاب المقدس والخروج... بتأويلات جديدة حول أساطير "الوعد" و"أرض الميعاد" و"الشعب المختار"و"المجيء الثاني للمسيح"و"السنة الألفية" و"نهاية العالم"، وفق تدبير إلهي، وساد الاعتقاد البروتستانتي بأنّ عودة اليهود إلى فلسطين، وتأسيسهم دولة فيها وبناء "الهيكل الثالث" شرط أساسي لمجيء المسيح الثاني وفق النبوءات التوراتية. (٨٨)

وتصف "توكمن" كيف غيرت بريطانيا موقفها من اليهود فتقول:
"أصبح جيش كرومويل يغني المزامير، ويحمل الكتاب المقدس، كما كان كرومويل نفسه يستشهد بالمزامير. ص (١٣٥)

ونتيجة لمحاكم التفتيش هاجر لاجئون يهود إلى أمستردام، وكان منهم مجتمع تجاري ناجح، ولعبوا دوراً هاماً في المستعمرات الهولندية في الخارج وفي تجارة أوروبا مع منطقة البحر الأبيض المتوسط .

..ولم تغب فائدة هؤلاء اليهود عن كرومويل،لا سيما وأنه كان في بريطانيا يهود "المرانو" الذين اعتنقوا المسيحية ظاهرياً، بينما كانوا يمارسون طقوس اليهودية سراً. وكان من هؤلاء "المرانو" أنطونيو دي كاراجال"(Antonio de Carrajal) الذي كان متعهداً للقمح أثناء الحرب الأهلية البريطانية ويتحكم في تجارة الذهب، كما كانت سفنه لها تسهيلات للاستمرار في تجارتها.

وكان حاخام مدينة أمستردام الهولندية "منشي" قد ألف كتاباً دعا فيه لعودة اليهود، وفي بداية العداء بين هولندة وبريطانيا، طلب كرومويل من منشي الحضور إلى بريطانيا، وزوده بجواز سفر بريطاني، حيث كان يهدف نقل التجار اليهود من هولندا إلى لندن للاستفادة من خبراتهم .. وفي عام ١٦٥٦ أثناء حرب بريطانيا مع إسبانيا، سمح للمرانوس بالعودة لليهودية علناً في بريطانيا وأصبح لهم معبد، وعين صهر "منشي" في وظيفة في خزينة الدولة.ص (١٣٦-١٤٦)

وبعد أن كان الهولنديون و البرتغاليون يحتكرون التجارة مع المشرق، أسست بريطانيا شركة المشرق للتجارة مع تركيا التي فتح تجارها الشرق الأوسط لتجارة بريطانيا: وكانت تدفع للتاج البريطاني ربحاً يساوي ٨٠٠%.، وبعد عشرين عاماً أسس هؤلاء التجار شركة الهند الشرقية المعروف دورها في تطوير الإمبراطورية البريطانية.(٨٩)

وقد اقتضت مصلحة الغرب الإمبريالي أن يستبدل موقف العداء لليهود بموقف الدعم الكامل. وفي بريطانيا، في عهد"كرومويل" كتب الشاعر "ملتون"(John Milton) سكرتير"كومويل" قصيدة "الفردوس المستعاد، وحفل الأدب البريطاني بقصائد ونماذج تتعلق بنبوءات عودة اليهود في فلسطين، علاوة على ظهور "فلاسفة وعلماء مبهورين بالتوراة وبالشعب المختار من أمثال"جون لوك" و"اسحق نيوتن، "جان جاك روسو" في بريطانيا وأوروبا بشكل عام.(٩٠)

وفي عام ١٨٧٦ أصدرت الكاتبة البريطانية غير اليهودية "ماري آن افنز" (واسمها المستعار جورج اليوت" رواية "ديروندا" "التي قدّمت... اليهود بحلة جديدة على أنهم أبطال وطنيون صالحون أخلاقيون على الرغم من أنهم لم يكونوا مسيحيين، مما شكل تبايناً صارخاً مع التصور النمطي السابق في أوروبا:" **قتلة المسيح، مرتدون، مرابون، أجانب دخلاء، ومهاجرون معدمون**"(٩١)

يوضح الأستاذ "حداد" باختصار كيف تصهين الغرب وغيّر موقفه المعادي لليهود من أجل أن يوظفهم في مشاريعه الاستعمارية فيقول.

"أحدث نشوء حركة الإصلاح الديني البروتستانتية في القرن السادس عشر بأوروبا على يد مارتن لوثر تطوراً جذرياً مناقضاً لعقيدة الكنيسة

الكاثوليكية... فمن كراهية اليهود إلى تمجيدهم، ومن عدم الاعتراف بهم كأمة لتنكرهم للمسيح، لا إلى الاعتراف بهم كأمة فقط، بل إلى الاعتراف بهم بأنهم "شعب الله المختار"... وتزامن هذا التوجه العقدي مع بداية التطلعات الأوروبية الاستعمارية. ولما كان لليهود دراية واسعة بالأعمال التجارية والمالية والملاحية، فقد وجد الأوروبيون ضرورة الاستفادة من خبرتهم، ووجدوا أنهم يحققون أهدافاً دينية ومادية بإعادة اليهود إلى فلسطين.(٩٢)

وهكذا، يخطئ من يعتقد أنّ الصهيونية مقصورة على اليهود، فالواقع أنّ الصهيونية المسيحية هي التي صنعت الصهيونية اليهودية لأغراض دينية / استعمارية. كما يخطئ من يعتقد أنّ الصهيونية ولدت مع مؤتمر بازل عام ١٨٩٧، أو وعد بلفور عام ١٩١٧م، فالتاريخ يشهد أنّ الصهيونية نشأت مع نشوء حركة الإصلاح الديني البروتستانتي في القرن السادس عشر، الذي وجدت فيه أوروبا مناخاً مواتياً للاستعمار. ولولا انتشار "هذه الفكرة واختمارها في الأوساط المسيحية الأوروبية لما تمكنت الصهيونية من تحقيق أهدافها، ولبقيت فكرة طوباوية غير قابلة للتحقيق".(٩٣)

٥-٤-٥- نفاق بريطانيا وتناقض مواقفها من الحقوق الدينية والربح المادي

في كتابها "الكتاب المقدس والسيف: انجلترا من العهد البرونزي إلى بلفور"، قدمت الكاتبة اليهودية "بربارا توكمن" تفاصيل موثقة ، تعطي صورة صادقة عن ألاعيب بريطانيا، وكيف استغلت الدين لأغراض استعمارية واقتصادية، اخترنا منها الاقتباسات الموجزة التالية:

- كانت دوافع عودة اليهود لبريطانيا دينية .. ولكن الديانة لوحدها ليست كافية. ولا يمكن توقع الحصول على نتائج عملية من إحساس الطهوريين (puritan) البروتستنت بالأخوة الروحية لأبناء إسرائيل، أو من مُثُل التسامح أو من آمالهم الصوفية في تسريع الألفية، لو لم تتدخل المصلحة(النفعية) السياسية والاقتصادية . لقد أملى اهتمام كروMويل باقتراح "منشي" نفس العامل الذي أملاه اهتمام لويد جورج باقتراح حاييم وايزمن، بعد ذلك بعشرة أجيال، أي المساعدة التي اعتقد كل طرف أنّ بإمكان اليهود تقديمها في وضع الحرب.ومنذ زمن كرومويل، فكل حادثة مستقبلية لاهتمام بريطانيا بفلسطين اعتمدت على الحضور التوأم لدافع الربح التجاري أو العسكري أو الإمبريالي ، والدافع الديني الموروث عن الكتاب المقدس. وفي حالة غياب أي منهما، كما هو الحال في القرن الثامن عشر عندما كان المناخ الديني بارداً بشكل ملحوظ، لم يحدث شيء. ص (١٤٦)

- وعند مناقشة القانون الذي يسمح لليهود دخول البرلمان البريطاني بدون القيام بالقسم المسيحي عام ١٨٥٨عارضه اللورد شافتسبوري على أساس أنّ إلغاء القسم هو انتهاك لمبادئ الدين. ولم يكن الإيفانجلكانيون المعروفون بحبهم لشعب الله المختار الذين فضلوا مشاركة اليهود كمواطنين على قدم المساواة مع البريطانيين، إنما الليبراليون الأقل تقوى.ص (١٨٩)

- عندما عيّنت بريطانيا قنصلاً لها في فلسطين في أعقاب احتلال إبراهيم باشا لفلسطين، أكد "أشلي" أهمية وجود **عميل** بريطاني في المنطقة في هذا الوقت الحرج، وأقنع بالمرستون بفكرة استعمال **اليهود كإسفين** داخل الإمبراطورية العثمانية. ..وعدا عن الجانب الديني لفت أشلي الانتباه إلى أهمية تعيين قنصل في القدس لأنّ:"أرض فلسطين مناسبة بشكل فريد لنموِ المنتوجات التي تتطلبها ظروف بريطانيا الملحة وهي القطن والحرير وزيت الزيتون.." ص (١٩٣،١٩٠)

- أما الداعون لعودة إسرائيل لفلسطين، فقد كانوا معنيين بعلاقة تلك الدولة بتوسّع الإمبراطورية البريطانية إلى الشرق أكثر من توسّعها الروحي للأعلى(باتجاه الله). ص (٢١١)

- وفي كتابه الذي صدر عام ١٨٤٤م، قارن "واربيرتون"**(Warburton)** بين حروب الصليبيين الغربيين وحروب الغرب في القرن التاسع عشر وقال: إنّ خطوات إبراهيم(عليه السلام) تدل الآن إلى أقصر الطرق إلى (تجارة)الهند. وبينما فشل الصليبيون في تثبيت أقدامهم، فإنّ مصالحنا في الهند قد تُحقق ما عجز قبر المسيح المقدس عن تحقيقه. ص (٢١٢)

- لا يوجد شيء يمثل ازدواجية عمل بريطانيا بشكل نموذجي أكثر من صندوق استكشاف فلسطين الذي أقيم من أجل البحث التوراتي، والذي نُفذ عن طريق ضُبّاط جيش عينتهم وزارة الدفاع البريطانية. فواحد من أشهر الباحثين الميدانيين-الكولونيل كوندر- **(Conder)** الذي ساهم في معرفة **الكتاب المقدس** أكثر من أي شخص آخر، نُشرت خرائطه بأمر عسكري، **واستعملها الجنرال** "اللنبي" الذي انتصر في القدس عام ١٩١٩..**وهنا عمل الكتاب المقدس** والسيف بشكل صحيح.. وفي الحقيقة، كان الكولونيل "كوندر" **نوعاً من صورة** مصغرة عن خبرة بريطانيا في فلسطين:كانت دائماً **شيئاً مزدوجاً مؤلفاً من** الحنين للتوراة والاندفاع الإمبريالي.. كان ذلك يشبه **مسودة صورة مزدوجة** لصورتين مدموجتين يمكن تمييزهما، **لكن لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض**. ص (٢٣٩)

- مع ازدياد عدد ونفوذ البيورتان في عهد كرومول ... انتشر الغزو العبراني في بريطانيا، ... وأصبحت العبرية إحدى اللغات الثلاث التي تستعمل لدراسة الدين في الجامعات ... وكان أحد الذين كتبوا الكتاب المقدس بعدة لغات هو "ادوارد بكوك " (Edward Poccoke) القسيس الذي يعمل مع شركة المشرق في مدينة حلب، والذي أصبح رئيساً للدراسات العبرية و العربية في جامعة أكسفورد، وكان مؤلفه الخاص بشرح ابن ميمون لكتاب " المشنا " أول كتاب تطبعه أكسفورد بالعربية والعبرية. ص(١٣٢/١٣٣)

(يلاحظ خبث ودهاء بريطانيا، فالقسيس يعمل في شركة استعمارية، كما يعمل مدرساً في الجامعة، كما يلاحظ أيضاً تصرف بريطانيا الميكيافيلي النفعي: فقبل القرن السادس عشر، كانت بريطانيا تضطهد اليهود، وتحرمهم من كثير من حقوقهم، وأبعدتهم من أراضيها لمدة ثلاثة قرون، وعندما احتاجت إلى خدماتهم اهتمت بتدريس لغتهم وديانتهم في جامعاتها.)

- وقد كشف دزرائيلي"(Disraeli) الذي كان توسُّع بريطانيا نحو الشرق.. تحت إرشاده، أهداف بريطانيا الحقيقية وقال:" بأنه ليس مهتماً بمملكة إسرائيل، بل فقط بالإمبراطورية الإنجليزية ..لقد انغمس في دوامة سياسة الشرق الأوسط ، وفي موضوع:":كيف تستطيع بريطانيا السيطرة على طريق الهند". ص (٢٢٠-٢٢٢)

٥-٤-٦- التسلسل الزمني لتطور الصهيونية (١٦٠٠-١٩٠٠)

ملحوظات:

سنقدم التوثيقات التالية المقتبسة من مراجع غربية/ يهودية لتوضيح كيف تطورت الصهيونية المسيحية، وكيف صنعت الصهيونية المسيحية، الصهيونية اليهودية، ودور الغرب في هذا المجال، وأهدافه من ذلك.

ويلاحظ أن تماثل وتزاوج المصالح بين الاستعمار الغربي والصهيونية لم يبدأ مع مؤتمر بازل١٨٩٧، ولا مع وعد بلفور عام ١٩١٧م، وإنما كان التزاوج قد بدأ قبل في القرن السادس عشر، كما يتضح من الاقتباسات الموجزة التالية:

- في عام ١٦٢١م ظهرت مقالة بقلم السير هنري فنش (Sir Henry Finsh) -المستشار القانوني لملك بريطانيا - تنبأ فيها بعودة السلطة الزمنية لليهود في الزمن القريب وأن يتم بهم تأسيس إمبراطورية عالمية واسعة. وعلى إثرها ألقي القبض على "فنش" وحوكم بتهمة الخيانة العظمى .(٩٤)

- في عام ١٦٤٩ قدمت عريضة لحكومتي إنكلترا وهولندا تطالبهما في الإسراع بنقل اليهود إلى الأرض التي وعد بها الله آباءهم الأولين."كان ذلك يجري في وقت لم يتقدم فيه اليهود بالعودة إلى فلسطين، وفي وقت رفضوا فيه الاستجابة لهذه المطالب البروتستانتية.(٩٥)

- وعندما ألف حاخام أمستردام"منشي بن إسرائيل" (Manasseh Ben Israel) عام ١٦٥٠م كتاباً بعنوان "أمل إسرائيل" دعا فيه لتجميع اليهود في بريطاني كمقدمة لعودتهم إلى فلسطين، استشهد بسفر التثنية(٢٨: ٦٤) (ويبددك في جميع الشعوب من أقصى الأرض إلى أقصاها) وقال إنّ أقصاها يمكن أن يقصد به بريطانيا.(٩٦)

- وقبيل حملة نابليون على مصر وفلسطين عام ١٧٩٨، أعدت الحكومة الفرنسية خطة سرية لإقامة"كومون ولث"- رابطة- يهودية في فلسطين، حال نجاح الحملة الفرنسية في احتلال مصر وفلسطين، وذلك مقابل تمويل الممولين اليهود قروضاً مالية للحكومة الفرنسية، والمساهمة في تمويل الحملة الفرنسية، وان يتعهد اليهود ببث الفوضى وإشعال الفتن وإحلال الأزمات في المناطق التي سيرتادها الجيش الفرنسي لتسهيل أمر احتلالها.(٩٧)

- وعندما وطأت أقدام نابليون أرض فلسطين ،بعد احتلاله مصر ، وجه دعوة إلى يهود إفريقيا وآسيا ،أن يسيروا تحت رايته ،وينضموا إلى جيشه، ووعدهم بمنحهم الأرض المقدسة(فلسطين) ليقيموا لهم فيها دولة تحت الحماية الفرنسية.(٩٨)

- وتعددت دعوات الدول الاستعمارية لإقامة دولة لليهود في فلسطين تحت حمايتها . وفي عام ١٨٠٠م أصدر جيمس بيكون (Bacon) كتاباً" دعا فيه الإنجليز لاستخدام نفوذهم لدى السلطان العثماني لإقامة دوله لليهود في فلسطين. (٩٩)

- عام ١٨٠٤ أنشأ الصهاينة المسيحيون البريطانيون جمعية فلسطين في لندن بهدف:"الحصول على معلومات عن الأراضي المقدسة... وكان هذا جهداً جدياً ومنظماً من أجل إعادة كتابة(وفي حالات عديدة تشويه) الجغرافيا التاريخية لفلسطين من وجهة نظر البروتستانتية الصهيونية وحدها. وفي هذا الصدد فقد طلب من الباحثين تفحص كل المواقع على ضوء الكتاب المقدس ".(١٠٠)

- كما استدعي نابليون عام ١٨٠٦ مائة وأحد عشر مفوضاً من أعيان اليهود في الإمبراطورية الفرنسية، وقدم الدعوة ليهود أوروبا لحضور اجتماع السنهادرين الأعم عام ١٨٠٧ وطلب من زعمائهم أن يناقشوا عرضاً فرنسياً مقترحاً بمنح

الجنسية لكل اليهود إذا ما تعهدوا بالدفاع عن فرنسا في حربها ضد روسيا وفي معركتها الاقتصادية مع إنجلترا.(١٠١)

- وأنشأ القس البريطاني "لويس واي" عام ١٨٠٩م الجمعية اللندنية لنشر المسيحية بين اليهود التي كان لها تأثير كبير في نشر عقائد الصهيونية المسيحية الداعية لتوطين اليهود في فلسطين.(١٠٢)

- وفي عام ١٨١٤م، دعا القس الأمريكي "جون ماكدونالد" اليهود للعودة إلى أرض صهيون"، وأنه لا مندوحة إمام الولايات المتحدة عن دور الريادة في القيادة لهذا المسعى". وكان الرئيس الأمريكي "جون آدمز" أول رئيس أمريكي يدعو اليهود لاستعادة فلسطين، وذلك في رسالة له للصحفي اليهودي "مانويل نوح" عام ١٨١٨م قل فيها:"أتمنى أن أرى ثانية أمة يهودية مستقلة في يهوذا. (١٠٣)

- وقد طرح بالمرستون (Palmerston) فكرة " فلسطين اليهودية" على الإمبراطورية العثمانية، عندما قام محمد علي باشا المدعوم من فرنسا بالتقدم من مصر إلى سوريا .... وكان بالمرستون يهدف في دعم فكرة فلسطين اليهودية لإحباط فرنسا ووكيلها محمد علي باشا ، وتزويد بريطانيا بعميل في الشرق الأوسط (اليهود) (١٠٤)

- وفي عام ١٨٣٨ أثناء احتلال إبراهيم باشا لفلسطين وسوريا، دعا اللورد شافتسبري (Shaftsbury) إلى إقامة مستوطنات يهودية في فلسطين وسوريا "وزرع الشعب اليهودي في أرض أجدادهم تحت حماية الدول العظمى".(١٠٥)

- وفي ١٠/٨/١٨٤٠م نشرت جريدة التايمز اللندنية مقالاً جاء فيه:"إن اليهود الغربيين بحوزتهم القدرة المالية على شراء أو استئجار فلسطين... شريطة أن تتكفل الدول الخمس الكبرى بتوفير الحماية اللازمة لهم، و..إن قيام دولة يهودية سيفصل بين تركيا ومصر، وسيدعم النفوذ البريطاني في الليفانت (منطقة البحر المتوسط) سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وبمعنى آخر فإنّ هذه الدولة المقترحة ستكون أداة لخدمة مصالح الاستعمار البريطاني في منطقة الشرق الأدنى".(١٠٦)

- وجاء في جريدة "التايمز" (Times) بتاريخ ٢٦/٨/١٨٤٠م إن "الهدف من إعادة اليهود إلى فلسطين هو إيجاد حل لمشكلة سوريا التي احتلها إبراهيم بن محمد علي باشا"(١٠٧)

- وفي ٢٥ أيلول ١٨٤٠م، أرسل اللورد "أشلي" مذكرة إلى وزير الخارجية البريطانية، دعا فيها الدول العظمى إلى المساعدة في استعمار فلسطين من قبل

اليهود لأنّ من شأن ذلك أن يثير الحماس التجاري لكل من يسعى إلى الحصول على النقود في العالم"(١٠٨)

- وعند انعقاد مؤتمر لندن عام ١٨٤٠ قدم اللورد "شافتسبوري" مشروعاً بأن: " تبنى الحكومة البريطانية إعادة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة خاصة بهم.وحذر "شافتسبوري من أنه لو تقاعست بريطانيا عن تنفيذ هذا المشروع فإنّ هنالك احتمالا كبيرا بتنفيذه على يد دولة أخرى كروسيا مثلا، وهذا بالطبع سيهدد مصالح بريطانيا في الشرق...وتبنى بالمرستون مشروعا أمام الدول المجتمعة في مؤتمر لندن يهدف إلى "خلق كومنولث يهودي في النصف الجنوبي من سوريا- أي فوق المساحة التي شغلتها فلسطين التوراتية".(١٠٩)

- وفي ١٤ حزيران ١٨٤١ ،اقترح الكولونيل تشرتشل (Churchill) بأنّ توضع سوريا وفلسطين تحت الحماية الغربية ، وأن تقام مستعمرات لليهود في فلسطين تحت حماية الدول الغربية العظمى . (١١٠)

- وفي عام (١٨٤٥) دعا جورج غولر (George Gawler) إلى تأسيس مستعمرات يهودية في فلسطين تحت حماية بريطانيا، كما دعا ملفورد (E.L.Milford) إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحت حماية بريطانيا، وأشار إلى أن زيادة عدد سكان فلسطين من شأنه أن يخفف من كساد المصانع البريطانية في مانشستر وبرمنغهام وغلاسجو... وأنّ الدولة اليهودية – بالإضافة إلى منافعها الاقتصادية والاستراتيجية التي لا تحصى – ستعمل على تنظيم طرق مواصلاتنا وتؤمن لنا مركزا مرموقا في الشرق نستطيع بفعله إحباط أية محاولة لتعطيل هذه الطرق، وصد هجمات أعدائنا قبل الانتصار عليهم". (١١١)

- وفي مقدمة كتابه"جبل لبنان " الذي صدر عام ١٨٥٣م كتب الكولونيل البريطاني "تشرشل" يقول:"إن كنا نريد الإسراع في تقدم المدنية وتوطيد سياسة إنكلترا في الشرق الأوسط، فمن الواجب أن تقع سوريا ومصر تحت سيطرتها ونفوذها بهذا الشكل أو ذاك. وكان يرى أن هجرات اليهود إلى فلسطين واستيطانهم فيها يهيئهم للقيام بدور حماية المصالح البريطانية في منطقة الشرق الأوسط".(١١٢)

- وفي عام ١٨٥٦، صرح توماس كلارك (Thomas Clarke) بأن اليهود هم حلفاء طبيعيون للإنجليز، وأن السيطرة على فلسطين ضرورية للمصالح البريطانية. (١١٣)

- وفي عام ١٨٦٠م كتب السكرتير الخاص لنابليون الثالث "آرنست لاهران" كتابا أكد فيه "جدوى إقامة دولة لليهود في فلسطين... لصالح قوة استعمارية باستغلال تفكك الإمبراطورية العثمانية".(١١٤)

- وأدّت الخلافات بين الدول الغربية أن تقترح إقامة كيان لليهود في فلسطين. ويوضح ذلك خطاب ألقاه مسيحي أوروبي عام ١٨٦١م قال فيه: " أيّة دولة يجب أن ترث الأرض المقدّسة؟...إذا ورثتها فرنسا فستمنعها روسيا وبريطانيا، مثلما تعارض روسيا وفرنسا حكم بريطانيا، وتعارض فرنسا احتلالاً روسيا. (ولذلك) لا أحد يجب أن يرثها غير اليهود". (١١٥)

- وحث اليهودي الفرنسي "موسى هس" (Moses Hess) اليهود أن يحافظوا على ولائهم للاستعمار الفرنسي، على غرار ولائه هو لذلك الاستعمار: (قائلا) إنه من مصلحة فرنسا أن يقوم شعب (يهودي) متفانٍ في ولائه للقضية الفرنسية باستيطان الطريق المؤدي إلى الهند والصين.".. وفي عامي ١٨٦٢،١٨٦٧ دعا إلى تأسيس مستعمرات يهودية تمتد من السويس إلى القدس ،ومن ضفتي نهر الأردن إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط،لأنه يتوافق مع أماني ومصالح الشعب الفرنسي، وذلك عندما يستوطن شعب مخلص لفرنسا على طريق التجارة من الهند والصين، وعلى مقربة من قناة السويس). (١١٦)

- وفي عام ١٨٦٧ أنشأ المسيحي السويسري هنري دونان (Henry Dunan) (مؤسس جمعية الصليب الأحمر الدولية) ، جمعية يهودية لاستيطان فلسطين تحت رعاية ملكة فرنسا، ودعا إلى إنشاء إدارة بريطانية للأقاليم التابعة للدولة العثمانية في قارة آسيا ، لأن من شأن ذلك أن يقوي تجارة بريطانيا في الشرق الأدنى. وفي أعقاب حرب القرم(١٨٥٤- ١٨٥٦)، أسس الجمعية العالمية لإحياء الشرق" واقترح منح المستعمرات الزراعية اليهودية في فلسطين وضعاً دبلوماسياً.(١١٧)

ودونان هذا الذي يصوره الغرب على أنه نبي الإنسانية في العصر الحديث، كنا نفترض فيه أن يكون حيادياً، ولكن يظهر أنّ الغرب دائما ينحاز لمصالحه، ويضرب بقيم العدل والحق والصدق عرض الحائط. ولهذا انحاز دونان إلى مصالح فرنسا وبريطانيا التجارية في الشرق الأوسط.

- وفي عام ١٨٦٥م أنشأ الصهيونيون الإنجليز "صندوق استكشاف فلسطين، وبدأ بإرسال البعثات التي قامت بعدة دراسات. وفي عام ١٨٧٠ تم تأسيس الجمعية الأمريكية لاستكشاف فلسطين، وذلك على غرار صندوق استكتشاف فلسطين البريطاني، وقامت بإعداد خريطة للمنطقة.(١١٨)

- وفي عام ١٨٧٦، حينما "نظمت الحركة الاستعمارية أساليبها توضحت الأهداف البريطانية... (وظهرت مقالات في مجلات يهودية) بتوقيع "اسحق آشر" توحي بتشكيل شركة ذات امتياز" في فلسطين على نمط"شركة الهند السرية، بغية شراء الأراضي في فلسطين ... وتأمين الحماية العسكرية لهذه الشركة. (١١٩)

- وفي عام ١٨٧٧ دعا" جوردون" (Gordon) إلى تأسيس دولة يهودية في فلسطين تحت السيادة البريطانية. (١٢٠)

- وفي عام ١٨٧٩ دعا لورنس أوليفانت (Oliphant) إلى استيطان اليهود في فلسطين،كما دعا إدوارد كازاليت (Edward Cazalett) بريطانيا إلى فرض حمايتها على فلسطين، وذلك بسبب توافق مصالح بريطانيا واليهود هناك (١٢١)

- وفي عام ١٨٨٨م زار "بلاكستون" فلسطين، وأطلق الشعار المعروف"أرض بلا شعب لشعب بلا أرض... (و) قاد حملة للتوقيع على عريضة على مستوى الولايات المتحدة... " كانت أول مبادرة مسيحية رئيسية لدعم الحركة الصهيونية السياسية في الولايات المتحدة... كما لعبت دوراً مهما في استجابة الرئيس الأمريكي "ولسون" فيما بعد، للموافقة على وعد بلفور".(١٢٢)

- وكان"اوليفانت" "١٨٢٩-١٨٨٨" من أكبر المتحمسين لمشروع إقامة دولة لليهود في فلسطين وكتب يقول:"على إنكلترا أن تقرر القيام بمهمة التنقيب عن أطلال المدن الأثرية، وتطوير الموارد الزراعية الكبيرة في فلسطين بأن تعيد إليها(أهلها) من اليهود الذين هم أصحابها منذ ثلاثة آلاف عام فتؤمن إنكلترا بذلك لنفسها المنافع السياسية الجمة الناجمة عن تلك السياسة". وكان مشروع (اوليفانت) يضع في حسبانه طرد البدو المحاربين وعزل الفلاحين العرب في محاجر خاصة، شأنهم شان هنود أمريكا الشمالية.(١٢٣)

- ودعا حاكم مصر البريطاني "اللورد كتشنر" الحكومة البريطانية "لتأمين فلسطين كحصن لبريطانيا في مصر، وكحلقة وصل برية من المشرق".(١٢٤)

- وفي ١٨٩٦/٤/٢٦م أرسل الزعيم الصهيوني"هرتزل" رسالة إلى دوق"بادن" تحدث فيها عن "مشيئة الله في عودتنا إلى وطننا، معربا عن رغبة الصهيونيين في العودة بمثابة ممثلين للمدنية الغربية، حاملين النظافة والترتيب وتقاليد الغرب إلى تلك الزاوية المنكوبة بالطاعون والآفات من الشرق"-أي بالعودة إلى فلسطين- (١٢٥)

- وأوضح "هربرت سايد بوتام" الخبير العسكري في صحيفة"الغارديان" البريطانية أهمية مصر رفلسطين في اتصالات انجلترا مع إمبراطورياتها الهندية وأضاف:"من المؤكد تماما أنه إذا ما أصبحت فلسطين جزءاً من الإمبراطورية (البريطانية) فلن يجري استعمارها بالمعنى الحقيقي للعبارة، على يد ذلك النوع من الرجال، الإنجليز... لا احد غير اليهود يستطيع بناء دومنيون جديدة مستقلة على البحر الأبيض المتوسط، مرتبطة منذ البداية بهذا البلد (بريطانيا) في العمل الإمبريالي، فتشكل في أن واحد، عنصر وقاية من الشرق الغريب، ووسيطا بينه وبيننا، وحضارة متميزة عن حضارتنا، ولكن مشبعة بأفكارنا السياسية.(١٢٦)

- ويجسد"جوزيف تشامبرلين"(١٨٣٦-١٩١٤)"النمط الجديد للصهيونية غير اليهود، إذ لم تكن تهمه الاعتبارات الدينية أو الإنسانية... بل مصالح الإمبريالية البريطانية. وكان يرى في اليهود مجموعة من المستعمرين الأوروبيين الجاهزين لاستيطان وتطوير وامتلاك أرض خالية تحت الوصاية البريطانية".(١٢٧)

- وفي عام ١٨٩٧ انعقد مؤتمر بازل في سويسرا. وحضره مائتان وأربعة أعضاء من اليهود يمثلون خمس عشرة دولة، ولم يكن بينهم من فلسطين سوى أربعة أعضاء، وقد ترأس المؤتمر هيرتزل الذي أعلن رفضه الوسائل القديمة باستعمار فلسطين قطعة وراء قطعة، وتركيزه على أهمية الوعد الدولي بمنح فلسطين لليهود. (١٢٨)

- وقد مثل هرتزل نموذجا كلاسيكيا للفكر الاستعماري الأوروبي، والارتباط العنصري بالاستعمار العالمي.وقال ":سوف نشكل هناك (في فلسطين) جزءاً من متراس أوروبا في آسيا يكون مركزاً أمامياً للحضارة (الغربية) ضد البربريين (الشرقيين –الإسلاميين). ويتوجب علينا كدولة محايدة ، أن نبقى على صلة بكل أوروبا التي يكون عليها أن تضمن وجودنا " (١٢٩)

٥-٤-٧- يهود يعارضون الصهيونية و ينتقدونها

عارض يهود متدينون الصهيونية السياسية لأنهم يعتقدون أنّ خلاص اليهود يأتي عن طريق مسيح منقذ من الإله، وليس عن طريق البشر و الدول الاستعمارية. (١٣٠)

وعارض وعد بلفور"ادوين مونتاغيو" الوزير البريطاني في الوزارة التي أصدرت ذلك الوعد، وقال :" أنا أنكر أنّ فلسطين اليوم ذات صلة باليهود. إنّ

الصهيونية كانت تبدو لي دائما عقيدة سياسية مؤذية لا يمكن لأي مواطن مخلص للمملكة المتحدة أن يدافع عنها".(١٣١)

كما عارض وعد بلفور أيضاً" كلود مونتيفيوري رئيس الاتحاد الإنجلوا/ يهودي و" ولف " المؤرخ اليهودي ، وانتقد يهود أمريكيين وعد بلفور و الصهيونية، وكان منهم " هنري مورغنتاو" سفير الولايات المتحدة في اسطنبول الذي لعب دوراً في تنظيم عريضة باسم يهود أمريكا إلى الوفد الأمريكي لمؤتمر الصلح لشجب وعد بلفور وقال : " إنّ الصهيونية أعظم خرافة في التاريخ اليهودي . إنها على خطأ من حيث المبدأ، وغير ممكنة من حيث التطبيق، وغير سليمة من الزاوية الاقتصادية، وخيالية في سياساتها، وعقيمة في مثلها الروحية، وإنني أقول ذلك كيهودي".(١٣٢)

وفي عام ١٨٨٥م انعقد مؤتمر يهودي في : بتسبرغ" بالولايات المتحدة الأمريكية، وأصدر بياناً مناهضاً للصهيونية، وكان مما جاء فيه:" إننا ننتظر اقتراب تحقق أمل إسرائيل "الماشياحاني" (نسبة إلى المسيح المنتظر) العظيم بإقامة مملكة الحقيقة والعدل و السلام بين جميع البشر، ولم نعد نعتبر أنفسنا أمةً ، وإنما مجموعة دينية، وعليه فلا نتوقع العودة إلى فلسطين... ولا إحياء أيّ من القوانين المرتبطة بالدولة اليهودية". (وعبر الحاخام " اسحق وايز " عن موقفة بشأن المؤتمر الصهيوني الأول) قائلا : إنّ هؤلاء اليهود" الماشيحيين " الكذابين... لم يكونوا يحملون هدفاً دينياً، فكلهم كانوا سياسيين... إننا نندّد بموضوع الدولة اليهودية ونعتبرها غريبة عن روحية اليهودي العصري المقيم في هذه البلاد، إذ هو ينظر إلى أمريكا على أنها فلسطينه، ويعتبر مصالحه متركزة هنا." (١٣٣)

وعندما أعلن برنامج "بلتيمور" عام ١٩٤٢م من قبل الوكالة اليهودية، وطالب بدولة لليهود في فلسطين، اجتمع اثنان وتسعون حاخاماً في " أتلنتيك سيتي" عام ١٩٤٣م وقالوا: " نحن نعارض دولة يهودية في فلسطين... إنّ فلسطين هي جزء من التراث اليهودي، وهي جزء من التراث الديني لسائر الأديان. نأمل أن تقوم في فلسطين حكومة ديمقراطية مستقلة يتمثل فيها اليهود والمسيحيون و المسلمون على نحو عادل".(١٣٤)

وترفض جماعة "ناطوري كارتا" الصهيونية، وتصرّ على أنّ" قيام دولة إسرائيل المعاصرة مخالف لجوهر اليهودية جملة و تفصيلا لأنّ هذا القيام تم بقوة أرضية مادية، وليس بقوة سماوية إلهية. (١٣٥)

وفي الورقة التي قدمها "نيوبيرغر **Newberger**"عضو " ناطوري كارتا،" إلى مؤتمر طرابلس، قال" :

لم يؤمن مؤسس الصهيونية السياسية، ولا رؤساء وزارات الدولة الصهيونية بالأصل الإلهي للتوراة، ولا حتى بوجود الله ... ومع ذلك فإنّ هؤلاء الصهاينة أنفسهم يبنون مطالبتهم بالأرض المقدسة على نفس الكتاب المقدس الذين ينكرون أصله الإلهي ... وفي نفس الوقت فإنهم ينسون ... أنّ الشعب اليهودي لم يؤمر، ولم يسمح له باحتلال أو حكم الأرض المقدسة قبل قدوم المسيح. (١٣٦)

٥-٤-٨- ملاحظات على مشاريع الغرب لإعادة اليهود إلى لفلسطين

أ- في جميع المقترحات والمشاريع كان يجري التأكيد على مصالح بريطانيا وفرنسا، بالدرجة الأولى وأنّ الكيان اليهودي الذي سيقام، سيكون تحت حماية الغرب.

ب- رغم جميع المشاريع والأفكار التي تقدم بها الغرب لإعادة اليهود إلى فلسطين منذ القرن السادس عشر الميلادي، إلا أن المؤرخ البريطاني "هيامسون"(Hyamson) شهد بأنه كان هناك قاسم مشترك أعظم لجميع المشاريع المذكورة سابقا، ولغيرها من المشاريع المماثلة ..، وهو أنه لم يتصور أي منها دولة يهودية بالمعنى السياسي. فقد اقترحت جميعها، أو معظمها، نوعاً من الحكم الذاتي، حكومة بلدية أو مجتمعية، وهذه هو كل ما في الأمر. (١٣٧)

ت- شهدت مصادر عديدة بأنّ اليهود ردوا على دعوات الغرب بإعادتهم إلى فلسطين حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر بالصمت أو الفتور. وذكر المؤرخ "ولف" (Wolf) أن اليهود "لم يحركوا ساكناً رغم جميع النداءات إليهم بالتحرك من أجل إقامة كيان أو دولة لهم في فلسطين".(١٣٨)

ث- اشتكى المسئول البريطاني "أشلي" من أنّ " أمراً واحداً يظل ناقصا وهو أنّ اليهود أنفسهم الذين هم المركب الأساسي والضروري في العملية، لا يزال هذا العنصر مفقوداً، لأنه حتى الآن لم تحدث عملية انتقال جماعية للعودة إلى فلسطين" (١٣٩)

هوامش الفصل الخامس

١	احمد سوسة، "العرب واليهود في التاريخ "(دمشق: العربي للنشر والإعلان والطباعة والتوزيع، ١٩٧٢)ص(٣٧٥-٣٧٦)
٢	السفير طاهر شاش، "التطرف الإسرائيلي. جذوره وخصائصه "(القاهرة: دار الشروق، ١٩٦٨) ص(٢٩)
٣	توماس ل. طومسون،" التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي" ترجمة صالح سوداح . (بيروت :

	بيسان ، ١٩٩٥) ط١ ص(٢٢٩-٢٣٠)
٤	حداد، "هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين"(بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ٢٠٠٤) ج٢، ص(١٢٧)
٥	حداد، ج٢، ص(٢٩١)
٦	Epp, Frank H.," Whose Land is Palestine? The Middle East Problem in Historical Perspective"(Grand Rapid-Michigan, USA: M.B.Eerdman's Publishing Co.,1974) P.242 حداد ج٢، ص (١٢٧)
٧	M. Amir Ali , Media Monitors Network(MMN) , 20 August 2003.
٨	حداد، ج٢، ص(١٢٨-١٢٩)
٩	حداد، ج٢، ص(٢٩١، ٢٩٦)
١٠	Andrea Barnon: Journal of Palestine studies. No 94, pp(93-94).
١١	Stranely Elleson, "The Arab Israel' Conflict who Own the land " (USA- Porland, Dregm: Multnomat Press (991) pp.20,34
١٢	حداد، ج١ ص(١٣٠-١٣١)
١٣	The plain Truth about the old and new Bible, www.bibletools.org
١٤	محمد علي الصابوني ،"صفوة التفاسير "(القاهرة : دار الصابوني، ١٩٧٩) ط تاسعة ، مجلد(٢) ص (٥١٣)
١٥	M. Amir Ali –Media Monitors Network(MMN) Article under the title:" Palestine: God's covenants with Abraham . Wednesday 20 august, 2003
١٦	Arnold Toynbee, "A Study of History. Recondsiderations. Vol. 12., `pp. 477-478"
١٧	حداد، ج٢، ص(١٤٥)
١٨	الأستاذ مصالحة، جريدة الحياة ٢٠٠٥/٥/١٧ www.atmashad.org
١٩	كليفورد لونجلي، "الشعب المختار" (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية" ٢٠٠٣)، ج١، ص(٩٢-٩٤)
٢٠	الصابوني، ج١، ص(٥٥) Abdulaah Yousuf Ali,"The Glorious Koran. Translation and Commentary" (Beirut: Dar Al Fikr, 1945) p. (151).
٢١	Meyer Waxon, "A Handbook of Judaism as Professed and Practised Through Ages"(New York Publishing Company, 1947) p. (147).
٢٢	Makenzie pp. (153-156). Lexicon Universal Encyclopedia,(New York: Lexicon Publications , 1988) .Vol. 21. p .(458)
٢٣	Arnold Toynbee, "A Study of History. Recondsiderations. Vol. 12., pp. (477-478) John Edward, "Jews in Christian Europe 1400-1700 (KLondon: Rotltledge, 1988) p.(20).
٢٤	روجيه غارودي، " فلسطين ارض الرسالات السماوية"(دمشق: دار طلاس للنشر، ١٩٩١) ص(١٣٩)
٢٥	غارودي، "فلسطين" ص(١٨١)
٢٦	كليفورد لونجلي"الشعب المختار" ج٢، ص(٣٢-٣٨) ،ج٣، ص(١٠٥-١٠٦)
٢٧	كليفور لونجلي،"الشعب المختار" ج١، ص(١٧)
٢٨	Epp. P(42-43).
٢٩	George Kirk, "history of the Middle East" p.(304).
٣٠	حداد، ج١، ص(٣٠٩) نقلا عن: Alfred Lilental "The Zionist Connection 11. what Price is Peace? (New Brunsaich, New Jersey, Dodd Mead & Co.,1982) p.(10)

حداد، ج٢، ص(١٤٢)	٣١
روجيه جارودي ملف إسرائيل ، ودراسة للصهيونية السياسية، ترجمة د. مصطفى كامل فودة ، ص (٩٥)	٣٢
Paper delivered by G.H. Neuberger, a member of Naturi Karta at the Tripoli Conference on "Zionism and Racism". Naturi Karta. www.nrusa.org	٣٣
كليفورد لونجلي، ج٣، ص ١٤٦-١٤٧	٣٤
Epp, op. cit., pp. (188, 237-238).	٣٥
Israel Pocket Library- Jewish Values, p (17-18)	٣٦
عادل سمارة،"الغرب والصهيونية" مجلة "كنعان" العدد ١١٣، تشرين الثاني ١٩٩٩، ص(٦٣).	٣٧
حداد ج٢ ص(١١٩، ١٧٠)	٣٨
حداد، ج٢، ص(١٢٠)	٣٩
حداد، ج٢، ص(١٧١)	٤٠
جريدة الرسالة ٢٤/٨/٢٠٠٠	٤١
حداد،ج٢، ص(١١٩)	٤٢
حداد، ج٢، ص(١٦٩)	٤٣
حداد، ج٢، ص(١٢١)	٤٤
Epp. Op. cit., " pp (29-30, 260).	٤٥
Ellisen"The Arab Israeli Conflict. Who ouns the land? (Portland, Oregon- USA: Multnomah Press Ltd, 1991) p.(150).	٤٦
1998 Jews@jewish.com	٤٧
Alfred LiLienthal, "What Price is Israel?(Chicago : Henry Regenery Co., 1953) pp. (4-5).	٤٨
كيت وايتلام"اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني"(الكويت: عالم المعرفة ، أيلول ١٩٩٩) ص(١٥)	٤٩
حداد، ج٢، ص(٣٠٥) نقلاً عن: Sami Hadawi,"Better Harvest"(N.Y.: Olive Branch Press,1990) pp.(30-32).	٥٠
حداد، ج٢، ص(٣٢٠-٣٢١)	٥١
غارودي ،إسرائيل ملف اليهودية والصهيونية، ص (٥٥،٦١) غارودي، "فلسطين" ص (١٧٠،٢٥٣)	٥٢
حداد، ج٢ ص(١١٠، ١١١، ٢٩٢، ٢٩٥)	٥٣
Henry Cattan , "Palestine and international Law (London: Longman,1973)PP.(48,5, 71).	٥٤
ج. أي دابيير"نقض الأطروحة الإسرائيلية حول الوطن البديل سلسلة دراسات صامد الاقتصادي (عمان ، دار الكرمل للنشر ١٩٨٥) بيروت : دار صامد للدراسات ، ١٩٨٥) ص(٣٦).	٥٥
Prof R.J.Z. Zwi Werblosky, "Zionism, Israel, and the Palestinian. An Address Delivered In Amsterdam in June1947".	٥٦
Henry Cattan , "Palestine and international Law (London: Longman,1973)PP.(48-50)	٥٧
Paul Findley,"The Dare Speak Out" P.(237). Goerges Corm,"Thought on the Roots of the Arab Israeli Conflict" Journal of Palestinian studies. Vol XXI, No. 3 spring 1992. p.(78).	٥٨
بيان الحوت،"فلسطين. القضية .الشعب. الحضارة التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن لعشرين"(١٩١٧) (بيروت : دار الاستقلال لدراسات والنشر،١٩٩١) ص (٣،٤٣)	٥٩
عصام ارشيدات وآخرون،" دراسات في القضية الفلسطينية" (عمان : دار الكندي، ١٩٩٢) ص (١٥،١٨)	٦٠

زئيف ستيرنهل،" الأساطير المؤسسة لإسرائيل" (رام الله ، مدار- المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، سنة ٢٠٠١ ص (٣٦٤)	٦١
F.Yahia, "The Palestine Question in International Law"(Beirut: P.L.O. Research center, 1970) p.(14).	٦٢
Norman Finkelstein," Image and realty of the Plestine Israel Conflict". The Origin of the Palestine –Israel Conflict" (Berkley C.A. "Jews for Just in the Middle East 2000) 3rd ed. (www.cactus48.com)	٦٣
U.N.History vol. one p. (21).	٦٤
Walid Khalid ,"The Palestinian Problem: An Overview". Journal of Palestine Studies. Vol. Xxi, No. 1 , Autumn, p.(6).	٦٥
Henry Cattan , "Paletine ad international Law(London: Longman,1973)PP.(48-50).	٦٦
(Berkly- C.A. : Jews for Justice in the Middle East, 2000) 3rd edition. www.Cactus 48.com	٦٧
سوسة، "العرب واليهود في التاريخ" ص(٢٩٩)	٦٨
ظفر الاسلام خان، ص (٢٣) نقلا عن المؤرخ البريطاني جفريز،"فلسطين اليكم الحقيقة، ص(٣٧)	٦٩
United Jewish Encyclopedia, vol. 8 p.(358). ظفر الاسلام ١٥٢-١٥٣	٧٠
ظر الاسلام خان ص ٢٣ نقلا عن : جفريز فلسطين إليكم الحقيقة ص (٣٦-٣٧)	٧١
Henry Cattan"The Palestine Question" p.(9).	٧٢
Clermont Gannea, "The Arab in Palestine" The Survey of Palestine- special papers. The Committee of the Palestine Exploration Fund, 1881) pp. (315-330).	٧٣
نبيل شبيب، " قضية فلسطين الحق والباطل "(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩) ص (٤٠)	٧٤
فلسطين تاريخها وقضيتها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٣ ص(١٩)	٧٥
سوسة، ص(٦١٩- ٦٢٠)	٧٦
محمد ولد الياسيني، "مجلة كنعان" العدد ١١٣، نيسان ٢٠٠٣، ص (٢٩) نقلا عن Israel Ministry of Foreign Affairs 2002. www.Israel.org.(mfa/go.asp	٧٧
حداد، ج١، ص(٣١٩)	٧٨
مركز الشرق العربي- واحة اللقاء – المسيحية الصهيونية.	٧٩
يوسف أيوب حداد، "الصهيونية المسيحية" مجلة "كنعان" العدد ١١٣، نيسان ٢٠٠٣، ص(٦١-٦٢)	٨٠
غازي محمد فريح، "النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة"(بيروت:دار النفائس، ١٩٩٠)ص (١٥٨-١٥٩)	٨١
B.W.Tauchman,"Bible and the Sword: England and Palestine from the Broze Age to Balfour "(New York: Amo Press ,1984) p.()	٨٢
Edward Mcnall Burns et. al.(editors) "Western Civilizations: Their History and their Culture"(USA:W Norton Co. Inc., 1973) p.(460-462).	٨٣
حداد، ج١، ص(٣٢٣)، غارودي، "فلسطين" ص(١٤٧)	٨٤
Tauchman, p. (80-81,97).	٨٥
حداد، مجلة كنعان، العدد ١١٣ ص(٦٤)	٨٦
غازي محمد فريح، "النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة"(بيروت:دار النفائس، ١٩٩٠)ص (١٥٨-١٥٩)	٨٧
حداد، ج١، ص(٣٢١)	٨٨
Tauchman, p.(103-111,130-146).	٨٩
يوسف حداد، كنعان، العدد ١١٣، نيسان ٢٠٠٣ ص(٦٤)	٩٠

محمد الياسيني، ص(٥٨)	٩١
يوسف حداد، مجلة "كنعان" العدد ١١٣، نيسان ٢٠٠٣، ص (٦٢-٦٣)	٩٢
حداد، ج١، ص(٣٢٧)	٩٣
Tauchman, p.(131).	٩٤
يوسف حداد، "كنعان" العدد ١١٣، نيسان ٢٠٠٣، ص(٦٣)	٩٥
Tauchman, p.(136-137).	٩٦
حداد، ج١، ص(٣٦٠)	٩٧
Nahum Sokol w "History of Zionism 1600-1918" (London: Longmans Gr en And C0,1919) Volume One p. (66).	٩٨
عبد الفتاح العويسي ،" جذور القضية الفلسطينية "الخليل : دار حسن للطباعة والنشر،١٩٩٢،ص١٤١). Alber M. Hyamson "Palestine A Policy" (London : Methuen And Co., 42	٩٩
محمد ولد الياسيني ، مجلة "كنعان" العدد ١١٣، نيسان ٢٠٠٣ ص(٥١) نقلاً عن: B.W. Tauchman, "Bible and the Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour "(New York: Amo Press ,1984) p.(191).	١٠٠
مجلة كنعان" العدد "١١٣" نيسان ٢٠٠٤ ص(٤١-٤٢)	١٠١
حداد ، ج١، (٣٥٢)	١٠٢
حداد، ج١، ص(٣٩٣، ٣٩٥)	١٠٣
David Fromkin " ‹A Peace To End All Peace 1914-1922" (London: Penguin Book, 1989) , pp.(262, 269).	١٠٤
Albert. M. Hyamson" Palestine A Policy" (London : Methuen And Co., 1942) P.(31).	١٠٥
حداد، ج١، ص(٣٦٦)	١٠٦
Nahum Sokolow" History of Zionism 1600-1918" London : Longmans Green And C50-1919) –, vol. "ii, pp. (236-237).	١٠٧
Sokolow, VOL. 2, p. (229).	١٠٨
حداد، ج١، ص(٣٥٤-٣٥٥)	١٠٩
Lucien Wolf -" Notes On the Diplomatic History Of the Jewish Question" (London: Jewish Historical Society Of England, 1919) p. (219-222).	١١٠
Hyamson, Op. cit., p. (44) غارودي، "فلسطين" ص(٢٠٣)	١١١
حداد، ج١، ص(٣٦٩-٣٧٠)	١١٢
Hyamson, Op. cit. p.(45)).	١١٣
غارودي، "فلسطين" ص(١٩٣)	١١٤
Hess op. cit. p. (263).	١١٥
مجلة كنعان، العدد ١١٣، نيسان ٢٠٠٤ ص(٤٣) أنظر أيضا" ، فلسطين، مصدر سبق ذكره، ص(٢٢). Moses Hess, " Rome And Jerusalem. A Study In Jewish Nationalism" (New York :Bloch Publishing C50,1943), P.P (127-167-129-216).	١١٦
Nahum Sokolow" History of Zionism 1600-1918" (London : Longmans Green And C50-1919) V.202 Volume One p.(203-206). الياسيني ، مصدر سبق ذكره ، ص(٥٧)	١١٧
حداد، ج ١، ص (٣٩٥)	١١٨
غارودي، "فلسطين" ص(٢٠٤)	١١٩
Laqueur- "History of Zionism" (San Francisco: Holt, Reinhart	١٢٠

and Winston, n. d.) p. (68).	
Hyamson ,op. Cit., p. (4).	١٢١
حداد ، ج١، ص((٤٠٣-٤٠٥)	١٢٢
غارودي، "فلسطين" ص(٢٠٣)	١٢٣
حداد، ج١، ص(٣٧٦)	١٢٤
حداد، ج١، ص(٣٧٨)	١٢٥
النتشة، ص(١٧٢)	١٢٦
حداد، ج١، ص(٣٨١)	١٢٧
بيان نويهض الحوت، "فلسطين. القضية. الشعب الحضارة" (بيروت: دار الاستقلال، ١٩٩١) ص (٣٤٧).	١٢٨
فلسطين:تاريخها وقضيتها" (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية،١٩٨٣) ص (٢٦).	١٢٩
Israel pocket Library -Jewish values"(Jerusalem: Keter Books, 1974) ,pp. 20-22	١٣٠
حداد،ج٢،ص١٢٢	١٣١
حداد ج، ص(٣١٦/٣١٨)	١٣٢
حداد،ح. ٣٠٥، ٣١٦-٣١٧	١٣٣
غارودي. فلسطين ص (٢٢٣)	١٣٤
حداد، ج٢، ص٩٥ نقلا عن : ايان لوستيك " الوصولية الياهودية في اسرائيل " (بيروت: موسسة الدراسات الفلسطينية . ١٩٨١م، ص٢٤/٣٥ ترجمة حسين زينه	١٣٥
Paper delivered by G.J. Newberger of Naturi Karta at the Tripoli notzionists.org www.jewsConference on Zionism and Racism.	١٣٦
Hyamson, p.(42-43)	١٣٧
Lucien Wolf, "Notes on the Diplomatic History of the Jewish Question"(London: Jewish Historical Society of England, 1919) p. (103).	١٣٨
Tauchman, p.(193).	١٣٩

الفصل السادس
الحضارتان الإسلامية والغربية
وأكاذيب صراع الحضارات والعولمة والإرهاب

الفصل السادس

الحضارتان الإسلامية والغربية
وأكاذيب صراع الحضارات والعولمة والإرهاب

تمهيد:

نناقش في هذا الفصل بإيجاز شديد بعض الأكاذيب والافتراءات التي يستعملها الغرب من أجل مواصلة اعتداءاته على حقوق شعوب العالم الثالث- وبخاصة العرب والمسلمين- وترسيخ هيمنته على بلادهم واقتصادهم. فبعد زوال الخطر الشيوعي، عمد إلى حِيَلٍ جديدة يبرر بها اعتداءاته على الشعوب الضعيفة، وتدخله في شؤونها، فادعى وجود صراع بين الحضارات، وأن الحضارة الإسلامية- التي أنهكها باعتداءاته على أصحابها- تشكل خطرا عليه، وأن هناك ضرورة عالمية "للعولمة" أي "الأمركة"حيث تخضع أسواق العالم وثقافاته للهيمنة الغربية. وفي الوقت الذي تقوم فيها أمريكا بممارسة الإرهاب المنظم والمبرمج، فإنها تدعي أنها تقاوم الإرهاب، وتقوم بمقاومة حركات التحرر الوطني السياسي والاقتصادي، وتخلط عن عمد بين المقاومة المشروعة من أجل التحرر من الاحتلال والهيمنة وبين الإرهاب الحقيقي المحرم دوليا. سوف نناقش هذه الموضوعات باختصار عن طريق تعريفها ، والاستشهاد برأي المفكرين والكتاب الدوليين بأضرارها وسلبياتها، وما تنطوي عليه من نفاق وكذب وتزوير، وتوضيح الهدف منها، وأثرها على قضية فلسطين والإسلام والمسلمين.

٦-١- الحضارتان الإسلامية والغربية

ما هي الحضارة ؟ وما هي أركانها ؟ ما هي سلبيات وأضرار الحضارة الغربية؟ وما الذي يجوز لنا- نحن المسلمين- أن نأخذه من تلك الحضارة، وما الذي يجب علينا أن نرفضه ؟ ما هي الفروق بين الحضارتين الإسلامية والغربية؟ وما هو فضل الحضارة الإسلامية على الغرب والعالم؟

٦-١-١- تعريف الحضارة:

يعرف الدكتور "إبراهيم زيد الكيلاني"الحضارة، ويوضح أركانها فيقول:

الحضارة نظام اجتماعي يجمع بين العناصر المعنوية كالأفكار والعادات والأعراف والقيم .. والمفاهيم ، والعناصر المادية كالحرف .. والصناعات .... وتتكون الحضارة من ركنين أساسيين:

الأول- الثقافة: وهي العقائد والقيم والأفكار والمفاهيم، والعبادات والأعراف والتراث، والأنظمة والشرائع، اللغة والتاريخ والأدب، والأذواق والأمزجة والمشاعر، التي تختص بها امة دون سائر الأمم.وتمتاز الثقافة بخصوصية الناحية المعنوية من جهة، وباقتصارها على امة معينة من جهة أخرى، وهذا الركن المهم من أركان الحضارة يحدد شخصية الأمة، ويبرز وجودها، وهو المسئول عن قوتها أو ضعفها، وبقائها أو اندثارها.

الثاني – المدنية: وهي الجانب المادي من الحضارة كالحرف .. والصناعات، والوسائل المادية والأساليب العلمية. وتمتاز المدنية بالتعميم، فهي ملك لجميع البشر، ... الثقافة تشكل روح الحضارة وعقلها وقلبها ووجدانها، بينما تشكل المدنية مادتها وجسمها.(١)

٦-١-٢- ما الذي يجوز أن يأخذه المسلمون من الحضارة الغربية؟

يطلق حزب التحرير الإسلامي اسم الحضارة على ركن الثقافة حسب تعريف "الكيلاني "، أما الركن المادي فيطلق عليه اسم "المدنية "، ويقول: " فالمدنية الغربية الناجمة عن العلم والصناعة لا يوجد ما يمنع من أخذها، وأما المدنية الغربية الناجمة عن الحضارة الغربية فلا يجوز أخذها بحال من الأحوال، لأنه لا يجوز أخذ الحضارة الغربية لتناقضها مع الحضارة الإسلامية في الأساس الذي تقوم عليه وهو العقيدة."(٢)

ويوضح "الكيلاني" موضوع ما يجوز أن نأخذه من الحضارة الغربية، وما لا يجوز أن نأخذه فيقول:

"فنبدأ بجانب العلوم النظرية والتطبيق..، فهذه الجوانب لا معرة من أخذها، بل الواجب يقتضي السبق إليها والتنافس في الحصول عليها ... أما... الأخلاق الغربية القائمة على المنفعة الشخصية والقيم النسبية، والأثرة والمتعة، فإننا نرفضها كذلك، لكونها تناقض أصولنا الأخلاقية التي هي من شُعَبِ إيماننا...

وباختصار يجب التفريق بين المنجزات المادية والعلمية النافعة للإنسان...، وهذه أمور يجب أخذها ... وبين المنجزات الثقافية والفكرية والدينية كالعقائد والعادات والأعراف والشرائع والفلسفة، فهذه أمور يجب الحذر منها والتيقظ عند دراستها ومعرفة ما يقبله الإسلام منها وما لا يقبله.(٣)

٦-١-٣- فضل الحضارة الإسلامية العربية على الغرب وعلى العالم.

من المعروف أنّ الحضارة الإسلامية العربية كان لها فضل كبير على الغرب والعالم بشكل عام. ويعترف بذلك الفضل المصادر العالمية الموضوعية التي سنستشهد ببعضها ، وخاصة الأمريكية والأوروبية.

ففي كتابه"مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط" يشهد الكاتب الأمريكي "لينز وسكي"(Lenzowski) بفضل الحضارة الإسلامية العربية على الغرب ويقول:

"الولايات المتحدة، وجميع الحضارة الغربية، مدينون بشكل كبير إلى الشرق الأوسط من ناحية ثقافية، فكرية، والتراث الروحي الموروث من المنطقة... وأثناء عصور أوروبا المظلمة حافظ العلماء المسلمون على منجزات اليونان القديمة في المراكز الثقافية من منطقة بين النهرين إلى إسبانيا، فيعاد اكتشافها من قبل العلماء الغربيين في عصر النهضة ."(٤)

وتصف موسوعة أمريكية فضل الحضارة الإسلامية على الغرب فتقول:

"كان للعلوم الإسلامية تأثير كبير على الغرب... ومنذ القرن الثامن الميلادي شجع الخلفاء العباسيون في بغداد حيازة الكتب اليونانية وترجمتها فترجمت مجموعة هائلة من علوم اليونان إلى العربية... وكانت النتيجة حركة كبرى شملت جمع المخطوطات (العربية) وترجمتها إلى اللاتينية وإضافة التعليقات عليها. وهكذا لم يستعد الغرب جميع أعمال أرسطو فحسب، بل أيضا أعمال اقليدس وبطليموس.(٥)

وفي كتابه "قصة الحضارة" يقول المؤرخ الغربي"ديورانت":

"وبلغت بلاد آسية الغربية تحت حكم المسلمين درجة من الرخاء الصناعي والتجاري لم تصل إليها بلاد أوروبا قبل القرن السادس عشر.لقد سُخّرت المدنية في المجتمع الإسلامي لخدمة البشرية ولم تُسخّر لإبادة الشعوب وإذلالها، فما قام به المسلمون كما تقول الفيلسوفة الألمانية زيغريد هونكة:"لهو عمل إنقاذي له مغزاه الكبير في تاريخ العالم".(٦) ويشهد العالم اليهودي"عمانويل دوبسن" أنّ المسلمين "حملوا بفضل القرآن قبس العرفان إلى أوروبا ، وبالحق فإنّ المسلمين علموا الشرقيين والغربيين الفلسفة والطب والفلك."(٧)

ويشهد الكاتب الفرنسي "جاكويس اللول"(Jacques Ellul) أنه : يمكن القول أن الإسلام اليوم هو أنشط ديانة في العالم.وأن الإسلام الآن يفتخر

بكونه مهد جميع الحضارات في الوقت الذي كانت فيه أوروبا غارقة في البربرية وكان الشرق الأقصى تمزقه الصراعات.(٨)

وشهد آل غور" نائب الرئيس الأمريكي في محاضرة له في مركز "زايد" في "أبو ظبي" بفضل الحضارة الإسلامية العربية على الغرب وقال : "نحن ندين بالكثير من الفضل لنفائس العلوم والرياضيات واكتشافات علم الفلك كما أنّ الغرب مدين للحضارة العربية وللفلسفة العظيمة وللعلوم ، ونحن لم نكن لنصبح ما نحن فيه الآن دونما ما قدمتموه لنا من علوم.(٩)

وفي كتابه"الحضارة الغربية" يشهد "بيرنز"(Burns) أنّ:

"الحضارة الإسلامية تفوقت على حضارة الغرب المسيحي حتى القرن الثاني عشر لدرجة انه لا يمكن إجراء المقارنة بينهما. وعندما تقدم الغرب، فقد كان جزئيا قادراً على ذلك بفضل ما تعلمه من الإسلام... وكان الغرب مدينا كثيراً للإسلام في المجالات الثقافية والعلمية والاقتصادية . وفي هذه المجالات أيضاً... حفظت الحضارة الإسلامية المعرفة العلمية اليونانية ووسعتها، عندما كانت هذه المعرفة تكاد تكون منسية في الغرب.(١٠)

وبشهد الكاتب الأمريكي "ادوارد باينغ" (Edward Bying) بفضل الحضارة الإسلامية العربية على أوروبا وأمريكا، ويعدد المجالات التي امتازت بها فيقول:

"كان العصر الذهبي للحضارة الإسلامية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين حيث عمّت (تخللت) تلك الحضارة أوروبا البربرية في العصور الوسطى وخصّبتها. وبعد عدة قرون تسللت إلى أوروبا مرة أخرى عن طريق البلقان... فقد حمل الجيش التركي(الإسلامي) المتقدم في أوروبا الحضارة العربية مع خيام معسكراته، كما حمل الجيش الروماني الحضارة الرومانية. ص(١٥٠)

... ثقافة وحضارة إسبانيا والبرتغال تكاد تكون جميعها من أصل عربي. وعن طريق الملاحين الاسبان انتقلت ملامح كثيرة من الحضارة الإسلامية إلى الأمريكيتين. فالحياة في أمريكا الوسطى والجنوبية، والى حد كبير أيضا في الولايات المتحدة، تأثرت بالثقافة والحضارة العربية(ص ٢٣٢)...

نحن الغربيين مدينون للعرب بالأرقام التي نستعملها اليوم... وحساب المثلثات هو في الأصل ابتكار عربي، وكذلك الهندسة التحليلية والجبر... ومن المعروف منذ عهد بعيد أن أعمال روجر بيكون (رائد الطريقة التجريبية في أوروبا) كادت تعتمد بشكل كامل على أعمال

العرب، ... و الطب والصيدلة هما فرعا العلم اللذان أثر العرب فيهما بشكل فاصل في أبحاثنا الحالية.(١١)

٦-١-٤- بعض الفروق بين الحضارتين الإسلامية والغربية :

أ-من ناحية مصدر كل منهما

- الحضارة (الثقافة) الإسلامية إلهية المصدر فهي "مستمدة من الشريعة الإسلامية، وهذه مصدرها الله سبحانه وتعالى... فالثقافة الإسلامية منزهة عن الهوى والمصلحة الفردية أو الفئوية، وموجهة فقط نحو المصلحة الحقيقية للأفراد والجماعات.(١٢)
- الثقافة الغربية من وضع الإنسان الغربي، فالثقافة الغربية الليبرالية "هي بنت الغرب المسيحي الكنسي، ووليدة ظروفه وتاريخه... لقد كانت ردة فعل لطغيان الكنيسة الغربية في العصور الوسطى، وتسلطها على الرقاب، وتجميدها للعلم، وإرهابها للفكر.(١٣)

ب-من ناحية علاقة الدين بالدولة

يطلق على عملية فصل الدين عن الدولة اسم"العلمانية" ومن المعروف أنّ "العلمانية لا علاقة لها بالأخلاق والقيم الروحية التي تقوم عليها المجتمعات الإنسانية، والعلم إذا لم تحدّه أخلاقيات ومُثُل ومعالم، فإنه سيغدو طريقاً إلى بربرية عابثة... وها نحن نرى – في عصرنا- كم ألحق التقدم العلمي من دمار ... في استعمال الأسلحة الذرية والكيماوية والجرثومية... العلمانية لا تهتم بالقيم الروحية والأخلاقية، وهي مجردة من العلاقات والاجتماعية، وهي بهذا تصادم فطرة الإنسان الذي خلقه الله متوازنا بين المادة والروح، والإسلام دين متوازن فلا طغيان فيه بين المادة والروح...(١٤)

- الإسلام يرفض العلمانية ويواجهها "بشموله لكل جوانب الحياة الإنسانية، مادية ومعنوية، فردية واجتماعية، والعلمانية ليس لها هذا الشمول، فلا مفر من الصدام بينهما، فالإسلام يوجه الحياة بأحكامه ووصاياه ويصبغها بصبغة الله(الشريعة الإلهية)... ومبدأ فصل الدين عن الحياة يتعارض كليا مع الثقافة الإسلامية التي تقضي بجعل الإسلام هو الموجه الأول للحياة البشرية، وتقضي بمزج المادة بالروح أي بجعل أعمال الإنسان مسيرة وموجهة ومحكومة بأوامر الله ونواهيه(أحكام الشريعة)."(١٥) فالدين في نظر الإسلام "نهج حياة وليس مجرد علاقة بين الإنسان وربه، وإنما هو حاكم لعبادات المرء وأخلاقه... وقيمه داخلة في نسيج الحياة كلها، من الأخلاق إلى السياسة

والاقتصاد والتنمية والحرب والسلام.(١٦) وهكذا "فالسمة الأساسية للشريعة الإسلامية"تكمن في أنها لا تفصل أبدا بين علاقة الإنسان بالطبيعة وبالناس الآخرين وبين علاقته بالله".(١٧)

- الحضارة الغربية تقوم على أساس مبدأ فصل الدين عن الدولة وهذا المبدأ"يقضي بأن يكون الدين محصورا في المعابد ، ولا علاقة له بشؤون الحياة، ويقضي بالتالي أن تكون شؤون الحياة، والعلاقات بين الناس محكومة بأنظمة وتشريعات يضعها البشر بأنفسهم."(١٨)

ج - من ناحية الموقف من المال والثروة

- يتألف الهيكل العام للاقتصاد الإسلامي من الأركان الرئيسية الثلاثة التالية: "(١)-مبدأ الملكية المزدوجة، ...الملكية الخاصة، والملكية العامة، وملكية الدولة. (٢)- مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود، بحدود من القيم المعنوية والخلقية التي يؤمن بها الإسلام.(٣)-مبدأ العدالة الاجتماعية الذي يقوم على :

أ- مبدأ التكافل العام، الذي يفرض فيه الإسلام على المسلمين،كفالة بعضهم بعضا، ويجعل من هذه الكفالة فريضة على المسلم،...

ب- مبدأ التوازن الاجتماعي، وذلك على طريق حق الجماعة في مصادر الثروة، حيث تكون الدولة مسئولة بصورة مباشرة عن ضمان معيشة المعوزين. (١٩)

وفي الإسلام، ملكية المال هي لله ، قال تعالى : **(وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ..)** (سورة النور: ٣٣)

ومع أنّ المال لله وحده، إلا أنّ الله سبحانه وتعالى استخلف بني الإنسان عليه، وأمدهم به، فجعل لهم حق ملكيته. قال تعالى:(**آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ..**)(سورة الحديد:٧) (٢٠)

ونظراً لأنّ الأفراد(وكلاء) للجماعة في امتلاك المال والتصرف فيه، فإنّ مسؤولية الجماعة عن المال تستمر، رغم تملك الأفراد له. ولهذا فرضت الشريعة الإسلامية على الجماعة أن تحمي المال من سفه المالك، وأن تحجز عليه إذا لم يكن أهلاً للتصرف، وأن توقفه عند حدّه إذا أوقع الضرر بغيره في أثناء تصرفه بماله، أو إذا جعل من ماله مادة للفساد والإفساد"(٢١)

ويولي الإسلام "اهتمامه الأكبر لضمان توزيع الثروة توزيعا عادلا، ويمنع اكتناز النقود، وتقاضي الفائدة، واستغلال واستثمار الأموال الأجنبية في البلاد. ولا يسمح الإسلام باستئثار أقلية من المجتمع بخيراته: قال تعالى:"(كي لا تكون دولة بين الأغنياء منكم) (الحشر:٧)" (٢٢)

- **المذهب الرأسمالي الغربي**

يركز المذهب الرأسمالي على ثلاثة أركان رئيسية هي: أولا: الأخذ بمبدأ الملكية الخاصة ثانيا: فسح المجال أمام كل فرد لاستغلال ملكيته ...، والسماح له بتنمية ثروته بمختلف الوسائل والأساليب. وثالثا: ضمان حرية الاستهلاك، كما تُضْمَن حرية الاستغلال.(٢٣) وتقوم الحضارة الغربية على "الحرية الفردية، والنسبية والمنفعة واللذة، وتعطي اهتماما للفرد، وإشباع رغباته، وتعظيم أرباحه. وفي أمريكا- قائدة الرأسمالية الغربية- فمن منطلق "نظرته للرأسمالية والحرية الاقتصادية وجعلها محور نشاط الإنسان، بنى الشعب الأمريكي نظرته للإنسان، فجعل قيمة الإنسان بقدر ما يملك، فهو يرى أن أهمية الإنسان ومركزه الاجتماعي إنما تكون بقدر ما يحقق من نجاح اقتصادي وبقدر ما يجمع من مال، لذلك كان التسابق لجمع أكبر كمية ممكنة من الدولارات لبناء المركز الاجتماعي ابرز مظاهر الحياة الأمريكية"(٢٤)

وعلى النقيض من النظام الرأسمالي، ففي الإسلام، المال ليس "أساساً لتقييم الناس والتفاضل بينهم، فلا يقيَّم الإنسان بما يملك، لأنّ هذا مقياس مادي، وإنما يقيّم الإنسان بتقواه واستقامته، ولهذا لا يجوز أن يستخدم المال وسيلة للتدخل في شؤون الدولة الإسلامية، أو أداة للضغط على مجريات الأمور فيها، أو طريقاً لاستعباد الناس وإذلالهم."(٢٥)

وينتقد الشيخ يوسف القرضاوي الليبرالية الديمقراطية: "بسبب تصورها الناقص للحياة والإنسان، وقيام نظامها الاجتماعي على أساس أنّ الفرد هو الأصل في الدولة، وهي إنما خلقت لمصلحته، وهو حر مطلق في تصرفاته ونشاطاته كلها... ومهمة الدولة مقصورة على تنسيق حريات الأفراد حتى لا تتصادم، أو حفظ الأمن وحماية الملكيات الخاصة... ومعنى هذا أن تصبح الدولة حارساً لأملاك الأغنياء، لا خادماً لمصالح الفقراء...(٢٦)

ويرى المفكر اليهودي الأمريكي" نوعم تشومسكي" أنّ "أكثر من ٨٠% من الجمهور يعتقد أنّ الحكومة (الأمريكية) تعمل لصالح القلة والمصالح الخاصة، وليس لمصلحة الشعب... أكثر من ٨٠% يعتقد أنّ النظام الاقتصادي غير عادل من أساسه... إن"مسؤولية الحكومة الأمريكية الأساسية هي حماية الأقلية الثرية من الأكثرية (الفقيرة) وقد كان ذلك هو المبدأ الموجه والمرشد للنظام الديمقراطي منذ نشأته حتى يومنا هذا"(٢٧)

ويرى المفكر الفرنسي "روجيه غارودي" أنه في عام ١٩٩٢ ازداد "عدم التساوي بين الناس،وان ٦% من الشعب (الفرنسي) يمتلكون خمسين في المئة من الثروة القومية، بينما يتقاسم الباقون النصف الآخر."(٢٨)

د - من ناحية حرية الاعتقاد والعبادة

- الإسلام لم يتدخل في حرية العبادة والمعتقدات للأقليات والأجانب الذين خضعوا لحكمه، ولم يكرههم على اعتناق ديانته، بعكس ما كان يحدث في ظل المسيحية. وقد أوضحنا ذلك في الفصلين الثالث والرابع. فبينما كانت في أوروبا"عمليات الحرق الهمجي للمنشقين عن العقيدة، ..وكان النبلاء والملوك يتسلطون على المجتمع بدون رقيب أو حسيب. فلم يكن في الحضارة الإسلامية محاكم تفتيش، ولا عمليات منتظمة "لصيد" المنشقين".(٢٩)

- **حرمت الحضارة المسيحية وأتباعها على فترات متقطعة، وفي أمكنة مختلفة مسيحيين ويهود من حرية الاعتقاد واضطهدتهم**

لقد أوضحنا هذه الحقيقة في الفصلين الثالث والرابع، وعلاوة على ذلك، تجدر الإشارة أنه منذ عهد"ثيودوسيوس" ظهرت في أوروبا محاكم التفتيش لأول مرة.ويصف "شلبي" الاضطهاد في ظل المسيحية فيقول :

" وكانت تلك المحاكم مركزاً "بشعا" للاضطهاد والتعذيب... وتاريخ محاكم التفتيش هو تاريخ الاضطهاد الديني في أقسى صوره، وقتل حرية التفكير بأبشع أداة... ، وتعرض للشنق والحرق والإعدام جماعات كثيرة لأنهم في نظر الكنيسة هراطقة(ملحدون) ... وكان الإعدام يسبق بصورة بشعة من التعذيب ... لعل المتهم يعترف بجريمته، فإن لم يعترف قتل، لأنه لم يكن يعتبر بريئا حتى تثبت إدانته، بل مجرما حتى تثبت براءته، وهيهات أن تثبت، وإذا اعترف المتهم بجريمته استمر تعذيبه قبل القضاء عليه لعله يكشف عن أنصاره وشركائه. (وهذا ما يحصل الآن في سجون أمريكا الديمقراطية في "غوانتانامو" و"أبو غريب" وفي سجون إسرائيل).

ولما ظهر البروتستانت اتجهت الكنيسة لهم بالاضطهاد العنيف وكثرت المذابح، ومن أهمها مذبحة باريس سنة ١٥٧٢ التي سطا فيها الكاثوليك على ضيوفهم من البروتستانت.هؤلاء الذين دعوا لعمل تسوية تقرّب بين وجهات النظر ، ثم قتلوا إخوانهم وهم نيام، فلما أصبحت باريس، كانت شوارعها تجري بدماء هؤلاء الضحايا.

والعجيب أنّ البروتستانت... مثلوا نفس القسوة مع الكاثوليك ولم يكونوا أقل وحشية... وهكذا دوّن تاريخ المسيحية بحار من الدماء،

وأكداس من رماد الذين أحرقوا ... فكانت نقمة وشراً، لو ضممنا إلى هذا ما فعلة المسيحيون بالمسلمين في الحروب الصليبية، وفي الأندلس...، وما فعله الاستعمار المسيحي بالمستعمرات، لتبين لنا أنّ المسيحية التي هي دين الرحمة كانت تستغل بابا من العذاب، وجحيما من التنكيل وحشدا من الغل والكراهية والحقد.(٣٠)

ويذكر مصدر آخر، بشأن حرق المعارضين للرأي في أوروبا:

"كانت بعض الطوائف... تعبر عن آمالها بالمسيح المنتظر في القارة الأوروبية، لكن الكنائس اللوثرية والكالفينية الرسمية كانت تضطهدها بعنف باعتبارها قوى مارقة، حتى أنّ مايكل سيرفتس(١٥٠٩-١٥٥٣) أحرق حياً لاتهامه بأنه"يهودي" معاد للثالوث. وفي عام ١٥٨٩ لقي فرانسيس كت المصير نفسه في انجلترا. ... وفي عام ١٥٥٦م أحرق "كرانمر"(Cranmer) في بلدة أكسفورد في بريطانيا.(٣١)

هـ - من ناحية الرحمة أو القسوة أثناء الحرب وإدارة البلاد المفتوحة

أوضحنا في الفصلين الثالث والرابع الفرق بين عهود وحروب اليهود والمسيحيين والمسلمين، واستكمالا للفائدة نضيف ما يلي:

- **الفاتحون المسلمون:**

أعطى الفاتحون المسلمون أهالي البلاد المفتوحة بديلاً للقتل والطرد والتهجير، وسمحوا لمن يعترف بالحكم الجديد، ويدفع ضرائب أقل مما كان يدفعها في الوضع السابق بالإقامة في وطنه، وعمله. كما حرمت الشريعة الإسلامية قتل النساء والأطفال والكهول وغير المحاربين،وحرمت كذلك هدم البيوت وقلع الأشجار.

- **المستعمرون الغربيون: فرنسا في الجزائر نموذجاً**

منذ الاحتلال الروماني لفلسطين حتى الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين والاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق، لم تتقيد جيوش الحضارتين اليهودية والمسيحية بقوانين الحرب، ولم تراع مبادئ الرحمة والإنسانية أثناء حروبها وإدارتها للمناطق التي احتلتها. وعندما أعلنت مبادئ الثورتين الأمريكية والفرنسية، فرح العالم بمبادئ الرحمة والتحرر وحقوق الإنسان، والسعادة التي سينعم بها العالم إذا طبقت تلك المبادئ. وقد مر ما يزيد على قرنين من الزمان، وإنسان العالم الثالث يضطهد، ويعذب، ويسفك دمه، وتنتهك حقوقه

وحرياته من قبل الغرب، الذي ظل يدعي بأنه وقع عليه عبء تحضير العالم، وإنقاذه من الظلم!!

ولنا عودة لهذا الموضوع عند مناقشة الغزو الصهيوني المسيحي والصهيوني اليهودي لفلسطين والعراق، ويكفي هنا أن نوثق بعض ما فعله أبناء الثورة الفرنسية، وممثلي الحضارة الغربية في الجزائر، وذلك باقتباس بعض ما جاء في رسائل ضباط الجيش الفرنسي الذي غزا الجزائر عام ١٨٣٠م إلى قيادتهم وأهليهم في فرنسا، كما أوردها المفكر الفرنسي روجيه غارودي، في كتابه"في سبيل حوار الحضارات":

"الاستعمار نهب. ولكنه بالدرجة الأولى قتل. فلنقتصر على قراءة رسائل مارشال المستقبل(سان أرنو) ..لقد اتسع النهب الذي بدأه أولا الجنود، وامتد بعدئذٍ إلى الضباط، ...(الاستيلاء على قسنطينة- تشرين الأول ١٨٣٧). "إنهم يخربون ويحرقون ويهدمون البيوت ، ويقطعون الأشجار".(حزيران ١٨٤٢).."لقد تركت بعد مروري حريقا هائلاً. فقد كانت القرى كلها، وهي قرابة المائتين، قد احترقت، ودبّ الفساد في بساتينها، وقطعت أشجار زيتونها". (أيار/ ١٨٥١) .. .وفي منطقة (مسكرة)، في السابع عشر من كانون الثاني/ ١٨٤٢."لاحقنا العدو وانتزعنا منه النساء والأولاد والماشية والقمح والشعير..." "تسألني في فقرة من رسالتك عما نفعل بالنساء اللواتي نأخذهن. إننا نحتفظ بقسم منهن رهائن، ونبادل قسما لقاء خيول والباقي يباع بالمزاد بيع حيوانات الذبح" (رسالة من مسكرة بتاريخ ٣١اذار/ ١٨٤٢).

وإليكم شهادة كونت (دي هاريسون) في كتابه بعنوان "صيد البشر" ص(١٣،٣٤٧، ٣٤٩). إنه يصف عمل إحدى الكتائب التي شارك فيها ويقول:"صحيح أننا كنا نعود بملء برميل صغير من الآذان المقطوعة مثنى مثنى من أجساد الأسرى أصدقاء كانوا أم أعداء... وكانت هناك ضروب من القسوة لم يسمع بها أحد من قبل، إعدامات أمر بها مَنْ أمر ببرودة، ونفذها الجلادون ببرودة بعيارات نارية أو بضربات سيف تنال أولئك المساكين الذين كان أعظم ذنب اقترفوه أحيانا أنهم أرشدونا إلى مستودعات فارغة".(٣٣)

وازنْ بين قطع آذان الأسرى مثنى مثنى، وبينَ موقف الرسول صلى الله عليه وسلم، والقادة المسلمين الذين منعوا القتل والتمثيل بالجثث وتعذيب الأسرى، وقتل غير المحاربين، ومنعوا السلب والنهب وقلع الأشجار. إنّ هذه الحقائق المأخوذة من سجلات الجيش الفرنسي ورسائل الضباط والجنود الفرنسيين في الجزائر لا يمكن تكذيبها، وفيها أبلغ وأصدق وصف لما فعله أبناء الثورة الفرنسية، والحضارة هذا علاوة على ما يرتكبه الغرب اليوم من جرائم

تقشعر لها الأبدان في العراق بشكل مباشر، وما ترتكبه إسرائيل من جرائم نيابة عن الغرب، وبأسلحة غربية في فلسطين، في ظل حفظ الشرعية الدولية في ثلاجة الموتى، وشلل الأنظمة الرسمية العربية والإسلامية التي ترافق الغرب كظله، ولا حول لها ولا طول.

٦-١-٥- بعض سلبيات الحضارة الغربية

١- التركيز على المنفعة على حساب القيم والمبادئ الإنسانية: يركز الاقتصاد الغربي والحضارة الغربية على "المنفعة" التي تعني القدرة على سد حاجة أو إشباع رغبة إنسانية(للإنسان)، سواء أكانت الرغبة المشبعة طيبة أم خبيثة، أخلاقية أم غير أخلاقية."(٣٤)

وهكذا ففي مفهوم الحضارة الغربية، تعتبر المخدرات والمشروبات الروحية والزنى ذات منفعة لأنها تشبع رغبة لبعض الناس، رغم أنها تعتبر في نظر الكثيرين رذائل ومدمرة للأسرة والمجتمع، وتتسبب في أمراض خطيرة ومتنوعة ومنها الإيدز.

٢- التركيز على الحرية والمنافسة وهو الأمر الذي نتج عنه الاحتكار واستغلال المستهلك، وتعطيل القوانين الطبيعية التي يؤمن بها أصحاب نظرية الحرية والمنافسة، وإيقاع الأضرار بالدول النامية التي لا تستطيع منافسة الدول المتقدمة.

٣- الحضارة الغربية لا تؤمن بالمساواة بين الأمم والشعوب، بل تقوم على فكرة"التعالي" على الآخرين، وفكرة"الشعب المختار" الذي كلفه الله – سبحانه وتعالى- بتحضير الأمم والشعوب حسب زعم الغربيين.

وفي الواقع فإنّ الحضارة الغربية قد قامت باستعمار بلدان كثيرة، وقتلت الكثيرين من أهلها، ودمرت مدنهم وقراهم، وجوانب كثيرة من حضارتهم المادية. ولم يكتف الغرب بحرمان الشعوب الأخرى من حقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بل حرم الأفراد من حرياتهم الشخصية وتدخل في ثقافتهم وظل يحاول فرض ثقافته التي تتناقض مع عقائدهم وثقافتهم، وحاول تشكيل ثقافتهم وهوياتهم حسب مشيئته، وبما يخدم مصالحه.

ومن هنا يظهر بان الغرب منافق في تطبيق مبادئه التي ينادي بها، ولم يعد يكتفي بالكيل بمكيالين، بل صار يكيل بآلاف المكاييل. وسنقدم أدلة قاطعة على ذلك عند مناقشة التناقض بين القيم الغربية والسياسة الغربية في الفصل القادم، بإذنه تعالى.

ويؤكد ما تقدم المفكر المسلم منير شفيق فيقول:"اجمع المفكرون الإسلاميون... في تقويم الحضارة الغربية، على أنها حضارة قامت على أساس العصبية القومية والتفكير المادي، وجعلت غايتها حشد القوة، وتحقيق السيطرة،

...، وإخضاع الشعوب الأخرى واستغلالها وتسخيرها والسيطرة عليها، وبمختلف الوسائل، وفي مقدمتها العنف والقهر والإبادة".(٣٥)

وينادي أتباع الحضارة الغربية بالمساواة ولكنهم يمارسون التمييز بشكل كبير، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- تعطي الحضارة الغربية الإنسان الغربي حرية كاملة في ارتداء الملابس، بما في ذلك حرية التعري، وتكوين نواد للعراة، ولكنها تمنع الطالبات المسلمات من ارتداء الحجاب، وتحرمهن من حريتهن في ارتداء الملابس.
- يركز أتباع الحضارة الغربية على الخطر الأصولي الإسلامي، بينما يتجاهلون الخطر الأصولي الأشد الخاص بالمسيحيين واليهود. ولنقرأ ما كتبه "جون اسبوزيتو" مدير مركز الحوار الإسلامي المسيحي بهذا الصدد:

> إنّ التركيز على الأصولية الإسلامية كخطر عالمي رسّخ الميل إلى ربط العنف بالإسلام. كما رسّخ الإخفاق في التمييز بين استخدام الأفراد غير المشروع للدين وإيمان وممارسة مسلمي العالم الذين، كالمؤمنين في الأديان الأخرى، يرغبون في العيش بسلام. إنّ ربط الإسلام والأصولية الإسلامية بالتطرف بصورة لا تعرف النقد النزيه يعني مجرد الحكم على الإسلام عن طريق أولئك الذين يثيرون الفوضى، وهذا المعيار لم يطلق على اليهودية والمسيحية، فالخوف من الأصولية يخلق جواً يُعَدّ فيه المسلمون والمنظمات الإسلامية مذنبين إلى أن تثبت براءتهم، والأعمال – بالغة من الشناعة ما بلغت- تُنسَب إلى الإسلام بدلا من نسبتها إلى تفسير مُحرّف أو مشوّه للإسلام.
>
> لهذا على سبيل المثال، بالرغم من تاريخ المسيحية والبلدان الغربية في شن الحروب وتطوير أسلحة الدمار الشامل وفرض مخططاتهم الإمبريالية، فإنه يتم تصوير الإسلام والثقافة الإسلامية على أنهما توسعيان بتكوينهما وبصورة غريبة إلى حدّ ما وميالان للحرب والجهاد.(٣٦)

ويذكر المفكر المسلم منير شفيق أنّ تنكر الغرب إلى الجوانب الروحية والدينية والأخلاقية السامية أدى إلى:
"تبديد الإنسان والبيئة وتعريض الوجود البشري إلى خطر الإبادة، فضلاً عما نتج عنه من علاقات ظالمة بين ... الإنسان القوي والإنسان الضعيف كذلك، وما أدى إليه من شعور الإنسان الغربي بالوحدة والخوف والقلق والاضطراب والخواء الداخلي وما ولّده من ظواهر اتسمت بتصاعد وتائر الجريمة والانحرافات والقسوة والفردية، أو من تفسّخ العلائق الأسرية والإنسانية.(٣٧)
ويصف "بريجنسكي" مستشار سابق للأمن القومي في أمريكا كيف تفككت الأسرة، ويتحدث عن:

"شيوع الإباحية الجنسية التي أصبحت الطابع العام للحياة في أمريكا" وبالتالي فهي تهدد مكانة وبنية الخلية الأساسية في المجتمع وهي الأسرة، وذلك بتفاقم مشكلة ... أجيال من الأطفال غير الشرعيين، مع ما يصاحب هذه الظاهرة من آثار خطيرة تتمثل في تفكك الأواصر الاجتماعية. كما أنّ شيوع الإباحية الجنسية من أهم أسباب تفشي مرض الإيدز الخطر. كما يشكو من "استشراء الفساد الأخلاقي على أوسع نطاق عن طريق وسائل الإعلام المرئية، إذ أنّ كل ما تقوم به هذه الوسائل باسم الترفيه هو نشر الفساد وبث مفاهيم الجنس والعنف كوسيلة لجذب المشاهدين.(علاوة على استفحال ظاهرة الجريمة... (بحيث أصبحت أمريكا تنفرد بأعلى نسبة جرائم القتل في العالم وتجارة المخدرات..."وفي بريطانيا يقول إحصاء رسمي " أنّ ٣٤% من المطلقين و٢٢% من المطلقات يعيشون مع شريك من دون زواج وتبلغ نسبة المولودين خارج الزواج ٢٨,٧ في المئة من المواليد في بريطانيا وفي ١٩٩٠ ولد مائتا الف طفل خارج الزواج في انجلترا وويلز. وفي ايطاليا تتعرض ربع مليون امرأة سنويا للاغتصاب أو الاعتداء الجنسي، علاوة على ثلاثة أرباع مليون حالة ابتزاز وتحرش جنسي."(٣٨)

٦-١-٦- لماذا يعادي الغرب العقيدة الإسلامية رغم أنه يتحكم في غالبية بلاد المسلمين وينهب خيراتهم؟

كان قسم كبير مما يعرف الآن بالشرق الأوسط تحت حكم الغرب اليوناني ثم الروماني، يستغل خيراته ويتحكم في مصيره. وقد حقد الغرب على المسلمين الذين حرروا تلك البلدان من نير الغرب. وقد زاد في حقد الغرب فتح المسلمين للأندلس وأقاليم أخرى من أوروبا الشرقية على أيدي الدولة العثمانية المسلمة. ومنذ فشل الاحتلال الصليبي في تثبيت أقدامه في المشرق، وحرمانه من خيراته التي كان ينهبها، ظل الغرب يحقد على الدولة الإسلامية التي حرمتها من تلك الخيرات. ولذلك دأب الغرب على مراقبة المشرق ومتابعة الصحوة الإسلامية التي يرى أنها تشكل خطراً على أهدافه في المنطقة. وعلى سبيل المثال : يستقرئ العالم الأمريكي "هنتنغتون" الصحوة الإسلامية التي بدأت في العالم الإسلامي الذي يضم بليون مسلم ، ويمتد من المغرب العربي إلى إندونيسيا ومن نيجيريا إلى كازاخستان، تلك الصحوة التي أخذت تتغلغل بين فئات الجامعيين الذين اجتاحوا اتحادات الطلبة والجامعات وفئات الأطباء والمحامين والمدرسين وموظفي الدولة، علاوة على جماهير المسلمين.(٣٩)

ومن الأدلة على عمق حقد الغرب على الإسلام ما ذكره"جون اسبوزيتو" مدير مركز الحوار الإسلامي المسيحي في واشنطن من أنّ

زعيم حركة الإصلاح المسيحي "مارتن لوثر"(١٤٨٣-١٥٤٦) نظر إلى الإسلام على أنه"حركة عنيفة تخدم أعداء المسيح لا يمكن جلبها للمسيحية لأنها مغلقة أمام المنطق، ولكن فقط يمكن مقاومتها بالسيف".(٤٠)

ويكشف"إيوجين روستو" مساعد وزير الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس الأمريكي جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧ عن عمق الحقد على الإسلام، والخلفية الحقيقية للجرائم الأمريكية في دول العالم الإسلامي فيقول:

"ويجب أن ندرك أنّ الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية لقد كان الصراع محتدما ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة. ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي".(٤١)

ويتجلى حقد بعض المفكرين الفرنسيين على المسلمين من التعليق الذي أدلى به أحد أهم المفكرين الجدد في الأدب الفرنسي – الروائي "ويلبيك" الذي قال:" إن أكثر الأديان غباءً هو الإسلام ... وفي كل مرة كنت أتلقى فيها خبر مقتل "إرهابي" فلسطيني ، أو طفل فلسطيني، أو امرأة حامل فلسطينية بالرصاص في غزة، كان يعتريني شعور بالغبطة الكبيرة" (٤٢)

هذه هي الحضارة الغربية التي يفاخر بها الغرب الذي يدعي بأنه الحريص على حقوق الإنسان، وخاصة الأطفال والنساء، فيشعر بالغبطة عندما تقتل الحامل وطفلها في رحمها بالرصاص!. ومن أسباب العداء أن" الغرب يريد أن يستعبدنا والمسلم يرفض الظلم والعبودية، فعبارة "لا إله إلا الله" شأنها أن تستأصل من الضمير المسلم، ومن ثم المجتمع المسلم، كل عبودية أو خضوع لغير الله سبحانه".(٤٣)

وقد تمكن الغرب من القضاء على الدولة الإسلامية وتجزئتها إلى كيانات ودويلات تدور في فلكه بشكل أو بآخر، ولكنه لم يستطع انتزاع العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين. وهو يخشى تلك العقيدة مما تحمله في قلوب المسلمين من فكر وحضارة أن تدفع المسلمين إلى الثورة على الغرب الغاصب. لذلك يرى المفكر المسلم منير شفيق أنّ الغرب لم يكتف بتحطيم المقاومة الداخلية، بل يهدف إلى:

" تحطيم المكونات العقيدية والفكرية والحضارية والأنماط الإنتاجية لتلك البلاد وإحلال مكونات أخرى موازية تشكل أساسا للتبعية الدائمة المقيمة. وكان هذا يعني تحطيم الأسس الإسلامية في عقيدة الشعب وحضارته وأنماط المعيشة ونهج حياته. ثم ترويضه بما يجعله يرى في احد نماذج الغرب قدوته فيمضي لاهثا وراءه أبداً... وكان هذا

يتطلب خصوصا في بلاد العرب والمسلمين أن يركز بالإضافة إلى سيطرته العسكرية والسياسية والاقتصادية على جانب الغزو الثقافي الحضاري من جهة وعلى جانب التجزيء الذي يولد العجز الدائم من جهة ثانية، وعلى زرع الكيان الصهيوني في فلسطين من جهة ثالثة، وبهذا تصبح عملية تحقيق الاستقلال الحقيقي التام غير ممكنة حين لا يلحظ المناضلون هذه الجوانب، فيحصرون المعركة في الميادين العسكرية- السياسية- الاقتصادية. لأنهم يكونون قد تركوا في داخلهم عوامل فسادهم وابقوا خلفهم، ومن حولهم، ثغرات للالتفاف عليهم وتطويقهم، مما يجعل من المشروع القول أنّ الموضوعات التي تحصر الاستعمار بجزء من سماته وتطمس الجوانب المتعلقة بالحضارة والثقافة والتجزئة والكيان الصهيوني هي من مصدرات الغرب إلى عقولنا."(٤٤)

٦-٢- فرضية صراع الحضارات

نظراً لخطورة فرضية "هنتنغتون"(Huntington) التي نشرها في كتاب عام ١٩٩٦، بعنوان"صراع الحضارات.إعادة صنع النظام العالمي الجديد" ، ودورها في التنظير لفرض سيطرة أمريكا على البلدان الإسلامية والمشرق، فإننا سنقوم بتوضيح هدف الغرب الحقيقي منها، وتوضيحها عن طريق تلخيص أهم ما جاء فيها بخصوص المسلمين، والاستشهاد باقتباسات منها ومناقشتها، وسنورد الأدلة التي تفندها، وذلك بالاستعانة بكتابات المختصين الغربيين والمسلمين والعرب.

ومما يجدر ذكره أنّ "هنتنغتون" لم يكن أول من صاغ فرضية صراع الحضارات، بل كان المستشرق اليهودي البريطاني "برنارد لويس" المعروف بعدائه للعرب والإسلام أول من استعمل ذلك المفهوم.(٤٥)

٦-٢-١- هدف الغرب الحقيقي من فرضيات صراع الحضارات ونهاية التاريخ

لجأ الغرب في القرن التاسع عشر إلى حجة "عبء الرجل الأبيض في تحضير الشعوب الأخرى " من أجل استعمارها. وبعد أن انكشفت تلك الحيلة في القرن العشرين لجأ الغرب إلى حجة "نهاية التاريخ وصراع الحضارات" لتحقيق أهدافه في استعمار البلدان الأخرى. وهكذا ادعى الباحث الأمريكي الجنسية الياباني الأصل "فرنسيس يوكوهاما" بأنّ انهيار الاتحاد السوفييتي أدى إلى "انفراد الرأسمالية الغربية بالعالم ...(حيث) حاليا نشهد نهاية التاريخ بما هو نقطة النهاية للتطور الأيديولوجي للبشرية وتعميم

الليبرالية الديمقراطية الغربية على مستوى العالم كشكل نهائي للحكومة الإنسانية." (٤٦)

وهكذا يحاول العلماء الغربيون فرض الهيمنة الغربية والحضارة الغربية على العالم أجمع بحجة أن الغرب وصل إلى قمة التطور أو "نهاية التاريخ" وهو اصطلاح ورد في الكتاب المقدس، وسنقوم بتوضيحه في فصل قادم بإذنه تعالى.

٦-٢-٢- هناك حضارة إنسانية واحدة وليس صراع حضارات

هناك اعتراضات على مقولات" صراع الحضارات" ، و"حوار الحضارات" لما لذلك من سلبيات. ويعتقد الكثيرون أنه لا توجد حضارة منقطعة عن غيرها من الحضارات بشكل كامل، بل هناك حضارة إنسانية واحدة. وهذا ما يؤكده الصحفي العربي "محمد حسنين هيكل" ويقول:

> ليس هناك ما يمكن أن نسميه صراع حضارات أو حوار حضارات، والسبب أنّ هناك حضارة إنسانية واحدة صبت فيها شعوب وأمم وأقاليم الدنيا، على طول التاريخ أفضل ما توصلت إليه من رقي وتقدم ... والمعنى أن المجتمعات الإنسانية .. أنتجت ثقافة حوت مجمل خبراتها ومعارفها وفنونها، ثم إنّ ما كان صالحاً، مقبولاً، ونافعاً من هذه الثقافة انتقل إلى غيرها ..فنحن أمام حضارة إنسانية واحدة شاركت في صنعها .. ثقافات متعددة المنابع والموارد... وبالتالي فإنها من العمق إلى السطح شراكة إنسانية حقيقية وكاملة....
>
> وإذا أردنا دليلاً على شراكة الحضارة في مجال آخر لا يحتمل الظنون كثيراً، فأمامنا مجال العلم، فالعِلم سياق واحد ملأته ينابيع ... متعددة خطوة موصولة بخطوة موصولة ، دون عَلم وطني يرتفع أو جواز سفر يسمح أو يحجز، بمعنى أنه ليست هناك فيزياء ... أو رياضيات أوروبية صرف ... أو عربية إسلامية صرف، وإنما هنالك عِلم واحد صب فيه الجميع من كل نبع ومن كل نهر ...
>
> وإذا عدت الآن إلى مقولة صراع الحضارات أو حوارها فربما تكون النقطة الجوهرية أنه يتحتم التفرقة باستمرار بين شراكة الحضارة وبين صراعات القوة، فالقوة ميدان..ضرب نار، والحضارة شراكة ومحيط أنوار. وهنا فإنّ حقائق الحضارة تمنع الاستيلاء عليها لأي طرف، كما ترفض التنازل عنها تحت أي وصف.
>
> <u>.. حين قلنا بصراع الحضارات فقد اعترفنا بالعزلة. وحين دعونا للحوار فقد ذهبنا لما يشبه طلب إذن باللجوء من متظلم إلى متحكم، ولم</u>

ندرك أن الحقوق ملكية أصحابها إذا استطاعوا إثبات جدارتهم بها، وليس تواضع الآخرين للسماح لهم ببعضها. (٤٧)

ولكن الغرب لا يريد المشاركة، إنما يريد الاستيلاء على جميع الحضارات وفرض هيمنته وحضارته على العالم، كما يريدنا أن نتنازل عن حقنا في حضارتنا العربية الإسلامية. وقد شوه الحوار واختزله إلى وضع أصبحنا فيه نستجدي من الغرب أن يتصدق علينا بشيء مما هو حق مشروع لنا.

٦-٢-٣- فرضية "هنتغتون " الخاصة بصراع الحضارات

من المعروف أنّ "صموئيل هنتنغتون" يهودي أمريكي وأستاذ في جامعة هارفارد، وأحد المختصين في الدراسات الاستراتيجية المقربين من صناع القرار في أمريكا. وفي مراجعة وعرض كتابه باللغة الإنجليزية على الانترنت عام ١٩٩٦، يوضح "هنتنغتون" الفكرة الرئيسية للكتاب، فيقول:

"إنّ توازن القوى بين الحضارات يتغير: والغرب يضمحل نسبيا في تأثيره، والحضارات الآسيوية تزيد من قوتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية. وبشكل عام فالحضارات غير الغربية تعيد تأكيد قيمة حضاراتها...وفي هذا العالم الجديد... حلّ صراع الحضارات محل تنافس القوى العظمى... وسوف تحاول المجتمعات الكنفوشيوسية والإسلامية زيادة قواها الاقتصادية والعسكرية لمقاومة الغرب وللوصول إلى التوازن معه. وهكذا، يكون المحور المركزي لسياسات العالم بعد الحرب الباردة يتمثل في تفاعل القوة والثقافة الغربية مع قوة وثقافة الحضارات غير الغربية.

ويوضح العلامة المسلم "يوسف القرضاوي" "فرضية هنتغتون" حول صراع الحضارات فيقول:

"تقوم فكرة هنتنغتون" على أنّ التاريخ لم ينته، ولم ينته الصراع فيه، ولم تغلق ملفاته، بسقوط الاتحاد السوفييتي، بل لا يزال الصراع كامنا، وأسبابه قائمة، ولكن أسباب الصراع ليست الأيدولوجيات المختلفة، ولا بسبب المصالح الاقتصادية. ولكن الصراع الذي يخبئه المستقبل سيكون سببه اختلاف الحضارات أو الثقافات، وتناقضها. ومحاولة أن تثبت وجودها، وتفرض رؤيتها للإنسان وللكون والدين والحياة والتاريخ.... الحضارات التي يمكن أن يقوم بينها النزاع والصراع، في المستقبل، هي: الحضارات الغربية، والكونفشيوسية، واليابانية، والإسلامية، ...ولقد ذكر مؤلف (صدام الحضارات) في كتابه أنّ سائر الحضارات... يسهل التفاهم والتقارب معها لأسباب شرحها، إلا

حضارتين اثنتين، هما الحضارة الإسلامية والحضارة الكونفوشيوسية(الصينية). فهما حضارتان ناشزتان، فإذا تفاهمتا أو تقاربتا أو اتفقتا – وهو أمر محتمل بل مرجّح- كوّنا خطراً على الغرب، ليس بالهيّن.(٤٨)

ومع أنّ "فرضية" "هنتنغتون" عدوانية، وتجافي الحقيقة، وتبيّت الشر للإسلام والمسلمين، إلا أنّ القرضاوي يرى أنّ فيها بعض الايجابيات، ويقول:

"ومما يحمد لـ"هنتغتون" أنّه اعترف أنّ في العالم حضارات مختلفة يتميّز بعضها عن بعض، وهذا أمر مهم، ويردّ على الذين يزعمون انّه لا توجد اليوم إلا حضارة واحدة، أو ثقافة واحدة، هي الحضارة الغربية... ومما يحمد لهانتنغتون أيضا: أنّه اعترف ب"الحضارة الإسلامية" كواحدة من أبرز الحضارات القائمة والمؤثرة في العالم. وهي حقيقة لا ريب فيها، وهي تردّ على أولئك المفتونين المطموسين من بني جلدتنا، الذين يريدون لنا أن نقطع جذورنا، ونهدم أساس بنياننا، وأن ندع حضارتنا مختارين، لنأخذ حضارة غيرنا ولا سيما الحضارة الغالبة والمنتصرة: حضارة الغرب، نأخذ منها الفلسفة والمفاهيم، ونأخذ منها القيم والمعايير، ونأخذ منها الآداب والتقاليد، ونأخذ منها الأنظمة والقوانين. فماذا بقي لنا من حضارتنا؟(٤٩)

وقبل توضيح سلبيات فرضية هنتنغتون وأضرارها، يجدر بنا أن ننوه إلى أمرين:

١- أبدى هنتنغتون نفسه نوعاً من التراجع عن فرضيته في حديث أدلى به يوم ٢٠٠٤/٤/٢٦ إلى مجلة "لوبون" الفرنسية حذّر فيه من أنّ الغرب لن يستطيع السيطرة على العالم وأنّ عليه أن يركز على علاقات طيبة مع النخبة المؤثرة في العالم العربي والعالم الإسلامي.(٥٠)

٢- من الضرورة الإشارة إلى ما ورد في كتاب"صراع الحضارات" من نقاط موضوعية، أو تقترب كثيراً من الموضوعية، والتي نورد بعضها:

أ- وصف هنتنغتون العوامل التي زادت من الصراع بين الإسلام والغرب في أواخر القرن العشرين، والتي كان منها:

"أعطت الصحوة الإسلامية ثقة متجددة للمسلمين في طبيعة وقدرة حضارتهم وقيمهم المتميزة مقارنة بتلك التي لدى الغرب... جهود الغرب المستمرة لتعميم قيمه ومؤسساته من أجل الحفاظ على تفوقه العسكري والاقتصادي، والتدخل في الصراعات في العالم الإسلامي تولد استياءً شديداً بين المسلمين... سقوط الشيوعية... الاحتكاك والامتزاج المتزايد بين المسلمين والغربيين يثير في كل من الجانبين

إحساساً بهويته الخاصة وكيف أنها مختلفة عن هوية الآخر... وهكذا فإنّ أسباب الصراع المتجدد بين الإسلام والغرب توجد في الأسئلة الأساسية للقوة والثقافة. "مَن الفاعل ومَن المفعول به ؟" مَن الذي يجب أن يحكم، ومَن الذي يجب أن يكون محكوماً؟".(٥١)

نعم إنّ السبب الحقيقي للصراع هو صحوة المسلمين، ورفضهم التسلط الغربي، والهيمنة الغربية عليهم وعلى حضارتهم، وأمتهم، وهويتها الإسلامية. نعم إنهم يرفضون أنْ يظل الغرب "فاعلاً" وأن يظل المسلمون "مفعولاً به"، وهذا من حقهم.

ب-ذكر هنتنغتون في صفحة (٢٥٢) من كتابه:

"إذا كانت المجتمعات غير الغربية تريد التحديث فيجب أن يكون ذلك على طريقتها وليس على الطريقة الأوروبية، وان تحاكى اليابان وتبنى على ما لديها من تقاليد ومؤسسات وقيم وتستخدمها. القادة السياسيون الذين تسيطر عليهم فكرة متغطرسة بأنّ بإمكانهم إعادة تشكيل مجتمعاتهم من الأساس لا بد ان يفشلوا... وعلى العكس من ذلك، فان الفيروس الغربي بمجرد ان يسكن مجتمعا آخر، يصبح من الصعب استئصاله. الفيروس يبقى، ولكنه غير قاتل، يظل المريض على قيد الحياة، ولكنه يبقى مريضاً.

وما أجدرنا ان نعمل بنصيحة "هنتنغتون" وأن يكون التحديث على طريقتنا الإسلامية، وليس على طريقة الغرب، كما يجدر بنا أن نحذر من الفيروس الغربي الذي يقتلنا.

٦-٢-٤- فرضية هنتنغتون" تقوم على مغالطات بعيدة عن الموضوعية

ومن الأمثلة على تناقض هنتنتغتون في طروحاته أنه ورد في كتاباته: "يمثل التنوع أو الاختلاف الحضاري تحدياً للاعتقاد الغربي والأمريكي بخاصة في عالمية الثقافة الغربية...معياريا، فإنّ المعتقدات الغربية العالمية تفترض أنّ شعوب العالم بأسره لا بدّ لها أن تعتنق القيم والمؤسسات والثقافة الغربية، لأنها تجسّد أرقى فكر ولأنها أكثرها استنارة وليبرالية وعقلانية وحداثة وتحضراً.

في عالم الصدام الحضاري والإثني الناشئ، يعاني اعتقاد الغرب في عالمية ثقافته من ثلاث مشكلات: فهو اعتقاد زائف، ولا أخلاقي، وخطر. أما كونه زائفاً فتلك هي الفرضية المركزية لهذا الكتاب...الاعتقاد بأنّ الشعوب غير الغربية لا بدّ لها من أن تتبنى القيم والمؤسسات والثقافة الغربية، اعتقاد لا أخلاقي بسبب ما يجب عمله

لكي يتحقق ذلك... والهيمنة الأمريكية تنحسر.. الثقافة، كما ناقشنا، تتبع القوة. وإذا كانت المجتمعات غير الغربية سوف تتشكل مرة أخرى بواسطة الثقافة الغربية، فإنّ ذلك سيكون نتيجة لتوسع وانتشار وتأثير القوة الغربية. الاستعمار هو النتيجة المنطقية الضرورية للعالمية. وكلما مضت الحضارتان الآسيوية والإسلامية أكثر وأكثر في توكيد الصلة العالمية بحضارتيهما، فإنّ الغربيين سيتقبلون الصلة بين العالمية والاستعمار أكثر وأكثر.

عالمية الغرب خطر على العالم لأنها قد تؤدي إلى حرب بين دول المركز في حضارات مختلفة، وهي خطر على الغرب لأنها قد تؤدي إلى هزيمته.(٥٢)

نلاحظ مما تقدم أنّ هنتنغتون " أسقط آخر أوراق التين التي تستر عورة فرضيته وعورة الحضارة الغربية. فإذا كان الغرب يؤمن حقاً بالتعددية فلماذا يمثل التنوع الحضاري تحدياً لعالمية الثقافة الغربية؟ وإذا كان ديمقراطياً حقا، فلماذا يفترض بأنّ على العالم أن يعتنق قيمه ومؤسساته الثقافية؟

وهل صحيح أنّ قيم الغرب دائما أكثر ليبرالية وتعقلاً وتحضراً ؟ وهل تصرّف أمريكا مع الشعب العراقي بأطفاله وشيوخه ونسائه ليبرالي ومتعقل؟ وهل هدْم حضارة العراق، ومساجده، وكنائسه، وتعذيب شعبه أمر إنساني وحضاري؟ وهل الثقافة تُفرض بالقوة على الآخرين؟ وهل الليبرالية والتحرر تعني عودة الاستعمار القديم بأبشع صوره وأشدها فتكاً ودماراً ؟

ألا يحق للحضارتين الإسلامية والكونفوشيوسية تأكيد هويتيهما ، وصلاتها بالعالمية ؟ وهل العالم مزرعة أبقار للغرب يتصرف بها كما يشاء؟ وكيف يمكن للثقافات الأخرى أن تتبنى ثقافة الغرب وهنتنغتون نفسه يعترف أنّ الاعتقاد بعالمية الثقافة الغربية هو "أمر زائف، ولا أخلاقي، وخطر"؟ إنّ الواقع والتاريخ يشهدان بأنّ الغرب مذنب بحق شعوب وحضارات عديدة، لقد استشهد هنتنغتون بما قاله باحث هندي في مؤتمر عقد عام ١٩٩٦م في جامعة "هارفارد" الأمريكية بأن الهنود يعتقدون أنّ ذنوب الغرب تتمثل في:"القوة، والعجرفة، والجشع". نعم إنّ الواقع يشهد بأنّ قوة الغرب أعمت بصيرته، وعجرفته طمست على عقله، وجشعه أبعده عن كل رحمة أو إنسانية.

ولنأخذ عينة أخرى من فرضيات هنتنغتون لنتأكد من مدى تناقضه وبعده عن الموضوعية. يقول هنتنغتون:

" الغرب يختلف عن الحضارات الأخرى، ليس في طريقة تطوره وإنما في الطبيعة المميزة لقيمه ومؤسساته، وهذه تضم على نحو خاص مسيحيته وتعدديته وفردانيته وحكم القانون، وهي الأمور التي مكّنت الغرب من اختراع(ولوج) الحداثة والتوسع في أرجاء العالم ومن أن يصبح محل حسد المجتمعات الأخرى. كما أنّ الحضارة

الغربية ذات قيمة لا لأنها عالمية وإنما لأنها فريدة، وبالتالي فإنّ المسؤولية الرئيسية على قادة الغرب... في الحفاظ على الصفات الفريدة للثقافة الغربية وتجديدها، ولانّ الولايات المتحدة هي أقوى دولة غربية، فإنّ هذه المسؤولية بكاملها تقع على عاتقها.

... ثم الأهم من ذلك كله أن نعترف بأنّ التدخل الغربي في شؤون الحضارات الأخرى يمكن أن يكون المصدر الوحيد والأشد خطرا بالنسبة لعدم الاستقرار والصراع الكوني المحتمل في عالم متعدد الحضارات."(٥٣)

لا اعتراض لنا على مسيحية الثقافة الغربية، ولكن نكرر القول إذا كان الغرب يؤمن بالتعددية فلماذا يعادي الثقافات الأخرى ويشن الحروب على إتباعها؟ وبماذا تتفرد الثقافة الغربية غير الجنس والإيدز والقتل والإدمان والإجهاض والمواليد خارج نطاق الزوجية والنفعية والتوسع والقتل المخالف لكل الأعراف والقيم الإنسانية؟.

ومن المعروف أنّ الغرب هو الذي يعتدي على الشعوب الأخرى ويدمر حضاراتها ويفسد ثقافاتها، فلماذا يحشد القوة للاعتداء على الشعوب الأخرى وثقافاتها، طالما أنه يعرف أنّ ذلك التدخل هو أكبر عامل في عدم الاستقرار في العالم؟!

٦-٢-٥- رفض وتفنيد فرضية صراع الحضارات

من الواضح أنّ نظرية صراع الحضارات، كما تخيّلها هنتنغتون غير واقعية، وضارة، ورفضها وفنّدها غربيون، ومسلمون وعرب ومسيحيون. وسنقدم الأدلة على ذلك.

انتقد الكاتب الأمريكي"وليام فاف" أطروحة "صراع الحضارات"وقال:

"قمت بانتقادها على اعتبار أنها تمثل أطروحة في غاية الخطورة كان انتقادي لأطروحة هنتنغتون ينصبّ على أنّ الحضارات ليست لاعبين سياسيين غير خاضعين لحكومات... لقد اعتقدت في الماضي أنّ هنتنغتون ليس فقط مخطئا، ولكنه أيضا متنبي سيء. فهو لم يقل لنا مَن الذي سيقوم بشن حرب حضارات؟ **إنّ واشنطن لا تزال تعتقد أنها تقوم بتحرير العالم الإسلامي من تأثير ثقافته. ولا تدرك أنها عندما تفعل ذلك، فإنها تقوم في الحقيقة بشن حرب على حضارة أخرى(٥٤)**

ويفند المفكر اليساري اليهودي الأمريكي "تشومسكي"مقولة "صراع الحضارات" اعتماداً على واقع العالم حالياً فيقول:

أين هو الصدام...؟ إنّ أكبر دولة إسلامية وهي إندونيسيا، من حيث عدد السكان، مدللـــة لدى واشنطن منذ عام ١٩٦٥ عندما قاد سوهارتو جرائم ضد الإنسانية، فكيف يكون هناك صدام؟ كما أن أمريكا هي التي شجعت شبكات دينية محددة على محاربة الاتحاد السوفييتي .. في أفغانستان. والمفارقة أنّ واشنطن دعمت صدام حسين في الثمانينات، وهو علماني، وقادت حرباً ضد الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا اللاتينية، لأنها اختارت شعار الأفضل للفقراء، فخلفت وراءها أربعة بلدان مدمرة، ومئتي ألف جثة، وملايين الأيتام. فهل يصبح صدام الحضارات له معنى.(٥٥)

ورفض وزير الخارجية الفرنسي"فيليب دوست بلازي" خلال زيارته للقاهرة مقولة"صدام الحضارات" وقال :"إننا بقبولها نلعب لعبة الإرهابيين الذين يحاولون تحريض الإنسان على أخيه الإنسان، وثقافة ضد أخرى، ودين على دين آخر. " (٥٦)

أما "د.برتران" أستاذ العلوم السياسية بمعهد الدراسات السياسية في باريس، فقد أعرب:"عن عدم اعتقاده نهائيا بأطروحة صراع الحضارات، فالصراعات التي تجري في العالم لا علاقة لها بالصراع الحضاري، إنما ما يحصل أنّ هناك استخدام للثقافة والدين من أجل الهيمنة والمنافسة السياسية، ومن المهم إيضاح أنه لا يوجد تناقض بين الحضارات." (٥٧)

ويقول "فيلكس مارتي"(Filix Marti) مدير مركز اليونسكو في برشلونة – اسبانيا على موقع للانترنت: "يعزى جزء كبير من المصادمات بين الثقافات اليوم إلى الإذلال الثقافي . والمجتمعات الإنسانية تمر بيقظة سياسية، وتطمع إلى نظام سياسي يقوم على الاعتراف بحق جميع الثقافات والمجتمعات، فلماذا لا نزال نفكر في سبع أو ثماني مجموعات تدافع عن مصالح جزئية؟ لقد حكم علينا أن نعاني من الطبيعة الانطوائية، الأنانية لحضاراتنا المختلفة."

ويقول "جاكوب هيلبون"(Jacob Helbun) على موقع انترنت:"فكرة صدام الحضارات "غير مقنعة بالمرة،... إنّ هنتنغتون ينهار تحت ثقل فرضياته ... إنّ طيش الغرب قد أعماه عن الطبيعة الحقيقية للسياسية الدولية".

وفي مراجعة المدير التنفيذي لمعهد أبحاث السياسة الخارجية في واشنطن "باسيفتش"(Bacevich) على الانترنت لكتاب هنتنغتون يقول: "إنّ تطفل الغرب(وتدخله) في شؤون الآخرين هو الذي يجعل عصر الحضارات خطراً لدرجة كبيرة، فما يعتبره الغرب عالمياً، تعتبره بقية الأمم استعماراً...إنّ كتاب "صدام الحضارات "يمكن أن يخدم- بشكل غير مقصود- عدم التسامح والعنصرية والتطرف والخوف من كل ما هو غريب."

ويعارض "جون اسبوزيتو"(John Esposito) مدير مركز التفاهم الإسلامي المسيحي في جامعة جورجتاون " نظرية صراع الحضارات التي أطلقها صموئيل هانتنغتون، ويعتبر:

أنّ الصراع ليس بين الغرب والإسلام بل داخل المجتمعات ... أنّ الأصولية أو بالأحرى التطرف ليست حكراً على الإسلاميين، بل هناك أيضاً أصولية عند العلمانيين الذين يريدون عرض العلمانية كنهج وحيد مسموح وهم لا يعترفون بحق الناس في اختيار نظرتهم الدينية أو السياسية للعالم.(٥٨)

واعترف الكاتب البريطاني "باتريك سيل" بوجود صراع، إلا أنّه رأى أن هذا الصراع صراع بين المصالح وليس صراعاً بين الحضارات، وقال:

"والصراع القائم حاليا صراع بين المصالح السياسية ولا دخل له بالحضارة مفندا في ذلك رأي المفكر الغربي هنتغتون صاحب نظرية صراع الحضارات. وقال" سيل" إنّ الحضارة الإسلامية ظلت في حالة من التفاعل المتواصل مع الحضارات الأخرى على مدار أربعة عشر قرناً من الزمان حيث أثرت وتأثرت بتلك الحضارات".(٥٩)

ويرفض الدكتور "جعفر شيخ الإسلام" مقولة صراع الحضارات ويوضح سبب عداء الغرب للإسلام، ويشير إلى بعض الإجراءات التي اتخذها الغرب لعدم نهوض حضارة إسلامية قوية فيقول:

"إنه ليس هناك في واقع الأمر صراع بين حضارة غربية وأخرى إسلامية، لأنه لا توجد اليوم حضارة إسلامية بالمعنى الذي توجد به حضارة غربية. أو بالمعنى الذي كانت توجد به حضارة إسلامية. فما مشكلتنا مع الحضارة الغربية إذن؟ مشكلتنا أنّ الحضارة الغربية ليست راضية حتى بهذا القليل الذي تبقى لنا من الحضارة الإسلامية، بل تريد لنا ولغيرنا أن لا نكون عقبة في طريق مصالحها القيمية أو المادية، بل أن نكون تابعين في كل ذلك لها. ومع انه لا توجد اليوم حضارة إسلامية، إلا أنّ الحضارة الغربية ذات حساسية بالغة من أية بادرة بعث لتلك الحضارة لسبب تاريخي. إنّ قادة الفكر الغربي لا ينسون، كما أنّ كثيرين منا لا ينسون، أنّ الحضارة الإسلامية كانت كما قلنا هي الحضارة العالمية حتى القرن السابع عشر الميلادي. فقادة الحضارة الغربية يخشون على حضارتهم من كل بادرة إحياء لتلك الحضارة التي كانت سائدة. ومما يزيد من خوفهم قول المختصين منهم في التاريخ الإسلامي، إنّ للإسلام مقدرة عجيبة على العودة كلما هزم. ما الإجراءات التي يجب أن تتخذ لضمان عدم عودته؟ اختلفت الإجراءات في تفاصيلها بحسب الظروف العالمية، وبحسب التكتيكات

الوقتية، لكن أمرين استراتيجيين اثنين لم يتغيرا، هما ضمان عدم رجوع الأمة إلى فهم صحيح للقرآن الكريم، وضمان استمرارها ضعيفة محتاجة إلى الغرب، أي ضمان عدم توفر الشرطين اللازمين لتمكين الأمة وبالتالي لحضارتها، وهما الكتاب الهادي والسيف الناصر(٦٠)

ويرد الكاتب المصري، سليمان عبد المنعم، الأستاذ في جامعة بيروت العربية على مقولة صراع الحضارات بقوله:

"والواقع أنّ مثل هذا التصور يبدو من الناحية الشكلية مصابا بحَوَل في النظر لأنه لا يرى في الحضارة الأخرى إلا الأعظم .. لماذا يبدو الصدام مطروحا في العالم الأوروبي الأمريكي دون غيره من النماذج الحضارية الأخرى والتي ترتكز إلى نفس القيم والمباديء المشتركة؟ ألا يعني هذا أن الصدام عائد إلى تفسيرات أخرى للغرب في مواجهة العالم الإسلامي العربي لم يلتزم الغرب الأوروبي الأمريكي فيها بأي من مبادئه وقيمه الحضارية وأولها قيمة العدالة؟ إن المصارحة الحضارية المطلوبة تقتضي أن نتساءل:هل يرى الغرب نفسه عادلا بشأن قضية فلسطين؟ وهل يبدو الغرب منصفا وهو يفرض في ظاهرة العولمة اولوياته ومصالحه ورفاهيته وليذهب الفقراء والضعفاء إلى الجحيم بشرط أن تبقى أسواقهم؟

إن العداء ليس حضاريا إذا لسبب بسيط أن الحضارات تتعاقب وتتكامل وتؤثر وتتأثر ولا يمكن لأحد أن ينسب لحضارة معينة دون غيرها احتكار التراث الإنساني، تلك حقيقة تكاد تعلو على مستوى الجدل أو لربما كان الأدق أن يقال أن هناك حالة حضارية مبعثها أن العالم الأوروبي الأمريكي في تعامله مع ما وراء المتوسط أو ما وراء المحيط لا يبدو عادلا ولا أخلاقيا ولا رحيما ربما كانت قيم العدالة والرحمة قيما داخلية يطبقها الغرب داخل حدوده وعلى مواطنيه لكنها تتوقف عند هذه الحدود. فهل ترى يعاني الغرب أحيانا من انفصام الشخصية؟"(٦١)

ويذكر المطران"جورج خضر" إنها ليست صراع حضارات، بل حرب بين الأغنياء (الغربيين) والفقراء(الشرقيين) ويقول:

الصدام الحالي بيننا وبين الأمريكيين هو صدام الاستعمار الجديد الذي تريده الولايات المتحدة على بلادنا في العالم العربي... وما حصل ليس له علاقة بصراع الحضارات ... ما يحصل هو محاولة الهيمنة على النفط من قبل الأمريكيين... هو استعمار لا يختلف عن الاستعمار السابق للدول ولكن بصورة انعم، **القصة عند الغرب هي قصة عجرفة وغطرسة واستكبار والغربيون يمارسون قمعا سياسيا وثقافيا**(٦٢)

ويرفض الأستاذ "صبحي غندور" مدير مركز الحوار العربي في واشنطن فرضية صراع الحضارات، ويعتبرها صراعا على المصالح ويقول:

"منافسة أوروبا هي الآن مع الولايات الأمريكية أي ضمن الغرب نفسه وليس مع المسلمين والعالم الإسلامي. إذن، هو صراع في الدائرة الغربية نفسها، لكن على المصالح في المنطقة العربية تحديداً وفي العالم الإسلامي عموماً.

بناء على ما سبق، أعتبر أن أطروحة صراع الحضارات والحديث عن صدام مرتقب بين الإسلام والغرب، يخدم الاستراتيجية الأمريكية الهادفة إلى تطويع الأوروبيين وضمان وجودهم تحت المظلة الأمريكية من جهة، والى تبرير أي إجراء أمريكي في العالم الإسلامي من جهة أخرى.(٦٣)

ورد المفكر الفلسطيني الأمريكي الجنسية "ادوارد سعيد" على هنتنغتون" بأنه اعتمد أسلوبا خاطئاً وقال:

"فالصورة والمنهج يحدثان النتيجة التي يريد هنتنغتون أن يصل إليها وهي أن يبقى العالم في حالة صراع حتى يبقى الغرب مسيطرا ومستغلاً لِلاغرب. فهو لا يريد أن يحلل وأن يخلق جوا من الانسجام بين الحضارات والتعايش بين الشعوب بل يريد من خلال "ضمان سيطرة الحضارة الغربية" تغذية الاتجاهات العدوانية لجنرالات البنتاغون وعند أصحاب الصناعات العسكرية الذين فقدوا الكثير من نفوذهم بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي.(٦٤)

وكتب الكاتب العماني"عبد الله العليان" في مجلة العربي، العدد ٥٣٢ تاريخ آذار ٢٠٠٣ يقول في الصفحات (٢٠-٢٢)

"أطروحات صراع الحضارات لا تهدف إلا إلى تأجيج الصراع بين الإسلام والغرب وتعيد طرح العداوات القديمة بمفاهيم ونظريات جديدة... إنّ الافتراضات التي وضعها هنتنغتون ليست صحيحة من الناحية التحليلية الاستقرائية للواقع والتاريخ، بل أنّ ما قاله هو إعادة شحن بطارية، الغرب الروحية التي بدأت في النفاذ.

وتحت عنوان "القرن الجديد وخيار الحوار الحضاري"، ذكر موقع **(latef.net)** أنّ:

النصف الأول من القرن العشرين قد- شهد نشوب حربين عالميتين لعلهما كانتا اكبر دموية من أي حروب أخرى شهدها العالم فقد التهمت هاتان الحربان أكثر من خمسين مليونا من البشر، بما قد يقترب من إعداد ما راح ضحية حروب العالم السابقة في التاريخ المعروف ولكن مما يثير الانتباه في هذا الصدد <u>أنّ هاتين الحربين العالميتين لم تكونا بين حضارتين</u>

مختلفتين، وإنما كانتا داخل حضارة واحدة هي الحضارة الغربية... وهذا يعني أنّ الصراع بين بني الإنسان لا يكون بالضرورة بين حضارات مختلفة. فالحضارة الحقيقية تعني في جوهرها التقدم المادي والروحي للأفراد والجماعات، أي أنها ترتقي بالإنسان ماديا وروحيا، تهذب من أخلاقه، وتحد من نزعاته العدوانية، وإنما يكون الصراع بين البشر من أجل مصالح ومطامع وأيديولوجيات متباينة وأهداف دينية أو سياسية، فهو إذن صراع قوى تهدف به إلى فرض سيطرتها وتسلطها على قوى أخرى.

٦-٢-٦- الصراع في حقيقته صراع على المصالح وليس صراع حضارات

اتضح من الأدلة وبالبراهين التي قدمها المفكرون والمختصون العالميون الذين استشهدنا بهم أنّ مقولة صراع الحضارات ليست إلا "فِرية" أو "حيلة" تستعملها أمريكا لتبرر بها شنّ الحرب على الآخرين وإخضاعهم لسياستها وهيمنتها من اجل التسلط والاستحواذ على أسواقها ومواردها.

إننا لسنا الوحيدين الذين نقول بهذا الرأي، فعلاوة على ما ذكرناه أعلاه يقول "جون اسبوزينو" مدير مركز الحوار الإسلامي المسيحي في جامعة جورج تاون: "خير لنا أن نفسر الاختلافات بين المجتمعات الغربية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية لا على أنها صراع حضارات إذ أنّ التواجد العسكري للولايات المتحدة (في المنطقة) وسياستها هما في الأغلب القوتان الرئيسيتان المحرضتان وراء الأعمال المعادية للمصالح الحكومية والتجارية والعسكرية لأمريكا".(٦٥)

٦-٣- العولمة والنظام العالمي الجديد

٦-٣-١- تعريف العولمة

العولمة هي التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسية والثقافة والسلوك، دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو انتماء إلى وطن محدد، أو لدولة معينة، ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية. (٦٦)

ويعرف الدكتور يوسف القرضاوي العولمة فيقول:

"أنها فرض هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية من الولايات المتحدة الأمريكية على العالم.. وبالأخص العالم الإسلامي... العولمة في أحلى صورها تعني تغريب العالم... أو "أمركة العالم...إنها اسم مهذب للاستعمار الجديد... الذي يريد العلو والفساد في الأرض كافة، لا يستضعف طائفة بل يستضعف شعوب العالم لمصلحة أقلية ضئيلة منهم."(٦٧)

وتقول الدكتورة "استر ويمان" من جامعة تل أبيب:
"لا تعتبر العولمة في العالم مجرد تهديد اقتصادي واستمرار للعملية الكولونيالية لاستغلال العالم العربي على يد الغرب، وإنما تهديد اجتماعي – ثقافي قبل أي شيء آخر من خلال هيمنة وفرض الثقافة والحضارة الغربية على العالم الإسلامي وزعزعة قيم العائلة في المجتمع المسلم".(٦٨)
وهكذا، يتضح مما تقدم أنّ العولمة تستهدف القضاء على خصوصيات الناس وسيادة الدولة، وتجعلها مرتعا مباحا للإمبريالية والصهيونية.

٦-٣-٢- تعريف النظام العالمي الجديد

يعرف الدكتور زهدي سمور النظام العالمي الجديد فيقول:

"هو توجيه الولايات المتحدة (تدعمها بريطانيا وفرنسا) مسار العلاقات الدولية توجيها جديداً يخدم مصلحتها اعتماداً على القوة، وإهمال مبدأ التكافؤ بين الدول..، والتذرع بالشرعية الدولية من أجل تبرير اللجوء إلى القوة. إنّ النظام العالمي الجديد هو كل ما هو حلال على الغرب وإسرائيل يعد حراما على باقي دول العالم. إنه مسح للهوية العربية والأصالة الإسلامية... وهكذا فإنّ النظام العالمي الجديد يسعى إلى تكريس النظام الإقليمي العربي، واجتثاث البقية الباقية من حيوية الفكرة القومية العربية..، والتسليم بشرعية الكيان الصهيوني، وباحتلاله نقطة القلب والمركز من خريطة النظام الإقليمي، وحماية المصالح النفطية للقوى الغربية، ونهب الموارد العربية والسيطرة على منابع البترول، وتبديد عائداته بوساطة أمريكا والأنظمة المتعاونة معها.(٦٩)

٦-٣-٣- العولمة أمريكية المنشأ والأهداف وأمريكا هي المستفيد الأول منها

يرى الكاتب القطري "شوقي جلال" أنّ استخدام مصطلح العولمة للمرة الأولى جاء على لسان اثنين من الرؤساء الأمريكيين، فقد قال الرئيس"ثيودور روزفلت"(١٨٥٨-١٩١٩) :"أمركة العالم قدر ومصير أمتنا"وقال الرئيس "هاري ترومان" بعد إلقاء قنبلتين نوويتين على مدينتي "هيروشيما وناكازاكي"، وفي ضميره الثقافة الأمريكية:"العالم الآن بين أيدينا"(٧٠) ويرى وزير الخارجية الأمريكي الأسبق "هنري كيسنجر" أن الولايات المتحدة كانت" ولا تزال القوة المحركة التي توفر الديناميكية المحركة للعولمة وهي المستفيد الأول من القوى التي أطلقتها."(٧١)

٦-٣-٤- أبرز أهداف العولمة

يمكننا تلخيص أبرز أهداف العولمة كما يلي:-
إحكام سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على اقتصاديات العالم... القضاء على الأيديولوجيات والثقافات والحضارات التي لا تدين بالرأسمالية، وبفكرة فصل الدين عن الحياة، والقضاء على التقاليد والعادات والتراث... وفرض الهيمنة العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية على شعوب العالم ...بقاء العالم.. في حالة عدم استقرار، وإثارة الفتن والحروب والخلافات الحدودية بين الدول، والإبقاء على وجود بؤر توتر في العالم...الحيلولة دون عودة الإسلام إلى واقع الحياة، وعدم إتاحة الفرصة لمبدأ الإسلام من البروز العالمي من خلال دولة تقوم على أساسه، وتسعى إلى تولي الصدارة العالمية، والتأثير بالموقف الدولي، على اعتبار أنّ الإسلام هو المبدأ الوحيد الباقي واقعيا بعد انهيار الشيوعية والقادر على وضع معالجات لمشاكل الإنسان والحياة. والقضاء على بعض الكيانات السياسية، وإيجاد كيانات أخرى تابعة وهزيلة، لا تقوى على النهضة ولا على مقاومة هجمة العولمة بشتى مناحيها.وفرض استعمار من نوع جديد.(٧٢)

٦-٣-٥- أضرار العولمة للمقاومة الفلسطينية وقضية فلسطين

يرى الكاتبان الفلسطينيان "نصار إبراهيم" و"ماجد نصار" في مقالهما (Globalisation and Palestinian Resistance) أن أثر العولمة على المقاومة الفلسطينية يتمثل في:

> تعتبر قضية الشعب الفلسطيني إحدى التجسيدات الأكثر مأساوية لسياسة العولمة بمفهومها الإمبريالي التصفوي .(ص ٤٢).. نتجت مأساة فلسطين عن سياسة العولمة الإمبريالية المبنية على الظلم والاحتلال، والدعم غير المحدود لإسرائيل في عدوانها على المنطقة. والفلسطينيون هم ضحايا تلك العملية، وإسرائيل هي أداة السيطرة على المنطقة عن طريق إنكار حقوق الإنسان والعدوان العسكري المتحلل من جميع القيود.. (ص ٤٤)
> الدور السلبي لإسرائيل لا ينحصر في احتلال فلسطين وإنكار حقوق الشعب الفلسطيني، ولكنه يشمل دور إسرائيل الإقليمي والعالمي: فإسرائيل تعمل رأس الحربة لقوى العولمة والإمبريالية، وهي تعكس عبر ممارساتها وسياساتها أقذر وأعنف وجوه عملية العولمة. ويستدل على ذلك من اعتداءات إسرائيل المستمرة على الدول

العربيـــة ، وعلاقاتهـا مــع أكثـر أنظمــة العــالم دكتاتوريــة ودمويــة وعنصرية. (ص ٤٤)..

يتم تحقيق جميع التناقضات الداخلية لعملية العولمة بعنف في الشرق الأوسط عبر جعل الاقتصاديات الوطنية "ليبرالية"(متحررة من حماية المنافسة الخارجية) ، وإملاء السلام مع إسرائيل كعملية خضوع سياسـي. ولكـن المقاومــة البطوليــة التــي تقـوم بهـا قـوى المقاومــة الوطنيــة(والإســلامية) الفلســطينية للمشـروع الإمبريــالي هــي محــور مقاومة هذه العمليات.(ص ٤٦)..

إنّ دور حركة مقاومة العولمة (في العالم) لا يقتصر على مجرد تمني النجاح للنضال الفلسطيني، ولكنه يشمل مشاركته في النضال ومساعدته على الانتصار. فمن واجب حركة مناهضة العولمة في شتى أنحاء العالم أن ترفع علم الدفاع عن حقوق الفلسطينيين وحريتهم واستقلالهم. إنه تعبير عن الإيمان والالتزام ببديل للعولمة ص (٤٧) (٧٣)

٦-٣-٦- العولمة ورواتب الموظفين الفلسطينيين

يعطي موقف الغرب من رواتب الموظفين الفلسطينيين بعد فوز حركة حماس الإسلامية في الانتخابات وتشكيلها الحكومة صورة صادقة عن مدى استبداد وظلم وهيمنة الغرب بقيادة أمريكا. فقد تآمر ذلك الغرب وشرد شعب فلسطين من أرضه، وظل يدعم إسرائيل بمليارات الدولارات وأحدث الأسلحة سنويا.ورغم أنه يدعي الديمقراطية والعدالة، إلا أنه لم ترق له الانتخابات الديمقراطية في فلسطين وحارب حكومة حماس التي جاءت في أعقاب تلك الانتخابات التي شهد الغرب نفسه بنزاهتها.ولم يكتف الغرب بعدم تقديم أي دعم للفلسطينيين، بل تعاون مع إسرائيل في احتجازها لعائدات الضرائب التي تعود للفلسطينيين من المشتريات عن طريق إسرائيل، والتي كانت تشكل مصدراً هاماً من مصادر دخل السلطة الوطنية الفلسطينية. وعلاوة على ذلك، مارس الغرب عبر عولمته الهيمنة على دول العالم ومنعها من تقديم المساعدات المالية التي كانت تقدمها عادة للسلطة الوطنية الفلسطينية قبل وصول حركة حماس للسلطة. وقد تبرعت دول إسلامية وعربية بمساعدات مالية للفلسطينيين، ووصل قسم منها إلى جامعة الدول العربية، ولكن أمريكا المهيمنة منعت وصول تلك المساعدات. وحتى البنوك الفلسطينية التي تعمل داخل فلسطين لم تستطع إيصال أية مساعدة مالية للفلسطينيين خوفا من العقوبات التي تفرضها عليها الهيمنة الأمريكية بعد ترسيخ نظام العولمة. وها قد بدأ الشهر التاسع ومئات الآلاف من الموظفين الفلسطينيين لم يتلقوا رواتبهم، وعائلاتهم وأطفالهم يعانون من نقص الغذاء والدواء وصعوبة الوصول إلى أماكن عملهم، علاوة

على المصاريف الضرورية لتعليم أبنائهم وبناتهم في المدرسة والجامعة.كل ذلك من أجل تركيع شعب فلسطين، وإكراهه على التصرف عكس ما يمليه عليه ضميره، وحتى يتنازل عن حقوقه الثابتة وغير القابلة للتصرف. ومن هنا تتضح جرائم الغرب بحق الشعوب في ظل العولمة، حيث يفرض الغرب إرادته خلافاً لكل الأعراف والقوانين، وبدون أدنى اعتبار للرحمة أو الإنسانية، فقد تجرد الغرب من إنسانيته بعد أن عبد المصلحة والمادة، وضرب عرض الحائط بالمبادئ والقيم الإنسانية.

ولم يعتبر الغرب وحليفته إسرائيل من التاريخ بأنّ النصر للشعوب، وأن الشعب الفلسطيني الذي تحدى الضغوط التي مورست عليه لأكثر من نصف قرن، لن تثنه الضغوط الحالية مهما اشتدت، لا سيما بعد أن مارس حقه في الانتخابات الرئاسية والتشريعية بكل نزاهة وديمقراطية، وبعد أن تولت قيادته حركة حماس التي تسترشد في مسيرتها بهدي الإسلام، وبمآثر عمر وصلاح الدين في التحرير اللذين ضربا المثل الأعلى في العدل والإنسانية والتسامح حتى مع الأعداء.

٦-٣-٧- أضرار العولمة للعالم الثالث

بينما قد تكون الإيجابية الوحيدة للعولمة هي استخدام الانترنت للتخاطب من قارة إلى أخرى مقابل أجور زهيدة، وتبادل الأفكار والآراء والمعلومات والمشاركة في الحصول عليها من قبل ملايين الأشخاص عبر العالم، فإن للعولمة أضراراً كثيرة للعالم الثالث ، ومن أبرزها:

- كان من نتائجها أن انطمس"مبدآن دوليان جوهريان، كانا أقوى ركنين تعتمد عليهما في الساحة الدولية حركات شعوب العالم الثالث.. هذان المبدآن هما ، مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول. وقد صرنا الآن لا نكاد نرى أو نسمع أيا من هاتين العبارتين... وذلك في السنوات العشر الأخيرة، رغم أنهما عبارتان كانتا تملآن أسماعنا وأبصارنا لعشرات السنين منذ بداية القرن العشرين".(٧٤)

- ويرى الكاتب المصري شوقي جلال أن من مضار العولمة :

أنّ العولمة –حسب رأي المفكرين الأمريكيين – هي أفضل السبل للتفريغ الأيديولوجي ، أي "تفريغ عقول أبناء الشعوب من محتواها الفكري والعقيدي والتراثي ليسقطوا أو يتحرروا من كل تطلعاتهم باسم الاعتزاز القومي أو الاستقلال أو الحرية.
وبعد هذا يبدأ الحشد الأيديولوجي البديل لرؤوس مفرغة، بثقافة مغايرة تفضي إلى تدجين الشعوب ليسلس قيادتها لمصلحة المروّض

الأعظم صاحب الحلم في العولمة .. ولكن ماذا لو تمرد فرد أو شعب؟ يقول سكينر ، ومقولته دستور العولمة سياسياً وثقافياً :"يمكن لحكومة ما أن تحول دون لجوء المواطنين (أو الشعوب طبعاً، فهي ملك اليمين للقوة الأعظم) إلى الردة و النفور وذلك بجعل الحياة أكثر إمتاعا بتوفير الغذاء ووسائل الترويح وتشجيع القمار، واستعمال المشروبات الكحولية والعقاقير المخدرة والمسكنة ومختلف أنواع السلوك الجنسي، بحيث تكون آثار ذلك جعل الناس في متناول يد السلطة وغير بعيدين عن عقابها ردعاً لهم. إنك تستطيع أن تدجن شعباً كما يدجّن المروّض الأسود...

وأصبحت العولمة حسب هذا الواقع حق الولايات المتحدة في مراقبة سلوك البلدان الأخرى ومتابعة مجريات الأمور فيها باسم حماية الأقليات ، وحقوق الإنسان ..(و) شيوع سلوكيات الوجبات السريعة والأغاني الخليعة، وامتلاك الاتصالات الفضائية للبحث..أو المراقبة والتجسس.."(٧٥)

- ويقول المفكر الأمريكي "تشومسكي" بشأن أضرار العولمة للعالم الثالث:

أنها تحرمه من حماية صناعاته الناشئة التي لا تستطيع منافسة الصناعة العملاقة للدول الكبرى. وهكذا رغم أنّ بريطانيا – على سبيل المثال- فرضت حماية على صناعتها لمدة ١٥٠ عاماً فإنها تدعو إلى العولمة التي تفتح أسواق دول العالم الثالث أمام منتجاتها، وواشنطن تفرض العولمة لأنّ الاتفاقات الجديدة لمنظمة التجارة العالمية تمنحها"سلطة العبور داخل حدود سبعين بلداً وقعت على الاتفاقية...

فالعولمة نتاج ضغوط تمارسها الحكومات القوية، لا سيما حكومة الولايات المتحدة، على شعوب العالم لتحقيق صفقات تجارية واتفاقات أخرى تسهل على الأقوياء والشركات العملاقة الهيمنة على اقتصاديات الأمم حول العالم، دون أن تلتزم بأية واجبات تجاه شعوب تلك الأمم.

..(كما تتسبب العولمة) بانخفاض الأجور وانخفاض النمو وارتفاع الأرباح مع زيادة في الاستقطاب والتفكك الاجتماعي. والنتيجة الأخرى هي تلاشي العمليات الديمقراطية ذات القيمة، إذ يجري تحويل اتخاذ القرار إلى مؤسسات خاصة وهياكل شبه حكومية تجمع حولها ما

تطلق عليه صحيفة "فايننشال تايمز" اسم "حكومة عالمية فعلية" تعمل في السر ودون مساءلة.(٧٦)

٦-٣-٨- نفاق الغرب في استغلال العولمة جعلها تسير في اتجاه واحد

وفي كتابه "عولمة القهر" يوضح الدكتور "جلال أمين" كيف تستغل الإمبريالية والصهيونية العولمة لصالحها، وكيف تنافق وتحول دون استفادة الشعوب الأخرى منها فيقول:

"في جميع الأحوال لا بد أن تتضمن العولمة زيادة سرعة نقل الجنود من مكان لآخر، وزيادة قدرة الطائرات على نقل القنابل، وزيادة الكفاءة في نقل أخبار وصور شبكات التلفزيون والإذاعة المسموح بها والمختارة بعناية لأكبر عدد من الناس، أي لابد باختصار من عولمة القهر، ولكن من الممنوع استخدام نفس وسائل التكنولوجيا الخديثة في إفهام الأمريكيين حقيقة الشعوب الخاضعة لهم، وحقيقة ما فعلته إسرائيل بالفلسطينيين، وحقيقة الدين الإسلامي، بعبارة أخرى، إنّ العولمة لا يجوز أن تستخدم لإحداث أي تنوير حقيقي حتى تتغير موازين القوى في العالم، وتتحول الولايات المتحدة إلى دولة كبقية الدول، كما تحولت دول استعمارية سابقة، كبريطانيا وفرنسا، إلى دول كبقية الدول.(٧٧)

ويقول الكاتب الأمريكي "بول كينيدي" :

ورغم أنه من المفروض أن تسير العولمة في اتجاهين لصالح الدول المتقدمة والمتخلفة على حد السواء، إلا أنّ أمريكا والدول العظمى الأخرى تعمل على أن تسير العولمة في اتجاه واحد أي تنساب السلع والخدمات من الدول العظمى للدول النامية، وأن توضع العراقيل أمام انسياب تلك السلع والخدمات من العالم الثالث للدول المتقدمة. ومن أمثلة ذلك العراقيل التي تضعها أمريكا في طريق شركة"دبي العالمية للموانئ" لشراء مجموعة "بي أند أو" البريطانية للملاحة والموانئ والعبارات.(٧٨)

٦-٣-٩- أدوات العولمة

يمكن إيجاز أدوات العولمة التي تساعدها على تنفيذ أهدافها كما يلي:-

(١) الشركات متعددة الجنسيات.

(٢) إسرائيل: لأنها تفتت الوحدة المنشودة لمنطقة الشرق الأوسط أو للأمة العربية، في رأس حربة تغرز في جسم مَن يمكن أن يحمل لواء عولمة مقابلة، بل محبطة لعولمة الغرب.

(٣)الفساد الجنسي: لأنه يجلب اقتصاداً للشركات الكبرى، وهذه الشركات لا يهمها إلا الربح، ولم يعد الأمر بالنسبة لها فضيلة أو سواها، بل القضية احتكار ربح، وتفيد أرقام منظمة الصحة العالمية أنّ خمسمائة ألف امرأة وصلن إلى دول الاتحاد الأوروبي في نهاية ١٩٩٥ عبر المتاجرة بهن(٧٩)

٦-٣-١٠- العولمة الثقافية وثقافة التطبيع

أ- العولمة الثقافية

يرى الدكتور "القرضاوي" أنّ العولمة الثقافية تعني"فرض الثقافة الأمريكية على العالم كله، ويحذر من العولمة الثقافية التي تريد أن "تسلخنا من جلدنا، وأن تفرغنا من هويتنا، أو تنزع هويتنا منا، وأن تشيع فينا ما يلي:
ثقافة الاستهلاك كما تنتجه الرأسمالية الغربية الأمريكية..ثقافة الإباحية التي تحلّ ما حرم الله، وتبيح من المنكرات ما تنكره كل شرائع السماء، والمثل العليا في الأرض. العولمة التي تبيح العري الخالص ..ثقافة الجنس... يستمتع الرجل بالمرأة، وتستمتع المرأة بالرجل، بلا عقد ولا ارتباط... ثقافة "الزنى" إنه كان فاحشة وساء سبيلا.
ثقافة الشذوذ... وثقافة الإجهاض... إنه وأد الجاهلية عاد من جديد.ثقافة السلام "المزعوم الذي تمليه إسرائيل... السلام الذي يحقق لها مصالحها وأمنها بشروطها، بتأييد مطلق من أمريكا...(٨٠)

ب- ثقافة التطبيع والتمييع والتركيع والتطويع وأخطارها.

في كتابه "المسلمون والعولمة" يوضح "القرضاوي" أهداف ثقافة التطبيع، ويحذر من أضرارها على المسلمين والعالم الثالث فيقول:

"إنّ التطبيع الذي تريده إسرائيل وأمريكا، أنها تريد أن تجعل غير الطبيعي طبيعياً، ونقبل راكعين مذعنين ما كنا نرفضه لعقود من السنين، ونعتبره منكراً وخيانة، وردّة وكفراً ... تريد الاعتراف بالكيان العدواني الغاصب، وبشرعية ما اغتصبه من أرضنا، وبملكيته لكل ما سلبه من ديارنا... ونعطيه صكا قانونيا، بأنّ هذه كلها أصبحت أرضه وداره وملكه وحقه. وأنّ له الحق في تأديب أي دولة عربية تقول له: لا، أو تناوشه أو تشاغبه.

(ثقافة التطبيع) تريدنا أن نمحو ذاكرتنا، وأن نلغي تاريخنا، حتى أراد بعضهم أن نسكت عن آيات من القران تتحدث عن اليهود أو بني إسرائيل، وسوء موقفهم من الله تعالى، ورسله عليهم السلام، فلا داعي لتكرارها في وسائل الإعلام، وأن نغيّر في مناهج التعليم، فنحذف كل ما يثير في شعوبنا المقاومة، ومن ذلك (معركة حطين) وقائدها (صلاح الدين الأيوبي) وما شابه ذلك، حتى لا نحيي ذكرى المعارك القديمة، وتؤجج في الناس الحنين إلى مثل هذه الحروب، وهو ما ينافي(ثقافة السلام)... إنّ العولمة الثقافية خطر على عقائدنا وقيمنا.(٨١)

٦-٣- ١١- كيف نخلص من شرور العولمة

العولمة هي الأمركة، أي الاستعمار الأمريكي بجبروته الذي فاق كل حد، وغطرسته التي لا مثيل لها. وقد أثبت التاريخ أن:

للحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق

وهكذا، فمن البديهي أن لا خلاص من العولمة وهيمنتها إلا بالثورة ضدها، فللحرية ثمن يجب أن يدفعه كل من يطلبها، وبدون ذلك الثمن فلن تتحرر الشعوب المستعمرة والمستغلّة.وبهذه الطريقة فقط تحررت الجزائر.

وشرور العولمة هي شرور الاستعمار، وقد فشلنا طيلة القرن الماضي في الوحدة على أساس القومية، كما فشلنا في التحرر السياسي والاقتصادي.وهناك حل واحد ، بل وحيد، للتخلص من شرور العولمة بجانبيها المادي والمعنوي ، ومما نحن فيه من تشرذم، وذل وهوان وتبعية، يُهدَر دمنا، ويهتك عرضنا، وتدنّس مقدساتنا، وتسلب أرضنا، وتنهب خيراتنا. ومن المعروف أن العولمة كالحضارة، لها جانب مادي ، وآخر معنوي . فالجانب المادي الذي يتمثل في الوجود العسكري لا يمكن التحرر منه بدون المقاومة المسلحة، وتقديم الأرواح رخيصة من أجل الحرية.أما الجانب المعنوي – الثقافي- فلا يمكن لنا أن نحمي أنفسنا منه بدون التمسك بثقافتنا النابعة من عقيدتنا الإسلامية. وباختصار يرى المؤلف أن الحل الأوحد لكل ذلك، والذي لم نعمل بما فيه الكفاية لتحقيقه يتمثل في أنّ:

"الإسلام فقط، من خلال دولة تحمله عقيدة ونظام حياة، فيه كل الحلول الربانية، والمعالجات الإلهية ومثابرة لاستئناف الحياة الإسلامية، وإيجاد دولة الخلافة التي ستكون راعية للإسلام والمسلمين، وحاملة لواء الدعوة إلى الإسلام، وضاربة المثل القويم في بيان أصول التعاون التجاري... وبناء الاقتصاد السليم... هذا هو الخيار البديل، بل الخيار الوحيد، لأن الإسلام دين الله الذي ارتضاه للناس. (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً

فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران :٨٥).(وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (سورة الأنعام:١٥٣) (٨٢)

ومن كان في شك فيما ذهبنا إليه، فليرجع إلى تاريخ العرب الذين ظلوا أدوات في أيدي الروم والفرس، ولم يحققوا وحدة، ولا عزة، ولا دولة ، ولا حضارة تذكر إلا بعد الإسلام. وفلسطين لم تصبح ذات سيادة عربية كاملة إلا بالفتح الإسلامي. وعندما ضعف الإسلام سقطت بأيدي الصليبيين، ولم يحررها العرب ، إنما حررها المسلمون. وعندما زالت الدولة الإسلامية العثمانية سقطت فلسطين فريسة للاستعمار الصهيوني المسيحي، ثم الاستعمار الصهيوني اليهودي.فهل لنا أن نعتبر من التاريخ ؟

٦-٤-الإرهاب

٦-٤-٢- تعريف الإرهاب

لم تتوصل الدول إلى تعريف متفق عليه للإرهاب ، وذلك بسبب تناقض مصالح الدول الكبرى، ولاختلاف الدول في وجهات نظرها بهذا الشأن.وقد اجتمعت مجموعة عربية إسلامية منتخبة من المفكرين في عمان شارك فيها خمسون مختصاً في الإرهاب، في شهر تموز ٢٠٠٣م، وعرفت الإرهاب بأنه: "استخدام غير مشروع للعنف أو تهديد باستخدامه ببواعث غير مشروعة، يهدف أساسا إلى بث الرعب بين الناس، ويعرض حياة الأبرياء للخطر، سواء أقامت به دولة أم مجموعة أم فرد، وذلك لتحقيق مصالح غير مشروعة، وهو بذلك يختلف كلياً عن حالات اللجوء إلى القوة المسلحة في إطار المقاومة المشروعة. وهو بهذا انتهاك للقواعد الأساسية للسلوك الإنساني، ومناف للشرعية الدولية لما فيه من تجاوز على حقوق الإنسان." (٨٣)

ويعرف المفكر المسلم منير شفيق" الإرهاب على أنه:

" الاعتداء قتلاً أو تدميراً أو خطفاً أو ابتزازاً على مدنيين لا علاقة مباشرة لهم في جبهة القتال الدائرة على المستوى العسكري أو السياسي أو الاقتصادي وغيره. وذلك من أجل تحقيق أهداف

عسكرية أو سياسية أو اقتصادية، يفترض أن تتحقق من خلال ميدان القتال المعني نفسه". ويضيف الأستاذ شفيق قائلاً:"المهم أنّ هذا التعريف آنف الذكر يجعل قصف الطيران أو الصواريخ للجسور ومحطات الكهرباء والمياه والمواقع غير العسكرية الأخرى داخل المدن والقرى شكلا من أشكال الإرهاب بامتياز لأنه شكل وحشي من أشكال الضغط على المدنيين أو من خلال المدنيين لتحقيق أهداف يفترض أن تتحقق من خلال القتال في الميدان. ذلك لأنّ هذا النوع من القصف تحت شعار تدمير البنية التحتية يعرّض المدنيين إلى كل المضار الناجمة من تعطل الكهرباء وانقطاع المياه... من هنا لا يمكن أن يعرف الإرهاب بالإرهاب الذي يمارسه أفراد ضد مدنيين ويترك ذلك النوع من الإرهاب الذي يمارس من قبل دولة، أو عدة دول ضد شعب بأسره تعريضا لمدنييه للقتل والإصابات المباشرة، ولبنيته التحتية ومصانعه للتدمير... الأمر الذي يوجب تحريم الاستراتيجية العسكرية – السياسية التي توجه ضد شعب في حالة حرب أو شبه حرب. والتي تستهدف حصاره من أجل خنقه ببطء. ومن ثم اعتبارها شكلا من أشكال الإرهاب الذي يستخدم المدنيين لتحقق أهداف الحرب.(٨٤)

٦-٤-٢-- دوافع الإرهاب

يقول مؤلفو كتاب "الإرهاب الدولي":

"هناك دوافع وبواعث متعددة للإرهاب الدولي يصعب أحيانا حصرها على وجه الدقة لتحديد الأسباب الكامنة وراء تصاعد العمليات الإرهابية، إلا أنه مع ذلك يمكن تصنيف دوافع الإرهاب الدولي وأسبابه إلى اتجاهات رئيسية أهمها الدوافع السياسية، والاقتصادية، والإعلامية. فمعظم العمليات الإرهابية وأعمال العنف غالبا ما تكمن وراؤها دوافع سياسية من بينها الحصول على حق تقرير المصير للشعوب، أو مقاومة الاحتلال، أو رفض فكرة التفرقة العنصرية وانتهاك حقوق الإنسان، أو جذب انتباه الرأي العام العالمي إلى مشكلة أو قضية تهم جماعة من الجماعات العرقية."(٨٥)

ويرى "زبيغنيو بريجينسكي" مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس "كارتر" ، وأستاذ السياسة الخارجية في جامعة جون هوبكنز في كتابه " الاختيار بين الهيمنة على العالم وقيادته" أن السياسة الأمريكية وممارساتها الظالمة هي التي توجه الإرهاب نحوها ويقول :

أنه لا مفر من الاعتراف بالحقيقة التاريخية هي أن التدخل الأمريكي في الشرق الأوسط هو السبب الرئيسي في توجيه الإرهاب نحو أمريكا. والإحجام الأمريكي عن الاعتراف بوجود رابط بين أحداث ١١ أيلول والتاريخ السياسي الحديث للشرق الأوسط يمثل شكلاً خطيرا من الإنكار. وما نزعة الولايات المتحدة في ربيع العام ٢٠٠٢ إلى تبني الأشكال الأكثر تطرفاً للقمع الإسرائيلي للفلسطينيين كجزء من الصراع ضد الإرهاب إلا حالة في هذا الموضوع. وانشغال أمريكا باحتمال امتلاك إيران والعراق لأسلحة دمار شامل خلافاً للامبالاتها بامتلاك إسرائيل مثل هذه الأسلحة يعتبر مدفوعاً بالمصلحة الإسرائيلية.(٨٦)

٦-٤-٣- الفرق بين الإرهاب وحركات التحرر الوطني

يقول أستاذ القانون الدولي الأمريكي "فرانسيس بويل" (Francis A.Boyle) بهذا الشأن :"لقد تم الاعتراف المتكرر من جانب الجمعية العامة للأمم المتحدة للشعوب المناضلة ضد استعمال القوة لتحقيق أهدافها في إطار القانون الدولي الإنساني. مثل هذه الاستخدامات المشروعة للقوة لا يجب أن تختلط بأعمال الإرهاب الدولي."(٨٧)

ويتساءل الدكتور "سليم الحص" رئيس وزراء لبنان الأسبق " بأي منطق حضاري يسمى العنف الذي يمارسه من يدافع عن دياره وحياته وكرامته في فلسطين ولبنان إرهاباً، فيما يسمى العنف الذي تمارسه إسرائيل في اغتصاب الأرض وانتهاك الحرمات دفاعاً عن النفس؟ " (٨٨)

واعتبرت وزيرة الخارجية الإسرائيلية "تسيبي لفني" أن الانتحاريين (الاستشهاديين) الذين يستهدفون جنوداً إسرائيليين لا يمكن وصفهم بالإرهابيين، بخلاف الذين يستهدفون مدنيين.وقالت في مقابلة مع محطة "أي بي سي" الأمريكية:"إن الذي يقاتل جنوداً إسرائيليين هو عدو وسنقاتله، إلا أنني أعتقد أن الذي يستهدف جندياً لا يصنّف إرهابياً" .(٨٩)

وقد أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارات عديدة لها، منها على سبيل المثال القرار رقم ٣٢٤٦ لعام ١٩٧٤، والقرار رقم ٣٤١٤ لعام ١٩٧٥، وقرار رقم ٣٤/٣١ لعام ١٩٧٦شرعية كفاح الشعوب في سبيل التحرر من السيطرة الاستعمارية والأجنبية بكافة الوسائل المتاحة، بما في ذلك الكفاح المسلح، واعترفت بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

ورغم هذه الحقائق، فلا زالت أمريكا ودول غربية أخرى، وإسرائيل تصر على أنّ عمليات المقاومة الفلسطينية واللبنانية للاحتلال الإسرائيلي

والأراضي اللبنانية هي إرهاب وليس مقاومة مشروعة للاحتلال. أما الإرهاب المنظم الذي تمارسه إسرائيل منذ فرضها بالقوة على المنطقة فهو دفاع مشروع عن النفس، حسب زعم إسرائيل والغرب الذي صنعها.

٦-٤-٤- الفرق بين العمليات الاستشهادية وأحداث أمريكا في أيلول ٢٠٠١

يقول الشيخ يوسف القرضاوي بهذا الصدد:

"هناك فرق في الهدف، الفلسطيني الذي يفجر نفسه هو شخص يدفع عن وطنه عدواً محتلاً، إنّه هدف مشروع. بخلاف الذي ذهب من أرضه ليضرب هدفا ليس بينه وبينه معركة، إنّ الهدف مختلف. فهدف ضرب الأبراج في أحداث أيلول غير مشروع. كما أنّ الوسيلة تختلف، فالوسيلة في العمليات الاستشهادية هي واحد يضحي بنفسه من أجل الدفاع عن وطنه، يصيب عدوه المحتل لأرضه قدر ما يصيب بخلاف الوسيلة في إحداث أيلول، فقد اتخذت الطائرات المدنية بركابها المدنيين وسيلة قذف صاروخ موجه يضحي بهؤلاء المدنيين، فهي وسيلة غير مشروعة.

ففي العمليات الاستشهادية في فلسطين اتفق جمهور علماء المسلمين في المشرق والمغرب على شرعية هذه العمليات التي نسميها بحق استشهادية ويسميها الصهاينة ومن والاهم انتحارية، وتسمية هذه العمليات انتحارية تسمية خاطئة ومضللة، فهي عمليات فدائية بطولية استشهادية، وهي أبعد ما تكون عن الانتحار، ومن يقوم بها أبعد ما يكون عن نفسية المنتحر.

إنّ المنتحر يقتل نفسه من أجل نفسه، وهذا يقدم نفسه ضحية من أجل دينه وأمته، والمنتحر إنسان يائس من نفسه، ومن روح الله، وهذا المجاهد إنسان كله أمل في روح الله تعالى ورحمته.(٩٠)

٦-٤-٥- الغرب وأمريكا وإسرائيل مصدر غالبية الإرهاب في العالم

يمارس الغرب العنف والإرهاب في مجالات عديدة. فعصابات المافيا تمارس الإرهاب والقتل من أجل الجشع والكسب غير المشروع. ورجال الغرب يرهبون الجنس اللطيف باغتصابه ويمارسون ضده العنف بأقصى درجات الوحشية. وأصحاب رأس المال الذين يستطيعون الوصول إلى السلطتين التنفيذية والتشريعية فيستغلون قوتهم لزيادة رؤوس أموالهم على حساب الفقراء، ويتسببون في حروب تحترق فيها أبناء الطبقات الفقيرة، بينما أبناؤهم معفون من المشاركة فيها. ويدعي الغرب بالتعددية والديمقراطية بينما يقوم بإكراه الشعوب

الأخرى على اتباع حضارته وثقافته المتناقضة مع قيمهم ودياناتهم وضمائرهم.وسنكتفي بأمثلة وبعض ما كتبه غربيون عن الإرهاب الغربي.

و كتب كيت "هيرمان" و"سوليفان" (Edward S.Herman and Gerry O' Sullivan) في مقدمة كتابهما"الإرهاب أيدولوجيا وصناعة ثقافة" أنّ :

الإرهاب الأساسي هو غربي في أصله... وكثيراً من الإرهاب الذي يناقش في الغرب يكون رد فعل(استجابة) لهذا الإرهاب الأساسي الغربي... فالغرب والمصالح الغربية هم الذين دفعوا الإرهاب إلى الطليعة (الإمام)، وليس الإرهابيين. وقد قام الغربيون بذلك لأنهم أرادوا استخدام الإرهاب كأداة وأيديولوجية للدعاية والسيطرة. وقد تم إنجاز مهمة الإرهاب هذه بنجاح ملحوظ. و ذكر المفكر الفرنسي روجيه جارودي أنه ملفت للنظر أنّ من يعلنون أنفسهم مدافعين عن حقوق الإنسان على الصعيد العالمي، مثل مجموعة السبعة، أو عصابة الدول السبع الأغنى في العالم والتي اجتمع قادتها في "ليون" في فرنسا عام ١٩٩٦م لمكافحة الإرهاب، هم في الحقيقة رؤساء الدول الأكثر إرهاباً في تاريخ العالم وحاضره.(٩١)

واعترف المفكر الأمريكي"تشارلي ديز" بأنّ اللوم في الإرهاب يقع على السياسة الأمريكية والمسيحيين الصهاينة وقال:

"نحن (الأمريكيين) مذنبون بالوكالة، نحن قتلة، مغتصبون للأرض، مدمّرون للملكيات والحقوق، وقد تسببنا فعلاً في شقاء المواطن الفلسطيني بدعمنا لسياسات إسرائيل الوحشية...

ويرى معظم القادة السياسيين الأمريكيين أنه ليس ثمة علاقة بين السياسات التي تنتهجها أمريكا في فترة الثلاثين عاما الأخيرة وبين العمليات الإرهابية.ولكن في الحقيقة فإنّ العمليات الإرهابية ما هي إلا مجرد نتاج لسياسات أمريكا الخرقاء، وعليه، فإذا تسبب الإرهابيون في فقد حبيب لك أو عزيز، فلا تلم إلا المسيحيين الصهاينة، هؤلاء هم الساسة الفاسدون المنقادون للوبي الصهيوني."(٩٢)

وبسبب مصالح أمريكا الاستراتيجية والنفطية في الشرق الأوسط، فإنها تحاول دائماً إلصاق تهمة الإرهاب بالمسلمين رغم أنّ الإحصاءات تدل على تدني عدد العمليات الإرهابية هناك، ففي عام ٢٠٠٠ حدثت في الشرق الأوسط (١٦) عملية من أصل (٤٢٣) عملية إرهابية في العالم، بينما حدثت (٣٠) عملية في أوروبا الغربية، و(١٩٣) عملية في أمريكا اللاتينية.(٩٣)

٦-٤-٦-أمثلة على الإرهاب الأمريكي

- وفي عام ١٩٤٥ ألقت أمريكا قنبلتين نوويتين على جزيرتي"هيروشيما "و"نجازاكي" اليابانيتين فتسببت في قتل مئات الآلاف من المدنيين الأبرياء عدا الجرحى والخسائر المادية.
- وفي عدوانها على "كوبا" خرّبت أمريكا الفنادق والسفن، مسببة وفيات عديدة بين المدنيين وجرحى وخسائر مادية من أجل أن تخضع كوبا لإراداتها.
- أطاحت أمريكا بحكومة "محمد مصدق" في إيران عام ١٩٥٣، وحكومات "غواتيمالا" عام ١٩٥٤، و"الكونغو" عام ١٩٦١، وجمهورية"الدومينيكان" عام ١٩٦٤، و"تشيلي" و"أوروغواي" عام ١٩٧٣، وذلك عن طريق العنف المباشر، وغير المباشر بوساطة المخابرات والعملاء المحليين الذين فرضتهم على شعوبهم رغم إرادة تلك الشعوب.
- ومنذ عام ١٩٦٧ تتحمل أمريكا مسؤولية احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة، وكذلك مسئولية إرهاب إسرائيل بحق الفلسطينيين لأنّ الاحتلال واستمراره تم بفضل التخطيط والتمويل والدعم العسكري والسياسي الأمريكي. وخلال الانتفاضتين عامي ١٩٨٧و٢٠٠٠، كان الغاز والرصاص والقنابل زنة طن والصواريخ وهراوات التعذيب وتكسير العظام كلها أمريكية، وبالتالي فانّ مسؤولية أمريكا عن ذلك الإرهاب هي مسؤولية بالدرجة الأولى وإسرائيل قامت بالإرهاب بالنيابة عن أمريكا وخدمة للسياسة الأمريكية.
- دعمت أمريكا وروسيا ودول غربية أخرى صدام حسين ضد إيران وزوّدته بالأسلحة الكيماوية المحرمة دولياً، وتآمرت على إيران والعراق بتزويد الطرفين بالأسلحة لإطالة أمد النزاع، وبذلك فتلك الدول تتحمل مسؤولية الإرهاب الذي ارتكب ضد المدنيين وضد العسكريين بأسلحة محرمة دولياً.
- قامت بأبشع قصف جوي للمدنيين في العراق منذ الحرب التي شنها العراق على الكويت عام ١٩٩١، وعادت لتحتل العراق وتمارس أبشع جرائم الإرهاب والقتل والتعذيب بحق شعب العراق والمدنيين الأبرياء من اجل إعادة الاستعمار بشكله القديم إلى العراق.

٦-٤-٧- أكاديميون أمريكيون يؤكدون نفاق أمريكا بشأن الإرهاب

أكد أستاذ القانون الدولي الأمريكي"زونز"**(Stephen Zunes)** نفاق أمريكا التي دعمت اثنين من أشهر الإرهابيين اللذين أصبحا رؤساء

وزارات في إسرائيل وهما مناحيم بيغن واسحق شمير، وقدمت لحكومتهما دعما قويا في المجالات المالية والدبلوماسية والعسكرية.(٩٤)

وذكرت أستاذة القانون الدولي الأمريكية "شيريل روبنبرغ": أنّ أمريكا تعتبر منظمة التحرير الفلسطينية منظمة إرهابية بسبب عملياتها ضد المدنيين الإسرائيليين، ولكنها تُصوّر إرهاب دولة إسرائيل ضد الأهداف العربية المدنية على أنه "دفاع عن النفس" أو "رد" رغم أنّ عدد المدنيين الإسرائيليين الذين قتلوا في جميع أعمال"الإرهاب" (ضد إسرائيليين)من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٨٢ هو ٢٨٢ وهذا العدد أقل من عدد العرب المدنيين الذين قتلوا في غارة إسرائيلية واحدة على بيروت يوم ١٧-١٨ تموز ١٩٨١(٩٥)

٦-٤-٨- الإرهاب كان استراتيجية رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق شامير

وتحت عنوان "الإرهاب" كتب رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إسحق شمير في جريدة "هازيت" التي كانت تصدرها حركة " ليحي" الإرهابية - التي كان يترأسها شمير آنذاك- في شهر آب عام ١٩٤٣ : " لا يمكن استخدام الأخلاق اليهودية ولا الأعراف اليهودية كوسيلة لمنعنا من الإرهاب كوسيلة للحرب.. إننا بعيدون جدا عن الترددات الأخلاقية عندما نهتم بالنضال الوطني. فالإرهاب بالنسبة لنا ، أولاً وقبل كل شيء، هو جزء من الحرب السياسية مناسب لظروفنا الآن "

٦-٤-٩-أمثلة على الإرهاب الإسرائيلي

سوف نكتفي بتقديم أمثلة على العمليات الإرهابية التي قامت دولة إسرائيل أو قام بها إسرائيليون في مجالات مختلفة:

١- الإرهاب الإسرائيلي ضد الفلسطينيين والعرب منذ عام ١٩٤٨

ارتكبت إسرائيل أعمالا إرهابية ضد المدنيين العرب الأبرياء.(انظر أمثلة على ذلك في الفصل الرابع تحت عنوان:"إسرائيل وحق العرب في الحياة." وذكر الصحفي الإسرائيلي"هداس ثير" والصحفي البريطاني"روبرت فيسك" أنّ شارون مسؤول عن الأعمال الإرهابية والإجرامية التالية: قتل عام ١٩٥٣ خمسين لاجئا فلسطينيا في "قبية" في الضفة الغربية وهدم مدرسة ومسجد و٤٥ بيتا، أعدم الأسرى المصريين عام ١٩٥٦، وقتل ١٠٤ فلسطينيا عام ١٩٧١ في قطاع غزة، وهدم ٢٠٠٠ منزل، علاوة على ذبح (٣٠٠٠) فلسطيني في مخيمي "صبرا" و "شاتيلا" في

بيروت عام ١٩٨٢.ورغم ذ لك كله، يصف الرئيس الأمريكي بوش شارون بأنه رجل سلام.

٢- إرهاب ضد يهود وأمريكان وبريطانيين وأوروبيين

اغتال الصهاينة بعض إخوانهم اليهود الذين رفضوا التطرف الصهيوني، وألقى يهودي قنبلة على يهود يصلون في كنيس في العراق وذلك من أجل ترويعهم وإجبارهم على الهجرة إلى إسرائيل. وفي كلمة للحاخام نيوبيرغر(G.j.Neuberger) في مؤتمر طرابلس الخاص بالصهيونية والعنصرية، قال بأنّ قائد حزب اغودات إسرائيل،"جاكوب دي هان"(Jacob de han) بدأ محادثات مع القادة العرب من أجل إقامة دولة يعيش فيها العرب واليهود بسلام. ولكن الإرهاب الصهيوني اغتاله عام ١٩٢٤ عشية سفره إلى لندن لمقابلة السلطات البريطانية من أجل موضوع السلام.(www.jewsnotzionistrs.org).

كما طال الإرهاب الصهوني البريطانيين والأمريكان حلفاء إسرائيل. فقد صرح اللورد "موين" (Lord Moyne) الوزير البريطاني المفوض في مصر، أنّ" يهود هذا الزمان ليسوا عبرانيين، وأن مطالبتهم بالأرض المقدسة غير مشروعة "، وعلى أثرها قتل"اللورد موين" في٦-١١-١٩٤٤ في القاهرة على يد عصابة"شتيرن" الإرهابية الصهيونية التي كان يتزعمها إسحق شامير، وكرمت إسرائيل القتلة بدفنهم في مقبرة العظماء. وفي عام ١٩٤٦فجرت عصابة "الأرغون" الإرهابية الصهيونية فندق الملك داود في القدس، حيث كانت تقيم رئاسة الأركان البريطانية والحاكم البريطاني، وقد تبنى"بن غوريون" العملية التي كانت حصيلتها مئة قتيل بين إنجليز وعرب ويهود. وفي تموز عام ١٩٥٤ فجر إسرائيليون مؤسسات أمريكية وبريطانية في مدينتي القاهرة والإسكندرية والقي القبض على عدد منهم واعترفوا بالجريمة. وكان الهدف منها تخريب التقارب بين مصر وأمريكا واتهام الأخوان المسلمين بالعملية.وقد أدّت الأحداث إلى استقالة وزير الدفاع الإسرائيلي "لافون". وأثناء حرب عام ١٩٦٧ قام الطيران الإسرائيلي بهجمات على السفينة الحربية الأمريكية"ليبرتي"(Liberty) لمنعها من إعطاء أمريكا معلومات عن الحرب، فقتل (٣٤) أمريكا وجرح(١٧١).

٣- الإرهاب الإسرائيلي ضد العاملين في الأمم المتحدة ومؤسساتها

وفي عام ١٩٤٨ اغتال إرهابيون يهود الوسيط الدولي "كونت برنادوت" ومساعده بعد أن طالب بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى بيوتهم. ولم ينجُ مقر الأمم المتحدة في بلدة"قانا" جنوبي لبنان والذي يرفرف فوقه علم الأمم المتحدة بلونه الواضح المتميز. وفي موقع على الانترنت يصف الصحفي البريطاني المتخصص في الشرق الاوسط"روبرت فسك"(Rubert Fisk)

نتائج العمل الإرهابي الإسرائيلي عندما قصفت الطائرات الإسرائيلية مقر الأمم المتحدة في "قانا" الذي احتمى فيه عدد من المدنيين اللاجئين فيقول:

"لم أرَ منذ مذبحة مخيمي "صبرا وشاتيلا" الأبرياء يذبحون بمثل هذه الطريقة. اللاجئون اللبنانيون نساءً وأطفالاً ورجالاً كانوا أكواماً، وكانت أياديهم وأذرعهم وأرجلهم مفقودة، وكانوا مقطوعي الرؤوس أو أمعاؤهم خارج أجسادهم. وكان عددهم يزيد على مئة. رأيت طفلاً على الأرض بلا رأس... وأمام مبنى قوات الأمم المتحدة رفعت فتاة جثة رجل أشيب الشعر كانت عيناه تحملقان في الفتاة، وكانت تهز الجثة للأمام وللخلف بذراعيها، وهي تندب وتبكي وتصرخ مكررة نفس الكلمات: "أبي، أبي ووقف أحد جنود الأمم المتحدة وسط بحر من الجثث ورفع جثة طفل بلا رأس."

ولأنّ الغرب وضع إسرائيل فوق الشرعية الدولية والأمم المتحدة، ومنع معاقبتها على جرائمها، فقد عادت في خريف هذا العام، أثناء الحرب على لبنان، وقصفت مقر الأمم المتحدة في قانا وقتلت موظفين تابعين للأمم المتحدة. وهكذا بدلا من تحمي قوات الأمم المتحدة المدنيين الأبرياء في لبنان من جرائم إسرائيل، أصبحت تلك القوات عاجزة عن حماية نفسها من جرائم إسرائيل، وكالعادة لا تسأل إسرائيل عن جرائمها، لأنّ مصالح أمريكا الظالمة والغرب المنافق تقتضي أن يكون كلب حراسة مصالحها في المشرق قوياً بل عدوانياً.

٦-٤-١٠- الإسلام بريء من تهمة الإرهاب

الإرهابيون يقتلون الأبرياء دون تفريق بين طفل وكهل وامرأة، أما الإسلام فلم يسمح بالحرب والقتال إلا في حالات محددة أوضحناها في الفصل الثالث وهي تتلخص في حالات الدفاع عن النفس والدعوة والعرض والمال والوطن. كما استثنى الإسلام من الحرب الأطفال والشيوخ والنساء، وحرم قتل النفس بدون حق. ومن هنا يتضح الفرق بين حرب وقتال المسلمين وقتال الإرهابيين الذين يتعمدون قتل الأبرياء نساءً وأطفالا وشيوخاً ليثيروا الزعب ويحققوا مكاسب مادية أو لإشباع غرائزهم العنصرية الحاقدة.

وأكدت منظمة المؤتمر الإسلامي التي تضم "٥٧" عضواً رفض المؤتمر "استهداف أي دولة عربية أو إسلامية تحت ذريعة مكافحة الإرهاب، كما أكد المؤتمر على استعداد دوله في الإسهام بفاعلية في إطار جهد دولي وجماعي تحت مظلة الأمم المتحدة للقضاء على ظاهرة الإرهاب، ومعالجة أسبابه، واجتثاث جذوره، وتحقيق الاستقرار والأمن الدوليين". وأدان وزراء خارجية منظمة المؤتمر الإسلامي "أيّة محاولات تزعم بوجود رابطة أو علاقة بين الدين الإسلامي الحنيف والأعمال الإرهابية المشينة، داعين إلى وجوب التفريق بين الإرهاب وحق الشعوب بما فيهم الشعبان الفلسطيني واللبناني في

مقاومة الاحتلال والعدوان الأجنبي"الإسرائيلي" كما شجبوا "إرهاب الدولة الذي تمارسه الحكومة الإسرائيلية "ضد الشعب الفلسطيني ودعوا مجلس الأمن الدولي إلى "توفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي لكافة الأراضي الإسرائيلية والعربية "التي احتلتها عام ١٩٦٧.(٩٦)

ونفى"روبرت بيب" أستاذ العلوم السياسية في جامعة شيكاغو تهمة الإرهاب عن الإسلام في كتاب له وقال:

"إنّ الإسلام لا يؤيد العمليات الإرهابية (يقصد الاستشهادية) وإنّ الظلم والمهانة اللذين ينزلهما الاحتلال بالناس هما السبب في تلك العمليات. دلل الرجل على ذلك بتنبيهه إلى أن العراق لم يعرف- (ما يطلق عليه اسم) العمليات الانتحارية قبل الاحتلال. ولكن هذه العمليات وصلت إلى ٢٠ في العام الأول. والى ٥٠ في العام التالي... وأضاف أن نمور التاميل في سيريلانكا وهم من أصول ماركسية لينينية منكرة للدين قاموا بـ ٧٦ عملية انتحارية من ٣١٥ عملية حدثت في العالم بين سنتي ١٩٨٠و ٢٠٠٣: بينما لم يتجاوز عدد العمليات التي قامت بها حركة حماس ٥٤، والجهاد الإسلامي ٢٧. كما أنّ بعض المنظمات الفلسطينية اليسارية والعلمانية قامت بعمليات أخرى ضد الاحتلال الإسرائيلي.
وأحصى المؤلف الأمريكي ١٨ منظمة تنشط في المساحة الممتدة من سيريلانكا إلى لبنان وكشمير والشيشان. تسعى جميعها إلى تحرير الأرض من براثن محتل أجنبي. وكما هو الحال في العراق، فإنّ نمور التاميل لم ينفذوا عملية واحدة قبل غزو الجيش لإقليمهم (التاميل) عام ١٩٨٧. ولم يلجأ الفلسطينيون إلى العمليات الاستشهادية قبل التوسع الاستعماري(المستوطنات) الواسع في الثمانينيات. ولم تعرف دول عربية أخرى ظاهرة العمليات "الانتحارية" إلا إذا كان الأمر مرتبطا بالوجود العسكري الأجنبي- بما يمثله من مهانة وإذلال للكبرياء الوطنية.(٩٧)

وهناك فرق كبير بين العمليات الاستشهادية للمجاهدين وعمليات الانتحار. الجهاد والمقاومة دفاعا عن النفس والوطن وللتحرر من الاستعمار والاحتلال أمر مشروع، أقرته الشرائع السماوية والقوانين الوضعية. يقول شيخ الجامع الأزهر بشأن العمليات الاستشهادية في فلسطين:

الجهاد لصد العدوان وتحرير الأرض المغتصبة واجب المسلم في كل مكان وفي كل عصر... شرع الجهاد في الإسلام لدفع عدوان المعتدين... وهذا ما يقوم به إخواننا الآن في فلسطين المحتلة، فجهادهم ضد العدوان وضد الظلم، وضد البطش الإسرائيلي جهاد مشروع ومشرّف ويجب على الأمة كلها أن تقدم لهم العون، وأن تناصرهم في جهادهم، ويكفيهم شرفاً أنهم يجاهدون باسم الأمة

كلها، ويقدمون أرواحهم فداء لدين الله، ودفاعاً عن المسجد الأقصى المبارك، ويكفي هؤلاء الشهداء الأبرار مدحاً وشرفاً قول الله عزّ وجل" ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون.."لذلك فالأمة كلها مع جهاد الشعب الفلسطيني، تؤيدهم وتقف خلفهم، وتناصرهم في الدفاع عن مقدساتهم، وتؤكد حقهم المشروع في الجهاد لوقف العدوان والظلم الذي يعانون منه منذ أن ابتلاهم الله وابتلى الأمة كلها بما يسمى "إسرائيل" .(٩٨)

٦-٤-١١- كيف نضع حداً للإرهاب؟

إذا استثنينا إرهاب المافيا وقطاع الطرق، فان غالبية الإرهاب إن لم يكن جمعيه سببه تسلط الحكومات الباغية، والمستعمرة والمحتلة، والظلم الذي تلحقه بالآخرين، واضطهادهم، وانتهاك حقوقهم الإنسانية. ولذلك فقد أكدت مصادر عديدة أنّ وقف الاستعمار والاحتلال والتسلط وانتهاك حقوق الإنسان هو متطلب أساسي لوضع حد للإرهاب.

ومن الأمثلة على تلك المصادر ما ذكره رئيس بلدية لندن "كين لفنجستون" من أنه لا يدين فقط العمليات "الانتحارية" بل يندد أيضا بالحكومات التي ترتكب مجازر بشكل عشوائي للمضي قدما في سياستها الخارجية وأضاف بأنه لو كانت بريطانيا تحت الاحتلال الأجنبي فإنها ستضم عدداً كبيراً من الإرهابيين.(٩٩)

وذكر الصحفي "مايكل روز" أنه دون وجود استراتيجية للخروج من العراق وحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي فإنّ على الغرب أن يتوقع المزيد من الهجمات على غرار تلك التي شنت في أيلول.(١٠٠)

وجاء في قرار الاتحاد الأوروبي"أنّ مكافحة الإرهاب يجب أن تبدأ- قبل الأعمال العسكرية- بحل النزاعات الإقليمية وخصوصاً القضية الفلسطينية، باعتبار أنّ موقف الولايات المتحدة من الإرهاب ودعمها اللامحدود للكيان الصهيوني هو أهم الأسباب التي تولد المواقف العدائية للولايات المتحدة بين العرب والمسلمين.(١٠١)

وطالب الصحفي البريطاني"باتريك سيل" الإعلام العربي بتحمل مسؤوليته في توضيح حقيقة أنّ العنف القائم وجذور الإرهاب لا تكمن في الأرض العربية أو الإسلامية، ولكنها تنبع في الأساس من السياسيات الأمريكية المنحازة والسياسات الإسرائيلية المتطرفة، مؤكداً أنّ علاج الإرهاب لن يتسنى إلا بعلاج وتعديل تلك السياسات.(١٠٢)

وقال "متشل ستويل"(Mitchel W. Stowell) : "إنّ أهم شيء يمكن أن تفعله أمريكا لمنع الإرهاب هو تغيير سياساتها تجاه الشرق الأوسط... ووقف الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي غير المشروط لحكومة إسرائيل اليمينية واحتلالها واستعمارها غير المشروط للضفة الغربية وقطاع غزة (١٠٣)

هوامش الفصل السادس

١	إبراهيم زيد الكيلاني، همام إبراهيم سعيد، صالح ذياب هندي، "دراسات في الفكر الإسلامي"(عمان: دار الفكر للنشر، ١٩٨٨) ص (٢٤٧)
٢	حزب التحرير، "حتمية صراع الحضارات"(صفر ١٤٢٣هـ أيار ٢٠٠٢م) ص(٤)
٣	الكيلاني، مصدر سبق ذكره، ص(٢٩٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٤)
٤	George Lenczowsri (edizor (, "United States interests in the Middle East"(Washington D.C.: American Enterprise Institure For Policy Resenrch, 1968) p. (2)
٥	Lexicon Universal Encyclopedia, (New York: Lexicon Publications Ltd., 1988) Volume 17, p. (142).
٦	أحمد القصص،"أسس النهضة الراشدة" (بيروت: دار الأمة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)
٧	حسن علي الخربطلي"العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة الإسلامية"(القاهرة : جامعة الدول العربية، ١٩٦٩) ض(٨٧)
٨	Jacques Ellul, Introduction to: Bat Yoer" The Thimmi.Jews and Christians under Islam" (London and Toronto: Associated University Press, 1985) p. (26)
٩	الحياة الجديدة ٢٠٠٢/١/٢٥
١٠	Edward Mcnall Burns et. Al (editers) "Western civilization. Their History and Their Culture) USA: WW.Norton and Company, Inc., 1980, p.276
١١	Edward J.Bying,"The World of the Arabs"(Boston: Little Brown and Company, 1949) pp.232-269)
١٢	عزمي طه السيد وآخرون، "الثقافة الإسلامية" (القدس: جامعة القدس المفتوحة، ٢٠٠١، ص(١١١)
١٣	يوسف القرضاوي،"الحلول المستوردة وكيف جنت على امتنا"(القاهرة: مكتبة وهبة،١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص(١١٥) .
١٤	عزمي طه السيد، "الثقافة الإسلامية" مصدر سبق ذكره، ص(٤٠٢-٤٠٣)
١٥	عزمي السيد وآخرون، ص(٤٠٣) إبراهيم النجار وآخرون، "الثقافة الإسلامية وطرائق تدريسها"(القدس: جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٣))ص(٤٠)
١٦	فهمي هويدي، القدس ١٩٩٥/٨/١.
١٧	روجيه غارودي،"في سبيل حوار الحضارات" (بيروت: عويدات للنشر والطباعة ،١٩٩٩) ص(٧٦)
١٨	النجار ، مصدر سبق ذكره، ص(٤)
١٩	محمد باقر الصدر "اقتصادنا، دراسة موضوعية للمذاهب الاقتصادية للماركسية والرأسمالية والإسلام"(بيروت: دار الكتاب اللبناني،١٩٧٧). ص(٢٥٧-٢٦٥) وص(٦٣٠-٦٣٢)

تقي الدين النبهاني ، "النظام الاقتصادي في الإسلام" ط٤(د.م. منشورات حزب التحرير، ١٩٩٠) ص(٦٨-٧٠).	٢٠
باقر الصدر، مصدر سبق ذكره، ص(٥٠٨-٥٠٩)	٢١
باقر الصدر، مصدر سبق ذكره ،ص(٦٤٩) النبهاني ، مصدر سبق ذكره، ص(٦٩-٧٠)	٢٢
باقر الصدر، ص(٢١٦-٢١٧)	٢٣
محمد موسى،"أضواء على العلاقات الدولية والنظام الدولي"(بيروت: دار البيارق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ج١، ص(١٠٣)	٢٤
إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون، "دراسات في الفكر العربي الإسلامي"(عمان: دار الفكر للنشر، ١٩٨٨) ص (١٩٦)	٢٥
يوسف القرضاوي،"الحلول المستوردة وكيف جنت على امتنا"(القاهرة: مكتبة وهبة،١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص(٣٥٢)	٢٦
نوع تشومسكي،"الربح فوق الجميع.اللبرالية والنظام العولمي"(رام الله: دار التنوير للطباعة والنشر، ٢٠٠٠) ص(٧٢-٦٢،٧٣)	٢٧
روجيه غارودي، الحياة الجديدة،١٩٩٣/٤/١١.	٢٨
Edward Bying,"The World of the Arabs"(Boston: Little Brown and co.Ltd., 1944) p.(233).	٢٩
أحمد شلبي،"مقارنة الأديان"(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦) الجزء الثاني: المسيحية، ص(٧٣-٧٥)	٣٠
يوسف أيوب حداد، "هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين؟)(بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والاعلان، ٢٠٠٤) ج١، ص(٣٣٧) George Carter" Outlines of English ?history"(London. Rolefe Brothers Ltd.,1924) P.(72)	٣١
صامونيل هنتنغتون، "صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي" (....١٩٩٩) ترجمة طلعت الشايب، ص(٣٤١)	٣٢
روجيه غارودي،"في سبيل حوار الحضارات"(بيروت: عويدات للنشر والطباعة، ١٩٩٩) ص(٦١-٦٣)	٣٣
إسماعيل محمد هاشم،"أساسيات الاقتصاد التحليلي" (الإسكندرية:دار المعارف، ١٩٦٤) ص(٢٥) سعدي الخياط وآخرون، "علم الاقتصاد"(القدس: مكتبة الأندلس، د.ت.) ص(١٤)	٣٤
منير شفيق، "الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات "(تونس: دار البراق للنشر، ١٤١١هـ/١٩٩١م) ص(٥١-٥٢)	٣٥
جون اسبوزيتو، "الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع"(سوريا-اللاذقية: دار الحوار للطباعة والنشر، ٢٠٠٢) ص(٣٢٨-٣٢٩)	٣٦
منير شفيق،"الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات"(تونس:دار البراق للنشر، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ص(٥١-٥٢)	٣٧
أحمد القصص"أسس النهضة الراشدة"(دار الهدى للطباعة والنشر ١٩٩٢) ص(٥٠-٥٢) الحياة الجديدة، ٢٠٠٢/٥/٢٧.	٣٨
رسول محمد رسول، "استدراج التعالي الغربي"(عمان: دار أسامة، ٢٠٠٠)ص (٧٨)	٣٩
الحياة الجديدة ٢٠٠٦/٣/٩	٤٠
فتحي يكن،"العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري"(بيروت: دار الرسالة، ١٩٨٢) ص(٦٥)	٤١
الحياة ٢-٩-٢٠٠١١	٤٢
فهمي هويدي، ١٥ ركنً تحدد معالم المشروع الحضاري الإسلامي" القدس ١٩٩٥/٨/١.	٤٣
منير شفيق،"الإسلام في معركة الحضارة"(القدس: ودالة أبو عرفة للصحافة والنشر، ١٩٨٢) ص(٧-٨)	٤٤
ادوارد سعيد، جريدة القدس، ١٩٩٥/٢/٢٦	٤٥
رسول محمد رسول، "استدراج التعالي الغربي"(عمان: دار أسامة، ٢٠٠٠) ص (٧٢)	٤٦
محمد حسين هيكل، صراع الحضارات" الحياة الجديدة ١٥-٣-٢٠٠٦	٤٧
يوسف القرضاوي،"المسلمون والعولمة " (بورسعيد : دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م) ص(١١١)	٤٨

٤٩	القرضاوي، " المسلمون والعولمة" ص(١١٣-١١٤)
٥٠	(الحياة الجديدة ٣٠/٤/٢٠٠٤)
٥١	هنتنغتون، صراع الحضارات، ص(٣٤٢)
٥٢	هنتنغتون، صراع الحضارات، ص(٣٤٢)
٥٣	هنتنغتون، صراع الحضارات، ص(٥٠٠-٥٠٢)
٥٤	(جريدة القدس ٢٧/٤/٢٠٠٤)
٥٥	القدس ١٤-٧-٢٠٠٢
٥٦	(الحياة الجديدة، ٣٠/٩/٢٠٠٥)
٥٧	(الحياة الجديدة، ٧/١/٢٠٠١)
٥٨	القدس ١١/٦/١٩٩٨
٥٩	جريدة (الحياة الجديدة، ٣/٥/٢٠٠٢
٦٠	جعفر شيخ الإسلام، صراع الحضارات ومستقبل الدعوة الإسلامية "بحث قدم لمؤتمر عقدته مجلة"البيان" في الخرطوم ١٧ رجب.
٦١	القدس ١٤/٩/٢٠٠٤
٦٢	الحياة الجديدة ١٧/١٠/٢٠٠١)
٦٣	(Latef.Net)
٦٤	القدس ٢٦/٢/١٩٩٥
٦٥	جون اسبيرزينون"الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع" (سوريا- اللاذقية: دار الحوار للطباعة والنشر، ٢٠٠٢) ص(٣١٣)
٦٦	جريدة تشرين، ١٤ كانون الأول/٢٠٠٢ "موقع إسلام اون لاين"
٦٧	١٤٢١يوسف، القرضاوي، "المسلمون والعولمة"(القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ص(٧-١٧)
٦٨	ينير شيلغ، هآرتس، الحياة الجديدة ٢٣/٧/٢٠٠٢
٦٩	زهدي عبد لمجيد سمور، "تاريخ العرب المعاصر"(القدس: جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٦،ص(٢٦١ ، ٢٦٤)
٧٠	جريدة الأيام ٢-١-١٩٩٩انقلا عن الحياة اللندنية
٧١	هنري كيسنجر، "هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟"(بيروت: دار الكتاب العربي:٢٠٠٢) ص (٢٢١)
٧٢	بتصرف واختصار عن: محمد بن سهو سعيد أبو زعرور، "العولمة: وأهميتها، نشأتها، أهدافها، الخيار البديل" (عمان: دار البيارق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م) ص(٣٥-٣٧)
٧٣	Nassar Ibrahim and Majed Nassar, "Theses on Globalisation and Palestinian Resistance" in Samir Amin et. Al. " Globalisation and Palestinian Struggle"(Jerusalem: the Alternatrve Information center, 2002) pp. (42-47)
٧٤	طارق البشري ،" العرب في مواجهة العدوان"(القاهرة: دار الشروق ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)ص (١٥)
٧٥	جريدة الأيام ٢-١-١٩٩٩
٧٦	نوعم تشومسكي،"الربح فوق الجميع الليبراليه الجديدة والنظام العملي " (رام الله: دار التنوير للطباعة والنشر، ٢٠٠٠) ص(٤٦،١٥٤،١٧،٨٩)
٧٧	جلال أمين، "عولمة القهر، الولايات المتحدة والعرب قبل وبعد أحداث سبتمبر ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م) ص(١٢٩)
٧٨	بول كينيدي،"في عصر العولمة هل تعيد الإمبراطورية شراء ما باعته؟" الحياة الجديدة ٤/٣/٢٠٠٦
٧٩	موقع الدكتور الشيخ "محمود عكام" على الانترنت.
٨٠	يوسف القرضاوي،"المسلمون والعولمة" (القاهرة: دار السلامية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص(٤٦-٤٨)
٨١	القرضاوي، المصدر نفسه.
٨٢	محمد أبو زعرور، ص(٨٧- ٨٨)
٨٣	مركز دراسات الشرق الأوسط – الأردن. ندوة المفكرين العرب – عمان – تموز ٢٠٠٣

٨٤	(جريدة الرسالة ١٩٩٩/٧/٨)
٨٥	احمد محمد رفعت، صالح بكر الطيار، "الإرهاب الدولي"(باريس: مركز الدراسات العربي/الأوروبي،١٩٩٨) ص(٢٠٨-٢٠٩)
٨٦	الأيام، ١٢-٨-٢٠٠٥
٨٧	فرانسيس بويل،"فلسطين للفلسطينيين والقانون الدولي " (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) ص(١٩٧)
٨٨	الحياة الجديدة ٢٢-٣-٢٠٠٦
٨٩	الحياة الجديدة ١٢-٤-٢٠٠٦
٩٠	(الحياة الجديدة ٢٠٠٢/١/٣٠)
٩١	روجيه غارودي "أمريكا طليعة الانحطاط" (القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٠هـ،١٩٩٩م) ص(١٤٨)
٩٢	(الأيام ٢٠٠٤/٤/٥)
٩٣	عبد المنعم سعيد، "أمريكا والعالم والحرب الباردة وما بعدها"(القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٣) ص(٢٠٢)
٩٤	Stephen Zunes,"10 Things to Know About the Middle East" (Alternet) October 2001
٩٥	Cheryl Rubenburg "Israel and the American National Interest, p.(2-3)
٩٦	(الحياة الجديدة ٢٠٠١/١٠/١١)
٩٧	(الحياة الجديدة ٢٠٠١/١٠/١١)
٩٨	(الحياة الجديدة ٢٠٠١/١٠/١١)
٩٩	الحياة الجديدة ٢٠٠٥/٧/٢١
١٠٠	الأيام ٢٠٠٤/٨/١٣
١٠١	الحياة الجديدة ٢٠٠١/٦/٢٧
١٠٢	الحياة الجديدة ٢٠٠٢/٥/٣
١٠٣	Mitchel W.Stone,"The Armageddon Story March 25, 2002. www.swans.com.library

الفصل السابع
فلسطين وإسرائيل و الشرعية الدولية
وجرائم الغرب وإسرائيل بحق شعب فلسطين

فلسطين وإسرائيل الشرعية الدولية
وجرائم الغرب وإسرائيل بحق شعب فلسطين

٧-١- فلسطين ملك الشعب العربي الفلسطيني منذ آلاف السنين

فلسطين هي أرض الشعب العربي الفلسطيني الذي امتلكها وأقام فيها منذ آلاف السنين بدءًا بالكنعانيين العرب والأقوام العربية الأخرى، مروراً بالفتح الإسلامي عام ٦٣٧م والى يومنا هذا.وقد ثبت من الباب الثاني عدم قانونية الحقوق الدينية والحقوق التاريخية، كما أنه من الواضح بطلان وعد بلفور، وأنّ الانتداب خالف ميثاق عصبة الأمم، وعمل على إنشاء الوطن القومي اليهودي على حساب الشعب العربي الفلسطيني . وأثناء سريان الانتداب كان شعب فلسطين يتمتع " بمركز دولي مستقل ويملك السيادة على أرضه، وكانت لفلسطين هويتها الخاصة بها، والمتميزة عن هوية الدولة المنتدبة... ولدى انتهاء الانتداب ... أصبح الشعب (الفلسطيني) ... مؤهلاً لأن يحكم نفسه بنفسه" . (١)

وبموجب الشرعية الدولية تخضع الأراضي الفلسطينية والعربية السورية واللبنانية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ للمبدأين التاليين :أولا: مبدأ عدم جواز احتلال الأرض بالقوة.ثانياً: تخضع السلطات المحتلة في إدارتها للأقاليم المحتلة لاتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩. وهذا ينطبق أيضا على الأراضي التي احتلتها إسرائيل عامي ١٩٤٨/١٩٤٩ زيادة عما خصص لها بموجب قرار التقسيم.

ورغم أنّ قرار التقسيم رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ كان ظالماً لعرب فلسطين ، وأنّ الجمعية العامة للأمم المتحدة تجاوزت فيه صلاحياتها ، وأنّه تم تحت الضغوط الإمبريالية الأمريكية والصهيونية ، إلا أنّه أقر بمبدأ قيام دولتين في فلسطين ، واحدة عربية والأخرى يهودية. و بتاريخ ١٩٨٨/٧/١ ، أعلن الملك حسين قرار الانفصال الأردني عن الضفة الغربية "فكّ العلاقات القانونية والإدارية" بين الأردن والضفة الغربية.وذكر أنّه فعل ذلك تمشّياً مع رغبة م.ت.ف. والتوجّه العربي العام المنسجم وهذه الرغبة لتأكيد الهوية الفلسطينية.(٢)

وفي خطوة دبلوماسية ناجحة للفت أنظار العالم إلى القضية الفلسطينية، ومأساة الشعب الفلسطيني، وأهدافه، وطموحاته، "أعلن الرئيس ياسر عرفات يوم ١٩٨٨/١١/١٥ في نهاية اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته أل (١٩) في الجزائر إعلان الاستقلال الفلسطيني "قيام الدولة الفلسطينية المستقلة". وتوالت الاعترافات بالدولة الفلسطينية حتى وصلت إلى أكثر من مائة دولة، واعتبر المراقبون السياسيون أنّ خطوة إعلان الاستقلال الفلسطيني

أعطت الانتفاضة زخماً سياسياً عالمياً، وأدّت في الوقت نفسه إلى زيادة العزلة الدولية لإسرائيل. " (٣)

وبتاريخ ١٩٨٨/٨/٢٣، أصدر الرئيس ياسر عرفات بناءً على توصية اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. قراراً يعلن مسؤولية المنظمة إزاء مواطني الضفة الغربية، بعد قرار الانفصال الأردني.(٤)

وبتاريخ ١٣-٩-١٩٩٣وقع اتفاق إعلان مبادئ بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية اعترفت فيه المنظمة بدولة إسرائيل، مقابل اعتراف إسرائيل بمنظمة التحرير ممثلاً للشعب الفلسطيني، وعلى إقامة حكومة انتقالية فلسطينية، وعلاقات سلام بين الفلسطينيين وإسرائيل. ولكن إسرائيل بعد أن حصلت على اعتراف المنظمة بها، لم تلتزم بما وقعت عليه. وارتكبت جرائم بحق الفلسطينيين في فترة ما يسمى بالسلام، أبشع من تلك التي ارتكبتها قبل ذلك.وكما نوهنا، فلا ننوي هنا مناقشة ما يسمى بالسلام ، فلم يكن هناك سلام أصلاً، وقد ناقشنا هذا الموضوع في كتابنا : "الجريمة غربية أمريكية وفلسطين الضحية الذي صدر عام ٢٠٠١م.

وفي رأيها الاستشاري الصادر بتاريخه ٢٠٠٤/٧/٩، أدانت أعلى هيئة حقوقية دولية - محكمة العدل الدولية- الإجراءات غير القانونية التي تقوم بها إسرائيل في بناء جدار الفصل العنصري على أراضي الضفة الغربية المحتلة، واعتبرته غير شرعي، وطلبت تعويض الفلسطينيين المتضررين من بنائه، وأدانت بناء المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة. كما أدانت الجمعية العامة للأمم المتحدة بناء الجدار وطلبت من إسرائيل تدمير أجزائه الموجودة في الأراضي الفلسطينية، والتعويض مالياً عن الأضرار التي ألحقها الجدار بالفلسطينيين، ولكن إسرائيل تجاهلت طلبات محكمة العدل الدولية.

٧-٢- إسرائيل والشرعية الدولية

يشهد التاريخ، وتؤكد المصادر العالمية الموضوعية، بما فيها المصادر الغربية واليهودية الموضوعية، أن إسرائيل لا شرعية دولية لها، وإنما أقامها الاستعمار على أساس القوة والعدوان. ولنقرأ شهادة العالم الفرنسي الجنسية، اليهودي الأصل، "روجيه غارودي" الذي يقول:

١- لا تملك دولة إسرائيل الصهيونية، حيث زرعت هنا، أية شرعية: لا تاريخية ولا توراتية ولا قانونية، ولا خلقية. ويجعل منها مسلكها...دولة عنصرية توسعية إرهابية، في عداد أسوأ الدول...
٢- العقيدة الأساسية لدولة إسرائيل هي الصهيونية السياسية الناشئة ليس عن التراث اليهودي الذي لا يفيدها إلا للتمويه والابتزاز بل عن النزعة القومية والاستعمار الغربي في القرن التاسع عشر، وهي شكل من أشكال العنصرية، والنزعة القومية، والاستعمار.

٣- لم تخلق هذه الدولة الناشئة عن أيديولوجية مخادعة، وعن سلسلة من أعمال العنف والإرهاب، إلا بقرار غير مشروع من منظمة الأمم المتحدة(الخاضعة للقوى الاستعمارية)، وبضغوط ورشاوى مخزية، وعاشت ليس بعملها الخاص وبقواها الخاصة، بل كالصليبيين في الماضي بتدفق المال والسلاح إليها من الغرب، ولا سّيما بدعم غير مشروط وغير محدود من الولايات المتحدة التي جعلت بها جزءاً سيئاً من استراتيجيتها العالمية،وإسفيناً مغروساً في الشرق الأدنى.(٥)

إنّ قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨مخالف للقانون الدولي. هذه حقيقة رغم أنف الطغاة والمكابرين المستعمرين الغربيين. وهذا ما أدلى به "هانز كوشلر" رئيس منظمة التقدم الدولية في محاضرة ألقاها في مركز زايد للتنسيق والمتابعة في "أبوظبي"،كما ورد في جريدة الحياة الجديدة بتاريخ ١-٨-٢٠٠٢م.
واليهود الذين كانوا يقيمون في فلسطين منذ القدم هم مواطنون فلسطينيون بمعنى الكلمة، وقد عاشوا مع أهالي فلسطين المسلمين والمسيحيين لمدة ثلاثة عشر قرناً في إخاء وسلام. أما المستعمرون الصهاينة الذين جلبهم الاستعمار الغربي والصهيونية المسيحية لإقامة قاعدة للغرب في قلب العالمين العربي والإسلامي فهم معتدون دخلاء ، ولا حق لهم في فلسطين .

وكان قيام إسرائيل فريداً من نوعه في التاريخ، فكان اليهود يشكلون أقلية ضئيلة في فلسطين، ولم يثوروا مطالبين بتقرير مصيرهم، وإنما طالب الاستعمار الغربي لهم بهذا الحق لهم نيابة عنهم، وبجبروته وقواته وتمويله أقام دولة لتكون قاعدة له في المشرق.وقد أقيمت إسرائيل على حساب الشعب الفلسطيني الذي ارتكبت بحقه المجازر البشعة، وشرد من وطنه، أما من استطاع البقاء فقد حرم جزء كبير منه من حقه في أرضه ومن حريته.

لقد صنعت إسرائيل من قبل الغرب، وبقوة الغرب، ولحساب ذلك الغرب، ولم تحترم الشرعية الدولية، ولا ميثاق الأمم المتحدة، كما سنوضحه بالتفصيل فيما بعد. **ورغم أنّ إسرائيل ولدت بقرار من الأمم المتحدة، وتعهّدت بأن تحترم ميثاق الأمم المتحدة، وقراراتها، التي كان من ضمنها قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، والذي رسم خرائط مفصلة للمنطقة الخاصة بكل منهما، وقرار حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة والتعويض، إلا أنّها رفضت التقيد بالمواثيق والعهود الدولية، وقرارات الأمم المتحدة، واحتلت منطقة أوسع من تلك التي خصصتها لها الأمم المتحدة عام ١٩٤٧. إذ احتلت عام ١٩٤٨ ٧٧،٦ % من فلسطين بدلاً من ٥٦،٤ %، كما شنت عدة اعتداءات على**

جيرانها، منتهكة بذلك اتفاقات الهدنة ووقف إطلاق النار.ورفضت قرارات الأمم المتحدة التي دعتها إلى إعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم.

وهكذا فإن احتلال إسرائيل ٧٧% من فلسطين بدلا من ٥٦% حسب قرار التقسيم يعني أن حوالي ٢١% من فلسطين الذي احتلته إسرائيل في حرب ١٩٤٨/١٩٤٩هو أمر غير مشروع، وأن تلك الأراضي احتلت بالقوة، خلافا للقانون الدولي ، ويجب أن تنسحب منها إسرائيل ، وتعاد إلى أصحابها الفلسطينيين العرب.

٧-٢-١- إسرائيل تنتهك القانون الدولي

١- لم تحترم إسرائيل المبدأ الدولي الراسخ وهو" مبدأ عدم جواز اكتساب الأرض عن طريق القوة " بل تحدّت الرأي العام العالمي الذي يؤمن به ، كما تحدّت ذلك المبدأ، رغم القرارات العديدة التي طلبت فيها الأمم المتحدة من إسرائيل احترام ذلك المبدأ .

ب-لم تحترم إسرائيل معاهدة جنيف الرابعة لسنة ١٩٤٩التي تلزم المحتل بالتزامات كثيرة فتحرّم ضم الأراضي المحتلة، وتغيير بنيتها ، وقوانينها وإبعاد المواطنين، ومصادرة ممتلكاتهم وهدم بيوتهم، وانتهاك حقوقهم الإنسانية، وهو الأمر الذي سنوضحه لا حقاً.

ونظراً لأن إسرائيل من صنع الغرب، و دخيلة على المنطقة، وكالاستعمار تقوم على العنف والتوسع، وتضع نفسها فوق الشرعية الدولية، وتخلق لنفسها شرعية خاصة بها، فهي لا تتقيد بالعهود والاتفاقيات التي تبرمها أو تلتزم بها.ولذلك تحدت إسرائيل العالم أجمع، والشرعية الدولية ، والأمم المتحدة وضربت بقراراتها عرض الحائط، وصنعت لنفسها شرعية خاصة بها. وقد استطاعت القيام بكلّ ذلك لأنّ الولايات المتحدة الأمريكية، ودولاً غربية أخرى كانت- ولا تزال - تدعمها وتحميها في مجلس الأمن والذي كانت من خلاله تعطل مفعول الشرعية الدواية.وهي لن ترتدع ما لم تسود شريعة القانون والعدل، بدل شريعة الغاب، أو أن تظهر مقاومة قوية لها ولأولياء أمورها في الغرب.

٧-٢-٢- إسرائيل تنتهك ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها

قامت إسرائيل باعتداءات على جيرانها الفلسطينيين والعرب، وانتهكت اتفاقات الهدنة، وميثاق الأمم المتحدة، فكانت القرارات التالية هي بعض القرارات التي أصدرها مجلس الأمن الدولي والتي أدان فيها إسرائيل، أو انتقدها، أو حذرها فيها بعدم تكرار مثل هذه الأعمال. وقد امتنعت أمريكا عن

التصويت على بعض هذه القرارات، حيث سجلت ملاحظة بذلك في نهاية القرار.

٧-٣- بعض جرائم إسرائيل بحق فلسطين والعرب والمسلمين

٧-٣-١- حرب إسرائيل عام ١٩٤٨ حرب غربية الأهداف والإعداد والتمويل، صهيونية التنفيذ

ارتكبت إسرائيل بأسلحة وتخطيط وتمويل غربي مجازر بحق شعب فلسطين تعتبر جرائم حرب، وطردت غالبية أهالي فلسطين من و... واستولت على أملاكهم الخاصة خلافاً لجميع الأعراف والقوانين. وعلاوة على ذلك ، فقد حرمت أعداداً كبيرة من أهالي فلسطين الذين تمكنوا من البقاء في بيوتهم من حقهم في أراضيهم وعقاراتهم بحجج مختلفة سبق وأن أوضحناه في الفصل الرابع. وخلافاً لكل الأعراف والقوانين رفضت - ولا تزال ترفض- عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى بيوتهم.

ورغم أنّ الاحتلال النازي هو أسوأ احتلال سجله التاريخ، فقد أصبح من الثابت أنّ الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، كان في كثير من جوانبه أسوأ من الاحتلال النازي لفرنسا على سبيل المثال. فعندما احتلت ألمانيا النازية باريس في الحرب العالمية الثانية، لم يذبح النازيون أهلها، ولم يطردوهم من بلدهم، ولم ينهبوا الممتلكات الخاصة وينقلوها في شاحنات إلى ألمانيا، كما لم يحضروا مدنيين ألمان ليستوطنوا أراضي الفرنسيين الخاصة كما فعلت إسرائيل.

وقد دارت الحرب في فلسطين عام ١٩٤٨ بين القوى الصليبية الغربية الصهيونية الهائلة من جهة، وبين الشعب الفلسطيني الأعزل الذي كان يرزح تحت الاستعمار البريطاني.وبين الحربين العالميتين الأولى والثانية، ظلت القوى الإمبريالية الغربية، وخاصة بريطانيا وأمريكا تعمل لإعداد جيش صهيوني لاحتلال فلسطين، كي تقيم لها فيها قاعدة تحرس مصالحها. وهكذا كان التخطيط والتمويل والتدريب والتسليح والقرار في حرب عام ١٩٤٨ قراراً غربياً، أما التنفيذ فكان صهيونياً.

وكانت النتيجة أن احتلت إسرائيل (٤و٧٧%) من مساحة فلسطين، أي زيادة عن (٢١%) عما خصصه لها مشروع التقسيم ، وارتكبت إسرائيل أبشع المجازر في دير ياسين والدوايمة وغيرها من الأماكن ،الأمر الذي تسبب في تشريد أهالي فلسطين ، وكان مجموع القرى العربية التي هدمتها إسرائيل أثناء حرب عام ١٩٤٨ وفي أعقابها (٣٨٥) قرية من أصل (٤٧٥) قرية في فلسطين .(٦)

وخلافاً للفتح الإسلامي الذي أعطى أهالي فلسطين الأمان على أرواحهم وممتلكاتهم، وسمح لهم بحرية الاعتقاد والعبادة، مقابل الجزية من الذكور

البالغين القادرين، فقد شنت إسرائيل حرب إبادة وتطهير عرقي ضد الشعب الفلسطيني، متنكرة للأديان السماوية والوصايا العشر التي تحرم القتل بلا مبرر ،وخلافاً للقانون الدولي وحقوق الإنسان.

وبعد فتح أرشيف حرب عام ١٩٤٨ للجمهور اعترفت المصادر الإسرائيلية بأن إسرائيل قامت بما يلي:

(١)- قتل المدنيين - شباباً وكهولاً وأطفالاً ونساءً، وطرد الباقين جماعياً من مدنهم وقراهم.(٢)- هدم المدن والقرى بما فيها من أماكن مقدسة وتاريخية ومعاهد تعليم.(٣)- نهب ممتلكات عرب فلسطين من البنوك والمتاجر والبيوت.(٤)- هتك أعراض النساء واغتصابهن، و قتلهن وأطفالهن على أيديهن وصدورهن.(٥)-جلب يهود، وعنصريين متطرفين من شتى أنحاء العالم، ليحلوا محل الشعب الفلسطيني الذي شرده الغدر الغربي، بأيدي وكيله الصهيوني.

هذه هي بعض ممارسات إسرائيل الصهيونية التي يطلق عليها الغرب اسم "واحة الديمقراطية وحقوق الإنسان" في المشرق العربي والإسلامي. وسنورد هنا وجهات نظر بعض المصادر في تلك الممارسات.

انتقد الجنرال "كلوب" (Glub) الذي عمل قائداً للجيش العربي الأردني - قبل استقلال الأردن - لمدة طويلة، ممارسات إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني، وقال:

> من الضروري أن ندرك ظروف النزاع في فلسطين، التي لا مثيل لها.فقد شاهدنا حروباً عديدة خلال هذا القرن، حاولت فيها إحدى القوى فرض سلطتها على الآخرين. ولكن، لم يحدث في أي حرب خلال القرون العديدة الأخيرة، كان الهدف-ولا يزال- يتمثل في طرد شعب من وطنه، وإحلال شعبٍ آخر وعنصر مختلف بشكل كلي محله، ليحتل أرضه.وهذا بشكل خاص يضفي على نضال الفلسطينيين ميزة يائسة، لا مثيل لها في أية حرب من حروب التاريخ الحديث.(٧)

ووصفت المصادر الإسرائيلية جوانب من عمليات نهب إسرائيل لممتلكات الفلسطينيين فقالت:"في مدينة اللد وحدها شملت عمليات النهب أكثر من ٤٥،٠٠٠ بيت وشقة، وحوالي ٧،٠٠٠ متجر، و ٥٠٠ ورشة عمل، وأكثر من ألف مخزن.وأخذ الجيش الإسرائيلي حمولة ١،٨٠٠شاحنة من ممتلكات العرب".(٨)

وعدا عن عمليات الاغتصاب وهتك العرض، أعرب الإسرائيلي "أهارون سيزلنغ" (Aharon Cisling) عن الفزع الذي أصابه من جراء عمليات نهب مدينة الرملة ، وقال:" عندما يدخل الإسرائيليون مدينة، وبعنف ينتزعون الخواتم من الأصابع، والمجوهرات من آذان الفلسطينيات، فهذا أمر خطير جداً،

الكثيرون من الإسرائيليين ارتكبوا هذه الجريمة."(٩)

٧-٣-٢- احتلال قطاع غزة عام ١٩٥٦

جنت الإمبريالية البريطانية والفرنسية بعض الثمار التي زرعت إسرائيل في المشرق من أجلها، فاتخذت منها قاعدة لشن العدوان على قطاع غزة ومصر في شهر تشرين الأول عام ١٩٥٦، كما شاركت قواتها في ذلك العدوان. وقد شعرت أمريكا بأنّ ذلك يلحق ضررا بنفوذها ومصالحها في المنطقة ، فناشد الرئيس آيزنهاور الشعب الأمريكي أن يضع المصالح الأمريكية قبل أي اعتبار آخر. وأدانت إدارة آيزنهاور الاعتداء ، وعملت بطريقة قانونية تجاه إسرائيل في الأمم المتحدة عندما حاولت رفض الانسحاب من سيناء، وهددت بمنع المساعدات الأمريكية عنها". (١٠)

وأنذرت أمريكا والاتحاد السوفييتي إسرائيل بضرورة سحب قواتها إلى ما وراء خط الهدنة. واجتمع مجلس الأمن الدولي على الفور . واقترحت الولايات المتحدة الأمريكية قراراً باستنكار العدوان، فاستعملت بريطانيا وفرنسا حق الفيتو ضدّ القرار. عندها قررت أكثرية مجلس الأمن دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى جلسة طارئة في ١٩٥٦/١١/٢. وقررت الجمعية وقف إطلاق النار فورا وسحب القوات المعتدية من الأراضي المصرية، وأن تسحب إسرائيل قواتها إلى ما وراء خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩ . فاضطرت بريطانيا وفرنسا إلى سحب قواتها يوم ١٩٥٦/١٢/٢٣(١١)

ربما كان الرئيس آيزنهاور أول رئيس أمريكي – منذ قيام الأمم المتحدة- يضع مصلحة أمريكا الحقيقية قبل أي اعتبار آخر، ويحافظ في نفس الوقت على أن تسير سياسته على أساس المبادئ، وأجبر إسرائيل على الامتثال للشرعية الدولية بشكل لم تعهده إسرائيل منذ ذلك الوقت، وذلك لأنه رأى في انفراد بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بالحرب أمرا يهدد مكانة أمريكا ومصالحها في المنطقة، وليس مجرد إيمانه بالشرعية الدولية.

ويصف مصدر أمريكي مختص بالقانون الدولي الإجراءات التي اتخذتها أمريكا عندما رفضت إسرائيل الامتثال إلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، وضغوط أمريكا وروسيا بالانسحاب ، فيقول :

" قال الرئيس آيزنهاور هذا يثير مسالة مبدأ . فهل يسمح للدولة التي تهاجم وتحتل منطقة، في وجه معارضة الأمم المتحدة، بأن تفرض شروطا لانسحابها؟ إذا وافقنا بأنّ الاعتداء المسلح بوسعه أن يحقق أهداف المعتدي ، عندها فإني أخشى أننا سنكون قد أدرنا عقارب ساعة النظام الدولي إلى الوراء . وبالتالي سنكون قد أجزنا استعمال القوة كوسيلة لحل الخلافات الدولية، وأن يحصل المعتدي عن طريق ذلك

علـى مكاسـب وطنيـة ... لـيس أمـام الأمـم المتحـدة مـن خيـار سـوى ممارسة الضغط على إسرائيل للامتثال إلى قرارات الانسحاب".(١٢)

٧-٣-٣- حرب عام ١٩٦٧ حرب أمريكية التخطيط والأهداف إسرائيلية التنفيـــذ بدأ الإعداد لها عــــــام ١٩٦٣

أ-حرب عام ١٩٦٧ حرب الساعات الثلاث وليست حرب الأيام الستة

من الضروري تصحيح الخطأ الذي وقع في تسمية حرب عام ١٩٦٧ بحرب "الأيام الستة" واستبداله بحرب الساعات الثلاث. وقد نوه إلى ضرورة القيام بذلك التصحيح قائد سلاح الجو الإسرائيلي أثناء حرب عام ١٩٦٧ الجنرال "هود"(Hood) الذي يظهر بأنه رأى في تسميتها بحرب الستة أيام نوعاً من الإساءة لقواته وحطاً من قدراتها ، فأكد أنه استطاع التغلب على العرب والمسلمين أجمعين في "ثلاث ساعات"وليس في "ستة أيام" بعد أن دمر المطارات المصرية، دون أن يواجه بمقاومة جوية أو أرضية تذكر!! وقد احتاج الجيش الإسرائيلي إلى ستة أيام ليقطع المسافات الشاسعة بين تل أبيب وقناة السويس وهضبة الجولان السورية.

ب- الأسباب الحقيقية للحرب

اتخذت الدول الغربية العظمى من إسرائيل قاعدة متقدمة، أو كلباً لحراسة مصالحها في الشرق الأوسط. وبكلمات الصحفي الإسرائيلي "حجاي أيشد" في جريدة معاريف بتاريخ ١٩٧٤/٦/١٠ :"بالإمكان الاعتماد على إسرائيل لتنزل عقابا قاسيا بتلك الدول التي تتجاوز الحدود المناسبة في قلة أدبها تجاه الغرب" . وأنه بسبب أزمة الطاقة يحتاج الغرب لإسرائيل مثل حاجته لكلب حراسة ذي أسنان حادة مربوطة بالسلاسل الأمريكية الطويلة جداً، بحيث تأذن له بغرس أسنانه إذا تحدوه أكثر من اللازم. (١٣)

وفي أعقاب رفض دول عربية الاشتراك في الأحلاف الغربية التي اقترحتها أمريكا، وانتشار روح التحرر في كثير من تلك الدول، ومحاولة بعضها الحصول على الأسلحة من مصادر غير غربية، وبعد أن فشلت جميع الضغوط التي مارستها أمريكا على دول المنطقة؛ كما فشلت جميع الاعتداءات والغارات التي شنتها إسرائيل على العرب في إيقاف المد التحرري العربي، وفي إجبار العرب على التنازل عن حقوق الشعب الفلسطيني،عندها ، رأت أمريكا في ذلك تهديداً لمصالحها في المنطقة. لذلك،قررت توجيه ضربة للدول العربية من أجل إيقاف ذلك المدّ. وحفاظا على مصالح الولايات المتحدة في المنطقة. وقد أوكلت القيام بالاعتداء إلى كلب حراستها في المنطقة، أي

إسرائيل، بعد أن قامت بالتخطيط له، وبوضع كل إمكاناتها تحت سيطرته. وهكذا كانت حرب عام ١٩٦٧ حرباً أمريكية تخطيطاً وتمويلاً وعتاداً، لكن تحت الراية الصهيونية.

ج- الأسباب الكاذبة لحرب عام ١٩٦٧

وقد كذبت إسرائيل عندما ادعت أن حرب عام ١٩٦٧ جاءت ردا على استعدادات مصر لشن حرب عليها، إذ اعترفت المصادر الإسرائيلية أن إسرائيل استعدت لتلك الحرب عام ١٩٦٣ في أعقاب مذبحة قبية للفلسطينيين. ويكشف مصدر عسكري مطلع كيف خططت إسرائيل لحرب عام ١٩٦٧ قبل نشوبها بأربع سنوات فيقول :

" في عام ١٩٦٣ ... وفي أعقاب عدم الاستقرار في الأردن ، .. تبلور لدى جيش الدفاع الإسرائيلي قرار يقضي بالتوجّه للاستعداد لوضع خطة عملية للسيطرة على الضفة الغربية ، ... ، شرعت النيابة العامة العسكرية ، والمدعي العام العسكري، بالاستعدادات لإنشاء حكم عسكري، ... صيف ١٩٦٣ في أعقاب الأزمة السياسية في الأردن ، ... قررت ... إقامة ثلاث قيادات مناطقية لموضوع الحكم العسكري – قيادة لمنطقة سيناء وقطاع غزة، القيادة الثانية للضفة الغربية ، والقيادة الثالثة للهضبة السورية وجنوب لبنان ... ، كما تقرر إقامة قيادات خاصة بالألوية ... الجنرال حاييم هرتسوغ ..، وعيّن في السنة نفسها بوظيفة الحاكم العسكري المعد للضفة الغربية... وألقى على عاتقه مهمة " حاكم الضفة" ... وطلب أن يبدأ الاستعدادات العملية على فَرَضْ إمكانية فَرْضْ حكم عسكري.(١٤)

ويلاحظ التناقض في الأسباب التي ادعت إسرائيل بأنها استعدت للحرب من اجلها. فبينما قالت أن ذلك جاء لمنع تفاقم الاضطرابات التي وقعت في الضفة الغربية فقد أوضحت الخطة ، أن الاستعدادات تمت وأُعِدّت الألوية والحكام العسكريون لكل من قطاع غزة عام ١٩٦٣، وهو الأمر الذي يؤيد وجود مخطط أمريكي صهيوني مشترك لإخضاع العرب وفرض حل بالقوّة عليهم،وليس مجرد الرد على الاضطرابات في الضفة الغربية. وهذا يفند ادعاء إسرائيل أن العرب هم الذين بدوا الحرب.ويلاحظ أيضاً التخطيط الأمريكي الصهيوني للحرب قبل موعدها بأربع سنوات ، في مقابل الارتجال العربي.

وهكذا، تعددت أعذار وتبريرات الصهيونية/ الإمبريالية لحرب عام ١٩٦٧ ، فقد ادعت أن سبب الحرب منع تفاقم الأمور في الضفة الغربية عام ١٩٦٣،ثم ادعت أنّ العرب هم الذين بدؤوا الحرب عام ١٩٦٧، و يضيف مصدر صهيوني سببا ثالثاً للحرب، ويتلخص في أن الكتب السماوية اليهودية

تذكر أنّ الله قرر أن يحرّر اليهود هيكل سليمان في القدس عام ١٩٦٧. إن هذا التفسير الذي فسّر به العقل الصهيوني النفعي بعض آيات العهد القديم لا يخطر على بال، ولا يؤيده عقل ولا منطق ، باستثناء -طبعا- العقل النفعي الصهيوني. وحتى يبرّر نشوب حرب الأيام الستة بمبررات دينية، فقد رجع " شارل دلواخ" في كتابه " بذور النزاع" من اسحق وإسماعيل إلى ديان والسادات " إلى سفر" دانيال "في العهد القديم (الإصحاح الثامن:١-٤١) وفسر رؤيا دانيال ليبرّر به موعد نشوب تلك الحرب ، وتحرير هيكل سليمان.وتتلخص رؤيا "دانيال" -أي حلمه الذي تسبب في تزييف التاريخ بالخرافات- الذي عاش زمن الاسكندر المكدوني ذي القرنين عام ٣٤٤ ق.م في أنّ " دانيال سمع في المنام (الرؤيا أو الحلم) أنه " بعد ألفين وثلاث مئة صباح ومساء تتحرر القدس". وفسّر "دلواخ" ذلك أن اليوم يعني سنة ، وانه بعد ٢٣٠٠ سنة من عام (٣٣٤) ق.م. سوف يحرّر اليهود هيكل سليمان.

وبعملية حسابية فإن + ٢٣٠٠

- ٣٣٤ لأن هذا العدد قبل الميلاد (سالب)

تكون النتيجة =١٩٦٦

وهكذا يكون تحرير القدس حسب ادعاء دلواخ استنادا إلى "رؤيا" دانيال المزعومة هو عام ١٩٦٦م.، وليس عام ١٩٦٧. وحتى يطبّق الآية على عام ١٩٦٧، اخترع "دلواخ" مقولة أن السنة الميلادية تبدأ بصفر وعلى ذلك يجب إضافة واحد .وبذلك يكون عام تحرير القدس هو عام ١٩٦٧، حسب تلاعب (دبلجة) "دلواخ للرؤيا المزعومة قبل أكثر من ألفي عام."(١٥)

د- حرب عام ١٩٦٧ حرب أمريكية كما يتضح من دور أمريكا فيها

مقابل هذه الخرافة المحبوكة، تجدر الإشارة إلى قيم إسرائيل وحليفتها الولايات المتحدة بالتخطيط المشترك وإعداد السلاح. فقد زوّدت أمريكا إسرائيل بطائرات نقاثة من طراز "سكاي هوك" عام ١٩٦٦، والتي لعبت دوراً حاسماً في تدمير الطائرات العربية عام ١٩٦٦على الأرض.(١٦)
وقدّمت أمريكا كل المعلومات الدقيقة اللازمة عن الجيش المصري لإسرائيل، والمساعدات اللازمة، وبعدها أعطى الرئيس جونسون الضوء الأخضر لإسرائيل لتشنّ العدوان على العرب(١٧)

ويشير عدد من المختصين الأمريكيين إلى الدور الذي قامت به أمريكا قبل وأثناء حرب عام ١٩٦٧، وأنّه لولا ذلك الدور لما استطاعت إسرائيل كسب الحرب ، وعلى سبيل المثال يقول عضو الكونجرس الأمريكي " فندلي" (Fiendly) الذي كان عضواً في الكونغرس الأمريكي لمدة طويلة ، ونتيجة مواقفه الموضوعية من النزاع ، تآمر عليه اللوبي الصهيوني وقدم.دعماً مالياً هائلاً لمنافسه في الانتخابات وتسبب في فشله:

" وبالفعل فالولايات المتحدة بمثابة الخط الذي يمدّ إسرائيل بالحياة **Life Line**. ويشعر معظم المراقبين بأن إسرائيل لم يكن بإمكانها أن تربح حرب عام ١٩٦٧بدون الأسلحة التي زوّدتها بها الولايات المتحدة الأمريكية. وفي عام ١٩٧٣ ، كان بقاء إسرائيل موضع تساؤل لولا أنّ أمريكا اتخذت الإجراءات الكفيلة بمنع تدخل الاتحاد السوفييتي، ونقلت لإسرائيل كميات هائلة من الأسلحة والتجهيزات على شكل قطار جوي لا ينقطع".(١٨)

وكانت حرب عام ١٩٦٧ تخطيطاً أمريكياً إسرائيلياً مشتركاً لتحقيق هدف من أهداف السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ألا وهو احتواء الناصرية، وهذا ما أعلنه الرئيس الأمريكي ريغان حيث قال: "يجب أن نتذكر أنّ انتصار إسرائيل عام ١٩٦٧ وقر على الولايات المتحدة عناء التدخّل المباشر لاحتواء ظاهرة الناصرية القومية العربية ، الوحدة العربية، والاشتراكية العربية، التي كانت تعتبر تهديداً لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية".(١٩)

ويذكر أستاذ العلوم السياسية الأمريكي جرين(**Green**) أنّ الطيارين الأمريكيين قاموا برحلات استكشافية لحساب إسرائيل، وفي حزيران عام ١٩٦٧، قام " جونسون" ومساعدوه بإعادة النظر في سياسة أمريكا تجاه إسرائيل. ولجميع الأهداف والمقاصد فقد أصبحت إسرائيل الولاية الحادية والخمسين للولايات المتحدة الأمريكية".(٢٠)

ويذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل أنّ واشنطن اعتبرت أن النجاح الإسرائيلي يشكّل "نجاحاً للسياسة الأمريكية (٢١)

وهكذا كان من نتائج حرب عام ١٩٦٧ التي هزمت فيها إسرائيل دولاً عربية كبيرة في ستة أيام أن جعلت الكثيرين من صنّاع القرار السياسي في أمريكا يتبنّون الفكرة القائلة بأن " إسرائيل يمكن أن تعمل كأداة لقوّة أمريكا، ورصيداً استراتيجياً للمصالح الإقليمية الأمريكية"(٢٢)

كما أصبح ينظر إليها بعد ذلك "كقوة إقليمية جبارة لا جدال فيها، وقادرة على مواجهة الدول العربية مجتمعة .(٢٣)و (٢٤)

وترى أمريكا كدولة عظمى أنّها تحتاج إلى وكيل آخر يقوم ببعض المهام المحرجة نيابة عنها. وفي عقد الستينات "ابتكرت الولايات المتحدة لهجومها على الدول العربية وسائل جديدة تتراوح بين الحروب الإقليمية المحدودة والحرب الخاطفة تقوم بها قوة ضاربة موجودة في نفس المنطقة ، بحيث تقوم الترسانة العسكرية بدعمها ومساندتها في مهمتها"(٢٥).

لقد استخدمت أمريكا إسرائيل لضرب الأردن ومصر وسوريا والضفة الغربية وقطاع غزة في ضربات خاطفة حتى عام ١٩٦٦. ولكن يبدو أن أمريكا وجدت أن تلك الضربات الخاطفة لم تكن كافية لتركيع العرب وخنق روح الثورة فيهم، لذلك وضعت إمكاناتها العسكرية تحت تصرف إسرائيل، وكلّفتها بشن عدوان واسع على الأردن وسوريا ولبنان ومصر في نفس الوقت عام ١٩٦٧. لقد توقع مستشارو البيت الأبيض أنّ الانتصار الإسرائيلي سوف يفتح

الطريق إلى تسوية نهائية، وأنّ الحكومات العربية المهزومة سوف تطلب الصلح، وأنّ مقاومة العرب لإسرائيل سوف تنتهي(٢٦).

ويرى الكثيرون أنّ حرب عام ١٩٦٧ لم تكن حرباً إقليمية بين العرب وإسرائيل فحسب، بقدر ما كانت حرباً بين المدّ التحرري على المستويين العربيّ والدوليّ وبين المعسكر الاستعماري الغربي بكل ما يمثّله من قيم سياسية واستراتيجية واقتصادية وعسكرية"(٢٧)

كما قام الطيارون الأمريكان برحلات استكشافية لحساب إسرائيل أثناء حرب عام ١٩٦٧(٢٨) وهكذا كانت حرب عام ١٩٦٧ شكلاً من أشكال الحرب الإقليمية المحدودة التي تستخدمها الحكومة الأمريكية ضد حركة التحرر العربية، وكانت القوة العسكرية الضارية هي قاعدة أمريكا القائمة في المنطقة، التي هي إسرائيل.(٢٩)

هـ- انتقادات حرب عام ١٩٦٧

وقد انتقد مفكرون ومسؤولون أمريكيون كبار سياسة أمريكا تجاه الشرق الأوسط بشكل عام، وسياسة الرئيس "ليندون جونسون" بشكل خاص، وسنورد فيما يلي بعضاً من تلك الانتقادات:انتقد "جورج بول" **(George Ball)** مساعد وزير الخارجية الأمريكية ومندوب أمريكا للأمم المتحدة في عهد الرئيسين جونسون وكينيدي سياسة أمريكا وحرب عام ١٩٦٧ وقال:

> " كانت حرب عام ١٩٦٧، حسب وجهة نظري ، واحدة من أكثر الأحداث مأساوية في التاريخ الحديث، إنّها لم تنتج شتاتاً فلسطينياً ثانياً فقط، بل أشعلت أيضا طموحات إسرائيل الإمبريالية، وجعلت الإسرائيليين يحتلون مساحات كبيرة بالقوّة، كما أنّها حدّدت بداية عملية تخلي أمريكا المتسارع عن المبادئ في تعاملها مع إسرائيل، وكانت المرحلة الأولى في انزلاق أمتنا إلى المستوى الواطئ الحالي من السياسة الخارجية الكلبية(أي السياسة المؤمنة بأن السلوك البشري تسيطر عليه المصالح الذاتية) وغير الفعالة " (٣٠)

وانتقد "غرين"**"Green** سياسة أمريكا وقال:" في بداية مرحلة إدارة الرئيس جونسون١٩٦٣ - ١٩٦٧ ، تغيرت سياسة أمريكا بشأن الشرق الأوسط بشكل مفاجئ، وربما من الأصح وصفها بأنها تآكلت. أمريكا لها سياسة بشأن منع انتشار الأسلحة النووية ولكنها فجأة أصبحت لديها سياسة سرّية تتمثل في التغاضي عن برنامج إسرائيل النووي. وكانت لدينا سياسة بشأن توازن التسلّح في الشرق الأوسط، ولكنّنا وافقنا سراً في عام ١٩٦٧ بأن نكون المورّد الأكبر لإسرائيل بالسلاح." (٣١)

٧-٣-٤- العدوان الأمريكي الإسرائيلي على لبنان عام ١٩٨٢ ومذبحة صبرا وشاتيلا

كان من ضمن أهداف الهجوم الإسرائيلي على لبنان عام ١٩٨٢حسب وجهة نظر المحلل السياسي الإسرائيلي زئيف شيف في :"تدمير م.ت.ف... ، إخراج السوريين من لبنان ..، وأن تكسب إسرائيل معاهدة سلام مع لبنان المحرر حديثا (!) لتكون ثاني معاهدة مع بلد عربي ...كما أنّ إخراج م.ت.ف. من لبنان سوف يوجّه ضربة قاتلة إلى معنويات الفلسطينيين، ومقاومتهم لاستمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي المحتلة (٣٢)

ويمكن القول باختصار أنّ الأهداف المشتركة لإسرائيل وأمريكا في حرب لبنان التي بدأت صيف عام ١٩٨٢ تمثلت في طرد م.ت.ف. من لبنان، وتوقيع معاهدة سلام مع حكومة الجميّل في لبنان، وإخراج القوات السورية من بيروت، والقضاء نهائياً على قوات المقاومة اللبنانية. وقد نجحت الحملة في إخراج م.ت.ف. من لبنان لكن الوجود الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية لم ينته وفشل التحالف الأمريكي الإسرائيلي في إخراج القوات السورية من لبنان بالقوة، كما فشلت أهداف التحالف المشترك في فرض معاهدة صلح بين لبنان وإسرائيل التي قدم وثيقتها وزير الخارجية الأمريكية "شولتز"، التي مسّت بالسيادة اللبنانية ، وألغتها حكومة رشيد كرامي، بعد أن أحبطت سوريا فكرة انسحاب قواتها،(٣٣)

ويرى الدكتور نصير "عاروري" أنّ أمريكا أعطت الضوء الأخضر لإسرائيل لاجتياح لبنان، لأن انتصار إسرائيل العسكري في لبنان عام ١٩٨٢يعد مكسباً استراتيجياً لأمريكا، واستشهد بأقوال الرئيس ريغان في خطابه في ١٩٨٢/٩/١ بأنّ " هذا اليوم يجعلنا فخورين جداً، فانسحاب م.ت.ف. ونهاية الحرب الباردة لم تكن لتتم دون وساطة (ضغوط) الولايات المتحدة. (٣٤)

وطالب المجلس في قراره رقم ٥٠٩(١٩٨٢) تاريخ ١٩٨٢/٦/٦ إسرائيل بسحب قواتها فورا من لبنان إلى الحدود الدولية بدون أيّة شروط. كما طالب مجلس الأمن في قراره رقم٥١٥(١٩٨٢) تاريخ ١٩٨٢/٧/٢٠ حكومة إسرائيل رفع الحصار فورا عن بيروت . وقد أدان المجلس إسرائيل لعدم امتثالها لقراراته وطلب منها الانسحاب من لبنان ،وأدان الحملات الإسرائيلية في بيروت والمذبحة الإجرامية التي ارتكبت فيها بحق الفلسطينيين، ولكنّ إسرائيل لم تنفذ أيا من طلبات مجلس الأمن ولم تعرها اهتماما، لأن أمريكا كانت تحميها من اتخاذ قرار بعقوبات ضدها.ولم يتحرك مجلس الأمن لتنفيذ

قراراته كما فعل ضد العراق عندما قام باحتلال مماثل للكويت، لأن احتلال لبنان كان مطلباً أمريكيا.

وبخلاف حرب الأيام الستة وحرب تشرين عام ١٩٧٣ التي انتهت خلال ساعات، أو أيام، أو أسابيع، فان حرب لبنان استغرقت أشهراً، ووصفت بأنها "أطول الحروب " التي خاضتها إسرائيل، وتكبّدت فيها ٤٨٠ قتيلاً، وكانت عرضة إلى الفشل لولا تدخل أمريكا ودول غربية أخرى تدخلاً مباشراً. وعندما وجدت أمريكا أن المساعدات العسكرية والمالية والمستشارين لا تكفي لتحقيق الأهداف الأمريكية في المشرق، قرّرت التدخّل المباشر في حرب لبنان وسياسته الداخلية، فقامت قوات "المارينز" البحرية الأمريكية بالنزول إلى ميناء بيروت في آب ١٩٨٢ بحجّة مراقبة انسحاب قوات م.ت.ف. ، كما أسهمت في أيلول عام ١٩٨٢ في عملية تسليم السلطة إلى الحكومة اللبنانية، من خلال تقديم مساعدة مباشرة للجيش اللبناني. (٣٥) وفي٢٣-٨-١٩٨٢ ، تم انتخاب بشير الجميّل رئيساً جديداً للجمهورية اللبنانية، وقد اعتبرت إسرائيل هذه الخطوة مقدّمة لتحقيق أحد أهداف عملياتها العسكرية في لبنان، وهو إقامة نظام سياسي يتوصل إلى توقيع اتفاق سلام معها... وأشرفت على عملية انسحاب المقاومة الفلسطينية التي استمرت حتى نهاية شهر آب ١٩٨٢ قوة متعددة الجنسيات – فرنسية – إيطالية – أمريكية" . (٣٦)

ورغم أنّ الحرب الأمريكية الإسرائيلية المشتركة ضد لبنان قد كبدّت لبنان والفلسطينيين والسوريين المتواجدين على أراضيه ما يقرب من عشرين ألف قتيل وأكثر من ثلاثين ألف جريح (٣٧)، إلا أنّ هذه القوى لم تستسلم بل قاومت الغزو المشترك. ويكشف مصدر أمريكي عن الدور الذي لعبته أمريكا وفرنسا في حرب إسرائيل ضد لبنان، والخسائر التي تكبدتها فيقول: "أن الطائرات الأمريكية قصفت القواعد السورية في لبنان ، وأن المقاومة أسقطت طائرتين أمريكيتين، وتم أسر طيار أمريكي. كما قتلت المقاومة ١٠٦ من الأمريكيين والفرنسيين، وجرحت ٨٣. (٣٨)

ويحمّل الكاتب اليساري الأمريكي"نوعم تشومسكي" أمريكا مسئولية غزو لبنان بالإضافة إلى إسرائيل، ويقول:

" صرح مستشار الأمن القومي الأمريكي وليم كلارك بأن المعلومات التي تلقاها من إسرائيل "هي أنّ لدينا ضوءاً أخضر من واشنطن". وأضاف تشومسكي أنّ المهاجمين الإسرائيليين استخدموا" أسلحة أمريكية متطورة جداً، بما في ذلك القنابل المصممة للنفاذ عبر الأبنية قبل الانفجار، وتهديم الأبنية، باتجاه الداخل ، والقنابل الفسفورية لإشعال الحرائق والتسبب في الحروق غير القابلة للشفاء"(٣٩)

وبشأن المذبحة التي ارتكبتها إسرائيل والمليشيات اللبنانية المتحالفة معها في مخيمات صبرا وشاتيلا في أيلول عام ١٩٨٢، وذهب ضحيتها آلاف الفلسطينيين الأبرياء، والتي حاولت إسرائيل التنصل عن مسؤولياتها إزاءها، كما حاولت أمريكا التنصّل من مسؤولياتها عن حرب لبنان، يستشهد تشومسكي بتعليق الكاتب الإسرائيلي "عاموس أيلون" الذي جاء فيه " **أنّ الرجل الذي يضع الأفعى في فراش طفل، ويقول"آسف" لقد قلت للأفعى ألا تلدغ الطفل. لم أكن أعرف أنّ الأفاعي خطرة إلى هذا الحد. الفهم مستحيل. إنّ هذا الرجل مجرم حرب"**(٤٠)

ويقول المحامي المصري الأستاذ فتحي رضوان:

أنني "كنت في غاية الخجل حين قام نصف مليون إسرائيلي في تل أبيب بتظاهره ضدّ مذبحة صبرا وشاتيلا . نصف مليون من أصل ثلاثة ملايين مواطن، و يتساءل الأستاذ رضوان:" كم مليوناً من مواطني الوطن العربي الذين يزيدون عن مائتي مليون قاموا بالتظاهرة ؟ ومن المعروف أنّ الأنظمة العربية لا تسمح لمواطنيها بالتعبير عن شعورهم إزاء أحداث أمتهم."(٤١)

ويذكر الباحث الأمريكي نوعم تشومسكي أنّ توماس "هربرمان" يستنتج بعد تحريات واسعة للرأي العام في العالم العربي بأنه:" لم يمت في لبنان فقط احترام كثير من الزعماء العرب، لأنهم لم يهرعوا للدفاع عن ضحايا الهجوم الإسرائيلي، حتى عندما حوصرت عاصمة عربية ... بل مات أيضا الكثير من الاحترام الأمريكي في الشرق الأوسط بسبب الإحساس بأنّ أمريكا لا يمكن الثقة بها"(٤٢)

انتقادات غربية لغزو إسرائيل للبنان

انتقد وزير الخارجية الأمريكي الأسبق "شولتس "(George Shultz) المؤيد لإسرائيل مذابح الفلسطينيين في لبنان عام ١٩٨٢ وقال: ان أعمال إسرائيل في لبنان أساءت إلى سمعة وكلمة(مكانة) الولايات المتحدة (ص ٧٠).. وأضاعت الإنجازات الدبلوماسية في الشرق الأوسط (ص ٨٨) وقطعت الخلفية الأخلاقية لأمريكا (ص ٤٣٢)(٤٣)

ويوضح الباحث الإسرائيلي "ميرون بنفنستي" الدور الذي لعبته أمريكا في حرب لبنان ويقول:" ما هو جيشنا إذا لم يكن نتاج المساعدة الأمريكية...ألم يوافق هيغ(وزير الدفاع الأمريكي)على المرحلة الأولى من غزو لبنان؟ كل ما حدث في إسرائيل حتى الآن يحمل طابع الموافقة الأمريكية...(٤٤)

ويعترف الأديب الإسرائيلي أ. ي. يهوشع بدور إسرائيل في مذبحة الفلسطينيين في بيروت ويقول" لقد تمت المذبحة على أيدينا. فالكتائب مرتزقتنا تماماً كما كان الأكرانيون مرتزقة هتلر الذي جندهم ليتصرفوا نيابة عنه وبنفس الطريقة نظمنا القتلة في لبنان ليقتلوا الفلسطينيين ".(٤٥)

ويعلق الكاتب الأمريكي "سبينر"(Spanier) على النتائج العكسية لغزو لبنان فيقول:

ومن سخرية القدر، أن الإسرائيليين بانتصارهم قد هزموا أنفسهم.فبينما كانوا يسعون إلى سحق منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف.)، والقومية الفلسطينية، فقد جعلوا القضية الفلسطينية قضية سياسية مركزية... لقد تسبب الإسرائيليون بالعار للجميع: الدول العربية التي لم ترفع إصبعاً لمساعدة (م.ت.ف.)... ودول الطوق الأمامي العربية، ومن ضمنها سوريا التي ضرب جيشها المدرب تدريباً سوفييتياً والمزود بالمعدات السوفييتية في لبنان، ومصر التي بدا سلامها مع إسرائيل خيانة للقضية العربية أكثر منه سلاماً، والسوفييت الذين قالوا بأنهم لن يعملوا على إنقاذ (م.ت.ف.) في الوقت الذي وقف فيه العرب يتفرجون، والولايات المتحدة الأمريكية التي في نظر العرب قامت ضمنا بالموافقة على الغزو لأنها فشلت في منعه. (حسب زعم سبينر) ص (٣٢٤) ... وبمجرد أن أصبحت قوات مشاة البحرية مشاركة في الحرب الأهلية ، فقد تلقت هيبة أمريكا ضربة خطيرة عندما انسحبت تلك القوات ، وانهارت حكومة بيروت وجيشها (التي أقيمت بحراب قوات مشاة البحرية الأمريكية والفرنسية ص (٣٢٩)(٤٦)

٧-٣-٥- جرائم إسرائيل أثناء انتفاضة عام ١٩٨٧

أ- تنويه

يجدر التنويه إلى ثلاث ملاحظات بشأن هذه الانتفاضة:

١. أن سنة ١٩٨٧ كانت السنة التي حلت فيها الذكرى السنوية السبعون لوعد بلفور...والذكرى السنوية الأربعون لقرار التقسيم... والذكرى السنوية العشرون لحرب عام ١٩٦٧، والذكرى السنوية الخامسة للمذبحة الوحشية ...التي وقعت في مخيمي صبرا وشاتيلا في بيروت في أيلول عام ١٩٨٢.(٤٧)

٢. أنها اندلعت بمبادرة الجماهير الفلسطينية في الوطن المحتل الذين اكتووا بنار الاحتلال ، طيلة عشرين عاما، دون أن يجدوا من يخلصهم في الشرعية الدولية ، أو أخوتهم العرب والمسلمون.

٣- كان الدين- ولا يزال ، وسوف يظل- من أهم الدوافع لمقاومة الظلم والعدوان، سواء في فلسطين ، أو في أي مكان آخر.ونحن في فلسطين لا نفرق بين ديانة سماوية وأخرى، وقد وقف المسيحيون مع إخوانهم المسلمين في صف

واحد في خندق مقاومة الاحتلال، الذي اغتصب أرض أتباع الديانتين، وسفك دمهم، وهتك عرضهم، وهدم مدنهم وقراها بما فيها من مساجد وكنائس،وشردهم من ديارهم، وحولهم إلى لاجئين.كما وقف متدينون يهود- أمثال حركة ناطوري كارتا المتدينة- بجانب الشعب الفلسطيني، ضد ظلم الصهاينة، الذين ارتكبوا المجازر والجرائم باسم الدين.

وانطلاقاً مما تقدم كان رواد المقاومة الفلسطينية- وبخاصة حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح - من المتمسكين بديانتهم الإسلامية أو المسيحية، وكان من رواد فتح من كان على علاقة طيبة مع حركة الإخوان المسلمين في مصر وفلسطين التي ولدت من رحمها حركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية حماس.

ومما يجدر ذكره أنه كان لانتفاضة الحجارة عام ١٩٨٧ الفضل في تحول حركة الإخوان المسلمين من التوعية الفكرية والسياسية والعمل الاجتماعي إلى الجهاد والمقاومة المسلحة والعمليات الاستشهادية.

ب- شعر في الانتفاضة

قالت الشاعرة فدوى طوقان في شجاعة وتضحيات شهداء الانتفاضة الفلسطينية الذين يربطون الوطن المقدس بالسماء:

رسموا الطريق إلى الحياة
رصفوه بالمرجان، بالمهج الفتية بالعقيق
رفعوا القلوب على الأكف، حجارة جمراً، حريق
انظر إليهم في البعيد يعانقون الموت من أجل البقاء
يتصاعدون إلى الأعالي في عيون الكون هم يتصاعدون
وعلى رعاف دمائهم
هم يصعدون، ويصعدون، ويصعدون
لن يمسك الموت الخؤون قلوبهم
فالحلم و الفجر الجديد
رؤيا ترافقهم على درب الفداء
أنظر إليهم في انتفاضتهم صقوراً يربطون الأرض
والوطن المقدس بالسماء

وقال الشاعر الفلسطيني "كمال مصطفى أبو إهليل"في انتفاضة الحجارة:

حجارتنا،
لها عينان، لها أذنان، لها أسنان.
حجارتنا مقدسة وطاهرة فجاء بذكرها القرآن،
لقد نطقت معبرة بوجه الظلم والطغيان.

حجارتنا،
لنا رمز وتاريخ وعنوان انتفاضتنا،
تظل سلاحنا الشعبي في تحرير دولتنا.
فصبراً أيها الباغي، ومهلاً أيها الطاغي،
فلا قتل ولا أسر بعون الله يضعفنا،
ولا نسف وإبعاد يقلل من عزيمتنا،
فلن نركع.... ولن نركع،
لأن إيماننا بالله أقوى من مدافعكم،
وحب نفوسنا للموت أقوى من مدافعكم.

ج-أسباب الانتفاضة عام ١٩٨٧

في عام ١٩٨٧، ازداد يأس الفلسطينيين بعد مرور عشرين عاماً على حرب عام ١٩٦٧، ولم يجدوا سبيلاً يخلصهم من الاحتلال الإسرائيلي، ولاحظوا أنَ كلّ يوم يمضي يزداد تغلغل إسرائيل في الأراضي المحتلة، وتتصاعد إجراءاتها لضم الأراضي الفلسطينية المحتلة، كما يزداد تنكرها لأبسط مبادئ القانون الدولي وحقوق الإنسان.ومنذ النصف الثاني من عام ١٩٨٦، ازداد عدد الشهداء والجرحى الفلسطينيين، الذين يحتجون على وجود الاحتلال، بنسبة أعلى مما كان الحال عليه في السابق . وظلّت الدول الغربية العظمى لا تحرّك ساكناً بشأن انتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان الفلسطيني، بل تمدّ إسرائيل بالمزيد من الأسلحة والدعم المادي والمعنوي . أمّا العرب والمسلمون فظلّوا في سبات عميق، أطول وأعمق من نوم أهل الكهف، وجمّدت الشرعية الدولية، فلم تعد تجدي الفلسطينيين نفعاً.

وتضاعف اليأس وخيبة الأمل لدى الفلسطينيين عندما وقع عدد من الشهداء في بداية شهر كانون الأول عام ١٩٨٧، فأدّى ذلك إلى اندلاع المظاهرات والاحتجاجات الجماعية التي سرعان ما تحوّلت إلى انتفاضة عارمة شملت جميع مدن فلسطين وقراها ومخيماتها.

وقد شملت الاحتجاجات مقاطعة البضائع الإسرائيلية التي لها بديل فلسطيني، والامتناع عن دفع الضرائب والاشتباك مع قوات الاحتلال والمستوطنين الصهاينة بالحجارة والزجاجات الحارقة(مولو توف)، وشارك في تلك الانتفاضة الأطفال والشيوخ والنساء إضافة إلى الشباب، وذلك اعتباراً من يوم ٩ كانون الأول ١٩٨٧، وهو التاريخ الرسمي لبدء الانتفاضة .

وعلاوة على مشاركة جميع القوى الوطنية في الانتفاضة، طرأ على الساحة تطور هام جديد تمثل في مشاركة الحركة الإسلامية في مقاومة الاحتلال كحركة مستقلة عن القوى الأخرى، لكنّها داعمة لها وتقف معها في خندق واحد للتصدّي للاحتلال الإسرائيلي.

علاوة على أسباب الانتفاضة العامة السابقة، نوجز أسباب تلك الانتفاضة كما جاءت على لسان كتاب عرب وأجانب.ومن الواضح أن السبب الأساسي للانتفاضة التي قام بها الفلسطينيون عام ١٩٨٧ ضد الاحتلال الإسرائيلي هو ما عبّر عنه "زئيف ستيرنهيل" في كتابه "الأساطير المؤسسة لإسرائيل" حين قال أنه :"في عام ١٩٨٧ قرر رماة الحجارة الفلسطينيون تقرير مصيرهم بأيديهم" (٤٨) بعد أن لم تتجدهم الشرعية الدولية ، ولا إخوانهم العرب والمسلمون.

ويعزو الدكتور زياد أبو عمرو، أستاذ العلوم السياسة في جامعة بيرزيت وعضو المجلس التشريعي الفلسطيني في دورته الأولى، أسباب الانتفاضة إلى:

> التناقض الموضوعي القائم بين قوة الاحتلال، وشعب محتل. وجاءت الانتفاضة لتعيد تصحيح مسار هذه العلاقة التي غاب عنها طابع التناقض الصارخ لفترة من الزمن. (كما) تكمن الأسباب الموضوعية للانتفاضة في أكثر من أربعين عاماً من الحرمان الوطني وعشرين عاماً من الاحتلال الإسرائيلي والسياسة الإسرائيلية التي هدفت إلى إلغاء الوجود المادي للشعب الفلسطيني في أرضه.أمّا على الصعيد العربي، فقد أصبحت القضية الفلسطينية ولأسباب عدّة تحتل مكانة ثانوية . كان من بين هذه الأسباب ضعف المنظمة ذاتها (إضافة إلى إضعافها من قبل القوى العاتية التي تآمرت عليها)، ومشكلة لبنان، والحرب العراقية الإيرانية، وانشغال العرب بها... ومجموعة من المشاكل المنفردة التي تواجه كل دولة عربية على حدة، على الصعيد الإسرائيلي أصبحت النوايا الإسرائيلية السيئة تجاه مستقبل الأراضي المحتلة أكثر وضوحاً من أيّ وقتٍ مضى، كما يتجلى ذلك في سياسة الاستيطان... (و) الأصوات الداعية إلى ترحيل جماعي للفلسطينيين(٤٩)

أما الباحث الإسرائيلي أرييه شاليف،من معهد جافي للدراسات الاستراتيجية في تل أبيب فيوافق أنّ من بين أسباب الانتفاضة مرور أربعين عاما على اللجوء ويضيف إلى ذلك ما ترجمته:

> "فقد يئس الفلسطينيون من الجميع: م.ت.ف، والعرب وإسرائيل... يضاف إلى ذلك الشعور العميق بالإذلال، والأوضاع المعيشية الحقيرة **(squalid)** التي يعيشونها. وخلافاً لآمال إسرائيل فإنّ عشرين عاماً من الاحتلال لم تجعل الفلسطينيين يقبلون الحكم الإسرائيلي.إنّ ما احزن الفلسطينيين أكثر من غيره المحن الشديدة التي ظلوا يعانون منها لمدة أربعين عاماً، بدون أية حقوق بالمرّة. وشعور مستمر وقوي بالإذلال،

والحرمان ، والإحباط، والتمييز ... وخلص شاليف من دراسته إلى أنّه يظهر بأنّ الانتفاضة سوف تبرز مرّة أخرى، وفي الواقع ، وسوف تكون أشدّ حدّة" (٥٠)

وبالفعل، صدق ما توقعه شاليف. وجاءت انتفاضة الأقصى اشدّ حدّة بكثير، وذلك لأنه لا حلّ لهذه المعضلة إلا بانسحاب إسرائيل وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة على أرضها وجوها وبحرها، وعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم.

ويلقي مصدر إسرائيلي مختص آخر اللوم على الإسرائيليين الذين لم يلاحظوا أعراض الانتفاضة قبل انفجارها، والأخطار الكامنة من الانتفاضة ويقول:

"ولكنّ المفاجأة تركت تأثيراً صاعقاً مروّعاً لانّ القيادة السياسية (الإسرائيلية) والسواد الأعظم من الجمهور تجاهلوا المناطق طوال سنوات عديدة... في سنة ١٩٨٧ ... ظهرت أعراض وظواهر خطيرة حادّة كان بإمكان كلّ واحد أن يلاحظها ويميّزها، إلا من أصيب بعمى سياسي وأمني ... طرأت على المظاهرات زيادة ١٣٣ بالمائة. فالمفاجأة ... لم تكن في ... مجالات هامشية فقط، كما حاولت بعض العناصر الحكومية والأمنية (الإسرائيلية) تبرير موقفها أنّ الفلسطينيين فاجأوا إسرائيل بفتحهم ... جبهة ثالثة (بعد) جبهة الحرب النظامية وجبهة "الإرهاب" **(تطلق إسرائيل وأمريكا اسم الإرهاب على عمليات المقاومة الوطنية المشروعة للاحتلال)** ... فأيّ من المسئولين لم ير نفسه مسئولاً لتقييم الحالة بالنسبة لما يرتقب أن يحدث ... وما هي الأخطار التي تواجه إسرائيل من السيطرة على حوالي مليون ونصف مليون(**عدد الفلسطينيين تحت الاحتلال يزيد على ثلاثة ملايين)** من الفلسطينيين الذين لا يريدون هذه السيطرة...هزّت الانتفاضة الفلسطينية المجتمع الإسرائيلي هزّة بلغت الأعماق ... لقد كسر الفلسطينيون ... الوضع الراهن إلى خط اللا رجعة ... لقد استطاع الفلسطينيون أن يأخذوا زمام المبادرة بأيديهم، وأنْ يقطفوا بعض ثمارها من خلال تمرّدهم مثل: تنحّي الأردن عن مطالبته في المناطق (المحتلة) ، واعترفت الولايات المتحدة بـِ م.ت.ف. (٥١)

د- الخسائر البشرية أثناء انتفاضة الحجارة

استشهد (١٤٩١) فلسطينيا أثناء انتفاضة الحجارة خلال المدة الواقعة بين ١٩٨٧/١٢/٩ و ٢٠٠٠/٩/٢٨ حسب معلومات جمعية بتسيلم الإسرائيلية لحقوق الإنسان. أنظر تطور أعداد الشهداء حسب السنة والعمر في الملحق رقم (٢)

ويقدر "إيتان هابر" المدير العام السابق لمكتب اسحق رابين، رئيس الحكومة الإسرائيلية، خسائر الفلسطينيين في الانتفاضة ويقول:"بلغ مجموع الشهداء(١٥٠٠) شهيد والجرحى ستين ألفا. أصيب العشرات منهم بالشلل التام، وكان بينهم مئات الأطفال وتعرّض للاعتقال حوالي ربع مليون فلسطيني، ولم تبق عائلة في الضفة والقطاع دون أن تتضرّر من جنود الاحتلال"(٥٢)

وحسب معلومات جمعية بتسيلم الإسرائيلية لحقوق الإنسان، بلغ عدد الإسرائيليين الذين قتلتهم المقاومة الفلسطينية أثناء انتفاضة الحجارة في المدة من ١٩٨٧/١٢/٩ إلى ٢٠٠٠/٩/٢٨ م (٤٢٢)من المدنيين والعسكريين. أنظر تطور أعداد القتلى من الإسرائيليين حسب السنة في الملحق رقم (٣)

هـ- بعض نتائج الانتفاضة كما اعترف بها إسرائيليون

و توصلت إسرائيل إلى حقيقة أنها لا يمكنها ضم المناطق المحتلة إليها كما كانت تأمل، عن طريق الالتفاف على حقوق الفلسطينيين في الحرية وتقرير المصير والسيادة على أرضهم. وهذا ما عبر عنه صَراحة السياسيون والكتاب الإسرائيليون. ومن أمثلة ذلك: صرح الكاتب "حاييم صادوق "في جريدة دافار أنه:"من المستحيل سيطرة شعب على شعب آخر لوقت طويل. وقد جاءت الانتفاضة لتعبر عن عدم تسليم الفلسطينيين بالسلطة الإسرائيلية.(٥٣)

وصرح المسئول الإسرائيلي البارز "شمعون بيريز أنه :"لا بالمال ولا بالسلاح يمكن القضاء على الشعور القومي لمواطني المناطق المحتلة".(٥٤)

و قال الكاتب الإسرائيلي "يوسف لبيد" أننا :"لا نستطيع السيطرة إلى أمدٍ بعيد على شعب غريب لا يريدنا...هذه هي النظرية..لا يعتبر الحجر الذي رماه الولد مشكلة، وإنما الولد هو المشكلة".(٥٥)

٧-٤- بعض جرائم الغرب بحق شعب فلسطين

٧-٤-١ متابعة صنع الصهيونية اليهودية ١٨٩٧-١٩٤٧

أوضحنا في الفصل الخامس كيف أن الغرب استغل الدين لأهداف سياسية واقتصادية، و كيف ترافقت حملات الاستعمار مع الدعوة لإعادة اليهود إلى فلسطين، وقد تجلى ذلك بصورة واضحة في نداء نابليون لليهود للانضمام إلى جيشه من أجل إقامة كيان لهم تحت الراية الفرنسية. كما أوضحنا كيف تنافس الاستعمار البريطاني مع الفرنسي من أجل نفس الهدف، ألا وهو استخدام الصهيونية اليهودية كموطئ قدم للصهيونية المسيحية والاستعمار الغربي.وقد أدت الخلافات بين الاستعمارين المذكورين إلى بقاء موضوع إعادة اليهود إلى فلسطين مجرد أفكار نظرية وذلك خلال الفترة (١٧٩٨-١٨٩٧) ، وبعدها اتفق

المسئولون في البلدان الاستعمارية الغربية على الانتقال إلى الخطوات العملية لتنفيذ صنع الكيان الصهيوني ليعمل رأس حربة لهم في قلب بلاد العرب والمسلمين. وهكذا عقد مؤتمر بازل في سويسرا عام ١٨٩٧، كما عقد مؤتمر كامبل بانرمان (Bannerman)(١٩٠٥-١٩٠٧) الذي شكّل أكبر وأخطر ضربة للدولة العثمانية الإسلامية وفلسطين، ووحدة العرب وتحريرهم واستقلالهم، عندما اتفقت الدول الغربية الاستعمارية على تجزئة الدولة العثمانية، وفصل أقاليمها في آسيا عن أقاليمها في إفريقيا، عن طريق خلق دولة لليهود في فلسطين. وقد جاء ذلك الاتفاق في المؤتمر الذي دعا إليه السيد هنري كامبل بانرمان(Henry Campbell-Bannerman)، رئيس وزراء بريطانيا عام ١٩٠٥، والذي استمر مدة سنتين، وشارك فيه مشاهير علماء وخبراء الدول الاستعمارية في مجالات التاريخ والنفط والزراعة والاستعمار، والذي لاحظ أن الضربة القاصمة ستحل حتماً بالاستعمار الغربي إذا انتشرت الوسائل الحديثة والتعليم في بلدان البحر الأبيض المتوسط (العربية)، وقد دعا تقرير المؤتمر إلى معالجة الموقف كما يلي:

١- على الدول (الاستعمارية) ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزئة هذه المنطقة ... وتأخرها ،وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل.

٢- ضرورة العمل على فصل الجزء الإفريقي في هذه المنطقة عن الجزء الآسيوي، وتقترح اللجنة لذلك إقامة حاجز بشري ،قوي وغريب، يحتل الجزء البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطهما معا "بالبحر الأبيض المتوسط، بحيث يشكل في هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار، وعدوة لسكان المنطقة. (أي إسرائيل). (٥٦)

ويضيف الدكتور العويسي والحلاق إلى ما تقدم بشأن ذلك المؤتمر أن التقرير الصادر عنه دعا أيضا" إلى ضرورة :

ا-إنشاء دويلات مصطنعة تابعة لتلك الدول الصليبية(الاستعمارية) وخاضعة لسيطرتها.

ب-أوصى التقرير، بشكل خاص، بمحاربة اتحاد هذه الجماهير العربية أو ارتباطها بأي نوع من أنواع الوحدة والاتحاد الفكري أو الروحي أو التاريخي وبضرورة إيجاد الوسائل العلمية القوية كافة والمتوفرة لفصل المنطقة وأهلها بعضهم عن بعض ما استطاع الاستعمار إلى ذلك سبيلا (٥٧)

وتلخص مجلة الوعي أهداف مؤتمر "بنرمان" في إنشاء دولة لليهود في فلسطين في تحقيق" ثلاثة أمور مهمة لخدمة مصالح الدول الكافرة المستعمرة ...وهي: الأول فصل بلاد المسلمين في المشرق عنها في المغرب مما يجعل وحدتها أكثر صعوبة، والثاني : زرع عدو جديد للمسلمين في بلادهم، في أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومن ثم يستقطب اهتمامهم، وتتركز جهودهم للقضاء عليه، فيخفف ذلك من تصديهم لعداء

العرب للغرب الصليبي... والثالث: إقامة قاعدة متقدمة للكفار المستعمرين وعلى رأسهم بريطانيا، زعيمتهم آنذاك، تحفظ لهم مصالحهم، وتنفذ مخططاتهم ومؤامراتهم، وتؤمّن لهم تدفق الموارد والتسويق التجاري لمنتجاتهم في المنطقة".(٥٨)

وكان من ضمن أهداف الحروب الصليبية التي اجتمعت حولها الدول الأوروبية رغم تنافسها على اقتسام ممتلكات الدولة الغثمانية:" التغريب والتفتيت وإقامة إسرائيل. وكان الهدف من سياسة التفتيت هو ترسيخ تجزئة الأمة الإسلامية، حيث قامت الدول الاستعمارية بتجزئة الوطن العربي- الذي كان جميعه يمثل جزءاً من الإمبراطورية الإسلامية العثمانية- إلى ٢٣ دولة. وكان هناك أيضاً إجماع بين الدول الصليبية على إقامة دولة إسرائيل حتى تكون عنصر تهديد دائم للمسلمين." (٥٩)

وبإيجاز فلقد استطاعت الحركة الصهيونية الاتفاق مع الدول الصليبية الاستعمارية على إنشاء دولة يهودية في فلسطين وهو الأمر الذي يدعم ويكرس تحقيق الأطماع والمخططات الصليبية في المشرق العربي الإسلامي." (٦٠)

وقد قامت بريطانيا العظمى بنصيب الأسد في تلك الخطوات، والتي تمثلت في اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦، ووعد بلفور عام ١٩١٧، وإقرار عصبة الأمم لوعد بلفور، وإدراج ذلك الوعد ضمن صك الانتداب على فلسطين. (٦١)

ومنذ الأربعينيات، شرعت الولايات المتحدة الأمريكية في استلام زمام المبادرة لدعم مشروع الدولة اليهودية في فلسطين، وفي ١٩٤٥/٥/٨ :" أيّد الكونغرس الأمريكي من جديد مشروع قيام "كومنولث يهودي في فلسطين، سيكون الوطن الثابت للحضارة الغربية في الشرق والغرب...(و) سيكون مكرسا لصالح الحضارة الغربية." (٦٢)

٧-٤-٢- وعد بلفور والأدلة على بطلانه وعدم قانونيته

وفي ٢ تشرين الثاني عام ١٩١٧ أصدر وزير خارجية بريطانيا اللورد بلفور الوعد الذي دعا إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.وأعطت بريطانيا وعوداً وتعهدات متناقضة بشأن فلسطين، كان الوعد الأول للشريف حسين، والثاني في اتفاقية سايكس بيكو يقضي بتدويل فلسطين، والثالث تمثل في وعد بلفور بمنح فلسطين لليهود لإقامة وطن قومي لهم فيها، ولذلك لا عجب إذا دعيت فلسطين"الأرض الموعود بها ثلاث مرات(٦٣).

وكان وعد بلفور العمل الأول في سلسلة طويلة من نقض العهود، تنافست فيها البربرية وأكثر أنواع الميكيافيلية النفعية، وقامت فيه الإمبريالية العالمية

بالتعاون مع الصهيونية بحرمان الشعب العربي في فلسطين من أرضه ومن حقوقه غير القابلة للإلغاء(٦٤).

وفي ١١ آب ١٩١٩، كتب بلفور مذكرة إلى اللورد كيرزون بشأن التناقضات في الوعود المختلفة التي قطعها الحلفاء على أنفسهم أثناء الحرب، ومخالفتها لعهد عصبة الأمم، وكان مما جاء فيها:

> إنّ التناقض بين نصوص العهد (عهد عصبة الأمم) وسياسة الحلفاء صارخ بدرجة أكبر في حالة " أمة فلسطين المستقلة " عنه في حالة "أمة سوريا المستقلة"،(وإذا كانت لجنة كينج كرين الأمريكية تقوم باستكشاف رغبات سكان سوريا)، فنحن لا ننوي في حالة فلسطين حتى أن نقوم بشكليات استقصاء رغبات سكان البلد الحاليين ... إنّ الدول الكبرى ملتزمة بالصهيونية ، والصهيونية ، سواء كانت خاطئة أو صائبة ،حسنة أم سيئة ، تضرب بجذورها في عادات قديمة قدم الدهر، وفي الحاجات الحالية، وفي الآمال المقبلة ،وهي أكبر بكثير من رغبات وتحاملات السبعماية ألف عربي الذين يقطنون الآن تلك الأرض القديمة .(٦٥)

ومن الغرائب والأضاليل التي أحاطت بوعد بلفور "أن بلفور نفسه اعترف بما تم فعله وقال: "انه بقدر ما يخص الأمر الفلسطينيين، فقوات الحلفاء لم تصدر بياناً تزعم أنه حقيقي وصادق، إلاّ كان من المعروف أنه خاطئ وكاذب. ولم تصدر بياناً بسياسة تنوي اتباعها... إلاّ وكان هدفها انتهاكها"(٦٦).

وهكذا، فالغرب الديمقراطي! يمنح حق إقامة دولة ليهود في فلسطين وهم يشكلون أقل من ١٠% من السكان، ويغفل حقوق أهالي فلسطين العرب الذين يشكلون أكثر من ٩٠% من مجموع السكان، ويطلق عليهم القطاعات الأخرى من السكان، كما لو كانوا أقلية ضئيلة.(٦٧)

إنّ أهم حقيقة لا تقبل الجدل هي أن التصريح في حد ذاته عاجز قانونيا. إذ لم تكن لبريطانيا العظمى أية حقوق سيادية على فلسطين، ولم تكن لها أية ملكية، ولم تكن لها سلطة التصرف في الأرض. بل كان التصريح مجرّد بيان بالنوايا البريطانية لا أكثر.(٦٨)

وقد لاحظ مؤلف صادر عن الأمم المتحدة أن هناك ثلاث سمات من سمات تصريح بلفور تسترعي الانتباه وهي:

> الأولى: "أن من الواضح أنه كان لا يتفق مع روح التعهدات بالاستقلال التي قدمت للعرب قبل صدوره وبعده. والثانية: هي أنّ التصرف في فلسطين قد تقرر بالتشاور الوثيق مع منظمة سياسية كان هدفها المعلن هو توطين غير فلسطينيين في فلسطين. وهذا لم يتجاهل مصالح الفلسطينيين فحسب، بل كان انتهاكاً متعمداً لحقوقهم... أما الثالثة: فهي أن الحكومة البريطانية قدمت من خلال التصريح التزامات للمنظمة

الصهيونية بشأن أرض الفلسطينيين في وقت كانت هذه الأرض لا تزال رسمياً تشكل جزءاً من الإمبراطورية العثمانية.(٦٩)

وقدّم القانوني الفلسطيني "كتن" الحجج الدامغة التي تثبت بطلان وعد بلفور وقال:

وعد بلفور كان باطلاً قانونياً، لأن موافقة شعب فلسطين -الذين كانوا أهالي فلسطين الوطنيين، ولهم السيادة عليها- لم يتم الحصول عليها. وكان الوعد باطلاً أيضاً لأن تركيا التي كانت لها السيادة القانونية على فلسطين، وقت إصدار الوعد، لم توافق عليه. وعلاوة على ذلك، فالوعد باطل لأن الحكومة البريطانية -التي هي دولة أجنبية بالنسبة إلى فلسطين- لم تملك، ولم يحدث أن كان لها، أية سيادة أو حق التصرف أو الاختصاص على فلسطين، بحيث تمكنها من منح أية حقوق في فلسطين، سواء كانت سياسية أو إقليمية، إلى شعب غريب. لأن المتبرع لا يستطيع التنازل عما لا يملكه(٧٠).

وهكذا يتضح من الجهود التي بذلتها بريطانيا العظمى من أجل خلق دولة لليهود في فلسطين أنّ " الاستعمار الإنجليزي هو الذي ابتدع وعد بلفور والوطن القومي اليهودي ... وليست الصهيونية هي التي ابتدعت الاستعمار" . (٧١)

وقد أصاب الأستاذ يوسف حداد كبد الحقيقة عندما وصف الوعد بأنه المولود اللاشرعي للزواج الصهيوني المسيحي والصهيوني اليهودي. (٧٢)

٧-٤-٣ الانتداب غير المشروع

ويذكر مؤلف صادر عن الأمم المتحدة أن من بين ثقات القانون الدولي العديدين الذين طعنوا في شرعية الانتداب، يجدر الاستشهاد بآراء البروفيسور هنري كتن الذي يقول:

> الانتداب البريطاني على فلسطين باطل استناداً إلى ثلاثة أسباب هي:أنه بتصديقه على تصريح بلفور، وقبوله لمفهوم إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين قد انتهك سيادة شعب فلسطين وحقه الطبيعي في الاستقلال وتقرير المصير. ففلسطين وطن الفلسطينيين القومي منذ زمن سحيق. وإنشاء وطن قومي لشعب أجنبي في ذلك البلد يشكل انتهاكاً لحقوق السكان المشروعة والأساسية. ولم تكن عصبة الأمم، ولا الحكومة البريطانية، تملك سلطة التصرف بفلسطين، أو سلطة منح اليهود أية حقوق سياسية أو إقليمية في ذلك البلد،... (ولأن) الانتداب يعني الاعتراف بأية حقوق لليهود الأجانب في فلسطين، فإنه باطل ولاغ.أنه انتهك، روحاً ونصاً المادة (٢٢) من عهد عصبة الأمم التي يفترض أنه وضع استناداً إليها. وقد حدث هذا الانتهاك من ثلاث نواح:

- نصّ العهد على الانتداب باعتباره أفضل وسيلة لتحقيق هدفه الأساسي المتمثل في ضمان رفاهية وتقدم الشعوب التي تقطن الأقاليم الموضوعة تحت الانتداب... (ولكنّ) الانتداب يسعى إلى إنشاء وطن قومي في فلسطين لشعب آخر، مما يتعارض مع حقوق الفلسطينيين ورغباتهم... وقد طالب الدولة المنتدبة بأن تضع البلد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء وطن قومي يهودي...
- أن الانتداب على فلسطين يتعارض مع المفهوم المحدد للانتداب الذي نصت عليه المادة (٢٢) فيما يتعلق بالبلدان التي انفصلت عن تركيا في الحرب العالمية الأولى. وفي حالة هذه البلدان، كان القصد هو قصر الانتداب على إسداء المشورة والمساعدة بصفة مؤقتة... (ولكن) القائمين بصياغة صك الانتداب على فلسطين لم يقصروا دور الدولة المنتدبة على إسداء المشورة والمساعدة الإدارية، وإنما منحوا الدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والإدارة (المادة الأولى). ومثل هذه السلطة التامة في التشريع والإدارة لم ينص عليها لصالح السكان، وإنما... استغلت فعلاً في إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين بالقوة. ومن الجلي أنّ هذا كان إساءة استخدام للغرض من الانتداب بمقتضى العهد وتحريفا لمبرر وجوده...
- أما السبب الثالث لبطلان الانتداب فهو يكمن في تعارض إقراره وتنفيذه لتصريح بلفور مع التأكيدات والتعهدات التي قطعتها بريطانيا العظمى ودول الحلفاء للعرب إبّان الحرب العالمية الأولى. فحرمان عرب فلسطين من استقلالهم وإخضاع بلدهم لهجرة شعب أجنبي كان خرقاً لتلك التعهدات(٧٣)

وفي سنة ١٩١٨ صادقت حكومتا فرنسا وبريطانيا على وعد بلفور ، وفي سنة ١٩٢٢أيدت حكومة الولايات المتحدة بقرار من الكونغرس فكرة تحقيق الوطن القومي اليهودي، وأقر مجلس عصبة الأمم عام ١٩٢٣ نظام الانتداب ، وتبنى وعد بلفور ، واعترف لليهود بالروابط التي تربطهم بفلسطين! ومنحهم حق إنشاء وطنهم القومي في تلك البلاد. وأعطيت بريطانيا "سلطة التشريع والإدارة ، على أن تقيم في البلاد نظاما سياسيا وإداريا واقتصاديا يضمن إنشاء الوطن القومي لليهود" (٧٤)

وهكذا خلقت الدول الاستعمارية الغربية موضوع حقوق اليهود في فلسطين كأداة لتفكيك وحدة الإمبراطورية العثمانية المسلمة وللسيطرة على فلسطين، ولكي تكون إسرائيل ركيزة وقاعدة للاستعمار، وأداة لضرب حركات التحرير العربية ، وفرض الهيمنة الغربية على المنطقة، واستمرار سيطرتها ونهبها لموارد المنطقة وخيراتها وأسواقها

٧-٤-٤- قرار تقسيم فلسطين بضغط من أمريكا والظلم الذي ألحقه بشعب فلسطين

قررت الدول الغربية العظمى اتخاذ خطوات عملية لتنفيذ مخططاتها في إقامة دولة لليهود في فلسطين، عن طريق مشروع التقسيم الذي اقترحته لجنة بيل (Peel) عام ١٩٣٧. وتولى الرئيس الأمريكي ترومان زمام المبادرة لتنفيذ مشروع التقسيم، عن طريق تأمين موافقة أغلبية الدول عليه في الجمعية العامة للأمم المتحدة. ويشهد ايفان ولسون (Evan Wilson) المسئول في وزارة الخارجية الأمريكية لمدة ست سنوات، شملت إدارة الرئيس ترومان، بأن ذلك الرئيس تصرف في الفترة ١٩٤٧-١٩٤٨ إزاء النزاع العربي الإسرائيلي، بدوافع سياسية، وليس بدوافع إنسانية(٧٥)

وتجمع المصادر العديدة على أنّ أمريكا مارست ضغوطاً هائلة على الدول الأعضاء في الأمم المتحدة لتؤيد قرار التقسيم.(٧٦)

ويشهد جيمس فورستال (James Forrestal) وزير الدفاع الأمريكي آنذاك بأنّ "الوسائل التي استعملت لإكراه وتهديد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، لكي تؤيد قرار التقسيم، وصلت إلى درجة الفضيحة والخزي.(٧٧)

كان قرار التقسيم يمثل ظلماً وإجحافا بحق الفلسطينيين العرب فالقرار لم يراع مبدأ العدالة، لا من حيث عدد السكان ، ولا من حيث نسبة ملكية كل طرف للأرض. فعندما أصدرت بريطانيا وعد بلفور، كان عدد اليهود في فلسطين أقل من ٢% من مجموع السكان.و كانت ملكية اليهود لأراضي فلسطين أقل من2.5% والعرب 97.5 %. (٧٨)

و رغم جميع الجهود التي بذلتها بريطانيا منذ بداية الانتداب، إلا أنّ الإحصاءات الرسمية البريطانية تدل على أنّ اليهود عند صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧ ، كانوا يملكون ٦٦، ٥% من فلسطين.(٧٩)

ورغم تلك الحقيقة، فقد منح قرار التقسيم حوالي ٥٦،٤% من أرض فلسطين لليهود وحوالي ٤٣،٦% للعرب. كما أن القرار كان ظالماً للعرب من ناحية نوعية الأرض التي خصصت للدولة اليهودية. فقد اشتمل الجزء اليهودي على السهل الساحلي والسهول الخصبة الأخرى، والأراضي المروية في طبريا والحولة، بينما اشتملت المنطقة العربية على مناطق جبلية قاحلة، وأراض غير مرويّة(٨٠).

ويرى القانوني الفلسطيني "كتن" أن قرار التقسيم كان باطلاً لأنه شكّل تعديا على سيادة سكان فلسطين الأصليين العرب وحرمهم من حقهم في تقرير مصيرهم، ولأنه منح المهاجرين الجدد قسماً كبيرا من أراضي الفلسطينيين فكان غير عادل ، ولأنه تم الحصول عليه بضغط من الصهاينة وضغط أمريكا على عدة دول. (٨١)

وقد رفض الشعب العربي قرار التقسيم لأنه" يعرض للخطر سلامة ووحدة وطنه الإقليمية ، وينتهك المبادئ الأساسية التي جاء بها ميثاق الأمم المتحدة الذي يقضي بحق الشعوب في تقرير مصيرها. كما أنه مخالف للدستور الأساسي لنظام الانتداب الذي نصت عليه المادة (٢٢) من العهد(عهد عصبة الأمم) التي اعترفت بأن أقاليم انتداب (أ) قد وصلت مرحلة من التقدم تسمح بالاعتراف مؤقتا بوجودها كأمم مستقلة إلى أن تصبح قادرة على إدارة شؤونها بنفسها".(٨٢)

ومن المعروف أنّ إسرائيل:"لم تحصل على سند أو حق ملكية بموجب قانون التقسيم الذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١٩٤٧/١١/٢٩. والوضع القانوني بهذا الخصوص واضح تماماً. فلم يحدث أن ملكت الأمم المتحدة أي سلطة سيادة أو غيرها على فلسطين. والأمم المتحدة لا تستطيع التنازل عما لا تملك. فأعضاء الأمم المتحدة لا يستطيعون، بصفة فردية أو جماعية ، نقل أو تحويل أو التصرف أو إنقاص ، أو التأثير بأية صورة على سيادة شعب فلسطين، ولا التصرف بأراضيه، لا بالتقسيم ولا بأي شكل آخر".(٨٣)

٧-٤-٥-المشاركة في إعداد جيش إسرائيلي وتجريد العرب من السلاح

وفي الحرب العالمية الثانية شكلت بريطانيا جيشاً صهيونياً ضمن القوات البريطانية بلغ تعداده حوالي (١٣٢)ألف مقاتل، بحجة معاونة الحلفاء في الحرب ضد ألمانيا، ولكنها في الواقع أعدته لاغتصاب فلسطين. (٨٤)

ويؤكد ذلك الجنرال "كلوب "(القائد البريطاني للجيش العربي الأردني قبل استقلال الأردن ويذكر أن بريطانيا تعاونت مع حلفائها الغربيين في إعداد جيش يهودي عرف باسم اللواء اليهودي، وشارك ذلك الجيش إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، واكتسب فيها خبرة وتدريباً على مستوى عالٍ.(٨٥)

وكان الهدف من ذلك هو إعداد جيش للدولة اليهودية يستطيع هزيمة العرب. وفي نفس الوقت الذي كانت سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين تدرب فيه اليهود عسكريا، فقد حرمت الفلسطينيين من التدريب والتسليح وكانت تسجن من تجد بحوزته سكيناً.

وكانت أمريكا قد سبقت بريطانيا في عملية إعداد جيش يهودي بمئة عام، حيث شكلت عام ١٨٤٤ في بلتيمور بولاية ماريند أول فوج كل جنوده وضباطه من اليهود عرف باسم "فوج الحرس اليهودي الأول" ليشارك في حرب أمريكا ضد المكسيك ، (٨٦)

٧-٤-٦- قبول إسرائيل عضوا في الأمم المتحدة وحرمان الفلسطينيين من أقامة دولة لهم

نظراً للمقاومة التي واجه بها عرب فلسطين الانتداب البريطاني، فقد أعلن عن إنهاء انتدابه على فلسطين يوم ١٥ أيار ١٩٤٨. وفي نفس اليوم أعلن اليهود عن ميلاد دولتهم في فلسطين. وكانت أمريكا تتابع تطور الكيان الصهيوني وهو في رحم الإمبريالية لحظة بلحظة ولذلك اعترفت بميلاد دولة إسرائيل بعد عشر دقائق من الإعلان عن قيامها، وتبعتها الدول الإمبريالية الأخرى واعترفت بها خلال أيام (٨٧)

وذكر نص إعلان قيام إسرائيل أنّ اليهود يستندون في ذلك إلى" حقوقهم التاريخية، ووعد بلفور، وصكّ الانتداب وصك عصبة الأمم وقرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود عام ١٩٤٧، وأنّ الدولة إسرائيل ستتعاون مع الأمم المتحدة، وأنها تمدّ أيديها إلى جميع الدول المجاورة وشعوبها عارضة السلام." (٨٨)
وبعد أن نجحت أمريكا وبريطانيا وفرنسا في فرض قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (١٨١) بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود عام ١٩٤٧، قامت تلك الدول نفسها بحملة لقبول إسرائيل عضواً في الأمم المتحدة.وعندما طلبت إسرائيل اعتراف الأمم المتحدة بها كانت قد احتلت أراض فلسطينية تزيد حوالي ٢٢% عما تخصص لها بموجب قرار التقسيم. ومن المعروف أنّ إسرائيل لا تملك أي حق قانوني في هذه الأراضي، وليست لها سيادة عليها، وإنما هي أراض احتلت بقوّة السلاح، خلافا لقرار التقسيم وللقانون الدولي. وكان من المفروض أن تعترف الأمم المتحدة بدولة إسرائيل في الحدود التي قرّرتها لها بموجب قرار التقسيم وأن ينص قرار قبول إسرائيل عضواً في الأمم المتحدة على أن الأراضي التي احتلتها زيادة عما خصّص لها بموجب قرار التقسيم هي أراضٍ محتلة، عليها الانسحاب منها. ولو كانت أمريكا وبريطانيا وفرنسا تحترم قيمها وقراراتها وقرارات الشرعية الدولية لكانت اعترفت بدولة فلسطين على الجزء الذي خصص لها بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (١٨١)لعام ١٩٤٧.

ولو فعلت الأمم المتحدة ذلك، لحلّت مشكلة فلسطين، ولكانت وضعت حداً لمعاناة المزيد من الفلسطينيين، ولما كانت إسرائيل قد جرأت على الإقدام على احتلال أراضٍ جديدة عام ١٩٦٧. ولكنّ قرار الاعتراف بدولة إسرائيل الذي استند فيما استند إليه إلى قرار التقسيم لم يراع لا الحدود ولا الوسائل ولا المستقبل الذي رسمه ذلك القرار لهذه الدولة(٨٩).

٧-٤-٧- التغاضي عن تحدي إسرائيل للأمم المتحدة والقانون الدولي وضمان حدود إسرائيل التوسعية عن طريق التصريح الثلاثي عام ١٩٥٠

كما كان من المفروض أنّ تنذر الدول العظمى الدائمة العضوية في مجلس الأمن إسرائيل وتجبرها على الانسحاب من الأراضي التي احتلتها زيادة عما خصصه لها قرار التقسيم، وأن تجبرها أيضاً على أن تعيد اللاجئين الفلسطينيين وأن تمتثل لقرارات الأمم المتحدة إلا أنها بدلاً من أن تقوم بذلك **قامت ثلاث منها ، وهي أمريكا و بريطانيا و فرنسا بمكافأة إسرائيل بإصدارها البيان الثلاثي المؤرخ في ١٩٥٠/٥/٢٥ الذي ضمنت بموجبة حدود إسرائيل حسب خطوط الهدنة ، وبدون أن تستثني المنطقة التي احتلتها زيادة عن قرار التقسيم والتي تبلغ حوالي (٢١،٨%) من مساحة فلسطين . (٩٠)**

وبعد أن سلحت إسرائيل بأحدث الأسلحة ، قررت تلك الدول في البيان **الثلاثي منع الدول العربية من التسلح ، كما أعلنت تلك الدول أنها "إذا تبيّنت أن أي دولة (من دول المنطقة) تستعد لانتهاك حرمة الحدود أو خطوط الهدنة فإنها لن تتردد في تنفيذها لالتزاماتها بصفتها أعضاء في المنظمة الدولية، في أن تتدخل باسم هيئة الأمم المتحدة وخارج نطاقها .**

وهكذا أعطت الدول الثلاث شرعية للاحتلال الإسرائيلي وشجّعت إسرائيل على العدوان والتوسع، وأنذرت الدول العربية بأنها إذا استعدّت لاستعادة حقوقها في فلسطين فإنها لن تتردد في مهاجمتها، بصفتها أعضاء في المنظمة الدولية ، وبقوتها الخاصة خارج نطاق الأمم المتحدة . نعم هدّدت أمريكا وبريطانيا وفرنسا باستخدام القوة ضد الدول العربية إن هي استعدّت – مجرّد استعداد- لاسترجاع حقوقها في فلسطين، ومع ذلك يصدّق بعض العرب أن هذه الدول غير منحازة ويعلقون عليها آمالاً بإنصافهم. !!

هوامش الفصل السابع

١	الأمم المتحدة، "الوضع القانوني للضفة الغربية وغزة". (نيويورك، ١٩٨٢)، ص(٥). تأكد زيادة
٢	أبو عفيفة،مصدر سبق ذكره، ص (٤٤٩)
٣	أبو عفيفة،مصدر سبق ذكره، ص (٤٤٩)
٤	المصدر نفسه
٥	روجيه غارودي، "إسرائيل بين اليهودية والصهيونية"(بيروت: دار التضامن ، ١٩٩٠)ص (١٩٣-١٩٤)
٦	"Israeli League for Human and Civil Rights") The Shahak Papers) Compiled and Edited by Adnan Ahmed,(Beirut :NEEBIL, 19???) p. (9)
٧	Henry Cattan, "Palestine the Road to Peace" (London: Longman, 1971) p. (23).
٨	.Famous Quotes ((٦٩) .p ‹silearsI tsriF ehT ‹١٩٤٩)

(1949, The First Israelis, p. (71-72)) Famous Quotes.	٩
Stephen Green" : Taking Sides :American Secret Relations With a Militant Israel 1948-1967" (London & Boston: Faber and Faber,1984) p. 87)	١٠
"فلسطين: تاريخها وقضيتها"(بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية،١٩٨٣) ص(٤٩).	١١
Sally V. Mallison and W. Thomas Mallison, "The Changing U.S. Position on Palestinian Self-Determination". Journal of Palestine Studies Vol. XXVI, No 3, spring 1987, P. (111).	١٢
د. محمد خليل شديد، " الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية" (القدس : جمعية الدراسات العربية، ١٩٨٥) ، ص(١٠٠-١١٠)	١٣
الجنرال شلومو جازيت، " العصا والجزرة .الحكم الإسرائيلي في الضفة الغربية" " (نيقوسيا–قبرص: مؤسسة بيان للطباعة والنشر، د.ن. ، د. ت.) ص (١٥-٣٦).	١٤
(Charl Delwach, " Seeds of Conflict" From Isaac and Ismael to Dayan and Sadat – the Sons of Abraham" (Plainfield, New Jersey: Lagos International, 1974) pp. (46-50).	١٥
Gail Pressburg" .Strategic and Domestic Influences Upon US Policy in the Middle East" Fifth UN Seminar on the Question of Palestine.(New York,1982) p.(122).	١٦
د. عبد الفتاح الرشدان، القدس ١٩٩٢/٧/٢٩.	١٧
Findley" ‹They Dare Speak Out" p.(318).	١٨
Nasseer Aruri, et. Al. ,op. Cit. pp.(5-13, 90) .	١٩
Green, Taking Sides, op. cit. , pp. (192-221, 250.(	٢٠
محمد حسنين هيكل، الحياة الجديدة، ٢٠٠١/٢/٦.	٢١
Cherryl Rubenburg, op. cit .pp.(12, 126	٢٢
د.كميل، منصور، " الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل . العروة الأوثق " (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٦) ، ص (١١)	٢٣
Nasseer Aruri, et. Al" .Reagan and The Middle East" (Belmont, .(5 -13, 90.)	٢٤
د. عبد الفتاح الرشدان، القدس ١٩٩٢/٧/٢٩.	٢٥
د. هشام شرابي، " المقاومة الفلسطينية في وجه أمريكا وإسرائيل" (بيروت: دار النهـــار،١٩٧٠) ص(٨٣)	٢٦
المصدر نفسه	٢٧
Stephen Green, "Taking Sides :American Secret relations with militant Israel"(New York: William Morrow and Co, Inc., 1984) pp.198-221	٢٨
د. عبد الفتاح الرشدان، القدس ١٩٩٢/٧/٢٩.	٢٩
George Ball"‹ America"s Waning Moral Authority "American Arab Affairs, (Spring 1985) No.(12), p.(2).	٣٠
Green, op. Cit . , pp.(243-244) .	٣١
زئيف شيف ، "" انتفاضة " (القدس: دارشوكن، ١٩٩٠) ص (٤١) . نقلا عن : Lara Z. Eisenburg and Neil Caplan, "Negotiating Arab- Israeli Peace" (Bloomington: Indiana University Press,1998)p. 41	٣٢
د. محمد شديد، المجلة العربية للعلوم السياسية،تصدر عن الجمعية العربية للعلوم السياسية، العدد	٣٣

	الأول، السنة الأولى، ١٩٨٦، ص (٧٩).
٣٤	عاروري ، مصدر سبق ذكره، ص (٣١٠-٣١١).
٣٥	د. محمد شديد، المحلة ، مصدر سبق ذكره، ص (٦٨).
٣٦	ناعوم تشومسكي، "الثالوث الخطر : الولايات المتحدة . إسرائيل . والفلسطينيون " (القاهرة : الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين فرع جمهورية مصر العربية، ١٩٩٣)، ص (٢٢٢-٢٢٣).
٣٧	ناعوم تشومسكي، "الثالوث الخطر : الولايات المتحدة . إسرائيل . والفلسطينيون " (القاهرة :الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين فرع جمهورية مصر العربية، ١٩٩٣)، ص (٣٤٠).
٣٨	The World Al-Manac and Book of Facts .١٩٨٥ PP.(891, 896, 918.(
٣٩	ناعوم تشومسكي، مصدر سبق ذكره، ص (٣٩٦).
٤٠	ناعوم تشومسكي، مصدر سبق ذكره، ص (٣٩٦).
٤١	فتحي رضوان، مداخلة له في مناقشات الفصل الأخير بعنوان من أين نبدأ؟ وما العمل؟ في كتاب "أزمة الديمقراطية في الوطن العربي: (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤) ص (٨٥٠).
٤٢	تشومسكي، مصدر سبق ذكره، ص (٣١).
٤٣	George Shultz, Delusions of Grandeur, Turmoil and Triumph . My Years AS Secretary of State"(New York: 1993) Reviewd by Catheleen Christision .Journal of Palestine Studies, 94, pp. 89-90 JPS Vol ????
٤٤	نوعم تشومسكي" "الثالوث الخطر :الولايات المتحدة، إسرائيل والفلسطينيون"(القهرة: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ١٩٩٣) ص(٣٩٦)
٤٥	نوعم تشومسكي" "الثالوث الخطر :الولايات المتحدة، إسرائيل والفلسطينيون"(القهرة: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ١٩٩٣) ص(٣٩١)
٤٦	Spanier, "American Foreign Policy Since World War II"(New Delhi:Tata Mac Grow-Hill Publishing Co Ltd.,1984)PP.()324-329).
٤٧	منشأ القضية الفلسطينية وتطورها ١٩١٧-١٩٨٨ . الأمم المتحدة ، نيويورك، ١٩٩٠٩) ص (٣٣٣)
٤٨	زئيف ستير نهيل، "الأساطير المؤسسة لإسرائيل"(رام الله: مدار- المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، ٢٠٠١) ص (٣٦٥)
٤٩	زياد أبو عمرو،"الانتفاضة: أسبابها وعوامل استمرارها "(القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، ١٩٨٩، ص(٥-١٤).
٥٠	Aryeh Shalev, "Intifada, Causes, and Effects" (Tel- Aviv: Jaffee Center for Strategic Studies, 1991) pp.(14-17, 189)
٥١	زئيف شيف و اهود معاري، "انتفاضة" (القدس وتل أبيب: دار شو سكن للنشر، ١٩٩٠) ص (٢٩،٣٧،٣٧٧-٣٧٨).
٥٢	جريدة "يديعوت أحرونوت" ١٩٩٧/٨/٣ . انظر أيضا طلال أبو عفيفة" "الدبلوماسية والاستراتيجية في الصراع العربي الإسرائيلي" (القدس: د.ن، ١٩٩٨) ص(٥٧٧)
٥٣	(القدس ١٤-٨-١٩٨٨)
٥٤	(النهار ١٩-١-١٩٨٨)
٥٥	(القدس ٢-٤-١٩٨٩)
٥٦	د.أحمد سوسه، "العرب واليهود في التاريخ" (١٩٧٢)ص(٦٣٢-٦٣٥).

	عبد الفتاح العويسي ،" جذور القضية الفلسطينية "(الخليل : دار الحسن للطباعة والنشر،١٩٩٢) ، ص (١٦٢-١٦٤).
٥٧	العويسي ، مصدر سبق ذكره ، ص(١٦٢-١٦٤).
٥٨	مجلة الوعي، العدد ١٦١- السنة الرابعة عشرة- جمادى الثانية ١٤٢١هـ- أيلول ٢٠٠٠م ، ص (٩-١٠)
٥٩	اللواء الشاذلي، "الحرب الصليبية الثامنة" ص (٤٦٤-٤٦٦)
٦٠	العويسي ، مصدر سبق ذكره ، ص(١٦٢-١٦٤).
٦١	فتحي رضوان، "الحرب مع إسرائيل- مقدمات ونتائج" (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠. ص (٤٦)
٦٢	د. محمد خليل شديد، "الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية" (القدس: جمعية الدراسات العربية، ١٩٨٥) ص(٤١)
٦٣	John J. Mc Tague, 'British Polisy In Palestine 1917-1922) "(New York: Lenham University Press of America, n., d.,) P. (1).
٦٤	The Saturin K. Soglo ‹The Fundamental Rights Of The People of Palestine" Seventh United Nations Seminar On the Question of Palestine. 9-13 August 1982. Dakar- Republic of Senegal. P.(121).
٦٥	" منشأ القضية الفلسطينية وتطورها ١٩١٧-١٩٨٨م" (نيويورك، الأمم المتحدة، ١٩٩٠)، ص(٦، ، ص ٣٣-٣٤). British Government Foreign Office No.371/4183(1919). Doreen Ingrams, The Palestine Papers" p. (793
٦٦	United Nation. The Question of Palestine. A Brief Survey .(New York: United Nations, 1982) P.(7).
٦٧	Journal of Palestine Studies, Vol. XXIII, No. I, (autumn, 1994). P. (101
٦٨	منشأ القضية ، مصدر سبق ذكره، ص(٢٢) نقلا عن: Sol. M. Linowitz, "The Legal Basis For the State of Israel ." American Bar Association Journal Vol. 43,. P.(522).
٦٩	منشأ القضية ، مصدر سبق ذكره، ص(٢٢).
٧٠	Henry Cattan Palestine, the Arabs and Israel) "‹"London :Longman, 1969) PP. (12-13).Henry Cattan, "The Palestine Question"(London: Croom Helm, 1988) (P. (13).
٧١	رفيق شاكر النتشه،"الاستعمار وفلسطين .إسرائيل مشروع استعماري " (عمان : دار الجليل ، ١٩٨٤)ص١٨١ . نقلا" عن: يوري ايفانوف،" الصهيونية ترجمة ماهر عسل (القاهرة:دار الكاتب العربي ١٩٦٩)، ص(٣٤-٣٦).
٧٢	يوسف حداد، هل لليهود حق .. ج١ ، ص (٣٨٤)
٧٣	منشأ القضية ، مصدر سبق ذكره، ص (٤١-٤٣)، نقلاً عن: Henry Cattan, "Palestine and International Law" (London: Longman, 1973) P.P.(30-33).
٧٤	تقرير لجنة التحقيق الإنكليزية الأمريكية بشأن مشاكل اليهود في أوروبا وفلسطين لوزان ٣٠ نيسان ١٩٤٦
٧٥	Green , Taking Sides, op. cit. p .(25).
٧٦	A.C. Forrest, " The Unholy Land " (Toronto , Montreal: Mc Clelland and Stewart Limited, 1971) , p . (150)
٧٧	د. محمد شديد،"الولايات المتحدة والفلسطينيون" (القدس: جمعية الدراسات العربية، ١٩٨٤) ص (٧١). Palestine Arab Office" ‹Tension and Peace in the Middle East" , n.p., n.d. p.(9).
٧٨	The Universal Jewish Encyclopedia Vol.(8) pp .(358-359)
٧٩	Henry Cattan, "Palestine Road to Peace "pp.(16-17)
٨٠	Palestine Arab Office" ‹Tension and Peace in the Middle East" , n.p., n.d. p.(9).

٨١	Henry Cattan, "Palestine Road to Peace"pp.(16-17)
٨٢	د.جابر إبراهيم الراوي،" القضية الفلسطينية في القانون الدولي الراهن"(عمان: دار الجليل، ١٩٨٥)، ص(٣٩-٤٠).
٨٣	Henry Cattan“ ‹Palestine , the Arabs and Israel” op. cit. p. (261)
٨٤	زهدي عبد المجيد سمور،"تاريخ العرب المعاصر" (القدس: جامعة القدس المفتوحة،٢٠٠٣) ص (١٧٢)
٨٥	الجنرال جلوب (القائد البريطاني للجيش العربي الأردني)، "جندي بين العرب"نقله إلى العربية عفيف حسن بطارسة، (عمان : دار النشر للجامعيين،د. ت.) ص (٤٩-٥٠)
٨٦	يوسف حداد ج١ ص (٤٢١)
٨٧	منير شفيق، " القضية الفلسطينية الأشد تعقيداً" في كتاب "القضية الفلسطينية في نصف قرن" تحرير نخبة من الأساتذة، (لندن: منشورات فلسطين المسلمة،١٩٩٩) ص (٣).
٨٨	سميح شبيب حكومة عموم فلسطين ص (١٥)
٨٩	سميح شبيب، حكومة عموم فلسطين، مصدر سبق ذكره، ص(١٤-١٥،٢٠-٢١)
٩٠	Stephen Green : “Taking Sides :American Secret Relations With a Militant Israel 1948-1967” (London & Boston: Faber and Faber,1984), p. (148).

الفصل الثامن

حجج وذرائع الغرب للاعتداء على العرب والمسلمين وجرائمه بحقهم في عهد ما يسمى بصراع الحضارات والعولمة والإرهاب

الفصل الثامن

٨-١ حجج وأعذار الغرب للاعتداء على العرب والمسلمين وجرائمه بحقهم في عهد ما يسمى بصراع الحضارات والعولمة والإرهاب

٨-١-١- الحجج الدينية: حماية القبر المقدس وإعادة اليهود لفلسطين و"هرمجدون"

فندنا في الفصل الثالث حجة حماية الحجاج المسيحيين والقبر المقدس من اعتداءات المسلمين.كما فنّدنا أساطير ومقولات الشعب المختار والحقوق التاريخية لليهود في فلسطين. وأوضحنا كيف اضطهدت أوروبا المسيحية اليهود لعدة قرون، وادعت بأن المسيحيين هم الشعب المختار. وبعد اعتناق بريطانيا البروتستنتية أعادت اليهود إليها، كما أعادت الاعتبار إليهم، وصارت تدعو إلى إعادتهم إلى فلسطين، ليس لسواد عيونهم، وإنما لكي يحكم المسيح المنتظر لمدة ألف عام حسب زعمهم، وبعدها تقع المعركة الفاصلة بين الخير والشر التي أطلق عليها اسم "هرمجدون" بالعبرية ، أي جبل "مجِدّو" وهو موقع يعود للعهد الكنعاني العربي ويقع في جنوب شرقي مدينة حيفا في فلسطين. وهذه الأسطورة صنعت نتيجة استغلال أسطورة تتعلق بمعركة مزعومة بين الخير والشر تحدث عند نهاية الزمان (العالم) يوم القيامة، وردت في سفر"حزقيال" (٣٨: ١-٣٩: ٢٩) و "دانيال" (١٣:١٢-١٣)من العهد القديم للكتاب المقدس و سفر "رؤيا يوحنا اللاهوتي" من العهد الجديد. (١٦: ١٣-١٦) (١)

ومن المعروف أن أسفار " حزقيال "و"دانيال" كتبت أثناء النفي في بابل بعد عهدي إبراهيم وموسى عليهما السلام بزمن طويل ". (٢) ومن المعروف أيضاً أن الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية وبعض البروتستنتية تنكر هذا المعتقد وترفض ما جاء في الأناجيل المذكورة.

ويلقي الكاتب ناهض الريس الضوء على مقولة "هرمجدون"فيقول: تتحدث الرؤيا "الصهيونية والمتصهينة عن معركة "هرمجدون" التي تزعم أنها ستحدث عقب عودة المسيح- عليه السلام- في أخر الزمان في سهل "مجدو" في فلسطين...وحجر الزاوية في قصة "هرمجدون" هو الاعتقاد السائد بعودة المسيح بعد انقضاء ألف سنة على ميلاده ثم اضطلاعه بالحكم ألف سنة. وعلى الرغم من أن المسيح لم يظهر، لا بعد الألف الأولى ولا بعد الألف الثانية فإن الأصوليين الأمريكيين يتلقون عقيدتهم من مصادر صهيونية تتبع وسائل ملتوية...لتمرير عقيدتهم نفسها بحيث تطابق مصالح إسرائيل" (٣) وتسمى هذه العقيدة

حاليا " المسيحية الصهيونية" التي تتنكر لمبادئ حقوق الانسان وتقترف جرائم التوسع والعدوان.

ويكشف "جين لامبمان" عن أهداف الصهيونية المسيحية في صنع دولة يهودية تمتد من النيل للفرات، وتهدم المسجد الأقصى المبارك، وتقيم على أنقاضه هيكلاً صهيونيا فيقول:

تعتبر إسرائيل الحديثة عند المسيحيين الصهاينة إنجازا لاتفاق الرب مع إبراهيم –عليه السلام- وحتى القدوم الثاني للمسيح –عليه السلام- والمعركة النهائية الفاصلة"هرمجدون" بين الخير والشر والتي سيُهزَم فيه أعداء المسيح، لكنه قبل أن يحدث ذلك تقول "النبوءة" الإنجيلية وفقا لهؤلاء المسيحيين الصهاينة، بعودة اليهود من بلدان أخرى وبامتلاك إسرائيل لجميع الأرض الواقعة بين نهري الفرات والنيل، وبإعادة بناء المعبد اليهودي في المكان الذي تقوم عليه اليوم "قبة الصخرة" هذا المكان الإسلامي المقدس"(٤)

وقد سبق أن أوضحنا أن الصهيونية صنعت في أعقاب الإصلاح الديني في القرن السادس عشر، حيث كان " من بين النتائج البارزة للإصلاح الديني البروتستنتي ظاهرة الاهتمام بتحقيق النبوءات التوراتية المتعلقة بنهاية الزمان وكان جوهر "العصر الألفي السعيد" هو الاعتقاد بعودة المسيح المنتظر الذي سيقيم مملكة الله على الأرض التي ستدوم ألف عام. واعتبر المؤمنون بالعصر الألفي السعيد أن مستقبل الشعب اليهودي أحد الأحداث الهامة التي تسبق نهاية الزمان".(٥)

وفي كتابه "هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين"، يوضح الأستاذ "يوسف حداد" مدى غرابة وكذب أسطورة "هرمجدون" التي بدأ ت مع بدء البروتستنتية في القرن السادس عشر، وأعطاها زخماً كبيرا ريغان وبوش ليتخذا منها ذريعة لشن الحروب والعدوان، وينتقد تلك الأسطورة فيقول:

تقول هذه الخرافة... إنّ الوقت قد اقترب عند نهاية العالم حينما تغزو جيوش السوفييت والعرب والأفارقة دولة إسرائيل. وستباد جيوش الغزاة بواسطة قنبلة ذرية... ونبعت الصهيونية المسيحية من أمل ابنى(بني) على التلفيق وخداع النفس... وقد انتقد كثير من الزعماء الدينيين الكبار في الولايات المتحدة هذه الرؤيا انتقادا شديداً. فأسقف ديترويت الكاثوليكي "توماس غمبلتون"ّ، تحدى هذه العقائد بقوله"إنها تنتهك الحقيقة العظمى في تراثنا الروحي المسيحي-اليهودي، وهي أن الله يريد الحياة لا الدمار للبشرية".كما أثار الحديث عن "هرمجدون" الذرية حفيظة مجموعات دينية كاثوليكية، وتبنت هذه المجموعات.بيانا.. يطالب المرشحين بالتنكر للنظرية اللاهوتية"هرمجدون" التي يدعو لها الرئيس ريغان والقس جيري

فالويل، والتي تقود إلى الاعتقاد بأن الحرب النووية لا مهرب منها..ومن الواضح أن نظرية "هرمجدون" في تأويلها المتنبئ بدمار العالم تتناقض مع موعظة المسيح على الجبل التي يدعو فيها للسلام لا للدمار(متى ٥: ٢١-٤٨)

.. ومع ذلك نجد.. من يقدمون على التنبؤ بالآخرة"هرمجدون" التي يعقبها نهاية العالم...(و)يحددون أزماناً لتلك النهاية كلما حصلت أزمات سياسية أو اقتصادية أو حروب. وحدد مايكل ستيفل(Michael) نهاية العالم الساعة الثامنة قبل الظهر يوم التاسع عشر من تشرين الأول عام ١٥٥٣م، ومرّ ذلك التاريخ ولم تحدث نهاية العالم... نشر القس هال ليندسي إسهاماته في هذا الموضوع بكتابه ...الذي بيع منه ثلاثين مليون نسخة... وقد حوله إلى فلم سينمائي، وركز فيه على أن أهم إشارة لنهاية التاريخ وعودة المسيح الثانية، هي عودة اليهود إلى أرض إسرائيل بعد آلاف السنين. كما أشار فيه إلى أنّ الاتحاد السوفييتي هو ياجوج الذي يتعاون معه العرب وحلفاؤهم لمهاجمة إسرائيل. وأكد أن قوة إسرائيل العسكرية ستنتصر على قوى الشر تمهيداً للمجيء الثاني للمسيح المخلص بعد معركة"هرمجدون"...

ورأى هال ليندسي أنه بعد قيام إسرائيل (١٩٤٨م) بأربعين سنة، أي في عام ١٩٨٨م، تكون كل النبوءات التي تسبق مجيء المسيح قد تحققت. ولقد تبين أن النبوءات الخمس التي أشار إليها لم تحدث: نبوءة..عودة المسيح السرية للأرض لم تقع عام ١٩٨١م كما حددها...وسقطت النبوءة الثانية المتعلقة بدور المسيح الدجال الذي حدد أنه من ضمن الأقطار العشرة في السوق الأوروبية المشتركة الذي سيظهر كديكتاتور فرنسي إذا لم يبرز ذلك الدجال على الوجود، وسقطت النبوءة الثالثة المتعلقة ببناء الهيكل الثالث الذي حدد ليندسي موعد بنائه في منتصف الثمانينات.... افترض ليندسي أن الهجوم المصري /السوفييتي على إسرائيل، وفقاً للنبوءة، سيحدث في الثمانينات حالاً بعد تدشين الهيكل الثالث..، واعتبر أن ما ورد في سفر دانيال(١١: ٤٠) بأن ملك مصر هو عبد الناصر، مع العلم أن عبد الناصر توفي عام ١٩٧٠م...، ولم يحدث هجوم على إسرائيل، ولم تصبح مصر قوة عظمى، وعلى العكس عقدت صلحاً مع إسرائيل.ومن نبوءات ليندسي المتهافتة هجوم الاتحاد السوفييتي على إسرائيل استنادا إلى سفر دانيال (١١: ٤٠)..و(٣٩:١١-٤٥) وسفر حزقيال(٣٨). فالاتحاد السوفييتي انهار ولم تتحقق نبوءة ليندسي، وعلى العكس من ذلك فلقد أصبحت روسيا على أوثق العلاقات مع إسرائيل. وليس من المعقول أن يتكلم أي من هؤلاء "الأنبياء" عن روسيا التي لم يكن لها وجود في زمنه، فمملكة روسيا تأسست في القرن الثاني عشر

الميلادي. وهذا ما يثبت بطلان(خرافة) التنبؤ المستقبلي استناداً إلى رؤى توراتية تُبنى عليها تأويلات اعتباطية.

ومن هذه التنبؤات التي أظهرت الوقائع زيفها ما ذهب إليه القس بات روبرتسن إبان الهجوم الإسرائيلي على لبنان، عام ١٩٨٢م، بأنه مؤشر على اقتراب حدوث "هرمجدون"، وعلى قيام الاتحاد السوفييتي بهجوم على إسرائيل. وبالطبع لم يحدث ذلك الهجوم."(٦) .

وفي القرن العشرين استغلت أمريكا أساطير هرمجدون ونهاية الزمان (العالم) والصراع بين الخير والشر، وادعت أنّ الغرب يمثل الخير، والإسلام يمثل الشر، وأنّ الحضارة الإسلامية تهدد الحضارة الغربية، ودعا "هنتنغتون"الغرب إلى إقامة حلف ليقف في وجه الإسلام، وهو ما سبق وأن أوضحنا زيفه في الفصل السادس.وسنقدم تفاصيل عملية بشأنه عند بحث الحروب العدوانية التي تشنها أمريكا مباشرة على العرب والمسلمين في أفغانستان والعراق، وتلك التي تشنها بالوكالة عن طريق قاعدتها إسرائيل.

يتضح مما تقدم مدى كذب الغرب ومدى زيف هذه الادعاءات، فالغرب يفسر الأحداث بالشكل الذي يبرر ممارساته العدوانية خلافاً للقانون الدولي، ويخدم مصالحه، بعيداً عن الحقيقة والموضوعية.

٨-١-٢- "عبء" الرجل الأبيض ورسالة "التحضير"

يدعي الغرب المستعمر أنه لا يأتي لاستعمار الدول الأخرى، بل لكي يحضرها ويرفع مستواها. فبصفة الغرب شعباً مختاراً وصاحب حضارة أرقى – حسب ادعائه- فإنه يقع عليه عبء تحضير الأقوام الأخرى. وتزخر الأدبيات الغربية بهذا الفكر، وعلى سبيل المثال يقول الكاتب الأمريكي "سبينر"Spanier:

> لقد بررت الدول الغربية هيمنتها الإمبريالية بحجة تقديم منافع الديمقراطية الغربية، والعلوم الطبية، والتكنولوجيا لشعوب العالم المتخلفة. وكان هذا هو عبء الرجل الأبيض، أو واجبه في تعليم الشعوب حتى تستطيع يوماً ما أن تحكم نفسها بنفسها(حسب ادعاء الغرب)
>
> ويظهر أن القوى الكولونيالية (الاستعمارية) قد تعلمت درسها جيداً، فقد حكمت مستعمراتها بطريقة استبدادية، بينما كانت تروج لفضائل الديمقراطية. نعم باسم هذه الفضائل والمثل جاءت القوى العظمى لتستعمر، وباسم هذه الفضائل تحدّت الحركات الوطنية حكامها، وطلبت منهم أن يطبقوا عملياً ما ينادون به نظرياً.(٧)

وقد أصبح واضحاً أن مقولة "عبء الرجل الأبيض" ليست أكثر من حيلة من الحيَل التي لجأ إليها الغرب للتسلط على الدول الأخرى والتحكم في مقدراتها، ونهب خيراتها.

٨-١-٣- "تحرير !" الغرب للعرب والمسلمين من حكم الدولة الإسلاميـــة الاستعماري وتفنيد هذه الحجة

وسبق أن فندنا في الفصل الأول زعم التحرير على أيدي قوى الاستعمار.

٨-٢- جرائم الغرب بحق العرب والمسلمين في عهد ما يسمى بصراع الحضارات والعولمة والإرهاب

بعد تفكك السيطرة الكولونيالية سعت الولايات المتحدة لإعادة شعوب المستعمرات السابقة إلى بيت الطاعة، وواصلت العمل من أجل فرض هيمنتها الكاملة على منطقة الخليج العربي نظراً لأهمية المخزون النفطي الذي يحتويه. وكانت في حاجة إلى عدو جديد تشحذ همة الغرب ضده، فرأت أن الإسلام هو العدو القادم، نظراً للاعتبارات التي أوضحناها في الفصل السابق والتي تقوم على أساس فرضيات"فرنسيس يوكوهاما" و"هنتنغتون" المزعومة بشأن نهاية العالم، والصراع بين الخير والشر، ومعركة هرمجدون التي ينتصر فيها الغرب المسيحي الخيّر! على قوى الشر غير المسيحية !. وانطلاقا مما تقدم، بدأت أمريكا في الإعداد لمعارك ضد الإسلام والمسلمين من أجل تأبيد الهيمنة على بلاد المسلمين ذات الموقع العالمي الإستراتيجي والأسواق المربحة والغنية بالنفط. وقد رأت في العراق وإيران بلدين غنيين بالنفط، ولديهما من الامكانات البشرية ما يمكن أن يهدد مصالحها وهيمنتها على المشرق.ولذلك قررت التصدي لهما بضربهما في بعضهما أولا ومن ثم التصدي لكل منهما على انفراد.

ورأت أمريكا في ثورة إيران الإسلامية عام ١٩٧٩ خطراً على مصالحها في المنطقة، كما أنها لم يطب لها أن يكون للعراق قوة حقيقية في منطقة الخليج.ولهذه الأسباب عملت أمريكا على تطبيق سياسة الاحتواء المزدوج للعراق وإيران، وقررت العمل على إضعافهما، عن طريق إثارة الخلافات بينهما.

وبحجة خلافات على الحدود بين البلدين ، شن العراق حربا على إيران في أيلول عام ١٩٨٠، دامت ثماني سنوات. وقد انحازت أمريكا للعراق أثناء الحرب التي نشبت بين العراق وإيران بعد سنة من نجاح الثورة الإسلامية في إيران. ولكنها انطلاقا من عدائها للعرب والمسلمين، قامت بتسليح الطرفين لكي تطيل أمد الحرب ، ولكي يدمّر كل منهما الآخر.(٨)

ويذكر "ستيفن زونز"(Stephen Zunes) أستاذ القانون الدولي في جامعة سان فرانسسكو الأمريكية أن العداوة بين أمريكا وإيران بدأت منذ الانقلاب الإسلامي الذي طرد الشاه حليف أمريكا الحميم عام ١٩٧٩، ورغم ذلك، فقد شحنت أمريكا سرّاً السلاح إلى إيران، كما شحنته إلى العراق خلال الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) ومنذ عام ١٩٩٣ شرعت أمريكا في سياسة الاحتواء المزدوج لإيران والعراق ووصفتهما بأنهما دولتان مارقتان. وقد عرّفت أمريكا الدول المارقة بأنها الدول التي تملك قوة عسكرية كبيرة، وتسعى إلى امتلاك أسلحة الدمار الشامل، وتنتهك ما عرف بالأنماط الدولية. (٩)

٨ -٢-١- دور أمريكا في الحرب العراقية الإيرانية

وتؤكد المصادر الأمريكية والعالمية، التي سنستشهد ببعض منها، الدور الميكيافلي القذر الذي قامت به أمريكا ضد العراق وإيران.وعلى سبيل المثال، يتحدث أستاذ التخطيط والتنمية البريطاني"روبرت بيل" في كتابه بعنوان "الإمبريالية الجديدة" عن صلة الولايات المتحدة الأمريكية بالحرب العراقية الإيرانية ويصف كيف دعمت الطرفين المتحاربين لإضعافهما فيقول:

جرى تشجيع العراق على مهاجمة إيران- صدرت إشارات واضحة من مستشار كارتر لشئون الأمن القومي، بريجنسكي، في هذا الاتجاه... وتم التلاعب بالأطراف المختلفة مع الإبقاء عليها جميعها ضعيفة. فقد جرى تشجيع الأكراد على مواصلة القتال من أجل الاستقلال... وكان يجري في الوقت ذاته تسليح إيران سراً...."(١٠)

ويكشف الرئيس الأمريكي الأسبق "ريتشارد نيكسون" كيف وقفت أمريكا إلى جانب كلٍّ من الطرفين المتنازعين لينهك بعضهم بعضاً ويقول:

"هناك العديد من المراقبين الذين يدينون السياسة الأمريكية خلال الحرب الإيرانية. إنّهم يعربون عن صدمتهم إزاء التصرف الأمريكي بالوقوف حيناً إلى جانب طرف وحيناً إلى جانب الطرف الآخر حسب تطوّر القتال. إنهّم على حق جزئياً. ذلك أنّ مصالحنا تقتضي أن لا يبرز أيّ من الطرفين كمنتصر نهائي. وقد تصرفت إدارة الرئيس ريجان بحنكة عندما استخدمت الطرفين لهذا الغرض. وعندما تم بيع السلاح إلى العراق. (١١)

ويؤكد وزير الخارجية الأمريكية الأسبق "كيسنجر" سوء نية أمريكا تجاه كلٍ من إيران والعراق إثر انتهاء الحرب الإيرانية العراقية وتصميمها على تحطيم قوة العراق فيقول: "لا نريد مهزوماً واحداً في هذه الحرب إنّما نريد مهزومين اثنين، وحيث انتصرت العراق على إيران – فعلينا نحن تقع مسؤولية هزيمة العراق وتحطيم آلته العسكرية". (١٢)

ويوضح ما سبق، ويؤكده الدكتور محمد شديد، أستاذ العلوم السياسية في جامعة النجاح فيقول:

أمريكا تعتبر أنّ استمرار الحرب العراقية -الإيرانية يخدم المصالح الأمريكية للأسباب التالية: (١) إنّ استمرار الحرب يضعف إيران، ومن ثمّ يقلل خطرها على المصالح الأمريكية في المنطقة. (٢) إنّ استمرار الحرب يضعف العراق أيضاً... ويعيق تصدّي العراق للتوسع الإمبريالي في المنطقة.. أما على الصعيد القومي، فإنّ استمرار الحرب يعيق أخذ العراق دوره الطليعي في التصدي للخطر والعدوان الصهيوني والمخططات الإمبريالية الاستسلامية في الصراع العربي-الصهيوني. (١٣)

وبررت الولايات المتحدة احتواءها لإيران بالإشارة إلى " أربع قضايا: معارضتها لعملية السلام بين العرب وإسرائيل، ودعمها للإرهاب(!)...وخططها المزعومة لإنتاج أسلحة نووية، وسجلها المحلي في حقوق الإنسان." (١٤)

وبعد ثماني سنوات من الحرب الشرسة تم التوصل إلى وقف إطلاق النار بين العراق وإيران عام ١٩٨٨، بعد أن تكبد الطرفان أعداداً هائلة من القتلى والجرحى والمعاقين، خلافاً للحديث النبوي الشريف الذي يقول:"إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار".ودمر قسم كبير من البنى التحتية والاقتصاد للبلدين، في تلك الحرب التي كانت لصالح عدوهما المشترك الذي يتمثل في الغرب بقيادة الولايات المتحدة التي دمرت العراق، وتتآمر الآن على تدمير إيران، كما سيتم توضيحه فيما بعد.

٨-٢-٢- حرب العراق العدوانية ضد الكويت ودور أمريكا فيها

توصل الأستاذ البريطاني "روبرت بيل"- بعد دراسة الوثائق الحكومية الأمريكية المتعلقة بغزو العراق للكويت- إلى الاستنتاج التالي:

هناك أسباب قوية تحملنا على الجزم بأن قضية حرب الكويت جرى تدبيرها بشكل متعمد كمصيدة للعراق. كانت هناك بالتأكيد إشارات من الولايات المتحدة الأمريكية يمكن تفسيرها بأنها تعطي العراق الضوء الأخضر لغزو الكويت.(لم يكن تصرف السفيرة الأمريكية في بغداد وقولها لصدام، عندما لمح عن نيته، أن القضية لا تخص الولايات المتحدة الأمريكية، الإشارة الوحيدة) جرى تخطيط التدخل عن عمد حقاً فالولايات المتحدة الأمريكية قد رسمت، كما يبدو، استراتيجية مسبقة لفرض نظام دولي جديد"(١٥)

ولو كانت أمريكا صادقة في أنّ هدفها الأهم هو الشرعية الدولية وعدم مكافأة صدام المعتدي، وعدم السماح باكتساب الأرض عن طريق القوة، لكانت قد استجابت إلى طلب الرئيس العراقي صدام حسين يوم ١٩٩٠/٨/١٢ الذي

دعا فيه إلى انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة مقابل انسحابه من الكويت. ولو استجابت أمريكا إلى طلب الرئيس العراقي صدام حسين بالرّبط بين الانسحاب العراقي من الكويت والانسحاب الإسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة، لكانت قد حالت دون المآسي التي حلّت بالكويت أولا، وتلك التي لا تزال تتسبب في معاناة العراق ثانياً، ولوضعت حدّاً لمعاناة الشعب الفلسطيني ومعاناة أهالي ثلاث دول عربية أخرى احتلت أراضيهم.

وفي العهد الملكي في العراق لم يحاول العراق ضم الكويت لأن كلا القطرين كانا مركزي نفوذٍ بريطاني. ولكن بعد الانقلاب الذي قضى على الملكية في العراق، شرعت الحكومات العراقية البعثية تسعى إلى ضم الكويت إليها بحجّة أنّه جزء منها. وعادت المحاولات العراقية إلى ضم الكويت في أعقاب انتهاء الحرب العراقية الإيرانية. وكانت أمريكا" تنتظر هذه الخطوة بفارغ الصبر كي تستغلها للحصول على المزيد من المشاريع الاقتصادية في المنطقة على حساب الدول الكبرى الصناعية الأخرى. ولكن الضعف السياسي الذي أصاب صدام حسين، بعدما وقع في الفخ الذي أعدته له الولايات المتحدة مرتين من خلال غزو إيران والكويت قدم للمصنع العسكري - الصناعي(الغربي) مبرراً للتدخل الضخم الذي أعدّ له منذ ثلث قرن" .(١٦)

وأبلغت سفيرة أمريكا في بغداد، أبريل جلاسبي (April Glaspie) العراق أنّ علاقة العراق بالكويت هو شأن عربي داخلي. وهكذا خدعت أمريكا العراق، وشجّعته بشكل غير مباشر على المضي قدماً في عملية غزو الكويت وضمها إليه. واحتل الجيش العراقي الكويت، التي هي عضو في الأمم المتحدة، واستولى العراق على مقاليد الإدارة والحكم ، رغم جميع التحذيرات له بعدم الإقدام على هذه الخطوة.

٨-٢-٣- بعض نتائج عدوان العراق على الكويت

ويرى المفكر الفرنسي "غارودي" أن حرب الخليج كرّست هيمنة الولايات المتحدة على العالم، وفرضت مبادلات تجارية غير متكافئة، بالإضافة إلى "سياسات الإصلاح". (١٧)

وعدا عن الخسائر البشرية والمادية للقطرين الشقيقين الكويتي والعراقي من جراء الحرب، وإعطاء الحجة للغرب وأمريكا لتدمير العراق، فقد طالت الخسائر الشعب الفلسطيني، إذ تبدلت العلاقة الأخوية بين الطرفين إلى علاقة عداء، وتم الاعتداء على الفلسطينيين في الكويت، وطردت أعداد كبيرة منهم، وفقد الكثيرون من الفلسطينيين مراكز أعمالهم التي كانت مصدر رزقهم، كما فقد الكثيرون مخصصات وحقوق مالية كبيرة.

٨-٢-٤- جريمة تدمير العراق على أيدي التحالف الإمبريالي الصليبي

وفي أعقاب احتلال العراق للكويت قادت أمريكا حملة ضد العراق بحجة تحرير الكويت من الاحتلال العراقي المخالف للقانون الدولي. وقد اتسم هذا الحادث بأمرين مهمين وخطرين:

" أولهما: أنها كانت المرة الأولى التي تضربنا فيها الولايات المتحدة الأمريكية بنفسها. فلم يحدث قبلها أن استخدم السلاح الأمريكي بالأيدي الأمريكية لضرب بلد عربي، بل كان يستخدم من قبل عن طريق الصهاينة.. وعن طريق الصراعات الداخلية، ولكن التد خل الأمريكي المباشر في حرب صريحة ضد بلد عربي، وتضرب بنفسها شعباً عربياً مسلماً، فقد كان ذلك هو الحادث الأول.. ، وثاني الأمرين: أنها كانت .. المرة الأولى أيضا التي تجتمع فيها دول الغرب ذات الثقل على ضرب بلد عربي أو إسلامي... منذ اجتمعت الدول الأوروبية الكبرى ضد محمد علي في عام ١٨٤٠م.(١٨)

ويفند المفكر الفرنسي" روجيه غارودي" حجة أمريكا بان هدفها من شن الحرب على العراق جاء احتراما للقانون الدولي ولتحرير الكويت من الاحتلال العراقي، فيقول:"تم الاعتراف بالهدف الحقيقي(وهو): تدمير قوة العراق، الدولة الوحيدة من دول العالم الثالث التي قد تملك الوسيلة لمنع الغرب وإسرائيل من تحقيق أهداف الهيمنة على الشرق الأوسط...(١٩)

وبتأثير من أمريكا أعلن مجلس الأمن عن تصميمه على إنهاء غزو العراق للكويت وفرض سلسلة من التدابير لضمان امتثال العراق لقراراته، وطالب العراق بسحب قواته من الكويت والسماح لمفتشين دوليين بفحص منشآته العسكرية. ولبّى المتطلبات بالتعهد بعدم الحصول على أو تطوير أسلحة كيماوية أو جرثومية وأسلحة نووية وقال انه ليس بحوزته أسلحة نووية أو جرثومية. وقد عدّد العراق كميات كبيرة من الأسلحة الكيماوية وبعض الصواريخ الباليستية التي كانت بحوزته.(٢٠)

ورغم ذلك، فقد قادت أمريكا أكبر عملية عسكرية منذ الحرب العالمية الثانية ضد العراق واضطروه إلى الانسحاب، ثم قاموا بمحاصرته برّاً وجواً وبحراً. وظل العراق تحت القصف الجوي الذي تسبب بمقتل أكثر من مليون طفل عراقي بسبب نقص الحليب والأدوية، إضافة إلى عدد كبير من القتلى والجرحى، وتدمير المنشآت المدنية والبنية التحتية، رغم انسحابه من الكويت وسماحه للمفتشين الدوليين بفحص المنشآت العسكرية. وقد حدث كل ذلك لأنّ أمريكا كانت مصممة على انتهاز فرصة اعتداء العراق على الكويت لتحطيم الآلة العسكرية العراقية التي رأت فيها خطراً على مخططاتها في منطقة الخليج. لذلك أخذت تختلق الأعذار والمبررات وادّعت بأنّ ردّ العراق على مطالب الأمم المتحدة غير كافٍ. ".(٢١)

لقد كان واضحاً منذ البداية سوء نيّة أمريكا تجاه العراق، فقد نظرت بارتياح إلى حربه مع إيران التي أنهكت قوى الطرفين، ولكنها رأت في احتلال العراق للكويت خطراً على مصالحها. وحاول الرئيس الأمريكي جورج بوش التظاهر بأنّه يمثل رغبة المجتمع الدولي، وأنّه لن يهادن في تطبيق المبادئ وأضاف قائلاً: لن يكون هناك مكافأة للعدوان. ولن يكون هناك مفاوضات. فالمبادئ لا يمكن أن يتم التوصل إلى حل وسط بشأنها.(٢٢)

وأثناء حرب الخليج، اتهم العرب أمريكا بالكيل بمكيالين، وبالإصرار على الانسحاب العراقي السريع وغير المشروط من الكويت بينما تغاضت عن احتلال إسرائيل للأراضي العربية منذ عام ١٩٦٧، وهو الأمر الذي اضطر معه الرئيس الأمريكي "بوش" بأن يعد بأنّه سوف يعمل من أجل حل المشكلة الفلسطينية بعد حل مشكلة الكويت(٢٣).

ويرى الفريق سعد الدين الشاذلي أنّ أهداف أمريكا من التدخل في الخليج تتمثل في:

"(١) تدمير أو تحجيم القوات المسلحة العراقية بحيث لا تشكل خطراً ضدّ المصالح الأمريكية، أو ضدّ أمن وسلامة إسرائيل.(٢) السيطرة الفعلية على مصادر البترول. (٣) تكريس التجزئة العربية.(٤) تطبيع العلاقات العربية الإسرائيلية وجرّ دول المنطقة إلى التوقيع على معاهدة سلام مع إسرائيل... (أو بمعنى آخر) تدمير أكبر قوّة مسلحة امتلكها العرب أو المسلمون منذ فجر التاريخ حتى تلك الحملة..، في الوقت الذي تعلم فيه أمريكا أنّ إسرائيل تمتلك أسلحة التدمير الشامل، وتسبق العراق في هذا المجال بأكثر من عشر سنوات."(٢٤)

وقد نجحت أمريكا في تحقيق أهدافها الثلاثة الأولى المذكورة، وأوشكت أن تنجح في تحقيق الهدف الرابع لولا المعارضة الشعبية الشديدة في الوطن العربي، وإصرار إسرائيل على رفض تقديم "ثمن" معقول مقابل السلام.

ويرى الدكتور الرّشدان أن من ضمن أهداف الغرب من حرب الخليج ضرب أي قوة عربية بشكل عام وإسلامية بشكل خاص ويقول:

"وقد وجدتها أمريكا فرصة ذهبية..، من أجل القضاء على البؤرة الجديدة لإرادة التحرر العربي، ومنع نشوء أيّة قوة عربية أو إسلامية ذات إرادة مستقلة في صناعة قرارها السياسي، أو قادرة على تكوين قوة إقليمية... وهذا هو الدافع الذي دعا إلى تفاهم شامل بين الدول الغربية لأول مرّة في العصر الحديث، من أجل تدمير العراق ومنع الدول العربية من الحصول على تقنية نووية. ويمكن القول بأنّ العنصر الأكثر حساسية في الحسابات التاريخية هو الإسلام. فالإسلام بما يشكل من قيم وزخم حضاري يمكن أن يجسّد في المنطقة أكبر قوة سياسية وثقافية تكون المركز الأساسي لنهوض العرب الحضاري وتماسكهم الذاتي، وتوحيد منطقتهم روحيا وثقافيا وتحويلهم إلى تكتل

حضاري واسع وفاعل. كل ذلك دعا الدول الغربية، وعلى رأسها أمريكا، لمطالبة المنطقة العربية والإسلامية بالتخلي عن أيّ مصدر للقوة كما هو الحال في العراق.(٢٥)

وهكذا، كما "جاء قرار (٢٤٢) ليكرّس هزيمة العرب عام ١٩٦٧، جاءت قرارات مجلس الأمن بشأن العراق لتشكّل الغطاء "القانوني والدولي" لضرب العراق وإرساء دعائم النظام العالمي الجديد الذي تنفرد فيه أمريكا بإملاء إرادتها على العالم."(٢٦)

وهنا يتّضح النفاق،والغدر، والكيل بأكثر من مكيال. فلماذا لا تصرّ أمريكا على انسحاب إسرائيل من فلسطين وأراضي أربع دول عربية أخرى احتلتها عام ١٩٦٧، دون أن تحرك أمريكا ساكنا ضد إسرائيل، بل تقدّم كلّ الدعم لها؟ ولماذا لم تفرض عقوبات مماثلة على إسرائيل عام ١٩٤٨عندما احتلت أكثر من المساحة المخصصة لها بموجب قرار التقسيم، وعام ١٩٦٧ عندما احتلت باقي فلسطين وأراضي أربع دول عربية ؟ ولماذا لم تفرض حصارا ومقاطعة دولية على إسرائيل كما فعلت مع العراق؟ ولماذا لم تتخذ إجراءات عسكرية لإجبار إسرائيل على الانسحاب كما أجبرت العراق على الانسحاب؟ والأهم من هذا كله، لماذا تزوّد إسرائيل بأحدث الأسلحة وتغدق المساعدات المالية عليها ، وتحميها من اتخاذ أي إجراء ضدها في الأمم المتحدة؟ ؟

٨-٢-٥- جريمة كامب ديفيد ٢٠٠٠ و سـلام الظلم الذي يحرم الفلسطينيين من حقوقهم

ارتكب الغرب منذ الحروب الصليبية جرائم عديدة بحق العرب والمسلمين. وتمثلت الجريمة الأولى في القضاء على دولة الخلافة الإسلامية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، و تجزئتها إلى عشرات الهياكل التي دعيت زورا و بهتانا بالدول بينما هي في الحقيقة اوهن من بيت العنكبوت. و جاءت الجريمة الثانية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، حين مكن الغرب وكيله الصهيوني من احتلال أكثر من ثلاثة أرباع فلسطين، و اعترف بدولة إسرائيل و حرم الشعب الفلسطيني من أرضه و استقلاله. وتمثلت الجريمة الثالثة في مساعدة إسرائيل على احتلال باقي أراضي فلسطين، وأراضي دول عربية أخرى عام ١٩٦٧، والتغاضي عن ذلك الاحتلال حتى اليوم.

وقد رأى الغرب في توسّع وكيله –إسرائيل- خطوات أو وسائل لهدف أهم ألا و هو إشغال المنطقة في النزاع في فلسطين من أجل السيطرة على منابع النفط باحتلال أفغانستان والعراق. ونظرا لمخاوف الغرب من معارضة عربية وإسلامية لمشروع احتلال أفغانستان والعراق في ظل استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية المحتلة، فقد دأبت أمريكا منذ انتفاضة الحجارة

عام ١٩٨٧ تطلق بين الفينة والأخرى "بالونات" تعطي الانطباع بأن الغرب بقيادة أمريكا ينوي حل مشكلة الأراضي العربية التي تحتلها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧.

وزادت الحاجة لمثل هذا الأمر بعد تصريحات الرئيس العراقي صدام حسين أنه على استعداد للانسحاب من الكويت مقابل انسحاب إسرائيلي مماثل من الأراضي العربية التي تحتلها منذ عام ١٩٦٧. ومن هنا جاء ما دعي بالسلام، الذي هو في حقيقته سراب، أي" سلام تشريع التنازل عن الحقوق الفلسطينية الثابتة"، من أجل تسهيل تعاون عرب و مسلمين مع الحملة الصليبية الجديدة التي كانت تخطط لها أمريكا و الغرب منذ زمن طويل، لاحتلال أفغانستان والعراق، من أجل إحكام السيطرة على الخليج بنفطه و موقعه الاستراتيجي.

وكانت انتفاضة رماة الحجارة وقنابل المولوتوف التي تفجرت عام ١٩٨٧قد استمرت لأن مطلبها كان التخلص من الاحتلال.وفي أعقاب ما سمي بسلام "أوسلو" وإقامة السلطة الوطنية الفلسطينية، بوزاراتها، وأمنها، ظن بعض الفلسطينيين أن السلام صار في متناول اليد، ولذلك احتشدت أعداد من شباب الانتفاضة الفلسطينية في شوارع رام الله، بعد أن استبدلوا الحجارة وقنابل المولوتوف بأغصان الزيتون وأكاليل الزهور، ووضعوها على مقدمة الدبابات الإسرائيلية التي كانت تقذفهم وبيوتهم بقنابلها وحممها.ولكن سرعان ما خاب ظنهم، واستوعبوا الحقيقة، وسرعان ما عادت الدبابات تقصف وتقتل، ذلك أن التاريخ يشهد أنه لم يتخلّ استعمار أو احتلال عن أرض يحتلها كرما منه، ولا رحمة بأهلها، إنما اضطر إلى ذلك قسراً عن طريق القوة والتضحيات.

ولا ننوي هنا مناقشة ما يسمى بالسلام، فلم يكن هناك سلام أصلاً، ولم تكن هناك أية نية في السلام، الذي أطلقنا عليه في كتابنا "الجريمة غربية أمريكية و فلسطين الضحية" اسم "سلام السراب". فأوسلو كانت أكذوبة من الطراز الأمريكي الفاخر"de luxe". وتتلخص تلك الأكذوبة في أنّ الرئيس الأمريكي كلينتون كان يسعى إلى "تشريع" الاحتلال الإسرائيلي للقدس و الضفة الغربية وقطاع غزة لتعزيز دور إسرائيل في خدمة المشروع الاستعماري الغربي، ومنح السلطة الوطنية دور "وكيل" للوكيل الإسرائيلي. وبكلمات الصحفي الإسرائيلي "جي بخور" في جريدة " يديعوت":" وقد تبين للفلسطينيين أنّ وضعهم سيكون " مشابها لوضع جيش لبنان الجنوبي، أي المحافظة على أمن إسرائيل.". (٢٧)

وفي الواقع، كانت قمة كامب ديفد بين الرئيس الأمريكي كلينتون والرئيس الشهيد ياسر عرفات -طيب الله ثراه- قمة إملاءٍ و إكراهٍ، ولم تكن مفاوضات سلام حقيقي.وقد شُبّهت مفاوضات السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين بالتفاوض بين طفلة مغتصبة والرجل الذي يجثم على صدرها ويغتصبها.(٢٨)

وبمناسبة مفاوضات كامب ديفيد نرى أنه من المفيد الإشارة إلى حالتين متباعدتين ومختلفتين من المفاوضات: الأولى جرت بين الفقيه المسلم "ابن تيمية" و قائد المغول في أعقاب هزيمته في معركة"عين جالوت" على يد جيش مصر الإسلامي. وحينما عرض قائد المغول أن يكتفي "ابن تيمية" بإطلاق سراح الأسرى المسلمين و أن يتخلى عن الأسرى النصارى و اليهود لكي يبتز منهم أموالا لقاء إطلاق سراحهم، إلا أن ابن تيمية المؤمن رفض العرض وقال: " لا نقبل بالتخلي عن الأسرى من اليهود والنصارى لأنهم أهل ذمتنا، وحمايتهم تقع علينا. فإما إخلاء سبيل جميع الأسرى من أهل الملة وأهل الذمة، وإلا فلا اتفاق بيننا ".(٢٠)

فاضطر قائد المغول إزاء إصرار ابن تيمية إلى إخلاء سبيل جميع الأسرى.

والحالة الثانية جرت بين الرئيس المصري أنور السادات والرئيس الأمريكي كارتر عام ١٩٧٩، في كامب ديفيد. ومن المعروف أن مصر العظيمة حررت فلسطين من الصليبيين والمغول، وخاضت الحروب وقدمت تضحيات من أجل فلسطين، وكان لها الفضل في حماية قطاع غزة من الاحتلال عام ١٩٤٨، كما كان لها الفضل في الحفاظ على الشخصية الوطنية الفلسطينية لأهالي قطاع غزة ١٩٤٨-١٩٦٧، لأنها لم تضم القطاع لمصر، بل احتفظت به أمانة ووديعة إلى أن تحل مشكلة فلسطين. وكان من المفروض أن يشترط السادات الصلح مع إسرائيل بانسحابها من جميع الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة، أو على الأقل بانسحابها من قطاع غزة الذي كان أمانة في عنق مصر العظيمة، واحتل منها عام ١٩٦٧في حرب عدوانية. نعم كان من المفروض أن يصر السادات على ذلك كما أصر المفاوض المؤمن "ابن تيمية"، أو أن ينتظر إلى أن يحين الظرف المناسب، لو كان حر الإرادة، ولكنه كان قد رهن إرادته وأهدر تضحيات مصر وثمار انتصارها في حرب عام ١٩٧٣، حين ارتمى في أحضان الاستعمار الغربي الذي جاهدت مصر وضحت بحياة خيرة شبابها للخلاص منه.ولو قام بذلك، لكان قد وفر على الفلسطينيين دماء غزيرة ظلت تروي أرض فلسطين منذ عام ١٩٧٩ حتى وقتنا الراهن.

وحالة التفاوض الثالثة التي سنشير إليها باختصار هي مفاوضات كامب ديفيد عام ٢٠٠٠، التي تندرج ضمن ما وصف بالتفاوض بين" طفلة مغتصبة والرجل الذي يجثم على صدرها ويغتصبها." فوقف العدوان والاحتلال لا يحتاج إلى سنوات من التفاوض، ولو كان المغتصب صادقا لأوقف عدوانه على العرض والأرض والمقدسات، وانسحب قليلاً، ثم طلب التفاوض على الخطوات التالية.

وكانت كامب ديفيد عام ٢٠٠٠ تختلف كلياً عن كامب ديفيد عام ١٩٧٩مع السادات الذي كانت تقف خلفه مصر بمكانتها، وأهرامها ، ونيلها،

وسبعين مليونها. أما عرفات- في ظل التخاذل العربي والإسلامي، وموت الشرعية الدولية- فلم يكن يقف خلفه سوى شعبه الذي لم ولن يتضعضع إيمانه بحقه، رغم الضربات والنكبات التي تلقاها منذ سايكس بيكو. وكان طاغوت الصهيونية المسيحية و الصهيونية اليهودية متيقنا بأن عرفات لن يكون أقوى من السادات، وسيقبل ما يملونه عليه كما قبل السادات.

" وفي كامب ديفيد ٢٠٠٠، عرض الرئيس الأمريكي كلنتون على الرئيس عرفات "حلا !" للنزاع لا يشمل انسحاب إسرائيل من القدس ومن جميع الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، ولا عودة اللاجئين ،ولا إزالة المستوطنات الإسرائيلية، ولا السيادة الفلسطينية على أراضيها وأجوائها ومياهها وطرقها ومعابرها، ولا حماية الشعب الفلسطيني من القتل اليومي والاعتقال و.. وفي كامب ديفيد ٢٠٠٠، رفض الأخ أبو عمار المؤامرة الأمريكية الجديدة فوراً وبشكل مباشر، وقال للرئيس كلنتون:

أريد أن أختصر عليك، لنبقى تحت الاحتلال، ولكن نحن شعب لا يخون الأمانة، نحن نتفاوض هنا، باسم العرب والمسلمين، والمسلمين والمسيحيين، وليس باسمنا الشخصي... أنا لا أستطيع إلا أن أكون الأمين على القدس، هل تقبل مني يا فخامة الرئيس أن أبيع الأماكن المسيحية للإسرائيليين، والبلدة القديمة وكنيسة القيامة.. وبقية الأماكن المسيحية والإسلامية، لیبقى الاحتلال ...

إنني قدت ثورة شعب مظلوم، ذهبت إلى أبعد الحدود، سبع سنوات ماضية على حساب وحدة شعبنا الوطنية، على حساب خصومات هائلة مع العالم العربي ولكن نحن ضعاف الآن وأثبت التاريخ أنّ تغير موازين القوى سيأتي القوي الذي يحررها.. بعد سنتين.. أو مئة سنة، وأنا لن أخون، وليحكم عليكم التاريخ وعلى إسرائيل، أنكم أضعتم الفرصة التاريخية للسلام..(٣٠)

وهكذا استطاع الرئيس الشهيد أن يقول لا لأكبر دولة وأظلم دولة في العالم، وأن يفشل مؤامرة كامب ديفيد ٢٠٠٠، ويحمي الشعب الفلسطيني من شرورها.فكامب ديفيد كانت حقيقة كما وصفها آنذاك الدكتور محمود عباس- رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية حاليا- بأنّ كامب ديفيد كان " فخاً من البداية إلى النهاية ونحن أفلتنا منه". (٣١)

٨-٢-٦- جريمة تدنيس المسجد الأقصى المبارك بإيعاز من أمريكا التي ردّ عليها الفلسطينيون بانتفاضة الأقصى

أ- أمريكا هي التي تسببت في الانتفاضة بعد رفض القيادة الفلسطينية التنازل عن القدس وحق اللاجئين في العودة

منذ مؤتمر مدريد كان واضحا أن أمريكا وإسرائيل لا تريد السلام، وإنما كسب الوقت لانتزاع اعتراف السلطة الوطنية الفلسطينية بشرعية الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية.هذا ما تؤكده المصادر الإسرائيلية والمسئولون الإسرائيليون.فقد صرح إيهود باراك رئيس وزراء إسرائيل إبان انتفاضة الأقصى أنه هو الذي دفع الوضع إلى الانفجار ورفض السلام(٣٢)

وذكر الكاتبان الإسرائيليان"رفيف دروكر"و"عوفر شيلح" في كتابهما "كيد مرتد" أن القيادة الإسرائيلية هي التي أججت الانتفاضة. وأكد العميد "يوسي بن آري" المسئول الكبير في الاستخبارات الإسرائيلية، استناداً إلى كشفين جديدين عن رؤساء "الشاباك"، وجهاز الأمن الإسرائيلي أن الرئيس عرفات والفلسطينيين لم يكونوا مسئولين عن البدء بأحداث انتفاضة عام ٢٠٠٠م.(٣٣)

وهكذا كانت إسرائيل تسعى -بدعم أمريكي- إلى الاحتيال على القيادة الفلسطينية بحيث توقع صلحا معها دون استعادة الحقوق الفلسطينية. ولذلك،عندما أفشل القائد أبو عمّار مخططات كامب ديفيد الأمريكية –الإسرائيلية المعادية لحقوق الشعب الفلسطيني، قرروا ضربه وضرب السلطة الوطنية الفلسطينية والشعب الفلسطيني جميعه، فأوعزت أمريكا لإسرائيل بشن حملة شرسة على أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. وقاد شارون ثلاثة آلاف جندي إسرائيلي، واقتحم المسجد الأقصى المبارك ليدنسه، ويذل العرب والمسلمين قبل الفلسطينيين، وليحاول خلق وقائع جديدة في القدس. وهنا انتفض الشعب الفلسطيني الأعزل في مواجهة القوات الصهيونية المدججة بالأسلحة الأمريكية، في الانتفاضة العارمة الجديدة التي عرفت بانتفاضة الأقصى، التي لا تزال في عنفوانها، رغم ما تكبده الشعب الفلسطيني من خسائر وما واجهه من ويلات.

ومع أنّ القدس - والمسجد الأقصى- ملك للعرب والمسلمين، ومسئولية الدفاع عنها مسئوليتهم جميعهم، إلا أن القيود التي قيد بها الغرب الظالم العرب والمسلمين، جعلت مساعدة أغلبهم تقتصر على الدعم الكلامي وبعض الدعم المالي وحالت دون قيامهم بواجبهم تجاهها بالشكل المطلوب. ولذلك وقع عبء حماية المقدسات الإسلامية والمسيحية على الفلسطينيين الذين يرزحون تحت الاحتلال.وعندما اعتدى شارون وجيشه المزود بأحدث تكنولوجيا الحرب الغربية الأمريكية على المسجد الأقصى، تصدّى له الفلسطينيون المحاصرون والعزل بالحجارة والأحذية وأجسادهم، حاملين أرواحهم على أكفهم، ومنعوه

من تنفيذ مهمته العدوانية، فأطلقت القوات الإسرائيلية النار وسقط الكثيرون من العرب. وهكذا اندلعت انتفاضة الأقصى، واتخذت الطابع العسكري.

ورغم تدنيس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وسفك الدم الفلسطيني، فقد استمرت أعلام السفارات والقنصليات والمكاتب التجارية الإسرائيلية ترفرف في سماء العواصم العربية والإسلامية، واستمر النفط العربي والإسلامي يتدفق للغرب، واستمرت التسهيلات للشركات الأمريكية لتحقق أعلى الأرباح، ولتقدم أكبر الدعم لإسرائيل، لكي تحقق أرقاماً قياسية في قتل الفلسطينيين، وفي تدمير بيوتهم، ومزارعهم، ومصانعهم.وتصاعدت مقاومة الفلسطينيين،وتصاعد معها تنكيل إسرائيل واعتداءاتها على الفلسطينيين. وأطلقت إسرائيل نيران مدافعها والقذائف التي تزن الواحدة طناً من طائراتها على الفلسطينيين العزّل وعلى الأحياء السكنية والدوائر الحكومية للسلطة الفلسطينية التي وقعت معها اتفاقات السلام. وكانت المعركة بين جانبين غير متكافئين: إسرائيل قاعدة الإمبريالية الغربية وما لديها من أسلحة حلف الأطلنطي الفتاكة، والشعب الفلسطيني الأعزل: أطفاله ونساؤه وشيوخه وشبابه بحجارتهم، وبإيمانهم بعدالة قضيتهم، وبعد يأسهم من الشرعية الدولية التي أعدمتها أمريكا وحلفاؤها، أو الأنظمة العربية والإسلامية المرهونة لأمريكا والغرب.

وعندما تظاهر العرب في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ (إسرائيل) معبرين عن تضامنهم تجاه إخوانهم في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، وعن احتجاجهم على تدنيس مقدساتهم، بوسائل التعبير السلمية، واعتبروا أن ذلك أحد حقوقهم في دولة تدّعي بالديمقراطية، أطلقت السلطات الإسرائيلية عليهم نيران أسلحتها، فاستشهد وجرح العشرات.

ومع أنّ شارون والعسكريين الصهاينة قد فشلوا في القضاء على المقاومة الفلسطينية منذ عام ١٩٦٧، رغم لجوئهم إلى هدم المخيمات في غزة وترحيل اللاجئين، والمذابح التي ارتكبوها في مخيمات بيروت، ورغم الخسائر التي تكبّدوها في لبنان منذ عام ١٩٧٥، إلا أنه لم يأخذ العبرة، وتعهد بالقضاء على الانتفاضة في مئة يوم.

وقد انقضى العام السادس منذ اندلاع الانتفاضة، وعجز شارون عن كسر مقاومة الشعب الفلسطيني، وانكسرت إرادته وأصيب بالإحباط، بعد أن دفنت الانتفاضة مرة أخرى مقولة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر، وكبدت إسرائيل خسائر في الأرواح والمعنويات والاقتصاد لم تعهدها من قبل بهذه السرعة. هذا عدا عن افتضاح أكذوبتها بأنها دولة ديمقراطية، ومحبة للسلام.كما كشفت الانتفاضة عن حقيقة إسرائيل العنصرية العدوانية، وأنها لا تطرح برنامجاً للسلام، وأنها تتصرف كما تصرف أسيادها الإمبرياليون في الجزائر وفيتنام وأفغانستان والعراق؛ مع فارق بينها هو أن فرنسا وجدت قائداً سياسيا منقذا تمثّل في ديجول، بينما تفتقر إسرائيل إلى ديجول.

ب- أسباب انتفاضة الأقصى

انفجرت انتفاضة الأقصى رداً على العدوان الأمريكي /الإسرائيلي على المسجد الأقصى الذي هو أقدس مكان للفلسطينيين، والذي كان يرمي إلى إذلالهم، وكسر إرادتهم، لكي يستسلموا ويقبلوا بالاحتلال إلى الأبد، ويتنازلوا عن حقهم في تقرير مصيرهم، وإقامة دولتهم وعاصمتها القدس الشريف.وبمعنى آخر، جاءت " انتفاضة الشعب الفلسطيني الثانية تعبيراً عن إرادة وروح المقاومة، ورفض مشروع الهيمنة الغربية الإسرائيلية"(٣٤)

وعلاوة على ما تقدم، فقد كان من بين الأسباب العامة التي أدّت إلى تأجيج المقاومة والانتفاضة:

١- رفض إسرائيل للسلام والانسحاب من الأراضي العربية التي احتلتها.

٢- اكتشاف الفلسطينيين لحقيقة ما سمي باتفاق أوسلو ورفضهم البقاء في شركه.

٣- وقد جاءت الانتفاضة لتعبر عن الرفض القاطع لمحاولة طمس حق اللاجئين في العودة إلى ديارهم، وضم أراضي محتلة عام ١٩٦٧، وتهويد القدس وضمها، و محاولة اقتسام المسجد الأقصى والإجراءات الإسرائيلية في الحرم الإبراهيمي، وإبقاء المستوطنات في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ (٣٥)

وعندما انفجرت انتفاضة الأقصى المبارك فتحت آمالا كبيرة جداً لإعادة توحّد الشعوب العربية والإسلامية حول هدف تحرير جزء من أرض فلسطين المغتصبة، وإنقاذ الشعب العربي الفلسطيني الرازح تحت الاحتلال من مجازر المستعمرين الصهاينة العنصريين. وكان من المتوقع أن تتحرك الشرعية الدولية لإيجاد حل بعد أن رفضت إسرائيل الوفاء بالتزاماتها من أجل السلام، وأصرت على فرض إرادتها ورفضها لمبدأ عدم جواز اكتساب الأرض عن طرق القوة. ولكن الشرعية الدولية المربوطة بأهداف ومصالح الدول العظمي لم تتحرك. وسارعت الأنظمة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي –مشكورة- إلى عقد مؤتمرات قمة لبّت جزءا ضئيلا من متطلبات المرحلة تمثل في الدعم المادي واستمرار الدعم السياسي.أما الشعوب العربية والإسلامية فقد عبرت عن استنكارها لمجازر الاحتلال، وعن دعمها لنضال الشعب الفلسطيني، ودعا الكثيرون من الذين نزلوا إلى الشوارع في مظاهرات عارمة إلى فتح باب الجهاد من أجل تحرير الأرض والمقدسات. وقد عملت غالبية الأنظمة على احتواء تلك التظاهرات، أو حتى منعها بالقوة، أو محاصرتها داخل حرم جامعي لمنعها من الوصول للشارع، وذلك لأن تلك الأنظمة هشّة، وتخشى من أية هزة، كما أنها ناقصة الإرادة، وكان أحد شروط بقائها في الكراسي يتمثل في قمع أي توجه تحرري أو وطني لشعوبها. وبمرور الوقت – ولأسباب لا داعي للخوض فيها-أخذت مظاهر التأييد الشعبي تتقلص، رغم أن استنكار ما يحدث في فلسطين كان – ولا يزال- يتأجج في قلوب الشعوب المغلوبة على أمرها.

ج - نسب القتلى بين طرفي النزاع

وبعد أن كانت نسبة القتلى بين الفلسطينيين والإسرائيليين خلال السنوات الثلاث الأولى من الانتفاضة(١:٣) انخفضت في السنة الرابعة إلى (١:٥) لصالح اليهود.وسنعود لمناقشة هذا الموضوع والفرق بين المقاومة والحروب العادية عند بحث الحق في المقاومة، في الفصل الحادي عشر.(٣٦)

د- عمليات المقاومة الفلسطينية

يذكر موقع للجيش الإسرائيلي على الانترنت أن مجوع العمليات التي قامت بها المقاومة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ضد إسرائيل والمستعمرات(المستوطنات) الإسرائيلية في الأراضي المحتلة خلال المدة من ٢٨-٩-٢٠٠٠ وحتى ٢٤-٧-٢٠٠٤ بلغت (٢٢٤٠٦) عمليات، وقعت (١٢٧٧٦) عملية منها في قطاع غزة، أي بنسبة (٥٧%)، و(٨٧٤١) عملية في الضفة الغربية، بنسبة (٣٩%) و (٨٨٩) عملية في إسرائيل، أي بنسبة (٤%). ونقلت جريدة القدس في عددها الصادر بتاريخ ٢٩-٨-٢٠٠٤ – نقلا عن الصحف الإسرائيلية- أن (١٣٣٧٠) حالة إطلاق نار حدثت ضد إسرائيل، وأطلق (٤٦٠) صاروخاً من طراز القسام، منها (٢٣٠) صاروخاً أطلقت داخل إسرائيل.

هـ- الخسائر التي تسببت بها الانتفاضة للجانبين

يجب الإشارة إلى أن الأرقام التي توردها المصادر الإسرائيلية غالباً ما تتناقض مع أرقام المصادر العربية، وأن جميع الأرقام ليست نهائية، فلا نزال بحاجة لمزيد من البحث والتدقيق للحصول على الأرقام الحقيقية مئة بالمئة. ونظراً لعدم توفر الامكانات لإعداد معلومات عن فترة الانتفاضة جميعها فإننا سنكتفي بالمعلومات المتوفرة التالية.

أولاً: الخسائر والإصابات البشرية والأسرى

١- في الجانب الإسرائيلي

أ-القتلى: تذكر المصادر الإسرائيلية أن عدد القتلى الإسرائيليين في انتفاضة الأقصى على أيدي قوات المقاومة الفلسطينية خلال المدة من ٢٩-٨-٢٠٠٠ وحتى ١٥-١-٢٠٠٦ بلغ (١،٠٨٤) قتيلا كان منهم (٧٦١) من المدنيين ،

و(٣٢٣) من قوات الأمن، مع العلم أن جميع الإسرائيليين- باستثناء بعض المتدينين- الذين أعمارهم تزيد على ثمانية عشر عاماً قد تدربوا عسكرياً ، ويخدمون في الجيش بشكل احتياطي. كما أن من بين القتلى عدداً من المستعمرين (المستوطنين) الذين يقيمون في الأراضي المحتلة، والذين يحملون السلاح دائما وهم من العنصريين المتطرفين العدوانيين. انظر الملحق رقم(٤)

ب-الجرحى: تذكر المصادر الإسرائيلية أن عدد الجرحى الإسرائيليين في انتفاضة الأقصى على أيدي قوات المقاومة الفلسطينية خلال المدة من ٢٩-٨-٢٠٠٠ وحتى ١٥-١-٢٠٠٦ بلغ (٧،٦٣٣) جريحاً كان منهم (٥،٣٣٠) من المدنيين، و(٢،٣٠٣) من قوات الأمن. انظر الملحق رقم(٤).

ج-الأسرى: ليس من السهل على المقاومة أسر جنود من رابع جيش في العالم من حيث القوة، والمزود بأحدث تكنولوجيا حلف الأطلنطي. ورغم ذلك، فقد تمكن مجاهدو حركة المقاومة الإسلامية حماس من حفر نفق طوله (٨٠٠) متر، ووصلوا إلى الجيش الإسرائيلي الذي يتحصن في خنادق وأبراج حراسة تحيط بها الأسلاك الشائكة والمدرعات المزودة بأحدث الأجهزة، واشتبكوا مع القوة الإسرائيلية، فخسر الطرفان أرواحاً، وتمكن رجال المقاومة الإسلامية من إلقاء القبض على الجندي الإسرائيلي "جلعاد شاليت"، ونقله إلى قطاع غزة، والاحتفاظ به أسيراً.

ومن الجدير بالذكر أن القانون والعرف العسكري يسمح بأسر جنود مقاتلين، بشرط أن يعاملوا طبقاً لاتفاقات جينيف. ولكن الأمر الغريب هو أن تقوم دولة عضو في الأمم المتحدة باختطاف وزراء، وأعضاء مجلس تشريعي فلسطينيين، انتخبوا في انتخابات ديمقراطية، تحت إشراف العالم ومن ضمنه الرئيس الأمريكي الأسبق "كارتر".

والأكثر من ذلك أن تلك الدولة يصفها الغرب بأنها واحة الديمقراطية وحقوق الإنسان في المشرق، وأن الذين اختطفوا يقيمون في منطقة تحتلها إسرائيل، وبموجب القوانين والأعراف الدولية تقع مسئولية حمايتهم على إسرائيل.

٢- في الجانب الفلسطيني:

أ- الشهداء:

١- من أهالي المناطق المحتلة عام ١٩٦٧-.

بلغ عدد الشهداء في انتفاضة الأقصى – من أهالي الضفة الغربية وقطاع غزة خلال المدة من ٢٩-٨-٢٠٠٠ وحتى ٢٤-٧-٢٠٠٦ – حسب المصادر الفلسطينية- (٤٤٦٤) شهيداً كان من بينهم (٢٨٩) شهيدة، و (٣٦)

شهيدا من الأطقم الطبية و (٢٢٠)شهيدا من العاملين في الحقل الإعلامي، وذلك خلافا للقانون الدولي الذي يمنع الجيش من استهداف المدنيين، وبالأخص أطقم الإسعاف.كما استشهد خلال المدة الواقعة بين ٢٥-٦-٢٠٠٦ وحتى ١٤-٩-٢٠٠٦ (٢٦٣)شهيداً، (١٦٩) منهم من المدنيين العزل، ومن بينهم (٥١)طفلاً، واثنتا عشرة امرأة.(٣٧)

أما جمعية بتسيلم الإسرائيلية لحقوق الانسان فتذكر أنّ عدد الشهداء الفلسطينيين في الأراضي المحتلة منذ عام ١٩٦٧ بلغ (٣،٣٧٧) شهيداً. وعدد الشهداء من الفلسطينيين الذين يقيمون في داخل إسرائيل(منذ احتلال عام ١٩٤٨) هو (٥٨) شهيداً. (أنظر الملحق رقم ٥)

ب-الجرحى:

بلغ عدد الجرحى في انتفاضة الأقصى من ٢٩-٨-٢٠٠٠ وحتى ٢٤-٧-٢٠٠٦ – حسب المصادر الفلسطينية-(٤٧،٤٤٠) جريحاً. وخلال المدة الواقعة بين ٢٥-٦-٢٠٠٦ وحتى ١٤-٩-٢٠٠٦ جرح (٩٨٣)مواطنا فلسطينياً.(٣٨)

ج- الأسرى: لا يمكن معرفة العدد الدقيق للأسرى الذين تحتجزهم سلطات الاحتلال الإسرائيلي، ففي كل لحظة تقوم باعتقال الفلسطينيين من بيوتهم ومن الطرقات على الحواجز، ومن جامعاتهم ومدارسهم والمستشفيات وأماكن عملهم، خلافاً لكل الأعراف والقوانين. وقد اعتقل (٢٠%) خُمُس سكان المناطق المحتلة أكثر من مرة، بحيث لا توجد أسرة فلسطينية سلم أفرادها من الاعتقال، وأغلبها لها أكثر من أسير أو أسيرة.وتحتجز إسرائيل حوالي أحد عشر ألف أسير وأسيرة فلسطينية، وتقوم بتعذيبهم وحرمانهم من أبسط حقوقهم القانونية والإنسانية، مثل منع زيارات الأهل، ومنع الملابس والعلاج الطبي والكتب.

ثانياً: الخسائر في الاقتصاد والسياحة والهجرة والناحية النفسية

- في إسرائيل

١- أثر الانتفاضة على الاقتصاد والسياحة والهجرة في إسرائيل خلال السنة الأولى من الانتفاضة

تشير تقديرات رسمية إسرائيلية إلى أن خسائر قطاع السياحة في إسرائيل منذ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية بلغت نحو ٨ ملايين سائح، و عائدات بقيمة ١٠

مليارات دولار، فضلاً عن حاجة السياحة الإسرائيلية لثلاث سنوات على الأقل من أجل عودة الشركات العالمية إلى السوق الإسرائيلي.

وقد ألحقت الانتفاضة أضراراً جسيمة بإسرائيل كشفت عنها الصحف الإسرائيلية، ومن الأمثلة على ذلك:

انخفضت حركة الزوار إلى إسرائيل بنسبة ٦٠ %، وأصبحت شركات الطيران تكسب رزقها اليومي من الإسرائيليين المغادرين إلى خارج إسرائيل والذين ارتفع عددهم بنسبة ١٠ %. وبعد الصور التي خرجت من إسرائيل والأراضي المحتلة شطبت إسرائيل من خريطة المواقع السياحية الكبرى في العالم، وأغلق حوالي (٣٠) فندقا ومئات من مراكز السياحة الإسرائيلية، وأصبحت أوضاعها الاقتصادية مترديه جدا، كما تم الاستغناء عن آلاف من الوظائف في قطاع السياحة الذي بلغت خسائره خلال عام واحد (١,٢) مليار دولار، وانخفض عدد السياح الأجانب إلى النصف خلال الأشهر الستة الأولى من عام ٢٠٠١. إضافة إلى الهجرة المعاكسة . وانخفض أعداد الطلاب الذين اعتادوا المجيء إلى إسرائيل إلى ٥٧ %، وألغت بعض الجامعات برامجها مع الجامعة العبرية.كما انعكس الوضع الأمني على الرياضة حيث اعتذرت فرق رياضية وفنية عن الحضور إلى إسرائيل. (٣٩)

وأشار تقرير صادر عن مركز يافي للدراسات الاستراتيجية التابع لجامعة تل أبيب بعنوان المناعة الوطنية في إسرائيل صدر في شهر آذار ٢٠٠٦ إلى أن سنوات الانتفاضة شهدت تزايداً في هجرة الإسرائيليين، لا فتاً النظر إلى أن المعدل السنوي ارتفع من ١٣ ألف مهاجر قبل الانتفاضة إلى ١٩ ألف خلالها.(٤٠)

و مع بداية العام الرابع للانتفاضة ألقت جريدة الحياة الجديدة في عددها بتاريخ ٢٠٠٣/٩/٣٠ الضوء على الوضع في إسرائيل فقالت:

و بحسب الإحصائيات الرسمية الإسرائيلية فإن الانتفاضة تركت انعكاسات سلبية على الهجرة حيث هاجر منذ بدء الانتفاضة من الإسرائيليين حوالي مليون شخص كما توقفت حركة العائدين إلى دولة الكيان. ووفقاً لتقديرات الخبراء فإن القطاع السياحي وصل إلى حافة الانهيار حيث تكبد خسائر تقدر بثلاثة مليارات، و تم تسريح ما بين ٥٠ إلى ٦٠ ألف موظف في القطاع السياحي من أصل ما مجموعة ٢٢٠ ألف عامل، كما أن الانتفاضة و الوضع الأمني المتدهور دفع بالمستوطنين في الضفة و غزة إلى إخلاء المستوطنات.

٢-آثار الانتفاضة على مستوى العلاقات الاقتصادية والتطبيعية مع الدول العربية خلال السنة الأولى من الانتفاضة

- قطعت دول عربية علاقاتها مع إسرائيل، وقد بدأت بذلك تونس، ثم تبعتها عُمان والمغرب وأقفلت المكاتب الصهيونية في عواصمها، وكذلك قطر،

وأصدر صرافو الأردن قراراً بعدم التعامل مع الشيكل الإسرائيلي، وسحب الأردن ومصر سفرائها من إسرائيل.(٤١)

- أدّت الانتفاضة إلى تجميد النشاطات الاقتصادية التي أقامتها إسرائيل مع الدول العربية.وذكرت صحيفة الحياة الجديدة نقلاً عن صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية أنّ شركة النفط السعودية "يانر" التي يملكها أحد أبناء العائلة السعودية قد قطعت علاقاتها مع إسرائيل. كما تمّ تجميد نشاطات "مركز الصداقة الإسرائيلية العربية" في أماكن متعددة، منها الأردن. وقررت الحكومة الأردنية إلغاء التصريح الذي منح لمجموعة من المستثمرين الإسرائيليين لتطوير مشروع في نهر الأردن لإنتاج أكياس محلول طبّي". (٤٢)

ورغم كل ما تقدم، فقد أخذت المقاطعة تتراجع، وبادرت بلدان عربية لافتتاح مكاتب تجارية وغيرها لإسرائيل فيها، وهو الأمر الذي سنعود لمناقشته في مكان آخر من هذه الدراسة.

٣- أثر الانتفاضة على الناحية النفسية

و مع بداية العام الرابع للانتفاضة ألقت جريدة الحياة الجديدة في عددها بتاريخ ٢٠٠٣/٩/٣٠ الضوء على الوضع النفسي في إسرائيل فقالت:

لم يقتصر الأمر على ذلك بل كان للانتفاضة المجيدة جملة من التأثيرات المعنوية أدّت إلى إصابة المواطنين الإسرائيليين و خاصة في المدن الكبرى التي تقع فيها عمليات المقاومة بأعراض نفسية مختلفة، إضافة إلى انعدام الأمن الشخصي لدى المواطنين اليهود الذين بات معظمهم لا يجرؤون على الخروج من المنازل أو الركوب في الحافلات أو ارتياد المقاهي و المتنزهات و الأماكن العامة تحت وطأة الخوف من الاستشهاديين الذين اثبتوا قدرة فائقة على ضرب العمق الإسرائيلي رغم كل إجراءات الأمن المتبعة و التي حولت المدن الإسرائيلية إلى ثكنات عسكرية، و بات المواطن الإسرائيلي يعيش حالة هستيريا و خوف حقيقي دفعت بالآلاف منهم إلى ارتياد مصحات الأمراض النفسية.

- في فلسطين

١-أثر الانتفاضة على الاقتصاد و السياحة والهجرة الفلسطينيــة في السنة الأولى من الانتفاضــة

تدهور الاقتصاد الفلسطيني، وارتفعت البطالة إلى (٦٠) % في قطاع غزة و (٥٠) في الضفة الغربية، ومنع أكثر من (١٥٠٠٠٠) عامل فلسطيني من العمل في إسرائيل، وقيدت حرية الانتقال والسفر للشعب الفلسطيني في

مناطق السلطة وتلك التي لا تزال تحت الاحتلال، وهو الأمر الذي حرم العمال من العمل في المرافق الاقتصادية الفلسطينية، أو في الدول العربية.(٤٣)

و- شنت إسرائيل حرب إبادة ضد الشعب الفلسطيني، وعمدت إلى تدمير بنيته التحتية، بهدم الآبار وقصف مولدات الكهرباء والمصانع، وهدم البيوت والمؤسسات الاجتماعية ومراكز الأمن والمؤسسات الرسمية والمرافق، وتعطيل الدراسة في كثير من الجامعات والمدارس لفترات مختلفة.

وانطلاقاً من مبادئ الصهاينة العنصرية التي سبقت الإشارة إليها، والتي تقول: " لا تدع شيئاً حياً لغير اليهود يتحرك" لم يكتفوا بقتل الإنسان الفلسطيني، بل برعوا في استخدام جرّافاتهم الأمريكية الصنع في اقتلاع الأشجار المثمرة، ومزارع الخضروات والأبقار والأغنام والدواجن. وبلغ حجم الأضرار والخسائر التي ألمّت بالقطاع الزراعي (٣٤٤٩٦٨٥٠٣) دولاراً أمريكياً، وبلغت خسارة الفنادق أكثر من (١٣٠)مليون دولار، وخسارة المطاعم السياحية (٦٠)مليون دولار.(٤٤)

كما تسببت إسرائيل بحدوث أضرار في (٧١٤٧٠) منزلاً ، منها (٧٦٢٨) منزلا تضررت بشكل كامل ، (٦٣٨٤٢) تضررت بشكل جزئي.وبلغت مساحة الأراضي التي جرفها الجيش الإسرائيلي بما فيها من مزروعات(٧٦٨٦٧) دونماً، وصودرت (٢٤٧٠٣٣) دونما من الأرض تسببت بها إقامة جدار الفصل العنصري الذي أقامته إسرائيل على الأراضي الفلسطينية. وانطلاقا من العقيدة الصهيونية التي تقول: "لا تدع لغير اليهود شيئاً حياً يتنفس" فقد اقتلعت (١،٣٥٥،٢٩٠) شجرة، وهدم (٧٧٠) مخزنا زراعيا و (٧٥٦) مزرعة دواجن وحظيرة حيوانات بمعداتها. ونفق (١٤،٧٤٩) رأس غنم و (١٢،١٣٢) بقرة،وأعدم الجيش الإسرائيلي (١،٢٤٠،٠٥٩) دجاجة ، و (١،٦٥٠) أرنباً ، وهدم (٤٠٣) بئراً و(١،٣٢٧)) بركة وخزان ماء. وجرف وهدم (٣١،٢٦٣) دونما من شبكات الري و(٦٠٩،٥٩٣) مترا من سياج مزارع وجدران استنادية، و(٩٢٩٩٨٤) مترا من خطوط المياه. ودمرت (٩، ٥٧٤)ورشة و (٤٣٢)منشأة صناعية، كما نصب الجيش (٤،٧٤٥) حاجزاً عسكرياً.(٤٥)

و- بعض نتائج الانتفاضة

الانتفاضة لم تنته بعد، ودراسة نتائجها في النواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية والنفسية على الشعب الفلسطيني والمستعمرين المحتلين الصهاينة يحتاج إلى جهد ووقت وبيانات لا تتوفر للباحث، وهي فوق طاقته. لذلك إضافة إلى المعلومات المذكورة أدناه، سيكتفي الباحث بملاحظات عامة في هذا الشأن، تلقي الضوء على بعض جوانبها، حسب المصادر والبيانات التي توفرت لديه.

- وحّدت الانتفاضة مختلف الفصائل والقوى الإسلامية والوطنية في خندق مقاومة الاحتلال.
- كشفت الانتفاضة عن وجه إسرائيل الحقيقي الرافض للسلام..وعلى سبيل المثال، فقد لاحظ الصحفي الإسرائيلي أبراهام طال أنّ إسرائيل هي المسئولة عن عدم تنفيذ التسوية، وأنّها تستخدم أعمال العنف كذرائع لعدم تنفيذ التعهدات. (٤٦)
- أثبتت الانتفاضة أنّ الخلل في الميزان العسكري لم يكن عنصراً حاسماً في المواجهة، وكما هزمت فرنسا في الجزائر وأمريكا في فيتنام فإنّ بالامكان إلحاق الهزيمة بإسرائيل. (٤٧)
- أثبتت الانتفاضة للعالم ولإسرائيل أنّه لا يمكن فرض حل يتجاهل إرادة الشعب الفلسطيني، وحقه المشروع في استعادة أراضيه المحتلة، بما فيها القدس الشرقية، وحقه في العودة إلى أرضه التي طرد منها عام ١٩٤٨.كما أثبتت الانتفاضة للشعب الإسرائيلي أنه لا يمكن له أن ينعم بالسلام ما دام يغتصب حقوق الشعب الفلسطيني... وأنه لا قيمة للمفاوضات إن لم تقترن بالمفاوضة على الأرض... وأثبتت الانتفاضة للعالم أنّ الاحتلال ما زال قائماً وجاثما على صدر الشعب الفلسطيني، وبأنّ ما تمّ الحديث عنه من سلام لم يكن سوى سلام زائف وغير موجود على الأرض. هذا بالإضافة إلى أنها أدّت إلى زعزعة الوجود الاستيطاني وأثبتت عدم قدرته على الصمود والبقاء في الأرض الفلسطينية. (٤٨)
- عمد الاستعمار الغربي –وخاصة الأمريكي- إلى طمس اسم فلسطين واختراع مصطلح قضية الشرق الأوسط، إلاّ أن الانتفاضة أعادت اسم فلسطين لينتصب من جديد، بكل عزّة وأنفة، في وجه المحتلين الطغاة، وأعوانهم المستعمرين. ورغم أن إسرائيل ظلت تدعي أن قطاع غزة جزء لا يتجزأ من أرض "إسرائيل التاريخية " ورفضت الانسحاب منه، فقد كان من نتائج انتفاضة الأقصى أن اعترف الإسرائيليون –كما عبّر عنه البروفيسور شمعون شمير من جامعة تل أبيب والذي عمل سفيرا لإسرائيل في مصر والأردن- أنه :"لا مفر من الاعتراف بأن غزة لا تعود إلى أرض إسرائيل التاريخية" .(٤٩)

وبعد أربع سنوات على الاعتراف السابق، أعاد وزير الجيش الإسرائيلي " شاؤول موفاز التأكيد عليه " لصحيفة " هارتس في أيار من عام ٢٠٠٥"وقال: "غزة ليست أرض الأجداد، و بالتأكيد ليست مكاناً مقدساً ".(٥٠)

- أثبتت الانتفاضة أنّ الشعب الفلسطيني في الجزء المحتل منذ عام ١٩٤٨والذي احتل عام ١٩٦٧ لم يندثر رغم مرور أكثر من نصف قرن على تهويد فلسطين وتغيير اسمها، بل هبّ أبناء فلسطين من النهر إلى البحر ومن الناقورة إلى غزة، إضافة إلى ديار الشتات والمخيمات، ليؤكدوا للعالم أن فلسطين لا تزال ساكنة في أعماقهم وأنهم يفدونها بأرواحهم. (٥١)

- أجبرت الانتفاضة المسئولين الإسرائيليين على الاعتراف بضرورة إنهاء احتلال الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، ومن أمثلة ذلك ما كتبه الكاتب اليساري الإسرائيلي " ب. ميخائيل" في صحيفة " يديعوت ":

"بالتأكيد ليس لطيفا الاعتراف بأن الدبابة، والمروحية والوحدة الخاصة فشلت في و قف البنادق و العبوات الناسفة. ليس لطيفا، و لكن الحقيقة: لولا الانتفاضة، لما قال أرئيل شارون (" كفى للاحتلال ").(٥٢)

وسوف نقدم مزيدا من المعلومات حول نتائج الانتفاضة والمقاومة كما عبرت عنها الصحف الإسرائيلية في الفصل الحادي عشر ، عند بحث أثر الانتفاضة والمقاومة على إسرائيل.

٨-٢-٧-التحالف الإمبريالي الصليبي ضد أفغانستان عام ٢٠٠٠

أمريكا إمبراطورية استعمارية تسعى إلى التوسع باستمرار.وبعد تفكك الاتحاد السوفييتي أصبح المجال مفتوحاً أمامها لتتوسع بسرعة وبشكل هائل.وكانت أفغانستان الصيد السمين والسهل لأمريكا نظراً لموقعها الاستراتيجي بالنسبة للبلدان المنتجة للنفط في المشرق.

أ-الذرائع التي قدمتها أمريكا للحرب

يوضح الكاتب الفلسطيني "نصار إبراهيم" كيف استغلت أمريكا أحداث أيلول، والذرائع التي لجأت إليها لتبرير احتلالها أفغانستان فيقول:

نجحت الإدارة الأمريكية في اختراع عدو جديد تستقطب به دول أوروبا والدول التابعة، بعد أن غاب الاتحاد السوفييتي عن الساحة، العدو الجديد هو "الإرهاب العالمي" و"الإسلام المتطرف".(واتخذت أمريكا من الهجوم على مركز التجارة ووزارة الدفاع الأمريكية ذريعة لاحتلال أفغانستان) بدأت أمريكا حرباً على ما أسمته "الإرهاب"...

هكذا تم الهجوم على أفغانستان تحت عنوان ضرب نظام طالبان وتصفية "تنظيم القاعدة.. أما الحقيقة فهي السيطرة على هذا البلد والاقتراب من نفط القوقاس وترسيخ الأقدام في دول شرق الاتحاد السوفييتي سابقاً، ومحاصرة إيران من الشرق وإخضاع باكستان للسيطرة عبر احتواء جنرالها الذي يبحث عن شرعية دولية لانقلابه العسكري."(٥٣)

ب-الأهداف الحقيقية للحرب الصليبية الغربية على أفغانستان

يرى الأستاذ كمال السعيد حبيب أن الأهداف المعلنة للحرب الأمريكية على أفغانستان هي:

١- إسقاط حكومة طالبان لمسئوليتها عن إيواء أسامة بن لادن الذي تعتبره أمريكا المتهم الرئيسي في أحداث ١١ أيلول..

٢- القبض على أسامة بن لادن والحصول عليه حيا أو ميتاً، هو ومن معه في تنظيم القاعدة في إطار ما تزعُم أمريكا أنه حملة على الإرهاب.

٣- إحلال نظام عميل في أفغانستان محل حكومة طالبان، بحيث يكون هذا النظام ركيزة للوجود الأمريكي في منطقة أسيا الوسطى وفي القارة الآسيوية.

أما الأهداف غير المعلنة للحرب التي أطلِق عليها اسم الحرب العالمية الثالثة ضد أفغانستان والعالم الإسلامي، حسب رأي الأستاذ حبيب، فهي:

١- استعادة الثقة والهيمنة التي تمرغت في التراب مع حادث ١١ أيلول، حيث بدت الحكومة الأمريكية برمتها وبكل قوتها وهيلمانها عاجزة بائسة فاقدة القدرة على الحركة والتصرف..

٢- إعادة ترتيب الأوضاع في منطقة آسيا الوسطى وأفغانستان.. بحيث يكون لأمريكا الكلمة العليا هناك.. (من أجل) توسيع حلف الأطلنطي باتجاه الشرق لتوحيد أوروبا ومحاصرة روسيا والضغط على الصين والاقتراب بقوة من الشرق الأوسط لتأكيد حماية مصادر الطاقة والنفط وحماية القاعدة العسكرية للوجود الغربي في العالم العربي وهي الكيان الصهيوني..

٣- اتخاذ الإرهاب عنوانا للتدخل العسكري الأمريكي في البلدان التي ترى أمريكا أنها "مارقة"(Rogue State) وفق القسمة الأمريكية الجديدة التي قسمت العالم إلى قسمين، قسم مع أمريكا، وقسم في مواجهتها.. (٥٤)

ج-المقارنة بين قوات الحلف الصليبي وقوات طالبان

من الثابت أن الحرب التي يشنها الحلف الصليبي الغربي على أفغانستان تشارك فيها أمريكا وبريطانيا وقوات من حلف الأطلنطي. ويصف كمال السعيد حبيب الحرب التي شنها الغرب على أفغانستان فيقول ما مُخْتَصَرُه:

وبلغت الدول المشاركة في التحالف الغربي ٦٠ دولة كما شاركت أكثر من ٣٠ دولة في اتخاذ إجراءات اقتصادية ضد ما أسمته أمريكا الشبكات الاقتصادية للمجموعات الإرهابية. وبلغت المقاتلات المشاركة في الحرب ٥٠٠ مقاتلة وأربع مجموعات من حاملات الطائرات تدعمها أكثر من ١٥٠٠ سفينة حربية ، علاوة على ما يزيد عن ٢٥٠ ألف رجل من القوات

البرية. أما حجم قوات طالبان التي تتحرك كل هذه الجيوش من أجل محاربتها فهي عبارة عن أسلحة قديمة لا تبلغ معشار ما حشدته أمريكا. وهو ما جعل المراقبين والمحللين يعتقدون أن الحرب العالمية الثالثة لا تقصد أفغانستان وحدها، ولكنها حملة عسكرية جديدة على العالم الإسلامي.(٥٥)

ووصف أستاذ العلوم السياسية الأمريكي "هنتنغتون" حرب أمريكا وحلفائها في أفغانستان بأنها الحرب الحضارية الثانية بعد حرب الخليج(حرب تحرير الكويت وما تلاها من عدوان على العراق).(٥٦)

والواقع أن تلك الحرب لم تكن حضارية بمعنى أنها متحضرة، كما لم تكن حضارية بمعنى أنها بين الحضارتين الغربية الصليبية والإسلامية أيضا، فقد شارك فيها مسلمون إلى جانب النصارى. ويصف أستاذ العلوم السياسية الأمريكي"هنتنغتون" تلك الحرب فيقول:

> بدأت الحرب الأفغانية كسعي من الاتحاد السوفييتي للإبقاء على نظام تابع، وأصبحت حرباً باردة عندما ردت الولايات المتحدة بعنف ونظمت ومولت وسلحت المتمردين(الثوار) الذين كانوا يقاومون القوات السوفييتية. ...
> بالنسبة للذين حاربوا السوفييت... كانت أول مقاومة ناجحة ضد قوة أجنبية...، والتي لم تكن قائمة على مبادئ قومية أو اشتراكية، وإنما شنت كجهاد وأعطت دفعة هائلة للثقة بالنفس وللقوة الإسلامية...وما يراه العرب انتصاراً للعالم الحر يراه المسلمون انتصارا للإسلام... الدعم المالي للحرب جاء من السعودية أساساً..شارك في الحرب ٢٥و٠٠٠ متطوع من دول إسلامية وأخرى عربية أساساً، كان يتم تدريبهم في الأردن وتقوم المخابرات الباكستانية بتدريبهم. كما قدمت باكستان القاعدة الخارجية الضرورية للمقاومة إلى جانب الدعم اللوجستي وغيره. باكستان كانت أيضاً هي الوكيل والموصل الذي يوزع الأموال الأمريكية، ووجهت ٧٥% منه إلى الجماعات الأشد أصولية..(٥٧)

يتضح مما تقدم مدى النفاق وانعدام المنطق في مواقف أمريكا والعرب والمسلمين. فقد كان دعم أمريكا للمجاهدين المسلمين الأفغان، ليس مشروعاً فحسب، بل لاقى كل دعم وتأييد من أمريكا ومن حلفائها العرب والمسلمين، بشكل عام، ومن باكستان بشكل خاص، حيث انقلبت من دعم ١٠٠% للمجاهدين المسلمين ضد الاحتلال الروسي إلى مقاومة عنيفة ضد نفس المجاهدين الذين دعمتهم ومولتهم ودربتهم، عندما أصبحوا يقاومون الاحتلال الأمريكي.

يرى "جاكوب هورنبرجر" مؤسس ومدير مؤسسة المستقبل للحرية أنّ " الحرب أسفرت عن قتل آلاف الأبرياء وإثارة المزيد من الغضب والحقد على الولايات المتحدة الأمريكية، بينما لم تؤد إلى القبض على المتهم الرئيسي في هجمات ٩/١١، أسامة بن لادن. كما أن "تغيير النظام" الذي تحقق في أفغانستان، نجح في تحويل ذلك البلد إلى منطقة منتجة للأفيون خالية من القوانين تقوم فيها الأرباح الفاحشة الناجمة عن حرب المخدرات بتمويل النشاط "الإرهابي" (٥٨).

ويرى الكاتب البريطاني باتريك سيل المتخصص في شئون الشرق الأوسط أنّ:

" نتيجة كل هذه العوامل كارثية على جميع الجهات ففي أفغانستان يعاني الرئيس الذي عينته أمريكا أزمة مالية خانقة، ويقف عاجزا أمام أمراء الحرب وقادة المافيا... وبقايا" القاعدة: و"طالبان.. ويبدو أنها بدلا من قضائها على الإرهاب فإنّ حرب أمريكا على "الإرهاب" أدت بالعكس إلى زيادة التهديدات، كما أثبتت أخيراً عمليات الرياض والدار البيضاء.(٥٩)

وكانت أمريكا تريد أن تقول للعالم:" أنها قادرة على الظلم والتخويف، وأنها تملك من السلاح ما تحرق به وتفني وتبيد.فلم تكن القضية طالبان ولا أفغانستان، فما الذي تريده دولة عظمى من بلد لو غزته الجرذان لهربت، لأنها لن تجد فيه شيئاً تأكله؟".(٦٠)

وتعتبر مجلة " لاكسبريس " الفرنسية أنّ انتصار أمريكا في أفغانستان لا يزال ناقصا وتقول:

> في أقل من ثلاثة أشهر ألقت الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ١٣ ألف قنبلة.. واقتنصت نصراً ناقصاً في أفغانستان... واليوم تحاول الولايات المتحدة الغوص في هذه الأرض الموحلة علها تقلب الموازين وتحقق النصر الذي لم تحققه الأمم الغازية السابقة(الاسكندر المقدوني وبريطانيا وروسيا).. والواقع أنّ" بريجنسكي" - الرئيس السابق لمجلس الأمن القومي زمن الرئيس كارتر- والداعم للمقاومة في تلك الوقت ضد السوفييت، يهنئ نفسه بالإنجاز الذي حققته الولايات المتحدة هناك، معتبراً أن الأصعب لم يأت بعد، فالمرحلة الثانية... الموجهة ضد الإرهاب العالمي يمكن أن تكون بمثابة الامتحان الصعب لأعصاب الولايات المتحدة التي تعتبر نفسها الآن القوة العظمى الوحيدة".(٦١)

وقد صدقت تلك التوقعات، فلا زالت أمريكا وبريطانيا غارقة في وحل أفغانستان، ولم تتمكن من القضاء على المقاومة التي لا زالت تقوم بإسقاط طائراته، وتوقع فيه خسائر مادية وبشرية، ولا يزال ابن لادن حُراً، ويدير المقاومة التي تسميها أمريكا إرهاباً.وقد تصاعدت عمليات مقاومة المجاهدين الأفغان للاحتلال الصليبي الغربي بعد أن استعاد المجاهدون قواهم. وأشار "ريك كوسات" مدير معهد الأمن وحسن الإدارة العالمية في المعهد الملكي للعلاقات الدولية في بروكسل أن "العراق بات في ورطة، وأفغانستان تتجه إلى الوضع عينه، إذا استمر الحال على ما هو عليه، وأن حالة الهلع في الأوساط العسكرية تعكسها نداءات النجدة التي يطلقها الكنديون والبريطانيون الذين يواجهون مقاومة عنيدة من طالبان في الجنوب الأفغاني"(٦٢)

٨-٢-٨-التحالف الإمبريالي الصليبي الثاني ضد العراق عام ٢٠٠٣

ظل هدف الغرب المركزي من إقامة إسرائيل يتمثل في أن تعمل إسرائيل قاعدة عسكرية متقدمة للغرب في قلب المشرق، وأن يعمل اليهود في شتى أنحاء العالم مستشارين وعيوناً للغرب. وجاءت أمريكا لتترأس التعاون بين اليهود وإسرائيل من جهة، وبينها من جهة أخرى، لتحقيق مصالح مشتركة للبلدين.وقد عبر الصحفي اليساري، وعضو الكنيست الإسرائيلي السابق، "أوري أفنيري" عن أهداف ذلك التعاون فقال: " أمريكا تستعمل إسرائيل للسيطرة على الشرق الأوسط، وإسرائيل تستعمل أمريكا للسيطرة على فلسطين".(٦٣)

ومن أهم الأكاديميين اليهود الذين يوجهون سياسة بريطانيا وأمريكا الخاصة بالعرب والمسلمين المستشرق اليهودي البريطاني "برنارد لويس" الذي انتقل للعمل في أمريكا في العام ١٩٧٤، والذي يحظى بآذان صاغية للمحافظين الجدد، والذي يعمل مستشاراً خاصاً للرئيس جورج الابن، والذي وجه إليه مساعد وزير الخارجية الأمريكية" بول وولفوفيتز" في احتفال أقيم على شرفه(لويس) في آذار عام ٢٠٠٢ وقال: علمنا برنارد لويس" أن نفهم التاريخ المعقد والمهم للشرق الأوسط، ونستعمله لتوجيهنا نحو المرحلة التالية بهدف بناء عالم أفضل.." ويضيف "آلان غريش":

"بعد عام وجه "برنارد لويس" الإدارة الأمريكية " نحو مرحلتها التالية في العراق. فقد شرح أنّ اجتياح هذا البلد سيخلق قدراً جديداً، وأن الجنود الأمريكيين سيستقبلون استقبال الفاتحين المحررين، وأن المؤتمر الوطني العراقي، بزعامة صديقه أحمد الجلبي، المنفي غير المستقيم والذي لا يملك تأثيراً قويا سيعيد بناء عراق جديد".(٦٤)

ومن الواضح أن إسرائيل و"برنارد لويس" قد غرروا بأمريكا التي غرقت في وحل العراق، وأصبحت غير قادرة على الخروج من ورطة

العراق. واستقبال الفاتحين الذي استقبل به العراقيون الجيش الأمريكي كبد ذلك الجيش حتى تاريخ ٢٠-٦-٢٠٠٦ خسائر بلغت (٢٥٠٠) قتيل، واعترفت تقارير وزارة الدفاع الأمريكية أن:

الإصابات القاتلة بين العسكريين الأمريكيين بسبب عمليات المقاومة قد ارتفعت من معدل ١٧ في الشهر بعد أن أعلن الرئيس جورج بوش نهاية العمليات العسكرية الرئيسية في الأول من أيار ٢٠٠٣ إلى ٧١ في الشهر. وأن معدل جنود الاحتلال الأمريكي الذين يصابون بجروح من عمليات المقاومة شهرياً قد ارتفع بصورة كبيرة من ١٤٢ إلى ٧٠٨ خلال نفس المدة: وأن الهجمات التي تتعرض لها قوات الاحتلال الأمريكي وحلفاؤها في العراق منذ تشرين الثاني ٢٠٠٣ ارتفعت من ٧٣٥ في الشهر إلى ٢٤٠٠ في شهر تشرين الأول ٢٠٠٤م. "(٦٥)

هاجمت قوات التحالف الغربي الذي تقوده أمريكيا وبريطانية العراق، يوم ٢٠ آذار من عام ٢٠٠٣، وفي التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣سقط النظام العراقي واحتلت قوات التحالف الغربي بغداد وسيطرت على العراق.وهكذا فقد أصاب المفكر الفرنسي "غارودي"كبد الحقيقة عندما وصف حرب العراق عام ٢٠٠٣ بأنها"حرب قائمة ليس فقط على استعمار دول أوروبية متنافسة، مثلما كان من انجلترا وفرنسا، لكن على استعمار جماعي، متعدد الجنسيات متآلف تحت سيطرة الأقوى: الولايات المتحدة... إنها أول حرب استعمارية عالمية. حرب تحالف كل المستعمرين القدامى، دون استثناء، ومعهم "عملاؤهم" التقليديون المشترون والمجندون في المواقع..." (٦٦)

أ- أسباب الحرب التي شنتها أمريكا والغرب على العراق عام ٢٠٠٣

ويوضح المفكر المغربي"مهدي المنجرة" الأسباب الحقيقية لحرب التدمير الجوية على العراق في أعقاب احتلاله للكويت- والتي هي أسباب الغزو الغربي للعراق أيضا- فيقول:

لقد تبين للعالم العربي كله وللرأي العام العالمي أن الولايات المتحدة الأمريكية التي تقود هذه الحرب ومن خلفها الغرب لم تدخل هذه الحرب من أجل تحرير الكويت، ولا من أجل تطبيق مقررات مجلس الأمن التي كانت بدورها من وحي واشنطن، ولكن هذه الحرب جاءت لخمسة أسباب أساسية:

١- أن الولايات المتحدة الأمريكية وهي تحاول إعادة ترتيب النظام العالمي الجديد هي القطب الواحد بعد تحلل الاتحاد السوفييتي كقوة للتوازن لم تستسغ أن تكون بمنطقة الخليج العربي -بامكانياته البترولية وبحيويته الجيوسياسية- دولة تنمو وتتجه نحو الاستقلال عن سلطتها هذه الدولة هي العراق.

٢- أن العراق لما حاول أو استطاع تحقيق استقلال تكنولوجي عن الغرب بدأ يهدد أمن ومصالح الغرب كله سواء لتأهله لتقليص وهم التفوق الغربي أو لتهديده أسواق الغرب لبيع التكنولوجيا الجاهزة.
٣- أن الآلة العسكرية للعراق حققت خبرة وقوة، أصبح من شأنها تهديد الكيان الصهيوني المزروع بالمنطقة كقاعدة للغرب الصليبي والولايات المتحدة الأمريكية خاصة.
٤- أن الغرب أدرك قوة العراق الحضارية كمهد للثقافات وكأرض للذاكرة العربية الإسلامية، الشيء الذي يهدد أطماعه في سيادة ثقافته وقيمه الغربية ضد كل الثقافات الأخرى العربية والإسلامية...
٥- الغرب كما يرسم في سيناريوهاته مضطر لتجديد ربط خيوط التبعية إليه بعد تآكل الاستعمار القديم سواء دخل العراق الكويت أم لم يدخل.. وبذلك اختيرت المشكلة العراقية الكويتية كمبرر للتدخل السريع والمكثف قصد تدمير العراق بعد أن تحكمت الولايات المتحدة في سلطة القرار داخل هيئة الأمم المتحدة وداخل مجلس الأمن.(٦٧)

ويوضح المفكر "مهدي المنجرة" جرائم الغرب بحق العراق، فيقول:
وكانت نتيجة القصف الجوي للعراق من قبل الغرب قبل احتلاله عام ٢٠٠٣هي القيام بخمس جرائم وهي:
١- تم الاعتداء الوحشي على الإنسان العراقي طفلا كان أو امرأة أو شيخا وتم قصف المخابئ المدنية والمساكن والمستشفيات ومنابع الشرب، سجل خلالها القصف ما يزيد على ٧٥ ألف طلعة..وهو ما يفيد سقوط أكثر من ٢٢٥ألف شهيد فهل قام الضمير العالمي بإدانة أمريكا وحلفائها؟ وهل تحركت الشرعية الدولية أمام خرق أهم حق من حقوق الإنسان وهو حق الحياة؟
٢- تدمير البيئة الطبيعية_المزروعات _ المياه_والهواء.
٣- تدمير التراث الإنساني الثقافي والحضاري في العراق بدون مبرر سوى الرغبة في القضاء على الذاكرة....
٤- المس بمشاعر مئات الملايين من المسلمين بهتك حرمات الديار المقدسة وعدم احترام معتقداتهم ومقدساتهم وهي جريمة ستظل مغروسة داخل عقل كل مسلم يتذكر فيها أن الغرب _ لم يحترمه في دينه وعقائده.
٥-هتك القانون الدولي وضرب الشرعية الدولية والقضاء على مصداقية مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة وغيرها_ بعد أن تحولت هذه المنظمات بضغط من دول الغرب من هيئات لحماية السلام إلى قلاع للتخطيط للعدوان والسكوت عليه. (٦٨)

ويوضح المفكر "مهدي المنجرة النتائج التي استخلصها العرب من جرائم الغرب بحقهم، فيقول: إن هذه الوضعية العامة أدت إلى خمس نتائج ستجعلها الشعوب العربية دروساً لمسيرتها في المستقبل القريب والمتوسط والبعيد وهي:

١- أكذوبة الغرب المتحضر. إذ لم يظهر من غرب القيم الحضارية والحداثة وحقوق الإنسان سوى وجهه العدواني الصليبي، وهو ما يجعل دول الجنوب كله تدرك أكثر من أي وقت مضى -خاصة الدول العربية والإسلامية- أن مستقبلها رهين بما أسميه سياسة الاعتماد على الذات.
٢- كشف الغرب عن عدوان وحقد ضد الحضارات الأخرى، وسيكون ذلك درساً للدول الإسلامية بأن تتمسك أكثر من ذي قبل بهويتها الحضارية الإسلامية، انطلاقا من الإسلام كنظرية تحررية ضد كل مظاهر الاستلاب الثقافي واللغوي التي خلفها الاستعمار بكل ألوانه.
٣- انكشاف الانفصام الحاصل بين الحكام العرب وبين الشعوب العربية، حيث بدا واضحا أن طموحات الشعوب ونضالاتها ومشاعرها مغايرة لرغبات واختيارات ومصالح الأنظمة الحاكمة، وهو ما أوضح أن النضال من أجل الديمقراطية وإقرار حرية التعبير وحقوق الإنسان شرط أساسي لفعالية أي بلد. كما كشفت حرب الخليج في نفس الاتجاه عن تبعية وخنوع عدد من المثقفين الذين انكشف ولاؤهم للغرب، إما بالمساندة في حربه الصليبية ضد شعب العراق، أو بصمتهم على ما يجري.
٤- وتأتي النتيجة الرابعة كدرس للأمة العربية لتدرك أن التكنولوجيا والعلم وتحصين الذات بهما وَحْدَهُما السبيل لبناء المستقبل في غير حاجة إلى دول الشمال والغرب...
٥- أن المستقبل العربي لا يمكنه أن يبقى على الحال الذي كان عليه خلال فترة ما قبل ٢ غشت(آب) ١٩٩٠، لأنه كما كان الغرب يخطط لقانون دولي جديد، حملت حرب الخليج معها حتمية التغيير المقبل في كل مظاهر النظر والعمل العربي سواء في علاقته مع نفسه أو مع الغرب.(٦٩)

ب- حجج وأهداف العدوان الغربي على العراق وتفنيدها

يفند المفكر الفرنسي "غارودي" الحجج التي أبداها الرئيس الأمريكي لغزو العراق، بدلالة استبدال "بوش" الحجة التي ينكشف أمرها، بحجة واهية أخرى فيقول: "قبل شن الحرب على العراق تحدث الرئيس الأمريكي "بوش " عن حرب صليبية حقيقية" مستوحيا سيناريو هنتنغتون حول صراع

الحضارات، ولكن عندما لاحظ النقمة العارمة على استعمال اصطلاح "الحرب الصليبية" وأثر ذلك على مصالح أمريكا النفطية، عاد الرئيس بوش وغير مفردات كلماته وجعل مشروع التوسع الأمريكي يأخذ اسم "الحرب ضد الإرهاب"(٧٠)

وتحاول الإمبريالية تبرير عدوانها وتسلطها بحجج وأعذار واهية. فيشهد "جيمس جليسر"وهو محارب أمريكي سابق في فيتنام، أنّ "أمريكا أرسلت الجيش الأمريكي إلى فيتنام استناداً إلى كذبة حين قالت إننا نقاتلهم من أجل حرية أمريكا. وظلت تراقب الموقف ونحن ننزف وننزف. واليوم نجد فيتنام شريكاً تجاريا لأمريكا ولا تحاول إيذاءنا.والآن انسفك ما يكفي من الدم الأمريكي في العراق، وقريباً سوف يعرف الأمريكيون أنهم "تعرضوا لعملية خداع أيضا، تماماً كما حدث لنا في ستينيات القرن العشرين، وسيعرف الناخبون أن حرب العراق هذه تتعلق بكسب قلة نافذة في واشنطن لمليارات الدولارات."(٧١)

و قالت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة "مادلين أولبرايت":"صدام لم يكن يمثل تهديداً حيث كنا نسيطر عليه".(٧٢)

ويفند الكاتب البريطاني "باتريك سيل" ادعاءات أمريكا بشأن أهداف الغرب من شن الحرب على العراق فيقول:" أن أهداف الولايات المتحدة من الغزو واحتلال العراق محددة بثلاثة أهداف هي: الأول يتعلق بالاستراتيجية الأمريكية" والثاني السيطرة على نفط العراق والثالث حماية أمن الكيان الإسرائيلي...إن ما يجري ليس سوى حرب من الطراز القديم... أمريكا تسعى لهزيمة قوى القومية العربية والإسلام المناضل من أجل مد هيمنتها على العالم العربي..(٧٣)

ويرى العالم الأمريكي "تشومسكي" أن سبب الحرب على العراق هو"إقامة أول قاعدة عسكرية أمريكية آمنة في دولة عميلة في قلب أكبر مصدر للطاقة في العالم"(٧٤)

و إحدى الذرائع التي قدمتها أمريكا لشن الحرب على العراق هي تحرير الكويت من الاحتلال العراقي. وهي حجة كاذبة، ويرد عليها "هوارد زين" أستاذ العلوم السياسية في جامعة بوسطن" الأمريكية ويقول:"الآن نحن المحتلون، صحيح أننا حررنا العراق من صدام حسين ولكننا لم نحرره منا وتماماً كما حدث عام ١٨٩٨فقد حررنا كوبا من الاسبان ولكن لم نحررها منا، وقد أطيح بالطغيان الاسباني ولكن الولايات المتحدة أقامت قاعدة عسكرية في كوبا، وهو ما نفعله حالياً في العراق. وقد دخلت الشركات الأمريكية كوبا تماماً كما تدخل بكتل وهاليبيرتون وشركات النفط إلى العراق الآن.." (٧٥)

وتمثلت ذريعة أخرى في الادعاء بوجود أسلحة دمار شامل. وكان الرئيس جورج دبليو بوش في خطاب له بتاريخ ٧ تشرين أول ٢٠٠٢ قد قال:"يجب أن لا يُسمح للدكتاتور العراقي أن يهدد العالم وأمريكا بسموم

وأمراض وأسلحة نووية ". وخلافاً لما قاله بوش، فقد أكد تقرير أعده "تشارلز دويلفر" كبير مفتشي الأسلحة الأمريكيين أن العراق لم يكن لديه أسلحة كيمائية أو بيولوجية عندما اجتاحه الجيش الأمريكي في عام ٢٠٠٣ "(٧٦)

وبعد احتلال العراق اعترف الرئيس "بوش" ورئيس الوزراء البريطاني "بلير" بكذب ادعاءاتهما وقالا:"لم نعثر على أسلحة الدمار الشا[illegible] التي كنا على ثقة جميعاً بأننا سنجدها".(٧٧)

ورغم أن الرئيس "بوش" شن الحرب على العراق بحجة اس[illegible]دام صدام للغازات السامة والأسلحة المحرمة ضد مواطنيه، إلا أن الجيش الأمريكي استعمل الفسفور الأبيض المحرم استعماله دوليا في معركته ضد مدينة [illegible]جة العراقية في تشرين الثاني ٢٠٠٤م.(٧٨)

ثم جاء الرئيس بوش بذريعة الادعاء بنشر الديمقراطية، وهي ذريعة كسابقاتها لا أساس لها من الصحة. وانتقد المفكر الأمريكي "فرنسيس يوكوهاما" – صاحب نظرية "نهاية التاريخ"التي اعتمد عليها "هنتنغتون" في تحريضه على محاربة الحضارة الإسلامية والمسلمين، والذي أيد الحرب ضد العراق لكنه تراجع عنها قبل أن تشنها- الإدارة الأمريكية وقال:"من حيث المبدأ لا يمكن للأغراب أن يفرضوا ديمقراطية على بلد لا يريدها، يجب أن يكون طلب الديمقراطية والإصلاح محلياً".(٧٩)

وتذرعت أمريكا بذريعة الحرب على الإرهاب. وينتقد المفكر الأمريكي "تشومسكي" الحرب التي شنتها أمريكا وحلفاؤها على العراق عندما حصلت أمريكا على موافقة الكونغرس على شن الحرب بحجة وجود أسلحة الدمار الشامل، وبعد أن اتضح عدم صحة هذه الحجة، قال الرئيس "بوش" في ٢٥-٦-٢٠٠٥:" إن غزو العراق يشكل جزءاً من الحرب الشاملة ضد الإرهاب تشنها الولايات المتحدة. فإن "تشومسكي"يرى " أنه في واقع الأمر.. فإن الغزو زاد من التهديد الإرهابي وربما بصورة كبيرة."(٨٠)

وأضافت أمريكا إلى حججها الكاذبة لغزو العراق حجة الإطاحة بصدام حسين، حيث ادعت وزيرة الخارجية الأمريكية أن الهدف الاستراتيجي لغزو العراق في آذار ٢٠٠٣هو "إطاحة نظام صدام حسين".(٨١)

ولكن بعد عشر سنوات من القصف الجوي، واحتلال العراق، وإسقاط نظام صدام واعتقال صدام نفسه، فلا زالت أمريكا ترفض الانسحاب من العراق.

وأوضح كولن باول، وزير الخارجية الأمريكي الأهداف الحقيقية للحرب ضد العراق حين " أعلن على الملأ أنّ الحرب على العراق لها ثلاثة أهداف هي:إسقاط النظام العراقي، وإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط، وإغلاق ملف القضية الفلسطينية " (٨٢)

يذكر "جورج سوروس" المستثمر المالي العالمي الأمريكي الجنسية ورئيس معهد العالم المفتوح: "أنّ الحرب على العراق جاءت تطبيقا لمبدأ بوش

الذي يقوم على قاعدتين": الأولى أن الولايات المتحدة الأمريكية ستفعل كل ما في قوتها للحفاظ على تفوق عسكري مطلق لا ينازع. والثانية، أن الولايات المتحدة الأمريكية تخول لنفسها الحق في القيام بعمل استباقي. وهاتان القاعدتان تناديان بوجود طبقتين من السيادة الأمريكية التي لها الأولوية على المعاهدات الدولية، وسيادة الأمم الأخرى كلها التي تخضع لمبدأ بوش.ويذكرنا هذا بكتاب جورج أورويل "مزرعة الحيوان" حيث جميع الحيوانات متساوية، ولكن بعضها أكثر مساواة من الآخرين.(٦٣)

ج- نتائج الحرب

- الاحتلال الأمريكي أدى إلى تدمير العراق، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره "هوارد زين أستاذ العلوم السياسية في جامعة "بوسطن"الأمريكية أن اجتياح مدينة الفلوجة في تشرين الثاني ٢٠٠٤ أدى إلى تدمير ثلاثة أرباع المدينة وقتل المئات من سكانها"(٨٤)

وتوصل الكاتب البريطاني المتخصص في شئون الشرق الأوسط إلى نتيجة مفادها "أن العرب فقدوا الخوف من اللجوء إلى المقاومة وأن المشروع الأمريكي يبدو مستنفداً ومنهكاً".(٨٥)

يرى المحلل السياسي الأمريكي"ديفيد آر فرنسيس" أن تلك الحرب هي ثالث أكبر حرب من حيث التكلفة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية بأسره..وأن تكلفتها بالنسبة للولايات المتحدة تفوق بالفعل تكلفة الحرب العالمية الأولى.(٨٦)

وقد زادت تكلفة الحرب المادية حتى يوم ٨-٤-٢٠٠٦ عن ٣٠٠ مليار دولار.(٨٧)

و فقدت أمريكا مصداقيتها وسلطتها الأخلاقية بسبب فضيحة "أبو غريب"وتعذيب المعتقلين العراقيين هناك مما ألحق دماراً كبيراً بهيبة أمريكا في المنطقة..، كما فقدت أمريكا المعايير الأخلاقية السامية بعد أن مارست سياسة إمبريالية طموحة في ظل المحافظين الجدد.(٨٨)

و حل العراق الآن محل أفغانستان كمغناطيس وأرض للتدريب وقاعدة جهاد للجهاديين "الإرهابيين" بوجود الكثير من الأهداف الأمريكية لإطلاق النار عليها". (٨٩)

ويرى الصحفي والكاتب الأمريكي "تشارلي ريس" أن "هناك في الوقت الحاضر المزيد من الإرهاب (في العراق) وليس العكس. والشرق الأوسط الآن أقل استقراراً وليس العكس، ولن نصل في نهاية المطاف إلى تحقيق الديمقراطية في العراق.(٩٠)

وقد بلغ عدد القتلى بين صفوف القوات الأمريكية في العراق- كما أعلنها ناطق باسم وزارة الدفاع الأمريكية - [illegible] قتيل. (٩١)

وجاء في تقرير للأمم المتحدة يوم ٢٠-٩- ٢٠٠٦ " أن العراق بات أكثر خطورة من أي وقت مضى مع تزايد أعمال العنف، فيما بدأت القوات الإيطالية تعود إلى بلادها" وأشار التقرير إلى جرائم القوات الغربية التي تقتل العراقيين المدنيين بعد أن تعذبهم وقال:" إن (٦٥٩٩) لاقوا حتفهم في الشهرين الماضيين بزيادة (٧٠٠)"قتيل عن الشهرين السابقين..وأن كثيرين تعرضوا للتعذيب وقتلوا على أيدي فرق إعدام بسبب انتمائهم الطائفي.. الجثث الموجودة في المشرحة تحمل عادة آثار تعذيب شديد منه إصابات ناجمة عن استخدام أحماض.وحروق بسبب مواد كيمائية، وجلد مزال – مسلوخ- وعظام مكسورة، وأعين مقلوعة، وأسنان مفقودة، وجروح ناجمة عن مناقيب أو مسامير."(٩٢)

هذه هي "الرسالة الملقاة على عاتق الرجل الأبيض بتحضير الناس " عن طريق نشر "ديمقراطية" الحرق بالمواد الكيميائية، وسلخ الجلد، وقلع الأعين، والأسنان، ومراعاة حقوق الإنسان، بدق المسامير في جسده وهو حي!! هذه ديمقراطية الدولة الأولى في العالم، التي أعلن رئيسها حرباً صليبية على العراق، وسيكون مصيرها مصير الحروب الصليبية التي سبقتها، وسيعود الحق في العراق لأهله العراقيين، بعد أن تحطم دبابات بوش وفيلة "أبرهة" ضربات المجاهدين، التي هي الطيور الأبابيل التي أرسلها الله سبحانه وتعالى لإنقاذ مخلوقاته البريئة من الظلم والعدوان والاستعباد.

ورغم مرور أربع سنوات على الحرب العدوانية التي شنها الإمبريالي الصليبي الغربي على العراق، إلا أن ذلك التحالف الضخم لم يحقق أهدافه بعد، يستدل على ذلك من حجم الخسائر التي تكبدها، ومن أن بعض أطراف الحلف قد يئس وبدأ يسحب قواته من العراق، كما يستدل على ذلك من تصريحات المسئولين الغربيين، حيث أعرب عدد من المحللين الغربيين عن خشيتهم من أن "تتحول مهام القوات الغربية في أفغانستان ولبنان إلى أفخاخ لها، وإلى أن يؤدي أي فشل لواشنطن ولندن وباريس في هذه البلدان إلى تعزيز قوى "التطرف!" الديني في العالم الإسلامي..إضافة إلى الشعور العام بأن الوضع في العراق وصل إلى حائط مسدود، بمثابة علامات مثيرة للقلق في الأوساط الغربية، ويشير "جان بيار مولني، المدير المساعد لمعهد العلاقات الدولية في باريس"ايريس" أن هناك خطراً كبيراً بأن يتحول الأمر إلى فخ، ونتيجة العمليات الثلاث- في أفغانستان والعراق ولبنان- غير مضمونة."(٩٣)

د- حرب الخليج والقانون الدولي

من الثابت أن الحرب التي شنت على العراق مخالفة للقانون الدولي لأن الولايات المتحدة شنتها أصلا الولايات المتحدة دون موافقة مجلس الأمن الدولي والأمم المتحدة. وعلاوة على ذلك فإن تلك الحرب وقعت فيها مخالفات جسيمة للقانون الدولي ومعاهدات لاهاي وجينيف التي تمنع قصف المدنيين

والأماكن الدينية والمدارس والملاجئ التي استهدفها القصف ودمر جزءاً كبيراً منها، وهو الأمر الذي انتقده وعبر عنه مسئولون ومختصون عالميون، نستشهد ببعضهم.

فقد صرح "كوفي عنان" أمين عام الأمم المتحدة، لصحيفة "الجارديان": "من وجهة نظرنا، وبموجب ميثاق الأمم المتحدة، يعتبر غزو العراق غير قانوني: الحرب في العراق كانت غير مشروعة"-وأضافت الجارديان:كثير من خبراء القانون الدولي يشاركون السيد كوفي عنان وجهة نظره، ففي آذار ٢٠٠٣ عبر قضاة في لجنة الحقوقيين الدولية في جنيف أن:"أي حرب تشن دون تفويض واضح من مجلس الأمن الدولي تشكل خرقاً فاضحاً لمبدأ حظر استخدام القوة في النزاعات الدولية"(٩٤)

ويرى المؤرخ البريطاني "أرنولد توينبي" في الجزء الأول من كتابه دراسة في التاريخ: أن حروب الغرب هي حروب إبادة- وهذه محرمة في القانون الدولي- ويقول:"لقد تعلمنا في مدى جيل واحد حقيقتين أساسيتين:الأولى هي أن الحرب لا تزال مؤسسة معترف بها في المجتمع الغربي الآن ، والثانية أنّ كل حرب في العالم الغربي لا يمكن إلا أن تكون حرب إبادة، نظراً للأوضاع التقنية والاجتماعية الحاضرة".(٩٥)

وأكد "خير الدين حسيب" مدير مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت أن "الغزو الأمريكي للعراق لا يتسم بأي صفة قانونية وأنه غير شرعي وباطل."(٩٦)

ويقول الكاتب والمحلل السياسي الأمريكي "تشارلي ريس" لقد حدد لنا الدستور حكومة لتحكم أمريكا وليس العالم، ولا يعنينا البتة أي أشكال من الحكم توجد في الدول الأخرى"(٩٧)

ويذكر الأستاذ عبد الباري عطوان رئيس تحرير جريدة القدس العربي أنّ:" غزو بلد واحتلاله وتدميره، ومقتل مئة ألف من أبنائه على الأقل، هو جريمة ضد الإنسانية خاصة بعد أن تبين أنّ الأسباب والذرائع التي جرى توظيفها كأساس قانوني لشن هذه الحرب كانت كاذبة وغير صحيحة".(٩٨)

هـ - علاقة حرب العراق بفلسطين

أشرنا سابقاً إلى أن أحد أهداف الحرب ضد العراق كانت ترسيخ أمن إسرائيل كقاعدة للإمبريالية الغربية في المنطقة، ولأنّ إسرائيل كان لها دور في التحريض والتخطيط لحرب العراق. وسوف نستشهد بآراء بعض الكتاب والمختصين بشأن دور فلسطين في معركة العراق.

يرى الكاتب المصري فهمي هويدي أنه ينسب إلى وزير الخارجية الأسبق هنري كيسنجر قوله:" إن الطريق إلى القدس يمر ببغداد، التي عبرت عن تصور أنّ إسرائيل لن يهدأ لها بال ولن تستقر في مدينة القدس التي يعتبرها

الحلم الصهيوني عاصمة لأرض الميعاد، إلا إذا كسرت بغداد بما تمثله من رمز وقوة للعرب، وربما كان الدافع إلى ذلك هو اقتناع "كيسنجر" بأن القوة العراقية تؤرق إسرائيل". ويضيف الكاتب "هويدي" فحين أعلن كولن باول على الملأ أنّ الحرب على العراق لها ثلاثة أهداف هي:إسقاط النظام العراقي، وإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط، وإغلاق ملف القضية الفلسطينية، فإنه ترجم بطريقة دبلوماسية شعار الطريق إلى القدس يمر ببغداد". (٩٩)

و أكد الباحثان الأمريكيان "ستيفان وولت"من جامعة هارفارد، و"جون مارشهايمر" من جامعة شيكاغو أن إسرائيل واللوبي اليهودي يوجهان السياسة الخارجية الأمريكية حتى وإن اختلفت مع المصالح الوطنية الأمريكية ودلل الباحثان على ذلك بأنّ " الضغط الإسرائيلي كان عاملا حرجاً أدى إلى شن الحرب على العراق".(١٠٠)

و-إدانات حرب الخليج

وقد وجهت انتقادات عالمية لموقف الغرب من الحرب العدوانية التي شنها الغرب على العراق، وسنقدم فيما يلي بعضاً من تلك الانتقادات.

يوضح المؤرخ الإسرائيلي الجديد المشهور"أفي شليم"(Avi Shlaim) بعض انتقادات بلدان العالم الثالث لأمريكا وحرب الخليج ويقول:

"اعتبرت دول العالم الثالث أنّ حرب الخليج هي حرب صليبية ضد العرب. وأنّها عملية استغلال للأمم المتحدة من أجل إضفاء الشرعية على مشروع تحوم حوله شكوك كثيرة.وشعر ممثلو دول العالم الثالث في الأمم المتحدة أنّ حرب الخليج أثبتت فقط كيف تستطيع أمريكا أن تتحرك إلى منطقة مضطربة، بتكنولوجيا خيالية، وتدمّر المكان، وتترك جميع المسائل القائمة بدون حل، وتخلق في الوقت نفسه مشاكل جديدة. وبعد ذلك، تعود إلى بلدها لتحتفل بالنصر. وحتى أولئك الذين وافقوا على أنّ للحرب ما يبررها، فقد انتقدوا أمريكا التي تركت جرح العراق يتقيح، ولم تف بوعودها بمستقبل أفضل " (١٠١)

ويرى"أفي شليم"(Avi Shlaim) أنّ حرب الخليج كانت بمثابة سايكس بيكو جديدة أعادت العرب تحت الحكم الذي ظلوا يناضلون للخلاص منه، واستبدلت فيها سيطرة بريطانيا بسيطرة أمريكا. ويفضح مقولة وأهداف النظام العالمي الجديد الذي أثار شبهة الملك حسين وشعوب المنطقة ويقول ما ترجمته:

"لقد مثّل اعتداء صدام حسين الامتداد المنطقي لجهود العرب للتخلص من السيطرة الغربية،... ومن سخرية القدر أنّ النتيجة كانت تتمثل في وضع المغامر العراقي، مع بقية العرب، تحت السيطرة الغربية التي ظلوا يناضلون ضدّها منذ القضاء على العثمانيين. ولم تكن الحرب

ببساطة تتعلق بالكويت، إنما كانت تتعلق بتأبيد (جعلها للأبد) الهيمنة الغربية على المنطقة. وفي الواقع، فقد أصبحت أمريكا بعد حرب الخليج هي المسيطرة، بنفس الطريقة التي سيطرت فيها بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى. وإذا كانت الفترة بين الحربين قد مثلت فترة نفوذ بريطانيا في الشرق الأوسط، فقد مثلت حرب الخليج فترة نفوذ أمريكا... وقد ألبس"بوش" الأب دعوته للحرب ثوباً مثالياً لا مادّياً... ففي ١٩٩١/١/١٦، أعلن أنّ شن الحرب على العراق سوف تجعل من الممكن إقامة "نظام عالمي جديد، نظام يحكم فيه سلوك الدول حكم(سيادة) القانون، وليس قانون الغاب ...وكان النظام العالمي الجديد يقوم على فنّ الخطابة، أكثر مما يقوم على شيء مادي ملموس. وتمثّل هدف النظام الجديد في توفير الدعم المحلّي للحرب، وفي تزويد التحالف الدولي الذي تقوده أمريكا بوسيلة تحشدهم للحرب، وقد تحقق هذا الهدف بشكل جيد... وكان النظام العالمي الجديد مجرّد عباءة تختفي وراءها سيطرة أمريكا على النظام الدولي. وربما أنّه من المحتّم أن يكون معيار تحديد النظام العالمي الجديد هو نفسه الذي استخدم في أعقاب الحرب العالمية الأولى: ألا وهو مصالح المنتصرين. وهذا هو السبب الذي جعل النظام العالمي الجديد يثير عدداً كبيراً من الناس وشبهة لدى شعوب الشرق الأوسط بنفس القدر الذي أثارته الحرب(العالمية الأولى) التي سبقته. وقد عبّر الملك حسينٌ عن هذه المشاعر بشدّة خاصة عندما قال بأن"السبب الحقيقي وراء هذه الحرب المدمّرة، كما أثبتته مجالها،... هو تدمير العراق، وإعادة ترتيب المنطقة بطريقة أخطر بكثير لحاضر ومستقبل أمتنا من اتفاقية سايكس بيكو. والإشارة إلى الاتفاقية السرية لعام ١٩١٦ – التي تجاهلت طموحات العرب الوطنية، وقسّمت مغانم الحرب بين بريطانيا وفرنسا- كانت تكشف الكثير".(١٠٢)

وبموجب النظام العالمي الجديد الذي يسوده حكم القانون وليس شريعة الغاب –كما ادعى الرئيس بوش الأب- ألقت أمريكا (٨٦٠٠٠٠) قذيفة من اليورانيوم المخصب أي ما يعادل ثلاثمائة وعشرين طنا من اليورانيوم على شعب العراق تاركة خلفها مجالا من الإشعاعات السامة التي تلوث المنطقة لفترة طويلة. (١٠٣)

وفي موضع آخر من مؤلفه "الحرب والسلام في الشرق الأوسط" يضيف "شليم" إلى ما تقدم بأنّ "حرب الخليج جعلت مقولة"إسرائيل رصيد استراتيجي وتساعد في حماية المصالح الأمريكية في الشرق موضع تساؤل، وبدلاً من أن تكون إسرائيل رصيداً أصبحت عبئاً على أمريكا." (١٠٤)

وقد انتقدت المنظمات غير الحكومية موقف الأمم المتحدة من قضية فلسطين في أعقاب حرب الخليج وقالت:

نتطلع أن تقوم الأمم المتحدة بتطبيق العدالة، والاستقامة والثبات على المبادئ. فمنذ حوالي ربع قرن يوجد احتلال غير شرعي آخر في الشرق الأوسط من قبل دولة أجنبية على شعب آخر. نحن نأمل أن تعامل الأمم المتحدة احتلال إسرائيل غير الشرعي الذي عمره (٢٤) عاماً بجدية وحسم تتناسب مع تلك التي أظهرتها أثناء حرب الخليج...لأننا نرى ... كيلاً بمكيالين بشأن فلسطين، وبشكل خاص، لأنّ وجود إسرائيل العسكري في الأراضي المحتلة هو غير أخلاقي، وغير شرعي، وعنصري.إننا نستنكر مناورات الولايات المتحدة الأمريكية لمنع مؤتمر سلام دولي في الشرق الأوسط تحت إشراف الأمم المتحدة.(١٠٥)

وقد انتقدت الجمعية الدولية لمناهضة التمييز العنصري، التي مقرها جنيف، كيل أمريكا والأمم المتحدة بمكيالين في حرب الخليج وقالت:

"ونتيجة لحرب الخليج فقد أصبحت مصداقيّة الأمم المتحدة في خطر، فأثناء حرب الخليج أثيرت آمال بأنْ يسمح للأمم المتحدة أنْ تعمل بانسجام مع ميثاقها، وأنْ تحظى قراراتها المختلفة بنفس القدر من التنفيذ. ولسوء الحظ، فلا زالت هذه الآمال أبعد من أنْ تحقق. ويظهر حاليّاً معيار الكيل بمكيالين بشكل مكشوف، في أعمال وتوجّهات مجلس الأمن عن طريق السياسات التمييزية لأمريكا والدول الأوروبية الثلاث الأخرى التي تمتلك مقعداً دائماً في الأمم المتحدة وهي بريطانيا وفرنسا وروسيا. ...وحتى الآن، لا يزال الحدّ الفاصل يرسم على أساس يكاد يكون عنصرياً. فبينما كان مجلس الأمن يصرّ على أنْ ينفذ العراق جميع قراراته بحذافيرها، فلم يقم المجلس بأيّة محاولة لجعل إسرائيل تتقيد بقرار واحد من القرارات العديدة التي أُصدرتها الجمعية العامة ومجلس الأمن، فرفض العراق أو تباطؤه المزعوم في تنفيذ قرارات الأمم المتحدة كان يواجه بتطبيق شديد للعقوبات، بينما يسمح لإسرائيل بأنْ تهزأ بقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة بحصانة، وبدون أيّ خوف من أي عمل ضدها، سوى الإدانة الكلامية التي لم يحدث أن كانت كافية لمنع إسرائيل من الاستمرار في سياستها بعدم الاحترام الكلي لمثل هذه القرارات".(١٠٦)

وفي كتابه "جرائم الحرب الأمريكية في حرب الخليج" يقول رمزي كلارك وزير العدل الأمريكي(١٩٦١-١٩٦٨):"قامت الطائرات الأمريكية بأكثر من (١٠٩) آلاف غارة جوية أمطرت خلالها أرض العراق (٨٨) ألف طن من القنابل أي ما يوازي (٧) هيروشيمات، مسببة قتل آلاف البشر...(و) دمرت القنابل المدارس، والمنازل، والجسور، ومحطات المياه والكهرباء، والمساجد، والملاجئ.." (١٠٧)

هوامش الفصل الثامن

١	جين لاميان،"المسيحيون الصهاينة والمزج الخطير بين النبوءة والسياسة" جريدة الأيام ٨-١٠-٢٠٠٤
٢	Good News Bible"(Canberra: The Bible Society of Australia Inc., 1992) pp.(896, 955, 1830)
٣	ناهض منير الريس، " معركة هرمجدون والرؤساء الأمريكيين السبعة"جريدة الحياة الجديدة - - ٢٠٠٦؟؟؟؟
٤	جين لاميان،"المسيحيون الصهاينة ، مصدر سبق ذكره
٥	يوسف أيوب حداد، "هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين"ج ٢ ص (٣٣٦)
٦	يوسف أيوب حداد، ،ج ٢ ص (٢٠٤-٢١٢)
٧	Span r, p. (130)
٨	Stephen Zunes," US Middle East Policy and he Roots of Terrorism"(Common Courage Press,2003) Internet.
٩	المصدر نفسه
١٠	اشتفان ميساروس وآخرون، "الإمبراطورية الجديدة قصة الحرب الأمريكية على العراق"ترجمة وتقديم مازن الحسيني(رام الله: دار البيرق العربي للنشر والتوزيع،٢٠٠٤) ص(١٠-١١)
١١	رتشارد نيكسون " أمريكا والفرصة التاريخية" (بيروت: مكتبة نيسان، ١٩٩٢) .ترجمة محمد زكريا إسماعيل. ص (١٩٥).
١٢	استشراف الآفاق والرؤى المستقبلية لنتائج وآثار حرب الخليج" (القدس: د. ن. ، ١٩٩١) ص (٤).
١٣	د. محمد شديد، المجلة العربية للعلوم السياسية ، السنة الأولى ، العدد الأول ،١٩٨٦ ص (٦٩-٧٠).
١٤	فرد هوليداي،"دراسات شرق أوسطية"(دمشق: دار علاء الدين ، ٢٠٠٤) ترجمة أحمد زمو ، ص (١٢٤)
١٥	المصدر نفسه ،ص(١١)
١٦	روجيه غارودي، "كيف صنعنا القرن العشرين"(القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)ص (١٢٤)
١٧	روجيه غارودي، "حفارو القبور- الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها" (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠) ص (٣٦)
١٨	طارق البشري، "العرب في مواجهة العوان"(القاهرة: دار الشروق، ١٩٦٨) ص(١٥-١٦)
١٩	روجيه غارودي، "كيف صنعنا القرن العشرين"(القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)ص (١٢٤)
٢٠	مجلة المجال التي يصدرها مكتب المعلومات والسفارات الأمريكية، من تصريح "جون بولتون، مساعد وزير الخارجية الأمريكية أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الأمريكي. دون.
٢١	المصدر نفسه
٢٢	سعد الدين الشاذلي، ص(١٥٢-١٥٣).
٢٣	Avi Shlaim , op. cit. ,p. (139.(
٢٤	Avi Shlaim , op. cit. ,p. (139.(
٢٥	القدس ١٩٩٢/٧/٥
٢٦	جورج كرزم، الحياة الجديدة ١٩٩٩/٦/٣.
٢٧	الحياة الجديدة ٢٧-١٠-٢٠٠٠
٢٨	الكلمات قالتها الدكتورة "ديانا بوتو" فلسطينية الأصل تربت في كندا، وعملت مستشارة قانونية لمنظمة التحرير الفلسطينية. أنظر: Seth Sandronisky."PLO Advisor Speaks About Law and Power" A Forum For Anti- Authoritarian Political Opinion, Research and

	Humor. Eat The State 2002 IT.
٢٩	د.يوسف القرضاوي،"غير المسلمين في المجتمع الإسلامي "(بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٣) ص(٤٩-٥١)
٣٠	الحياة ٢٠٠٠/٩/٢٠
٣١	الأيام ٢٠٠١/١/٢٩ .
٣٢	(الحياة الجديدة ٢٠٠٠/١٢/٩)
٣٣	جريدة الحياة الجديدة بتاريخ ٢٠٠٥/٨/١٢، بتاريخ٢٠٠٦/٤/٥ عن جريدة هآرتس الإسرائيلية
٣٤	Nassar Ibrahim and Majed Nassar, "Theses on Globalizm and the Palestinian Struggle" in , Samir Amin et.al. "Globalizm and the Palestinian Struggle"(Jerusalem: The Alternative Information Center, 2000) p. (46)
٣٥	النشرة المركزية لحركة التحرير الوطني فتح الحياة الجديدة ٢٠٠١/٧/٢٢
٣٦	(القدس ٢٩-٩-٢٠٠٤)
٣٧	الحياة الجديدة ١٥-٩-٢٠٠٦
٣٨	الحياة الجديدة ١٥-٩-٢٠٠٦
٣٩	فهمي هويدي ، الحياة الجديدة (٢٠٠١/٨/٢٢) . نقلا عن معاريف بتاريخ ٢٠٠١/٨/١٥ الحياة الجديدة (٢٠٠١/٩/٢٤)مروان البرغوثي، عضو المجلس التشريعي الفلسطيني، وأمين سر حركة فتح في الضفة الغربية .الحياة الجديدة (٢٠٠١/٩/٢٢
٤٠	الحياة الجديدة ٢١-٣-٢٠٠٦
٤١	القدس و الأيام ٢٠٠٠/١٠/٢٣ ، الحياة الجديدة ٢٠٠٠/١١/٧
٤٢	الحياة الجديدة بتاريخ ٢٠٠٠/١٠/٢٣
٤٣	الرسالة ٢٠٠١/٩/٢٧
٤٤	الرسالة (٢٠٠١/٩/٢٧)
٤٥	الحياة الجديدة ٢٤-٧-٢٠٠٦
٤٦	القدس ٢٠٠٠/١٠/٢٥
٤٧	الحياة الجديدة (٢٠٠١/٩/٢٤).
٤٨	د . ياسين سويد : لاستقلال ٢-١١-٢٠٠٠
٤٩	(القدس ٦-٤-٢٠٠١)
٥٠	الحياة الجديدة ٢٠٠٥/٥/١٣
٥١	د . ياسين سويد : لاستقلال ٢-١١-٢٠٠٠
٥٢	(الحياة الجديدة ١١ / ٦ / ٢٠٠٣).
٥٣	نصار إبراهيم، "عولمة أمريكا صراع حضارات..أديان ثقافات أم هيمنة اقتصادية وسياسية؟" مقال حصل عليه المؤلف من الكاتب على بريده الألكتروني
٥٤	كمال السعيد حبيب، "صدام الحضارات يتحول من شعار إلى استراتيجية- أمريكا تعلن الحرب العالمية الثالثة على العالم الإسلامي"Latif.net
٥٥	المصدر نفسه
٥٦	هنتنغتون، "صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي"(١٩٩٩)ص (٣٩٩)
٥٧	المصدر نفسه ، ٣٩٩-٤٠٠
٥٨	(الحياة الجديدة ٢٦-٦-٢٠٠٥)
٥٩	(الحياة الجديدة ٢٨-٦-٢٠٠٣)
٦٠	سمير أبو عصب، "مفاهيم سياسية بعد الحادي عشر من أيلول" د.ن.، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ص (٥٨-٥٩)
٦١	(الحياة الجديدة ٨-١-٢٠٠٢) نقلا عن لا اكسبريس الفرنسية
٦٢	الحياة الجديدة ٢٥-٩-٢٠٠٦
٦٣	The Other Israel. Newsletter of the Struggle For Israeli-Palestinian Peace. May 2006. No.125L125 , p.(26).
٦٤	الأيام ٧-٨-٢٠٠٥
٦٥	الحياة الجديدة ٢٥-١-٢٠٠٥، ٢٠-٦-٢٠٠٥
٦٦	روجيه غارودي، " حفارو القبور. الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها"(القاهرة: دار الشروق،

	٢٠٠٠)ص (٦-٧)
٦٧	المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى(المغرب- الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،٢٠٠٥) ص(١٢٥-١٢٦)
٦٩	المصدر نفسه
٦٩	المصدر نفسه ص (١٢٦-١٢٧)
٧٠	روجيه غارودي ،"الإرهاب الغربي" ج١ (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) ص(١٢-١٣)
٧١	(الحياة الجديدة ١٥-٩-٢٠٠٥)
٧٢	(الحياة الجديدة٦-١٠-٣-٢٠٠٣)
٧٣	الحياة لجديدة ٦-٤-٦-٢٠٠٦
٧٤	الحياة الجديدة ٦-٢-٦-٢٠٠٦
٧٥	الحياة الجديدة ٢٠-٨-٢٠٠٥)
٧٦	(الحياة الجديدة ٧-١٠-٤-٢٠٠٤)
٧٧	(الحياة الجديدة ٢٧-٥-٦-٢٠٠٦)
٧٨	(الحياة الجديدة ٥-١٢-٢٠٠٥)
٧٩	(الحياة الجديدة ٢٥-٦-٦-٢٠٠٦)
٨٠	(الحياة الجديدة ٥-٨-٢٠٠٥)
٨١	(الحياة الجديدة ١-٤-٦-٢٠٠٦)
٨٢	(الحياة الجديدة٢٦-٣-٣-٢٠٠٣
٨٣	اشتفان ميساروس وآخرون، "الإمبراطورية الجديدة قصة الحرب الأمريكية على العراق" ترجمة وتقديم مازن الحسيني(رام الله: دار البيرق العربي للنشر والتوزيع،٢٠٠٤) ص(٨٩)
٨٤	(الحياة الجديدة ٢٠-٨-٢٠٠٥)
٨٥	(الحياة الجديدة ٢٧-٥-٦-٢٠٠٦)
٨٦	(الحياة الجديدة ١-٩-٢٠٠٥)
٨٧	(ثوماس فريدمان الحياة الجديدة ٩-٤-٦-٢٠٠٦)
٨٨	(العالم الأمريكي فرنسيس يوكوهاما ،الحياة الجديدة ٣٠-٤-٦-٢٠٠٦)
٨٩	فرنسيس يوكوهاما (الحياة الجديدة ٢٥-٦-٦-٢٠٠٦)
٩٠	(الحياة الجديدة ١٢-٨- ٢٠٠٥)
٩١	(الحياة الجديدة ١٦-٦-٦-٢٠٠٦)
٩٢	الحياة الجديدة ٢٢-٩-٦-٢٠٠٦
٩٣	الحياة الجديدة ٢٥-٩- ٢٠٠٦
٩٤	(الحياة الجديدة ٢٧-٢-٦-٢٠٠٦)
٩٥	(المفكر المغربي محمد عايد الجابري، الحياة الجديدة ٢٦-٣-٣-٢٠٠٣)
٩٦	(الحياة الجديدة٦-٤-٦-٢٠٠٦)
٩٧	(الحياة الجديدة ١٢-٨-٢-٢٠٠٥)
٩٨	(الحياة الجديدة ١٧-١٢-٢٠٠٥)
٩٩	(الحياة الجديدة٢٦-٣-٣-٢٠٠٣)
١٠٠	(الحياة الجديدة ٢١-٣-٦-٢٠٠٦)
١٠١	Avi Shlaim , op. cit , p.(١٣٦-١٣٧) .
١٠٢	المصدر نفسه
١٠٣	سكوت بيترسون، " ما زال ميدان معركة الخليج حاراً من اليورانيوم المخصب" مجلة كنعان، العدد (١٠١)نيسان ٢٠٠٠ ص (٧).
١٠٤	Shlaim , op. cit , p,(106.(
١٠٥	UN Division For Human Rights .Special Bulletin on the Commemoration of the International Day For the Solidarity With the People of Palestine, 1991.P. (116).
١٠٦	الجمعية الدولية المناهضة للتمييز العنصري.Al-Fajr 13-7-1992
١٠٧	زهدي سمور، "تاريخ العرب المعاصر"(القدس: جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٦) ص(٣٣٤)

الفصل التاسع

هل يلتزم الغرب بقيمه ومبادئه التي ينادي بها، أم أنه يتاجر فيها وينافق في تطبيقها؟

الفصل التاسع
هل يلتزم الغرب بقيمه ومبادئه التي ينادي بها أم انه يتاجر فيها وينافق في تطبيقها؟

٩-١- دور الأديان في صراع الشرق الأوسط،وفي أمريكا من جورج واشنطن إلى جورج دبليو بوش (١٧٨٩-٢٠٠٦)

أ-البعد الديني في صراع الشرق الأوسط

منذ الحروب الصليبية عام ١٠٩٩م، دأب الغرب المسيحي على اتخاذ الدين عذراً لشن الحرب من أجل التوسع والعدوان على العرب والمسلمين. ومن المعروف أنّ الكتاب المقدس عند المسيحيين يشمل"العهد القديم" و"العهد الجديد".

وأوضحنا في الفصول السابقة أن يهودا ومسيحيين يعتبرون أنفسهم شعوباً مختارة من قبل الرب، وأنّ هناك قيماً مشتركة بين اليهود والمسيحيين. ومن المعروف أيضا أن مقولة "الحقوق التاريخية " المزعومة لليهود في فلسطين تستند في أساسها إلى أساطير ألصقت بالديانة اليهودية. وكذلك مقولة"الشعوب المختارة".

وفي القرن السادس عشر جاءت البروتستنتية لتؤكد على مقولة الشعب المختار لأتباع الديانة المسيحية، ومقولات "نهاية العالم"، و"الخير والشر" التي بنيت أيضا على أساس معتقدات دينية يهودية ومسيحية. جاءت بعد ذلك الصهيونية المسيحية التي صنعت فيما بعد الصهيونية اليهودية لتعيد الحياة إلى مفاهيم الشعب المختار، ومعركة"هر مجدون" بين الخير والشر التي سبقت الإشارة إليها في الفصلين الخامس والسادس.

وفي نهاية القرن العشرين جاء "صموئيل هنتنغتون" ومنظرو الصهيونية المسيحية والمحافظون الجدد، واستغلوا ديانات العدل والرحمة السماوية وحولوها إلى أداة للشر والحرب والعدوان، وعمدوا إلى تنصيب أنفسهم آلهة مكان الله سبحانه وتعالى، وقسموا العالم إلى محور للخير، وآخر للشر، وقصروا الخير عليهم وحدهم، ووصموا المسلمين بوصمة الشر، وأقاموا أحلافاً صليبية جديدة، تحت أسماء مختلفة وشنوا الحرب على بلاد المسلمين، وبلدان كثيرة أخرى، من أجل التسلط على خيراتها وأسواقها ومواقعها الاستراتيجية.

وأغرب ما في الأمر، أن هذا الغرب الذي بنى سياسته الدنيوية النفعية والميكافيلية على أساطير دينية، يقوم في الوقت نفسه بالتدخل في حرية الاعتقاد

والعبادة والفكر للأقوام الضعيفة الأخرى، ويصم إسلام الرحمة السماوية بالإرهاب، ويشن حرباً مدمرة على المسلمين، تقتل الأبرياء، ولا تبقي ولا تذر. وقد قادت بريطانيا وفرنسا الصراع في منطقة الشرق الأوسط لمدة طويلة، واليوم تولت أمريكا قيادة الصراع هناك وفي العالم أجمع. وتقوم الدول الغربية باستغلال الأديان السماوية ومبادئ حقوق الانسان لأهداف دنيوية مادية وأنانية شريرة.

ب- دور الدين في أمريكا من جورج واشنطن إلى جورج دبليو بوش(١٧٨٩-٢٠٠٦)

تذكر المصادر أن"ثلثي الذين وقعوا إعلان الاستقلال وكذلك ثلثي الذين وقعوا الدستور الأمريكي كانوا من الانجليكانيين الأمريكيين الذين كانت حياتهم الدينية قد تشكلت بفعل كتاب الصلوات العامة سنة ١٦٦٢م. (١)

وفي خطاب تنصيبه رئيساً للولايات المتحدة عام ١٧٨٩م قال جورج واشنطن، الرئيس الأول للولايات المتحدة الأمريكية:"ليس هناك شعب يمكن أن يعترف ويحب يد الرب الخفية التي توجه شعوب العالم أكثر من شعب الولايات المتحدة". وأضاف واشنطن قائلاً:"انه موكل بمهمة عهدها الله إلى الشعب الأمريكي. وهذا ما قاله "توماس جيفرسون في خطابه الرئاسي عام١٧٦٩:"الأمريكيون شعب الله المختار وهو ما يعني بلغة التوراة صفوة العالم، لهم الحكم والهيمنة اختياراً أو قوة وقسراً. وقال الروائي الأمريكي "هيرمان ملفيل" (١٨١٩-١٨٩١):"نحن رواد العالم وطلائعه، اختارنا الرب... والإنسانية تنتظر من جنسنا الكثير. بات لزاماً على أكثر الأمم أن تحتل المؤخرة."وقال الرئيس جورج دبليو بوش في حفل تنصيبه:"إن تحقيق هدف الرب هو واجبنا"(٢)

٩-٢-إسرائيل الصهيونية والديانة اليهودية السماوية.

٩-٢-١- الديانة اليهودية و إسرائيل الصهيونية و القتل :

لماذا يتعامى اليهود (الإسرائيليون) عن آية سفر التثنية التي تقول : "يجب أن لا يسفك الدم في الأرض التي أعطاكم إياها الربّ ميراثاً، لئلا يقع عليكم إثم سفك الدم" (سفر التثنية ١٩ : ١٠) ؟ ولماذا يركزون على ما ورد في سفر صموئيل الأول والذي يقول :
" فالآن اذهب و اضرب عماليق و حرّموا كل ماله و لا تعف عنهم بل اقتل رجلاً و امرأة، طفلاً و رضيعاً، بقراً و غنماً جملاً و حماراً " ؟ (صموئيل

الأول (٢٣:١٥) . ولماذا لا يتبعوا الوصية التي تقول : " لا تقتل " و التي وردت في سفري الخروج (٢٠:١٣)، والتثنية (٥:١٧) و هل تتفق الدعوة لقتل الأطفال و النساء و الحيوانات مع الآية التي تقول : " لا تقتل البريء " ؟ سفر الخروج (٢٣:٦) و ما ذنب النساء و الأطفال و البقر و الغنم والجمال و الحمير أليست هذه مخلوقات بريئة !؟ . لماذا لا يعمل اليهود (الإسرائيليون) بما ورد في سفر ميخا؟ :

"فيقطعون سيوفهم سككاً، ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفاً، و لا يتعلمون الحرب فيما بعد. بل يجلسون كل واحد تحت كرمته و تحت تينه، و لا يكون من يرعب، لأن فم ربّ الجنود تكلم. لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم إلهه، و نحن نسلك باسم الرب إلهنا إلى الدهر و إلى الأبد.(ميخا٤ :٣-٥)

٩-٢-٢- الديانة اليهودية تمنع قطع شجر العدو والصهاينة يدمرونه

تمنع الديانة اليهودية قطع شجر العدو: "إذا حاصرت مدينه أياماً كثيرة محارباً إياها لكي تأخذها، فلا تتلف شجرها بوضع فأس عليه، إنك منه تأكل(سفر التثنية ٢٠ : ١٩). و يمنع القانون الدولي تدمير البنية التحتية و كل ما ليس طرفاً مباشراً في الحرب. و لكن الجيش الإسرائيلي يعمل بموجب وصية تقول : " لا تبقى حياً أي شيء يتنفس" فلماذا يعملون بهذه الوصية، ولا يعملون بما ورد في سفر التثنية المذكور أعلاه ؟ وهل يعقل أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان والحيوان و النبات لكي يقتلها اليهود و يمنعوا أي شيء حي من أن يتنفس ؟ (٣)

٩-٢-٣-الديانة اليهودية تمنع السرقة والنهب والصهاينة يسرقون وينهبون

تقول الديانة اليهودية : " لا تسرق " (الخروج ٢٠ : ١٥ و التثنية ٥ : ١٩). "لا تسلب ولا تُبِتْ أجرة أجير عندك إلى الغد ". (اللاويين ١٩ : ١٣) وتأمر تلك الديانة اليهود بإرجاع ممتلكات العدو المفقودة، " إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شارداً تردّه إليه". (سفر الخروج ٢٣ :١- ٦) وتأمر بالرأفة مع العدو : " إن جاع عدّوك فأطعمه خبزاً، و إن عطش فاسقه ماءً. (الأمثال ٢٥ : ٢١)

و لكن إسرائيل خلافاً لديانتها و لكل الأعراف و القوانين اغتصبت و طن الشعب الفلسطيني، و سلبت أرضه و كرومه و بساتينه، و مصانعه، و أغنامه ومواشيه. و بدلاً من التقيّد بتعاليم الله، تتسبب إسرائيل في تجويع الشعب

الفلسطيني و حرمانه من حقه في ماء وطنه، كما تعمل على تطهيره عرقياً أو تهجيره، و من أجل تركيع من تبقى منه و معاملته معاملة العبيد.

٩-٢-٤-الديانة اليهودية تنهى عن الكذب والصهاينة يكذبون

تقول أسفار العهد القديم: " لا تقل خبراً كاذباً، و لا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهدَ ظُلم. لا تتبع الكثيرين في فعل الشر ... ابتعد عن الكذب". (سفر الخروج ٢٣ : ١ – ٦) وتقول:"يا ربّ نجِّ نفسي من الكذب، من لسان الغش. (المزامير ١٢٠ : ٢) ورغم كل ما تقدم، فقد قامت علاقة اليهود مع فلسطين على الكذب. لقد ظل اليهود الصهاينة يدّعون أنه لا يوجد شعب اسمه شعب فلسطين،ولمّا صمد ذلك الشعب في وجههم، قالوا أن العرب غادروا فلسطين من تلقاء أنفسهم، وبناء على دعوة الدول العربية لهم . وجاء المؤرخون الإسرائيليون الجدد في أعقاب فتح ملفات حرب عام ١٩٤٨وأكدوا أنّ إسرائيل هي التي هجّرت الشعب الفلسطيني. ثم قالوا بأن الفلسطينيين يرفضون السلام. وبعد أن وقع الفلسطينيون اتفاقات السلام، ردوا عليها بجرائم أبشع من جرائمهم في حرب عام ١٩٤٨، ورغم أيدي الفلسطينيين الممدودة للسلام، إلا أن إسرائيل ظلت تدعي بأنه لا يوجد من نتفاوض معه. وهذه مجرد أمثلة على أكاذيب دولة" الشعب المختار" و"واحة الديمقراطية في الشرق الأوسط" حسب وجهة النظر الأمريكية.

٩-٢-٥- إسرائيل تعامل الغريب خلافاً لتعاليم الديانة اليهودية

دولة إسرائيل الحالية غربية في قيمها ومثلها وأهدافها ومراميها، وهي غريبة عن فلسطين. و الإسرائيليون الحاليون أغلبيتهم العظمى، إنْ لم يكونوا جميعهم، غرباء عن فلسطين، و أكثرهم وفد إلينا من الغرب ليعمل و كيلاً لذلك الغريب و قاعدة عسكرية لحراسة مصالحة. و في نظر إسرائيل يُعتبر العربي (المسلم و المسيحي) الذي تمتد جذوره في أعماق أرض فلسطين لآلاف السنين يعتبر هذا غريباً. و لكن الأمر الغريب في إسرائيل أنها تدّعي أن لها حقاً في فلسطين بموجب الديانة اليهودية، في نفس الوقت الذي تخالف فيه تلك الديانة، كما تخالف القانون الدولي الإنساني. ولنلق نظرة على بعض ما ورد في العهد القديم من نصوص بشأن كيفية التعامل مع الغريب – هذا لو افترضنا أن أهل فلسطين غرباء عنها بمفهوم الاستعمار الغربي و مفهوم و كيله و كلب حراسته – إسرائيل . نعم نستعرضها لنرى مدى تنكر إسرائيل للديانة اليهودية، و مدى عصيانها للرب الذي تستند إلى وعده في ادعاءاتها بحقوق لها في فلسطين.

أ- الديانة اليهودية تمنع مضايقة الغريب، و اضطهاده

" و لا تضطهد الغريب و لا تضايقه " (سفر الخروج ٢٢ : ٢١)." فأحبوا الغريب لأنكم كنتم غرباء في مصر " (التثنية ١٠ : ١٩،الخروج ٢٢:٢٠) " وإذا نزل غريب في أرضكم فلا تظلموه. كالوطنيين منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم، و تحبه كنفسك ... أنا الرب إلهك (اللاويين ٣٣: ١٩)

ب- الديانة اليهودية تمنع التمييز بين اليهود و غير اليهود

" تكون شريعة واحدة لمولود الأرض و للنزيل النازل بينكم." (الخروج ١٢: ٤٩). "أيتها الجماعة، لكم و للغريب النازل عندكم فريضة واحدة دهريه في أجيالكم. مثلكم يكون مثل الغريب أمام الرب. شريعة واحدة و حُكمُ واحد يكون لكم و للغريب النازل عندكم". (سفر العدد ١٥:١٦).

ج - الديانة اليهودية تعطي الغريب المقيم حصة في الأرض

" هكذا قال السيد الرب... فتقتسمون هذه الأرض لكم لأسباط إسرائيل. و يكون أنكم تقسمونها بالقرعة لكم و للغرباء المغتربين في وسطكم الذين يلدون بنين في وسطكم، فيكونون لكم كالوطنيين من بني إسرائيل. يقاسموكم الميراث في وسط أسباط إسرائيل. و يكون أنه في السبط الذي فيه يغترب غريب هناك تعطونه ميراثه، يقول السيد الرب. (حزقيال ٤٧:١٣ ، ٢١-٢٣)

٩-٢-٦ ـ خلافاً لتعاليم الديانة اليهودية : إسرائيل تكره الخير و الحق و العدل و تهوى الشر و الضرر و الظلم

تقول أسفار العهد القديم : " لا تحرف القضاء ... العدل العدل ..." (سفر التثنية ١٦ : ١٩ ــ ٢٠). " اطلبوا الخير لا الشر لكي تحيوا ... ابغضوا الشر، و أحبوا الخير، و ثبتوا الحق ... " (عاموس ٥ : ١٤ ــ ١٥) " وقد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح و ما يطلبه منك الرب إلا أن تضع الحق وتحب الرحمة" (ميخا ٦ : ٨) و لكن إسرائيل خلافاً لكل ما تقدم تحرف القضاء، و تحارب العدل، و تكره الخير، و تحب الشر.

٩-٣- الغرب والديانتان اليهودية والمسيحية

٩-٣-١- أمريكا والغرب والقتل باسم الديانات السماوية

ومن المعروف أن إحدى الوصايا العشر التي نزلت على سيدنا موسى عليه السلام، والتي تكرر ذكرها في أسفار العهد القديم تقول بصراحة ووضوح:"لا تقتل". كما أن الإنجيل يقول: "لا تقتل، ومن قتل يكونُ مستوجبَ الحكم".(انجيل متى٥: ٢١) ويقول أيضا:"طوبى للرحماء. لأنهم يرحمون". "طوبى لصانعي السلام. لأنهم أبناء الله يدعون". انجيل متى(٥: ٧-٩) وورد في سفر آخر:"وأما القاتلون ... فنصيبهم البحيرة المتقدة بنار وكبريت، الذي هو الموت النهائي. رؤيا يوحنا اللاهوتي(٢١: ٨)

ورغم كل هذه الأسفار التي تحذر من القتل، إلا أن مسئولين أمريكيين وبريطانيين وغربيين يفضلون تجاهل هذه الأسفار، والتركيز على تلك التي تدعو إلى القتل ، والتي تتناقض مع نصوص أسفار أخرى، كما تتناقض مع طبيعة الله التي أساسها الرحمة. نعم أولئك المسئولون يفضلون الاستشهاد بأسفار حثت على القتل: "اقتل رجلاً وامرأة.طفلاً ورضيعاً بقراً وغنماً. جملا وحماراً(صموئيل الأول(٣:١٥) فهل يعقل أن يكون الله الرحمن الرحيم قد خلق هذه المخلوقات، وأمر بقتلها عبثاً إرضاءً لغريزة سفك الدماء لدى عديمي الرحمة!؟

نعم أولئك السياسيون وجدوا في مطاردة يوشع للكنعانيين وقتلهم ذريعة لمطاردة أهالي أمريكا الوطنيين وقتلهم واستئصالهم من بلادهم. وكلما رغبوا في ارتكاب جرائم قتل وتطهير عرقي ضد شعب من الشعوب راحوا يشبهون مهمتهم بإحدى المهام التي وردت في قصص ورؤى وأساطير كتبت في الكتب المقدسة على أيدي كتابٍ عديدين من البشر، بعد وفاة الرسل بمئات السنين، وقد سبق أن ناقشنا هذه الفكرة في الفصل الثاني.

٩-٣-٢- الرئيس الأمريكي بوش ضرب رقماً قياسياً في الكذب ومسئولون غربيون يكذبون خلافاً لتعاليم الدين المسيحي

أكدت الديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام على فضيلة الصدق، وحذرت من الكذب وشهادة الزور.وقد أوردنا أمثلة على ذلك من كتاب العهد القديم، وسنورد نصوصاً من كتاب العهد الجديد.

وقد دأب المسئولون الأمريكيون والبريطانيون والفرنسيون على الكذب من أجل تبرير احتلالهم لبلاد العرب والمسلمين. فقد نادى الرئيس الأمريكي "ويلسون" بحق تقرير المصير، ولكنه كذب وتآمر على حق الفلسطينين في تقرير مصيرهم عندما دعم هو وبلاده اليهود لإقامة وطن لهم على أنقاض شعب فلسطين، وكذب المسئولون البريطانيون والفرنسيون عندما ادعوا أن هدفهم "تحرير" البلاد العربية من "الاحتلال!" العثماني، فجزأوا بلاد العرب والمسلمين واستعمروها ولا زالت تعاني حتى اليوم.

وسبق وأن استشهدنا بأسفار من العهد القديم نهت عن الكذب، كما أن المسيحية نهت عن الكذب. وعلى سبيل المثال، جاء في رؤيا يوحنا اللاهوتي:"أما جميع الكذبة، فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت، الذي هو الموت الثاني".(رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢١: ٨)

وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الإدارة الأمريكية الحالية بشكل عام، والرئيس بوش بشكل خاص، قد سجل رقماً قياسياً في الكذب. فقد ادعى الرئيس بوش أنه شنّ الحرب على العراق بسبب امتلاكه أسلحة دمار شامل. ولما اتضح عدم وجود تلك الأسلحة، ادعى الرئيس بوش أنه هاجم العراق بسبب اتخاذه مسرحا لعمليات تنظيم القاعدة، ثم تراجع وقال أن سبب الحرب على العراق هو تخليصه من نظام صدام حسين. وبعد الإطاحة بنظام صدام ادعى الرئيس بوش أن سبب الحرب على العراق هو فرض الديمقراطية على العراق بالقوة.

وبشأن أكاذيب المسئولين الأمريكيين وفي مقدمتهم الرئيس بوش ذكر الكاتب المصري فهمي هويدي في صحيفة الحياة الجديدة بتاريخ ٢٠٠٦/١/٤، نقلاً عن صحف أمريكية:

> "وكتب الينور كليفت في موقع مجلة نيوزويك(في ٢٠٠٥/١٢/٢٢) أن أكبر أكاذيب العام خرجت من البيت الأبيض. وفي منتصف شهر أيلول/ من العام الماضي قال بول كروجمان أحد الكتاب البارزين في صحيفة نيويورك تايمز في مقابلة على شاشة التلفزيون أن بوش هو اكذب رئيس في تاريخ أمريكا... بل إن كاتباً آخر من كتاب نيويورك تايمز(بوب هربرت) نشر مقالة عنوانها: إدارة أمريكية أخطر من أي عصابة مراهقين!... وفي مقالة أخرى نشرت للكاتب في ٢٠٠٥/٤/٦ قال: مع جورج بوش تمر الأمة بفترة مأساوية... حافلة بفقدان الكفاءة والخداع المتعمد، وعدم النزاهة والكذب الصريح. ومن عجب أن ذلك يأتيك من أعلى الرموز في الحكومة..."

ومن المعروف أن سياسيين غربيين كثيرين لا يخجلون من الكذب ، بل يعتبرونـه فضـيلة سياسـية ، حسـب رأي الكاتـب الإيطـالي ميكـافيلي فـي كتابـه "الأمير"، الذي ينصـح السياسـيين بممارسـة الفضـائل السياسـية الثلاث:"الغش والكذب والخداع" من أجل الحفاظ على الحكم والمصالح المادية.

وقال الرئيس الأمريكـي "كـارتر" فـي كتابـه الأخير، تحت عنوان قيمنـا المهددة بالخطر:"أن إدارة بوش وراء انحطـاط المعـايير الأخلاقيـة التـي تميزت بها السياسة الخارجية الأمريكية... إن إدارة بوش تشوه الدين والسياسـة فـي آن معاً حين تسيء تفسير مبادئ الدين وحين تسيء إدارة السياسة" (٤)

٩-٣-٣- رؤساء أمريكيون يدعون أن الله أمرهم بالترشّح للرئاسة وباحتلال بلدان أخرى

يتخذ كثير من الرؤساء الأمريكيين من الله عز وجل "أداة" وعذراً للقيام بأعمال دنيويـة- لصـالحهم ولصـالح أمريكـا -قد تنطوي علـى مخالفة أوامر الله ودياناته السماوية. ومن أمثلة ذلك: " في عام ١٨٩٨م أخبر الرئيس الأمريكـي "وليم ماكنللي" وفداً من القساوسة أن وحيـاً سماوياً أعطـاه الأمر باحتلال جزر الفلبين من أجل تمدين وتنصير مواطنيها. وعندما دبر القنصل الأمريكـي انقلاباً في جزر"هاواي" أرسل تلغرافاً إلى الحكومـة الأمريكيـة قال فيـه:"إن واجبات الشرف تحتم علينا أن نحتل هذه الجزر ملكاً خاصـاً للولايات المتحدة وإذا لم نفعل ذلك فـان الحكومـة البريطانيـة سوف تحتلهـا. وبعد قرن ونصف يؤكد الرئيس بوش الابـن أن "الله يقـف إلـى جانبـه فـي غـزوه العـراق. وأعلـن الرئيس"هـاري ترومـان عـام ١٩٥٢م، إن الولايـات المتحدة استجابت لإلحـاح العناية الإلهية فقبلت أن تأخذ على عاتقها عبء زعامة العالم".(٥)

لقد خلق الله – سبحانه وتعالى- الانسان في أحسن تقويم، ومنحـه العقل وحرية التفكير.(**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**) (سورة البلد، آية رقم ١٠) .

أما بعض الرؤساء الأمريكيين فيدعون أن الله أمرهم بترشيح أنفسهم للانتخابات الرئاسية، كما أمرهم باحتلال بلدان أخرى، وهذا أمر منـاف للواقع والمنطق. فـالله أعطـى الانسـان حريـة اختيـار طريقـه فـي الحيـاة، بمـا فـي ذلك ممارسـة الانتخابـات إن رغـب لكنـه، لـم يجبـره علـى ذلـك. كمـا أن الله لا يـأمر بالحرب من أجل الكسب المادي وفرض الجبروت والهيمنة.

٩-٤- أمريكا والغرب وقيم المغناكارتا والثورتين الفرنسية والأمريكية

لا ينكر أحد أنّ الغرب- بعد ظلم العصور الوسطى- كان سباقا في إرساء مبادئ العدل والتحرر والمساواة عن طريق الماغناكارتا أو الميثاق الأعظم البريطاني عام ١٢١٥، والثورتين الفرنسية والأمريكية وما نتج عنهما من مبادئ. ولكن السؤال هو هل يطبق الغرب هذه المبادئ في تعامله مع الآخرين؟

ففي عام ١٢١٥م وقع ملك بريطانيا، الماغنا كارتا (الميثاق الأعظم) التي ورد فيها أنّ العدالة يجب أن لا تباع، وأن لا تؤجّل، أو ترفض، لأي إنسان من أيّ طبقة، وأن لا يسجن أي إنسان أو يحرم من وسائل عيشه... (٦)

وفي فرنسا، نص إعلان حقوق الإنسان والمواطن لعام ١٧٨٩م، على أن الممتلكات الخاصة مقدّسة ولا يمكن الاعتداء عليها، ويجب أن لا يحرم أيّ إنسان منها إلا في حالات خاصّة يقرّرها القانون، وبعد دفع تعويض عادل. (٧)

وفي عام ١٧٧٤ نص أول إعلان أمريكي لحقوق الإنسان أن الحق في الحياة والحرية، والملكية(التملك) هي حقوق مشروعة لكل إنسان، ولم يحدث أن تنازل الناس لأية سلطة أجنبية عن الحق في التصرف بها دون موافقتهم.(٨)

وفي عام ١٧٧٦ورد في إعلان الاستقلال الأمريكي الذي يعتبر واحداً من أهمّ الوثائق في تاريخ نضال الإنسان من أجل الحرية: "نحن نؤمن بهذه الحقائق الواضحة .... أنّ الله خلق جميع الناس متساوين، ووهبهم حقوقاً ثابتة غير قابلة للتصرف...(منها) الحق في الحياة، الحرية.... وأنّ الحكومات أقيمت من أجل هذه الحقوق، وأنها تستمد سلطاتها العادلة من موافقة المحكومين.... وإننا نعلن تأييدنا لهذا الإعلان، معتمدين بشكل جازم على عناية الله وتوفيقه(٩)

وفي خطابه الوداعي بتاريخ ١٧٩٦/٩/١٩، أبدى الرئيس الأمريكي (جورج واشنطن) مخاوفه وقلقه من أن تصبح أمريكا، في يوم من الأيام ضحية لما أسماه الارتباط الحميم بصداقة أمة أخرى (إسرائيل) وأوضح المضار التي يمكن أن تنتج عن مثل هذه العلاقة غير المنطقية، وقال: (١٠)

"أنّ الكراهية الفطرية، المتأصلة والراسخة الجذور، والدائمة ضدّ شعب معين، والصداقة الحميمة للآخرين يجب تجنبها، وأن تستبدل بشعور الودّ والمصالحة تجاه الجميع. فالأمة التي تنغمس في كره فطري، أو حبٍّ فطري تجاه أمةٍ أخرى، هي بدرجة أو أخرى

مستعبدة لعدائها أو حبّها، وأي من هذين الأمرين يكفي لأن يقودها بعيداً لتضل عن واجبها ومصالحها. إنّ كراهية أي أمّة ضدّ أخرى، يجعل كلّ أمّة منهما أكثر استعداداً للقيام بالإهانة وإيقاع الضرر، وأن تتمسك بأتفه أسباب الريبة أو الاستياء، وأن تصبح متعجرفة، وشموسة، وعنيدة، عندما تحدث منازعات تافهة. (١١)

فلماذا خالفت أمريكا وبريطانيا وفرنسا هذه المبادئ والقيم السامية وتآمرت على شعب فلسطين وتسببت في حرمانه من حقه في الحياة والحرية وفي ممتلكاته الخاصة – هذه الحقوق التي لم يتنازل عنها الشعب الفلسطيني لأي جهة أجنبية، بل لا يزال يقاوم ويبذل حياته رخيصة من أجلها.

هذه هي القيم والمثل التي كان للدول الغربية العظمى الثلاث اليد الطولى في تطويرها، وساعدها في ذلك العالم المتحضر. ولكن تجربة القرن الماضي بشكل عام ، والظلم الذي أوقعه الغرب بشعب فلسطين بشكل خاص، أثبتا بشكل لا يشوبه الشك، أن تلك القوى الغربية العظمى، عند التطبيق العملي تضع هذه القيم والمثل والمبادئ جانبا ، وتتصرف حسب مصالحها الخاصة، وهذه المصالح، في النظام الرأسمالي ، لا تعترف بقيم أو أخلاق أو فضيلة، سوى المنفعة ، وهي لا تتورع ، بل تتعمد أن تمارس "الفضائل السياسية " التي أوصى بها ميكيافيلي، وهي" الغش والكذب والخداع" ، من أجل تحقيق مصالحها المادية والسياسية والاستراتيجية. وقد أوردنا في الفصل السابع مثالا لذلك، حيث اعترف اللورد بلفور أنّ القوى العظمى ملتزمة بالصهيونية ،سواء كانت جيدة أم سيئة ، على حق أم على باطل ، لأنّ مصالحها مع الصهيونية أهم بكثير من الالتزامات التي التزمنا بها للعرب ومن مبادئ الحق والعدالة وحق الشعوب في تقرير مصيرها.

٩-٥-أمريكا والغرب وميثاق الأمم المتحدة ومنع انتشار الأسلحة النووية

جاء في ديباجة ميثاق الأمم المتحدة: "نحن شعوب الأمم المتحدة... آلينا على أنفسنا ...أن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان، وبكرامة الفرد، ....وبما ....للأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية.

ونظراً للأهمية التي توليها الأمم المتحدة لمنع انتشار الأسلحة النووية فقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة عشرات القرارات التي تدعو فيها الدول إلى وضع أسلحتها الذرية تحت إشراف اللجنة الدولية للطاقة النووية.والجدول المبين أدناه يذكر بعض تلك القرارات خلال المدة الواقعة بين عامي ١٩٧٤م و٢٠٠٦م.

٩-٥-١- قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن الأسلحة النووية

جدول رقم (١)

بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي دعت الدول لوضع أسلحتها النووية تحت إشراف الوكالة الدولية **للطاقة والتي رفضتها إسرائيل**

رقم القرار	تاريخ القرار	رقم القرار	تاريخ القرار	رقم القرار	تاريخ القرار	رقم القرار	تاريخ القرار
3263	1974/12/9	3774	1975/12/11	71/31	1976/12/10	53/74	4/12/1998
82/32	1977/12/12	64/33	1978/12/14	77/34	1979/12/11	54/51	1/12/1999
147/35	1980/12/12	87/36	1981/12/9	75/37	1982/12/9	55/30	20/11/2000
964/38	1973/12/15	54/39	1984/12/12	42/40	1985/12/12	56/21	29/11/2001
48/41	1986/12/3	28/42	1987/11/30	65/43	1988/12/7	57/55	22/11/2002
108/44	1989/12/15	52/45	1990/12/4	30/46	1991/12/6	58/34	8/12/2003
48/47	1992/12/9	71/48	1993/12/16	78/49	1994\12/ 1	59/63	3/12/2004
66/50	1995/12/2	41/51	1996/12/10	34/52	1997/12/9	60/52	6/1/2006

ولكن الدول الديمقراطية العظمى الثلاث التي من المفروض أن تكون القدوة لاحترام قرارات الأمم المتحدة امتنعت على التصويت على قرارات الجمعية العامة المذكورة حماية ودعماً منها لإسرائيل. ولا غرابة في ذلك ما دامت المنفعة والمصلحة هي التي تتحكم في قرارات تلك الدول التي صنعت إسرائيل لخدمة مصالحها في المشرق، بعيدا عن العدل والحق والشرعية الدولية، والديمقراطية التي تنادي بها ، وتشن الحروب باسمها!.

وفي عام ١٩٨١ طلب مجلس الأمن الدولي في قراره رقم ٤٨٧(١٩٨١) من إسرائيل بوضع منشآتها الذرية تحت إشراف اللجنة الدولية للطاقة النووية، إلا أنّ إسرائيل كعادتها لم تمتثل لقرار المجلس.ولم يكن باستطاعة إسرائيل رفض قرارات الأمم المتحدة لولا أمريكا التي كانت تعطيها ضوءاً أخضر لذلك الرفض، بدليل امتناعها عن التصويت على القرارت التي تدين أو تنتقد إسرائيل ، أو إجهاض تلك القرارات عن طريق الفيتو.

وعلى سبيل المثال، ففي قرارها رقم ١٠٨/٤٤ بتاريخ ١٩٨٩/١٢/١٥عبرت الجمعية العامة عن "شديد قلقها لرفض إسرائيل نبذ ماكيتها للأسلحة النووية، ولتعاونها مع جنوب إفريقيا، وأعادت التأكيد على أنه يجب على إسرائيل أن تمتثل فوراً لقرار مجلس الأمن رقم٤٨٧ (١٩٨١)." ورغم أنف الأمم المتحدة والشرعية الدولية لعبت الولايات المتحدة دوراً مركزياً في إنجاح البرنامج النووي الإسرائيلي من خلال توفير الغطاء الدبلوماسي له وتحويل الأنظار عنه في المحافل الدولية، هذا فضلاً عن الدعم التقني في مجال التكنولوجيا النووية. و هنا يظهر نفاق أمريكا في أجلى صوره،

فهي جندت العالم خلفها وحطمت العراق :حكومة ،وجيشاً، وبنية تحتية، وحضارة، ومتاحف و... بحجة وجود أسلحة دمار فيه. ورغم أنّ أمريكا نفسها اعترفت أنّ تلك الأسلحة لم تكن موجودة ، إلا أنها لا زالت تشن حرب إبادة وتطهير عرقي ضد الشعب العراقي، كما أنها لا زالت تسعى لشن حرب أخرى ضد إيران التي تقوم فعلاً بتطوير سلاح نووي لأغراض سلمية. هل هذه ديمقراطية ، أم عهر!؟

لقد انتقد عضو الكونغرس الأمريكي "بول فندلي"(Paul Findley) تناقض أمريكا بشأن السلاح النووي لأنها تطلب من الدول التوقيع على اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية، وتقاطع، بل تشن الحرب على الدول التي ترفض ذلك، ولكنها تدعم وتمول السلاح النووي الإسرائيلي، وترفض مساءلة إسرائيل بهذا الخصوص.(١٢)

وفي عشرات القرارات، أدانت الجمعية العامة للأمم المتحدة التعاون المستمر والمتزايد بين إسرائيل وجنوب إفريقيا، والتعاون بين بعض الدول الغربية(وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية) وجنوب إفريقيا. ودعتها إلى التوقف عن ذلك التعاون، إلا أن إسرائيل رفضت ذلك رغم تكرار طلب الجمعية العامة.

وأعربت الجمعية العامة للأمم المتحدة عن أسفها لرفض إسرائيل نبذ امتلاكها لأسلحة نووية، أو وضع تلك الأسلحة تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية. ورغم أنّ الأمم المتحدة كررت طلبها في القرارات التالية إلا أن إسرائيل لم تستجب لتلك الطلبات.

٩-٥-٢- الأمم المتحدة أعربت عن أسفها لرفض إسرائيل وضع أسلحتها النووية تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية

جدول رقم (٢)

بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أعربت فيها عن أسفها لرفض إسرائيل وضع أسلحتها النووية تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية

رقم القرار	تاريخ القرار	رقم القرار	تاريخ القرار	رقم القرار	تاريخ القرار
82/37	1982/12/9	69/38	1983/12/15	147/39	1984/12/17
93/40	1985/12/12	93/41	1986/12/4	44/42	1987/11/30
80/43	1988/12/7	121/44	1989/12/15	63/45	1990/12/4
39/46	1991/12/6	78/48	1993/12/16	78/49	1994/12/15

٩-٥-٣- إسرائيل تحدّت ولا تزال تتحدّى الشرعية الدولية والأمم المتحدة

اتضح من العرض الموثق السابق أنّ إسرائيل تحدّت الرأي العام العالمي ، والشرعية الدولية، والأمم المتحدة وقراراتها، ورفضت تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي والجمعية العامة للأمم المتحدة . ولم يكن باستطاعة إسرائيل أن تفعل شيئا من ذلك لولا الدعم الهائل الذي قدمته لها الدول الإمبريالية الغربية العظمى ، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

٩-٦- أمريكا والغرب والقانون الدولي

ساهمت الدول الغربية العظمى في إرساء قواعد القانون الدولي، والذي كان من أبرز مبادئه مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأرض عن طريق القوة، وأنّ الاحتلال مؤقت بطبيعته ولا يعطي حقاً في السيادة على الأرض المحتلة، وبالتالي يحرّم على المحتل أن يصادر الأرض والممتلكات الخاصة، أو أن يطرد السكان الأصليين، ويقيم مستوطنات له بدلاً منهم.

٩-٦-١- مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأرض بالقوة

بموجب الشرعية الدولية تخضع الأراضي الفلسطينية والعربية السورية واللبنانية المحتلة للمبدأين التاليين:أولا: مبدأ عدم جواز احتلال الأرض بالقوة. ثانياً: تخضع السلطات المحتلة في إدارتها للأقاليم المحتلة لاتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩م.ومن المعروف أن المجتمع المتحضر يجمع على "أن الفتح العسكري لا يشكل أساسا لامتلاك الأرض، وان احتلال الأرض لا يعطي حقاً في ملكيتها ... لقد أقرت هذا المبدأ المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم ، كما أكدته الأمم المتحدة في جلستها ... وتم التأكيد عليه في قرارات مجلس الأمن"(١٣) وهكذا استقرت في القانون الدولي قاعدة هامة وهي: "عدم جواز الاستيلاء على الأرض عن طريق القوة، أي لا يجوز ضم الأرض بالقوة".(١٤) ويجمع المختصون بالقانون الدولي، ومنهم فون جلهن **Von Glahn** على أن احتلال الأرض بالقوة لا يعطي المحتل سيادة عليها ولا يجب "النظر إلى القوة المحتلة إلا كأمين تقع عليه مسؤولية إدارة المنطقة بشكل مؤقت، طالما لم يتم حسم مستقبل المنطقة(١٥) ويوضح مؤلف صادر عن الأمم المتحدة موقف القانون الدولي من عدم جواز احتلال الأرض عن طريق القوة فيقول:-

وفقاً لقواعد القانون الدولي، فان مبدأ عدم جواز اكتساب الأراضي عن طريق الحرب" يتعدى قاعدة عدم جني ثمار العدوان . ولا يعتمد تطبيق هذا المبدأ على تحديد من كان المعتدي في عام ١٩٦٧، فهذا

سؤال تصعب الإجابة عليه. فمما لا شك فيه انه سواء كانت إسرائيل هي المعتدى أو لم تكن فان احتلالها للأراضي قد تحقق باستخدام القوة المسلحة.

ومبدأ عدم جواز اكتساب الأراضي عن طريق الحرب" يعتبر نتيجة مترتبة على الالتزام الوارد في الفقرة ٤ من المادة ٢ من ميثاق الأمم المتحدة، التي تنص على أن يمتنع أعضاء الهيئة جميعاً في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة".(١٦) وأكدت الأمم المتحدة على مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأرض بالقوة، وذلك في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وفي مجلس الأمن الدولي، كما هو مبين أدناه:

أ- قرارات مجلس الأمن التي أكّدت مبدأ

عدم جواز اكتساب الأرض عن طريق القوة

جدول رقم(٣)

بعض قرارات مجلس الأمن الدولي التي أكدت في على مبدأ عدم

جواز اكتساب الأرض عن طريق القوة على الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧

رقم القرار والسنة	رقم القرار والسنة	رقم القرار والسنة	رقم القرار والسنة
٢٤٢(١٩٦٧)	٢٥٢(١٩٦٩)	٢٦٧(١٩٦٩)	٢٩٨(١٩٧١)
٤٧٦(١٩٨٠)	٤٨٠ (١٩٨٠)	٤٩٧(١٩٨١)	٦٨١(١٩٩٠)
١٣١٢ (٢٠٠٠)			

ب- قرارات الجمعية العامة التي أكّدت مبدأ

عدم جواز اكتساب الأرض عن طريق القوة

جدول رقم (٤)بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة

التي أكدت على مبدأ عدم جواز احتلال الأرض بالقوة:

رقم قرار	السنة	رقم القرار	السنة	رقم القرار	السنة	رقم القرار	السنة
٢٦٢٨	١٩٧٠	٢٧٩٧	١٩٧١	٢٩٤٩	١٩٧٢	٣٠٩٢	١٩٧٣
٣٤١٤	١٩٧٥	٧٠/٣٤	١٩٧٩	٢٢/٣٥	١٩٨٠	١٤٧/٣٦	١٩٨١
٨٦/٣٧	١٩٨٢	١٨٠/٣٨	١٩٨٣	٢٠٩/٤٢	١٠٨٩	٥٢/٤٣	١٩٨٨
٤١/٤٨	١٩٩٤	٩٧/٥٨	٢٠٠٤				

٩-٦-٢- حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وموقف أمريكا والغرب من ذلك الحق.

أ- حق تقرير المصير كحق قانوني وإنساني.

حق الشعوب في تقرير مصيرها حق اعترف به القانون الدولي والعالم المتحضر منذ الحرب العالمية الأولى. وفي عام ١٩١٧م عبّر الرئيس الأمريكي "ويلسون" بوضوح عن المبادئ والأسس المنطقية لحق تقرير المصير بهذه الكلمات:

"لا يستطيع أي سلام أن يدوم، إذا كان لا يعترف بالمبدأ القائل بأن الحكومات تنال سلطاتها العادلة من موافقة المحكومين، وأنه لا يوجد أي حق في العالم بأن تمرر الشعوب (تنقل) من سيادة إلى أخرى، كما لو كانت متاعاً"... "يجب أن لا تسلم الشعوب من سيادة إلى أخرى عن طريق مؤتمر دولي، أو عن طريق تفاهم بين متنافسين أو متعاونين... يمكن أن تُحكم الشعوب فقط عن طريق موافقتها، فحق تقرير المصير ليس مجرد عبارة. إنه قاعدة آمرة بالعمل، ومن هنا فإنّ تجاهله من قبل السياسيين يعرضهم للخطر".(١٧)

ب- قرارات الأمم المتحدة التي أكدت حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره

وقد أكد ميثاق الأمم المتحدة الصادر عام ١٩٤٥ في المادة (٥٥) على حق جميع الشعوب في تقرير المصير. وأعادت الأمم المتحدة التأكيد على ذلك الحق في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (١٥١٤) بتاريخ ١٩٦٠/١٢/١٤م، وذلك في الإعلان الخاص بمنح الاستقلال للشعوب المستعمرة. كما أكد على ذلك الحق العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦م في مادته الأولى ، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعام ١٩٦٦م في مادته الأولى أيضاً.

وكان قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (١٨١) لعام ١٩٤٧م هو أول اعتراف مباشر بحق الفلسطينيين في تقرير المصير. وجاء الاعتراف الثاني في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٢٦٤٩) بتاريخ ١٩٧٣/١١/٣٠م، ورقم (٣٢٣٦) بتاريخ ١٩٧٤/١١/١٢م.

وقد نالت جميع شعوب العالم التي وُضعت تحت الانتداب حقها في تقرير مصيرها، باستثناء الشعب الفلسطيني.(١٨)

وقد أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره في قرارات عديدة نذكر منها ما يلي:

جدول رقم (٥)

بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أكدت حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وطالبت إسرائيل بالتوقف عن انتهاك هذا الحق والاعتراف به.

رقم	تاريخ	رقم	تاريخ	رقم	تاريخ
2672	1970/12/8	2792	1971/12/6	2963	1972/12/13
3089	1973/12/7	3236	1974/11/22	3375	1975/11/10
20/31	1976/11/24	40/32	1977/12/2	20/33	1978/12/7
65/34	1979/11/29	169/35	1980/12/15	120/36	1981/12/10
43/37	1982/12/3	58/38	1983/12/13	49/39	1984/12/11
46/40	1985/12/12	43/41	1986/12/2	66/42	1987/12/2
75/43	1988/12/15	41/44	1989/12/6	43/45	1990/12/13
82/46	1991/12/16	82/47	1992/12/16	94/48	1993/12/20
62/49	1994/12/14	141/50	1995/12/21	82/51	1996/12/12
114/52	1997/12/20				

ج- موقف أمريكا من حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

رغم أنّ أمريكا كانت أول دولة تدعو إلى حق تقرير المصير منذ عام ١٩١٧م، إلا أنها – هي وبريطانيا وفرنسا – وقفت موقفاً عدائياً من حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره. وعلى سبيل المثال، صرّح وزير الخارجية الأمريكي "شولتز" أمام الكونغرس في خريف عام ١٩٨٢م أنّ "حق تقرير المصير عُرّف بأنّه يعني إقامة دولة فلسطينية. إننا لا ندعم هذا التعريف لحق تقرير المصير". وقد دعمت بريطانيا وأمريكا وفرنسا الحق التاريخي المزعوم لليهود في فلسطين، رغم أنّ مفكرين غربيين وإسرائيليين يؤكدون أنّ "حق الشعوب في تقرير مصيرها يأتي بدلاً من الحقوق التاريخية ويبطلها".(١٩)

لقد انتهكت أمريكا وبريطانيا وفرنسا منذ مؤامرة "سايكس بيكو" عام ١٩١٦م القانون الدولي، وميثاق الأمم المتحدة ومبدأ عدم جواز اكتساب الأرض بالقوة، ومبدأ عدم السماح بمكافأة المحتل، وضربت عرض الحائط بقرارات الأمم المتحدة التي قررت حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني أسوة بشعوب العالم. والأمر الغريب هو أنه بينما وقفت الحكومات الأمريكية منذ حكومة الرئيس "ويلسون" وحتى اليوم ضد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، فإنّ أشد النقد لسياسة أمريكا في هذا المجال، جاء من مختصين ومسئولين أمريكيين. وسنقدم فيما يلي بعض تلك الانتقادات:

انتقد (جورج بول) (George Ball) مساعد وزير الخارجية الأمريكي وسفير أمريكا للأمم المتحدة سياسة أمريكا بشأن الفلسطينيين، وقال:

"إن رفض حق تقرير المصير للفلسطينيين هو موقف أمريكي صرف. فالحلفاء الغربيون أيدوا هذه الفكرة في بيان مدينة البندقية عام ١٩٨٠م ... إنّ هذا الوضع يشكل سخرية عظيمة، ليس لأن الولايات المتحدة تقف في هذا الموضوع وحيدة، ولكن لأنها وحدها تعارض مبدأ قد تم دعمه ومناصرته في الأيام التالية للحرب في الحرب العالمية الأولى من قبل الرئيس الأمريكي (ويلسون). وقد رفضنا حق تقرير المصير للفلسطينيين بالرغم من إصرارنا على كتابة ذلك الحق في ميثاق الأمم المتحدة".(٢٠)

وقال عضو الكونغرس الأمريكي الذي فقد مركزه بسبب معارضته لانحياز أمريكا لإسرائيل "بول فندلي" (Paul Findley) "إنه أمر متضارب ومتناقض عندما تدعو أمريكا إلى منح حق المصير للجميع باستثناء الشعب الفلسطيني.(٢١)

وفي كتابه "الولايات المتحدة في الشرق الأوسط: مصالح وعوائق" قال "تلمان" Tillman "المتخصص في شئون الشرق الأوسط والعضو البارز في لجنة العلاقات الخارجية التابعة للكونغرس: "لقد التزمت الولايات المتحدة تاريخيا بحق تقرير المصير، ولكن بسبب التزامها إلى الصهيونية الذي لا يمكن الجمع بينه وبين الالتزام بحق تقرير المصير للفلسطينيين، ظلت طوال سنين عديدة متناقضة، ومواقفها متعارضة، وغير ثابتة في تطبيق تقرير المصير".(٢٢)

وانتقد "جورج بول" (George Ball) مساعد وزير الخارجية الأمريكية الأسبق وسفير أمريكا للأمم المتحدة موقف أمريكا من حق تقرير المصير للفلسطينيين وقال:"إننا نعلن بوقار عن حق تطبيق حق تقرير المصير في العالم ونوبّخ بعنف وقسوة الدول التي تنكره، فهل هذا يعني أنّ ذلك الحق لا ينطبق على الفلسطينيين؟"(٢٣)

وقال الأمريكي "ستيفن رونز" أستاذ القانون الدولي ورئيس قسم دراسات السلام والعدل في جامعة سان فرنسسكو:"بعد ٨٣ عاماً على إقرار الرئيس الأمريكي الأسبق "ويلسون" مبدأ حق تقرير المصير كحجر أساسي للقانون الدولي، والسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية ... يظهر بأنّ الحزبين الديمقراطي والجمهوري قد تخليا عن هذه المثل لصالح حق الغزو (الاحتلال) . (٢٤)

٩-٦-٣- حق العودة وموقف الغرب الإجرامي من حق الفلسطينيين في العودة إلى بيوتهم

أ- تمهيد

ارتكبت إسرائيل بتواطؤ ودعم كامل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا جريمتين بحق الشعب الفلسطيني لم ترتكب ألمانيا النازية مثليهما بحق

الشعب الفرنسي عندما احتلت ألمانيا باريس في الحرب العالمية الثانية. ومن الثابت تاريخياً أن النازيين لم يطردوا أهالي باريس منها كما أنهم لم يصادروا ممتلكاتهم الخاصة. أما إسرائيل فعلاوة على المجازر التي ارتكبتها فقد طردت السكان المدنيين من مدنهم وقراهم، وهدمت غالبية بيوتهم وصادرت غالبية أراضيهم. (انظر الفصل الرابع)

أما الفلسطينيون الذين استطاعوا البقاء في بيوتهم وأراضيهم فقد هجّرت قسماً منهم بأن نقلتهم من أماكن سكناهم وصادرت أراضيهم. ولذلك يجدر التنويه بأن هناك ثلاثة أنواع من اللاجئين الفلسطينيين : (١) الذين هُجِّروا خارج فلسطين عام ١٩٤٨م. (٢) الذين هُجِّروا داخل فلسطين عام ١٩٤٨م، وبعد ذلك العام. (٣) الذين نزحوا عام ١٩٦٧م.

ويقدِّر الباحث محمود السهلي في دراسة له بمناسبة الذكرى السابعة والخمسين لنكبة اللاجئين الفلسطينيين عدد أصحاب حق العودة الذين هُجِّروا عام ١٩٤٨م وذريتهم حتى عام ٢٠٠٥م بخمسة ملايين لاجئ فلسطيني.(٢٥)

وسوف نستعرض بإيجاز شديد حقّ العودة كحق قانوني وإنساني، أقره القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة، وموقف إسرائيل من هذا الحق، ونفاق الولايات المتحدة التي تدّعي احترامها للقانون الدولي الإنساني والتي هي الجهة القادرة على إجبار صنيعتها ووكيلها وقاعدتها في الشرق الأوسط،-إسرائيل- ولكنها أصرّت على حرمان الشعب الفلسطيني من حقه في العودة، ومن حقوقه الأخرى.

ب- حق العودة من الفيلسوف سقراط إلى الظالم جورج بوش

منذ عهد سقراط وأفلاطون أعطت أثينا الحق لمواطنيها بالسفر والعودة إلى وطنهم مع الاحتفاظ بممتلكاتهم. وأعطت "الماغنا كارتا" البريطانية عام ١٢١٥م المواطنين الحق في السفر والعودة إلى وطنهم. وفي أعقاب الثورة الفرنسية نصّ الدستور الفرنسي الصادر عام ١٧٩١م على حق المواطن بالسفر والعودة إلى وطنه.ونصَّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨م في مادته الثانية على حق كل إنسان في مغادرة بلده والعودة إليها. كما نصَّ إعلان الحقوق المدنية والسياسية الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٦٦م في مادته الثانية والثالثة على حق الإنسان في مغادرة بلده والعودة إليها.

وأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم (١٩٤) (ر-٣) تاريخ ١١ كانون الأول ١٩٤٨م والذي نصَّ على "وجوب السماح بالعودة، في أقرب وقت ممكن، للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلا م مع جيرانهم، ووجوب دفع التعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة إلى ديارهم عن كل خسارة أو ضرر يلحقان بهذه الممتلكات، وتقتضي مبادئ

القانون الدولي أو الإنصاف، من الحكومات، أو السلطات المسئولة أن تعوض عنها. (٢٦)

وأبلغت حكومة إسرائيل- في اليوم الذي أعلنت فيه استقلالها- الأمم المتحدة أنها: " مستعدة للتعاون مع الأمم المتحدة في تنفيذ قرار الجمعية العامة المؤرخ في ٢٩ تشرين ثاني ١٩٤٧.. وأنها مستعدة للتوقيع على التزامها بالتعهدات المنصوص عليها في ذلك القرار. وأثناء مناقشة طلب إسرائيل للانضمام إلى الأمم المتحدة ، قال مندوب إسرائيل: " إسرائيل كانت الدولة الوحيدة التي برزت إلى حيز الوجود بناءً على طلب المجتمع الدولي. "

لقد ربطت الأمم المتحدة موافقتها على عضوية إسرائيل فيها بقبولها بقرارها (١٩٤) الفقرة ٣. وقد نصّ قرار مجلس الأمن (III/٢٧٣) الصادر بتاريخ ١١/٥/١٩٤٩م على أنه:" وبالأخذ بالاعتبار إعلان إسرائيل أنها تقبل، بدون تحفظ، التزامات ميثاق الأمم المتحدة منذ اليوم الذي تقبل فيه عضواً في الأمم المتحدة وتتعهد باحترامها (honor them).(٢٧)

ولكن بعد أن قبلت إسرائيل عضوا في الأمم المتحدة، تنصلت من التزاماتها ورفضت تنفيذ حق العودة . ورغم جميع المواثيق الدولية المشار إليها لازالت إسرائيل تصرّ على حرمان اللاجئين الفلسطينيين من حق العودة .

ج-موقف الأمم المتحدة من قضية اللاجئين الفلسطينيين

عدا عن قرار الجمعية العامة رقم (١٩٤) لعام ١٩٤٨، اتخذت الأمم المتحدة عدداً كبيراً من القرارات التي تدعو إلى تمكين الذين اضطروا إلى اللجوء عام ١٩٤٨ و الذين نزحوا في أعقاب حرب عام ١٩٦٧من العودة لبيوتهم. وسنقدم أمثلة من تلك القرارات .

وفي قرارها رقم (١٦٠٤) تاريخ ٢١/٤/ ١٩٦١ دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى تعيين وتقييم عقارات اللاجئين العرب الموجودة في فلسطين ، ودأبت تؤكد على ذلك في قرارات عديدة منذ ذلك الحين. وفي قراره رقم ٢٣٧ (١٩٦٧) تاريخ ١٤/٦/١٩٦٧ دعا مجلس الأمن الدولي حكومة إسرائيل إلى تسهيل عودة أولئك الذين فروا من المناطق في أعقاب حرب عام ١٩٦٧، وطلب من الأمين العام للأمم المتحدة متابعة تنفيذ هذا القرار . ولم تأبه إسرائيل المدعومة من أمريكا وبريطانيا وفرنسا، رأس التآمر على حقوق الشعب الفلسطيني، بقرار مجلس الأمن، فعاد المجلس في قراره رقم ٢٥٩ (١٩٦٨) تاريخ ٢٧/٩/١٩٦٨ وشجب إسرائيل لعدم قيام بتسهيل عودة النازحين.

وفيما يلي كشف ببعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي دعت إلى عودة ألاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم في فلسطين، وآخر ببعض قرارات الجمعية التي عدت إلى عودة النازحين عام ١٩٦٧ إلى ديارهم في فلسطين.

جدول رقم (٦)

بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي دعت

إسرائيل إلى إعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم

رقم القرار	السنة	رقم القرار	السنة	رقم القرار	السنة
٢٠٥٢/٢٠	١٩٦٥	٢١٥٤/٢١	١٩٦٦	٢٥٤٢	١٩٦٨
٢٥٥٣	١٩٥٩	٢٦٧٢	١٩٧٠	٢٧٩٢	١٩٧١
٢٩٦٣	١٩٧٢	٣٠٨٩	١٩٧٣	٣٣٣١	١٩٧٤
٣٤١٩	١٩٧٥	٣٥/٣١	١٩٧٦	٩٠/٣٢	١٩٧٧
١١٢/٣٣	١٩٧٨	٥٢/٣٤	١٩٧٩	٣٥/١٣	١٩٨٠
١٤٦/٣٦	١٩٨١	١٢٠/٣٧	١٩٨٢	٣٨/٣٨	١٩٨٣
٩٩/٣٩	١٩٨٤	١٦٥/٤٠	١٩٨٥	٦٩/٤١	١٩٨٦
٦٩/٤٢	١٩٨٧	٥٧/٤٣	١٩٨٨	٤٧/٤٤	١٩٨٩
٧٣/٤٥	١٩٩٠	٤٦/٤٦	١٩٩١	٦٩/٤٧	١٩٩٢
١٥٨/٤٨	١٠٠٣	٤٩/٣٥	١٩٩٤	٥٠/٢٨	١٩٩٥
١٢٩/٥١	١٩٩٦	٥٢/٥٢	١٩٩٧		

جدول رقم (٧)

بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي
دعت إسرائيل إلى إعادة النازحين الفلسطينيين إلى ديارهم

القرار	تاريخه	القرار	تاريخه	القرار	تاريخه
2252	4/7/1967	2452	1968/12/19	2535	1969/12/10
2672	1970/12/٨	2972	1971/12/6	2963	1972/13/13
3089	1973/12/7	3331	1974/12/7	3419	1975/12/8
15/31	1976/12/23	90/32	1977/1312	112/33	1977/12/18
52/34	1979/11/23	13-35	1980/11/3	146-36	1981/12/16
120/37	1982/12/16	83/38	1983/12/5	99/39	1984/12/14
165/40	1985/12/16	91/41	1986/12/3	69/42	1987/12/2
57/43	1988/12/6	47/44	1989/12/8	73/45	1990/12/11
82/46	1991/12/16	69/47	47/69/1992	40/48	1993/12/10
35/49	1994/12/9	28/50	1995/12/6	126/51	1996/12/13
59/52	1997/12/10				

د- موقف أمريكا ألإجرامي من حق العودة للاجئين الذلسطينيين

من المعروف أنّ إسرائيل مجرد أداة في يد الدول الغربية العظمى التي صنعتها لخدمة مصالحها في المشرق، وبشكل خاص أمريكا. وتقف أمريكا ضد حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة رغم ما تدّعيه من احترامها لحق العودة لغير الفلسطينيين، وهو الأمر الذي يوضحه الأمريكي " ستيفن زونز " (Stephen Zunes) أستاذ العلوم السياسية ورئيس مركز السلام في جامعة سان فرنسسكو فيقول :

من أكثر الأدلة وضوحاً على نقص اهتمام الحكومة الأمريكية بحقوق الإنسان ما يتعلق بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي تعترف به المحاكم الأمريكية وغيرها على أنه قانون دولي راسخ بفضل العرف، وأنه التعريف الرسمي لمستوى حقوق الإنسان. وتضمن المادة (١٣) من ذلك الإعلان حقّ كل إنسان في مغادرة بلده و العودة إليه. وقد أوقفت إدارة " كلنتون " ـ خلافاً لما كانت تقوم به الإدارات السابقة ـ دعمها لتطبيق تلك المادة على مستوى عالمي، مثل تأكيد الجمعية العامة للأمم المتحدة السنوي للقرار (١٩٤) الذي يضمن حق العودة للاجئين الفلسطينيين. وحتى قبل أن تقوم الولايات المتحدة بتغيير موقفها، فمن النادر أن تطرّق إليه المسئولون الأمريكيون، وكانوا يؤكدون الجزء الأول من تلك المادة (حق المغادرة) فيما يتعلق بيهود الإتحاد السوفيتي... وعندما كان الأمر يتعلق بالحكومات الحليفة –إسرائيل- كان حق العودة يحذف بشكل ملحوظ.(٢٨)

هـ- موقف بعض المطبعين الفلسطينيين من حق العودة للفلسطينيين

من الطبيعي أن تقف الامبريالية الغربية وصنيعتها إسرائيل ضد حق ألاجئين الفلسدينيين في العودة. لكن من غير الطبيعي، بل الشاذ وغير المبرّر مطلقاً، أن يعلن فلسطينيون تنازلهم عن حق ألاجئين الفلسطينيين في العودة إلى بيوتهم. ومما يزيد الطين بلة أن الأميين و الفلاحين والعمال الفلسطينيين من أشد الناس تمسكاً بحقوقهم ويرفضون التنازل عنها، ولكن بعض الأكاديميين رضوا أن يدخلوا في مساومات حول حق العودة غير القابل للتصرف. وكان من هؤلاء البروفسور سرّي نسيبة، رئيس جامعة القدس، ومسئول ملف القدس في السلطة الوطنية الفلسطينية الذي صرّح في محاضرة له في الجامعة العبرية في القدس في منتصف شهر تشرين الأول ٢٠٠١ أنه من الضروري التنازل عن حق العودة. وجاء في تعليق "حجاي سيغف" في جريدة الحياة بتاريخ ١٤/١١/٢٠٠١ أنه..." عُلِم أنه في شرقي القدس يعيش فلسطيني أصيل مستعد للتنازل عن حق العودة. وليس مجرد فلسطيني أصيل بل مثقف كبير، متجاوز

القوميات مع ماضٍ نظيف ونقي. في الوقت الذي ما زال فيه ٩٩,٩ في المئة من الفلسطينيين يتطلعون إلى فلسطين الكاملة... يبزغ من الأفق دكتور شجاع يسير بشجاعة ضد التيار (الوطني الفلسطيني)... أنّ نسيبة هو السنونو التي تبشر بالربيع في أوج الخريف ".

ومن المعروف أنّ الوطن لا يقبل الحياد، فكل من لم يكن معه فهو ضدّه، وقد آثر الدكتور نسيبة أن يقف ضد تيار المقاومة والانتفاضة ويقدم تنازلاً مجانياً عن حق العودة الذي لا يملكه، إنما هو حق الشعب الفلسطيني جميعه، لاسيما وأنّه حق ثابت وأصيل وغير قابل للتصرف.ولا يمكن اعتبار هذا الموقف من الدكتور نسيبة حرية رأي فقضايا الأمة المصيرية لا تدخل ضمن حرية الرأي.

ونكتفي بالاستشهاد ببعض ردود الفعل على تصريحات "نسيبة" نبدأها بما ذكره السياسي و الناشط الفلسطيني الدكتور عبد الله الحوراني في عدد الحياة الجديدة بتاريخ ٢٠٠١/١١/١٣ حيث قال بعنوان :

التمسك بالحق وليس التخلي عنه هو الطريق إلى السلام :

على غير موعد ودون مقدمات أو مبررات، وبعد صمت طويل، وخارج إطار مسؤولياته، فاجأنا الدكتور سري نسيبة، خليفة الشهيد فيصل الحسيني في حمل ملف القدس، بموقف غريب تجاه حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم. إذ أعلن في محاضرة له في الجامعة العبرية، أشارت أليها النيويورك تايمز في ٢٠٠١/١٠/١٧ " أن السلام لن يعم دولة فلسطينية، إلا إذا تخلى الفلسطينيون عن مطالبهم في العودة إلى ديارهم، وأنّ الانتفاضة الملطخة بالدماء، هي حالة التشنج، وليست ثورة شعبية" . وأتبع ذلك بتصريح مماثل لوكالة الصحافة الفرنسية طالب فيه بالتخلي عن فكرة تطبيق حق العودة.

فمن حمل هذه المعاني، ويربى عليها، يقع في تناقض كبير حين يقدم على مثل تلك التصريحات، لأنها تسيء إلى القضية التي يتحدث عنها... هذا **أولاً. وثانياً** إن المكان الذي اختاره الدكتور نسيبة للتعبير عن آرائه، وهو الجامعة العبرية، يزيد من خطورة هذه الآراء،، وخطرها على قضية اللاجئين، و القضية الفلسطينية عموماً. فهي تعد تنازلا مجانياً للرأي العام الإسرائيلي عن حق العودة إلى وطنهم، وتوحي للجانب الإسرائيلي بتراجع الخطاب الفلسطيني الخاص بقضية اللاجئين على لسان بعض قيادييه ومثقفيه، وترسي في الوعاء الإسرائيلي أن رفضه لحق اللاجئين في العودة، هو الذي يدفع لهذا التراجع في الموقف الفلسطيني، وتدفع إسرائيليين لأن يصبحوا أكثر تعنتاً في هذا المجال، وقد ينظرون بسخرية لمطالب المفاوض الفلسطيني بحق العودة، وقد تمتد هذه السخرية إلى التحركات الجماهيرية في هذا الميدان، داخل الوطن وخارجة.

وثالثاً حين تأتي مثل هذه التصريحات من حامل ملف القدس - وهي قضية لا يقل التعنت الإسرائيلي فيها عن تعنته في قضية اللاجئين - فإنها تغري الجانب الإسرائيلي، وتوحي له بالاستعداد الفلسطيني للتنازل أيضاً في قضية القدس. وبذلك يكون الدكتور نسيبة قد أخطأ في حق القضية التي يحمل أمانتها، وفي حق الدولة الفلسطينية التي يعتقد أن التنازل عن حق العودة يجعلها أكثر قرباً، أو يدفع الإسرائيليين للتسليم بها - كما أوحت بذلك تصريحاته - ... و أدانت القوى الوطنية و الإسلامية في محافظة رام الله و البيرة التصريحات الداعية إلى التنازل عن حق العودة أو المقايضة عليه وخصت بالذكر تصريحات د.سري نسيبة بهذا الخصوص. وقالت في بيان لها أن أهم أسباب انفجار الانتفاضة في وجه الاحتلال هي محاولة الكيان الصهيوني والإدارة الأمريكية المساس بالثوابت الوطنية لشعبنا خاصة في قضية عودة اللاجئين مؤكدة أن الانتفاضة شكلت الدرع الحصين لحماية الثوابت وحذرت من أي تصريحات تمس بالشعب الفلسطيني.

وفي جريدة الحياة بتاريخ ٢٠٠١/١١/١٤ استنكرت ٣٤ شخصية من الباحثين و الأكاديميين الفلسطينيين من المقيمين في المملكة المتحدة، تصريحات الدكتور سري نسيبة ... ، المنادية بالتخلي عن حق عودة اللاجئين إلى أرضهم وديارهم في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨. وقال هؤلاء في بيان تلقت وكالة " قدس برس " نسخة منه، إنهم يعتبرون " حق عودة اللاجئين جميعاً وذريتهم إلى مدنهم و قراهم الأصلية، واستعادتهم لأملاكهم الجماعية، حقاً شخصياً وجماعياً لا يسقط بالتقادم ". واعتبر موقعو البيان ... أن تصريحات نسيبة خارجة عن الإجماع الوطني الفلسطيني، وطالبوا الرئيس ياسر عرفات بإقالة الدكتور نسيبة من منصبة مسئولا عن ملف القدس، حتى لا تحسب هذه التصريحات على القيادة الفلسطينية و الشعب الفلسطيني.

وذكرت جريدة " الرسالة " في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠١/١١/١٥ أنّ لجنة الدفاع عن حقوق اللاجئين الفلسطينيين اعتبرت أفكار الدكتور سري نسيبة حول حق العودة و اللاجئين بأنها خطيرة جداً و تحتاج إلى وقفه وطنية شاملة ضدها،لأنها تعبر عن بالون سياسي الهدف منه جس نبض الشارع الوطني الفلسطيني تجاه جوهر الصراع العربي الصهيوني، و اتهمت اللجنة نسيبة بالترويج لوجهات نظر سياسية لا وطنية...، ودعت لجنة الدفاع إلى محاكمة الدكتور سري شعبياً لوضع حد قاطع لكل من يعبث في مبدأ حق العودة. وأكدت اللجنة على إجماع الشعب الفلسطيني على مبدأ حق العودة طوال عقود النضال و الشتات، وحذرت من أي محاولة للتفريط بحق العودة أو التنازل عنه أو إخضاعه لأية مساومة سياسية مهما كان الثمن الذي يستثنى عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وقراهم ومدنهم التي هجروا منها، مذكرة في

ذات الوقت بأن هذا الحق هو حق فردي و جماعي للشعب الفلسطيني. ودعت اللجنة كافة أبناء الشعب الفلسطيني إلى التصدي لمثل هكذا أفكار مسمومة.

و- دراسات ومختصون أكدوا حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى بيوتهم وممتلكاتهم

وفي الورقة التي قدمها إلى المؤتمر الشعبي الثاني للدفاع عن حق العودة في جامعة النجاح في نابلس بتاريخ ٢٠٠٥/٤/١ يؤكد الشيخ حسن يوسف، أحد مؤسسي حركة المقاومة الإسلامية حماس، على حق العودة للاجئين الفلسطينيين ويقول:

"إنّ حق العودة ليس من الحقوق غير القابلة للتصرف فحسب، إنما يعد من الحقوق الأساسية التي تعتبر شرطاً مسبقاً ومتطلباً أساسياً لحق تقرير المصير للشعوب ، وهذا يعني أنه لا يحق لأي سلطة سواء أكانت منتخبة أو معينة التصرف بهذا الحق، كما لا يجوز لأية دولة أو جهة أخرى التصرف بهذا الحق..

إن قضية اللاجئين الفلسطينيين تمتلك قوة قانونية وسياسية وأخلاقية استثنائية، وهي محمولة على حق تاريخي واضح وثابت، أكدته المواثيق الدولية، وأكدته الأمم المتحدة أكثر من (١١٠)مرات خلال النصف الثاني من القرن الماضي، وهو حق غير قابل للتصرف ولا يسقط بمرور الزمن، وهو حق نابع من حقوق الملكية الخاصة التي لا تزول بالاحتلال أو حتى بالسيادة (الدولة)، ولا يملك أحد التصرف به أو التنازل عنه أو المقايضة عليه لأي سبب وفي أي اتفاق أو معاهدة كانت."

وتوضح دراسة أصدرها مركز بديل، وأعدتها المحامية الأمريكية " غيل ج. يولنغ " (Gail j. Boling) الشروط التي وضعها قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم(١٩٤) لعام ١٩٤٨م فتقول :

"وللإجمال نقول بأن قرار ١٩٤ يرسم بوضوح، العديد من المبادئ ذات الأهمية القصوى التي يعتبر تطبيقها ضرورياً من أجل التحقيق الكامل و القانوني لحق عودة اللاجئين بموجب القانون الدولي :

أولاً : يحدد قرار ١٩٤ بوضوح ودقة المكان الذي يحق للاجئين العودة إليه وهو بيوتهم ....

ثانياً : يؤكد القرار ١٩٤ بأن العودة يجب أن تتم وفق الاختيار الفردي لكل لاجئ . ووفق تقرير وسيط للأمم المتحدة . فأنه يجب الاحترام الكامل لحق اللاجئين غير المشروط في الاختيار الحر ...
ثالثاً : يحدد قرار ١٩٤ الإطار الزمني لعودة اللاجئين إذ يقول في أقرب وقت ممكن ...
رابعاً : يفرض قرار ١٩٤ التزاماً غير مشروط على إسرائيل بالسماح للاجئير بالعودة وإيجاد الظروف التي تمكن من عودتهم سالمين .(٢٩)

وهناك يهود لهم مواقف إيجابية تجاه حق عودة الفلسطينيين إلى ديارهم وعلى سبيل المثال : صرح "وليم زكرمان" **"William Zukerman " "Jewish New Letter "** أن حرمان اللاجئين الفلسطينيين من بيوتهم وممتلكاتهم ... هو عمل ينطوي على ظلم خطير. إنه يتناقض مع جميع المبادئ الأخلاقية التي أسس اليهود عليها حضارتهم و طريقة حياتهم منذ عهد الأنبياء إلى اليوم .(٣٠)
وقال الحاخام د. بنيامن من فلسطين المحتلة **(R Benjamin)**
في النهاية يجب أن نقول الحقيقة بصراحة : وهي أننا لا يوجد لنا أي حق أخلاقي في رفض عودة اللاجئين العرب إلى أراضيهم ... و أننا حتى نبدأ في التكفير عن ذنوبنا بحق اللاجئين العرب، فلا حق لنا الاستمرار في تجميع يهود الشتات. لا حق لنا في أن نطالب اليهود الأمريكيين بمغادرة بلادهم التي يتعلقون بها، ليقيموا في أرض سرقت من آخرين، وبينما مالكوها (أهلها) هم بؤساء و بلا مأوى .
لا حق لنا باحتلال بيت عربي، إذا لم نكن قد دفعنا له قيمته الحقيقية.... لا حق لنا في بناء مستوطنة وتحقيق الحلم الصهيوني على ممتلكات أناس آخرين. إنّ هذه سرقة إنني مندهش لكون الحاخام هيرزوغ وجميع أولئك الذين يتحدثون باسم أخلاق اليهود والذين دائماً يذكرون الوصايا العشرة، يوافقون على مثل هذه الأمور، فالفتح السياسي لا يلغي الحقوق الخاصة. (٣١)
وجاء في رسالة مفتوحة من منظمة العفو الدولية إلى الرئيس الأمريكي " جورج بوش " :
تدعو منظمة العفو الدولية إلى الإقرار على المستوى العالمي باحترام حق الذين أبعدوا قسراً في العودة إلى أوطانهم. فالنفي القسري يُعد انتهاكاً للقانون الدولي، حيث أن حق الشخص في العودة إلى وطنه يستند إلى القانون الدولي ... وترى منظمة العفو الدولية أن حق العودة لا ينطبق فقط على من أبعدوا مباشرة وعلى أفراد عائلاتهم المباشرين، ولكنه ينطبق بالمثل على المنحدرين من نسلهم، ممن يحتفظون بما أسمته اللجنة الدولية المعنية بحقوق الإنسان " بصلات وثيقة ودائمة " مع المنطق.(٣٢)

وفي دراسة أعدها "مركز حقوق السكن والتهجير (Chore) في جنيف ومركز بديل ، المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين اتهم "سكوت ليكي" المدير التنفيذي للمركز الولايات المتحدة بالنفاق بسبب رفض دعمها حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم السابقة في إسرائيل ... وقال ليكي: رغم أن الولايات المتحدة تؤيد بشكل روتيني حق اللاجئين في واستعادة أراضيهم ومنازلهم وممتلكاتهم السابقة في شتى أنحاء العالم إلا أنها ترفض الإقرار بحق اللاجئين الفلسطينيين أيضاً في استعادة حقوقهم المشروعة الخاصة بممتلكاتهم. ... هذا النفاق الأمريكي لا يمكن تبريره، خاصة في ظل الحديث عن المعايير الدولية لمصطلحات مثل حقوق الإنسان وسلطة القانون. (٣٣)

٩-٧- الغرب والأمم المتحدة واتفاقية جينيف الرابعة والأراضي العربية والفلسطينية المحتلـــــة

ومن أبرز قواعد القانون الدولي واتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩م عدم جواز الاستيلاء على الأرض عن طريق القوة، وأنّ الاحتلال مؤقت بطبيعته ولا يعطي حقاً في السيادة على الأرض المحتلة، وبالتالي يحرّم على المحتل أن يصادر الأرض والممتلكات الخاصة. أو أن يطرد السكان الأصليين، ويقيم مستوطنات له بدلاً منهم.

٩-٧-١- الأمم المتحدة واتفاقية جينيف الرابعة

أ-قرارات مجلس الأمن الدولي بأن اتفاقية جينيف الرابعة تنطبق على الأراضي العربية والفلسطينية المحتلة

جدول رقم (٨)

بعض قرارات مجلس الأمن الدولي التي قرر فيها أنّ اتفاقية جينيف الرابعة لعام١٩٤٩ الخاصة بالمدنيين تنطبق على الأراضي الفلسطينية والعربية الأخرى المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، بما فيها القدس.

رقم القرار والسنة	رقم القرار والسنة	رقم القرار والسنة	رقم القرار والسنة
٢٥٢(١٩٦٨)	٢٦٧(١٩٦٩)	٢٩٨(١٩٧١)	٤٤٦(١٩٧٩)
٤٥٢(١٩٧٩)	٤٦٥(١٩٨٠)	٤٧١(١٩٨٠)	٤٧٦(١٩٨٠)
٤٨٤(١٩٨٠)	٥٩٢(١٩٨١)	٦٠٥(١٩٨٧)	٦٣٦(١٩٨٩)
٦٤١(١٩٨٩)	٦٧٢(١٩٩٠)	٦٨١(١٩٩٠)	٦٩٤(١٩٩١)
٧٢٦(١٩٩٢)	٧٩٩(١٩٩٢)	٩٠٤(١٩٩٤)	

ب- قرارات الجمعية العامة بأن اتفاقية جينيف الرابعة تنطبق على الأراضي العربية والفلسطينية المحتلة

أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارات عديدة أنّ اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ تنطبق على الأراضي الفلسطينيّة والعربية المحتلة منذ عام١٩٦٧، بما فيها القدس، وأدانت إسرائيل لرفضها الاعتراف بذلك، وطلبت منها أن تعترف بانطباق الاتفاقية، وأن تتقيد بنصوصها بدقة، وأن تلغي إجراءات ضم القدس، ومصادرة الأراضي، وإقامة المستوطنات الإسرائيلية وإبعاد المواطنين الفلسطينيين وترحيلهم عن أراضيهم، كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم (٩)

بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أكدت انطباق اتفاقية جينيف لعام ١٩٤٩ على الأراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧بما فيها القدس وأن ضم الأرض وإقامة المستوطنات باطل وغير قانوني

رقم القرار	السنة	رقم القرار	السنة	رقم القرار	السنة
٢٢٥٣	١٩٦٧	٢٢٥٤	١٩٦٧	٢٤٤٣	١٩٦٨
٢٥٤٦	١٩٦٩	٢٧٢٧	١٩٧٠	٢٥٨١	١٩٧١
٢٤٤٩	١٩٧٢	٣٠٩٢	١٨٧٣	٣٢٤٠	١٩٧٤
٣٥٢٥	١٩٧٥	١٠٦/٣١	١٩٧٦	٩١/٣٢	١٩٧٧
١١٣/٣٣	١٩٧٨	٩٠/٣٤	١٩٧٩	١٢٢/٣٥	١٩٨٠
١٤٧/٣٦	١٩٨١	٨٨/٣٧	١٩٨٢	٣٩/٣٨	١٩٨٣
٩٥/٣٩	١٩٨٤	١٦١/٤٠	١٩٨٥	٦٣/٤١	١٩٨٦
١٦٠/٤٢	١٩٨٧	٥٨/٤٣	١٩٨٨	٤٨/٤٤	١٩٨٩
٧٤/٤٥	١٩٩٠	٤٧/٤٦	١٩٩١	٦٣/٤٧	١٩٩٢
٥٩/٤٦	١٩٩٣	٦٧/٤٩	١٩٩٤	٢٢/٥٠	١٩٩٥
١٣٢/٥١	١٩٩٦	٥٣/٥٢	١٩٩٧	٥٥/٤	٢٠٠٣

يترتب على ما تقدم :

١- أنّ المساحة التي احتلتها إسرائيل زيادة عما خصصه لها مشروع التقسيم لعام ١٩٤٧، هي أراضٍ محتلة بالقوة ، ويجب أن تنسحب منها.

٢- أنّ جميع أراضي فلسطين- ومن ضمنها القدس- والأراضي السورية واللبنانية التي احتلت عام ١٩٦٧، أو بعد ذلك ، هي أراض محتلة يجب على إسرائيل أن تنسحب منها.

وهكذا يتضح مما تقدم، بشكل لا يدع مجالاً للشك أن إسرائيل قد خالفت القانون الدولي ، وتحدّت الشرعية الدولية وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، ووضعت نفسها فوق القانون. ولم يكن بوسعها أن تقوم بذلك لولا تآمر ونفاق أمريكا وبريطانيا وفرنسا، والمكاييل

المزدوجة التي تستعملها تلك الدول، خدمة لمصالحها ، ضاربة عرض الحائط بالقانون الدولي، وبالمبادئ التي تنادي بها.

٩-٨- تطبيقات على مخالفات الغرب لاتفاقيات جينيف لعام ١٩٤٩

٩-٨-١- تآمر الغرب بقيادة أمريكا على ضم القدس لإسرائيل

أ ـ تطور موقف أمريكا من مدينة القدس العربية الإسلامية

يتصف موقف أمريكا تجاه العرب و المسلمين بشكل عام، وقضية فلسطين، بشكل خاص، بالتناقض و النفاق و النفعية بعيداً عن المبادئ و القيم. ففي ١٤ تموز ١٩٦٧، أعلن "غولدبرغ" (Goldberg) مندوب أمريكا للأمم المتحدة موقف بلاده من التغييرات التي أجرتها إسرائيل في القدس العربية وقال : " الولايات المتحدة لا تقبل ولا تعترف بالإجراءات التي تغيّر وضع القدس ". وعندما نقلت إسرائيل مكاتب شرطتها إلى بناية مستشفى عربي في القدس العربية، أعلن مندوب أمريكا في الأمم المتحدة " شارلز يوست " (Charles Yost في تموز ١٩٦٩ أنّ الجزء الشرقي من القدس الذي أصبح تحت السيطرة الإسرائيلية في أعقاب حرب عام ١٩٦٧، مثل باقي المناطق الفلسطينية المحتلة، هو منطقة محتلة، و أن إسرائيل يجب أن لا تغير قوانينها ووضعها. ورغم هذه التصريحات، فعندما صوت مجلس الأمن بالإجماع على قرار رقم (٦٩/٢٦٧) بتاريخ ٣١ تموز ١٩٦٩، امتنعت أمريكا عن التصويت على فقرة القرار التي طالبت إسرائيل بإلغاء جميع الإجراءات التي تؤثر على وضع القدس. (٣٤)

وهذا هو النفاق بعينه. فأمريكا تعلن أنّ القدس منطقة محتلة لا يجوز لإسرائيل تغيير قوانينها ووضعها، ولكنها تمتنع عن التصويت عندما يقرر مجلس الأمن أنّ إسرائيل لا يحق لها أن تغير وضع القدس. وينتقد الكاتب الأمريكي " دونا لد نف " (Donald Neff) الذي ألفّ كتاباً عن حروب أعوام ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣، سياسة أمريكا تجاه مدينة القدس فيقول : " إنّ سياسة أمريكا تجاه القدس اتسمت بسلسلة من التراجعات لمدة نصف قرن. فقبل عام ١٩٦٧ كانت أمريكا تعتبر القدس منطقة دولية، لكن في أعقاب حرب عام ١٩٦٧، تراجع الرئيس الأمريكي جونسن عن سياسة أمريكا القديمة و استبدالها بالموقف القائل " أنّ مدينة القدس يجب أن تبقى موحدة، وأن يقرر مصيرها الأطراف المتنازعة أنفسهم، و إلى أن يتم ذلك يجب أن يمتنع أي طرف من القيام بخطوات أحادية .. من الواضح أنّ سياسة أمريكا، بشكل أساسي، سياسة جوفاء و القول ـ كما تقول سياسة أمريكا ـ بأنّ على الأطراف المتنازعة بأن تقرر مستقبل المدينة،عندما يكون أحد الأطراف هو السيد العسكري للقدس

جميعها، فإنّ ذلك يصل إلى حد السفاهة و الترّهات، ولا يوجد من يأخذ موقف أمريكا بشكل جاد.(٣٥) وأكد نفس الموقف لأمريكا من القدس الرئيس" جورج بوش " الأب عندما كان مندوباً لأمريكا في الأمم المتحدة. كما أكدته الرسائل المتبادلة بين الرئيس المصري أنور السادات و الرئيس الأمريكي كارتر الذي قال يوم ١٧ / ٩ /١٩٧٨ " إنّ موقف أمريكا بشأن القدس ظلّ كما عبر عنه السفير غولدبرغ عام ١٩٦٧ و السفير " يوست " عام ١٩٦٩ .(٣٦)

وبعد أن ضمت إسرائيل القدس العربية إليها و جعلتها عاصمتها الموحّدة، أدان مجلس الأمن الدولي في قراره رقم ٤٧٨ / ١٩٨٠ بتاريخ ٢٠ / ٨ / ١٩٨٠ إجراءات إسرائيل، واعتبرها لاغية وغير قانونية و طلب من الدول التي نقلت سفاراتها إلى القدس سحبها منها. وكان ثلاثة عشر بلداً من جمهوريات أمريكيا الوسطى و الجنوبية الموالية للولايات المتحدة الأمريكية قد نقلت سفارتها إلى القدس، ثم قامت بسحبها منها بعد صدور قرار مجلس الأمن، إلا أنّ " السلفادور " و " كوستاريكا " سحبت سفارتيهما ثم أعادتهما إليها. (٣٧) وفي آذار عام ١٩٩٠ أصدر الكونغرس الأمريكي قراراً يدعو إلى الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل. وقد وافقت إدارة الرئيس الأمريكي " كلينتون " عام ١٩٩٥ على نقل سفاراتها من تل أبيب إلى القدس شرط أن لا يكون ذلك قبل عام ١٩٩٩م.(٣٨)

وتابع الرئيس بوش الابن سياسات الإدارات السابقة، و توّجها يوم ٣٠ / ٩ / ٢٠٠٢ بتوقيعه على قانون يلزم الإدارة الأمريكية بتعريف القدس بوصفها عاصمة لإسرائيل. ونددت القيادة الفلسطينية بقرار الكونغرس اعتبار القدس عاصمة أبدية لإسرائيل، وأدان المجلس التشريعي الفلسطيني القرار و أعلن رفضه له. وفي يوم ٥ / ١٠ / ٢٠٠٢ وقع الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات قراراً يعلن أن القدس عاصمة الدولة الفلسطينية المقبلة.(٣٩)

وفي عام ٢٠٠٣ أصدر الكونغرس الأمريكي قراراً آخر أكد فيه التزامه بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس، وحث الرئيس أن يبدأ في تنفيذ عملية نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس.(٤٠)

وفي بداية حزيران ٢٠٠٦ أعلن البيت الأبيض أنّ الرئيس بوش أجّل لمدة ستة أشهر نقل السفارات الأمريكية في إسرائيل من تل أبيب إلى القدس.(٤١)

ب ـ مجلس الأمن و الأمم المتحدة و مدينة القدس

١-اتخذ مجلس الأمن الدولي عشرات القرارات أدان فيها ممارسات إسرائيل في مدية القدس، وضمها إليها و الإجراءات التي قامت بها من أجل ضمها إليها، ووصف تلك الإجراءات بأنها باطلة من أساسها وغير قانونية وطلب من إسرائيل، إلغاءها وفيما يلي بعض تلك القرارات :

جدول رقم (١٠) بعض قرارات مجلس الأمن الدولي التي أدانت إسرائيل بسبب ضمها القدس والتي اعتبرت الضم باطلاً وغير قانوني

رقم القرار	التفاصيل
٢٥٠(١٩٦٨)	أعرب المجلس عن أسفه بشدة بسبب إجراء العرض العسكري في القدس
٢٥١(١٩٦٨)	طلب مجلس الأمن من إسرائيل عدم إجراء عرض عسكري في القدس
٢٥٢(١٩٦٨)	دعا المجلس إسرائيل أن تلغي جميع الإجراءات الرامية لتغيير وضع القدس وقرر إرسال بعثة لفحص الموضوع.
٢٥٩(١٩٦٨)	أدان المجلس إسرائيل لرفضها السماح لبعثة الأمم المتحدة للقيام بواجبها
٢٦٧(١٩٦٩)	استنكر المجلس إجراءات إسرائيل الهادفة إلى تغيير وضع القدس ودعا إلى إلغائها .
٢٧١(١٩٦٩)	أدان المجلس إسرائيل لعدم امتثالها لقراراته بشأن القدس وتسببها في حريق المسجد الأقصى ودعاها لإلغاء تلك الإجراءات .
٢٩٨(١٩٧٩)	أكد المجلس أسفه لعدم انصياع إسرائيل لقراراته و اعتبر أعمال إسرائيل الرامية لتغيير وضع القدس لاغيه ودعاها إلى إلغائها .
٤٤٦(١٩٧٩)	أكد المجلس أن المستوطنات الإسرائيلية في القدس و المناطق المحتلة غير قانونية، وشكّل لجنة لدراسة وضع المستوطنات .
٤٥٢(١٩٧٩)	طلب المجلس من إسرائيل التوقف عن بناء المستوطنات في الأراضي المحتلة .
٤٦٥(١٩٧٩)	أعلن المجلس أن المستوطنات غير قانونية وشجب عدم تعاون إسرائيل مع اللجنة التي شكلها لدراسة وضعها .
٤٧١(١٩٨٠)	شجب المجلس قيام إسرائيل بتغيير وضع القدس وطلب منها إنهاء احتلالها المطول للقدس والمناطق المحتلة الأخرى.
٤٧٨(١٩٨٠)	استنكر مجلس الأمن بشده القانون الأساسي الذي وضعته إسرائيل لضم القدس، وأكد أن الضم غير قانوني، وطلب من الدولة التي أقامت بعثات دبلوماسية في القدس أن تسحبها منها .
٦٧٢(١٩٩٠)	أدان المجلس أعمال القتل التي قامت بها إسرائيل في القدس و التي قتل فيها ما يزيد على عشرين فلسطينياً وجرح ما يزيد على مئة وخمسين ورحب المجلس بإيفاد الأمين العام للأمم المتحدة لجنة لتقدم تقريراً له قبل نهاية شهر تشرين الثاني لعام ١٩٩٠.
٦٧٣(١٩٩٠)	شجب المجلس رفض إسرائيل استقبال اللجنة المذكورة في القرار السابق وطلب من إسرائيل الامتثال لقراراته .
١٠٧٣(١٩٩٦)	أعرب المجلس عن قلقه البالغ بسبب قيام حكومة إسرائيل بفتح نفق تحت المسجد الأقصى في القدس و الذي أسفر عن سقوط عدد كبير من القتلى و الجرحى بين المدنين الفلسطينيين و دعا إسرائيل إلى التوقف والتراجع فوراً عن تلك الأعمال و ضمان سلامة المدنين الفلسطينيين.

ولكن بسبب الدعم الأمريكي و الغربي الهائل و المستمر لإسرائيل فقد ضربت عرض الحائط بمجلس الأمن وقراراته و القانون الدولي و أعلنت ضم القدس وغيرت الأوضاع فيها، و أقامت فيها مستوطنات كبيرة لآلاف اليهود، وحرمت أهلها العرب (مسلمين و مسيحيين) من حقوقهم القانونية و الإنسانية في أرض آبائهم و أجدادهم.

والأسوأ من ذلك أن العرب و المسلمين لم يبدو مقاومة لتلك المشاريع والمخططات، و لم يقطعوا علاقاتهم مع أمريكا و الدول الغربية التي تساندها، وذهب بهم الحد إلى إقامة سلام وفتح سفارات و ممثليات ومكاتب تجارية لإسرائيل، ويلاحظ أنه كلما زادت إسرائيل من قتلها للفلسطينيين، وهدم بيوتهم و مصادرة أراضيهم، و تدمير بنيتهم التحتية، كلما ازداد التبادل التجاري بين الدول العربية و الإسلامية و إسرائيل. !!

٢- أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة أكثر من أربعين قراراً اعتبرت فيه قرار إسرائيل " فرض قوانينها وولايتها وإدارتها على مدينة القدس الشريف قراراً غير قانوني، ومن ثم فهو لاغ و باطل و ليست له أي مشروعية على الإطلاق "، وشجبت نقل بعض الدول بعثتها الدبلوماسية إلى القدس، كما يوضحه الجدول التالي:

جدول رقم (١١) بعض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أدانت إسرائيل بسبب ضمها القدس والتي اعتبرت الضم باطلاً وغير قانوني

الرقم	التاريخ	الرقم	التاريخ	الرقم	التاريخ
٢٢٥٣	١٩٦٧/٧/٠٤	٢٢٥٤	١٩٦٧/٧/١٤		
١٢٠/٣٦	١٩٨١/١٢/١٠	١٢٣/٣٧	١٩٨٢/١٢/١٦	١٨٠/٣٨	١٩٨٣/١٢/١٩
١٤٦/٣٩	١٩٨٤/١٢/١٤	١٦٨/٤٠	١٩٨٥/١٢/١٦	١٦٢/٤١	١٩٨٦/١٢/٠٤
٢٠٩/٤٢	١٩٨٧/١٢/١١	٥٤/٤٣	١٩٨٨/١٢/٠٦	٤٠/٤٤	١٩٨٩/١٢/٠٤
٨٣/٤٥	١٩٩٠/١٢/١٣	٨٢/٤٦	١٩٩١/١٢/١٦	١٩٦٣/٤٧	١٩٩٢/١٢/١١
٥٩/٤٨	١٩٩٣/١٢/١٤	٨٧/٤٩	١٩٩٤/١٢/١٦	٥٢/٥٠	١٩٩٥/١٢/٠٤
٢٧/٥١	١٩٩٦/١٢/٠٤	٥٣/٥٢	١٩٩٧/١٢/٠٩	٣٧/٥٣	١٩٩٨/١٢/٠٢
٩٧/٥٨	٢٠٠٣/١٢/٢٢	٤١/٦٠	٢٠٠٦/٠٢/١٠		

جـ - مختصون غربيون ينتقدون موقف أمريكا من مدينة القدس

انتقد أستاذ القانون الدولي البريطاني " جون ماكهوغو " القانون الأمريكي الذي يعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل " معتبراً أنَّ هذه السابقة من

شأنها أن تؤثر في القانون الدولي وتخلق مشكلة معقدة، وأوضح أنه لا يمكن لدولة بمفردها أن تعلن في القانون الدولي ما هو القانون " (٤٢)

وانتقد الأستاذ الأمريكي المتخصص في القانون الدولي " ستيفن زونز" (Stephen Zunes) موقف أمريكا المخالف للقانون الدولي و لقرارات الأمم المتحدة من مدينة القدس و قال :

" الإدارات الأمريكية الست منذ عام ١٩٦٧ اعتبرت القدس منطقة تحتلها إسرائيل و تخضع لقراري مجلس الأمن الدولي ٢٤٢، ٣٣٨ ... ولم تشكك أي إدارة من الإدارات قبل إدارة كلنتون في حقيقة أنّ القدس منطقة محتلة، و أنّ المستوطنات الإسرائيلية في القدس الشرقية غير شرعية (قانونية) و أنّ الحكم الإسرائيلي هناك يخضع لاتفاقية جنيف الرابعة ... وهكذا رغم إنكار إدارة كلنتون، فقد كان هناك تغير حقيقي في سياسة أمريكا تجاه القدس ...ولا تدعم أي دولة أخرى في العالم غير أمريكا و إسرائيل الفكرة (القائلة بأن القدس هي عاصمة إسرائيل الموحّدة ... وبينما من السهل انتقاد انتهاكات إسرائيل للقانون الدولي ولقرارات مجلس الأمن الدولي، فإنه من المهم الاعتراف بأن إسرائيل لم يكن بامكانها ارتكاب هذه المخالفات المستمرة بدون تأكدها من أن الولايات المتحدة تحميها من تبعات (نتائج) هذه الانتهاكات " . (٤٣)

٩-٨-٢- أمريكا والمستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة

أ- موقف القانون الدولي والأمم المتحدة من الاستيطان

القانون الدولي العام ضد استيطان أفراد من شعب دولة الاحتلال في الإقليم المحتل. وقد نصت المادة (٤٦) من لائحة الحرب البرية الملحقة باتفاقية لاهاي أنه لا يجوز مصادرة الأملاك الخاصة. كما نصت المادة (٤٩) من اتفاقية جنيف الرابعة على " عدم جواز قيام المحتل بنقل وترحيل سكانه المدنيين إلى الأرض الخاضعة لسيطرته، كما أجمع الفقه الدولي على أنه " يحظر على وجه الإطلاق قيام المحتل باستخدام موارد و أعيان الإقليم المحتل". (٤٤)

وقد أدان مجلس الأمن الدولي استيطان إسرائيل في الأرض العربية التي تحتلها منذ عام ١٩٦٧ وهي الضفة الغربية و جوهرتها القدس، و قطاع غزة، وهضبة الجولان، في القرارات التالية : القرار رقم ٤٤٦ (١٩٧٩) في

٢٢ / ٣ / ١٩٧٩، و القرار رقم ٤٥٢ (١٩٧٩) في ٢٠ / ٧ / ١٩٧٩، والقرار ٤٦٥ (١٩٨٠) في ١ / ٣ / ١٩٨٠.

كما أدانت الجمعية العامة للأمم المتحدة الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي العربية المحتلة واعتبرته غير قانوني، و لا أساس له،.و طلبت من إسرائيل إزالة المستوطنات في الأراضي المحتلة و التوقف عن الاستيطان في المستقبل وأوردنا في البند (٩-٧) أعلاه عشرات القرارات لمجلس الأمن وأخرى للجمعية العامة للأمم المتحدة قررت فيها أن اتفاقية جينيف تنطبق على الأراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧، وأن إقامة المستوطنات الإسرائيلية عليها باطل وغير قانوني.

ب – موقف أمريكا من الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي العربية المحتلة

يجدر بنا التنويه سلفاً إلى أن الدول الإمبريالية الغربية - أي الأنانية الشريرة – لا تقوم على قيم و مبادئ ثابتة و أنما على مبدأ النفعية – الميكافيلية - و لذلك فليس من السهل وصف موقف ثابت لها من الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي العربية المحتلة. وهي غالباً ما تكون مع الشيء و ضده في نفس الوقت حسب ما تقتضيه مصالحها الاقتصادية و الاستراتيجية.

كانت الإدارات الأمريكية منذ عام ١٩٦٧ وحتى ولاية الرئيس الأمريكي " كارتر " عام ١٩٧٧ تعلن أن الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي العربية المحتلة غير قانوني، و لكنها في نفس الوقت لم تتخذ جهداً فعلياً للضغط على إسرائيل " ذيلها " في الشرق الأوسط لوقف الاستيطان، بل لم توقف أو تنقص مساعداتها لإسرائيل، إنما ظلت تلك المساعدات تتصاعد بتصاعد اعتداءات إسرائيل على الفلسطينيين و الدول العربية خدمة لمصالح و أهداف أمريكا.

وفي ٢٨ / ٧ / ١٩٧٧ قال الرئيس كارتر " أنا و سلفي اعتبرنا أنّ المستوطنات عمل غير مشروع ". وفي عهد الرئيس كارتر توصل المستشار القانوني لوزارة الخارجية الأمريكية في تقرير له بتاريخ ٢١ / ٤ / ١٩٧٨ أنّ إقامة المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة يتناقض مع القانون ". (٤٥)

ورغم هذا الموقف المعلن لأمريكا، فعندما أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ٢٥ / ٥ تاريخ ٢٨ / ١٠ / ١٩٧٧ بأن المستوطنات غير قانونية و تشكل عائقاً خطراً في طريق السلام، فقد امتنعت أمريكا وست دول أخرى عن التصويت على القرار الذي صوتت لصالحة (١٣١) دولة . (٤٦)

كما امتنعت أمريكا عن التصويت على قراري مجلس الأمن اللذين أدانا الاستيطان رقم ٤٤٦ (١٩٧٩) و ٤٥٢ (١٩٧٩) السابق ذكرهما.

و رغم أن أمريكا كانت تعتبر المستوطنات غير قانونية، فقد استمرت في تقديم الدعم المالي الكبير لإسرائيل و الذي كان يُستعمل لتمويل المستوطنات.(٤٧)

وينتقد خبير القانون الدولي الأمريكي " ماليسون " (Malison) عملية تصويت أمريكا في إدارة " كارتر " على قرار أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ٣ / ١١ / ١٩٨٠ والذي قال بأن اتفاقية جنيف المتعلقة بالمدنيين لعام ١٩٤٩ تنطبق على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧، وموافقتها على القرار و لكنها عادت عام ١٩٨١ في إدارة " ريجان " و امتنعت عن التصويت على قرار مماثل. (٤٨)

وفي عام ١٩٨٣، وقف مندوب أمريكا في الأمم المتحدة ضد جميع دول العالم، و أصدر فيتو ضد القرار الذي طلب من إسرائيل أن تكف عن سياستها الاستيطانية غير المشروعة. (٤٩)

وفي يوم ١ / ٧ / ١٩٩١ صرح الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب أن " بناء المستوطنات يتناقض مع سياسة أمريكا، وهي ضارة بمسيرة السلام، لكنه لم يقل أنها غير ضرورية. (٥٠)

ولاحظ الكاتب الأمريكي " دونا لد نف " (Donald Neff) أن أمريكا اعتبرت أنّ المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة غير شرعية بموجب اتفاقية جنيف الرابعة، إلا أنها تراجعت عن هذا الموقف عام ١٩٩٤ و اعتبرها نائب وزير الخارجية الأمريكية في حديث له أمام لجنة الشئون الخارجية في الكونغرس أنها " مجرد عامل يزيد من تعقيد الأمور " .(٥١)

وفي يوم ١٩٩٧/٣/٥م صرح مندوب أمريكا في الأمم المتحدة أنّ أمريكا تنتقد إقامة مستوطنة جديدة في جبل " أبو غنيم "، وبعد يومين أصدرت أمريكا " فيتو " على مناقشة مجلس الأمن بهذا الخصوص. (٥٢)

ج - نقد موقف أمريكا المنافق و المراوغ من المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧

منذ عام ١٩٦٧ وحتى اليوم اتخذت أمريكا موقفا من المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة يتصف بالمراوغة و النفاق بعيداً عن أي مبادئ أو قيم، وبقيت تقول أنها مع الشيء و ضدهُ في نفس الوقت. فقد أعلنت أن المستوطنات في الأرضي المحتلة مخالفة لاتفاقية جنيف الرابعة، وأنها غير شرعية، ولكنها استمرت في دعمها الاقتصادي و العسكري الهائل لإسرائيل، علاوة على دعمها وحمايتها في الأمم المتحدة عن طريق الامتناع

عن التصويت، أو إجهاض القرارات التي تدين إسرائيل عن طريق الفيتو، وعن طريق الضغط على الأعضاء الموالين لها ليبقوا إلى جانب إسرائيل رغم مخالفتها للقانون الدولي و ميثاق الأمم المتحدة و مجلس الأمن. وقد انتقد مواقف أمريكا بشأن المستوطنات كتاب أمريكيون و غربيون عديدون كان منهم المفكر اليهودي الأمريكي اليساري " نوعم تشومسكي " (Noam Chomsky) الذي قال :

" إنه من المؤكد أنّ الرياء يتجلى في إدانة أمريكا لإسرائيل بسبب إقامة المستوطنات بينما تدفع الأموال لإقامتها وتوسيعها، أو إدانة إسرائيل لمهاجمة الأهداف المدنية بالقنابل الانشطارية و الفسفورية ليتم قتل أكبر عدد ممكن في كل ضربة، تقدمها أمريكا إليها مجاناً.(٥٣)

وانتقد المفكر اليساري الفرنسي رجاء جارودي موقف أمريكا من المستوطنات ووصف ممارسات إسرائيل بأنها أشد من ممارسات هتلر وقال : إن المستوطنات الاستعمارية في الأراضي المحتلة هي انتهاك فاضح للقوانين الدولية وخاصة اتفاقية جنيف الصادرة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩ و التي تنص المادة ٤٩ منها على ما يلي : " لا تستطيع القوى المحتلة القيام بأي نقل لجزء من سكانها المدنيين إلى الأرضي التي تحتلها. وحتى هتلر لم ينتهك القانون الدولي، فهو لم يسكّن أي مستوطن مدني ألماني في الأراضي التي طرد منها الفلاحين الفرنسيين. (٥٤)

وانتقدت صحيفة " الغار ديان " البريطانية في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٥/٦/٢٢ سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط وقالت:" أن السياسة الأمريكية تجاه المنطقة تميزت عل الدوام بازدواجية المعايير، فهناك معيار تجاه إسرائيل وآخر تجاه العرب.وقالت الصحيفة في عددها الصادر أمس ، أن الولايات المتحدة غيرت خلال ثلاثة أسابيع النظام في العراق في حين عجزت طوال ٢٨ عاماً عن تفكيك أي مستعمرة إسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة،لافتة النظر إلى أن النفاق الأمريكي قديم، حيث تعتبر واشنطن عملية السلام في المنطقة مجرد آلية سياسية تسعى من خلالها أمريكا وإسرائيل إلى فرض حل على الفلسطينيين."(٥٥)

هوامش الفصل التاسع

١	كليفور لونجلي، "الشعب المختار" (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣) ج١، ص(٢٦)
٢	كليفور لونجلي،"الشعب المختار" (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣) ج١ص(٦،٢٦) الكاتب المصري شوقي جلال، جريدة الأيام ١٩٩٩/١/٢ نقلاً عن الحياة اللندنية.
٣	انظر إسرائيل شاحاك، " الديانة اليهودية و تاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠ علم ترجمة رضا سليمان،(بيروت : شركة المطبوعات، ١٩٩٧) ص (١٥٢) .

٤	مقال الكاتب المصري ممدوح طه بعنوان :"عن كارتر وليس عن أمريكا" (الحياة الجديدة ٢٠٠٦/٢/٢٦)
٥	الحياة الجديدة ٢٠٠٣/٣/٢٨، انظر أيضاً: يوسف حداد"الصهيونية" الجزء الأول، ص(٤٥١)
٦	Gorge Carter, "Outlines of English History"(London: Rolfe Brothers, 1920) p. (36)
٧	The International Review of the Red Cross. No. (271), P. (357)
٨	We Hold These Truths :"A Documentary History of the United States"(New York: Cambridge Book Co. Inc.,1964)p.(36)
٩	We Hold These Truths . A Documentary History of The United States"(New York: Cambridge Book Co.,Inc.,1964). USA: Declaration of Independence. P. (43-47).
١٠	George Ball, "American's Waning Moral Authority" American Arab Affairs 1985, No. 12, P.(7)
١١	We Hold These Truths. A Documentary History of The United States." Op. cit . Farewell Address, P. (87).
١٢	Paul Findley, "They Dare Speak Out. People and Institutions Confront Israel's Lobby"(Connecticut: Lawrence and Hill Co. n. d.)pp.(316,325-331).
١٣	Henry Cattan, "Palestine the Arabs and Israel" p. (266)
١٤	إبراهيم شعبان، "الانتفاضة الفلسطينية في عامها الأول. دراسة في ضوء القانون الدولي العام".(القدس :١٩٨٩) ص(١٨)
١٥	Gerard Von Glahn, "The Occupation of an Enemy Territory".
١٦	الوضع القانوني للضفة الغربية وغزة الأمم المتحدة (نيويورك، ١٩٨٢) ص(٨)
١٧	Sally V. Mallison and W. Thomas Mallison, "Changing US Position on Palestinian Self – Determination". Journal of Palestine Studies, Vol. 26,No.3 (Spring 1987) p. (101).
١٨	W. Thomas Mallison and Sally V. Mallison "An International Law Analysis of the Major U.N. Resolutions Concerning the Palestine Questions. New York: United Nations PP. 42-46).
١٩	(ميخائيل هرسيغور، موريس سترون، "إسرائيل فلسطين الواقع ما وراء الأساطير" (رام الله: مشاعل للصحافة والدراسات، ٢٠٠٠) ص(٢٧٩)).
٢٠	George Ball, Our Waning Moral Authority American Arab Affairs, Spring 1985, No 12, P. (5).
٢١	Paul Findley, "The Dare speak Out People and Institutions Confront Israel's Lobby" (Connecticut: Lawrence and Hill Co.,) P. (330 333).
٢٢	Seth P. Tillman, "The United State In the Middle East. Interests and Obstacles" (Bloomington: Indiana University Press, 1982) P,(220).
٢٣	George Ball "What Is An Ally?" American Arab Affairs, No 6, Fall 1983 P.(12).
٢٤	Stephen Zunes "Self – Determination FPIF Special Report, May 2002. www.fpif.org.
٢٥	(جريدة القدس : ٢٠٠٥/٥/١٥م).
٢٦	محمود طلب النمورة،"الجريمة غربية أمريكية وفلسطين الضحية" (دورا- الخليل: مطبعة بابل الفنية" ٢٠٠٢) ص (١٠٤) ط ٢
٢٧	The Right of Return, United Nations. New York. 19??? .pp.(3-20)
٢٨	Stephen Zunes" US Middle East Policy and the Roots of Terrorism" Common Courage Press 2003. Internet.

٢٩	غيل ج . بولنغ (Gail j. Boling)، "حق العودة الفردي و اللاجئين الفلسطينيين عام ١٩٤٨م. دراسة تحليلية للقانون الدولي "(بيت لحم : بديل / المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة و اللاجئين، ٢٠٠١ ص (٩ - ١٣)).
٣٠	Sami Hadawi op. cit. p., (46- 47)
٣١	Sami Hadawi op. cit., p., P 46
٣٢	(جريدة حق العودة، عدد تموز ٢٠٠٤م)
٣٣	(جريدة الأيام ١/٥/٢٠٠٥م).
٣٤	Donald Neff " Jerusalem in US Policy " Journal of Palestine Studies, Vol. xxIII, No. 1. Autumn 1933. pp. (20,33)
٣٥	Neff, op. cit., p.(42)
٣٦	Neff, op. cit. p. (33)
٣٧	The Status of Jerusalem. United Nations New York, (1977) p. (22)
٣٨	جريدة القدس ١٩ / ٦ / ١٩٩٩
٣٩	(الحياة ٢، ٦ / ١٠ / ٢٠٠٢. الأيام ٦ / ١٠ / ٢٠٠٢)
٤٠	Jewishvirtuallibrary.org
٤١	(الحياة ١٧ / ٦٠ / ٢٠٠٦)
٤٢	الحياة ١٦ / ١٠ / ٢٠٠٢
٤٣	Stephen Zunes " US Policy Towards Jerusalem Foreign Policy in Focus, July 2000.
٤٤	ناصر الريّس، " المستوطنات الإسرائيلية في ضوء الدولي " (رام الله : مؤسسة الحق، ١٩٩٩) ص (٧٦ – ٨٠)
٤٥	Seth p. Tillman, " The United States in the Middle East " Bloomington : Indiana University Press 1982) PP.(162 – 163) Israeli Settlements in the Occupied Territories. A Guide . A Special Report of the Foundation For Middle East Peace March 2002. (Internet).
٤٦	Tillman, op. cit. p. (165)
٤٧	John Quigley " U.S. Responsibilities Under International Law and Israel's Violations of International Low in the West Bank Gaza and the Golan. Fifth UN Seminar on the Question of Palestine . 9 – 15 May 1982. New York.
٤٨	W. Thomas Malison and sally v. Malison, " The Palestine Problem in International Law and World Order " (London : 1986) pp.(274-276) .
٤٩	George Ball, " What Is An Ally ? " Arab American Affairs, No 6., Fall.
٥٠	Journal of Palestine Studies(JPS)Vol. 23,No.4,(Summer 1994)p.(150)
٥١	Journal of Palestine. Studies Vol. 25, No.2, Winter1996.p.(88).
٥٢	Journal of Palestine Studies. Vol. 26, No.4 (Summer 1997) P.(162).
٥٣	ناعوم تشومسكي، " الثالوث الخطر : الولايات المتحدة، إسرائيل، و الفلسطينيون " (القاهرة : الاتحاد العام للكتاب و الصحفيين، ١٩٩٣) ص (٩، ٢٨)".
٥٤	رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " (القاهرة : دار الغد العربي، ١٩٩٦) ص (١٦٧ – ١٦٨)
٥٥	(الحياة الجديدة ٢٣/٦/٢٠٠٥)

الفصل العاشر
هل أمريكا ديمقراطية حقاً؟
وهل احترمت قيمها الديمقراطية، أم عهّرتها
وصارت دولة مارقة ضربت رقماً قياسياً في الشر والإرْهاب؟

الفصل العاشر
هل أمريكا ديمقراطية حقاً؟
وهل احترمت قيمها الديمقراطية ، أم عهّرتها
وصارت دولة مارقة ضربت رقماً قياسيا في الشر والإرهاب؟

١-١- الديمقراطية مشكلة العالم اليوم – بدأت في أثينا وليست وقفاً على أمريـــــكا

من المعروف أنّ الديمقراطية ليست وقفاً على أمريكا وبريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول الإمبريالية في العصر الحالي، وإنما " تعود بجذورها إلى " سقراط " و " أرسطو "، و إلى التطبيق الأثيني" ، وجوهرها توسيع الحقوق بين البشر بحيث يتساوون في فرص الحياة، و يتضمن ذلك تعظيم الحريات والمشاركة". (١) وليس من المبالغ فيه القول بأنه " ربما لم تُستَغَل كلمة في تاريخ الفكر السياسي بقدر ما استغلت كلمة الديمقراطية، ولعله لم يُهدَر أيّ معنى أ و يُشوَّه بقدر ما حدث لها، فقد اكتسحت بها كل النظم بما فيها أعتاها استبداداً، و أكثرها إهداراً لحقوق الإنسان" .(٢)

١٠-٢- العلاقة بين الديمقراطية الصادقة و حقوق الإنسان وسيادة القانون

من الثابت أن هناك علاقة وثيقة بين الديمقراطية الحقيقية و بين حقوق الإنسان و سيادة القانون، فلا يمكن أن تتوفر الديمقراطية بدون ضمان حقوق الإنسان، و لا يمكن ضمان حقوق الإنسان بدون توفر سيادة للقانون.(٣) ومن المعروف أنه لا يمكن قيام نظام ديمقراطي " في إطار التبعية، وأن النضال من أجل الديمقراطية هو أيضاً ضد التبعية، وفي لحظة من التطور سيكون محتماً على القوى الديمقراطية أن تواجه، ليس فقط القوى المعادية للديمقراطية داخلياً، و لكن القوى الأجنبية الداعمة لها. (٤)

وهكذا، فالديمقراطية إذاً مرهونة بإيجاد مجتمع مدني حقيقي، و لا يتأتى ذلك إلا بتحرير الدولة و مجتمعها من الارتباط التبعي بالخارج و الذي بدأ بالتوسع الرأسمالي العالمي. إنّ المهمة ليست باليسيرة، إذ تتعلق بتغيير " النظام العالمي " القائم."(و الذي يسوده تسلط القوى العظمى على دول كثيرة) .(٥)

ويؤكد ما سبق الدكتور منذر عنبتاوي، عضو مركز حقوق الإنسان في الأمم المتحدة بجنيف، و يقول : " ليس هناك ديمقراطية ما لم تتوافر الحدود الدنيا للمواطنين و للمجتمع من الحقوق الأساسية التي أصبحت تشكل مستويات عالمية لا مجال في الرجوع عنها. و بواقع الحال العربي الذي نعرف، فإننا

نبتعد عن ذلك بعد السماء عن الأرض " ... ويضيف الأستاذ " ناجي علوش " عضو مجلس أمناء مركز دراسات الوحدة العربية أن : " النضال من أجل الاستقلال و الإصلاح ارتبط بالنضال من أجل تحقيق الديمقراطية، و ضمان الحريات ". (٦)

وبشأن الديمقراطية و الاستقلال في الوطن العربي يذكر المحامي " فاروق أبو عيسى " رئيس اتحاد المحامين العرب ا(الخرطوم) أنه :

"من المستحيل توفر الديمقراطية في ظل التبعية السياسية التي أصبحت السمة المميزة لكل دولنا تقريباً و التي بدورها تقود إلى التبعية الاقتصادية، و في ظل الأخيرة لا يستطيع الحاكم – حتى و إن أراد – أن يوفر الديمقراطية، ويصون الحريات، لأنه يصبح عندئذ فاقداً لإرادته بل و أداة في التحقيق و حماية مصالح رأس المال الأجنبي، أدواتها المتمثلة في صندوق النقد العالمي و البنك الدولي وغيرهما. وعليه، يكون النضال من أجل استعادة استقلالنا الوطني بالنضال ضد الاستعمار و الإمبريالية و العدوان الإسرائيلي و دعم نضال الثورة الفلسطينية و حماية منظمة التحرير الفلسطينية و الحفاظ على وحدتها واستقلال إرادتها وقرارها، واجبات مقدسة ترتبط عضوياً بنضالنا من أجل الديمقراطية. و لذا فإن النضال من أجل استعادة الاستقلال الوطني و تحرير الأرض الفلسطينية والعربية المغتصبة، هو نفسه نضال من أجل الديمقراطية، و النضال من أجل الديمقراطية هو نضال من أجل التحرير و الاستقلال ومناهضة الإمبريالية والصهيونية.(٧)

و الأمر الغريب هو أن الدول الغربية العظمى التي هدمت دولتنا الإسلامية، و جزأتها إلى عشرات الدول الشكلية، و التي اقتلعت شعب فلسطين من وطنه ، وحرمته من حقوقه الإنسانية الأساسية – الغريب أن هذه الدول نفسها تغدق الأموال و تنشئ هياكل صورية، أوهن من بيوت العنكبوت، لتدغدغ عواطفنا وتسلينا بكلام لا يسمن و لا يغني من الديمقراطية التي هي بعيدة عنا بعد السماء عن الأرض، ما دمنا محرومين من الاستقلال الحقيقي، و تابعين للغرب و ندور في فلكه سياسياً و اقتصادياً و ثقافياً.

١٠-٣- أمريكا – و الغرب – و الديمقراطية :

أ- الديمقراطية بين ادعاءات السياسيين الأمريكيين و الواقع المرّ في العالم.

ثارت أمريكا ضد الاحتلال البريطاني عام ١٧٧٦م و أعلنت في وثيقة استقلالها في ذلك العام الحقوق الإنسانية للإنسان و كان مما نصت عليه وثيقة الاستقلال تلك أن الناس جميعاً قد خلقوا متساوين، وأن خالقهم أسبغ عليهم حقوقاً معينة لا يمكن انتهاكها، و أن من بين هذه الحقوق، الحياة و الحرية، والعيش في سعادة، و أن لضمان هذه الحقوق قامت الحكومات بينهم، تستمد

سلطتها العادلة من موافقة المحكومين، و أنه حين تصبح أية حكومة مدمرة لهذه الغايات، فمن حق الشعب أن يغيرها أو يزيلها، و أن يقيم حكومة جديدة. (٨)

ومنذ استقلال أمريكا عام ١٧٧٩م و حتى اليوم دأب رؤساء أمريكا ومفكروها على تأكيد تمسكهم بقيم إعلان الاستقلال الأمريكي. و على سبيل المثال، فقد صرح الرئيس " جون كينيدي " عام ١٩٦٣ :

" يجب على كل دولة أن تعرف، سواءً أكانت تضمر لنا الخير أم الشر، بأننا بالتأكيد سندفع أي ثمن، و أن نحمل أي حمل، و أن نواجه أية صعوبة، و أن ندعم أي صديق، و أن نقاوم أي عدو، من أجل ضمان بقاء (دوام) الحرية. نتعهد بهذا و بأكثر منه". و صرح الرئيس " ليندون جونسون " عام ١٩٦٥ بأن " التاريخ و انجازاتنا ألقيا على كاهلنا مسئولية خاصة بحماية الحرية في العالم". أما الرئيس "رونالد ريغان" فقد صرّح عام ١٩٨٠: " نحن في هذه البلاد، وفي هذا الجيل، قدَرُنا و ليس اختيارنا، أن نكون حرساً على أسوار حرية العالم". (٩)

و كان الرؤساء الأمريكيون المذكورون في الواقع بعيدين كل البعد عما ينادون به، إذ كانوا يمارسون في سياستهم "الفضائل السياسية " التي وضعها " ميكيافيلي " وهي الغش و الكذب و الخداع، طبعاً من أجل النفعية و مصلحة أمريكا بعيداً عن الديمقراطية الحقيقية و قيم العدل و المساواة.

وعلاوة على ما تقدم، يكثر المفكرون و السياسيون الأمريكيون من المفاخرة بديمقراطيتهم ويدعون أنهم لا يقصرون مبادئ الحرية و العدالة والخير على الشعب الأمريكي، إنما يهدفون تعميمها على العالم لتحسين أوضاعه وزيادة سعادته. و على سبيل المثال يذكر " سبينر " ((Spanier)) من جامعة فلوريدا الأمريكية :

" الولايات المتحدة الأمريكية اعتبرت نفسها أنها أكثر من مجرد الدولة العالمية الأولى، فقد كانت أيضاً الديمقراطية الأولى. و لكونها هكذا، فأنها البلد الأول في التاريخ الذي يتوفر له الرغبة في تحسين قدر (حظ lot) الناس العاديين، و أن تمنحهم الفرصة لإثراء حياتهم، وزيادة مُثلهم (قيمهم). فقد كتب على تمثال الحرية: أعطني المتعبين، الفقراء الجماهير المحتشدة التي ترنو إلى الحرية ... و منذ بداية حياتهم الوطنية، أعلن الأمريكيون عن إيمانهم القوي فيما اعتبروه قدرهم في نشر مبادئ الحرية و العدالة الاجتماعية إلى الجميع، و أن يقودوا الجنس البشري بعيداً عن طريقه الشرير إلى القدس الجديدة على الأرض ... ولكن أمريكا لم تكن تريد أن تكون مجرد منارة لطريقة حياة وطنية (محلية) ديمقراطية أعلى، بل كان عليها أن تكون أيضاً نموذجاً لسلوك دولي ديمقراطي أكثر أخلاقية، فالولايات المتحدة يجب أن ترفض سياسة القوة بصفتها غير مناسبة لسياستها الخارجية. فنظرية الديمقراطية تفترض أنّ الناس عقلانيين، و أخلاقيين، و أن

الخلافات بينهم يمكن حلها عن طريق الاقتناع المنطقي و الحث الأخلاقي. (١٠)

و في كتاب " المُثل (المبادئ) و المصلحة الخاصة في سياسة أمريكا الخارجية يقول " أسجود " (Osgood) :

عندما نشبت الحرب العالمية الأولى قال الرئيس الأمريكي " ويلسون " (Wilson): " سيأتي ذلك اليوم الذي سيعرف فيه الجميع أنّ الولايات المتحدة تضع حقوق الإنسان فوق جميع الحقوق، و أنّ علمها ليس علمَ أمريكا، بل علم الإنسانية... و أن أمريكا قد دفعت عالياً الضوء الذي سوف يضيء على جميع الأجيال، و يقود الجنس البشري إلى هدف العدالة ". (١١)

هذا ما يقوله الساسة الأمريكيون نظرياً ، ولكن الواقع على النقيض من ذلك تماماً. فقد اشتملت مبادئ ويلسون التي طورها في بداية الحرب العالمية الأولى على حق الشعوب في تقرير مصيرها، و لكن ويلسون أيد وعد بلفور وتغاضى عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، و إذا كانت أمريكا صادقة في ادعائها بأنها تضع حقوق الإنسان فوق جميع الحقوق، فلماذا تآمرت على حقوق الشعب الفلسطيني و دعمت ومولت إسرائيل لتحرم الفلسطينيين من حقوقهم في الحياة و الحرية على تراب وطنهم ؟ و لو كانت أمريكا صادقة في ادعائها بأنها تقود الجنس البشري إلى العدالة لما ألقت قنبلتين نوويتين قتلت ملايين اليابانيين ؟! و هل كانت أمريكا عادلة عندما غزت فيتنام ؟! هل هي عادلة اليوم و هي تزوّد كلب حراستها إسرائيل بقنابل بزنة طن لتلقيها على اللاجئين الفلسطينيين وهم نيام في بيوت هشة و تقتل الشيوخ و النساء و الأطفال الأبرياء ؟! هل هي عادلة عندما دمرت – و لا تزال تدمر – أفغانستان والعراق – و تقتل أكثر من (٦٥٠) ألفاً من الأبرياء و تعذبهم ؟! و لنا عودة لهذا الموضوع لنسلط الضوء عليه.

ب – أمريكيون و عالميون ينتقدون الطريقة غير الديمقراطية التي تتعامل بها أمريكا مع العالم

١ - أمريكا " عهّرت " قيمها الديمقراطية، والديمقراطية أصبحت بَغِيَّ العالم الحر حسب رأي " كنجلي" و "أروندهاتي"

لقد وجّه مختصون أمريكيون و أجانب النقد اللاذع لأمريكا بسبب تناقض سياستها عند التطبيق العملي، فهي تدعو إلى الديمقراطية و الحرية، ولكنها في نفس الوقت تقف في طريق الشعوب التي تسعى للتحرر، وتدعم الأنظمة الشمولية التي تحرم الشعوب من الديمقراطية و العدالة و الحرية.

و على سبيل المثال، ذكر أستاذان أمريكيان في كتابهما " السياسة الخارجية الأمريكية : النموذج و التنفيذ العملي " :

" لاحظ دارسو السياسة الخارجية الأمريكية، أنّ أمريكا أثناء لعبها دور الدولة العظمى على المستوى العالمي، فضّلت بشكل ملحوظ منع الثورات الاجتماعية في البلدات الأخرى ... ويرى النقاد أنّ أمريكا ظلت معارضة للثوار في عصر ثوري، و أنها عهّرت قيمها (مثلها) الديمقراطية.
" It has Prostituted its own democratic ideals"

وقال السيناتور "وليم فولبرايت" (William Fulbright) عام ١٩٥٥: " إننا لسنا كما ندّعي في خطابات الرابع من تموز (بمناسبة-الاستقلال) حقاً أكثر دولة ثورية في العالم، بل نحن بالعكس، أكبر دولة غير ثورية في العالم، أو كما عبر " هانس مورجنثاو " (Hans Morgenthau) : " وفي الصراع بين القوى الاستعمارية الأوروبية و مستعمراتها انحازت أمريكا للقوى الأوروبية... فأصبح نصير الحرية يدافع عن الاستعمار و يسعى إلى استرجاعه" (إعادة فرضه من على الشعوب من جديد). (١٢)

وقالت الكاتبة الهندية "أروندهاتي روي" :" ان الديمقراطية، التي أصبحت بقرة العالم الحديث المقدسة، في أزمة ، وأزمة عميقة. إذ يجري ارتكاب جميع أنواع الفظائع باسم الديمقراطية، التي أصبحت كلمة جوفاء، قشرة جميلة، أفرغت من كل محتوى أو معنى، يمكنها أن تكون كل ما تريدها أن تكون. الديمقراطية هي بَغِيُّ العالم الحر، على استعداد أن ترتدي ملابسها، وأن تخلعها لإرضاء مجموعة من الأذواق، موجودة لأن تستخدم ، ويساء استخدامها حسب الطلب". (البغِيّ : المرأة الزانية، الفاجرة) (١٣)

نعم هناك من يكون هدفه الأول الحفاظ على شرفه و قيمه و مبادئه ، و هناك من يكون هدفه الأول " النفعية " (expediency) و المصلحة قبل القيم و المبادئ. و أمريكا تنادي بقيم و مبادئ سامية و لكن السياسيين فيها يبيعون تلك القيم مقابل النفعية و المصلحة، فهم يمكن أن يوصفوا وبحق أنهم عهّروا ديمقراطية أمريكا.

٢-أمريكا أنانية

أعترف كتاب أمريكيون و الرئيس الأمريكي الأسبق " ويلسون " أن أمريكا أنانية، وعلى سبيل المثال، ذكر الكاتب الأمريكي " أسجود " (Osgood) :

لقد أظهرت الأمة الأمريكية أنها بينما كانت فعلاً مدفوعة بدرجة غير عادية من المثالية، فإنها كانت أيضاً مدفوعة بالأنانية بقوة، و كانت في الواقع ليست أكثر قدرة من الأمم الأخرى في التسامي كلية عن مصالحها الذاتية...

وربما كان الرئيس الأمريكي " ويلسون " من أصدق الناس عندما كتب مقالة عام ١٩٠٠ قال فيها : لقد أصبحنا مدمنين ... على

عادة العمل تحت مزيج شاذ من الدوافع الأنانية و الإيثار... لقد تعاطفنا مع الحرية في كل مكان ... ونادينا بمبادئ جميلة خاصة بالعدالة في التعامل الدولي... و لكن عندما كانت تظهر قضايا خاصة بمصالحنا، فقد كشفنا أنفسنا أننا نشبه كل العالم، عندما كان يأتي دورنا في الحصول على فرصة مناسبة، أو أفضلية.(١٤)

٢- أمريكا دولة مارقة

دأبت أمريكا على وصم الدول التي ترفض الخضوع لهيمنتها و تنفيذ مخططاتها العدوانية بألفاظ ممقوتة، تمهيداً لتأليب الرأي العالمي ضدها، و من ثم مهاجمتها عسكرياً. و كانت تحمل على المعسكر الاشتراكي وتصفه بالمستبد، بينما تبالغ في إطراء قيم الديمقراطية و الحرية الغربية. و كان مصطلح " الدولة المارقة " أحد المصطلحات التي وصفت بها أمريكا الدول التي ترفض الخضوع لهيمنتها و سياساتها الظالمة. و منذ الهجوم على مركز التجارة الأمريكية في ١١ أيلول عام ٢٠٠١، استبدل الرئيس الأمريكي " جورج دبليو بوش " اصطلاح " الدولة المارقة" باصطلاح " محور الشر "، وذلك إشارة إلى العراق و إيران و كوريا الشمالية. (١٥)

وكلمة " مَرقَ " بالعربية تعني فَسَدَ. وكلمة " مارق " rogue " " بالإنجليزية تعني : الشرير، المؤذي، المحتال، الخبيث، الشاذ، التافه في الناس و تعرف موسوعة " ويكيبديا " " wikipedia " الدولة المارقة بأنها : الدولة التي تهدّد السلام العالمي... تحكمها أنظمة شمولية (قمعية – فاشية)، و تقيّد حقوق الإنسان بشدة، و ترعى (تدعم) الإرهاب، و تسعى إلى نشر أسلحة الدمار الشامل. (١٦)

ويرى الباحث الأمريكي " باري روبين " (Barry Rubin) مساعد مدير مركز " بيسا " (BEASA) للدراسات الاستراتيجية و محرر مجلة السياسة الخارجية أنّ الدولة المارقة هي " الدولة التي تعطي أولوية لتدمير دولة أخرى، و تدعم أنواعاً غير تقليدية من العنف، و يعتبر روبين أنّ للولايات المتحدة رؤية عدوانية تجاه الخارج. (١٧) و تعرف الولايات المتحدة الأمريكية الدولة المارقة بأنها :

١. التي تعامل شعوبها بوحشية، و تهدد مواردها القومية لمصلحة الحكام الشخصية .
٢. التي لا تبدي أيّ احترام للقانون الدولي، و تهدد جيرانها، و تنتهك بشدة المعاهدات الدولية التي تكون طرفاً فيها.
٣. التي تكون مصممة على الحصول على أسلحة الدمار الشامل والتكنولوجيا المتقدمة لاستعمالها في تنفيذ مخططاتها العدوانية.

٤. التي تدعم الإرهاب العالمي، وترفض القيم الإنسانية الأساسية، و تكره الولايات المتحدة الأمريكية و القيم التي تنادي بها. (١٨)

ويرى " هيرمان " (Herman) أنّ الدولة المارقة تتصف بثلاث صفات (عناصر) هي :

١- أنها شريرة، ضارّة (مؤذية)، فاسدة أخلاقياً، و حشية (في تعاملها مع الآخرين) .

٢-أنها تنقصها المبادئ(أو تسيء استعمال المبادئ)

٣- أنها تنزع للقيام بعمل أحادي، و خاصة في القتال.(١٩) و بالتأمل جيداً في الصفات الثلاث السابقة يتضح أنها تنطبق على الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من أي دولة أخرى. (و تشير إليها فيما بعد باسم أمريكا) فقد كانت أولاً : شريرة و مؤذية ووحشية في عدوانها على فيتنام و أفغانستان و العراق، و كذلك عدوانها بواسطة و كيلها و كلب حراستها إسرائيل على فلسطين، ولبنان و الدول العربية الأخرى. وهي ثانيا تسيء استعمال مبادئها و ميثاق الأمم المتحدة و قراراتها. و هي ثالثاً غالباً ما تنزع للقيام بعدوان أحادي على الدول الأضعف من أجل فرض سيطرتها عليها، وهو ما سنقدم الأدلة الكافية عليه.

و يقدم (هيرمان) أدلة على أن عناصر الدولة المارقة الثلاثة المذكورة أعلاه تنطبق على أمريكا فيقول ما ترجمته باختصار :

١- يقارن هيرمان بين جرائم صدام حسين و جرائم أمريكا فيقول :

صفات الدولة المارقة تنطبق على أمريكا حيث استعملت الحروب الكيماوية على نطاق واسع ضد فيتنام في ستينيات القرن الماضي، وكان هجومها الواسع ضد الهند الصينية أكثر ضرراً و تدميراً من هجوم صدام على ضحاياه المحليين.

٢- أما من حيث نقص المبدأ فيجب ملاحظة أنّ أمريكا ساعدت صدام في ثمانينات القرن الماضي و حمته من العقوبات الدولية و لم تذكر أنّ امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل لا يمكن احتماله إلا فقط بعد خروجه عن خطها، وعندما لم يعد له نفع.

٣- و بالنسبة لنزوع أمريكا للقيام بعمل عدائي من طرف واحد، يعطي هيرمان أمثلة على نشاطات أمريكية في هذا المجال (فيذكر اعتداءاتها الأحادية على " غواتيمالا" عام ١٩٥٤، وجمهورية " الدومينيكان " عام ١٩٦٥ و فيتنام (١٩٥٤- ١٩٧٥) ... " نيكارغوا " (١٩٨٠-١٩٩٠) ، " وغرينادا " عام ١٩٨٩. و يمكن القول أيضاً أن حرب الخليج كانت إحدى حالات عدوان أمريكا. و باختصار فقد كانت أمريكا المعتدي العالمي رقم واحد طيلة الخمسين سنة الأخيرة.

أما من حيث المبادئ فلا شيء يوضح المبدأ و النزوع إلى الأحادية لدى الدولة المارقة (أمريكا) مثل معاملتها للأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية، فعندما فشلت الأمم المتحدة في خدمة أهداف أمريكا، هاجمتها الدولة العالمية المارقة، ورفضت دفع مساهمتها فيها (خلافاً للقانون)، و انسحبت أمريكا من اليونسكو و منظمة العمل الدولية، و تجاهلت إجماع الأمم المتحدة وحكم محكمة العدل الدولية.

لقد استعملت أمريكا الأمم المتحدة غطاءً لأهدافها و لم تسمح لها بالعمل عندما لم تتطابق مواقفها مع مصالح أمريكا.

ويضيف هيرمان حالات أخرى لم تلتزم فيها أمريكا بالمبادئ فيقول :

"أثناء حرب الخليج (١٩٩٠- ١٩٩١)، استاءت أمريكا بشدّة من احتلال العراق غير القانوني للكويت، و استطاعت عن طريق الضغط و الرشوة أن تحصل على موافقة الأمم المتحدة على، إطلاق يدها في العراق لتسحقه و تسبب في موت مئات الآلاف من المدنيين.

وقد انتهكت الدولة المارقة (أمريكا) ميثاق الأمم المتحدة عندما رفضت النظر في جميع الحلول السلمية، و أصرت على القتال، منتهكة قانون الحرب باستعمالها اليورانيوم المخصب و قتلها أعداداً كثيرة من الجنود الهاربين غير قادرين على القتال ....

وهناك حالة أخرى تتعلق بنقص المبادئ و تتمثل في الاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية و قطاع غزة، التي نصّ قرار مجلس الأمن الدولي رقم (٢٤٢) على ضرورة انسحاب إسرائيل منها، ولكن أمريكا بدلا من تنفيذ قرارات مجلس الأمن، أجهضت أكثر من أربعين قراراً أدانت إسرائيل."

ورغم أنّ التصويت على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة كان بأغلبية (١٥٠) لصالح فلسطين و (٢) لصالح أمريكا و إسرائيل فإن هذا الإجماع لم يستطع النيل من قوة الدولة العالمية المارقة التي أصرت على موقفها المعادي للشرعية الدولية. (٢٠)

ج- سياسيون و مختصون أمريكيون بارزون يؤكدون أن أمريكا دولة مارقة

أكد العالم الأمريكي " صموئيل هنتنغتون " (Huntington) - صاحب نظريات " صراع الحضارات " – أنّ أمريكا " أصبحت تعتبر في نظر العديد من الشعوب الدولة المارقة الأولى في العالم، و أنها تشكل خطراً يهدد مجتمعاتهم ".(٢١)

وجاءت أقوى و أكبر و أدق أدانه لأمريكا كدولة " مارقة " في كتاب " وليم بلوم " (William Blum) بعنوان " الدولة المارقة : دليل إلى القوة العظمى

الوحيدة في العالم " الذي صدر في (٥٥٢) صفحة في نهاية عام ٢٠٠١ بعد قيام الولايات المتحدة الأمريكية بغزو أفغانستان. و كان " بلوم " موظفاً في وزارة الخارجية الأمريكية و استقال من وظيفته عام ١٩٧٦ احتجاجاً على الغزو الأمريكي لفيتنام. وفي كتابه المذكور أكد " بلوم " أن الولايات المتحدة الأمريكية دولة مارقة، خارجة على القوانين الدولية و الإنسانية، و أنها تفعل أضعافاً مضاعفة كل ما تنهى عنه الآخرين، وكل ما تعاقب من أجله الآخرين، و كل ما تحتل وتضرب و تخاصم و تدمر من أجله الآخرين، إن أي نظام ديكتاتوري عفن بالنسبة لها أفضل من كل نماذج الأنظمة ديمقراطية ما دام يخدم مصالحها، وأن أي رئيس بلطجي ديكتاتوري أفضل لديها من أي رئيس منتخب ما دام يسير في ركابها، و أن الحق ليس إلا ما تراه، و الإرهاب ليس إلا ما تعتبره هي دون غيرها إرهاباً". (٢٢)

ويستعرض موقع " الكتاب العربي " أهم ما ورد في كتاب " وليم بلوم " بشأن أمريكا – الدولة المارقة رقم واحد فيقول :

في كتاب " الدولة المارقة " يفند بلوم " مآثر " السياسة الخارجية الأمريكية و يسعى من خلال بحث معمق، و منهجي، إلى إبراز التناقض بين ما تدعو له واشنطن رسمياً، و بين ما تقوم به على أرض الواقع، وإلى كشف الفرق بين إرهاب الأثرياء كما يسميه بلوم، وبين إرهاب المتطرفين، الذي هو إرهاب الضحايا. في هذا الكتاب، يرسم المؤلف صورة شاملة عن آرائه في الإرهاب الذي تمارسه السياسة الخارجية الأمريكية، ويحاول أن يجيب على السؤال الافتراضي: ماذا لو حاولت الدول الضحايا معامله الولايات المتحدة بالمثل ؟

وبحسب إحصاءات بلوم و لوائحه التي تحاول أن تشمل كل شاردة فإن الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية إلى اليوم حاولت الإطاحة بحوالي أربعين حكومة أجنبية و سحق أكثر من ثلاثين منظمة ثورية كانت تناضل ضد أنظمتها الاستبدادية، و تسببت بإنهاء حياة ملايين البشر و فرضت على ملايين آخربن العيش في الذل و الهوان، لكنها لم تحاسب أو تحاكم من قبل أي [illegible]، لأنها استطاعت طوال سبعين عاماً إيهام العالم بأن ثمة مؤامرة تتربص بها ...

" وليم بلوم " مواطن أمريكي يستشرف خراباً ما في آخر النفق الذي تسير فيه بلاده، فهو يقرأ ظلما بين مراطنيه في الولايات المتحدة الأمريكية و خارجها تتسبّب به سياسة لم توفر طغاة أو إرهابيين أو قتلة يستطيعون أن يسدوا لها خدمة ما إلا و تحالفت معهم، ولم تتح لها فرصة تدخل عسكري في دولة ما إلا وهرعت مسرعة بجنودها، ولذلك فهو يعتبر بأنه لو كان رئيسا لبلاده لتمكن من وقف العمليات الإرهابية، وبشكل نهائي، في ثلاثة أيام : " كنت سأباشر بتقديم

الاعتذار إلى الأرامل و الأيتام و المعاقين و غيرهم الملايين من ضحايا الإمبريالية الأمريكية، ثم كنت سأعلن لكل شعوب الأرض أن أمريكا لن تتدخل بعد الآن في سياسة حكوماتهم، و كنت سأبلغهم بأن إسرائيل لم تعد من الآن و صاعداً الولاية الأمريكية الحادية والخمسين بل سوف تعامل كأي دولة أجنبية أخرى. كنت سأعمد إلى تخفيض الموازنة العسكرية بنسبة تسعين في المائة على الأقل، لكي استعمل الوفر في تعويض الضحايا ... هذا كل ما كنت سأنجزه خلال الأيام الأولى من إقامتي في البيت الأبيض، أما في اليوم الرابع فلن يتسنى لي فعل أي شيء ... لأني أكون قد اغتلت ".(٢٣)

ومما يجدر ذكره أنّ زعيم تنظيم القاعدة " ابن لادن " امتدح كتاب " بلوم " و أوصى بقراءته، و في أعقاب ذلك تضاعفت مبيعات الكتاب بسرعة مذهلة. وانتقد العالم اليساري الأمريكي " نوعم تشومسكي " Noam Chomsky) (موقف أمريكا من مفهوم " الدولة المارقة " كما انتقد احتقارها لسيادة القانون الدولي وقرارات محكمة العدل الدولية و قال :

المعيار (في تحديد الدولة المارقة) واضح تماماً، فالدولة المارقة، ليست مجرد دولة مجرمة، و لكنها دولة تتحدى أوامر الأقوياء الذين هم معفون ... إنّ احتقار سيادة القانون عميق الجذور في ممارسات الولايات المتحدة الأمريكية و ثقافتها و فكرها. و لنتذكر – على سبيل المثال ردّ فعل أمريكا على محكمة العدل الدولية عام ١٩٨٦ الذي أدان الولايات المتحدة باستعمالها غير المشروع للقانون ضد " نيكاراغوا "، و طلب منها التوقف، ودفع تعويضات كبيرة ... وقد تجاهلت الولايات المتحدة القرار، بل تحدّته وعملت على عكس ما جاء فيه ". (٢٤)

١٠-٤- سياسة أمريكا تقوم على العنف والعدوان والنفعية وليس على أساس المبادئ والقيم

قال أستاذ العلوم السياسية الأمريكي "صموئيل هنتنغتون"(Huntington) أن الغرب كسب "تفوق" ليس بسبب تفوق أفكاره وقيمه أو ديانته، إنما بسبب تفوقه في استعمال العنف المنظم".(٢٥)

وذكر المفكر الفلسطيني الذي يحمل الجنسية الأمريكية "ادوارد سعيد" أن الولايات المتحدة الأمريكية هي بشكل أساسي "دولة إمبريالية سجلها في العنف والتخريب فعلاً لا مثيل له في التاريخ."(٢٦)

وفي كتابه"الانحياز: علاقة أمريكا السرية بإسرائيل" كتب أستاذ العلوم السياسية الأمريكي ستيفن غرين(Green) - على الصعيد الرسمي كانت الولايات المتحدة "ملتزمة وبحزم بمساندة الاستقلال السياسي ووحدة أراضي دول الشرق

الأوسط كافة، لكن فريق الشرق الأوسط التابع لجونسون تعمّد أن يمكن إسرائيل سراً من إعادة رسم حدودها مع الدول العربية المجاورة كافة تقريباً، وفي شكل يخدم مصلحتها. لقد كانت (تلك السياسة) بلا جدال سياسة بلا مبدأ وبلا شرف، لكنها كانت أيضاً بلا فعالية، إذ أن إسرائيل استمرت في القيام بأعمال تتجاهل مصالح الولايات المتحدة الأمنية القومية... سياسة أمريكا تجاه الشرق الأوسط هي سياسة بدون مبادىء، وبدون استقامة، ولا نزاهة."(٢٧)

وصرح "غوردون مريم"(Gordon Mariam) مسئول الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأمريكية عام ١٩٤٦ أن النقطة الرئيسية هي"أن سياستنا تقوم على أساس المنفعة، وليس على أساس المبدأ.(٢٨)

١٠-٥- حقائق ثابتة بشأن انتهاك الغرب للمبادئ التي ينادي بها

أ- فرنسا

كان للثورة الفرنسية وإعلان الحقوق عام ١٧٨٩م الفضل في إرساء مبادئ الحرية والعدل والمساواة. ولكن قبل مضي عقد واحد انتهكت فرنسا تلك القيم عندما احتلت مصر عام ١٧٩٨م. ومن أمثلة ذلك ما فعله الجيش الفرنسي في المجاهد العربي المسلم سليمان الحلبي الذي قاوم الاحتلال الفرنسي واغتال الجلاد الضابط الفرنسي "كليبير" وسبق أن أشرنا في الفصل الثالث بند(٣-٤-٦) كيف أحرق الجيش الفرنسي معصم المجاهد الحلبي وهو حي وكيف "غرسوا وتداً في مؤخرته اخترق أمعاءه ثم ترك وحيداً معلقاً على الخازوق لتنهش جسده الغربان والطيور". وكان الفرنسيون يعاقبون القرى المصرية التي ترفض إمداد الفرنسيين بالبضائع بأن يقتلوا النساء والأطفال والمدنيين الأبرياء.

وعندما احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠م، ادعت أن الجزائر قطعة من فرنسا، وليست أرضاً عربية. وقد ذكرنا في الفصل السادس بند (٦-١-٤) كيف قام الجنود الفرنسيون بالاحتفاظ بالنساء المسلمات في الجزائر رهائن، وبادلوا قسماً منهن لقاء خيول وباعوا الباقي بالمزاد بيع الحيوانات، أما بالنسبة للأسرى العرب فقد كانوا يقطعون أذني الأسير، ويربطون أذني كل أسير معاً ويعودون لقيادتهم بملء برميل صغير من الآذان المقطوعة من أجساد الأسرى".

ب- بريطانيا وأمريكا

وأثناء الاحتلال البريطاني لمصر اعترف الإنجليزي"بلانت" باستخدام الخازوق بشكل رسمي ضد المواطنين العرب وقال بالحرف الواحد:"بموجب مرسوم ١٨٩٥م يمكن الحكم على أي مصري وإعدامه صلباً أو على الخازوق

لمجرد أنه امتعض من اعتداء جندي بريطاني على عرض زوجته، أو أنه حال دون ذلك"(٢٩)

وأثناء الغزو الغربي الأمريكي لأفغانستان والعراق من أجل سيطرة أمريكا على النفط والأسواق والمواقع الاستراتيجية تسببت أمريكا في مقتل مئات الآلاف من المدنيين الأبرياء شيوخاً ونساءً وأطفالاً، وارتكبت أبشع أنواع التعذيب الذي امتهن كرامة وإنسانية الانسان، وحرمه من حقه في الحرية، خلافاً لما هو مكتوب على تمثال الحرية في نيويورك وخلافاً لمبادئ الحرية والعدل والديمقراطية التي تدعي أمريكا والديمقراطيات الغربية الحرص عليها.

والأسوأ من ذلك كله القنابل الذرية التي ألقتها أمريكا على اليابان وما تسببت فيه من قتل وتدمير واضرار لا تعد ولا تحصى. وإزاء جرائم أمريكا بحق الإنسانية في مختلف أنحاء العالم، فلا عجب أن يقول عنها الصحفي الإسرائيلي"تير برعام": "لو كانت البشرية بمجموعها، وبمؤتمر صحفي عظيم، بأسلوب جورج بوش، قد نشرت قائمة الدول الأكثر عدوانية ووحشية في القرن العشرين لكانت صورة الولايات المتحدة قد ظهرت في الصف الأول."(٣٠)

١٠-٦-أمثلة واقعية على نفاق أمريكا في التعامل مع القيم والمبادئ

١- أمريكا الإنسانية تبذل جهوداً جبارة لإنقاذ قطة حبست خلف جدار لكنها تموّل إقامة جدار وتزوّد إسرائيل بقنابل بزنة طن لقتل الآلف العرب والمسلمين.

ذكرت الصحف المحلية الصادرة يوم ٢٠٠٦/٤/١٦ أن قطة أمريكية حبست مدة أسبوعين خلف جدار، فهرعت فرق الإنقاذ الأمريكية والشرطة ووسائل الإعلام وجمعيات الرفق بالحيوان في نيويورك، وأربعون من رجال الإسعاف ونجحوا في إنقاذ القطة وأعادوها لتعيش مع صاحبها.

ولا شك أن هذا عمل إنساني تستحق أمريكا الشكر بسببه. ولكن أين إنسانية أمريكا عندما ألقت القنابل النووية على اليابان وقتلت أكثر من مليون إنسان؟! وعندما دمرت ولا تزال تدمر أفغانستان والعراق وتقتل مئات آلاف المدنيين الأطفال والنساء والشيوخ الأبرياء؟! أين إنسانية أمريكا – والغرب- عندما أقاموا قاعدة لهم في فلسطين، تسببت في قتل وتشتيت شعب فلسطين؟

أين إنسانية أمريكا عندما تموّل وتدعم وتحمي إسرائيل لتقيم جدار فصل عنصري حاصر خلفه عشرات آلاف البشر (وليس القطط)- في وقت هدم فيه العالم المتحضر جدران برلين- ليتسبب في حرمان مئات الآلاف من الفلسطينيين من حقهم في أرضهم وكرومهم ومصانعهم ومتاجرهم، وخنقهم اقتصادياً وصحياً ونفسياً؟!

أين إنسانية أمريكا التي تزود إسرائيل بالطائرات والصواريخ والقنابل بزنة طن لتلقيها على بيوت اللاجئين الفلسطينيين الهشة وهم نيام؟
لماذا لم تهرع أمريكا الإنسانية وأنصار الرفق بالحيوان الأمريكي لإنقاذ المناضلة الإنسانية الأمريكية الطيبة "راشيل كوري" من أنياب الجرافة الأمريكية الضخمة التي زودت أمريكا بها إسرائيل لتهدم بيوت الفلسطينيين؟ لماذا لم يهرع الشعب الأمريكي لمنع شركة كاتربلر الأمريكية من تزويد الجيش الإسرائيلي مجانا بالجرافات الضخمة التي تقتل الانسان والحيوان والشجر والحجر؟!

أين إنسانية أمريكا عندما تزود إسرائيل بالطائرات والمروحيات والصواريخ التي تقصف المدنيين الآمنين؟ وعندما كان رجال الإنقاذ والإسعاف الفلسطينيون يقومون بإنقاذ الجرحى وانتشالهم من تحت الأنقاض لماذا كانت أمريكا الإنسانية والخيرة لا تمنع وكيلها وحارس مصالحها من إطلاق الصواريخ على طواقم الإنقاذ والإسعاف من أطباء وممرضين ومتطوعين مدنيين آخرين؟ أين إنسانية أمريكا عندما أصدرت فيتو في مجلس الأمن لحماية إسرائيل من الإدانة في أعقاب قيام جيشها المزود بأحدث أسلحة الدمار الأمريكية بقتل عشرين مدنيا أغلبهم من النساء والأطفال والكهول؟ هل هناك نفاق يصل إلى حد نفاق أمريكا؟ ورحم الله القائل:

لقتل وحش في الفلا جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن قضية فيها نظر

٢- سرّحت شركة أمريكية موظفين أساءوا معاملة الدجاج فلماذا لا يسرح الشعب الأمريكي الإدارة التي تسحق الانسان بدون رحمة؟

ذكرت صحيفة الحياة الجديدة في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤ أن مزرعة أمريكية لتربية الدجاج سرّحت أحد عشر موظفاً أمريكيا يعملون في المزرعة، لأنهم أساءوا معاملة الدجاج، حيث كانوا يركلون الدجاج أو يلقون بها على الجدران. وأعلنت الشركة أنها تشعر بالاستياء والغضب من معاناة الدجاج، وأنها تواصل التحقيقات في هذا الشأن.
إنه عمل عظيم من البلد الديمقراطي الأول في العالم، ولكن هل الدجاج اثمن وأعز من الانسان؟ لماذا لم يسرّح الشعب الأمريكي الإدارة التي أساءت معاملة المعتقلين في "غوانتانامو" "وأبو غريب" والتي شاهد فيها العالم صور التعذيب المشينة والمهينة للإنسان وكرامته؟!
لماذا لم يسرّح الشعب الأمريكي الإدارة التي أعطت أوامر للضباط والجنود بممارسة أقسى أنواع التعذيب وأبشع أنواع القتل؟ لماذا لم تسرّح الجنود الذين دخلوا البيت العراقي وقتلوا جميع أفراد العائلة باستثناء الطفلة المخطوفة

"عبير" التي توالى الجنود على اغتصابها وهي تغرق في دماء أفراد عائلتها ثم قتلوها بعد ذلك!؟

هل هناك تمييز في الإنسانية؟ وهل لدى الأمريكيين شعور إنساني تجاه القطط والدجاج والإسرائيليين وشعور شرير خال من الإنسانية تجاه الأطفال والنساء الفلسطينيين والعراقيين والأفغانيين الذي يجري يوميا قتلهم واغتصابهم وتعذيبهم؟!

هوامش الفصل العاشر

١	علي الدين هلال، " مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث " في : كتاب " أزمة الديمقراطية في الوطن العربي " (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤) ص (٣٨). ونشير إليه فيما بعد باسم : "أزمة الديمقراطية ".
٢	المرجع نفسه، ص (٣٦).أنظر "سيادة القانون وحقوق الانسان"(جينيف: "لجنة الحقوقيين الدولية- ١٩٦٦")
٣	المرجع نفسه ص (٦٩).
٤	المرجع نفسه ص (٦٩).
٥	علي أوميل الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الرباط، المرجع نفسه ص (٥٥٧).
٦	المرجع نفسه ص (٥٦٤ – ٥٦٥).
٧	المرجع نفسه ص ٨٤٥
٨	(كليفورد لونجلي) " الشعب المختار " جـ ١ ؟؟، ص (٤٨).
٩	Charles W. Kingly Jr, Eugene R Witt Kopf, " American Foreign Policy : Pattern and Process " (New York : St . Martens Press, 1991) P. (40)
١٠	John Spanier " American Foreign Policy Since World War JL " (New Delhi : Mc Graw – Hill Co. Ltd., 1989) pp (6-7).
١١	Robert Endicott Osgood "Ideas and Self – Interest In American Foreign Relations" (Chicago, University of Chicago Press, 1953) P. (178).
١٢	Charles W. Kingly Jr., Eugene R. Wittkomp " American Foreign Policy : Pattern and Process " (New York : St. Martins, Press, 1991) pp. (56 – 66)
١٣	مازن الحسيني، (مترجم ومقدم) "الإمبراطورية الجديدة، قصة الحرب الأمريكية على العراق" (رام الله: دار البيرق للنشر والتوزيع ، دار التنوير للنشر،٢٠٠٤)ص (٧٧)
١٤	Robert Endicott Osgood " Ideals and Self – Interest in American Foreign Relations " (Chicago x London: The University of Chicago Press 1953) P. (27).
١٥	(ebroadcast.com-au)
١٦	(wikipedia.org)
١٧	Barry Rubin, " US Foreign Policy and Rogue States " Middle Eastern Review of International Affairs (MERIA) Vol. 3, No 3, September 1999 IT
١٨	(ebroadcast.com-au) (Australia)
١٩	Edward S. Herman, " Global Rogue State " Z Magazine, February 1988.
٢٠	Edward S. Herman, " Global Rogue State " Z Magazine, February 1998. IT.

٢١	مازن الحسيني، (مترجم) " الإمبراطورية الجديدة : قصة الحرب الأمريكية على العراق " (رام الله : دار البيرق العربي و دار التنوير للنشر، ٢٠٠٤) ص (١٨)
٢٢	يحيى رباح " نحن و الدولة المارقة " الحياة الجديدة ٢٠/٢٢/٢٠٠٤
٢٣	www.arabook.com/detail
٢٤	Noam Chomsky, " US Policy – State " Z Magazine, IT.
٢٥	www.mediamonitors.net
٢٦	Edward said," The Palestine Question and the American Context" (Washington D.C.: Institute for Palestine Studies, 1979) p.(9).
٢٧	ستيفن غرين، "الانحياز علاقة أمريكا السرية بإسرائيل" (القدس: الخدمات البشرية المستقلة المحدودة، ١٩٩٢) ص ٢١٦-٢١٧ والطبقة الإنجليزية ص(٢٤٣-٢٤٤)
٢٨	Dan Tschigri, "Defining the National Interest: Lessons of Early US Involvement with Palestine". American Arab Affairs, Volt- No 9 summer 1984.
٢٩	د.مصطفى عبد الغني، "حقيقة الغرب بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية "(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١) ص(١٣).
٣٠	(الحياة الجديدة، ١٥/١٠/٢٠٠١) نقلاً عن جريدة معارف الإسرائيلية

الفصل الحادي عشر
العدوان على لبنان
والمقاومة في فلسطين من مسعدة إلى جنين
٧٣م - ٢٠٠٦م
وأمريكا التي ألغت الحق في مقاومة الاحتلال
وأعطت نفسها حق استعمار الشعوب في القرن عشرين

الفصل الحادي عشر
العدوان على لبنان
والمقاومة في فلسطين من مسعدة إلى جنين
٧٣م - ٢٠٠٦م
وأمريكا التي ألغت الحق في مقاومة الاحتلال
وأعطت نفسها حق استعمار الشعوب في القرن العشرين

تمهيد: قصيدة من المقاومة العربية والإسلامية إلى الرئيس جورج بوش مقتطفات من قصيدة الشاعر الفلسطيني لطفي زغلول:

يا صاحب القوة في البرّ
وفي البحار والأجواء...
قل ما تشاء
واتهم بالعنف والإرهاب ما تشاء
حرّض علينا أشرس العتاة والأعداء..
دماؤنا أمطار.. حياتنا أخطار
ولم نزل على ترابنا نرفض..
الركوع والخضوع والرحيل
فنحن شعب قهره وصهره ..
بالنار والحديد مستحيل
ونحن قرّرنا وما زال هو القرار
نضالنا الخيار..
قل ما تشاء هذه بلادنا
ترابها ..تاريخنا..تراثنا.. أمجادنا
وصية أوصى بها أجدادنا..
حتى تعود حرة لأهلها بلادنا   (عن الحياة الجديدة ٨/١[illegible]٢٠٠[illegible])

١١- ١ حرب لبنان عام ٢٠٠٦م حرب أمريكية بالوكالة

مما لا جدال فيه أن إسرائيل قاعدة للغرب في المشرق، وأنها اليوم ذراع أمريكا في المنطقة، تستعملها متى تشاء و[illegible] تشاء. ويقوم مبدأ الرئيس

الأمريكي الأسبق نيسكون : "نحن نقدّم خراطيم المياه، فيما هم (أي وكلاؤنا المحليّون مثل الإسرائيليين) يقدمون رجال الإطفاء".(١)

وفي عامي (١٩٦٧م)، (١٩٨٢م) "قدّمت أمريكا لوكيلها –إسرائيل- الأسلحة والخطط والدعم، من أجل إخضاع مصر وسوريا والمقاومة الفلسطينية وتحجيم العراق. وكانت خطة غزو لبنان جاهزة عام (١٩٨٢م) وكانت أمريكا ووكيلها يتحينون الفرصة لإيجاد عذر للغزو، فوجدوه في محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن. وعندما قام حزب الله بأسر جنديين إسرائيليين، كانت إسرائيل وأمريكا قد قررتا وخططتا من جديد لضرب لبنان، وكانتا تبحثان عن عذر أو فرصة مناسبة لتنفيذ خطتهما المشتركة.

ويوضح العميد الركن الدكتور أمين محمد حطيط خلفية حرب لبنان الأخيرة، ويؤكد دور أمريكا فيها فيقول:

" لقد أريد لها أن تكون المدخل إلى إعادة صياغة الشرق الأوسط الجديد، أو الكبير، أو بالأصح الشرق الأوسط المستعمر أمريكيا ... لقد حاولت أمريكا أن تستثمر احتلالها للعراق وتفرض على كل دول المنطقة الخضوع فاصطدمت بعقبات ثلاث: الأولى في إيران ... والثانية في سوريا ... والثالثة في حزب الله الذي هزم إسرائيل عام (٢٠٠٠م) واستمر في بناء قدرة عسكرية فريدة من نوعها ... وصاغ هيكلية عسكرية ذات قدرات مناسبة لتشكيل تهديد جدي لإسرائيل يمكّن الحزب من شل قدراتها إذا شاءت العمل بسياسة "الذراع الطويلة" القادرة على التأثير في كامل الشرق الأوسط لخدمة المصالح الأمريكية الإسرائيلية المشتركة. لقد قامت أمريكا بالعمل منفردة أو مع تابعين أو حلفاء لها مباشرة، أو بشكل غير مباشر عبر الاستدراج واستصدار القرارات الدولية ضد هذا وذاك من عناصر الفريق الممانع. وكان الأهم في ذلك القرار (١٥٥٩) الذي اختصر المسألة بتغيير النظام في لبنان وعزل سوريا وتجريد حزب الله من سلاحه، والأمر الأخير هو بيت القصيد. لكن تبيّن لأمريكا أن أحداً في الداخل لا يستطيع تنفيذ القرار، فقررت تكليف إسرائيل بالمهمة".(٢)

ويؤكد ذلك سياسيون ومختصون عديدون، منهم على سبيل المثال الصحفي البريطاني المتخصص في شؤون الشرق الأوسط "باتريك سيل" **(Patrick Seale)** الذي قال: "الولايات المتحدة وإسرائيل تحاربان وتفشلان في ثلاث جبهات: العراق ولبنان وفلسطين ... والحرب في لبنان وفلسطين هي حرب أمريكية – إسرائيلية، تم التخطيط المشترك لها سلفا، وشنت بتنسيق استراتيجي تام." (٣)

وذكرت وكالة "نوفوستي" للأنباء بتاريخ (٢٠٠٦/٠٩/٠١م) **أن الإدارة** الأمريكية كانت تنوي ضرب إيران. وخشي أصدقاء إسرائيل **أن يقصف حزب**

الله في هذه الحالة إسرائيل، فاقترحوا على إسرائيل أن تقوم بالسبق في توجيه الضربة الأولى وتعطي بالتالي الضوء الأخضر للقصف الأمريكي لإيران".

وتحت عنوان: "الحرب غير المشروعة التي تشنها أمريكا بالوكالة على لبنان" كتب السياسي الأمريكي والمحاضر وعالم النفس "ألين رونـ د" (Allen Rolland): "الولايات المتحدة منهمكة الآن في حرب بالوكالة في لبنان، فقد قدّمت أمريكا لإسرائيل مساعدات عسكرية بمبلغ (٨,٤) بليون دولار بين عام (١٩٩٧م) و(٢٠٠٤م)، كما أن سلاح الطيران الإسرائيلي يستخدم الآن مقاتلات أمريكية أصلية، ويمنع استعمالها منعاً باتاً لأي غرض آخر، باستثناء أمن أمريكا الداخلي، وللدفاع عن النفس"(٤)

وجاء في البيان الذي أصدره مركز العمل الدولي (International Action Center (www.workers.org):

"الدماء التي تسيل في غزّة ولبنان هي على أيدي "جورج بوش". فالقنابل، والقذائف، والصواريخ التي تدكّ المدن اللبنانية والفلسطينية والقرى ... جميعها مصنوعة في أمريكا، وكذلك الطائرات والمدافع التي تقذفها. الهجوم الإسرائيلي على غزّة ودولة لبنان ذات السيادة، هو جزء من حرب بوش ضد العراق، وجزء من الحرب التي عمرها عقد ضد الشعب العربي وشعوب الشرق الأوسط. نظام بوش يدفع فواتير آلة الحرب العسكرية الإسرائيلية، وقد أعطاها الضوء الأخضر للذهاب للحرب. وأمريكا تستخدم الأزمة التي صنعتها إسرائيل عذرا للهجوم على سوريا وإيران".

وفي مقابلة إذاعية قال رئيس وزراء إسرائيل الأسبق "بنيامين نتنياهو": "إنّ الهجوم الإسرائيلي على لبنان نوع من تقسيم العمل، أي يأخذ الإسرائيليون شبابهم ضد لبنان، بينما يأخذ الأمريكيون شبابهم ضد إيران، لقد كان الأمريكيون ولا يزالون متورطين في هذا الأمر". وأكد الأكاديمي البريطاني المتخصص في شئون الشرق الأوسط "روجر أوين" أن إسرائيل فشلت فشلاً ذريعاً في استخدام قوتها الجوية في السيطرة على أراضٍ كانت قد احتلتها في السابق، خصوصاً في العثور على صواريخ حزب الله وتدميرها، وقال إن التبرير الذي تطرحه الولايات المتحدة بشدة هو أن الطرفين- إسرائيل ولبنان- "أديا مهمة الوكيل عن كل من أمريكا وإيران في إطار صراع أشمل يهدف إلى بسط القوة والنفوذ في منطقة الشرق الأوسط". وتساءل:"لماذا إذاً التركيز على الفكرة القائلة إن الصراع لم يكن حقيقيا بل بالوكالة؟ في هذا الإطار، يمكن القول إنه فيما يتعلق بالولايات المتحدة على الأقل،فقد أتى التحريض الأكبر من

بقايا المحافظين الجدد الذين شهدوا تراجع قوة ونفوذ أمريكا في العراق ورأوا في الاضطراب الموجود على الحدود اللبنانية-الإسرائيلية فرصة أخيرة أمام الولايات المتحدة لتعيد ترتيب أوراق الشرق الأوسط من خلال حملة منظمة ضد النفوذ السوري والإيراني... وفي حال صح هذا التحليل، فإنّ تداعيات فشل العملية العسكرية التي شنتها إسرائيل على لبنان هائلة.(٥)

١١-١-١- أهداف أمريكا وإسرائيل الحقيقية في شن الحرب وموعد التخطيط لها

لم يكن الهدف الحقيقي لشن الحرب تحرير الجنود الإسرائيليين الذين أسرهم حزب الله، فهذا كان مجرد عذر كاذب. وقد سبق أن هاجم حزب الله إسرائيل وأسر إسرائيليين ولم تقم إسرائيل بشن حرب كهذه على لبنان، لأن سيدها الأمريكي لم يكن آنذاك يريد الحرب.

وفي تقرير كتبه الصحفي الأمريكي البارز "سيمور هرش" (Hirch) ونشرته مجلة "ذي نيوركر" الأمريكية حول دور الإدارة الأمريكية في مساعدة إسرائيل في التخطيط وتنفيذ الحرب على لبنان أشار التقرير إلى تورط أمريكا مع إسرائيل في هذه الحرب لتحقيق أهداف سياسية وعسكرية منها تحطيم ونزع سلاح حزب الله والمجموعات الفلسطينية، وجعل الهجوم وضرب إيران أكثر سهولة وقابلية. وجاء في التقرير أنّ الرئيس الأمريكي جورج بوش والبيت الأبيض يجدون الوقت مناسبا لتوجيه ضربة وقائية وقاسية إلى حزب الله، وأضاف لقد كانت نيتنا أن نقوم بهذا العمل وحدنا دون مساعدة إسرائيل، فجاءت الفرصة المواتية والمناسبة لأن تقوم إسرائيل بهذه المهمة نيابة عنا ... كان تركيز بوش على تدمير وقصف صواريخ حزب الله وذلك تجنبا لأي تهديد ممكن لإسرائيل في حال قيام أمريكا بضرب المنشآت النووية الإيرانية".(٦)

كانت تلك هي الأهداف الحقيقية والأساسية لحرب لبنان. أما أهداف إسرائيل المعلنة فقد تمثلت في استعادة الجنديين الأسيرين، وتصفية قيادة حزب الله عامة، والسيد حسن نصر الله خاصة، وتدمير قدرة المقاومة اللبنانية وإبعادها عن الحدود الإسرائيلية، واستعادة "هيبة الردع" أو "ترميم قوة الردع الإسرائيلية التي خُدِشت في أعقاب أسر حزب الله الجنديين الإسرائيليين".(٧)

ومما يؤكد كذب أمريكا وإسرائيل في إدعائهما بأنّ هدف الحرب الأول يتمثل في تحرير الجنديين الإسرائيليين لدى لبنان، ما تؤكده المصادر الأمريكية والإسرائيلية من أنّ تلك الحرب قد تم التخطيط المشترك لها قبل الحرب بمدة طويلة، رغم تناقض مواعيد بدء ذلك التخطيط. وعلى سبيل المثال، ذكر الكاتب "ماثيو كالمان" في عدد جريدة (Chronicle Foreign Service) الصادر بتاريخ (٢٠٠٦/٠٧/٢١م) ما يلي:

قال "غيرالد ستينبرغ" (Gerald Steinberg) أستاذ العلوم السياسية في جامعة بار إيلان الإسرائيلية، إنّ الاستعدادات لتلك الحرب بدأت في شهر أيار عام (٢٠٠٠م) مباشرة بعد الانسحاب الإسرائيلي من لبنان بسبب عدم منع صواريخ حزب الله من مهاجمة إسرائيل ... وقبل عام (٢٠٠٥م) أجرى ضابط كبير محادثات في أمريكا -وغيرها- قال فيها إنّ إسرائيل ستشن حربا على لبنان مدتها ثلاثة أسابيع: الأسبوع الأول يركز على تدمير صواريخ حزب الله الثقيلة والبعيدة المدى ... وفي الأسبوع الثاني سيتركز الهجوم على مواقع فردية لإطلاق الصواريخ ومخازن الأسلحة، وفي الأسبوع الثالث ستدخل القوات الأرضية لبنان بأعداد كبيرة فقط لتدك الأهداف التي تم التعرف عليها من عمليات الاستكشاف، ولم تكن هناك خطط لإعادة احتلال لبنان".

يلاحظ أنّ الحرب فعلاً سارت طبقا لهذا المخطط، ولكن الرياح جرت بما لا يشتهي "بوش" و"أولمرت".

وذكر "جوان كول" (Juan Cole) رئيس المعهد الدولي الأمريكي (Global American Institute) أنّ حرب لبنان خطط لها قبل سنة من موعدها على الأقل.(٨)

وطبقا لوكيل وزارة الخارجية الأمريكية السابق "ريتشارد أرميتاج"، فإن ضرب حزب الله كمقدمة "لضرب وردع إيران" كان متداولا على مستويات سياسية رفيعة بين إسرائيل وأمريكا منذ عام (٢٠٠٢م).(٩)

١١-١-٢- إسرائيل ارتكبت جرائم حرب في لبنان

ارتكبت إسرائيل في حربها على لبنان جرائم حرب، وقد أدانت منظمات دولية وإسرائيلية وإسرائيليون حكومة إسرائيل بسبب جرائم الحرب تلك. فقد اتهمت منظمة العفو الدولية إسرائيل بارتكاب جرائم حرب في لبنان خلال معاركها الأخيرة مع حزب الله، معتبرة أنّ الجيش استهدف بشكل متعمد منشآت مدنية.(١٠) ووصف المركز الإسرائيلي لحقوق الإنسان "بتسيليم" الهجمات العسكرية التي تشنها إسرائيل على لبنان بأنها جريمة حرب، حيث قتلت مئات المدنيين، وهاجمت البنى التحتية، وأنّ هذه الهجمات تشكل عقابا جماعيا محظورا.(١١)

وذكرت جريدة "هآرتس" الإسرائيلية أنّ إسرائيل أسقطت أكثر من (١,٢) مليون قنبلة عنقودية على لبنان، وقنابل فوسفورية يحظر القانون الدولي استعمالها ضد البشر.(١٢) واتهم "دان ياهف" المحاضر في جامعة "حولون" الإسرائيلية إسرائيل بارتكاب جرائم حرب، وعرّف جرائم الحرب على أنها

"قتل سكان مدنيين في أرض محتلة، أو داخل بلد محتل واضطهادهم وطردهم". وبعد أن استعرض بعض جرائم القتل والطرد التي قامت بها إسرائيل ضد شعب فلسطين، قال: "إنّ أعمال القتل والاضطهاد والطرد هي إذن من الأركان الأساسية لتعريف مفهوم جرائم الحرب فهل نحن بريئون منه؟".(١٣)

١١-١-٣- إسرائيل لم تنتصر في الحرب لأنها فشلت في تحقيق الأهداف التي شنتها من أجلها

لأول مرة في تاريخ إسرائيل يقلد الإسرائيليون المهزومون العرب الذين هزموا مرارا والذين كانوا يحاولون التخفيف من حدّة الهزيمة بالتلاعب بالألفاظ التي لا تسمن ولا تغني من جوع. ففي عام (١٩٦٧م) لم يعترف العرب بأنهم هُزموا رغم احتلال إسرائيل أراضي أربع دول عربية، وأطلقوا اسم "النكسة" على تلك الحرب وليس هزيمة.

ويذكر الباحث العربي مهند مصطفى، المحاضر في مركز الدراسات الإستراتيجية بأم الفحم في إسرائيل، أنّ المحللين الإسرائيليين يمتنعون عن "وصف الحرب في لبنان بأنها هزيمة، بل يطلقون على ما حدث "فشل" وليس هزيمة" (هآرتس، ٢٠٠٦/٠٨/١٥م).(١٤)

ويكون الحكم على نتيجة الحرب بالنصر أو الهزيمة عادة بمقارنة الأهداف التي حدّدت لها بالنتائج التي تم إحرازها. وسبق أن أوضحنا الأهداف المشتركة لإسرائيل وأمريكا من شن الحرب ضد لبنان والتي تتلخص إسرائيليا في استعادة الأسيرين الإسرائيليين، والتخلص من قيادة حزب الله، وصواريخه، ومخازن أسلحته، ومنع قواته من التواجد في جنوب لبنان، وتحطيم معنوياته وتهميش أنصاره في النسيج السياسي اللبناني، وأن تدب الرعب في قلب المقاومة الفلسطينية لتيأس وتتوقف عن المقاومة أو على الأقل، عن إطلاق الصواريخ ضد إسرائيل. وعلاوة على ذلك، فقد شعرت إسرائيل بأن قوة الردع لديها قد تآكلت في أعقاب الانسحاب الأحادي الجانب من لبنان ومن غزّة، والذي لم يضع حدّا لإطلاق صواريخ حزب الله والمقاومة الفلسطينية، لذلك كانت بحاجة إلى "استعادة" أو "ترميم" قوة الردع، كما ذكرنا أعلاه.

أما بالنسبة لأمريكا، فمن الواضح أن هيبتها أصبحت في الحضيض بعد الضربات والفشل العسكري والسياسي الذي واجهها في أفغانستان والعراق وفلسطين، وفي أعقاب التحدي الإيراني. ومن هنا فقد كانت تهدف إلى تحويل الأنظار عن فشلها في تلك الجبهات وأيضا "ترميم هيبتها" وذلك بتوجيه ضربة لحزب الله، والضغط على سوريا، قبل القيام بضربة استباقية لإيران، حيث أنّ الضربة التي وجهت لحزب الله كانت رسالة واضحة لإيران وسوريا معا.

وتشير جميع الدلائل إلى أن إسرائيل لم تنتصر في حرب لبنان وأنها فشلت في تحقيق أهداف تلك الحرب. ولإثبات صحة ذلك نستشهد بما ذكره خبراء وعسكريون وسياسيون غربيون وإسرائيليون بهذا الشأن، والتي تؤكد أنّ إسرائيل هزمت في تلك الحرب، وأن حزب الله ولبنان رغم التدمير الهائل والخسارة الكبيرة في الأرواح والممتلكات، إلا أنهما لم يهزما لأن أهداف إسرائيل وأمريكا من الحرب لم تتحقق، وجاءت بنتائج عكسية. والأهم من هذا، أنّ إرادة لبنان وإرادة حزب الله لم تهزم، بل ارتفعت معنويات لبنان، مقابل الهبوط الحاد في معنويات إسرائيل الذي لم يشهد له مثيلا منذ قيامها.

وعلى سبيل المثال، لنقرأ ردّ الطيار والخبير العسكري الإسرائيلي "روبين بدهتسور" على أسئلة صحفية بشأن الحرب، نشرت في "قضايا عسكرية" العدد (٢٣) الصفحات (٣٩-٤١):
سؤال: لكن إسرائيل لم تحقق شيئا من شن هذه الحرب على لبنان. فهي لم تتمكن من إعادة الجنديين المأسورين ولم تتمكن من إبعاد مقاتلي حزب الله من جنوب لبنان وقوات حزب الله وملاجئها وأسلحتها ما زالت في جنوب لبنان على مسافة قصيرة من الحدود مع إسرائيل ... هل ترى أن إسرائيل حققت شيئا؟
جواب: اسمع... يمكن أن تأخذ الأهداف التي أعلن عنها أولمرت في بداية الحرب والتي ذكرتها في سؤالك، وأعتقد أننا لم نحقق أيّا منها، فهذه الأهداف التي وضعتها إسرائيل كانت غير واقعية.
سؤال: هل توجد "قوة ردع" إسرائيليا؟
جواب: نحن نعلم بأنه حتى اليوم لم تجرؤ أية دولة عربية على إطلاق صواريخ على الجبهة الداخلية الإسرائيلية، باستثناء صدام حسين (في حرب الخليج عام ١٩٩١م)، وكانت هناك محاولة للسوريين في حرب العام (١٩٧٣م). وها نحن نرى خلال حرب لبنان الثانية أنّ منظمة صغيرة مثل حزب الله جعلت نصف الدولة "تقبع في ملاجئ" طوال (٣٣) يوما خلال حرب لبنان. وبهذا المفهوم، صحيح أنه لم تعد هناك قوة ردع إسرائيلية، وانتهاء الحرب من دون أن تحقق إسرائيل من خلالها إنجازات سينعكس بشكل سلبي على صورة إسرائيل أمام العالم وخصوصا أمام العالم العربي. "

وبالنسبة لهدف إسرائيل في "تحقيق" أو "ترميم" الردع، يستشهد الباحث "مهند مصطفى" بآراء إسرائيليين، ومن ضمنهم "موشيه أرنس" وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق، فيقول في مجلة(قضايا إسرائيلية، العدد (٢٣) لعام ٢٠٠٦م، صفحة (٥٠، ٥٣):

"يعتقد بعض الباحثين الإسرائيليين أنّ إسرائيل فشلت في خلق معادلة ردع أمام حرب العصابات والمنظمات المسلحة، وهنالك من يتبنى توجهاً راديكالياً ويقول أن إسرائيل لم تملك أبداً ردعاً كهذا على

الإطلاق، بل ملكت ردعاً أمام الدول العربية فقط. "في السنوات الخمسين الأخيرة لم تردع إسرائيل المنظمات المسلحة وحرب العصابات، ولم تمنع هجوما على المدنيين الإسرائيليين. عمليات الرد في سنوات الخمسينيات لم تمنع استمرار الهجوم على التجمعات الإسرائيلية ... لم تمنع الانتفاضة الأولى والثانية، ولم تردع نشاطات حزب الله، أو منتحرين فلسطينيين" هآرتس، ٢٠٠٥/١٢/٢٦م. (ص٥٠)... ولخص موشيه أرنس وزير الأمن الإسرائيلي السابق الحرب على لبنان في مقالة نشرها في صحيفة هآرتس قال فيها "الحرب التي كان من المفترض بها حسب قول قادتنا، أن تعيد بناء قوتنا الردعية، نجحت في تدميرها خلال شهر واحد. الرسالة الواضحة لن تغيب عن أنظار حماس والسوريين والإيرانيين، وربما أيضا عن أنظار بعض جيراننا الذين تنازلوا عن خيارهم العدائي خلال سنوات طويلة. (هآرتس، ٢٠٠٦/٠٨/١٢)."

وذكر البروفيسور الإسرائيلي "أفنير غلعادي" أنه من الناحية العسكرية فشلت حكومة إسرائيل "فشلا ذريعا وظهر ضعف هذا الجيش الذي لا يستطيع أن ينتصر كما يبدو في حرب العصابات. (١٥)

وقال الخبير العسكري والاستراتيجي الأمريكي البارز في مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية في واشنطن "أنتوني كوردسمان": إنّ أخطر النتائج التي أسفر عنها العدوان الإسرائيلي على لبنان الذي استمر (٣٣) يوما هي الشعور السائد لدى قوات الاحتلال الإسرائيلي بتقلص قدرتها على الردع في الوقت الذي لم تعد المناطق العازلة والأمنية تنفع كوسيلة فعالة في حماية أمن إسرائيل ومستوطنيها، فيما يسود الانطباع في أوساط الإسرائيليين بأنّ الحرب غير المتكافئة مفيدة لحزب الله ومنظمات المقاومة الفلسطينية وأنّ جدار الفصل الذي تقيمه سلطات الاحتلال الإسرائيلي في الضفة ليست وسيلة فعالة للدفاع عن إسرائيل حيث يمكن لرجال المقاومة تجاوزها ... واعتبر كوردسمان أنّ الحرب كانت في نهاية المطاف تخدم أغراضا سياسية، وفي هذا المجال فإنّ حزب الله قد حقق نصراً سياسياً يزيد منه عدم قدرة أي طرف آخر على منافسته في تقديم المساعدات للمتضررين من العدوان الإسرائيلي وبرامج إعادة الاعمار.(١٦)

وقال المحلل العسكري الإسرائيلي "زئيف شيف" (هآرتس، ٢٠٠٦/٠٨/١١) أننا "تلقينا صفعة". يبدو أن المصطلح الأكثر ملاءمة هو "ضربة قاضية"، نحن لسنا أمام فشل عسكري فقط، هذا فشل استراتيجي لم تتضح بعد تبعاته وإسقاطاته السلبية بعيدة المدى. ومثل الملاكم بعد أن يتلقى الصدمة، نحن ما زلنا جاثمين على الأرض في شبه إغماءة محاولين فهم ما حدث لنا. مثلما أفضت حرب الأيام الستة إلى تغيير استراتيجي في الشرق

الأوسط وتكريس مكانة دولة إسرائيل كدولة إقليمية عظمى، قد تؤدي حرب لبنان الثانية إلى عملية معاكسة. فشل الجيش الإسرائيلي في القتال يقضم ثروتنا الأهم بالنسبة للأمن القومي – صورة الدولة القوية الجبارة التي تمتلك جيشا ضخما وقويا ومتطورا قادرا على ضرب أعدائنا وتوجيه ضربات ساحقة لهم إن تجرأوا فقط على التحرش بنا. هذه الحرب، كما اتضح بسرعة كبيرة جداً، كانت حربا على "الوعي" و"الردع" وقد فشلنا في الحالتين.(١٧)

١١-١-٤- بعض نتائج حرب لبنان والعبر المستخلصة منها

أ- على لبنان وإسرائيل

لا نهدف مناقشة نتائج حرب لبنان بالتفصيل، بل نكتفي بإلقاء نظرة سريعة من أجل إعطاء صورة عن نتائج تلك الحرب والعبر المستخلصة منها، عن طريق الاستفادة من تحليلات وآراء المختضين، وخاصة الغربيين والإسرائيليين.

وبدون الخوض في إحصاءات وأرقام الخسائر المادية، فقد توصل الإسرائيليون إلى قناعات ونتائج جديدة لم يحدث أن توقعوها، ومن أمثلة ذلك:

- كانت هذه هي المرة الأولى التي يتحدى فيها أحد في الشرق الأوسط دولة إسرائيل تحديا حقيقيا ويخرج من غير أن يصاب تقريبا. (إسحق ابن يسرائيل - معاريف، الحياة ٢٠٠٦/٠٨/٠٨م).
- كانت أسطورة إسرائيل التي لا تقهر تتهاوى خلال الأسبوعين الأولين للقتال، ورأى العالم جنود حزب الله الماهرين جدا والمدربين والمنظّمين يربحون الحرب.

  ومع تهاوي أسطورة عدم قابلية إسرائيل للانهزام، تهاوت أسطورة التفوق التكنولوجي الأمريكي ... ففي هذه الحرب تحطمت سيطرة الغرب على شواطئ التاريخ. (كريس فويدز Chris Voides) انترنت ٢٠٠٦/٠٩/٢٠م.
- فشل الحرب الخاطفة والمدمرة التي تعتمد على التفوق الجوي في حسم المعركة خلال فترة زمنية قصيرة، حيث أخفق سلاح الجو الإسرائيلي بضرب منصات الصواريخ، بل فاجأت المقاومة بقدرتها على التحكم بالتوقيت وحجم الوجبات الصاروخية. (فادي نحاس – محاضرة بالكلية العربية للتربية في حيفا، أوراق إسرائيلية، العدد (٢٣) لعام ٢٠٠٦، ص ٨).
- عدم نجاح الجيش الإسرائيلي بتصفية الرموز القيادية لحزب الله، مما عزّز روح المقاومة من جهة، وأفشل أول هدف معلن لذلك الهجوم، حيث اعتبرت إسرائيل بأنّ قتل السيد حسن نصر الله أو تصفية أبرز

القياديين عنصراً أساسيا لإعادة "هيبة" الردع الإسرائيلي. (المصدر نفسه).

- نجحت المقاومة منذ الأيام الأولى لهذا العدوان في تحقيق مكاسب إستراتيجية وعسكرية حينما أنزلت ضربات موجعة للجيش الإسرائيلي والجبهة الداخلية، مثل قصف السفينة الحربية (ساعر)، ضرب مناطق عسكرية وإستراتيجية داخل إسرائيل، وإسقاط مروحية عسكرية... (المصدر نفسه).
- ويعدد المحاضر في الكلية العربية بحيفا "فادي نحاس" الأسس الإستراتيجية الإسرائيلية التي حطمتها حرب لبنان فيقول:

١- الاعتماد الأساسي على التفوق الجوي، القادر على إحداث شلل تام لحركة العدو.
٢- ضرورة حسم المعركة خلال فترة زمنية قصيرة.
٣- ضرب وتدمير البنية التحتية وقتل المدنيين قد يساهم في ردع العدو عن المبادرة بالهجوم.
٤- تصدير الحرب بشكل كامل إلى أرض العدو لتفادي الخسائر البشرية ولكونها غير قادرة على تحمل أية ضربة على المدنيين، وخاصة أن إسرائيل لا تملك عمقا إستراتيجيا واسعا.
٥- خوض الحرب دون تكبد خسائر بشرية، أي خوض حرب "دون ضحايا".(١٨)

ويؤكد ما سبق ويضيف إليه دروسا جديدة تستخلص من حرب لبنان الأستاذ عمر حلمي الغول فيقول:

أولا: التأكيد على إمكانية هزيمة الدولة العبرية.

ثانيا: سقوط نظرية الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر.

ثالثا: فشل سلاح الجو في تحقيق أي مكاسب حتى ولو محدودة للدولة العبرية، التي كانت تعتبره السلاح الأمضى في حسم معاركها المختلفة مع الجيوش العربية والمقاومة الفلسطينية.

رابعا: عدم قدرة إسرائيل على تحمل الحروب الطويلة.

خامسا: هشاشة وضعف قدرة المجتمع الإسرائيلي على تحمل أي خسائر جدية في الأرواح أو في الممتلكات.

سادسا: الفشل الذريع للاستخبارات الإسرائيلية في الحصول على أي معلومات أمنية عن حزب الله: قواته، أسلحته، أساليب وأشكال قتاله، طرق ووسائل تحصيناته، وهذا يعود لمتانة الجبهة الداخلية لحزب الله.

سابعا: <u>الحرب أضعفت وهزّت مكانة الدولة العبرية كدولة منتجة للأمن وحارسة للمصالح الغربية الرأسمالية وتحويلها إلى دولة مستهلكة للأمن، **أي** حاجتها للحماية والرعاية الغربية وخاصة الأمريكية. (١٩)</u>

وقد شكلت الخسائر البشرية صدمة للإسرائيليين الذين اعتادوا أن يوقعوا خسائر كبيرة في الجيوش العربية التي كانت تفر أمامهم، وغالبا قبل بداية الاشتباكات. أما في حرب لبنان، وفي المقاومة الفلسطينية، فقد ارتفعت نسبة خسائر الإسرائيليين بشكل لم يعتادوه من قبل. وحسب المعلومات الصحفية، وموقع الحكومة الإسرائيلية على شبكة المعلومات العالمية (الانترنت)، تقدّر خسائر إسرائيل في هذه الحرب بحوالي (١٦٠) قتيلا من المدنيين والعسكريين، كما تقدّر خسائر الجانب اللبناني بحوالي (١٢٠٠) شهيد من المدنيين والعسكريين.

وبدون الخوض في أرقام الخسارة المادية في المعدات والبنية التحتية، فقد تسببت الحرب في تدمير هائل للأبنية والمكاتب والدوائر والبنية التحتية في لبنان، كما تسبب لأول مرة في تاريخ إسرائيل بخسائر في الأبنية والمكاتب والبني التحتية، وإن كان بدرجة أقل مما حدث في لبنان.

وكان من أهداف إستراتيجية إسرائيل في الضرب الصاروخي المكثف والتدمير الهائل للبنية التحتية - والتي وصفت بأنها جرائم حرب- تأليب اللبنانيين ضد حزب الله كخطوة للإيقاع بينه وبين الشعب اللبناني بشكل عام، إلا أن الإستراتيجية الإعلامية لحزب الله، وإعادة النازحين، وإعادة تأهيل الذين فقدوا منازلهم بسرعة، أحبطت المخطط الإسرائيلي، وبدلا من ذلك فقد التفّ اللبنانيون خلف المقاومة، بل التحموا بها التحاما لا انفصام معه، وجاءت النتيجة عكس ما خطط له محور الشرّ الأمرو- صهيوني في واشنطن وتل أبيب وأعوانهم في المشرق.

ورغم التدمير الهائل الذي حل بلبنان، فإن تصدي مقاتلي حزب الله للغزو، ووقفته الباسلة في وجه الغزاة، والخسائر التي ألحقها بهم على أرض لبنان، والضربات التي وجهها لشمال إسرائيل والعمق الإسرائيلي، أدّت إلى رفع معنويات الشعبين اللبناني والفلسطيني بشكل خاص، والعرب والمسلمين والمظلومين في العالم بشكل عام.

وخلافا لجميع الحروب السابقة، لم تسلم إسرائيل من تدمير المنازل والبنية التحتية في هذه الحرب، بعد إطلاق آلاف الصواريخ على شمالها، وبينما خلق القصف الإسرائيلي للبنان تحدياً وصموداً ونمواً في الشعور بالكبرياء، فقد أخذت معنويات الإسرائيليين في الهبوط السريع، وعبّر الكتاب والمسئولون عن ذلك تعبيرا واضحا في كتاباتهم. وقال البروفيسور "أفنير غلعادي" المحاضر بجامعة حيفا: "إن مليون ونصف إسرائيلي يمضون أوقاتهم في الملاجئ لأكثر من ثلاثة أسابيع، وهم معرضون للضرب، وقد أصيب العديد منهم، هذه الحكومة ... تدير الحرب على ظهورنا، وتريد أن تبني نفسها على الدم، فهي خاضت الحرب دون أن تعدّ وسائل ملائمة لحمايتنا من الصواريخ والكاتيوشا، إنّها تعرضنا للضرب هنا في حيفا وعكا ومجد الكروم دون أن توفر لنا حماية. (٢٠)

وقالت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية بتاريخ (٢٠٠٦/٠٧/٣١م): "هذه هي المرّة الأولى في تاريخ إسرائيل التي يتعرض فيها العمق، أو الجبهة الداخلية إلى قصف متواصل بالصواريخ لحوالي شهر كامل. وبكلمات المعلق السياسي عكيفا إلدار: "للمرة الأولى منذ حرب الاستقلال يختبئ الكثير من أبناء إسرائيل لأيام طويلة في الملاجئ، ويذوق عشرات الآلاف منهم الطعم المرّ للجوء. في صيف (١٩٦٧م) كانت ستة أيام كافية للجيش الإسرائيلي من أجل هزم جيوش مصر وسورية والأردن، لكن منذ حوالي ثلاثة أسابيع لا ينجح جيش إسرائيل الذي ازداد قوة وتقنية أضعافا مضاعفة، في إخضاع مليشيا لبنانية".(٢١)

ب- نتائج الحرب على علاقة العرب والمسلمين وأمريكا بالنزاع

يوضح الدكتور فايز رشيد بعض نتائج انتصار حزب الله في الحرب وتداعياتها، فيقول: "الانتصارات الكبيرة التي أحرزتها المقاومة الوطنية اللبنانية، المتمثلة في (حزب الله) سواء في عام (٢٠٠٠م)، عندما تمكنت من إجبار العدو الصهيوني على الاندحار من جنوب لبنان ليلا، أو في تصدّيها الصلب والموجع للعدوان الإسرائيلي في عام (٢٠٠٦م)، ولمدة تنوف على الشهر... تدعو إلى الإعجاب، وهي ستترك آثارها وتداعياتها ليس فقط في مواجهة لبنان مع إسرائيل، وإنما في مجمل الصراع العربي – الإسرائيلي، إنْ في دلالاتها الجديدة بفتح أبواب كانت مغلقة، أو في المتغيرات الإستراتيجية والعوامل المؤثرة في هذا الصراع".(٢٢)

نعم، لقد أحدثت الحرب هزّة في جميع الأطراف التي لها علاقة بالنزاع، والمؤثرة فيه؛ ومن المنتظر أن يعطي ذلك أملا بإعادة نظر جميع الأطراف فيما كان يعرف سابقا بأنه "مسلمات". فماذا سيكون موقف الأنظمة العربية التي ظلت لأكثر من نصف قرن تعتبر أنّ قدرها الخضوع لإملاءات إسرائيل؟ وماذا يكون موقف شعوبها منها بعد أن قام حزب واحد، في بلد صغير الإمكانيات المادية، لكنه غني في قيمه وقدراته العقلية ، بهزيمة أقوى جيش في المنطقة. وهناك أسئلة تختلج صدور الملايين من العرب والمسلمين الذين يقول لسان حالهم: ألم يحن الوقت لاستعادة هيبتنا وكرامتنا؟

لقد جدد انتصار حزب الله الأمل لدى العرب والمسلمين بإمكانية تحقيق النصر، وأنّ في هذه الأمة أكثر من "صلاح دين واحد"، فالرسول الصادق الأمين (عليه الصلاة والسلام) قال: "الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم الدين".

وبدأت نتائج الحرب تنعكس على أداء بعض قنوات الإعلام غير الغربي، التي دعت إلى إعادة النظر في "المسلمات" السابقة. وعلى سبيل المثال، كتبت "ماريانا بيلينكا" (Mariana Belenka) في وكالة نوفوستي السوفيتية للأنباء يوم (٢٠٠٦/٠٨/١٨م) تقول: "كشفت الحرب ضد لبنان أنّه يجب أن لا

يطلب من العرب أن يعترفوا بإسرائيل، إنما يجب على الغرب وإسرائيل والأنظمة العربية القبول بحقيقة أنّ الحركات الإسلامية الراديكالية (التي تنزع إلى إحداث تغييرات "متطرفة" في الفكرات والعادات السائدة، أو في الأحوال والمؤسسات القائمة) هي جزء لا غنى عنه من سياسات المنطقة، وأنّ تجاهلها أمر لا يجدي نفعا، وهذا يعني أنّ لدينا خياراً بين تصفيتها، والتي ثبت استحالتها، أو التوصل إلى تفاهم معها".

وفي الجانب الإسرائيلي الذي كانت ترتفع فيه عاليا أصوات "من النيل إلى الفرات"، و"الترانسفير"، و"لا يوجد شريك"، قال الكاتب الإسرائيلي عوزي بنزيمان: "القوة العسكرية أثبتت فشلها، فلنقم علاقات مع العرب، ولننسحب من الجولان والضفة".(٢٣)

وكتب المحاضر في كلية التربية بحيفا "فادي نحاس" أنّ "هذه الحرب على وجه الخصوص أظهرت إسرائيل كدولة بحجمها الطبيعي -وليس بحجم أمريكا- ... وأن الدرس الذي تعلمه أولمرت في هذه الحرب هو أنه حسم خيار الإملاء من طرف واحد عن طريق التفوق العسكري، ولن تقبل من جديد فكرة الانسحاب من طرف واحد على الأقل لدى الرأي العام الإسرائيلي".(٢٤)

ومن ناحية أثر الحرب على علاقة أمريكا بإسرائيل، فقد اتضح بأنّ الحرب هي حرب أمريكية، وأنّ إسرائيل شنتها بالوكالة عن أمريكا. وقال مستشار حكومي أمريكي على صلات وثيقة مع إسرائيل، إنّ "الإسرائيليين أخبرونا أنها ستكون حربا رخيصة غير مكلفة، وسهلة، وستحقق فوائد ونتائج عملية، فلماذا نعارض هذه الحرب ما دام الإسرائيليون قادرين على تعقب الأهداف، وقصف الأنفاق والمخابئ بسلاح الطيران، وبالتالي ستكون هذه الحرب عيّنة ومثالا لما قد يحدث لإيران".(٢٥)

والأهم من ذلك، أن بقاء ما يقرب من ثلث الشعب الإسرائيلي في الملاجئ لمدة (٣٣) يوما، في أجواء غير مريحة ومخيفة لم يعتادوها من قبل، جعل بعضهم يدرك أكثر من ذي قبل، أن أمرهم ليس بيدهم، وإنما بيد سيدهم الذي صنع لهم دولة، وأعدهم للدفاع عن مصالحه، وأنهم يفقدون شبابهم من أجل ذلك السيد. وبدأت تنتابهم هواجس الخوف من أن تقوم أمريكا بتغيير موقفها من إسرائيل بعد فشلها في القيام بالدور الذي أنيط بها منذ (١٩٤٨م).

لقد عبّر صحفيون ومحللون سياسيون عن "خيبة أمل أمريكا" من أداء إسرائيل في حرب لبنان، وعن خشيتهم من أن تعيد أمريكا النظر في موقفها الداعم لإسرائيل. والأهم من هذا كله، فقد بدأت تظهر لأول مرة أصوات تدعو إسرائيل إلى التخلي عن الالتصاق بالغرب، وإلى ضرورة الوقوف إلى جانب الإسلام "المعتدل" والحضارة الإسلامية.

وقد ظهرت مثل هذه الأصوات في مقال الكاتب العربي في إسرائيل "أنطوان شلحت" في مجلة (قضايا إسرائيلية، العدد (٢٣) لعام ٢٠٠٦م، ص ٢٨-٣١) بعنوان: "ساسة إسرائيل أسرى العسكر وواشنطن – الحرب على

لبنان وتداعياتها السياسية"، ويستشهد بآراء كتاب آخرين ، ومن ضمنهم الكاتبة الإسرائيلية "سيما كدمون " ويقول:

"البروفيسور يارون إزراحي، يدعو ("هآرتس، ٢٢/٠٨/٢٠٠٦م) إلى اجتراح "منعطف حاسم في إستراتيجية إسرائيل السياسية والثقافية".وهو يقول: بوصفها الدولة غير المسلمة الوحيدة في الشرق الأوسط، ليس في مقدور إسرائيل الاستمرار في الوجود في المنطقة طويلا إذا ما واصلت تؤدي في نظرها وفي نظر جيرانها دور رأس الحربة للكفاح الغربي ضد الإسلام. لقد نجحت إسرائيل في أن تقدم الوقود للدعم المشهدي المتدحرج لصورة الشيطان التي تخلعها عليها وسائل الإعلام الإسلامية، بالذات الآن حان الوقت لمنعطف حاد في الوعي والسياسة الإسرائيلية حيال العالم الإسلامي.يجب الوقوف الآن إلى جانب الإسلام المعتدل والظهور كمدافع عن الحضارة الإسلامية المتصلة مع اليهودية بتيارات تحت أرضية تاريخية عميقة... والمقصود الوقوف في وجه الهجوم الثقافي، الديني، الأخلاقي، والإعلامي على الإسلام، الذي يعرض نمط الحياة الإسلامي كما أنه عنيف وبدائي بصورة جوهرية.مع تواتر الحديث عن جولة مقبلة فإن المطلوب هو خيال سياسي غير مألوف وشجاعة كبيرة من أجل إيجاد جولة مقبلة تكون بمثابة منعطف حاسم في إستراتيجية إسرائيل السياسية والثقافية، المطلوب الآن هو تحوّل بمقدار (١٨٠) درجة عبر التخلي عن الطريق السياسية التقليدية التي لم تجلب لنا إلا الثمار الفاسدة."

ويتابع أنطوان شلحت حديثه فيقول: بعد شهر واحد من اندلاع الحرب نشر موقع "المجلس الإسرائيلي للسلام والأمن" الذي يضم في عضويته كبار ضباط الاحتياط في الجيش وجهاز الأمن على الشبكة العنكبوتية مقالا تحت العنوان الموحي "لننتصر أيضا من أجل العم سام" بقلم ديفيد ب. ريفكين ولي أ. كيسي، منوها بأنهما محاميان أشغلا مناصب في صياغة السياسة لدى إدارتي رونالد ريغان وجورج بوش الأب...(وقالا) "إذا فقد الجيش الإسرائيلي من هالته كجيش لا يقهر فستهبط قيمة إسرائيل كحليف للولايات المتحدة. على إسرائيل أن تخشى من فقدان صُنّاع السياسة الأمريكان إيمانهم بقدراتها على "أداء المهمة" في مواضيع ذات مصلحة إستراتيجية مشتركة.لا ينبغي بقادة إسرائيل أن يتعاملوا مع الدعم الأمريكي كما لو أنه بدهي أو مفهوم ضمنا... الشراكة الإستراتيجية بين واشنطن وإسرائيل تغذت دائما على نجاحات إسرائيل في الدفاع عن أمنها وأيضا في دفع مصالح أمريكية إلى الأمام، بدءا من إذلال زبائن الاتحاد السوفيتي العرب في فترة

الحرب الباردة، وليس انتهاء بتدمير الفرن النووي العراقي في (١٩٨١م).

عدم قدرة إسرائيل على هزيمة حزب الله حتى في المستوى التكتيكي والعملياتي على الأقل، يؤدي بها لأن تظهر كعبء أكثر من كونها حليفة مهمة ... الخطر الكامن في تقدير إسرائيل الخاطئ لصديقتها الأكثر قربا إليها يوازي إهمالها لطباع أعدائها المتغير ... وأي إنهاء للنزاع بظروف تدع حزب الله غير مستسلم سيخرب أكثر فأكثر مصداقية الغرب، ويبدّد قسما كبيرا من عامل الردع المستند إلى نجاحات الماضي الإسرائيلية منذ (١٩٤٨م) إلى أيامنا الراهنة.

وسبق لـ "سيما كدمون"، مراسلة الشؤون الحزبية في صحيفة "يديعون أحرونوت"، أن كرّرت (٢٠٠٦/٠٨/٠٧م)، التقديرات التي أذيعت هنا وهناك بأن هناك "خيبة أمل" أمريكية من أداء الجيش الإسرائيلي في الحرب على لبنان، التي بات المعلقون الإسرائيليون يجمعون على الدور الأمريكي الفاعل والمباشر في إطالة أمدها دون أن يقروا بهذا الدور الفاعل والمباشر بالقدر نفسه في شنّها ... وشدّدت كدمون داخل ذلك على أن "الموقف الذي تعرضه الولايات المتحدة في الأيام الأخيرة لا يقبل التأويل ومؤداه أن واشنطن يئست منا، وهي باتت تفهم أننا لن ننجز أكثر مما حققنا إلى الآن. بكلمات أخرى فإن نافذة الفرص العسكرية قد طرقت في وجوهنا. لقد أراد الأمريكيون إثباتات على قدراتنا إذا لم يكن (اغتيال حسن نصر الله) فعلى الأقل (السيطرة على) تحصين منيع، سفينة سلاح، شيء ما يظهر أننا بحاجة إلى مزيد من الوقت. لكن حتى هذا الأمر لم يكن في مقدورنا أن نمنحهم إياه".

١١-٢- الفرق بين المقاومة والانتفاضة وحروب إسرائيل مع الجيوش العربية ونسبة القتلى بين الطرفين

أ- الفرق بين المقاومة والانتفاضة وحروب إسرائيل مع الجيوش العربية

من المعروف أن إسرائيل صنعها الغرب لتعمل قاعدة له في المشرق، وحتى تستطيع القيام بالدور المرسوم لها، أعد لها الغرب جيشا يعتبر رابع جيش في العالم من حيث القوة والمعدات. وفي الحروب السابقة بين العرب وإسرائيل لم تكن هناك حروب حقيقية، بل كان الجيش الغربي الصهيوني يهجم، ويقتل، ويهدم، أما الجيوش العربية، فقد أجادت الفرار أمامه. وغالباً ما كان الجنود

يستبدلون ملابسهم العسكرية بملابس مدنية، وقد يخلعون أحذيتهم العسكرية، لكي لا يعرف أنهم جنود وحتى يصبحوا أسرع في الهرب.وكانت هذه هي الصفة الغالبة لحروب العرب في العصر الحديث، باستثناء حربهم مع إيران المسلمة التي دامت ثماني سنوات لأن الغرب دفعهم إليها ودعمهم لإطالة أمدها، وحرب عام ١٩٧٣. وهذا ما عبر عنه الشاعر العربي نزار قباني حين قال:

لا حربنا حرب، ولا سلامنا سلام
وموتنا مقرر
كما يكون الموت في الأفلام.....

ويقول بشأن حرب الخليج:

مضحكة مبكية معركة الخليج
فلا النصال انكسرت فيها على النصال
ولا الرجال نازلوا الرجال...
فكل ما تبقى لمتحف التاريخ
أهرام من النعال(نعال الجنود التي خلعوها وهربوا)

وفي مقابل هرب الجنود العرب أمام الإسرائيليين، وانتهاء الحرب مع الدول العربية في ساعات، أو أيام، أو أشهر، فقد أوضح الصحفي الإسرائيلي "بن كسبيت" في صحيفة "معاريف" مدى الضيق الذي يعاني منه الإسرائيليون بسبب الانتفاضة، والفروق بين الانتفاضة الفلسطينية والحروب مع الدول العربية، وقال:

على العكس من حروب ١٩٤٨ و ١٩٥٦و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ فإنّ حرب الانتفاضة لها بداية لكن لا يشاهد لها نهاية في الأفق المنظور.إننا نعيش حالة هدوء مؤقت لا نعرف ما الذي سيحدث بعده. وعلى العكس من الحروب التي تعودنا عليها لا توجد هناك خطوط واضحة ولا يوجد جيش معادي، ولن يحدث فصل قوات، **ولن يركض هنري كيسنجر إلى الكيلومتر ١٠١(كما حدث في حرب عام ١٩٧٣)، هذه حرب مغايرة، حرب حقيقية إنه صراع جوهري، صراع وجود بين قوتين متضادتين، بين شعبين يعيشان على نفس قطعة الأرض. هذه هي النواة الملتهبة للصراع وهذا هو مركز أعصاب الصراع الذي دام أكثر من ١٢٠ عاماً بين اليهود والعرب...لا توجد قوانين لهذه الحرب، كما لا توجد لها أعراف عامة ولا حدود.** يمسك كل طرف بالآخر ويشدّ الخناق عليه وينهش كل منهما الآخر وينزف الطرفان. قتل (حتى ١٥-١٠-٢٠٠٥) حوالي ٤٦٠٠ من الطرفين

(١-٣ لصالح اليهود).. سيقسم تاريخ شعب إسرائيل منذ الآن وللأبد إلى قسمين قبل أيلول عام ٢٠٠٠ وبعد هذا التاريخ، وينطبق هذا أيضا على التاريخ الفلسطيني.(٢٦)

ب- نسبة القتلى بين إسرائيل والجيوش العربية وبين إسرائيل والمقاومتين الفلسطينية واللبنانية

يذكر المفكر اليساري الفرنسي "غارودي"أن" النسبة بين عدد الموتى في جيش المستعمِر وجيش الدولة المستعمرة تصل دائماً إلى واحد مقابل ألف، وذلك بسبب التفوق التكنولوجي". و بتاريخ ٢٠٠٤/٩/٤ نقلت جريدة الحياة الجديدة الفلسطينية عن جريدة معاريف الإسرائيلية أنه خلال الأربع سنوات الماضية أصيب مواطنون إسرائيليون أكثر مما أصيب خلال أل ٥٢ سنة منذ تأسيس الدولة. هذا العدد مذهل حسب كافة الآراء. الانتحاريون (الاستشهاديون) الفلسطينيون نجحوا أكثر مما نجحت به سبعة جيوش عربية بأسلحتها الجوية والمدفعية والمدرعات خلال خمس حروب مضت. من الناحية الإحصائية أصبح الوضع في إسرائيل اليوم أكثر خطورة."

ج- خسائر إسرائيل البشرية في الانتفاضة الفلسطينية أكثر من خسائرها في حروبها مع الدول العربية

ذكرت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية أن خسائر إسرائيل البشرية في انتفاضة الأقصى كانت أكبر من خسائرها في حرب عام ١٩٦٧ مع الدول العربية، حيث وصل عدد قتلى إسرائيل في حرب الأيام الستة مع الدول العربية (٨٠٣) ، وبلغت خسائرها في حرب الاستنزاف مع مصر وسوريا والأردن منذ نهاية حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ وحتى قبيل حرب تشرين عام ١٩٧٣ (٧٣٨) قتيلاً.(٢٧) وفي المقابل، بلغ عدد القتلى الإسرائيليين في انتفاضة الأقصى (١،٠٤٨) قتيلا حسب إحصاءات جمعية بتسيلم الإسرائيلية لحقوق الإنسان. أنظر الملحق رقم (٤)

وقد وصل عدد الشهداء الفلسطينيين الذين استشهدوا في الضفة الغربية (و من ضمنها القدس) و قطاع غزة على أيدي الجيش الإسرائيلي و مدنيين إسرائيليين أثناء انتفاضة الحجارة من ١٩٨٧/١٢/٩ وحتى بداية انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠/٩/٢٨ (حسب وجهة نظر إسرائيل) (١٤٩١) . وكانت خسارة إسرائيل خلال نفس المدة(٤٢٢) إسرائيليا وبذلك تكون نسبة القتلى الإسرائيليين إلى الفلسطينيين خلال هذه المدة حسب المصادر

الإسرائيلية هي واحد إلى ثلاثة ونصف. ورغم أن العدد الفعلي لشهداء انتفاضة الأقصى أعلى بكثير مما تذكره المصادر الإسرائيلية، إلا أننا سنقارن تلك الأعداد بالنسبة لخسائر الطرفين في الأرواح مع تحفظنا عليها. أنظر الملحق رقم (٢) والملحق رقم (٣).

وبلغ عدد الشهداء الذين استشهدوا على أيدي الجيش الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ و الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨ (أي إسرائيل) ابتداء من ٢٠٠٠/٩/٢٨ وحتى ٢٠٠٦/٤/٣٠ما مجموعه (٣٤٣٥) حسب المصادر الإسرائيلية، وعدد القتلى الإسرائيليين خلال نفس المدة حسب المصادر الإسرائيلية (١٠٨٤)، وبذلك تكون نسبة القتلى الإسرائيليين إلى العرب خلال هذه المدة حسب المصادر الإسرائيلية حوالي واحد إلى ثلاثة، لصالح إسرائيل .

وفي الحرب التي وقعت صيف عام ٢٠٠٦ في لبنان بلغت خسائر اللبنانيين في الأرواح من المدنيين والعسكريين، كما أوضحنا أعلاه (١٢٠٠) وبلغت خسارة الإسرائيليين من المدنيين والعسكريين (١٦٠) حسب المصادر الإسرائيلية. وبذلك تكون نسبة القتلى الإسرائيليين إلى اللبنانيين حوالي واحد إلى سبعة ونصف، لصالح إسرائيل.

ونستنتج مما تقدم :

١- لقد أصبح واضحاً أنّ نسبة خسارة إسرائيل مقابل المقاومتين الفلسطينية واللبنانية أعلى بكثير من نسبة خسارتها في حروبها مع الجيوش العربية الرسمية.
٢- ارتفاع نسبة خسارة المقاومة اللبنانية في حرب الصيف الماضي تعزى إلى عدم التناسب بين القوتين، وأن اللبنانيين تعرضوا لعملية تدمير شامل وكانوا في حالة حصار لا مفر منه، وأن إسرائيل عندما فشلت في تحقيق أهدافها في القضاء على حزب الله، قررت الثأر من المدنيين لتثيرهم على المقاومة وعلى حزب الله بالدرجة الأولى، ولكنها فشلت في ذلك.

١١-٣- نتائج الانتفاضة والمقاومة كما عبرت عنها الصحف الإسرائيلية

نسجل فيما يلي بعض آثار ونتائج المقاومة وانتفاضة الحجارة وانتفاضة الأقصى على الإسرائيليين كما جاءت من أفواههم ، وبأقلام كتابهم وسياسييهم.

- بعد أشهر قليلة من اندلاع انتفاضة الحجارة قال رئيس حزب العمل الإسرائيلي:"لا بالمال ولا بالسلاح يمكن القضاء على الشعور القومي لمواطني الأراضي المحتلة .. إن شعور سكان هذه المناطق لا يقبل بقاءهم

تحت الحكم الإسرائيلي، فهو شعور لا يمكن القضاء عليه لا بالمال ولا بالسلاح. (٢٨)

- وقال الكاتب الإسرائيلي يوسف لبيد:"لا نستطيع السيطرة إلى أمد طويل على شعب لا يريدنا.. هذه هي النظرية.. لا يعتبر الحجر الذي رماه الولد مشكلة، وإنما الولد هو المشكلة."(٢٩)

- ورغم أن إسرائيل ظلت تدعي أن قطاع غزة جزء لا يتجزأ من أرض "إسرائيل التاريخية " ورفضت الانسحاب منه، فقد كان من نتائج انتفاضة الأقصى أن اعترف الإسرائيليون -كما عبّر عنه البروفيسور شمعون شمير من جامعة تل أبيب والذي عمل سفيرا لإسرائيل في مصر والأردن- أنه :"لا مفر من الاعتراف بأن غزة لا تعود إلى أرض إسرائيل التاريخية" .(٣٠)

- كتب الصحفي "يوئيل ماركوس" المعلق الدائم في صحيفة "هارتس"الإسرائيلية في بداية شهر آب عام ٢٠٠٢م: "فالعمليات حولت حياتنا إلى نوع من يانصيب الموت، فأنت لا تعرف من أين سيأتي و بمن سيضرب. الوضع الأمني غيّر أنماط الحياة. الناس لا يترددون إلى الاماكن العامة والسيّاح و المستثمرون لا يترددون على البلاد. الاقتصاد يعيش حالة درك أسفل والبطالة تستشري." (٣١)

- وفي آذار من عام ٢٠٠٠، كشف رئيس الأركان الإسرائيلي الأسبق" عمرام متسناع " عن أثر الانتفاضة على إسرائيل. و قال:" الاقتصاد بدأ ينهار والمناعة الاجتماعية التي أتاحت إقامة الدولة و صمودها الراسخ في مواجهة التهديدات الخارجية الموجهة ضدها خلال كل سنوات و جودها ضعفت ووهنت... آن الأوان للتركيز على الجوهر، و الجوهر هو أنّ رئيس الجيش يعترف لأول مرة أن الجيش لا يستطيع الانتصار. و أن سياسة الحكومة تمس <u>بأمن الدولة و تسبب الأضرار التي لا يمكن إزالتها للمجتمع الإسرائيلي وللجيش و الدولة. الطريق العسكري فشل و قد آن الأوان للعودة إلى المفاوضات. التاريخ لن يغفر لمن يختار إرسال أبنائه لمعركة لا حاجة لها.(٣٢)</u>

- أجبرت الانتفاضة المسئولين الإسرائيليين على الاعتراف بضرورة إنهاء احتلال الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، ومن أمثلة ذلك ما كتبه الكاتب اليساري الإسرائيلي " ب. ميخائيل" في صحيفة " يديعوت ":

"بالتأكيد ليس لطيفا الاعتراف بأن الدبابة، والمروحية والوحدة الخاصة فشلت في و قف البنادق و العبوات الناسفة. ليس لطيفا، و لكن الحقيقة: لولا الانتفاضة، لما قال شارون (" كفى للاحتلال ").(٣٣)

- وتحت عنوان "فشل النظرية الأمنية مرة أخرى ، كتب الصحفي الإسرائيلي "اليكس فيشمان" في جريدة "يديعوت أحرونوت"، في أعقاب العملية التي نفذتها الاستشهادية الفلسطينية المحامية هنادي جرادات في مطعم مكسيم في حيفا وأدت إلى مصرع ٢٢ إسرائيليا وإصابة العشرات:

" بعد مرور ثلاثين عاماً، مفاجأة جزع ، صدمة، حينئذ قبل ٣٠ عاماً كانت هذه حرباً على البيت الذي أوشكنا على فقدانه بسبب النظرية الأمنية الخاطئة. واليوم أيضاً كانت هذه حرب استنزاف دفاعاً عن البيت حيث تعتبر المذبحة في مطعم مكسيم معركة أخرى في خضم هذه الحرب. اليوم أيضاً نجد أنفسنا في إطار نظرية خاطئة، إذا لم نَصْحُ منها فقد نفقد البيت ونخسره. يحدثوننا عن قادة الإرهاب الفلسطيني الذين إن قضينا عليهم وقطعنا دابرهم فسنصل إلى النصر والحسم، إلا أن هذه الحرب ليست ضد عرفات أو أشخاص بعينهم، وإنما هي ضد المجتمع بأكمله. المجتمع هو الذي ينتج الانتحاريين مثل "المخربة" التي فجرت نفسها في مطعم مكسيم، وسرعان ما تظهر طبعة مكررة منها في العملية القادمة. وإلى أن ندرك أننا نعيش في نظرية خاطئة تجدر إعادة النظر فيها – سنواصل دفع الثمن".(٣٤)

- و عبّر " إيتان هابر " رئيس ديوان " رابين " سابقاً لصحيفة " يديعوت " عن يأس إسرائيل من القضاء على المقاومة الفلسطينية للاحتلال و قال بأسلوب ساخر: " قال قائد بارز في الجيش " بالأمس قتلنا خلية من خمسة مخربين في رفح، و بالأمس قتلنا خلية من ثلاثة مخربين في نابلس، و اليوم قتلنا خلية من أربعة مخربين في جنين – والآن لم يتبق لنا إلا خلية واحدة من ثلاثة ملايين و نصف فلسطيني".(أي أن الخلية المتبقية تضم كل الشعب الفلسطيني الذي يقيم في الأراضي المحتلة).(٣٥)

- و كتب الصحفي الإسرائيلي " بن كسبيت " في صحيفة معاريف:

فقدنا ثقتنا بأنفسنا، و تحولت نشاطات بسيطة جداً مثل التوجه إلى السوق، والصعود في حافلة و حتى الخروج من المنزل إلى نشاطات خطيرة، و غمرت الدماء الشوارع، التي سادها كساد عميق، ضربنا الإرهاب و اثبت بأنه خطر على و جودنا. لقد عرفنا خلال السنوات الخمس الأخيرة ما هو " حق العودة " و اكتشفنا وجود اللاجئين و سادنا ذعر من التوجهات الديمغرافية، و توصلنا إلى إجماع و طني في معظم هذه القضايا... لم يُبْدِ شعبُ إسرائيل و إلى ما قبل

اقل من عقد استعداداً للسماع عن دولة فلسطينية، و نعرف اليوم بأنها ستقام ولربما أقيمت على معظم الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، و أثبتت ذاتها النظرية القائلة بأن إسرائيل تفهم فقط لغة القوة.(٣٦)

- وبعد أربع سنوات على الاعتراف السابق، أعاد وزير الجيش الإسرائيلي " شاؤول موفاز التأكيد عليه " لصحيفة " هارتس في أيار من عام ٢٠٠٥ "وقال: "غزة ليست أرض الأجداد، و بالتأكيد ليست مكاناً مقدساً ". (٣٧)
- ووجه المحلل السياسي في صحيفة "هآرتس" "ألوف بن" إلى "قادتنا في إسرائيل: من أجل ماذا نموت؟ ما هو الأمر الضروري جداً في (مستوطنات) أرئيل ومعاليه أدوميم وإفرات وكريات أربع بحيث تستحق أن نموت من أجلها. (٣٨)
- وبعد أن كانت إسرائيل تعيرنا بأننا نقبل اليوم ما كنا رفضناه بالأمس ، انعكست الآية وأصبحت هي التي تقبل ما رفضته.ففي كتاب بعنوان " كيد مرتد " (بوميرانج) ذكر الصحفيان الإسرائيليان " رفيف دروكر " و " عوفر شليح " أن القيادة الإسرائيلية:" وقعت أسيرة الجمود الفكري و الخوف و الإيمان الأعمى بالقوة، حينما خرجت عام ٢٠٠٢ لإحراز الانتصار في الحرب الأهم منذ حرب الاستقلال " وما لبثت أن عادت خالية الوفاض وبيدها فشل و ثكل. و أشار الكاتبان، إلى أنّ الإسرائيليين عادوا و أعربوا اليوم عن استعدادهم لقبول ما رفضوه عشية الانتفاضة، وهو الانسحاب من الأغلبية الساحقة من الأراضي المحتلة عام ٦٧، بما في ذلك القدس، إلى جانب قبولهم بعودة رمزية للاجئين. لكن ذلك تم بعد وقوع ألف ضحية من الإسرائيليين وثلاثة آلاف فلسطيني، و أضاف: السلطة في إسرائيل تتصرف بموجب أهوائها و ليس و فق إملاءات العقل... لقد خرج شارون باحثاً عن الحل و الحسم العسكري فوجد نفسه يفرّ من غزة واصفاً ذلك بالانتصار. خرج لتقويض اتفاقات أوسلو فوجد نفسه يبني جداراً ملاصقاً لتخوم الأراضي المحتلة عام ٤٨ الذي طالما كرهه أشد الكره." (٣٩)
- وبعد فشل الغزو الأمريكي الإسرائيلي للبنان والغارات والقتل والتدمير في غزة والضفة الغربية، في تركيع الشعبين اللبناني والفلسطيني، وفي استعادة الأسرى الإسرائيليين المحتجزين لدى المقاومتين اللبنانية والفلسطينية صرحت وزيرة الخارجية الإسرائيلية "تسيبي لفني." "أنّ هناك تراجعاً في صورة إسرائيل في العالم وفي مكانتها كدولة قومية وأنّ برميل البارود الذي نجلس عليه هو القضية الفلسطينية وهذا ما يتوجب معالجته". (٤٠)
- وعبّر المحلل السياسي في صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية عن دهشته من هزيمة الجيش الإسرائيلي في "بنت جبيل" – مسقط رأس الشيخ حسن نصر الله- وقال:

عندما يقوم الجيش الأكبر والأقوى في الشرق الأوسط بخوض منازلة طوال أكثر من أسبوعين مع (٥٠) مقاتلا من حزب الله في "بنت جبيل" ولا ينجح في إخضاعهم، لا يتبقى أمام قادته إلا الإشارة إلى عدد جثث قتلى العدو. "بنت جبيل"، كما يجب الافتراض ستتحول إلى رمز لحرب لبنان الثانية. ستكون هذه المعركة في تراث وتقاليد مقاتلي حزب الله مثل ستالينغراد لبنانية. أما بالنسبة لنا فستكون تذكاراً مؤلماً لفشل الجيش الإسرائيلي في الحرب."(٤١)

١١-٤- أمثلة على الحرب والمقاومة في فلسطين عبر العصور ونفاق الغـــــرب الذي يميز بين مقاومة وأخرى

١١-٤-١- أمريكا والغرب يمجدون المقاومين اليهود الذين انتحروا في مسعدة، بينما يصفون المقاومين العرب الذين قاموا بعمليات استشهادية في جنين بأنهم إرهابيون

أثناء الحكم الروماني لفلسطين، زاد الرومان الضرائب على اليهود، وأكرهوهم على ترك ديانتهم، وعندما ثار اليهود دمر الرومان القدس - بما فيها هيكل اليهود- وقتلوا اليهود ومنعوهم من الإقامة في القدس، واضطر عدد منهم إلى الانتحار. وتابع الجيش الروماني اليهود الذين هربوا من القدس، وتحصنوا في قلعة مسعدة (مسادا) قرب البحر الميت. وضيق الرومان الخناق على اليهود المحاصرين مع عائلاتهم داخل القلعة، ففضلوا أن يكرروا ما فعله بعض اليهود الذين حاصرهم الرومان في القدس، وأن ينتحروا على أن يسلموا أنفسهم للرومان. وهكذا قرر اليهود المحاصرون الانتحار بأن يقتل كل واحد منهم زوجته وأطفاله، ثم أجروا القرعة واختاروا واحداً منهم ليقتلهم.

ويوضح الدكتور فيليب حتي كيف تمت عملية الانتحار فيقول:

"فبعد أن أبادوا نساءهم وأولادهم، توقف كل منهم عن القتال، ورمى سلاحه حول أفراد عائلته المذبوحين، وقدّم رقبته لضربةٍ من الذي جعلته القرعة يقوم بهذه المهمة الكئيبة".

ويقدّم المؤرخ اليهودي" يوسيفوس" - الذي عاصر تلك الحرب وشارك في الثورة ضد الرومان، ووقع في الأسر، وبعد العفو عنه انضم إلى الرومان وتسمى باسم روماني"فلافيوس يوسيفوس" - وصفا لعملية انتحار اليهود فيقول:

> كان الأزواج يضمون زوجاتهم بحنان، ويحملون أطفالهم بين أذرعهم، ويتعانقون عناق الوداع والدموع تترقرق في مآقيهم. ولكنهم نفذوا في نفس الوقت ما اعتزموا عمله كأنهم يعملون ذلك بأيدٍ غريبة. وقد جعلوا عزاءهم لضرورة ما قاموا به تفكيرهم بالمصائب التي سيقاسونها فيما لو سقطوا بأيدي أعدائهم. وكانوا رجالاً تعساء بالحقيقة

بسبب الضرورة التي وجدوا فيها، وهم الذين بدا لهم ذبح زوجاتهم وأطفالهم بأيديهم أهون الشرور التي تنتظرهم.(٤٢)

ويذكر "بوب بيسمان"(Bob Baseman) أنّ العلاقة بين المدافعين عن مسعدة وعددهم (٩٦٠) وإسرائيل اليوم هي علاقة لا تنفصم عراها، ولا يمكن إنكارها، ولم تنقطع، فقد ظل اليهود طيلة (١٩٠٠) عام يستلهمون الشجاعة من تاريخ مسعدة المأساوي / البطولي، على أمل أن يعودوا لوطنهم يوما ما.(٤٣)

وإذا كان اليهود الذين دامت دولتهم الموحدة في فلسطين مدة (٧٣) عاما، لم ينسوا علاقتهم بفلسطين رغم انقطاع دام ١٩٠٠ عام، فإنّ العرب الذين ملكوها، و لم ينقطعوا يوما عنها منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام، وخاصة منذ الفتح الإسلامي، فإن علاقتهم بها أوثق، ولا ينكرها إلا مكابر أو حاقد.

وهذه الحادثة تذكرنا بحصار الجيش الإسرائيلي لجنين، ونتساءل لماذا نسي اليهود اضطهاد الرومان، وقاموا باضطهاد أكثر للفلسطينيين.ولنرى وجه الشبه بين الحالتين. وفي أعقاب عدوان إسرائيل عام ١٩٤٨، لجأ فلسطينيون إلى مدينة جنين وأقاموا لهم مخيما من بيوت من الطوب والصفيح والأبنية الهشة. وفي الانتفاضة الفلسطينية شارك أهالي جنين ومخيمها ببسالة في عمليات مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، مطالبين بإنهاء الاحتلال. وردت إسرائيل عليهم بحملات عنيفة استمرت إحداها من ٣- ١١ نيسان عام ٢٠٠٢م.ونظرا لعدده وعتاده مقارنة مع رجال المقاومة في جنين، كان الجيش الإسرائيلي يحلم بأنه في نزهة وأنه سوف يقضي على المقاومة ويعود سالما. ولكن سرعان ما تبددت أحلامه عندما أوقعته المقاومة الفلسطينية في كمين وقتلت (١٤)ضابطاً وجندياً. وهو الأمر الذي اضطره إلى استدعاء المزيد من القوات.

وفي معركة جنين استطاع حوالي (١٥٠) من رجال المقاومة الفلسطينية المسلحين في قلوبهم بإيمانهم بالله وعدالة قضيتهم وحبهم للاستشهاد من أجلها أن يواجهوا رابع جيش في العالم – جيش إسرائيل- وكيل أمريكا وحلف الأطلنطي- المكون من حوالي ألف ضابط وجندي، تدعمهم أحدث الطائرات والمدرعات والدبابات والجرافات الأمريكية، وأجهزة الرصد والمراقبة.

وحتى يخفي الجيش جرائمه منع التجول هناك لمدة ثلاثة أسابيع، ومنع الصحفيين وسيارات الإسعاف والصليب الأحمر من الدخول للبلدة والمخيم، وأطلق النار على سيارات الإسعاف وقتل أحد موظفي الأمم المتحدة داخل سيارة الإسعاف التي تحمل إشارة الإسعاف والأمم المتحدة.وأطلقت الطائرات والدبابات قذائفها وصواريخها على المدنيين وهدمت بيوتهم عليهم، وأخذت الجرافات تروح وتجيء تهدم البيوت وتدفن أهلها تحت الردم. فدمرت تدميرا كاملا أكثر من ٣٧٤ شقة سكنية وأصبح أكثر سكان المخيم بلا مأوى.

ورغم البون الشاسع في العدد والعتاد، كبّدت المقاومة الفلسطينية الجيش الإسرائيلي خسائر فادحة لم يعهدها في حروبه مع الأنظمة العربية. وحسب تقرير الصحفي الأمريكي "رونيه بكمان" فقد الجيش الإسرائيلي أكثر من ثلاثين قتيلاً من جنوده وضباطه، بينما اعترف الجيش الإسرائيلي بمقتل (٢٤)جنديا، وجرح (١٤٠)آخرين. وفي المقابل، سقط (٥٥)شهيدا وشهيدة من الفلسطينيين كان نصفهم من المدنيين أطفالا ونساءً وشيوخاً.

ومن الضروري التنويه أن المعلومات المذكورة والتي تليها ليست من مصادر فلسطينية أو عربية فحسب، بل إن أغلبها من الأمم المتحدة، والصليب الأحمر الدولي ومصادر حقوق إنسان غربية، وخاصة أمريكية، مثل منظمة العفو الدولية، و" Human Rights Watch" الأمريكية، والتي سنبينها بالتفصيل في المراجع في نهاية الفصل.

وتصف المتطوعة الأمريكية في الصليب الأحمر الدولي "تشيبس"(Chips) مذبحة ومأساة مخيم جنين فتقول:

"عندما سُمِحَ لنا بدخول المخيم، شممنا رائحة الموت من الجثث التي تركها الجيش في الشوارع وتحت الركام-مدة أسبوع-.. جمعنا جثثاً محروقةً، وأخرى متعفنةً، جميعها خاصة بمدنيين، وبينها أطفال ونساء وشيوخ..كانت مذبحة حقيقية ومناظر مرعبة"

وجاء في تقرير شهود عيان:

أطلقت طائرة صاروخاً على غرفة، فقتل سبعة رجال ونساء، وبقيت جثثهم في الغرفة لأكثر من خمسة أيام... كان المنظر مرعباً، كانت الأجساد محروقة(بالصواريخ الأمريكية).. رائحة كريهة.. لا يمكن التعرف على الأموات.. وضع الناس أعضاء(أشلاء)كل جثة في كيس قبل وصول أقارب الضحايا لئلا يتأثروا من رؤية الأشلاء"

ويتساءل الباحث "غسان نزال"في مؤلفه"مخيم جنين أسطورة هزت العالم":

كيف تمكنت هذه الحفنة من المقاتلين من الثبات تسعة أيام متواصلة أمام أعتى جيوش الشرق الأوسط(رابع جيش في العالم) وكيف سجلت صمودها الإعجازي (الأسطوري) على النحو الذي شاهده العالم أجمع؟! ... وكيف، استطاع المقاومون بأسلحتهم الخفيفة ومنها البدائي... الصمود في وجه أضخم آلة عسكرية في الشرق الأوسط؟! للإجابة على هذا السؤال لابد من النظر بإمعان للتدقيق في دراسة وتحليل ظاهرة "مخيم جنين" الذي تحول بجدارة واستحقاق إلى قلعة للصمود.. وإلى محط افتخار واعتزاز شعبنا وامتنا العربية

(والإسلامية) وبهر العالم. وظهر في أعين العدو، وفق الناطقين الرسميين، على أنه مصدر قلق وخطر وخوف.(٤٤)

أوردنا أعلاه حالتين للمقاومة، الأولى كانت في مسعدة لليهود بأيدي الطغاة الرومان، والثانية كانت في جنين بقرار أمريكي بأيدي الطغاة الصهاينة للفلسطينيين. في الأولى كانت أدوات الحصار والقتال بدائية: السيف والرمح. أما في الثانية فقد كان الحصار والقتال يتم بالطائرات والمدرعات والصواريخ الموجهة بالليزر. في مسعدة كان اليهود يحتمون في كهوف من الصخر أقوى من السيوف والرماح، أما في مخيم جنين، فكان اللاجئون يحتمون في أكواخ من الصفيح، وأبنية هشة، لا تقوى على الصمود دقائق أمام القذائف والصواريخ الأمريكية الفتاكة. في الحالتين، لم يكن بوسع المحاصرين اليهود الانتصار على أقوى جيش في العالم، ولم يكن بوسع الفلسطينيين المحاصرين الانتصار على رابع جيش في العالم، وأقوى جيش في المنطقة هزم جيوش الدول العربية في عامي ١٩٤٨و١٩٦٧. في مسعدة، استقوى ظلم الرومان على اليهود المحاصرين، ودخل القنوط إلى قلوبهم فانتحروا جماعيا. وفي جنين استقوى الظلم الصهيوني الأمريكي الصنع على المحاصرين الفلسطينيين، لكن بسبب إيمانهم العميق بالله سبحانه وتعالى، فإن القنوط لم يستطع أن ينال منهم، ورفضوا الانتحار، لأن الدين الإسلامي بحرمه. وبدلا من عصيان الله سبحانه وتعالى بقتل النفس التي حرّم الله قتلها بدون وجه حق، وبدلا من أن يظهروا جبناء أمام عدوهم، جاهدوا ضد المحتل بكافة الوسائل المتاحة لهم، وكبدوه خسائر لم يتوقعها. واستشهد بعضهم في عمليات استشهادية، وآخرون في مقاومة بسلاح بسيط. واستشهد مدنيون لم يشاركوا في المقاومة بالقذائف، واندملت أشلاء بعضهم تحت ردم بيوتهم، ونجا من كتبت له النجاة. والسؤال هو: لماذا يمجد الغرب بطولات المنتحرين في مسعدة، ويحط من قيمة بطولات الاستشهاديين في جنين؟ هل يحترم الغرب نفسه وعقله وعقول الآخرين؟ وهل بقي لديه شيء مما يدعي به من موضوعية أو صدق؟!

١١-٤-٢- الأمم المتحدة لم تحقق في مذبحة جنين عام ٢٠٠٢ حتى اليوم، بينما حقق قاضٍ مسلم في قضية سرقة حمارة في القدس حتى رَدّ الحق لصاحبه عام ١٨٨٠م

الأمم المتحدة تقيدها الدول العظمى أمريكا وبريطانيا وفرنسا التي تهتم بمصالحها على حساب الشرعية والحق والعدل. ولهذه الأسباب، ارتكبت إسرائيل المخالفات، وأدينت من مجلس الأمن ومن الجمعية العامة للأمم المتحدة مئات المرات، دون أن تفرض عليها أية عقوبات. ولهذه الأسباب، أيضاً وضعت إسرائيل نفسها فوق الأمم المتحدة، وفوق القانون الدولي،

ورفضت جميع محاولات الأمم المتحدة للقيام بالتحقيق في انتهاكاتها للقانون الدولي وحقوق الإنسان.

ففي قرارها رقم ٢٤٤٣ تاريخ٩-١٢-١٩٦٨ قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة تشكيل لجنة لتزور الأراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ من أجل التحقيق في ممارسات إسرائيل التي تنتهك حقوق الانسان، وطلبت من إسرائيل التعاون مع تلك اللجنة. إلا أن إسرائيل رفضت السماح لتلك اللجنة بزيارة الأراضي المحتلة، ولا تزال ترفض حتى اليوم رغم عشرات القرارات التي طالبت فيها الجمعية العامة إسرائيل بتسهيل مهمة اللجنة.

وفي أعقاب المذبحة التي ارتكبها الضابط الإسرائيلي "جولدشتين" يوم ١٩٩٤/٢/٢٥، في الحرم الإبراهيمي الشريف والتي قتل فيها (٢٤) فلسطينيا وجرح أكثر من (١٥٠)حسب سجلات الأمم المتحدة ، أدان مجلس الأمن الدولي في قراره رقم (٦٧(١٩٩٠) المؤرخ في ١٩٩٠/١٠/١٣م "أعمال العنف" التي ارتكبتها إسرائيل داخل الحرم الإبراهيمي الشريف، وطلب من السكرتير العام للأمم المتحدة إيفاد لجنة للتحقيق في ذلك، وأن يقدم السكرتير العام نتيجة التحقيق للمجلس قبل نهاية تشرين الأول عام ١٩٩٠م.ولكن إسرائيل رفضت قرار مجلس الأمن ، ورفضت السماح للجنة بالحضور للمنطقة والقيام بالتحقيق.وبتاريخ ١٩٩٠/١٠/٢٤أصدر المجلس قراراً ثانياً تحت رقم ٦٧٣(١٩٩٠) عبر فيه المجلس عن ذعره لرفض إسرائيل تنفيذ قراره رقم ٦٧٢(١٩٩٠)،وشجب ذلك الرفض، وطلب من إسرائيل الامتثال للقرار المذكور، ولكن إسرائيل أصرت على موقفها ورفضت قرار مجلس الأمن الدولي مرة ثانية. فاضطر المجلس لإصدار قراره رقم ٦٨١(١٩٩٠) تاريخ ١٩٩٠/١٢/٢٠ الذي أبدى فيه المجلس قلقه لرفض إسرائيل تنفيذ قراريه المذكورين، وحتى اليوم لم تنفذ إسرائيل قرارات مجلس الأمن الدولي تلك، كما لم تنفذ القرارات العديدة الأخرى.

وفي قراره رقم ١٤٠٣(٢٠٠٢)تاريخ ٤-٤-٢٠٠٢ أبدى مجلس الأمن قلقه البالغ بسبب تدهور الوضع في جنين في أعقاب الجرائم التي ارتكبتها إسرائيل في تلك المدينة. وفي قراره رقم ١٤٠٥(٢٠٠٢) تاريخ ١٩-٤-٢٠٠٢ قرر مجلس الأمن الدولي إرسال لجنة للتحقيق في الهجوم الذي شنته إسرائيل على مخيم جنين للاجئين وما أسفر عن ذلك من قتلى وانتهاكات لحقوق الانسان، وتدمير البنية التحتية. إلا أن إسرائيل المحمية من أمريكا والغرب كعادتها رفضت السماح للجنة بزيارة الأراضي المحتلة، واضطر سكرتير عام الأمم المتحدة إلى حل تلك اللجنة، وإلغاء مهمتها.

وفي عام ٢٠٠٤ أكد رئيس لجنة الأمم المتحدة للتحقيق في ممارسات إسرائيل المؤثرة على حقوق الإنسان الخاصة بالشعب الفلسطيني أن

إسرائيل رفضت من جديد السماح للجنة بزيارة المناطق المحتلة للقيام بعملها. (٤٥)

ويشير سجل الحكمة الشرعية في القدس رقم (٣٧٠) الخاص بالأعوام ١٢٩٩-١٣٠١ هجري -١٨٨٠-١٨٨١م إلى أن أحمد بن الحاج محمد حجازي من أهالي دورا- قضاء الخليل رفع قضية لدى قاضي القدس ضد محمد بن جبرين مطاوع من بيت عنان قضاء القدس الذي سرق حمارته قبل ثلاث سنين، وأفاد المدعي أنه عثر على الحمارة مع المدعى عليه في القدس.وتشير سجلات المحكمة إلى أن القاضي قام بالإجراءات التالية في تلك القضية: أنظر الملحق رقم (٦)

١- أخذ إفادة المدعي والمدعى عليه والشهود الخاصين بكل منهما.
٢- سأل الطرفين عن المدة التي حاز فيها الحمارة، وعن عمرها.
٣- استعان بطبيب بيطري في تقدير عمر الحمارة.
٤- أرسل محققين سريين لقريتي المدعي والمدعى عليه.

وبعد دراسة القضية تبين أنها تخص المدعي، فأعادها له.

ومن الثابت أن الاعتداءات الإسرائيلية على مدينة جنين ومخيمها، والجرائم ومخالفات القانون الدولي وحقوق الإنسان تستحق من الأمم المتحدة ومن الدول التي تدعي بأنها ديمقراطية، أن تبذل جهداً كبيراً للتحقيق فيها، من أجل إدانة إسرائيل، وفرض العقوبات عليها لردعها عن تكرار اعتداءاتها ومخالفاتها.

والأسئلة التي تطرح نفسها هنا بإلحاح هي:

- لماذا لم تقم الأمم المتحدة بالتحقيق في قضية جنين والمذبحة التي ارتكبتها إسرائيل فيها حتى اليوم؟
- لماذا لم يقم مجلس الأمن الدولي باحترام قراريه اللذين يحملان الرقمين ١٤٠٣ و ١٤٠٥ لعام ٢٠٠٢م المتعلقة بمذبحة جنين، والقرارات العديدة الأخرى التي لم تمتثل لها إسرائيل، بل تحدتها وتحدت الأمم المتحدة معها؟
- لقد أبدى مجلس الأمن قلقه البالغ إزاء ما ارتكبته إسرائيل في جنين، فهل كان صادقا في قلقه؟
- ولماذا لم تعمل الدول الغربية العظمى التي تدعي بالديمقراطية والعدالة والشرعية الدولية على إرسال لجنة تحقيق إلى جنين تنفيذا لقرارات الأمم المتحدة؟

- ولماذا تابع القاضي المسلم قضية سرقة حمارة متابعة جدية إلى أن توصل للحقيقة وأصدر حكمه العادل فيها، ولم تتابع الأمم المتحدة، -ومجلس الأمن بشكل خاص- قراراتها؟
- ولماذا حرص القاضي المسلم على حق الرجل في ملكيته لحمارته في القرن التاسع عشر، ولم تحرص الأمم المتحدة على حق الشعب الفلسطيني في جنين في الحياة، وفي بيوته وممتلكاته التي دمرها الإرهاب الصهيوني بأسلحة ومتفجرات غربية الصنع، في القرن الحادي والعشرين ؟!
- ولماذا يثق العرب والمسلمون بهذه الأمم المتحدة وبالديمقراطيات الغربية التي تهيمن عليها؟

- ولماذا تستغرب أمريكا وبريطانيا، على سبيل المثال، عندما يمقتها العالم الثالث، ويرفض ديمقراطيتها الكاذبة، ولا يثق بها؟

١١-٤-٣- الغرب يمجد الاستشهادية الفرنسية "جـــــان دارك "ويصم الاستشهاديـات الفلسطينيات "وفاء"و "دارين" بالإرهـــاب؟

لقد خلّد الغربُ اليهودَ الذين قاوموا الاحتلال الروماني وانتحروا في قلعة "مسعدة" (مسادا)، كما خلّد البطلة الفرنسية "جان دارك" التي قامت بعمليات بطولية في مقاومة الجيش البريطاني الذي غزا بلادها، فحكم بإحراقها وهي حية على العامود، وهي ابنة التاسعة عشرة. لكن الغرب أناني وينافق في تطبيق الشرعية الدولية وحقوق الانسان التي ينادي بها. فعندما هاجمت البطلة اللبنانية سناء محيدلي الجيش الإسرائيلي الذي يحتل وطنها قالوا عنها انها "مخربة".وعندما حاولت البطلة الفلسطينية عطاف عليان القيام بمحاولة استشهادية قيل عنها إنها مخربة وسجنت. وعندما قامت البطلة وفاء إدريس بأول عملية استشهادية وفجرت نفسها في القدس المحتلة يوم ٢٠٠٢/١/٢٨ وصفوها بأنها إرهابية، وعندما قامت "دارين أبو عيشة" بثاني عملية استشهادية وفجرت نفسها على حاجز عسكري إسرائيلي شمالي الضفة الغربية بعد شهر من استشهاد أختها وفاء إدريس يوم ٢٠٠٢/٢/٢٧قالوا أنها إرهابية. وهكذا قالوا عن جميع العرب والمسلمين الذين استشهدوا دفاعاً عن بلادهم. فالغرب يحتل ويستعمر البلدان، وعندما تواجهه الشعوب مطالبة بحقها في تقرير مصيرها، فإنه يصف مقاومتها بالإرهاب. هكذا قالت أمريكا عن المجاهدين والمقاومين في أفغانستان والعراق وفلسطين ولبنان، وفي كل مكان.لقد دعمت بريطانيا وأمريكا وفرنسا المقاومة الغربية التي تصدت للاحتلال النازي في الحرب العالمية الثانية لفرنسا وغيرها، وقدمت لها المساعدات المختلفة، رغم أن رجال المقاومة كانوا يضعون الألغام والمتفجرات تحت السكك الحديدية، ويفجرون الجسور، ويدسون القنابل في المقاهي والمطاعم التي يرتادها المحتلون، ونتساءل مع

الدكتورة السورية "نادية خوست": "لماذا يميز الغرب تمييزاً عنصرياً بين مقاوم وآخر، فيضفي الشرعية على المقاومة إذا كانت غربية ، ويعتبر المقاومة إرهاباً إذا كانت عربية" أو إسلامية؟ لماذا يصف الغرب الذي مجد المقاومين الغربيين مقاومتنا بالإرهاب ويطلب منا التخلي عن حقنا في مقاومة المحتلين؟" (٤٦)

فهل يصدق أحد أن هناك فرقاً بين تضحية "جان دارك "الفرنسية بنفسها من أجل وطنها، وتضحيات آلاف الشهداء والشهيدات الفلسطينيات من أجل وطنهم؟ و بأي منطق حضاري يسمى العنف الذي يمارسه من يدافع عن دياره وحياته وكرامته في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان إرهاباً، فيما يسمى العنف الذي تمارسه إسرائيل في اغتصاب الأرض وانتهاك الحرمات دفاعاً عن النفس؟

١١-٥- الحق في المقاومة

١١-٥-١- الحق في المقاومة عبر التاريخ

لم يحدث أن تخلى مستعمر أو محتل عن البلد الذي يحتله بدون مقاومة وتضحيات من الشعب المحتل. وجاء في شريعة حمورابي، " العين بالعين، والسن بالسن"، فالذي يحتل بلدك ويقتل شعبك، يجب مقاومته، وبدون ذلك لن يوقف احتلاله. ولم يتحرر الشعب الفرنسي من ظلم لويس السادس عشر إلا بعد الثورة عليه، كما لم يتحرر الشعب الأمريكي من الاستعمار البريطاني إلا بالثورة والمقاومة، ومقاطعة المستعمر البريطاني في كافة المجالات.

وهكذا، منذ فجر التاريخ تصدى المظلومون للظلم وقاوموه، وجاءت الثورات الفرنسية والأمريكية لتعطي دفعة جديدة لمقاومة الظلم والطغيان. وأقر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الحق في المقاومة والتمرد على الاستبداد، حيث نصّ في ديباجته على أنه " لما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الانسان، لكي لا يضطر المرء في نهاية الأمر إلى التمرد على الاستبداد".

وجاءت الشرعية الدولية بمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها والتخلص من الاحتلال والاستعمار والاستغلال الأجنبي، وقد ترتب على ذلك الحق في مقاومة المحتل إلى أن يتخلى عن احتلاله واعتدائه على حقوق الآخرين.

١١-٥-٢- الحق في الجهاد والمقاومة في الشريعة الإسلامية

حثّ الإسلام المسلمين على الدفاع عن حقوقهم، وعن شرف الأمة، وحماية المسلمين من العدوان.كما حثّ على مقاومة الباطل والظلم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"إن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر."وراعى الإسلام ظروف المسلم، فكلفه برفض الظلم بالتدرج، فقد جاء في الحديث الشريف:"من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه،وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان. "وهكذا دعا الإسلام إلى رفض الظلم،بالفعل، وبالقول، وبرفضه في أنفسنا وقلوبنا إلى أن نتمكن من محاربته.

لقد أوضحنا في الفصل الثالث موقف الإسلام من الحرب ، وأنه لا يسمح بالحرب ألا إلى ضرورة كما في حالة رد الاعتداء ورفع الظلم، وفي حالة الدفاع عن النفس والعرض والمال والوطن ، وفي حالة الدفاع عن الدعوة إلى الله، فإنها حينئذ تكون فريضة من فرائض الدين، وواجبا من واجباته المقدسة،ويطلق عليها اسم الجهاد.

فماذا تقول الشريعة الإسلامية لمن احتلت أرضه، وأخرج منها عنوةً، ودنست مقدّساته، واستبيح دمه وعرضه وماله؟ إنّ الإسلام صريح كل الصراحة في هذا الشأن، فهو يحث المسلمين على الجهاد من أجل استرداد أراضيهم وسيادتهم وكرامتهم.والجهاد في الإسلام فرض واجب على المسلمين، "والأصل فيه أنه فرض كفاية ...إلا أنّ حكم الجهاد يصبح فرض عين إذا دخل العدو أرض المسلمين واحتل شبراً واحداً منها، وعندها يتعين على الجميع كما هو الحال اليوم الخروج إلى الجهاد لمقاتلة العدو. " (٤٧)

وقد حثت آيات كثيرة على الجهاد، منها على سبيل المثال:

- ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ ... ﴾ (سورة الأنفال آية: ٦٠)

﴿انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {٤١}﴾سورة التوبة آية:٤١)

- ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ {٢٠}

(سورة التوبة آية :٢٠)

- ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ {١٩٠} وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ... {١٩١} (البقرة 191-190). أي : "قاتلوا لإعلاء دين الله من قاتلكم من الكفار. ولا تبدأوا بقتالهم فإنّه تعالى لا يحب من ظلم أو اعتدى. اقتلوهم حيث وجدتموهم في حلّ أو حرم، وشرّدوهم من أوطانهم وأخرجوهم منها كما أخرجوكم من مكة. (٤٨)

وهكذا، فالجهاد هو الحَلّ الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى باتباعه حتى نتحرّر من نير الاستعمار والصهيونية ، وحتى نستعيد ديارنا التي أخرجونا منها عنوة. وهذا الحل أقره القانون الدولي الوضعي والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كما سنوضحه لا حقاً.

١١-٥-٣- الحق في المقاومة كحق قانوني وحق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال

في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٣٢٣٦) تاريخ ١٩٧٤/١١/٢٩ أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة شرعية كفاح الشعوب في سبيل التحرر من السيطرة الاستعمارية والأجنبية والقهر الأجنبي بكافة الوسائل المتاحة ومنها الكفاح المسلح. وينبع من هذا الحق ويرتبط به : حق الشعب الفلسطيني باستخدام القوة والكفاح المسلح، وحقه في الدفاع المشروع عن النفس، وحقه في تلقي المساعدات المعنوية من الدول والمنظمات الدولية.(٤٩)

وقد أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارات عديدة لها، منها على سبيل المثال القرار رقم ٣٤١٤ لعام ١٩٧٥، والقرار رقم ٣٤ لعام ١٩٧٦، والقرار رقم ٤٤/٣٤ تاريخ ١٩٧٩/١١/٢٣، والقرار رقم ٣٥/٣٧ تاريخ ١٩٨٢/١١/٢٣شرعية كفاح الشعوب في سبيل التحرر من السيطرة الاستعمارية والأجنبية بكافة الوسائل المتاحة، بما في ذلك الكفاح المسلح، واعترفت بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره. ورغم هذه الحقائق، فلا زالت أمريكا ودول غربية أخرى، وإسرائيل تصر على أنّ عمليات المقاومة الفلسطينية واللبنانية للاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية واللبنانية هي إرهاب وليس مقاومة مشروعة للاحتلال. أما الإرهاب المنظم الذي تمارسه إسرائيل منذ فرضها بالقوة على المنطقة فهو دفاع مشروع عن النفس، حسب زعم إسرائيل والغرب الذي صنعها.

وبعد أن استعرض أستاذ القانون الدولي الأمريكي رئيس قسم دراسات السلام والعدل في جامعة سان فرانسيسكو "ستيفن زونز" **(Stephen Zunes)** ممارسات إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني قال:

" إنّ الدرس المستفاد مما تقدم للفلسطينيين هو أنك لا تستطيع الثقة بالقانون الدولي، ولا قرارات الأمم المتحدة، ولا عملية السلام التي تديرها الولايات المتحدة، وأنّ الوسيلة الوحيدة لإجبار إسرائيل على الانسحاب من الأراضي التي تحتلها تتمثل في المقاومة والكفاح المسلح ... وهكذا يقدم النزاع الإسرائيلي الفلسطيني الحالي دليلاً إضافيا على احتقار أمريكا لمبادئ القانون الدولي والأمم المتحدة، وأنها قد جلبت مزيداً من العنف وسفك الدماء.(٥٠)

ويقدم الدكتور "ف. يحيى" الأدلة على عدم جواز التمييز بين مقاومة وأخرى ، مستشهدا بالسيدة "فيشر فيقول:

والشبه بين المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلي والمقاومة الأوروبية للاحتلال النازي أوضحتها بشكل جيد السيدة "فيشر لامبث"التي قالت:"عندما نظّم الرجال والنساء الفرنسيون أنفسهم في مجموعات لمقاومة الاحتلال النازي الذي يحتل بلادهم نظرنا إليهم(حييناهم)كأبطال وبطلات، فلماذا إذن يوصم العرب الذين يحاولون القيام بنفس العمل ضد قوات العدو التي تحتل أرضهم بأنهم إرهابيون ومخربون؟ فبالتأكيد إنهم لا يفعلون إلا ما يفعله الرجال الشجعان عندما تدوس أقدام الغزاة بلادهم.". ويقول الأستاذ يحيى:

تؤكد كلمات السيدة فيشر جانباً هاماً من جوانب القانون الدولي: أنّ مبادئه يجب أن تطبق عالمياً وبمساواة.فمبادئ القانون الدولي التي تطورت بشأن الحق في المقاومة لم يقم خياط بتفصيلها لتناسب فقط البلدان الأوروبية المحتلة من ألمانيا النازية، بل إنها واجبة التطبيق في كل بلد من بلدان العالم يخضع للاحتلال...

إنّ الحجة التي تساوي بين جرائم حرب المعتدي والاجراءات التي يقوم بها ضحيته دفاعاً عن نفسه، تهدّد أسس القانون الدولي. إنها حجة يرفضها كل المؤمنين بالقانون الدولي، بنفس الطريقة التي يرفضون فيها أي محاولة لمساواة أعمال الاحتلال النازي بالنضال المشروع، مثلاً للفرنسيين... (الذين كانوا يقاومون الاحتلال النازي لبلادهم).(٥١)

ب- الإسلام والحق في المقاومة والمقاطعة

والإسلام لا يأمر بالبغي والعدوان، بل أمرنا أن لا نعادي من لم يعتد علينا، وفصلت سورة الممتحنة العلاقة بين المسلم وغيره فحضّت على المودة والتعاون مع من لم يؤذ المؤمنين وحضّت على عكس ذلك مع الذين قاتلوا المؤمنين.

ويقول الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل بهذا الصدد: (**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {٨} إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {٩}** (سورة الممتحنة : آية ٨-٩) . أي لا ينهاكم عن البرّ بهؤلاء الذين لم يحاربوكم لأجل دينكم ، ولم يخرجوكم من أوطانكم كالنساء والصبيان... (٥٢) إنما ينهاكم الله عن صداقة ومودّة الذين ناصبوكم العداوة ، وقاتلوكم لأجل دينكم، وأعانوا أعداءكم على إخراجكم من دياركم، أن تتولوهم فتتخذوهم أولياءً وأنصاراً وأحباباً ، ومن يصادق أعداء الله ويجعلهم أنصاراً وأحباباً، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب. (٥٣)

ومن هنا لا يجوز تطبيع العلاقات بين المسلمين والعرب من جهة وبين اليهود ومن يدعمونهم من جهة أخرى ما داموا يحتلون أرض المسلمين ويعتدون عليهم.

١١-٦- العرب والمسلمون بين الاستقلال والمقاطعة والمقاومة وبين الاستسلام والتطبيع والمساومة

ظلّ العرب يتوهمون حسن نيّة الغرب مع أنه سيّئ النيّة، ولا يردون على اعتداءاته المتكررة إلا ببيانات الشجب والاستنكار، وهنا تحضرنا قصة من التراث العربي، بعنوان" تعدو الذئاب على من لا كلاب له" قد تكون حقيقية، أو خيالية، ولكنها تعطي صورة صادقة عن وضع العرب الحالي. وتتلخص القصة فيما يلي: " حجّ أبو الأسود الدؤلي ومعه امرأته -- وكانت جميلة. وعرض لها عمر بن أبي ربيعة، فأتت أبا الأسود فأخبرته، فأتاه أبو الأسود فعاتبه، فقال له عمر ما فعلت شيئاً، ثم عاد فكلمها وعاد زوجها فوبّخه بالكلام أربع مرات. وبعد كلّ ذلك عاد وكلمها. ثم خرجت وخرج معها أبو الأسود مشتملاً على سيف، فلما رآهما عمر أعرض عنها ، فتمثّل أبو الأسود ببيت الشعر التالي:

ونحن منذ أن فقدنا السيف، صارت أرضنا مستباحة، ورغم أنّ لدينا أسلحة كثيرة غير السيف إلا أننا لم نستعملها أيضاً.

والتاريخ يشهد أنّ ما من أمّة تحرّرت من الاستعباد والاحتلال بدون مقاومة وتضحيات. والأمم التي جبنت، وتقاعست، وعبّرت عن خوفها من عدوّها وجبروته، بالارتماء في أحضانه، والانسياق معه وتقليده في عاداته وتقاليده وأنماطه الاستهلاكية والثقافية، وطبّعت علاقاتها معه، وكأنّها جزء طبيعي منه، رغم البون الشاسع بين طبيعة الكيانين، فإنّ مصيرها فقدان شخصيتها، والاندثار والذوبان في الكيان المحتل. أمّا الدول التي تمسّكت بهويّتها المستقلة وعاداتها وثقافتها وأسلوب حياتها، وقاطعت المحتلّ في كلّ مجال تستطيعه، وأبدت مقاومةً مدنيةً لاعُنفيةً له، كخطوة على طريق المقاومة المسلحة عندما تسمح لها الظروف بذلك، فإنها نجحت في التحرّر منه، لأن التاريخ أثبت أنّ الحقوق تؤخذ بالكفاح ولا تعطى منّة أو صدقة من المحتل الغاصب.

وبمعنى آخر، هناك من رضي بالاحتلال المباشر وغير المباشر وطبّع علاقاته معه، وهناك من رفض الاحتلال بكافة أشكاله في ضميره وفي تعامله،وقاطعه عبر مقاومة مدنية لاعنفية، رغم تسلطه وجبروته، ورغم المعاناة التي تسببها له مثل تلك المقاومة. فما هي المقاومة المدنية اللاعنفية، وهل يمكن أن تكون بديلاً للكفاح المسلح ؟ وما هي أضرار ومخاطر التطبيع الذي تستميت الإمبريالية الأمريكية والصهيونية من أجل فرضه على العرب والمسلمين، بعد أن فرضت سيطرتها عليهم بالقوة المادية؟ وهل يمكن للمرء أن يطبّع علاقته مع شيء أو كيان غير طبيعي ؟ وسوف نحاول توضيح هذه الأمور عبر قراءات متفرّقة عن هذه المواضيع، فقد تكون هذه أقصر الطرق وأسهلها لتحقيق هذا الغرض.

١١-٦-١- التطبيع وأضراره ومحاذيره

إذا اقتحم ثعبان بيتك ، فهل يمكن التعايش معه بشكل طبيعي؟ وهل تعتبر وجوده أمراً طبيعيا، أم أنك تشن الحرب عليه بكل الوسائل المتاحة لديك حتى تخرجه من بيتك؟ وهل وجود النفوذ الغربي وشرطيه –إسرائيل – في بلادنا وجود طبيعي، بإرادتنا، أم أنه دخيل علينا رغم أنوفنا، وأخطر على وجودنا من لدغ الأفاعي؟ وإذا كنّا حرصنا كلّ الحرص على عدم النوم إلا بعد القضاء على الأفعى المعتدية، فلماذا ننام ما يقرب من قرن على وجود النفوذ الغربي وحليفه الأفعى الصهيوني الذي هو أخطر ملايين المرات من الأفعى الحقيقية؟

أ- بيان علماء الحركة الإسلامية وقادتها في العالم بشأن انتفاضة الأقصى

دعا (٥٤) من العلماء والمفكرين وقادة الحركة الإسلامية في مختلف أصقاع العالم "شعوب الأمة العربية والإسلامية إلى:

- أن تقوم الدول والهيئات والمنظمات العربية والإسلامية إلى طرد البعثات الإسرائيلية، ووقف كل علاقات التطبيع الظاهرة والخفيّة مع الصهيونية ...
- مقاطعة البضائع الأمريكية شجباً لموقف الإدارة الأمريكية المتذيّل أبداً للصهاينة، والداعم للعدوان على مقدساتنا

وقد وقعت البيان شخصيات إسلامية من إيران، والأردن، وأوروبا، وإندونيسيا، وتركيا، وتونس، والباكستان، وبنغلادش، والجزائر، وجنوب أفريقيا، والسعودية، والسودان، وسورية، وسيريلانكا، وقطر، وفلسطين، وكشمير، والكويت، ولبنان، والمغرب، ومصر ، والهند، وليبيا، واليمن (٥٤)

ب- لا يمكن تطبيع العلاقات بين العرب وإسرائيل

ويقدم الأستاذ مطاع الصفدي حجتين تدعمان ضرورة مقاطعة إسرائيل ومن يواليها:

أولهما: أن صراعنا مع إسرائيل هو صراع وجود، وليس صراع حدود، لو كانت المشكلة صراع حدود فيمكن عندها التوصّل إلى حلّ وسط. ولكن إسرائيل اعتدت –ولا تزال مستمرّة في عدوانها- على وجودنا

ثانيهما: إسرائيل استعمار جديد، تستغلّ تفوقها العسكري الذي أمدّها به الاستعمار الذي تخدم مصالحه – لكي تستعمر المشرق سياسياً واقتصادياً لا عسكرياً ... كيف يمكن لإنسان يعيش في بيته ويقبل أن يشاركه غريب في هذا البيت بالقوّة، وبقرار كلّ ما فيه من غرابة، أنه يحاول أن يجعل المالك تابعاً، وأن يقلب العلاقة الأصلية إلى علاقة معكوسة ...المشكلة ليست سياسية ...بحيث أنه بمجرد أنْ نجد حلاً تنتهي المشكلة. العلاقة بيننا وبين إسرائيل هي ...علاقة وجود يمتلكه شعب لا يحق له هذا الوجود، وشعب آخر مجرّد من وجوده الذي هو حقه التاريخي، مثل هذا التضاد والتعاكس إلى هذه الدرجة من الاستحالة ... ويحذر الأستاذ الصفدي من إسرائيل التي تهدف إلى استعمار العالم العربي (اقتصادياً) ويقول: إنّ النظرة إلى إسرائيل يجب أن تحول إلى استعمار جديد تحت يافطة جديدة، وشعارات جديدة، لذا فإن العربي يشعر بأنه مهدد في مستقبله، وحياة الأجيال القادمة مهددة. فالمسألة ليست مسألة سلام بين دولتين طبيعيتين، لان إسرائيل ليست دولة طبيعية ولن تصبح كذلك. (٥٥)

ج-- التطبيع ومضاره

يعرّف الميثاق الوطني الذي أصدرته اللجنة الشعبية لمقاومة التطبيع في فلسطين التطبيع ويحذّر من مضارّه فيقول إنه:

الاستسلام إلى الأجندة الصهيونية والتناغم مع المشروع الأمريكي الساعي للهيمنة على الوطن العربي عبر التعامل التطوعي من قبل أيّ جهة فلسطينية أو عربية، فردية كانت أو مؤسساتية...إنّ التطبيع الجاري يمسّ بالكرامة الوطنية الفلسطينية (وبالتالي العربية) لأنّه يسعى إلى إلحاق الشعب العربي الفلسطيني ومصالحه بالمشروع الصهيوني، ويكرّس الذلّ والاستغلال والتبعية الاقتصادية والثقافية...
لما كانت فلسطين التاريخية بحدودها الطبيعية المعروفة من البحر إلى النهر، ومن رفح حتى رأس الناقورة، هي أرض عربية وهي وشعبها جزء لا يتجزأ من الوطن العربي والأمة العربية، فإنّ النضال الوطني الفلسطيني جزء لا يتجزأ وعنصر أساسي فاعل في النضال العربي من أجل التحرر والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وعليه فإن مكافحة التطبيع يجب أن تشكلّ جزءاً أساسياً من النضال الوطني القومي، لأن التطبيع ليس إلا محاولة لطمس الحقوق الوطنية الفلسطينية وفرض الهيمنة الصهيونية والأمريكية على الوطن العربي (٥٦)

١١-٦-٢- مقاطعة إسرائيل والدول التي تدعمها

أ-ماذا تشمل المقاطعة؟

تشمل المقاطعة مقاطعة منتجات العدو وشركاته والوكالات والشركات المتعاملة معه، ومقاطعة الأفلام والكاسيتات التي ينتجها، والسياحة والتعليم في بلده ومؤسساته الثقافية والندوات والمؤتمرات التي تقيمها، إضافة إلى" مقاطعة نشاطات الحكومة وحفلاتها وفعاليات أحزابها ومنظماتها. والامتناع عن الكتابة في صحفها ومطبوعاتها. أو التحدث من إذاعاتها وتلفازها. أو الاشتراك في وفودها ومؤتمراتها وندواتها، أو شراء مطبوعاتها ومنتجاتها الفكرية".(٥٧)

ب- بعض تجارب مقاطعة العدو عبر التاريخ

كانت المقاطعة الاقتصادية سلاحاً أساسياً في تحرير الهند من الاستعمار البريطاني، وكان الزعيم الهندي المشهور غاندي قد أبدع في استعمال سلاح المقاطعة وكان يقول: " كلوا مما تنتجون والبسوا مما تصنعون وقاطعوا بضائع العدو." وقال جبران خليل جبران " ويل لأمة تلبس مما لا تنتج،وتأكل ممالا تزرع،وتشرب مما لا تعصر، ويل لأمة تكثر فيها المذاهب والطوائف، وتخلو من الدّين، ويل لأمة مقسمة إلى أجزاء وكل جزء فيها يحسب نفسه أمة". (٥٨)

وعندما كانت أمريكا خاضعة للاستعمار البريطاني، رفض الشعب الأمريكي عام ١٧٧٤ م دفع الضريبة التي فرضتها بريطانيا على الصحف الأمريكية، ولم تفرض ضريبة مماثلة لها على الصحف البريطانية، وسرعان ما تحول الموقف إلى مقاومة مدنية سلمية لاعنفية منتظمة، وقاطع الشعب الأمريكي الحر الذي رفض الاستمرار في البقاء تحت الاستعمار البريطاني، كل البضائع والمنتجات البريطانية، إضافة إلى منتجات البلدان التي تتعامل مع بريطانيا، وذلك بهدف إحكام المقاطعة لكل ما هو بريطاني. ثم تطوّرت المقاومة المدنية اللاعنفية إلى ثورة مسلحة تحررت بفضلها أمريكا من الاستعمار البريطاني عام ١٧٧٦م. (٥٩)

وظلت أمريكا تلجأ إلى هذا السلاح منذ ذلك الوقت ، أحيانا بطريقة مشروعة لحماية مصالحها ، وأحياناً أخرى بطريقة غير مشروعة لفرض هيمنتها على شعوب أخرى وحرمانها من حقها الطبيعي والقانوني في السيطرة على موارد بلادها واستغلالها لمصلحتها. وهكذا ، بين عامي ١٩٩٣-١٩٩٦ استعملت أمريكا سلاح المقاطعة خمسين مرة ضد (٦٦) بلدا.وخلال الفترة ١٩٧٩و ١٩٩٥ أصدر الكونغرس الأمريكي قوانين ضد المقاطعة العربية لإسرائيل.(٦٠)

ودعا رجال الدين والمدرسون السعوديون المواطنين إلى مقاطعة السلع الأمريكية مثل الوجبات السريعة والسيارات والسجائر. ويذكر أنّ السعودية من أكبر الأسواق لهذه السلع ، إضافة إلى الدواء. وذكرت صحيفة "جولف نيوز" الإماراتية أنّ المدرسين السعوديين خصصوا وقتا يوميا من وقت الدراسة لإطلاع طلابهم على معلومات حول مذابح الفلسطينيين، وتخويفهم من السموم الموضوعة في الوجبات السريعة التي تقدمها سلسلة المطاعم الأمريكية(٦١)

ج-المقاطعة الاقتصادية الكاملة لإسرائيل وأمريكا فرض على كل مسلم

١-فتوى مفتي الديار المصرية: دعا مفتي الديار المصرية، الدكتور نصر فريد واصل، الدول العربية والإسلامية إلى مقاطعة أمريكا وإسرائيل اقتصادياً وعدم التعامل معهما بالاستيراد والتصدير حتى تعود الحقوق العربية كاملة والمقدسات الإسلامية إلى أصحابها، مؤكداً أن المقاطعة الاقتصادية الشاملة فرض على كل مسلم وعربي، وإذا عجزت الحكومات عن تنفيذ هذه المقاطعة فإن على الشعوب العربية والإسلامية القيام بهذا الدور. إنّ مواقف الدول العربية والإسلامية إزاء ما تقوم به إسرائيل والصهيونية العالمية والدول المعاونة لها تتسم بالسلبية التي حرمتها الشرعية الإسلامية وهذه السلبية جريمة خطيرة موضحاً أن هذه السلبية من جانب العرب والمسلمين هي التي مكنت اليهود من اغتصاب فلسطين وأضعفت قوة المسلمين.

وأضاف في تصريحات صحفية أن العالم حالياً لا يعرف إلا لغة القوة وقد أخفقت كل القوانين والمؤسسات الدولية في مواجهة الغطرسة والعربدة الإسرائيلية، وأكد أنّ المقاطعة الاقتصادية مع العدو ومعاونيه هي أقوى الأسلحة لتحقيق النصر عليهم... ومناصرة الشعب الفلسطيني فرض على كل مسلم مع تقديم الدعم المادي والمعنوي له.(٦٢)

وجه الداعية الإسلامي الدكتور يوسف القرضاوي نداء إلى الأمة الإسلامية أكد فيه على ضرورة مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية، معتبراً أن كل ريال يدفعه المسلم في شراء هذه البضائع بمثابة رصاصة يوجهها من حيث لا يدري إلى صدور إخوانه في فلسطين. ووصف القرضاوي من يسعون في طريق السلام مع اليهود بأنهم لا يعتبرون من دروس التاريخ التي أثبتها القرآن في الآيات التي تتحدث عن نقض للعهود. وشدد على ضرورة جهاد المسلمين لليهود بأموالهم ريثما تتاح لهم الفرصة للجهاد بأنفسهم. وتعجّب القرضاوي ...من بعض المسلمين الذين لا يستطيعون الامتناع عن المشروبات والمأكولات الأمريكية مثل منتجات "الكوكاكولا" و"البيتزا" و"الهامبورجر" أو السيارات والآلات الأمريكية. وقال: إنه إذا لم تستطع الأمة أن تشوي دجاجة أو تصنع فطيرة "بيتزا" فهي أمة مستعبدة للذوق الأمريكي. ووصف من يستهينون بأمر المقاطعة ويدفعون ولو ريالاً واحداً لسلعة أمريكية بأنهم يطلقون رصاصة إسرائيلية على صدر أخ أو أخت فلسطينية نظراً للدعم المالي والعسكري والسياسي الذي تقدمه الولايات المتحدة ل "إسرائيل".

ودعا القرضاوي إلى استخدام سلاح المقاطعة ضد إسرائيل وأميركا التي تساندها وقال: لا يستطيع أحد أن يفرض علينا ما نشتري، فسلاح المقاطعة بين الجماهير لا تستطيع أي حكومة منعه فالشركات الأمريكية هي الممول الفعلي للصهاينة، فإذا خسرت نكون قد فعلنا الكثير من أجل مساندة إخواننا في فلسطين.(٦٣)

وبمناسبة العدوان الإسرائيلي على لبنان صيف عام ٢٠٠٦دعا سيد حامد البار وزير خارجية ماليزيا الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي التي لديها علاقات دبلوماسية مع إسرائيل إلى قطع هذه العلاقات". (٦٤)

ودعت الكنيسة البريسبترياتية في الولايات المتحدة الأمريكية إلى مقاطعة الشركات التي تواصل التعامل التجاري مع إسرائيل وخاصة الشركات التي تزود مروحيات سلاح الجو الإسرائيلي بالعتاد والتجهيزات وشركة كاتربلر التي تقوم بلدوزراتها الضخمة بتدمير منازل الفلسطينيين، وشركة موتورولا التي توفر أجهزة الاتصال للجيش وتستثمر في الشركات الخلوية في إسرائيل، التي تمس بالمصالح الاقتصادية بوسائل الاتصال الفلسطينية.(٦٥)

في الذكرى التاسعة والثلاثين للاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة دعا ما يزيد على (١٧٠) من الأحزاب السياسية، والاتحادات والمؤسسات والجمعيات والمنظمات الفلسطينية لمناصرة الحملة الدولية لمقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها ، وفرض العقوبات عليها.

وبيّن الصحفي التونسي نور الدين العويدي المقيم في لندن أهمية المقاطعة الاقتصادية في مواجهة إسرائيل وأمريكا وقال:

في ظل تزايد الوعي الشعبي بأهمية المقاطعة ...يجد كل فرد منا ، ... أنّ بامكانه المشاركة في معركة مقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية ، وأن يكون له دور في التأثير على أصحاب القرار السياسي وذلك من خلال تكبيد السلع والشركات والمؤسسات الأمريكية والإسرائيلية خسائر طائلة تجعل أصحاب هذه المؤسسات يضغطون على صاحب القرار السياسي من أجل مراجعة حساباته، في تجاه إبداء شيء من الاحترام للحقوق العربية والفلسطينية. وترتبط مسألة المقاطعة في جانب كبير منها باعتبارها فعلا إراديا اختياريا وبكونها تربية للذات وللأجيال الجديدة من الأمة ... على التخلص الإرادي من العديد من العادات الاستهلاكية التي وفدت إلينا مع موجة أمركة العالم وعولمته والتوجّه لإحياء العادات الاستهلاكية الوطنية ..، باعتبار ذلك وجها من وجوه الحفاظ على مميزاتنا الحضارية وتشجيعا لإنتاجنا الوطني، فالمأكل والملبس والمشرب من أسس الهوية الحضارية التي تتميز بها كل أمة عن الأخرى (٦٦).

وفي الساحة العربية أعطى الشعب المصري أمثلة لا تقل روعة ومضاءً في جهاده ضد الاستعمار البريطاني" بعد الحرب العظمى عندما دعا سعد زغلول إلى شن حملة نضالية سلمية ضد الاحتلال البريطاني شملت مقاطعة البضائع الأجنبية. ومما يذكر في هذه المقاطعة أنها واجهت الاستعمار البريطاني كجزء من الإمبريالية العالمية، فتناولت مقاطعة البضائع المستوردة من الغرب عموماً ". (٦٧)

ودعا الكاتب الأمريكي "ستيفن غرين" Stephen Green في كتابه " انحياز أمريكا إلى إسرائيل " العرب أن يدافعوا عن مصالحهم لكي يحظوا باحترام الأمريكيين، واقترح مقاطعة العرب المنتوجات الأمريكية (٦٨)

وأكد تقرير أصدره المجلس القومي الأمريكي أن بيع البضائع والخدمات الأمريكية في العديد من القطاعات التجارية في العالم العربي قد انخفض بدرجة ملموسة كنتيجة مباشرة للانتفاضة وأنّ مبيعات المنتجات الأمريكية قد انخفض بنسبة ٤٠%. (٦٩)

وعلق الكاتب الأستاذ سعيد مضية على تهاون العرب في موضوع المقاطعة كسلاح ضد المحتل بقوله:"من المؤسف أن القناعة متوفرة بجدوى المقاطعة، بل بضرورتها. والشعوب العربية تغضب وتستخلص النتائج وأحياناً تقرر، ولكن الإقدام على الفعل يتطلب الإرادة والثقة بالنفس. والجماهير العربية لا تثق أن بمقدورها قهر قاهريها. إرادة الفعل هو ما ينقص كي لا تظل الجماهير على مدارج المتفرجين، تهتف وتندد، تحيي وتستنكر، تبتهج وتسخط."

د- أكاديميون غربيــــون يقاطعون إسرائيل تضامنا مع شعب فلسطين وفلسطينون ومسلمون يطعنون فلسطين ويطبّعون علاقاتهم مع إسرائيل

في ٢٧ أيار ٢٠٠٦ قررت أكبر نقابة في كندا والتي تضم (٤٥٠) ألف عامل فرض المقاطعة على إسرائيل طالما لا تعترف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وطالما لا تنفذ قرارات الأمم المتحدة. (الرسالة ٢٠٠٦/٦/٨).كما قررت (٢١) منظمة كندية، بينها نقابات ومؤسسات كنسية، مقاطعة إسرائيل بسبب سياستها العنصرية تجاه الشعب الفلسطيني(الحياة الجديدة ٢٠٠٩/٥/٣١) واتخذ اتحاد المحاضرين الأكبر في بريطانيا الذي يشتمل على نحو من (٦٩) ألف عضو قرارا بتشجيع المحاضرين البريطانيين على مقاطعة المحاضرين والمؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية التي لا تعبر عن موقف عام صريح مضاد لسياسة التمييز العنصري الإسرائيلية وخاصة في مجال التربية.(٦٦)

وعلاوة على طبقة أصحاب رأس المال والتجار الذين يقفون في خندق واحد مع المحتل والمستعمر، والمتهافتين على منصب سياسي كتهافت الذباب على القاذورات، فقد نكبت فلسطين بفئات من مثقفيها الذين قصروا في حقها أو تنكروا لها، وانضموا لخندق أعدائها. ومن أمثلة الذين قصروا معها، وتخاذلوا عن القيام بواجبهم تجاهها الأكاديميون والمعلمون في مختلف المراحل الذين لم يعبروا يوما أثناء تدريسهم عن شعور الانتماء إليها، وذلك خوفا من سطوة

السلطان، وعلى لقمة العيش، متناسين أن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، وأن الرزق بيد الله، وليس بيد العبد، مهما علا وتكبر. ورغم الشهادات الجامعية العالية التي يحملونها في مختلف التخصصات، لم يقم أي منهم بكتابة مقال لطلابه وأبناء شعبه، يبدي فيه انتماءه لفلسطين ويدعوهم فيه للدفاع عن حقوقهم المشروعة التي تنتهك كل يوم. وهناك فئة أخرى تجاوزت في خطرها كل الخطوط الحمر، فراحت تتسابق على تقديم الولاء للمحتل والمستعمر الذي يدعمه، كما راحت تتفنن في تطبيع علاقاتها الثقافية والسياسية والاقتصادية مع المحتل والمستعمر.

ومن أمثلة الأكاديميين والمثقفين الذين طعنوا أمتهم الأستاذ الدكتور سري نسيبة رئيس جامعة القدس، والمؤتمن على ملف أولى القبلتين ،ثالث الحرمين الشريفين، الذي أبى إلا أن يفرط عقد التضامن الذي نسجه حوالي سبعين ألف محاضر بريطاني دفعهم ضميرهم إلى استنكار موقف إسرائيل وأكاديمييها، والتضامن مع حق الشعب الفلسطيني في الحرية وفي تقرير المصير، وذلك حين نظم لقاءات تطبيعية مع أكاديميين إسرائيليين. وإذا كان اللوم بالدرجة الأولى يقع على الدكتور نسيبة وأمثاله من الأكاديميين والسياسيين الفلسطينيين، الذين آثروا رضاء أمريكا وإسرائيل على رضاء الله، فهناك أيضاً لوم أيضا على العرب والمسلمين العديدين الذي ساروا في نفس الطريق لاعتبارات شخصية دنيوية بعيدة عن العقيدة والضمير والوطن والمصير المشترك.فكيف تطبع باكستان المسلمة علاقاتها مع إسرائيل التي تحتل أرض المسلمين وتقتل شعبهم وتدنس مقدساتهم؟ وكيف تقوم تونس وموريتانيا و.. بالعمل ذاته؟ وهل يعقل أن تحث "كرستين هلفورسن" وزيرة الموارد المالية النرويجية المستهلكين النرويجيين على مقاطعة البضائع الإسرائيلية بينما العلم الإسرائيلي يرفرف في عواصم إسلامية وعربية، والتبادل التجاري معها يزداد يوماً بعد يوم، دون أي اعتبار لاغتصاب إسرائيل للأرض والعرض وقتلها النساء والأطفال الأبرياء، وتدنيسها للمقدسات؟ والسؤال هو: **هو أين المليار وربع المليار مسلم وعربي ؟! ولماذا لا نرى مواقفاً جدية وعملية لهم في هذا الشأن؟! أين النقابات الإسلامية والعربية هل بها حياة بعد، أم ماتت؟!**

ولماذا كلما تُصعّد إسرائيل من ممارساتها العدوانية تجاه الشعبين الفلسطيني واللبناني، تزيد دول عربية من وارداتها من إسرائيل؟ لقد ذكرت "الشرق الأوسط في ٢٠٠٥/٥/١٨ أنّ السنة الماضية شهدت ارتفاعاً ملموساً بلغ (٣٤%) في حجم الصادرات الإسرائيلية إلى الدول العربية التي تقيم معها علاقات دبلوماسية أو تجارية، وهي مصر والأردن وقطر وعمان والمغرب وتونس، إضافة إلى العراق والبحرين رغم عدم وجود علاقات رسمية. وقالت المصادر إن حجم الصادرات بلغ في الربع الأول من السنة الجارية (٥٧)مليون دولار، حصة الأردن ومصر منها (٥٢)مليوناً.(٧١)

هوامش الفصل الحادي عشر

١	(تصير عاروري ٢٠٠٢/١١/٣٠ (www.arabrenewal.com).
٢	(www.aljazeera.net)
٣	(www.middle-east-online.com)
٤	www.opednew.com - American Illegal Proxy war, July 19, 2006 www.conscioustalk.net
٥	(الحياة الجديدة، ٢٠٠٦/٠٩/٢٩م)، الحياة الجديدة ٢٠٠٦/١٠/٢٠
٦	(الحياة، ٢٠٠٦/٠٨/١٦م)
٧	(فادي النحاس، قضايا إسرائيلية، العدد ٢٣ لعام ٢٠٠٦م، ص ١٢، ومهند مصطفى، المصدر نفسه، ص ٤٣).
٨	Informed Comment, July 23, 2006
٩	(الحياة الجديدة، ٢٠٠٦/٠٨/١٦م).
١٠	(الحياة الجديد، ٢٠٠٦/٠٨/٢٤م).
١١	(الرسالة، ٢٠٠٦/٠٧/٢٧م)
١٢	(الحياة، ٢٠٠٦/٠٩/١٤م
١٣	(قضايا إسرائيلية، العدد ٢٣ لعام ٢٠٠٦، ص ٧٦-٨٠)
١٤	(قضايا إسرائيلية، عدد ٢٣ لعام ٢٠٠٦م، ص ٥٣)
١٥	(قضايا إسرائيلية، عدد ٢٣، ص ٧٠).
١٦	(الحياة الجديدة، ٢٠٠٦/٠٨/٢٢م)
١٧	(الحياة الجديدة، ٢٠٠٦/٠٨/١٧م).
١٨	(فادي النحاس، قضايا إسرائيلية، العدد ٢٣ لعام ٢٠٠٦م، ص (٨-٩)
١٩	(الحياة الجديدة، ٢٠٠٦/٠٨/١٥م).
٢٠	(قضايا إسرائيلية، العدد (٢٣) لعام ٢٠٠٦م، ص ٧٠).
٢١	(مهند مصطفى، "الردع الإسرائيلي والحرب على لبنان"، قضايا إسرائيلية، العدد (٢٣) لعام ٢٠٠٣م، ص ٥٣).
٢٢	الحياة الجديدة ٢٠٠٦/١٠/٥
٢٣	(هآرتس – الحياة الجديدة – ٢٠٠٦/٠٨/٢٤م).
٢٤	(قضايا إسرائيلية، العدد (٢٣) لعام ٢٠٠٦م، ص ١٤).
٢٥	(الحياة الجديدة، ٢٠٠٦/٠٨/١٦م).
٢٦	الحياة الجديدة ١٥-٩-٢٠٠٦
٢٧	الحياة الجديدة ٢٠٠٤/٨/٢٥
٢٨	النهار ١٩٨٨/١/١٩
٢٩	القدس ١٩٨٩/٤/٢
٣٠	(القدس ٦-٤-٢٠٠١)
٣١	لحياة الجديدة ٧ / ٨ / ٢٠٠٢
٣٢	(الحياة الجديدة ١٣ / ٣ / ٢٠٠٣)
٣٣	الحياة الجديدة ١١ / ٦ / ٢٠٠٣
٣٤	الأيام ٢٠٠٣/١٠/٦
٣٥	(الحياة الجديدة ٢٠٠٤/٩/٢)
٣٦	القدس ٢٠٠٥/١٠/١٥)
٣٧	الحياة الجديدة ٢٠٠٥/٥/١٣
٣٨	الحياة ٢٠٠٥/٥/٢٦
٣٩	(الحياة الجديدة ٢٠٠٥/٨/١٢ ،الرسالة ٢٠٠٥/١٠/٦.)
٤٠	الحياة الجديدة ٢٠٠٦/٩/٣٠
٤١	(الحياة الجديدة ٢٠٠٦/٨/٧)
٤٢	فيليب حتي، "تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين"(بيروت: دار الثقافة،١٩٥٨) ص(٣٥٢، ٣٧٥-٣٧٦)

٤٣	Bob Baseman, "Pictorial Guide and Souvenir" n.d., n.p.
٤٤	غسان نزال، "مخيم جنين أسطورة هزت العالم" د. ن. ٢٠٠٢.جريدة الحياة الجديدة، ١٤و ١٧-٨-٢٠٠٢، ١٤-١١-٢٠٠٢ تقرير الأمم المتحدة:UNRWA Camp Profile of Jenin (www.un.org/unrwa/refugees/wb/jenin.html) تقرير منظمة العفو الدولية (www.amnestyusa.org) ،www.zmag.org (ZMagazine) Human Rights Watch www.hrw.org
٤٥	الحياة (٢٩-٥-٢٠٠٤).
٤٦	القدس ٢٠٠١/١١/١٩
٤٧	صالح ذياب هندي، دراسات في الثقافة الإسلامية. عمان: كلية مجتمع عمان، ١٩٨٤م) ص (٩٣-٩٤
٤٨	محمدعلي الصابوني،"صفوة التقاسيم في تفسير القرآن الكريم"(القاهرة: دار الصابونب، ١٩٧٦) المج ص (١٢٦)
٤٩	الموسوعة الفلسطينية ،مجلد ٢ ، ج٢ ص (٢٦٠)
٥٠	Stephen Zunes, "Self Determination" FPIF Special Report, May 2002. (www,fpif,orq).
٥١	F. Yahia,."The Palestine Question and International Law"(Beirut: Palestine Liberation Organization-Research Center, 1970) pp (185-186).
٥٢	محمد علي الصابوني، " صفوة التقاسيم – تفسير القرآن الكريم" (القاهرة: دار الصابوني، ١٩٧٦) المجلد (٣) ص (٣٦٣)
٥٣	محمد علي الصابوني، " صفوة التقاسيم – تفسير القرآن الكريم" (القاهرة: دار الصابوني، ١٩٧٦) المجلد (٣) ص (٣٦٤)
٥٤	الرسالة ٥/١٠/٥٣ ٢٠٠٠
٥٥	لحياة الجديدة ١٩٩٩/٨/١٨ ٥٤
٥٦	الميثاق الوطني الذي أصدرته اللجنة الشعبية لمقاومة التطبيع في فلسطين في ختام مؤتمرها الأول برام الله- جريدة الحياة الجديدة ٢٠٠١/١/٣١
٥٧	خالد كشطلني، " نحو اللاعنف " (القدس: المركز الفلسطيني لدراسة اللاعنف ، ١٩٨٦)ص (٢٠٢).
٥٨	إميل ناصيف، "أروع ما قيل في الوطنيات" (بيروت : دار الجليل، ١٩٩٢) ص (١٣٢)
٥٩	We Hold These Truths . A Documentary History of The United States"(New York: Cambridge Book Co.,Inc.,1964). USA: Declaration of Independence. P. (36).
٦٠	فضائية الجزيرة – الاتجاه المعاكس٥-١٢-٢٠٠٠
٦١	الحياة ٢٠٠٠/١١/١
٦٢	الرسالة ٢٠٠٠/١٠/٢٦
٦٣	الحياة الجديدة ٢٠٠٠/١١/٢ ، ٢٠٠٠/١١/٢٤
٦٤	(الحياة الجديدة ٢٠٠٦/٨/١٣)
٦٥	(الحياة الجديدة ٢٠٠٥/٨/٢٩)
٦٦	(الحياة الجديدة ٢٠٠١/١/١٩)
٦٧	خالد كشطلني،"نحو اللاعنف"(المركز الفلسطيني لدراسة اللاعنف،١٩٨٦) ص ١٤٦
٦٨	(Al-Fajr١٩٨٤/٥/١٨)
٦٩	استقلال ٢٠٠١/٥/٣)
٧٠	(الحياة الجديدة ٢٠٠٦/٥/٣١)
٧١	(مجلة الوعي – العدد ٢٣٢- السنة العشرون- جمادى الأولى ١٤٢٧هـ- حزيران ٢٠٠٦م)

الفصل الثاني عشر
المسلمون وفلسطين والغرب الإرهابي الشرير
الذي يغتصب ويقتل باسم "الرّب" والتحضير والتحرير١٠٩٩-٢٠٠٦
خلاصة الدراسة ونتائجها وتوصياتها

الفصل الثاني عشر

المسلمون وفلسطين والغرب الإرهابي الشرير
الذي يغتصب ويقتل باسم "الرّب" والتحضير والتحرير
١٠٩٩-٢٠٠٦
خلاصة الدراسة ونتائجها وتوصياتها

١٢-١- الغرب هو الذي صنع النزاع خدمة لمصالحه

أوضحت الفصول السابقة أنّ الغرب هو الذي اعتدى على المشرق عندما استعمره اليونان والرومان، وعندما شنَّ عليه الحروب الصليبية، وعندما هاجمت فرنسا مصر وفلسطين، وبعد ذلك تقدم الغرب بحوالي ثلاثة عشر مشروعاً لإقامة كيان صهيوني في فلسطين بين عامي ١٧٩٧-١٨٩٧. وتمّ تنفيذ مخططات مؤتمر كامبل بانرمان "Henry Campbell-Bannerman"في لندن عام ١٩٠٧،التي دعت إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين لتقسّم الوطن العربي إلى قسمين، ولضمان عدم توحّد العرب والمسلمين. ونجح الغرب في تقسيم الدولة الإسلامية الواحدة إلى أكثر من خمسين دويلة سخرها لخدمة أهدافه، ووضع الأجزاء الباقية من الوطن العربي تحت حمايته أو وصايته أو انتدابه.

- و تآمرت بريطانيا وفرنسا وأمريكا عام ١٩١٧ وأصدرت وعد بلفور، وحرمت الشعب الفلسطيني من حقه في تقرير المصير. وقسمت فلسطين إلى دولتين واحدة عربية وأخرى يهودية، وساعدت إسرائيل على إقامة دولتها، بينما لا تزال تضع العراقيل في طريق إقامة دولة للفلسطينيين.
- حدّدت الأمم المتحدة التي تهيمن عليها أمريكا وبريطانيا وفرنسا شروطا لقبول إسرائيل في الأمم المتحدة، كان منها : احترام ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها ، وتنفيذ القرار رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ الخاص بالتقسيم ، والقرار رقم ١٩٤ لعام ١٩٤٨ والخاص بعودة اللاجئين الفلسطينيين ، وأن يكون لهذه الأمور أولوية على أي قانون تسنّه دولة إسرائيل . وقد انتهكت إسرائيل جميع هذه الشروط التي تعهّدت بها خطيا أمام الأمم المتحدة، وكان من المفروض أن تجبر تلك الدول إسرائيل على تنفيذها، أو أن تطردها من المنظمة الدولية وتفرض عقوبات عليها، إلا أنّ تلك الدول غضّت البصر عن جرائم إسرائيل ، لأنها لا يهمها سوى مصالحها الخاصة.
- لقد خالفت تلك الدول مبدأ القانون الدولي الراسخ الذي يمنع اكتساب الأرض عن طرق القوة والحرب، ولم تكتف بالسماح لإسرائيل باحتلال حوالي ٢٢% من فلسطين زيادة عمّا قرّره لها مشروع التقسيم، بل أصدرت عام ١٩٥٠ التصريح "الإعلان" الثلاثي الذي أنذرت بموجبه أمريكا وبريطانيا وفرنسا كلّ من يحاول تغيير حدود إسرائيل التوسعيّة بشن الحرب عليه.

- بين عامي ١٩٤٨-١٩٦٧ خالفت إسرائيل مئات القرارات للأمم المتحدة، وبدلا من أن تقوم تلك الدول بفرض عقوبات عليها ، فقد ظلت تمدّها بسيل من المساعدات المالية والعسكرية. ودعمت تلك الدول إسرائيل وساعدتها على احتلال باقي فلسطين وأراضي أربع دول عربية أخرى عام ١٩٦٧، والعاصمة اللبنانية عام ١٩٨٢.

- وظلت تلك الدول تمنع عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط لأن مصالحها في المنطقة تتطلب استمرار الاحتلال الإسرائيلي، ولأنها تخشى من مشاركة الدول الأخرى في اتخاذ قرار يحدّ من هيمنتها على المنطقة.

- ومنذ انتفض الشعب الفلسطيني عام ١٩٨٧ وحتى اليوم تصاعد الدعم الغربي للكيان الصهيوني رغم تصاعد جرائم الحرب التي قامت بها إسرائيل ضدّ الشعبين الفلسطيني واللبناني.

- وجاء نزاع العراق والكويت، ووعدت الدولة "الشريفة "! أمريكا على لسان مسئوليها بحلّ مشكلة الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة، لأنها لا تقبل أن تكيل بمكيالين ! حسب ادّعائها. وقادت أمريكا والغرب مسرحية السلام ، وبعد انقضاء أكثر من عشر سنوات على مؤتمر مدريد للسلام، اتّضح أن هدف أمريكا والغرب ليس إنهاء الاحتلال الإسرائيلي ، وإنّما إجبار الفلسطينيين على التنازل عن حقوقهم المشروعة، وإنهاء مطالبتهم بتلك الحقوق، وهو الأمر الذي أدّى إلى اندلاع انتفاضة أيلول عام ٢٠٠٠م.

ونفذ الغرب مؤامراته الخاصة بصراع الحضارة والعولمة والإرهاب، فاحتل أفغانستان والعراق، ودمّر، وقتل،واغتصب، وعذب، ولكنه لا يزال يغوص في أوحال تلك البلاد،بعد أن انكشف مدى زيف حضارته وديمقراطيته، وإنسانيته.

وفي فلسطين، تابعت أمريكا وحلفاؤها الغربيون جرائمهم فزوّدوا إسرائيل بالمزيد من تكنولوجيا القتل والتدمير، وهو الأمر الذي دفع الفلسطينيين العزل أن يكوّنوا من أجسادهم قنابل بشريّة وأن يقوموا بعملياتهم الاستشهاديّة ضدّ الاحتلال الغاشم. وبدلا من أن تضغط أمريكا على إسرائيل لإنهاء احتلالها غير المشروع ، فقد أصبحت تطلق اسم " العنف والإرهاب " على مقاومة الفلسطينيين المشروعة للاحتلال، وتصف عدوان إسرائيل على العرب بأنه دفاع مشروع عن النفس، وتساوي بين المجرم والضحيّة ، وتطالب الطرفين بإنهاء العنف !!

١٢-٢- مسئولية الغرب عن نزاع الشرق الأوسط بموجب ميثاق الأمم المتحدة واتفاقية جينيف

الغرب هو الذي صنع النزاع ليخدم مصالحه، ونجح في السيطرة على المشرق وجعل من إسرائيل كلب حراسة له، وشماعة يعلق عليها شروره

وأوساخه السياسية. أمريكا وبريطانيا وفرنسا مسئولة مسئولية قانونية ، ومسئولية مشتقة(derivative responsibility) (أي مسئولية فرعية مشتقة من أو ناتجة عن المسئولية الأصلية) عن النزاع في الشرق الأوسط. فهناك التزام مطلق وغير مشروط في المادتين ٥٥ ، ٥٦ ، من ميثاق الأمم المتحدة بأن يقوم الأعضاء بما يجب عليهم من عمل بالتعاون من أجل احترام حق تقرير المصير لجميع الشعوب. و نصّت المادّة الأولى من اتفاقية جينيف الرابعة لعام ١٩٤٩بأن يتعهد الأطراف السامون المتعاقدون(High Contracting parties) باحترام وضمان احترام أحكام هذه الاتفاقية في جميع الأحوال. وبموجب المسئولية المشتقة للدول، تكون الدولة مسئولة مسؤولية مشتقة عندما تعطي نقودا إذا كانت تقصد أو تعرف بأن تلك النقود ستستعمل خلافا أو بشكل ينتهك الأنماط الدولية المتعارف عليها.(١)

وهكذا تكون الولايات المتحدة مسئولة مسئولية مشتقة إزاء أعمال إسرائيل عندما تعرف أنها تخرق حقوق الإنسان وتقوم رغم ذلك بدعمها بأموال طائلة، وتمنع إدانتها في الأمم المتحدة. علاوة على أنها قصّرت في ضمان احترام اتفاقية جينيف. وقد ضربت الدول الغربية العظمى عرض الحائط بجميع هذه المبادئ والالتزامات ودعمت إسرائيل التي ترى أنها تخدم مصالحها في المنطقة ، والتي خلقتها أصلا من أجل هذا الغرض.

أ- مسؤولية فرنسا عن نزاع الشرق الأوسط

كانت فرنسا أول دولة تنادي علناً بإقامة كيان لليهود تحت رايتها يخدم مصالحها منذ أن وطئت أقدام نابليون أرض فلسطين عام ١٧٩٨. ودعمت وعد بلفور وقرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧، كما دعمت إسرائيل ماديا ومعنويا ، إضافة إلى تصويتها إلى جانبها في الأمم المتحدة، وزوّدتها بالأسلحة والطائرات الحربية ومفاعل نووي. وفي عام ١٩٥٦ تعاونت فرنسا وبريطانيا مع إسرائيل في الاعتداء على مصر وفلسطين، واحتلال قطاع غزة وسيناء.

ب- مسؤولية بريطانيا عن نزاع الشرق الأوسط

أكّد كتّاب ومسئولون غربيون على مسؤولية بريطانيا عن النزاع، وعلى سبيل المثال، في كتابه "الأخوّة العربية اليهودية" يلقى "ليو بنيامين" " Leo Benjamin"باللوم على بريطانيا فيقول: "يجب أن نلقى اللوم في النزاع "العربي الإسرائيلي" على بريطانيا، رأس الأفعى وأساس المتاعب التي لا حدّ لها، والمتسببة في جروح وأضرار لا تحصى. عندما يستأجر شخص شخصاً آخر ليرتكب جريمة القتل... أليس الشخص الذي دفع النقود للآخر هو الذي يجب أن يلقى عليه اللوم؟" (٢)

- ويشهد المؤرخ الإسرائيلي آفي شليم (Avi Shalaim) بمسؤولية بريطانيا عن النزاع ويقول:"لولا بريطانيا لما أقيمت دولة إسرائيل، فهي التي عملت مدّة قرن لإقامتها، وهي التي أصدرت وعداً بإقامتها، وهي التي رعتها طوال فترة الانتداب حتى قامت، ولكن الشيء الوحيد الذي لم تفعله بريطانيا، لإسرائيل، هو أنها لم تعمل قابلة لها أثناء ميلادها".(٣)

وفي كتابه "دراسة التاريخ" يحمّل البروفيسور توينبي(Toynbee) الإسرائيليين والبريطانيين مسؤولية نكبة فلسطين ويقول:
"بينما تقع المسؤولية المباشرة للنكبة التي حلت بعرب فلسطين عام ١٩٤٨ على اليهود الصهاينة الذين استولوا على المجال الحيوي في فلسطين بقوة السلاح في تلك السنة، فإنّ حملاً ثقيلاً من المسؤولية غير المباشرة، والتي لا يمكن التبرؤ منها، تقع على عاتق المملكة المتحدة. لأنّ اليهود لم يكن بامكانهم عام ١٩٤٨ أن يهزموا البلاد العربية التي كان عدد اليهود فيها لا يتعدّى أقلية صغيرة عام ١٩١٨، لولا الجهود التي بذلتها باستمرار المملكة المتحدة، طوال الثلاثين عاماً، لإدخال المهاجرين اليهود في فلسطين،خلافاً لإرادة المواطنين العرب في فلسطين الذين أصبحوا عام ١٩٤٨ ضحايا هذه السياسة البريطانية المتبعة منذ زمن طويل". (٤)

ج- مسؤولية أمريكا عن نزاع الشرق الأوسط

- وضع الرئيس الأمريكي ويلسون مبدأ حقّ تقرير المصير للشعوب عام ١٩١٦، ولكن أمريكا تقف منذ ذلك الحين ضدّ حقّ الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.كما تقف ضد حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم.- وتذكر الباحثة اليهودية الأمريكية الدكتورة شيريل روبنبرغ أنّ الرئيس ترومان أيّد القرار ١٨١ الذي قضى بتقسيم فلسطين إلى دولتين ، والقرار ١٩٤ الذي " نصّ على عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى بيوتهم أو تعويض من لا يرغب في العودة منهم . أما من الناحية العملية فلم يحدث أن حاول ترومان ولو لمرّة واحدة أن يلزم إسرائيل بالامتثال للقرار (١٩٤). كذلك خلفاء ترومان لم يعملوا على تنفيذ قراري الأمم المتحدة (١٨١) و (١٩٤). وفي الواقع لا يشير المسئولون الأمريكيون إلى هذين القرارين ، رغم أنهما لا زالا ساريي المفعول وملزمين قانونيا ."(٥)

- وفي عام ١٩٤٨ ساهمت أمريكا بحصّة الأسد في تمويل وتسليح إسرائيل.وفي عام ١٩٦٧ اتخذت منها أداة لضرب حركة التحرر العربية، حيث احتلت أراضي أربع دول عربية، إضافة إلى ما كان قد تبقى من فلسطين. وكلفت أمريكا إسرائيل بضرب المفاعل النووي العراقي نيابة عنها عام ١٩٨١، كما

تستغلها في تقديم المساعدة للحركات اليمينية التي تخدم مصلحة أمريكا، أو إزعاج الحركات التحررية المناوئة لها والتي لا تستطيع أمريكا كقوة عظمى مساعدتها أو التعرّض لها . ولذلك أطلقت عليها اسم "شرطي المنطقة" ، و"كلب حراسة" ثم " وكيل أمريكا" ثم أصبحت حليفا وشريكا استراتيجيا معها، بعد نجاحها الباهر في القيام بما أوكل إليها من أدوار. ولذلك لا عجب في أن توصف أمريكا وإسرائيل والشيطان بأنهم" في الحقيقة ثلاثة أوجه لنفس الشيء ... نعم .... عقيدة تثليث سياسي". وأن توصف ا أمريكا بأنها "رأس الأفعى".(٦)

- رغم قرارات الأمم المتحدة التي دعت الدول لعدم الاعتراف بضم القدس وعدم نقل سفاراتها إليها ، والقرارات التي أكدت أن المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة غير قانونية ويجب إزالتها، أقرّ الكونغرس الأمريكي قانون نقل السفارة الأمريكية إلى القدس العربية.ودعمت أمريكا إقامة المستوطنات وأجهضت قرارات مجلس الأمن التي أدانت إقامة تلك المستوطنات.

- طلبت الجمعية العامة للأمم المتحدة من الدول عدم التعاون مع إسرائيل بسبب رفضها وضع أسلحتها النووية تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وبدلا من أن تستجيب أمريكا لطلب الأمم المتحدة ، أقامت اتفاقا للتعاون الاستراتيجي مع إسرائيل منذ عام ١٩٨١، وهدّدت بالانسحاب من الأمم المتحدة، ومن الوكالة الدولية للطاقة الذرية وبوقف مساعداتها لتلك الوكالة، إذا فرضت عقوبات على إسرائيل.

١٢-٣-أمريكا وبريطانيا وفرنسا تمنع إحلال السلام

لقد ارتكبت أمريكا وبريطانيا بشكل خاص، وفرنسا بدرجة أقل –إما مباشرة بنفسها، أو عن طريق وكيلها وكلب حراستها الصهيوني، جرائم حرب بحق الفلسطينيين والعرب والمسلمين، وأصدرت الأمم المتحدة - بكافة هيئاتها وفروعها- آلاف القرارات التي أدانت إسرائيل، ولكن أمريكا وبريطانيا وفرنسا شكلت درعاً حمى إسرائيل، وحال دون طردها من الأمم المتحدة، أو فرض عقوبات عليها.

وقد قامت تلك الدول بذلك عن طريق ثلاث وسائل هي: (١)إجهاض قرارات مجلس الأمن عن طريق الفيتو.
(٢)الامتناع عن التصويت على قرارات مجلس الأمن.
(٣)الامتناع عن التصويت على قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة. وسوف نوضح هذه البنود الثلاثة بالتفصيل.

١٢-٣-١-أمريكا وبريطانيا وفرنسا تمنع إحلال السلام عن طريق الفيتـــو

أ- قرارات مجلس الأمن التي أجهضتهـــا

أمريكا عن طرق الفيتو ١٩٦٧-٢٠٠٠م

الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن أعطت نفسها حق إجهاض أي قرار في مجلس الأمن قبل صدوره عن طريق الفيتو. وقد استعملت أمريكا حق النقض (الفيتو) لأول مرة عام ١٩٧٢. ومنذ ذلك الحين، لجأت أمريكا عدة مرات لقتل قرارات مجلس الأمن التي تنتقد أو تدين إسرائيل أو تتناقض مع مصالحها عن طريق الفيتو. ويمكن تصنيف قرارات الفيتو الأمريكية في ثلاثة أصناف هي:(١) لمنع دولة فلسطينية أو الاعتراف بالحقوق الوطنية للفلسطينيين.(٢)لمنع إدانة أو شجب أعمال إسرائيل غير المشروعة. (٣)لمنع فرض عقوبات على أعمال إسرائيل غير المشروعة.

ويرى الحاخام اليهودي الأمريكي "المر بيرغر (Elmer Berger) أنّ الأضرار التي ألحقتها قرارات الفيتو الأمريكي تمثلت في: "أنها أعطت إسرائيل الحرية في ارتكاب اعتداءاتها بأسلحة أمريكية ، وحالت دون نيل الفلسطينيين حقوقهم الوطنية المشروعة بوسائل سلمية ، وشجّعت إسرائيل على الاستمرار في احتلالها للأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة، وحالت دون استعادة العدالة والسلام في الشرق."(٧)

وينتقد الكاتب الأمريكي دونالد نف (Donald Neff) بلاده ويقول : " لم يقم أي بلد آخر في العالم بإساءة استعمال الفيتو في مجلس الأمن، من أجل دعم إسرائيل، كما عملت أمريكا"(٨)

وسجلت هذه الدراسة (٤١)قرارا أجهضتها أمريكا في مجلس الأمن الدولي عن طريق الفيتو لحماية إسرائيل من الإدانة.أنظر الملحق رقم (٧).

ب- الأصناف التي شملتها قرارات الفيتو

وقد قام الباحث بفرز وتحليل قرارات الفيتو المذكورة في الملحق رقم (٢) فتبين أن قرارات الفيتو تلك قد قتلت أو جمدت أو أعاقت حقوق الشعبين الفلسطيني واللبناني،في مجالات عديدة. ويبين الجدول التالي هذه المجالات ، وعدد المرات التي كررت فيها أمريكا الفيتو بشأن كل حق من تلك الحقوق:

جدول بالأصناف التي شملتها قرارات الفيتو المذكورة
في الملحق رقم (٧) وعدد مرات تكرار كل صنف

الصنف / النوع	العدد
إدانة إجراءات إسرائيل في الأراضي المحتلة ووقف انتهاكها لحقوق الإنسان	٨
طلب وقف القتال وإدانة قيام إسرائيل بهدم المباني	٧
تأكيد الحق الثابت للشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وإقامة دولته وعودة اللاجئين، وانسحاب إسرائيل	٣
إدانة الهجوم على المسجد الأقصى	٢
إدانة عدم امتثال إسرائيل لقرارات المجلس وقرارات الجمعية العامة	٢
الامتناع عن مصادرة أراضٍ وإلغاء الأراضي التي تم مصادرتها ووقف الاستيطان	٧
طلب المجلس من إسرائيل إلغاء أوامر الإبعاد والتوقف عنه	٥
احترام حقوق المدنيين في لبنان واتفاقات جينيف	٤
أسف المجلس الشديد بسبب استمرار الاحتلال وتحدي قراراته	٢
إلغاء ضمّ القدس وضم الجولان	٢
شجب طرد رؤساء البلديات المنتخبين وتشكيل لجنة لفحص انتهاكات إسرائيل	٥
إدانة أعمال إسرائيل بالقتل خارج القانون و قتل موظفي الأمم المتحدة	٥
الطلب من إسرائيل بسحب قواتها من المدن و إدانة سور العزل	٢
الطلب من إسرائيل بتنفيذ خارطة الطريق والإفراج عن عائدات الضرائب	٢
الطلب من إسرائيل بفك الحصار عن الشعب الفلسطيني	١
الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان وعلى طائرة مدنية	١١
المجموع	٧٠

يتضح مما تقدم، مدى الإجرام الذي ارتكبته أمريكا بحق الشعب الفلسطيني، عندما أجهضت (قتلت) واحداً وأربعين قراراً حاول من خلالها مجلس الأمن الدولي وقف انتهاكات إسرائيل لحقوق الشعب الفلسطيني، ومنعت أمريكا من خلال الفيتو سبعين إدانة صريحة لإسرائيل، كل إدانة منها كافية لفرض عقوبات على إسرائيل لإلزامها باحترام القانون الدولي وحقوق الانسان.

١٢-٣-٢- قرارات مجلس الأمن التي أعاقتها أمريكا عن طريق الامتناع عن التصويت ١٩٤٧-٢٠٠٤م

واتخذت أمريكا شكلا آخر من أشكال دعم إسرائيل وهو الامتناع عن التصويت على قرارات في الأمم المتحدة. فبدلا من الانضمام إلى الدول التي تدين إسرائيل في الجمعية العامة أو في مجلس الأمن، كانت أمريكا تمتنع عن التصويت. وخلافا للنقض أو (الفيتو) فالامتناع عن التصويت لا يؤثر على اتخاذ

مجلس الأمن للقرار ، ولكنه يدل على موافقة أمريكا على أعمال إسرائيل غير القانونية بحق الفلسطينيين.

ومن الأمثلة على ذلك، امتناع أمريكا عن التصويت على قرار مجلس الأمن رقم ١٩٦٨/٢٥٢، الذي أعاد مجلس الأمن فيه تأكيده على عدم جواز اكتساب الأرض عن طريق القوّة، وأدان إسرائيل واعتبر أنّ إجراءات إسرائيل لضم القدس ومصادرة أملاك الفلسطينيين باطلة. وعندما ارتكب الإرهابي اليهودي الأمريكي الدكتور "باروخ جولدشتين" (B. Goldstein) مذبحة داخل الحرم الإبراهيمي الشريف بالخليل في ٢٥شباط عام ١٩٩٤،، وفي أعقاب المجزرة التي ارتكبتها إسرائيل بحق الفلسطينيين في القدس بعد أحداث حفر نفق تحت المسجد الأقصى المبارك عام ١٩٩٦، امتنعت أمريكا عن التصويت على القرارات التي دعت إلى أن توقف إسرائيل أعمالها، وضمان سلامة المدنيين الفلسطينيين. وهذا يدل على أن أمريكا كانت موافقة على ذبح الفلسطينيين في مساجدهم، و على مخالفات إسرائيل بحق مدينة القدس العربية الإسلامية منذ ذلك التاريخ، هذا إن لم تكن هي التي أوعزت لها القيام بتلك المخالفات، لأنها ترى أن إسرائيل القوية المتحدية هي التي يمكن أن تقوم بدورها ككلب حراسة للغرب.

أ-عدد المرات التي أدان فيها مجلس الأمن إسرائيل

وقد قامت إسرائيل باعتداءات على جيرانها الفلسطينيين والعرب، وانتهكت اتفاقات الهدنة، وميثاق الأمم المتحدة، والقانون الدولي.وقد قام الباحث باستقصاء سجلات الأمم المتحدة ، وسجل القرارات التي أدان فيها مجلس الأمن الدولي إسرائيل ، أو انتقدها ، أو حذرها فيها بعدم تكرار مخالفاتها، من عام ١٩٤٨ إلى عام ٢٠٠٤ فبلغ عددها (٩٤) قراراً. وسجل هذه القرارات في الملحق رقم (٨).

ب-عدد المرات التي امتنعت فيها أمريكا وبريطانيا وفرنسا على التصويت على قرارات مجلس الأمن بشأن إسرائيل

وقد امتنعت أمريكا وبريطانيا وفرنسا عن التصويت على بعض هذه القرارات.وبالتمعن في التصويت على قرارات مجلس الأمن المذكورة في الملحق رقم (٨) يتبين أن الدول العظمى امتنعت عن التصويت على تلك القرارات كما هو مبين في الجدول التالي:

امتناع الدول العظمى عن التصويت على قرارات مجلس الأمن بشأن اعتداءات إسرائيل

الدولة	عدد مرات الامتناع عن التصويت
أمريكا	٣٢
بريطانيا	٣
فرنسا	١

وهنا يظهر بكل وضوح، كذب ونفاق الدول العظمى في تطبيق الشرعية الدولية. فالعراق في احتلاله غير المشروع للكويت الذي دام أسابيع قليلة- ولم يقتلع الشعب الكويتي من وطنه، كما فعل الاحتلال الإسرائيلي- خالف قراراً واحدا لمجلس الأمن، فشنت عليه حرب عالمية شارك فيها المسلمون والعرب والعجم، ودمّر وفرضت عليه أشد العقوبات. أما الاحتلال الإسرائيلي الذي قام بعملية تطهير عرقي للشعب الفلسطيني ودام أكثر من نصف قرن، والذي أدانه مجلس الأمن الدولي في (٩٤)قراراً وثقتها هذه الدراسة من سجلات الأمم المتحدة، كما أدانته الجمعية العامة للأمم المتحدة في مئات القرارات- فلم تكتفِ أمريكا وبريطانيا وفرنسا بحماية إسرائيل من أية عقوبات ، بل امتنعت عن التصويت على بعض تلك القرارات، تأكيدا منها على وقوفها بجانب إسرائيل.

١٢-٣-٣- قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاصة بنزاع الشرق والغرب التي رفضتها أو امتنعت عن التصويت عليها كل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا خلال الفترة (١٩٦٧-١٩٩٧)

علاوة على استعمال أمريكا "اللفيتو" ، والامتناع عن التصويت في . مجلس الأمن لحماية إسرائيل ، فقد امتنعت أيضا هي وبريطانيا وفرنساً عن التصويت على قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي تلوم إسرائيل أو تنتقدها، أو التي تطلب منها وقف عدوانها وانسحابها، أو على الأقل التقيد بالقانون الدولي واتفاقات جينيف.

ومن الأمثلة على ذلك، فقد نصّ قرار الجمعية العامة رقم ٢٠٩/٤٢/د بتاريخ ١٩٨٧/١٢/٢ على أن الجمعية "تعيد التأكيد على أن قضية فلسطين هي لبّ النزاع في الشرق الأوسط، وأنه لا يمكن إحراز سلام شامل وعادل ودائم في المنطقة بدون ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية الثابتة وغير القابلة للتصرف، وانسحاب إسرائيل الفوري وغير المشروط والتام من الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة. وقد صوتت أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا وألمانيا وإسرائيل ضد القرار. وهذا يعني أن تلك الدول تصرّ على استمرار الاحتلال الإسرائيلي غير المشروع للأراضي العربية، وعلى حرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه المشروعة، وحقه في تقرير مصيره.

وحتى يوضح المؤلف أن قضيتنا مع هذه الدول قبل أن تكون مع إسرائيل، قام بإجراء مسح لتصويت أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإسرائيل في الجمعية العامة للأمم المتحدة طيلة ثلاثين عاما (١٩٦٧-١٩٩٧) على القرارات المتعلقة بحقوق الشعب الفلسطيني – مع صرف النظر عن التصويت على القرارات الروتينية كالتي تتعلق بتمديد مدة عمل المراقبين الدوليين أو التصديق على

ميزانية وكالة غوث اللاجئين- وكانت نتيجة التصويت حسب الملحق رقم (٩-أ) .ومن غربلة هذا الملحق نحصل على الملحق رقم (٩-ب) والملحق رقم (٩ج).
وهكذا يتضح من تصويت تلك الدول في الجمعية العامة للأمم المتحدة على القرارات المتعلقة بحقوق الشعب الفلسطيني خلال المدة ١٩٦٧-١٩٩٧أنّ تلك الدول وقفت ضدّ حقوق الشعب الفلسطيني وصوّتت ضدّ القرارات التي أيّدت حقّ الشعب الفلسطيني.

ويدلّ الملحق (٩-ج) على أن إسرائيل قالت في الجمعية العامة للأمم المتحدة (لا) لحقوق الشعب الفلسطيني (٥٦٧) مرة ، بينما قالت أمريكا (٥٣٧) مرة ، وبريطانيا (٣٠١) مرة ، وفرنسا (٢٩٩) مرة. وهكذا ، يبدو جلياً من تصويت هذه الدول الثلاث أن قضية الاحتلال كانت قضيتها، وأنها جعلت من نفسها درعاً لحماية إسرائيل في الأمم المتحدة ، كما دعمتها وحمتها عسكريا.

وكانت تلك الدول الغربية تعارض قرارات الأمم المتحدة التي تتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وفي انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧والقرارات التي تمنع إسرائيل من مصادرة الأراضي وضمها ونقل مواطنيها إليها وهدم البيوت ، ومنع إبعاد المواطنين عن أرضهم،وقتلهم وانتهاك حقوقهم الإنسانية. ويقدم هذا الجدول أصدق دليل على أن عدونا الأول ليس إسرائيل وإنما الدول الغربية العظمى مجتمعة.وهكذا فقد أصبح واضحا أن الدول الغربية العظمى هي التي صنعت النزاع خدمة لمصالحها ، وأنها هي التي حالت دون إيجاد حل عادل لذلك النزاع ، لأنّ ذلك يتناقض مع مصالحها في المنطقة.

١٢-٤- مخالفات إسرائيل للقانون الدولي وحقوق الإنسان

أ- خالفت إسرائيل قرار التقسيم رقم ١٨١ الذي أصدرته الأمم المتحدة عام ١٩٤٧، وبدلاً من أن تتقيد بالمساحة التي حددها لها، فقد احتلت ٢٢% من أراضي فلسطين زيادة عما حدده لها ذلك القرار.
ب-قبل قبولها عضوا في الأمم المتحدة ، التزمت إسرائيل بأن تكون دولة محبة للسلام ، وأن تحترم ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها، وأن تقبل قرار تقسيم فلسطين رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ ، وعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، وتعويض من لا يرغب منهم في العودة، وبأن يكون لهذه الشروط أولوية على أي قانون أو نظام أو تشريع تسنه إسرائيل.ولكنها تخلصت من تلك الالتزامات بعد قبولها عضوا في الأمم المتحدة ، وعملت على النقيض منها تماماً.
ج- لم تحترم إسرائيل المبدأ الدولي الراسخ وهو" مبدأ عدم جواز اكتساب الأرض عن طريق القوة " ، رغم القرارات العديدة التي طلبت فيها الأمم

المتحدة من إسرائيل احترام ذلك المبدأ . وقد قدّمنا أمثلة عن قرارات الأمم المتحدة بهذا الشأن.

د - لم تحترم إسرائيل معاهدة جنيف الرابعة لسنة ١٩٤٩التي تفرض التزامات كثيرة على الدولة المحتلة، فتحرّم ضم الأراضي المحتلة، وتغيير قوانينها وإبعاد المواطنين، ومصادرة ممتلكاتهم وهدم بيوتهم، وانتهاك حقوقهم الإنسانية. وقد قدمنا أمثلة عن قرارات الأمم المتحدة بهذا الشأن .

هـ- قامت إسرائيل باعتداءات على جيرانها الفلسطينيين والعرب ، وانتهكت اتفاقات الهدنة، وميثاق الأمم المتحدة، والقانون الدولي.ويوضح الملحق رقم (٨) (٩٤) قرارا أدان فيها مجلس الأمن إسرائيل بسبب اعتداءاتها على الأرضي الفلسطينية والعربية ، خلافا لميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي. كما أدان إسرائيل لانتهاكها لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها واتفاقيات الهدنة وحذّرها فيها عدة مرات بأنها إن عادت وكررت القيام بمثل تلك المخالفات فإنه سيتخذ بشأنها إجراءات أشدّ. وقد تكررت مخالفات إسرائيل لكن لم يتخذ بشأنها عقوبات رادعة. ويمكن تلخيص أهم النقاط التي جاءت في تلك القرارات في الجدول التالي:

جدول يبين بعض المجالات التي أدان فيها مجلس الأمن الدولي إسرائيل١٩٤٧-٢٠٠٦م

أ- الاعتداءات	عدد
اعتداءات تسببت بخسائر في الأرواح و تضمّنت سفك دماء في مساجد	٤٤
قرار بتأكيد عدم جواز اكتساب الأرض بالقوة	٤
إدانة ضم القدس وطلب إلغاء الضم	٣
إدانة عدم مراعاة اتفاقية جينيف وتأكيد انطباقها على الأراضي المحتلة ومطالبة إسرائيل التقيد بها بدقة	٢٠
إدانة المستوطنات والطلب من الدول بعدم تقديم مساعدات لها	٤
إدانة إبعاد المدنيين وطلب إعادة المبعدين	١٠
إدانة إسرائيل لعدم تنفيذها قرارات مجلس الأمن و لتحديها لتلك القرارات	١٨
تحذير إسرائيل باتخاذ إجراءات أشد في حال تكرار المخالفة	٩
إدانة إسرائيل لعدم تعاونها مع لجنة دولية أنشئت بموجب قرار دولي	٣
الطلب من إسرائيل بإنهاء الاحتلال للأراضي العربية بما فيها القدس	٢
الانسحاب من المدن ووقف تدمير البنية التحتية، ووقف هدم البيوت	٢

١٢-٥- غرائب نزاع الشرق الأوسط والأطرف المشاركة فيه

١٢-٥-١- غرائب إسرائيل

رغم أن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي خلقت بقرار من الأمم المتحدة، إلا أنها هي أكثر دولة في العالم انتهكت ميثاق وقرارات الأمم المتحدة، حيث أن أكثر من ٦٠% من قرارات الأمم المتحدة كانت بشأن

إسرائيل. ومن أصل (١٧٥)قراراً أصدرها مجلس الأمن الدولي- في إحدى المراحل - كانت ٩٧ منها بشأن إسرائيل. (٩)

- أخذت إسرائيل تتصرف في المنطقة طبقا لقانون الغاب . وهذا الأمر أزعج موشي شاريت – أول وزير خارجية لإسرائيل وثاني رئيس وزراء لها عندما قال في مذكراته الشخصية :" إنّ ما يصدمني ويزعجني هو ضيق عقل ، وقصر نظر قادتنا العسكريين، إذ يظهر أنهم يفترضون أنّ بإمكان دولة إسرائيل – أو حتى يجب عليها – أن تتصرف في مجال العلاقات الدولية طبقاً لقانون الغاب". (١٠)

- استنتج المؤرخ البريطاني الشهير "آرنولد توينبي"(Arnold Toynbee) أن الكولونيالية الإسرائيلية منذ تأسيسها هي واحدة من أشد الحالات سواداً في العصر الحديث (١١)

- لا يعرف التاريخ لاجئا اغتصب المضيف الذي آواه ولا ضيفا طرد مضيفه وحل محله غير إسرائيل.لقد فعل التطرف الشوفيني الإسرائيلي كل ذلك للعرب مسلمين ومسيحيين، بازدراء كامل لقوانين الله وقوانين الإنسان.(١٢)

- الاحتلال الإسرائيلي أسوأ من الاحتلال النازي.فيذكر الكاتب اليهودي الأمريكي "توماس فريدمان"(Thomas L.Friedman) أن هناك خلفية لتصريح "توروليف أندا" السفير النرويجي لإسرائيل في شباط عام ١٩٨٨ بأن الاحتلال النازي كان في الواقع أكثر تنوّرا من احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة. فما فعله النازيون ، بما في ذلك ضرب وتعذيب المشتبه بهم، كان سيئاً جداً. ولكننا لم نرَ النازيين يخرجون للشوارع ليكسروا أذرع الناس وأرجلهم، أو يعتقلوا الأطفال من بيوتهم ليلاً. والنرويجيون لا يتوقعون مثل هذه الأشياء من إسرائيل، وتركت انطباعاً عميقاً في نفوسهم.(١٣)

- إسرائيل تريد دولة في الشرق العربي/الإسلامي تمتد من النيل إلى الفرات بينما ترفض أن تكون دولة شرقية وتصرّ على أنها دولة غربية

أنكر القائد الصهيوني جابوتنسكي علاقة اليهود بإسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام- وبالمشرق وقال:" هذه خرافة. إسماعيل ليس عمّنا. ونحن نشكر الله أننا ننتمي إلى أوروبا.ونحن ذاهبون إلى فلسطين لتوسيع حدود أوروبا هناك". (١٤)

وردّ رئيس وزراء إسرائيل بن غوريون على سؤال صحفي : هل تعتقد بأنّ إسرائيل بلد شرق أوسطي؟ وقال: "لا ، إنّها ليست بلداً شرق أوسطياً. ولنا جذور ثقافية مع أوروبا غالبية الوقت" (١٥) ويرى المؤرخ الإسرائيلي جويتن

(Goitein) أنه "بدون العوامل الخارجية التي لازمت (رافقت) النزاع لم يكن بإمكان دولة إسرائيل أن تبرز للوجود".(١٦)

وتعترف المصادر الغربية والصهيونية أنّ إسرائيل من صنع الغرب، فيرى الكاتب الإسرائيلي اليساري " أوري أفنيري " (Uri Avneri)في كتابه " إسرائيل بدون صهاينة " إنّ الصهيونية لدى نشوئها من حيث المكان والزمان لم تكن فقط جزءاً من آخر موجة للقومية الأوروبية، وإنما كانت أيضاً موجة للتوسع الإمبريالي الصهيوني". (١٧)

- إسرائيل ترفض أن تكون الولاية الحادية والخمسين من الولايات المتحدة الأمريكية

إسرائيل تتماهى مع أمريكا في المعتقدات والثقافة والديمقراطية ، وإذا كانت أمريكا حريصة على إسرائيل ، فلماذا لا تضمها إليها ، لتتم الوحدة بينهما ولتضمن سلامتها وأمنها؟ ولكن أمريكا وإسرائيل لن توافقا على ذلك ، لأن من شأنه أن ينسف الهدف من تلك العلاقة من أساسه. فأمريكا تريد من إسرائيل أن تقوم بالدور القذر الذي لا تستطيع هي القيام به بنفسها كقوة عظمى مثل: الاعتداء نيابة عن أمريكا على الدول التي تحاول الخروج عن سيطرتها أو الوقوف في وجه مصالحها في الشرق الأوسط، أو بيع السلاح الأمريكي لجهات تخدم المصالح الأمريكية. كما أن إسرائيل لن توافق على ضمها للولايات المتحدة، لأنها -في هذه الحالة- سوف يترتب عليها التزامات ضريبية وغيرها، بينما هي الآن تتمتع بخدمات ومساعدات ، دون أن تفرض عليها أية التزامات لأمريكا كالتجنيد أو الضرائب، أو الالتزام بالقوانين الأمريكية. وهذا ما عبر عنه الباحث اليهودي الأمريكي نوعم تشومسكي في كتابه " الثالوث الخطر: الولايات المتحدة .إسرائيل والفلسطينيون " بقوله: " **ليس من العدل أن نتحدث عنها (إسرائيل) كالولاية الحادية والخمسين .. لأنه لا توجد ولاية أمريكية تتلقى مزايا مشابهة من الحكومة الفيدرالية "(١٨)**

وعندما تقدم (٧١) سيناتوراً أمريكيا برسالة للرئيس الأمريكي فورد عام ١٩٧٤، علق الكاتب الأمريكي "وليم بيكلي" على الرسالة بقوله: " قبل سنين اقترحت بضم إسرائيل إليها لتصبح الولاية الحادية والخمسين- وهو الأمر الذي سيضع حداً نهائياً لمشكلة أمن إسرائيل، ولم يتم النظر في الاقتراح. والحجة الوحيدة التي سمعتها ضد الاقتراح قالت بأن إسرائيل **لن تقبل ذلك على أساس أنها سيكون لها فقط عضوان في مجلس الشيوخ بدلاً من (١٠٠) ". (١٩)**

١٢-٥-٢- غرائب الغرب بشكل عام

- الغـرب يدّعي أنه يؤمن بالموضوعية والحريـــــة، وبالأخص حرية الرأي والاعتقاد، ولكنه يعمل على النقيض من هذه القيم

تتـوفر أدلـة موضـوعية علـى أن الغـرب يخـالف القيم المـذكورة، ومـن الأمثلة على ذلك: أن الغرب بحجة حرية الرأي يسمح بالإساءة لعقيدة الإسلام السماوية، و لنبـي الإسلام محمد الأمين عليه الصلاة والسلام،رغم أن مفكريه أقروا بعدالة وتسامح تلك العقيدة ، والتي لا يزال يتبعها خمس سكان العالم ، ولكنه حاكم المفكر الفرنسي المسلم غارودي -وآخرين- بسبب إبداء آرائهم في موضوع الهولوكوست وعدد اليهود الذين أحرقهم الحكم النازي، رغم أن العدد هو من تأليف السياسيين، وليس كتاباً سماويا.

- وفـي حادثـة مشـابهة، طـرد الغـرب البروفيسـور "طومسـون" (Thomas L.Thompson) أستاذ علم الآثار في جامعة "ماركويت" الأمريكية لأنه أوضح في أحد كتبه أن "مجموع التاريخ الغربي لإسرائيل يستند إلى قصص من العهد القديم من صنع الخيال".(٢٠)

- الغرب ينادي بمبادئ ويعمل على النقيض منها: ومن أمثلة ذلك ما جاء في قرارات رؤساء دول العالم الذين اجتمعوا بمناسبة الألفية في الأمم المتحدة في نيويورك من ١٤-١٦ أيلول عام ٢٠٠٥م:

"نعيد التأكيد على التزامنا بمبادئ ميثاق الأمم لمتحدة والقانون الدولي، ونؤكد تصميمنا على تعزيز الاحترام الصارم لها ... نحن مصممون على إقامة سلام عادل ودائم في شتى أنحاء العالم .. إننا نكرّس أنفسنا من جديد للامتناع عن التهديد بالقوة أو استعمالها.. . وحق تقرير المصير للشعوب التي لا تزال تحت التسلط الاستعماري والاحتلال الأجنبي، وعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول، واحترام حقوق الانسان وحرياته العامة."

هل يصدّق أحد من شعوب العالم الثالث شيئاً مما ذكر أعلاه؟ وهل فيه ذرة من الصحة؟ هل تتقيد أمريكا وبريطانيا بشيء مما جاء فيه؟- **الغرب يكيل بأكثر من مكيال :** ومن الأمثلة على ذلك أن أمريكـا تربط الإرهاب بالإسلام ولا تربط المسيحية أواليهودية به في حالات متشابهة. وقد لاحظ "جون اسبوزيتو" (John Esposito) مدير مركز التفاهم الإسلامي المسيحي في جامعة جورجتاون،(Georgetown) أن الحكومة الأمريكية ووسائل الإعلام الأمريكية " لا تربط تصرفات الزعماء أو الجماعات المسيحية أو اليهودية المتطرفة باليهودية والمسيحية ككل، سواء كان ذلك تفجير ذلك لعيادات الإجهاض ومذبحة المسلمين أثناء الصلاة في الحرم الإبراهيمي أو

سياسة الإبادة التي اتبعها صرب البوسنة المسيحيون في التطهير العرقي. وكذلك لم تستنكر الحكومة خلط الدين والسياسة في إسرائيل... أو أمريكا اللاتينية- أو الولايات المتحدة نفسها في عهد جورج دبليو بوش- أو تعتبره بالضرورة خطراً، لكننا غالباً ما نفقد مثل هذا التمييز المنصف لدى التعامل مع الإسلام.(٢١)

١٢-٥-٣-غرائب أمريكا

-أمريكا أعطت نفسها الحق في تأويل وتفسير أساطير ملصقة بالديانتين اليهودية والمسيحية وكُتِبت على أيدي كتاب من البشر بعد مئات السنين من وفاة موسى وعيسى عليهما السلام، بينما تصف المسلم الذي يتمسك بديانته السماوية بالإرهاب

- أمريكا تؤول الديانات السماوية لتخدم مصالحها وتخالف ما يتعارض مع تلك المصالح. و تأخذ أمريكا من الكتاب المقدس مقولة الشعوب المختارة، وتستغلها لفرض هيمنتها واستغلالها لمقدرات شعوب أخرى

- أمريكا تخدع الشعوب بالمبالغة في نفوذ اللوبي الإسرائيلي في أمريكا وتعفي بذلك نفسها والأنظمة الموالية لها من مسئولية دعم إسرائيل الذي يزيد من اعتداءاتها. لقد دحض هذه المقولة مختصون أمريكان وعرب وإسرائيليون، فقال البروفيسور الأمريكي "ستيفن زونز"(Stephen Zunes) أستاذ القانون الدولي إن " الدبلوماسيين الأمريكيين غالبا ما يلقون اللوم على اللوبي اليهودي بدلا من القادة الأمريكيين بسبب موقف واشنطن المعادي للعرب وذلك من أجل إعفاء الولايات المتحدة من مسئولياتها. وعلاوة على تحويل (تشتيت) عدم رضا الشعوب العربية عن قياداتها بإلقاء اللوم على اللوبي".(٢٢)

وقال الكاتب اليساري وناشط السلام الإسرائيلي "أوري أفنيري"(Auri Avneri) : " أمريكا تستغل إسرائيل للسيطرة على الشرق الأوسط، وإسرائيل تستغل أمريكا للسيطرة على فلسطين. ولكن إذا حدث شيء استثنائي، مثل حادث تجسس "جوناثان بولارد" أو عملية بيع طائرة تجسس إسرائيلية إلى الصين، وفتحت ثغرة في علاقات الطرفين فمن الواضح أن أمريكا قادرة تماماً على صفع إسرائيل على وجهها."(٢٣)

وأنكر المؤرخ الإسرائيلي الجديد (إيلان بابه) أن تكون إسرائيل هي التي تسيّر أمريكا وقال:"أعتقد أن إسرائيل هي دائما الوكيل، وأن أمريكا هي الإمبراطورية."(٢٤)

وأوضح الدكتور محمد شديد أستاذ العلوم السياسية ومؤلف كتاب "أمريكا والفلسطينيون" أنه بالرغم من أن اللوبي الإسرائيلي والمجموعات المؤيدة

لإسرائيل يتمتعون بنفوذ كبير في السياسة الشرق أوسطية، إلا أنهم لا يحددون هذه السياسة، وفي الحقيقة فإن صانعي السياسة الأمريكية غالباً ما يستخدمون هذه الجماعات كمبرر للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، وفي المحصلة النهائية عند حدوث أي تعارض بين المصالح الإسرائيلية والمصالح الأمريكية فإن الأخيرة هي التي تعلو.(٢٥)

- **بعض الرؤساء الأمريكيين يكذبون ويجعلون**

من الله عزّ وجلّ خادما لمطامعهم وعدوانهم

يكثر رؤساء أمريكيون من الادعاء بأن الله- سبحانه وتعالى- كلفهم بمهمات دنيوية. ومن الأمثلة على ذلك : في عام ١٨٩٨ أخبر الرئيس الأمريكي"وليم ماكنللي" وفداً من القساوسة أن وحياً سماوياً أعطاه الأمر باحتلال جزر الفلبين من أجل تمدين وتنصير أهلها". وأن الرئيس "هاري ترومان " أعلن عام ١٩٥٢ أن الولايات المتحدة استجابت لإلحاح العناية الإلهية، فقبلت أن تأخذ على عاتقها عبء زعامة العالم." (٢٦)
- رئيس أكبر دولة في العالم - جورج دبليو بوش- يحاول عبثا الجمع بين الإيمان بالله وبين الكذب وسفك الدم والعدوان. ويكثر الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش من التأكيد على أنه مؤمن بالله وأنه يسير حسب تعاليمه، وقال في حفل تنصيبه رئيسا: "إن تحقيق هدف الرب هو واجبنا" (٢٧)
ويؤكد الرؤساء الأمريكيون والإسرائيليون على القيم المشتركة بينهم وبين اليهود، ويشمل ذلك القيم الواردة في الوصايا العشر: لا تكذب ، لا تقتل، لا تسرق، لا تزن ....ورغم ذلك فقد دأب الرؤساء الأمريكيون والبريطانيون على الكذب، فهم يؤمنون بالميكافيلية التي عمادها " الفضائل السياسية" وهي الغش والكذب والخداع. وأوردنا في الفصل التاسع بند (٩-٣-٢) أن كُتّاباً أمريكيين شهدوا أن الرئيس " جورج دبليو بوش" هو "أكذب رئيس في تاريخ أمريكا" .. "مع جورج بوش تمرّ الأمة بفترة مأساوية.. حافلة بفقدان الكفاءة والخداع المتعمد، وعدم النزاهة والكذب الصريح". ونحن لا يسعنا إلا أن نحذّر الرئيس بوش من مغبة جرائم الكذب وسفك الدم، ونقول له :" لا تصنع من المسلمين المؤمنين المدافعين ضد الظلم والكذب والخداع شياطين باسم الرب" وتذكر قول الرب في إنجيل متى:"كثيرون سيقولون لي..يا ربُّ، يا ربُّ! أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذٍ أصرخ لهم: إني لم أعرفكم قط! اذهبوا عني يا فاعلي الإثم."(**إنجيل متى ٧: ٢٢-٢٣**). كما نذكره ونذكر المسئولين اليهود الذين يدعون أنهم شعوباً مختارة والذين يسفكون دم المدنيين ويعذبونهم في فلسطين ولبنان وأفغانستان ويغتصبون الأطفال، بما ورد في الكتب المقدسة:

" أرجلهم سريعة إلى سفك الدم. في طرقهم اغتصاب وسُحق.وطريق السلام لم يعرفوه. ليس.خوف الله قدّام عيونهم."(**الكتاب المقدس: العهد الجديد، رسالة بولس إلى أهل رومية الإصحاح الثالث:١٢-١٨**). لا تعودوا إليّ بتقدمة باطلة. لست أطيق الإثم... فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم. إن كثرتم الصلاة لا أستمع. أيديكم ملآنة دماً."(**إشعيا ١٣:١-١٥**) "وأما الخائفون وغير المؤمنين والرّجسون والقاتلون والزناة... وجميع الكذبة، فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت، الذي هو الموت الثاني."(**رؤيا يوحنا اللاهوتي ٤:٢١-٧**)

١٢-٥-٤- غرائب العرب المسلمين

وهناك غرائب تتعلق بالعرب والمسلمين. فبينما نرى أن الغرب تضامنَ على باطله خدمة لمصالحه الدنيوية، واستغل الأديان والأساطير التي ألحقها بها أبشع استغلال، وظل قرونا يسعى بجد حتى حقق أطماعه وأقام له قاعدة تحرس مصالحه في المشرق، فإننا في المقابل نرى أن كثيرا من العرب والمسلمين لا يتضامنون في قضية تمس عقيدتهم ومقدساتهم، ورغم معرفتهم بتضامن الغرب ضد فلسطين، إلا أنهم يتصرفون وكأن الموضوع يخص شعب فلسطين لوحده. والأغرب من ذلك أن هؤلاء العرب والمسلمين يوالون أمريكا والغرب ويطبعون علاقاتهم مع إسرائيل، دون أي اعتبار ديني، أو ضميري، أو إنساني للتضامن مع شعب فلسطين الذي احتُلت أرضه ، وهُتِك عرضه، وشُرد من وطنه، ولا يزال شعبه يقتل كل يوم، دون أن يتحرك الضمير الإسلامي أو العربي، أو الدولي بما فيه الكفاية لوضع حد لجريمة التطهير العرقي التي يمارسها الغرب والصهيونية بحق شعب فلسطين منذ عام ١٩٤٨ وحتى اليوم.

١٢-٦- الغرب يُبيّت الشرّ للمشرق العربي/ الإسلامي ١٠٩٩م - ١٩٩١م

أوضحنا في الفصل الثاني أن الغرب(اليونان والرومان) استعمر أجزاء من المشرق لمدة تقرب من ألف عام (٣٣٢ ق . م. -٦٣٦م) إلى أن حرره الفتح الإسلامي.وفي عام ١٠٩٩ احتل الغرب الصليبي فلسطين بحجة تحرير القبر المقدس من المسلمين. ومنذ تحرير فلسطين من الصليبيين ظلّ الغرب يحاول إعادة احتلال المشرق، وكادت أساطيل الاستعمار البرتغالي تنجح في احتلال مسقط وعمان وميناء الإسكندرية، لولا أن منّ الله سبحانه وتعالى علينا بالفتح العثماني الإسلامي الذي حمانا من الاستعمار الغربي لمدة أربعة قرون.
وبعد فشل الحروب الصليبية، اتخذ الغرب من أسطورة عبء الرجل الأبيض في تحضير الأقوام المتخلفة حجة لاستعمار أجزاء كثيرة من العالم.

وفي نهاية القرن التاسع عشر اتخذ الغرب من أكذوبة تحرير العرب من "نير الاستعمار العثماني" ذريعة لاحتلال المشرق".

ومنذ القرن السادس عشر شرعت بريطانيا تتخذ من الأساطير الدينية ذريعة لإقامة مستعمرات لها في المشرق، لكن نابليون سبقها بغزو مصر وفلسطين عام ١٧٩٨، ودعا إلى إقامة كيان لليهود في فلسطين، يكون قاعدة لفرنسا في المشرق. وبعد قرن من المنافسات العبثية بين الدول الاستعمارية الغربية، اتفقت تلك الدول في مؤتمر "بانرمان" عام ١٩٠٧على إقامة جسم غريب في فلسطين لمنع وحدة العرب، كي يظلوا تحت سيطرة الغرب.

ولكي يحصل الغرب على دعم بعض العرب ضد الدولة العثمانية المسلمة، وعد بمساعدة العرب في إقامة مملكة لهم، ولكنه تآمر في سايكس بيكو وغدر بالعرب، وجزأ بلادهم إلى دويلات أشبه ببيوت العنكبوت، تدور في فلكه، وتخدم مصالحه.في ذلك الوقت ذكر المحامي الأمريكي وعضو الكونغرس ما قاله ضابط تحت إمرة القائد البريطاني أللنبي الذي احتل فلسطين عام ١٩١٨ بشأن السلام الذي أقامه الغرب في أعقاب الحرب العالمية الأولى بأنه **" بعد انتهائهم من الحرب التي أنهت كل الحروب يظهر بأنهم نجحوا في باريس في عمل سلام ينهي كل سلام في المنطقة"**.(٢٨)

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية تآمر الغرب مرة ثانية،و مكّن إسرائيل من احتلال ٧٨% من فلسطين عام ١٩٤٨. ونظراً لأن العرب لم يقاوموا الاحتلال، فقد دعم الغرب إسرائيل واحتلت باقي أجزاء فلسطين وأراضي أربع دول عربية عام ١٩٦٧.

وكان الشعب الفلسطيني قد انفجر في ثورة ضد الاستعمار البريطاني/ الصهيوني عام ١٩٣٦، إلا أنه توقف عن الثورة في أعقاب النداء الذي وجهه ملوك وأمراء العرب إليهم بأن يتوقفوا عن الثورة، ويسلموا القضية إليهم ليقوموا بحلها. وبعد مرور نصف قرن على ذلك النداء دون أن يساعدهم أشقاؤهم العرب في حل مشكلتهم، قرر الفلسطينيون الرازحون تحت الاحتلال الاعتماد على الله أولاً ثم على أنفسهم في تحرير أرضهم المحتلة، وهبّوا في مقاطعة ومقاومة العدو فيما عرف بانتفاضة عام ١٩٨٧. وحاول الغرب وإسرائيل القضاء على الانتفاضة، ولكن هذه المرة فشلت محاولاتهم، لذلك وضع على أجندته القضاء على تلك الانتفاضة.

١٢-٦-١- أصول السلام الصادق و مفاوضاته

رغم أن القوة لا تخلق حقاً، إلا أن الغرب يهدف إلى فرض السلام لا على أساس الحق، بل على أساس القوة، وميزان القوى في منطقة الشرق الأوسط. و السلام بالنسبة للغرب يتمثل في استمرار نفوذه وسيطرته على النفط

والموارد والأسواق والمواقع الاستراتيجية. أما إسرائيل فترى، أن السلام يعني احتلالها للمنطقة الواقعة بين النيل والفرات لتقيم فيها دولة لليهود فقط، وتعمل قاعدة للغرب وحارساً لمصالحه. وبالنسبة للأنظمة الحاكمة في المشرق فالسلام يعني استمرار حكم الحاكم ما دام حيا، وبعد وفاته ينتقل الحكم إلى ولده.أما بالنسبة للشعوب العربية والإسلامية فالسلام يعني أن تتخلص من الاستعمار المباشر وغير المباشر والنفوذ الأجنبي، علاوة على تخلصها من الاستبداد الداخلي، ووقف انتهاك حقوق الانسان ، وتحقيق العدالة الاجتماعية والديمقراطية الحقيقية وسيادة القانون.

السلام الحقيقي معناه اتفاق على التصالح، وإنهاء حالة الحرب بين ندين متساويين، بشرط أن يتم ذلك بحسن نية، وحرية، ودون إكراه. وهو ما عبر عنه المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد بقوله:" إن السلام في جوهره يعني السلام بين طرفين متكافئين، بل يعني الحرية والسلام لكلا الشعبين، ولا يعني السلام بقاء شعب خاضع لشعب آخر يحتكر الأمن وكل الحقوق".(٢٩)

والسلام يعني توفر الهدف في إقامة سلام بحسن نية ودون غدر أو مراوغة. فهل حدث أن توفرت مثل هذه الشروط بالنسبة لهذا النزاع؟ وما مدى توفر هذه الشروط في سلام مدريد- أوسلو الأمريكي المراوغ، عندما رحنا نلهث وراء سراب لا سلاماً. فما هي خلفية هذا السلام؟ ولماذا جاء في أعقاب حرب الخليج؟ وهل كنا يوماً أنداداً لمن نتفاوض معهم؟ وهل حدث أن كان هناك حسن نية لدى الغرب الذي صنع النزاع، ولا يزال يعمل جاهداً على تأبيده؟ وهل كنا أحراراً في التفاوض على الصلح دون إكراه وإملاءات ؟ وهل كانت الظروف ناضجة من أجل الصلح؟

١٢-٦-٢-العولمة و"سايكس بيكو"عام١٩٩١ وسراب السلام في فلسطين

من الضروري تأكيد حقيقة أن الغرب زرع إسرائيل في قلبنا، ليس لتعيش دولة مسالمة كبقية دول العالم، وإنما لتكون حارسا شرساً، يخيف المنطقة ويخضعها لإرادة الغرب، وهكذا فهناك شبه كبير بين إسرائيل والسمك. فالسمك إذا خرج من الماء مات، وإسرائيل إذا عم السلام، تموت أي يستغني عنها صانعوها، لأنها لا يبقى لها ضرورة. ولو أراد الغرب السلام لأنجزه في دقائق.

وكما كان الغرب يتآمر على المشرق في نهاية القرن التاسع عشر، شرع يتآمر من جديد في نهاية القرن العشرين. وفي عام ١٩١٦ ادّعى الغرب أنه يحارب في المشرق من أجل تحرير العرب من استعمار الدولة العثمانية، أما

عام ١٩٩١ فقد زعم أنه يشن الحرب هذه المرة، لكي يتمتع المشرق بالديمقراطية، ويجني ثمار العولمة – أي "الأمركة" والاستعمار الأمريكي!. وفي عام ١٩٩٠ كان الاتحاد السوفييتي شريك الغرب في سايكس بيكو عام ١٩١٦قد انهار كقوة عسكرية، ورأى الغرب أن الفرصة سانحة له لتحقيق مكاسب جديدة على حساب العرب والمسلمين. فاتحد الغرب في سايكس بيكو جديدة لشن الحرب على العرب والمسلمين. وتزعمت التحالف هذه المرة أمريكا التي تهدف إلى إعادة تقاسم المنطقة، ليكون لها حصة الأسد . بل لتنفرد بها وحدها.وكما حصل في سايكس بيكو ١٩١٦، كان أتباع سايكس بيكو ١٩٩٠ بحاجة لمساندة العرب والمسلمين لهم ضد بني جلدتهم وأخوتهم في العقيدة.وكانت انتفاضة فلسطين عام ١٩٨٧ تشكل جرحا ملتهبا ومؤلما للغرب الذي انكشف زيف ما يدعيه من مبادئ وقيم وحرص على الشرعية الدولية، ب صمته على ما قامت به من جرائم للمدنيين الفلسطينيين، وتكسير عظام أيديهم وأرجلهم على مرأى من وسائل الإعلام، وقتل الجرحى والأسرى بعد أن يستسلموا. كما سببت إحراجا أكثر لوكلاء الغرب في المنطقة الذين لم يتضامنوا بما فيه الكفاية مع إخوانهم الفلسطينيين. ولهذه الأسباب أطلق الرئيس الأمريكي بوش الأب يوم ١٩٩١/٣/٦ مبادرة ادعى أنها تهدف إلى حل مشكلة النزاع في الشرق الأوسط على أساس قرار مجلس الأمن ٢٤٢، والحقوق المشروعة لشعب فلسطين، ومبدأ الأرض مقابل السلام، والأمن والسلام لدولة إسرائيل.

١٢-٦-٣- شَــرك أوسلـــــو:إنهاء النزاع دون انسحاب إسرائيل، ولا دولة فلسطينية، ولا عودة لاجئيــن

أشرنا في الفصل الثامن إلى أنه لم تكن لدى أمريكا وإسرائيل أية نية لإقامة سلام في منطقة الشرق الأوسط، وأن التفاوض على السلام كان أشبه بالتفاوض بين طفلة مغتصبة والرجل الذي يجثم على صدرها ويغتصبها. وهكذا، في يوم ١٩٩١/٤/١١ اتفق وزير الخارجية الأمريكي مع رئيس الوزراء الإسرائيلي شمير بأن الهدف من عملية السلام لن يكون إنشاء دولة فلسطينية، وأن توافق إسرائيل على المشاركين في الوفد الفلسطيني للمفاوضات، وأن لا يكون من بينهم فلسطينيون من القدس، ولا ممن سبق وأن أبعدتهم إسرائيل، وأن لا يكون هناك تفسير واحد للقرار ٢٤٢، بل أن يكون لإسرائيل الحق في أن يكون لها تفسيرها الخاص بذلك القرار. يتضح مما تقدم، أن شروط السلام العادل الموضحة أعلاه لم تتوفر في عرض أمريكا الذي كان سراباً وليس سلاماً.

وجاء مؤتمر مدريد الذي لم يهدف بحال من الأحوال إلى حل معاناة الفلسطينيين، بل كان الغرب يهدف إلى كسب وقوف العرب والمسلمين إلى

جانبه في عدوانه على بني جلدتهم ودينهم، علاوة على إنهاء الانتفاضة التي كانت بمثابة الجرح المؤلم الذي أرّق الغرب ووكيليه في المنطقة، الأنظمة والكيان الصهيوني.

وانطلاقا مما تقدم، استثنى الغرب دوراً فاعلاً للأمم المتحدة، كما رفض أن يمثل فلسطين التي هي لب النزاع وفد فلسطيني مستقل في مؤتمر مدريد. وعندما لاحظ مدى دقة تخطيط المفاوضين الفلسطينيين برئاسة الدكتور حيدر عبد الشافي، وصلابتهم في التمسك بالقانون الدولي والشرعية الدولية، تم نقل المفاوضات إلى أوسلو لتتمخض عن اتفاق مبادئ عام ١٩٩٣، لا يستند إلى قرارات الأمم المتحدة السابقة، ولا يذكر شيئا عن تقرير المصير، ولا إنهاء الاحتلال بشكل صريح.

وبعد اتفاق أوسلو وقدوم السلطة الوطنية الفلسطينية، توهّم الفلسطينيون بأن السلام أصبح قاب قوسين أو أدنى. ولكن ظنهم في السلام خاب، حيث صعدت إسرائيل من ممارساتها في مرحلة السلام بقتل الأطفال والنساء والشيوخ، وهدم بيوتهم فوق رؤوسهم وهم نيام. ومن جانبهم، طوّر الفلسطينيون مقاومتهم حيث استعملوا القنابل البشرية (الإستشهاديين) علاوة على الصواريخ، وسبقت المرأة الفلسطينية نساء العالم في المقاومة والتضحية حين صنعت من جسدها الطاهر قنابل تفتك بالمحتل في عقر داره، وتدب الرعب في نفسه.

لقد كان ما سمي بمفاوضات السلام في أوسلو وكامب ديفيد ٢٠٠٠هي مناورات حول السلام ، ولم تكن مفاوضات جادة من أجل السلام. لقد وصف الرئيس الفلسطيني أبو مازن وبحق مشروع سلام أوسلو بأنه كان "شركا للفلسطينيين، وقد أفلتنا منه" وقال أبو مازن في اجتماعات المجلس المركزي الفلسطيني في تونس لإقرار "اتفاق" أوسلو " أوسلو قد تؤدي لدولة مستقلة وقد تؤدي إلى كارثة، ويدي على قلبي"(٣٠)

وقال نبيل الرملاوي مندوب فلسطين السابق في الأمم المتحدة في جينيف:"أخطأ الفلسطينيون عندما ذهبوا إلى أوسلو وتركوا القانون الدولي جانباً، فعندما يكونون مع القانون الدولي يكون القانون الدولي معهم(٣١)

وفي تقديمه لكتاب الدكتور إدوارد سعيد "غزة أريحا - سلام أمريكي" قال الدكتور محمد حسنين هيكل: "وهو- أي إدوارد سعيد- يدرك أن ما وقع وقع، وأن العودة عنه مستحيلة، وأن تصحيحه يقتضي عشرات السنين من الأهوال والآلام، ومن التجارب المُرّة ومن الدروس الأشد مرارة". (٣٢)

رحم الله مفكرنا الكبير الذي أدرك بنظره الثاقب عواقب الأمور، ولكننا لسنا معه في أن العودة عن أوسلو مستحيلة، فأوسلو بُنِيَ على باطل، ولذلك هو باطل، وجاء عن طريق الخداع، والإملاء والإكراه، وتجاهل الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني، وأبسطها حريته في اختيار ممثليه في المفاوضات ، لذلك يجب الرجوع عنه.ومن حق الشعب- عبر مؤسساته الدستورية- أن يعيد النظر في أي اتفاق يتجاهل حقوقه المشروعة، ولا يفي الطرف الثاني بما خصه من

الالتزامات. وفي كتابه الذي صدر حديثاً، ذكر الرئيس الأمريكي الأسبق "جيمي كارتر" بأن اتفاق أوسلو أزاح عن كاهل إسرائيل عبء نفقات إدارة الضفة الغربية وقطاع غزة رغم أنها لا تزال تسيطر سيطرة تامة على النواحي السياسية ، والعسكرية، والاقتصادية للفلسطينيين، كما خدع العالم بإعطائه الانطباع بأن إسرائيل انسحبت من الأراضي الفلسطينية التي كانت تحتلها." (٣٣)

وجاء عام ٢٠٠٠ حين تم الاتفاق بين أمريكا ووكيلها الصهيوني على استغلال انهيار الوضع العربي، والخلافات التي أثارتها عملية السلام الكاذبة في الساحة الفلسطينية على تحقيق أحد أمرين: إجبار الفلسطينيين على التوقيع على اتفاق ينهي النزاع ويبقي جميع مسائل النزاع معلقة، مع إقامة نظام كانتونات تقوم فيه السلطة الوطنية الفلسطينية بما كان يقوم به سعد حداد لإسرائيل في جنوب لبنان، وإما إفشال السلطة الوطنية وإثارة حرب أهلية بين المؤيدين والمعارضين لاتفاق أوسلو الميت من بين الفلسطينيين.وكان الفلسطينيون ينتظرون مقابل اعترافهم بإسرائيل وإقامة سلام معها أن يحصلوا على ٢٢% من حقهم الثابت في فلسطين، أي الضفة الغربية بما فيها القدس، وقطاع غزة، دون مستوطنات، ليقيموا لهم فيها دولة مستقلة ذات سيادة على أرضها وجوّها وبحرها وشعبها.

ولكن بدون إعداد ولا مقدمات دُعِي – بل استدعي- الرئيس الشهيد أبو عمار إلى كامب ديفيد عام ٢٠٠٠ ليطلب منه الرئيس الأمريكي كلينتون توقيع اتفاق على عجل، نظراً لارتباطاته بالسفر للخارج.وفي كتابه الذي صدر حديثاً أوضح الرئيس الأمريكي الأسبق "جيمي كارتر"(Jimmy Carter) أن الرئيس الأمريكي "بيل كلنتون "(Bill Clinton) قدّم إلى الرئيس الفلسطيني الشهيد عرفات في قمة كامب ديفيد عام ٢٠٠٠ ما أسماه بِ "مقترحاته الأخيرة " للسلام والتي بموجبها:

- سيبقى (٨٠) % من المستوطنين الإسرائيليين في الأراضي الفلسطينية
- وأن تواصل إسرائيل سيطرتها على وادي الأردن.
- وأن تكون لها محطات إنذار مبكر داخل الضفة الغربية.

وأن يكون لإسرائيل الحق في إعادة انتشار قواتها في الأراضي الفلسطينية في فترات الطوارئ.(٣٤)

هذه عدا الشروط التي لم يذكرها الرئيس كارتر والتي تتعلق بأن القدس ستبقى في يد إسرائيل، وكذلك الطرق الالتفافية والمعابر والمطارات والموانئ، ومصادر المياه والغابات والمصادر الطبيعية الأخرى،علاوة على أغفال حق اللاجئين في العودة لديارهم.

وهنا وجد القائد الرمز نفسه وحيداً وأشبه بأسير يتلقى أوامر من سجانيه الذين كانوا متأكدين من استجابته لهم، نظرا للأوضاع الشاذة التي يعيشها شعب فلسطين وقيادته. ففي الوقت الذي حشد فيه الغرب الصليبي/ الصهيوني حشوده

ليخوض معركة في الشرق الأوسط، كان الشعب الفلسطيني يقف وحيدا في المعركة، بدون تضامن حقيقي من أنظمة عربية أو إسلامية، وكانت الشعوب العربية والإسلامية لا حول لها ولا طول.ورغم هذا الوضع المتردي، وانعدام التوازن في ميزان القوة، رفض القائد الشهيد أبو عمار الاكتفا بفتات من الضفة والقطاع، وإبقاء القدس تحت الأسر، كما رفض التنازل عن حق اللاجئين في العودة. ورفض أن يكون مسئولا عن كنتونات معزولة تحرس أمن إسرائيل في حدودها غير الشرعية. وهكذا أفشل القائد الشهيد الخيا الأمريكي- الصهيوني الأول، وهو التوقيع على اتفاق سلام وإبقاء جميع ما يخص الفلسطينيين معلقاً.وهنا جنّ جنون الطغاة كيف يستطيع ثائر أن يقول لهم لا، بعد أن استسلم العرب والمسلمون واستسلم السادات قائد مصر العظيمة للطغيان الأمريكي. فقرروا ضربه وضرب العرب والمسلمين في أعَزّ مـ يملكون – القدس- كما قرروا القضاء على المقاومة بمزيد من العنف بعد أن فشل العنف في القضاء عليها. ومن هنا جاء اعتداء شارون مع ثلاثة آلاف جندي على أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، الذي لم يجد من يدافع عنه سوى المصلين العزل، إلا من عصيّهم ، وأحذيتهم وحجارتهم، والشعب الفلسطيني الذي انفجر هذه المرة في انتفاضة مسلحة، بعد أن لم تُجْدِهِ انتفاضته السلمية نفعاً.

وعقاباً للرئيس الشهيد على رفضه لأوامرهم، حاصروا الشعب الفلسطيني، وشددوا الخناق عليه، وصعّدوا في عمليات القتل والجرح والسجن، كما حاصروا الرئيس نفسه، وأخذوا يهدمون أجزاءً من مقره،وبلغ بهم الاستهتار بالشعب الفلسطيني أن هددوا بإبعاد رئيسه، كما طلبوا منه أن يتنحى، من أن أجل أن يستبدلوه بـ "سعد حداد فلسطيني" يخون أمته وشعبه وينفذ مخططاتهم. ولما باءت كل تلك المساعي بالفشل، دسوا له السُّم .

١٢-٦-٤- إصرار أمريكا على إفشال مساعي السلام والتنكيل بشعب فلسطين منذ الانتخابات الديمقراطية في فلسطين

ورغم أن الرئيس الشهيد ياسر عرفات وقع اتفاق أوسلو ونال جائزة السلام ، إلا أن أمريكا وإسرائيل التي كانت تعادي السلام ظلت تتدخل في الشئون الداخلية الفلسطينية، واتهمت أبا عمار بأنه غير ديمقراطي، ويشجع الإرهاب ، ورفضت التفاوض معه ، وظلت تطالب بإجراء انتخابات ديمقراطية.

وظلت أمريكا وإسرائيل تسعيان لإشعال حرب أهلية بين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة،ولكن بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بوعي شعبنا، وبدلا من الحرب الأهلية التي لا تبقي ولا تذر، نجح الشعب الفلسطيني بقيادة سلطته

الوطنية في ضرب المثل الأعلى في الصمود والتصدي والالتحام، وأجرى انتخابات بطريقة حضارية وديمقراطية، شهد بها العدو قبل الصديق.وكانت أولاها انتخابات الرئاسة التي أولى شعبنا فيها ثقته للرئيس أبي مازن ليحمل الأمانة في أصعب ظرف مرَّ فيه شعبنا، وتلا ذلك الانتخابات النيابية.

وصدم الأعداء بنجاح حركة حماس الإسلامية بأغلبية ساحقة، وهنا بدأت المؤامرات لمنع حماس من تشكيل الحكومة من أجل الإيقاع بين حركتي فتح وحماس، ولتحقيق هدف الأعداء في الحرب الأهلية. وهنا وقف الرئيس أبو مازن وقفة وفاء لشعبه وأبى أن يخالف إجماعه، وكلف حماس بتشكيل حكومة رغم العوائق ومحاولات الدسِّ بين فتح وحماس.

وكان من المفروض أن تحترم أمريكا نتائج تلك الانتخابات التي أصرت هي على إجرائها، والتي أجريت تحت إشراف الغرب، والرئيس الأمريكيّ الأسبق كارتر على وجه الخصوص، وشهد العالم بنزاهة تلك الانتخابات، لو كانت أمريكا تؤمن حقا بالديمقراطية، وأن تضغط على إسرائيل لاحترامها، وتنتهز الفرصة لإقامة سلام يضع حداً لمعاناة الشعب الفلسطيني ويجلب الهدوء للجميع. ولكن بدلاً من ذلك، حاصرت أمريكا والغرب وكلب حراستهم إسرائيل الحكومة الفلسطينية التي شكلتها حركة حماس المنتخبة بنزاهة من الشعب الفلسطيني، وضيقت عليها الخناق، على أمل أن يضج الشعب الفلسطيني وينقلب على حكومة حماس ويسقطها.ورغم أن الشعب الفلسطيني قد عانى من الجوع والحاجة، ألا أنه أفشل رهان الغرب والصهيونية، وردّ كيدهم إلى نحورهم، حينما أعلن للملأ أنه يفضل الجوع على الركوع والتفريط بالثوابت، وظل صامداً رغم كل الصعوبات.

والسؤال هو: لماذا يعترف الغرب بكل لقيط غربي، ويصدر له شهادة ميلاد، ويصنع له اسماً، بحجة حق كل إنسان في الحياة، ولكنه رفض الاعتراف بنتائج الانتخابات الشرعية التي طالب بها أصلاً ، وتمت تحت مراقبة غربيين، كما رفض الاعتراف بالمولود الشرعي الذي جاء نتيجتها، وحرمه من حقه في شهادة ميلاد، وفي خدمة شعبه الذي انتخبه؟

لقد جُنَّ جنون الأعداء، وحوصرت حماس لتفرّط وتتراجع، ولكنها أبت مخالفة ضميرها، أو التنازل عن ثوابتها، وخيانة شعبها الذي أعطاها ثقته، وحوصرت كل فلسطين من أجل أن تركع وتهدم ما بنته في الانتخابات، وتتراجع عن نتيجتها، لأن الأعداء رأوا في ذلك مربط الفرس في إحداث الحرب الأهلية. ورغم الحصار والجوع، والقتل والهدم والإرهاب الذي لم يميز بين فتح أو حماس، وجميع حركات ومنظمات وقوى المقاومة والمستقلين، بل طال جميع البشر والحيوان والشجر، فقد عمل شعبنا بمبدأ "الجوع ولا الركوع"، ومبدأ أنّ "الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية" ورغم الشد والجزر، لم يتوقف الحوار بين الطرفين . وها هو بدأ يثمر، وإن شاء الله، عما قريب، سيقطف الشعب الفلسطيني الصابر المجاهد ثمار صبره وتضحياته.

وها نحن اليوم، بفضله تعالى، وبفضل وعي شعبنا،وتعاون القوى الإسلامية والعربية الخيّرة، ووعي فتح وحماس، والحركات التنظيمات والكتل الانتخابية الفلسطينية الأخرى والمستقلين الذين بذلوا جهودا جبارة من أجل جمع الشمل، وتوحيد الكلمة، نقف على أعتاب مرحلة جديدة نأمل فيها أن تلتحم فتح وحماس وجميع حركات وفصائل وقوى الشعب الفلسطيني ، وأن تتناسى مصالحها الخاصة من أجل مصلحة الوطن، حتى نستطيع مواجهة القوة العاتية التي تتربص بنا جميعاً، لكي ننهي الحصار، ونبدأ مسيرة البناء والإعمار.

١٢-٦-٥- أمريكا وإسرائيل رفضت السلام منذ عام ١٩٤٨ وقتلت أوسلو وتحاول إكـــراه حماس لتعترف بالسلام الميِّت الذي رفضته

أضاع الغرب قرنا في تجاهل حقوق شعب فلسطين، وها هي أمريكا تسعى جادة لإضاعة قرن آخر، رغم أن أوراقها مكشوفة، وسياستها مفضوحة.فاعترضت على الشهيد عرفات بذريعة نقص في الديمقراطية في عملية اتخاذ القرارات، وطالبت السلطة الوطنية الفلسطينية بإصلاح الفساد الذي تقف خلفه هي والدول الغربية، بعد أن جعلتنا معلقين من أنوفنا بين السماء والأرض. كما لجأ الغرب إلى مطالبة حماس بالاعتراف بأوسلو الذي لم تعترف به أمريكا ولا إسرائيل، والذي أشبعته ضربا، فمات منذ ثلاثة عشر عاماً. لقد أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إبّان انفجار انتفاضة الأقصى " إيهود باراك" أن "إسرائيل هي التي كانت وراء انتفاضة الأقصى، وأنه هو الذي دفع الوضع إلى الانفجار لأنه اعتبر أن إقامة كيان عربي مستقل على "أرض إسرائيل الغربية"كارثة قومية."(٣٥)

وهذا استمرار لسياسة إسرائيل منذ قيامها ، إذ تدلّ وثيقة في محضر اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلي يوم ٢٩-٤-١٩٤٩ أنّ بن غوريون قال :" وصل جيش إسرائيل إلى أبعد بكثير مما رسمه قرار الجمعية العامة لحدود الدولة اليهودية.. ولو أننا وصلنا إلى حل مع العرب لكان علينا أن نسلّمهم أراضي كثيرة هي الآن تحت سيطرتنا، وهم لم يستطيعوا أن يحتفظوا بها بالسلاح، ونحن الآن لا يصحّ أن نتركها لهم بحبر على ورق ... علينا أن نقبل عودة اللاجئين .. (تدويل القدس).. ولهذا كله فإننا جميعا مطالبون.. أن ننسى الآن موضوع السلام مع العرب، على الأقل لعشر سنوات قادمة .. ليس هناك خطر يهدد إسرائيل من جانب العرب، كما أنه ليس هناك ضغط دولي يرغم الدولة على أن تتصرف بعكس ما تراه لازما لمصلحتها. (٣٦)وهكذا لا تزال إسرائيل لا ترى مبررا للصلح مع العرب، فالوضع لم يتغير رغم مرور حوالي ستين عاماً.

١٢-٦-٦-جريمة أمريكا والغرب في إكراه العرب على الاعتراف بإسرائيل قبل اعترافها بحقوق الشعب الفلسطيني، وانسحابها من الأراضي العربية المحتلة

لقد أجرمت أمريكا- ومعها الغرب الذي يدعمها- بحق الشعب الفلسطيني عندما حاولت إكراه حكومة حماس – قبل تسلمها لصلاحياتها- على الاعتراف بأشياء غير واضحة وغير محددة وغير مفهومة.فالاعتراف هو جزء من المشكلة، وبالتالي فهو جزء من عملية التفاوض، ولذلك فإن إكراه طرف على الاعتراف قبل تحديد الموضوع الذي يعترف به، وقبل التفاوض معه بشأنه هو شي غير مشروع وغير قانوني.وهناك سوء فهم بين الطرفين. فبينما فهم الفلسطينيون السلام على أنه دولة فلسطينية في الضفة والقطاع والقدس، تريده أمريكا وإسرائيل، التوقيع على الصلح وإنهاء النزاع مع بقاء الاحتلال، والمستوطنات، واستثناء القدس ، ورفض حق العودة. وقد استبدلت أمريكا وإسرائيل معادلة "الأرض مقابل السلام"التي كانت الفكرة المحورية في اتفاق أوسلو بمعادلة"السلام مقابل السلام"أو "السلام عن طريق القوة".

إن مطلب أمريكا من حماس بالاعتراف بالسلام الميّت، وغير المحدد الأوصاف، والمجهول، هو مطلب باطل وظالم.وهنا من المفيد الاستشهاد برأي الدكتور يوسف كامل إبراهيم الأستاذ في جامعة الأقصى بغزة الذي يقول:

> لم نجد من الانحطاط والدونية في مرحلة من مراحل التاريخ مثلما نجده في هذه الأيام، حيث الدول المتقدمة التي تدّعي الحضارة تُمكّن مغتصباً ومحتلاً من أرض غير أرضه..ثم يُطلب ممن احتُلت أرضهم وسُرقت ممتلكاتهم اعترافاً رسمياً بأحقية هذا المحتل، وحقه الدائم في الأرض.ثم تعتبر هذه الدول من يدافع عن أرضه وعرضه وماله إرهابياً، والمحتل الظالم داعية للسلام، والضحية تصبح جلاداً في عصر العم سام.فالاحتلال غير مشروع... والاعتراف بالمحتل جريمة تعاقب عليه الأجيال، ويكتبه التاريخ بمداد أسود، والاعتراف بالمحتل يعني إسقاطاً للحقوق واعترافا بالواقع....
>
> ففي هذه الأيام... يحاول الكثير من الأطراف الضغط على حماس والحكومة المنتخبة بتقديم الاعتراف بإسرائيل، فأمريكا...تطالب حركة حماس والحكومة الوطنية المراد تشكيلها الاعتراف بإسرائيل كجواز سفر لدخول الساحة الدولية وفك الحصار عن الشعب الفلسطيني،.. وعن حكومته المنتخبة، والإفراج عن الأموال المصادرة والمجمدة...كيف بنا نعترف بإسرائيل وهي التي لم تعترف بأي من قرارات الأمم المتحدة ولا الشرعية الدولية؟...وهي التي رفضت المبادرة العربية التي أطلقتها القمة العربية آذار ٢٠٠٢... وهي التي رفضت خارطة الطريق وتحفظت عليها بأكثر من أربعة عشر

تحفظاً.. وهي التي قتلت أكثر من أربعة آلاف شهيد خلال فترة انتفاضة الأقصى...وهي التي تأسر أكثر من عشرة آلاف أسير؟ ... وهي التي تسببت بتشريد وتشتيت الشعب الفلسطيني في جميع أرجاء العالم، وما زال أكثر من خمسة ملايين مشردين؟.. كيف بنا أن نعترف بإسرائيل وهي التي ما زالت تحتل فلسطين التاريخية كلها وتحاصر الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧؟ .. وهي التي تمنعنا من الوصول إلى المسجد الأقصى للصلاة فيه؟ ... وهي التي لم تقبل حتى الآن الاعتراف بأن لنا حقا- على الأقل – في الوجود وإقامة الدولة الفلسطينية على الأرض التي احتلتها عام ١٩٦٧؟... كيف بنا أن نعترف بإسرائيل وهي التي ما زالت تبني جدارها العنصري والـ ، يلتهم أكثر من ١٥% من مساحة الضفة الغربية؟.... كيف بنا أن نعترف بإسرائيل وهي المحتل وهي المعتدي وهي القاتل فهل يجوز للضحية أن تعترف بالمغتصب والمعتدي والجلاد؟ فلماذا تطالبنا الرباعية والثمانية والدول الأوروبية بالاعتراف بإسرائيل؟ لأنهم يعرفون عدم شرعيتها بالوجود على أرض فلسطين... لأنها تريد انتزاع اعتراف بها من أصحاب الحق الأصليين، لأنها ما زالت تعيش أزمة الشرعية في المحيط الذي تتواجد فيه، فبأي حق تطالبون بالاعتراف بعد كل هذا، فهل يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين؟(٣٧)

وعلى هذا الأساس أصرّت حماس على عدم الهرولة وراء السراب الذي يعرضه الغرب الصليبي ووكيله الصهيوني، بعد أن خدعونا مئات المرات. ورفضت تقديم اعتراف مجاني وعلى حساب الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. إن حماس وحكومتها ليسوا وحدهم في هذا الشأن بل يشاركهم الرأي الشعب الفلسطيني بكافة أطيافه وحركاته الوطنية والإسلامية ، ومستقليه. لقد أعطاها شعبنا تفويضا بذلك على أساس موقفها المعلن من هذا الأمر. والشعب الفلسطيني ليس وحده في هذا الموقف، فكل الشعوب العربية والإسلامية قلوبهم معه.

١٢-٦-٧- أمريكا لن تغير سياستها تجاهنا ما لم تتضرر مصالحها، فلا تَخْشَوْها،لأنها زائلـــة، بعد أن أعماها جنون العظمة

ما ذكر أعلاه ليس من إنشاء مؤلف هذا الدراسة، ولا شطحة من شطحات خياله، بل هو رأي مختصين وأكاديميين وباحثين،غربيين وأمريكيين، وعرب.

ومن المعروف أنّ الدول الغربية العظمى احتلت أجزاء من الوطن العربي، وزرعت إسرائيل قاعدة لها في المنطقة. وكان من المفروض أن يهبّ المسلمون والعرب، لقتال هذه الدول العظمى ، والتحرّر من نيرها المباشر

وغير المباشر، واسترداد فلسطين، أو على الأقل، أن يقاطعوا هذه الدول العظمى عن طريق النضال اللاعنفي، بدلاً من الارتماء في أحضانها، والتسابق على نيل رضاها.

ويؤكد مختصون عديدون أن أمريكا لن تغير موقفها المعادي للعرب والمسلمين ما لم تضرر مصالحها في المنطقة. وعلى سبيل المثال يذكر الدكتور محمد شديد أستاذ العلوم السياسية في جامعة النجاح الوطنية سابقاً: أنّ أمريكا " لن تغيّر سياستها تلقائيا تجاه الشعب الفلسطيني ، وأنّ أيّ تغيير إيجابي لن ينجم إلا عن استعمال العرب لما لديهم من قوة سياسية واقتصادية وعسكرية.ومن الواضح أنّ مجموعات الأعمال والمصارف الأمريكية لم تشعر بأنّ مصالحها قد هددت بما فيه الكفاية. فلو وجدت أنّ مصالحها في الشرق عرضة للخطر لصبّت بالتأكيد كلّ ثقلها للتأثير على عملية صنع القرار السياسي الأمريكي" (٣٨)

ويذكر الدكتور نصير عاروري أستاذ العلوم السياسية في جامعة (Southeastern Massachusetts) ويقول:" أعتقد أنّه إذا لم تمسّ المصالح الأمريكية مباشرة في الشرق العربي، فلن يتغيّر الموقف الأمريكي ، فالنظام الأمريكي تحكمه مجموعة من الشركات الضخمة ...(والتي) ما دامت تجد أنّ مصالحها في الوطن العربي مؤمّنة فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتحرّك. يمكن أن يتغيّر الموقف الأمريكي بتغيّر الوضع العربي ، وبالتحديد إذا مسّت مصالح الولايات المتحدة. (٣٩)

ويحمّل الباحث الدكتور المسيري العرب المسؤولية ويقول:لو زادت تكلفة إسرائيل من خلال المقاومة والمقاطعة والجهاد، لأعادت الولايات المتحدة حساباتها، ولأصبحت هذه الحسابات اكثر رشداً من وجهة نظرنا (نظر العرب) ولما استمرّت أمريكا في انحيازها لإسرائيل. (٤٠)

ويقول الناشط السياسي والخبير الاقتصادي الفلسطيني الدكتور عادل سمارة:"إن سقوط نظرية القيادة اليهودية للعالم، وانكشاف الدور والهدف الأمريكي في الوطن العربي، يسقط بدوره تحليلاً آخر هو إمكانية كسب العرب للصداقة الأمريكية، لأن الأمر ليس مجرد تسابق على الحضن الأمريكي بمقدار ما هو وجوب التصدي للمصالح الاستعمارية الأمريكية في الوطن العربي، وعليه، فليس الأمر كسب العدو الأمريكي بل كسر العدو الأمريكي." (٤١) **وهكذا، لم يضغط العرب على أمريكا ، وبالتالي لم تأبه أمريكا بهم، ولم تحاول إعادة النظر في موقفها ، أو إيجاد حلّ للنزاع.**

وذكرت الدكتورة "شيريل روبنبيرغ"(Cheryl Rubenburg) أستاذ العلوم السياسية في جامعة فلوريدا الأمريكية أن التاريخ هو "تتابع نهوض وسقوط الأمم، والمئة وستون مليون عربي لن يقبلوا إلى الأبد إملاءات ثلاثة ونصف مليون إسرائيلي، حتى في ظل الولايات المتحدة الأمريكية.(٤٢)

وانطلاقاً من نظرية تتابع نهوض وسقوط الأمم،ونظراً لأن أمريكا قليلة الخبرة في كيفية إدارة إمبراطورية وفي كيفية التعامل مع الشعوب الأخرى، ولأنها تعتمد على عامل القوة والعنف أكثر مما تعتمد على السياسة، والتفاعل مع الظروف المختلفة للدول والشعوب التي تستعمرها أو تتعامل معها، فقد بدأ العدّ التنازلي لاضمحلالها وسقوطها.هذا ما ذكره الكاتب البريطاني جورج غالاوي الذي قال:"إن الدولة التي تريد وضع الأجانب في وضع حرج عليها أن تكون مستعدة لأن تضع أبناءها على الأرض، في الوحل والدم... فمن دون ذلك، فإن هذا القرن وهذه الألفية التي تم الاحتفال بها باعتبارها ألفية أمريكا ستصبح لدولة أخرى ، ولن تصبح سوى هامش في التاريخ- دولة لا يبلغ عدد أيام مجدها وقوتها سوى قرن أو نحو ذلك." (٤٣)

وذكر الكاتب البريطاني "باتريك سيل :" الحقيقة أن ما نراه الآن ، هو صورة مارد أمريكي جبار، يزداد عجزه يوماً إثر يوم عن فرض نفوذه القيادي أو الاجتراء على الخوض في الكثير جداً من التحديات التي تحيط به وتأتيه من كل جانب.فعلى الصعيد الاقتصادي مثلاً- إن لم يكن من حيث القوة العسكرية- فقد برزت الصين منافساً لا يرقى إليه الشك لأمريكا... غير أن التحدي الأكثر تربصاً بأمريكا يأتيها من قوى أصغر نسبيا، تتمثل في مجموعات المتمردين وبعض اللاعبين غير الحكوميين. ونحن في غنى عن التذكير بالضربة الموجعة التي وجهها التمرد العراقي إلى وحدات الجيش الأمريكي المرابطة هناك. وفيما لو استمرت هذه الحرب، فليس مستبعداً أن يُمرَّغ أنف واشنطن في الوحل، ويلحق بها عار عسكري، ليس اقل من ذلك الذي تجرعته في فيتنام سابقاً...

نخلص إذن إلى أنّ تحول أنماط القوى الذي نعنيه، إنما يتمثل في تمرد عدد من الدول الصغيرة والتنظيمات المتمردة ، على القوتين الأمريكية والإسرائيلية. من ذلك مثلاً نجاح "حزب الله " في طرد إسرائيل من لبنان بعد مضي ٢٢ عاما من الاحتلال الإسرائيلي. ومن جانبها تكشر حركة "حماس" عن أنيابها ضد أية ضغوط أمريكية إسرائيلية تهدف إلى تدميرها ومنعها من تولي قيادة الفلسطينيين وحكمهم. أما في أفغانستان، فها هي حركة طالبان تعيد تجميع وترتيب صفوفها، بما يمثل تحدياً سافراً للقوة الأمريكية.." (٤٤)

وعلاوة على ما تقدم، تتوفر الأدلة على أن إسرائيل أيضاً لن تستطيع البقاء للأبد تعربد وتهين،وتعتدي على المقدسات ، وإنما مصيرها الزوال، شأنها في ذلك شأن احتلالات كثيرة اعتدت، ثم زالت. وهناك كتاب عديدون يرون هذا الرأي، فعلى سبيل المثال ذكر الدكتور "إب"(Epp) مدير دراسات الصراعات الدولية في قسم السلام التابع لجمعية المينونايت المركزية في كندا: "ربما تستطيع إسرائيل كسب حرب أيام ستة إضافية على العرب، ولكنها لا تستطيع القضاء عليهم. فالسكان والجغرافيا هي واقع أكبر من مثل هذا النصر، والعناد العربي أعظم من مثل هذا

الإذعان.هزم العرب في المعارك عدة مرات، ولكنهم لم يعترفوا بالهزيمة ولم ينحنوا للمنتصر، وبالتالي فالمنتصر في الشرق الأوسط "إسرائيل" لا حيلة له (عاجز helpless)" .(٤٥)

و يقوم الصهاينة بعملية خداع خطرة عندما يحاولون أن يجعلونا نصدق أن العالم الإسلامي سيوافق في يوم من الأيام على أن تبقى ثالث مدينة مقدسة لدى المسلمين تحت السيطرة الإسرائيلية. واحتاج المسلمون مدة قرن لاسترجاع القدس من الصليبيين.وقد نحتاج لمدة أقصر ، أو أطول، حتى نستعيدها من الصهاينة، وإن شاء الله سوف نستعيدها.(٤٦)

إن جميع المؤامرات لن تضيّع فلسطين ما دام أهلها لا يتنازلون عنها، بل يتمسكون بحقوقهم فيها، ويبذلون أرواحهم رخيصة من أجلها. وهذا ما أكده الدكتور إبراهيم أبراش أستاذ العلوم السياسية في جامعة الأزهر بغزة بقوله:

> إن فلسطين ليست كيلومترات تُقسّم أو مدناً توزع، ولكنها وطن، شعور وإحساس وانتماء، إنها أكثر من الأرض مع أنها تتضمن الأرض، وفلسطين ستبقى هي فلسطين بتاريخها وجغرافيتها وناسها، فلسطين التي لو سألت أي إنسان فلسطيني أو عربي أو مسلم لقال لك إنها فلسطين من البحر إلى النهر ما دام السلام العادل على أساس الشرعية الدولية لم يتحقق.
>
> إن أخطر ما يهدد شعباً من الشعوب ليس ضياع الأرض، فهذه قابلة للاحتلال والهيمنة، ولكنه ضياع الحق، والحق لا يضيعه العدو المحتل، أو اية جهة أخرى، ولكنه يضيع إن أراد أصحابه أن يضيعوه بتنازلهم عنه، والتقاعس عن النضال دونه. والحقوق الفلسطينية اليوم ليست ملك العدو الصهيوني، بالرغم من أنه يحتل الأرض منذ عشرات السنين، ولكنها ملك الشعب الفلسطيني.(٤٧)

وبعد مرور قرن من الانتظار، اتضح أنّ أمريكا والغرب يخدعوننا. وقد وثقنا أمثلة على ذلك الخداع من مصادر أولية. ورغم كل ذلك، فلا يزال يوجد بيننا من يثق بأمريكا والغرب، أكثر مما يثقون بأنفسهم، وأمتهم، ولا يعرفون أو يريدون أن يعرفوا، أن الاستعمار زائل ، والاحتلال زائل، والشعوب باقية. هكذا علّمنا التاريخ، وهكذا علمتنا فيتنام، وهكذا علمتنا أرواح مليون شهيد قتلهم الغرب الإنساني المتحضر في الجزائر! نعم يوجد بيننا مِنْ ضعيفي الإيمان، من أوصلته ثقته بأمريكا إلى الإشراك بالله، وأن يعتقد أن الرزق،- وربما الحياة والموت - هو بيد أمريكا، وليس بيد الله، سبحانه تعالى.وهم يطلبون منا أن نوكل أمرنا إلى أمريكا، بدل الله سبحانه وتعالى، وأن نرتمي في حضنها الدافئ

بالدولارات، المفعم بالنفاق والظلم و"الإيدز" والانحلال والفساد. ولكن الواقع والتجربة عبر أكثر من قرن، دلت على أن أمريكا هي جذر كل الموبقات والشر والطغيان.ولهذه الأسباب نكرهها، ويكرهها الشاعر أحمد مطر، وينكر أنها الله، ويؤكد أنها إذا أصبحت هي الله فإنه يفضل الإلحاد على الإيمان بها ويقول:

أنا ضد أمريكا إلى أن تنقضـــــي ... هذي الحياة ويوضع الميـــــزان
هي جذر دوح الموبقات، وكل ما ... في الأرض من شرٍّ هي الأغصان
من غيرها زرع الطغاة بأرضنـا ... وبمن سواها أثمر الطغيـــــــان
حبكت فصول المسرحية حبكــةً ... يعيى بها المتفرس الفنـــــــان
حتى إذا انقشع الدخان مضى لنـا ... جُرْح وحلّ محلّه سرطـــــــان
وإذا ذئاب الغرب راعية لنــــا ... وإذا جميع رعاتنا خرفـــــــان

١٢-٧- خلاصة الدراسة، واستنتاجاتها، و توصياتها

١٢-٧-١- خلاصة الدراسة

إذا أردنا أن نضع حداً لما نحن فيه من ذلّ واستبداد وهوان، فلابدّ من إعادة النظر في أساليب تفكيرنا، وطريقة عملنا، وفي فهمنا لعلوم التاريخ والسياسة والإستراتيجية، التي وظفها الغرب المستعمر لتحقيق أهدافه ومصالحه. ولن نتمكن من ذلك إلا إذا اعتمدنا على البحث العلمي الحديث، وحللنا الصراع من جذوره تحليلا علميا شاملا، بحيث نعرف من هو الطرف الحقيقي فيه، ومن هو الوكيل لذلك الطرف، أو الأداة بيده؟ ومنذ متى بدأ التخطيط لهذا النزاع؟ وما هي الأهداف من صنعه أو إثارته؟ وكيف تمكن صانعوه من إخراجه إلى حيز الوجود، ومن جني ثماره؟ وهل هو نزاع عربي إسرائيلي -كما يدّعي الغرب- أم أنه في حقيقته نزاع بين الغرب الاستعماري وبين المشرق الغني بالنفط والموارد الأخرى، علاوة على أسواقه غزيرة الأرباح، وموقعه الإستراتيجي؟

وحتى نكون دقيقين، ونبتعد عن أي سوء فهم، فمن الضروري تحديد المصطلحات التي نستعملها هنا. فنقصد بالغرب الدول الاستعمارية الغربية الكبرى الثلاث التي تسلطت على المشرق وهي بريطانيا وفرنسا وأمريكا. وبالنسبة لهذه الدول فإننا نعني "حكومات وسياسيي وعسكريي" هذه الدول وليس كل شعوبها، فنحن نؤكد أن ما نطلقه من أوصاف على السياسيين والعسكريين الغربيين لا ينطبق على جميع فئات شعوب هذه البلدان، ونحن نؤكد أن الشعوب مسئولة عن سياسة حكوماتها، إلا أننا نؤكد أيضا أنّ في تلك الشعوب الكثيرين ممن ضمائرهم ضد سياسات بلدانهم، وقد عبَّر مفكرون أمثال

آرنولد توينبي من بريطانيا وروجيه جارودي من فرنسا وناعوم تشومسكي من أمريكا عن ذلك أصدق تعبير.

وفي محاولة المساهمة في تشخيص المرض الذي نعاني منه، تناولت الدراسة موضوعات هامة وواسعة، من ناحية البعدين المكاني والزماني. لقد كانت الموضوعات هامة لأنها تعالج أمورا حساسة، لها علاقة بالديانات السماوية، ومقولات وأساطير الشعوب المختارة، والحقوق التاريخية، ومبادئ وقيم ومثل المشرق العربي الإسلامي والغرب الإمبريالي في أيام السلم والحرب؛ سواء الحقيقي منها، أو تلك التي اتخذت أعذارا وحججا للظلم والعدوان، علاوة على مواضيع الساعة التي جاء بها الغرب لإعادة فرض هيمنته على المشرق والتي تتمثل في ما يسمى "بصراع الحضارات، والعولمة والإرهاب".وكانت واسعة إذ شملت مكانيا العالم القديم وأوروبا، كما شملت من حيث الزمان المدة الواقعة بين بناء الكنعانيين العرب مدينة يبوس"القدس" حوالي عام ٤٠٠٠ق.م وحتى اليوم.

وهناك حقائق تاريخية هامة بشأن علاقة الغرب بالمشرق العربي الإسلامي؛ فالغرب الذي استعمر فلسطين واستغل خيراتها وفرض عليها ثقافته في العهدين اليوناني والروماني ظل يطمح إلى استعادة حكمه لفلسطين وجوارها، وعندما فشل في استمرار تسلطه كحكم صليبي، شرعت بريطانيا البروتستانتية في القرن السادس عشر في الدعوة لإعادة اليهود إلى فلسطين.

إن الغرب منذ حملة نابليون على فلسطين كان يشن على الإسلام والعرب والمشرق حملتين متزامنتين: الأولى الهجوم العسكري بالمدافع والبوارج، وأخرى –والتي ربما تكون أشد خطرا- استهدف فيها الإسلام والدولة الإسلامية وفلسطين، وأعدّ لها دهاقنة علماء التاريخ والتوراة والفلسفة، فزوّر فيها تاريخ فلسطين وجيّره لحساب بني إسرائيل، كما طعن في علاقة الدولة الإسلامية بالعرب وفلسطين، فأدعى أن تلك الدولة أهملت فلسطين لأنها لم تتخذ منها عاصمة لها، وأن الحكم العثماني تسبب في اندثار عرب فلسطين.

وانطلاقا من تلك الأعذار الكاذبة، جاء الغرب بمقولات صراع الحضارات، ونهاية التاريخ، ومحور الشر، وشن الحرب على أفغانستان والعراق، ولا يزال يتابع القتل والتدمير الذي يندى له جبين الإنسانية.

ولهذه الأسباب اختلف هذا الكتاب عن غيره من الكتب التي تركز على جانب واحد –التاريخ الذي يضم موضوع الاستعمار، أو الأديان أو صراع الحضارات- وإنما ربط الجوانب الثلاثة معاً ليوضح ارتباطاتها الوثيقة، وتفاعلاتها التي تسببت في تعقيد هذا المرض بحيث يبدو أنه من الصعب إيجاد حلٍ عادلٍ له.

لقد استخدمت هذه الدراسة البحث العلمي، واعتمدت على مئات المراجع العالمية: اليهودية والمسيحية والإسلامية- البريطانية والفرنسية

والأمريكيـة والعربيـة والإسـرائيلية. ولخصـت تـاريخ فلسـطين منـذ أن بنـى اليبوسيون الكنعانيون العرب مدينـة القدس "يبوس" حوالي عام ٤٠٠٠ ق.م. إلى الحرب التي شنتها إسرائيل بالوكالة عن أمريكا على لبنان صيف هذا العام ٢٠٠٦م.

١٢-٧-٢-نتائج الدراسة

تنويـه: هنـاك اختلاف في وجهات النظـر حـول دور كـل مـن الاقتصـاد والعقيدة والحضـارة في النـزاع فـي منطقـة "المشـرق العربـي/الإسـلامي، حيث يركـز البعض علـى دور الاقتصـاد، ولا يولـون أهميـة كافيـة للعوامل الأخـرى. ونحن نوافقهم الرأي على أهمية العامل الاقتصـادي، لكـن نـرى أن الغرب يتخذ الدين ستاراً للعامل الاقتصادي، وبالتالي فالدين عامل مؤثر وموجود، ولا يمكن إنكـار دوره. وقـد يكـون مـن المناسـب الاستشـهاد بمـا ذكـره الكاتـب اليسـاري الإسرائيلي "أوري أفنيري"(**Uri Avneri**) بأن:

" العلاقـة بيـن أمريكـا وإسـرائيل لا يمكـن تفسيرها بشـكل كامـل عـن طريـق المصـالح الاقتصـادية، وحتـى الماركسيين الحقيقيين يعترفـون أنّ لتلـك الظـاهرة بعـد روحـي. ولـم يكـن مـن بـاب الصـدفة أن الأصـوليين المسـيحيين صـنعوا (اخترعوا) الصـهيونية قبل أن يفكـر فيهـا هرتـزل بمـدة طويلـة... ولا مفر مـن رؤيـة الحـدث ضـمن منظـور وخلفيـة حـرب بـوش الصـليبية ومسـانديه مـن الإنجيليين... وبالنسبة للذين يديرون الإمبراطـور بـوش، الموضـوع المهـم هـو محـاولـة سـاخرة سيئة للهيمنـة علـى مـوارد العـالم النفطيـة، **وهـذه ليسـت المـرة الأولـى فـي التـاريخ التـي يُسْتعمل فيهـا رداء دينـي لتغطيـة عُرْي وفضـيحة "المصـالح الاقتصـادية"، وليسـت هـي المـرة الأولـى التـي تصبح فيهـا حملـة اللصوصية حملة صليبية"**.(٤٨)

١- الصراع اقتصادي-عَقَدي- حضاري

- صـراعنا مـع أعـدائنا ثلاثـي الأبعـاد، فهـو صـراع علـى الـربح - والأسـواق والمواقـع الاسـتراتيجية وفـرض الهيمنـة- مـن جهـة، كمـا أنـه صـراعٌ عقديٌ و حضـاريٌ، من جهة أخرى. إنه صراع بين عقيدة وحضارة الإيمان والرحمة والتسـامح العربيـة الإسـلامية مـن جهـة، وبيـن عقيـدة وحضـارة القتـل والنهب والتعذيب والاغتصـاب اليهو – مسيحية الغربية من أجل تعظيم الـربح المـادي وإشباع المتع والغرائز، من جهـة ثانيـة، حيث يمثلّ الشعب الفلسطيني رأس الحربـة فـي الحضـارة الأولـى، فيمـا يمثـل الإسـرائيليون رأس الحربـة فـي الحضارة الثانية.

٢- الصراع صراع وجود لا صراع حدود

- الصراع على فلسطين ليس صراع حدود ، وإنّما صراع وجود، حيث ينكر الصهاينة المسيحيون والصهاينة اليهود وجود الشعب الفلسطيني، ويدّعون أن الأرض الواقعة بين النيل والفرات أعطاها الرب لهم، ويسعون لهدم المسجد الأقصى المبارك الذي يقدسه المسلمون ويلتفون حوله منذ أربعة عشر قرناً، ليعيدوا بناء هيكل هُدِم قبل ألفي عام وتشتت أتباعه في العالم ولم يعد له وجود.

وفي المقابل، يؤكد العرب والمسلمون أن فلسطين عربية ، قبل الإسلام وبعده، وأنها وطنهم بدون منازع لآلاف السنين. وينكر العرب والمسلمون وجود أي حق للمستعمرين والمحتلين الصهاينة القادمين من الخارج في فلسطين، ويعترفون فقط بحق الأقلية اليهودية التي كانت تقيم في فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى ونسلها في العيش بسلام وتسامح كما عاش اليهود في ظل الدولة الإسلامية، وأن يتمتعوا بكافة الحقوق والحريات.

٣- موعد بدء النزاع

- إنَ هذا النزاع لم يبدأ مع وعد بلفور عام١٩١٧ ، ولا مع حملة نابليون على مصر وفلسطين عام ١٧٩٨م، وإنما تعود جذوره إلى هدف الغرب في استعادة احتلاله للمشرق منذ عهود اليونان والرومان والصليبيين. ومشاريع وخطط إعادة اليهود إلى فلسطين هي مشاريع غربية - بريطانية – فرنسية- أمريكية ظهرت لأول مرة مع ظهور البروتستنتية في بريطانيا في القرن السادس عشر، عندما دعت بريطانيا إلى إعادة اليهود إلى فلسطين، ليس من أجلهم ولا لسواد عيونهم، وإنما تحقيقاً لمصلحة غربية، بحجة أن إعادة اليهود لفلسطين ستكون مقدمة لعودة المسيح المنتظر، ووقوع معركة هرمجدون في فلسطين في نهاية الزمان(تاريخ الإنسانية) التي ينتصر فيها الغرب المسيحي "الخيّر" على المشرق الإسلامي "الشرير" حسب أساطير ومزاعم اليمين المسيحي التي يتبناها الغرب الإمبريالي. وتطورت تلك الدعوة مع حملة نابليون على مصر وفلسطين عام ١٧٩٨م، واتخذ القرار بإقامة كيان لليهود في فلسطين في مؤتمر "بانرمان"(Bannerman) في لندن عام ١٩٠٧الذي شاركت فيه الدول الغربية الاستعمارية.

٤-أطراف النزاع

- إنّ النزاع على فلسطين ليس بين العرب واليهود أو الإسرائيليين الذين لم تقع بينهم حروب منذ الفتح العربي الإسلامي لفلسطين عام ٦٣٧م وحتى القضاء على الدولة العثمانية الإسلامية عام ١٩١٨م ، وإنما هو نزاع بين الغرب الاستعماري والمشرق العربي والإسلامي، من أجل فرض الهيمنة والأرباح والمواقع الاستراتيجية.

- إنَّ إسرائيل هي مجرد "أداة " أو "وكيل " للغرب في هذا النزاع، ولذلك يجب على العرب والمسلمين أن لا يكتفوا بإلقاء اللوم على، الأداة ومقاومتها،بل يجب عليهم مقاومة العدو الأصلي، أي الغرب الاستعماري، ممثلاً في أمريكا وبريطانيا وفرنسا التي حملت – ولا تزال تحمل- عبء هذا النزاع عسكريا، وماليا، ودبلوماسيا، والتي خالفت قوانين السماء والأرض من أجل منع أيجاد حلٍ له ، وتأبيده، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لتأبيد استئثارها بالمشرق وموارده ومواقعه الاستراتيجية.

- إنّ العرب والمسلمين أخطأوا، بل ارتكبوا جريمة كبرى بحق أنفسهم وبحق أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، عندما اعتبروا الغرب محايدا، ووسيطاً نزيها، رغم أنه هو الذي تسبب في النزاع ، وهو الذي يمنع إيجاد حل له، وهو المستفيد الأول منه.

٥- أكاذيب مقولات الشعوب المختارة والحقوق التاريخية، وحقيقة فلسطين العربية الإسلامية

- إنّ فلسطين هي ملك العرب والمسلمين الذين كان لهم فيها وجود وحكم مستقر لآلاف السنين ولهم فيها آثار وحضارة لا تزال ظاهرة للعيان، وليس ملك اليهود الذين كانت لهم فيها مملكة موحدة عمرت (٧٣) عاما فقط، وكانت تخضع للإمبراطوريات المجاورة وتدفع لها الضريبة، ولم تترك فيها آثاراً ولا حضارة تذكر، علما بأن القانون الدولي لا يعترف بمقولة "الحقوق التاريخية، ولا يعترف بأي دور للأساطير الدينية في تمليك الأقاليم والبلدان.

٦- ابتعاد الغرب عن الموضوعية في كتابة تاريخ فلسطين، وعلاقتها بالدولة الإسلامية، وتزوير وتشويه ذلك التاريخ

قبل هجوم الغرب على فلسطين بمدافعه وبوارجه، أعد جيشاً من المستشرقين وعلماء التوراة من أمثال لجنة صندوق اكتشاف فلسطين اليهودية

البريطانية، واليهودي الأمريكي "ألبر ايت" الذين أعدوا خرائط لفلسطين ،ونقبوا في آثارها، وأعادوا كتابة تاريخ فلسطين بشكل يخدم أهدافهم، بعيدا عن الموضوعية. وقد خلصت الدراسة إلى الاستنتاجات التالية في هذا المجال:

- أنه لا أساس من الصحة لادعاء الغرب بأنّ الحكم العثماني لفلسطين وغيرها من الولايات العربية كان حكم استعمار.

- أنّ الغرب لم يحررنا من الحكم العثماني كما يدعي، بل استعمرنا بشكل مباشر وغير مباشر، وفتّت وحدتنا ، ووضع قيوداً على سيادتنا وحريتنا في مجالات كثيرة. ولا يزال يحول دون نيلنا حقنا في التحرر السياسي والاقتصادي الحقيقي.

- لا أساس من الصحة لادعاء الغرب أن الدولة العثمانية أهملت فلسطين بحجة أنها لم تتخذها عاصمة لها. فالدولة الإسلامية حمت فلسطين ، ولم تسقط فلسطين فريسة بيد الصليبيين والصهاينة العنصريين الظالمين، إلا عندما ضعفت الدولة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي، وبعد القضاء على تلك الدولة عام ١٩١٨م. وعلى العكس من ادعاء الغرب، فقد أولت الدولة الإسلامية فلسطين عناية خاصة، فصرفت ضرائبها على حجاجها لبيت الله الحرام، وأقامت فيها مساجد ومدارس ومؤسسات اجتماعية وخيرية وقصوراً، ومن الشواهد الحالية على ذلك: المسجد الأقصى المبارك، وقبة الصخرة المشرفة، وسور القدس العظيم.

- لا أساس من الصحة لادعاء غربيين وصهاينة أن الدولة العثمانية المسلمة تسببت في اندثار عرب فلسطين.

ومن الأدلة التي تفند هذا الزعم ما تؤكده المصادر الغربية من أن أهل فلسطين لم يندثروا، وأن نشاطهم الزراعي والصناعي لم يتوقف، حيث سجل أهالي فلسطين وجودهم الزراعي والصناعي في معرضين دوليين في استانبول وفي فينّا عامي ١٨٦٣م، و١٨٧٧م وهي الفترة التي كانت فيها الدولة العثمانية في أدنى درجة من الضعف بسبب الحروب المتتابعة التي شنها الغرب عليها، كما سجلت صادراتهم من القطن والحبوب(وخاصة القمح والسمسم) والحمضيات والفواكه والخضروات في سجلات الواردات إلى فرنسا وانجلترا واليونان وإيطاليا، علاوة على آسيا الصغرى ومصر.

٧- إهمال العرب والمسلمين في كتابة تاريخ فلسطين، وتصحيح ما أدخل فيه من تشويه وتزوير

- نجح الغرب في إعادة كتابة تاريخ فلسطين القديم، بما يخدم أهدافه، بحيث قرر من طرف واحد، وبعيداً عن الموضوعية، أن فلسطين هي ملك الإسرائيليين الذين كان لهم فيها مملكة موحدة مدة (٧٣) سنة ، وتجاهل حق العرب والمسلمين الذين ملكوها لآلاف السنين. وملأ الغرب بهذا التاريخ المزور الموسوعات والكتب والروايات والأفلام بجميع لغات العالم، بينما لا يزال العرب والمسلمون مقصرين في الرد على تلك الحملة الباغية والكاذبة.

- قام المستشرقون الغربيون والمستغربون الشرقيون الذين حذوا حذوهم ونهلوا من مناهلهم المضللة والبعيدة عن الموضوعية، بكتابة تاريخ فلسطين في العهد العثماني بشكل يخدم أهواءهم ومصالحهم، دون الرجوع إلى مصادره الأولية.ولم يقم العرب والمسلمون بجهد كاف حتى اليوم لتصحيح ما ألحقه به الغرب من تزوير وتشويه، وكتابة تاريخ فلسطين في العهد العثماني، اعتماداً على مصادره الأولية التي تتمثل في ملايين السجلات والوثائق العثمانية الأصلية في العاصمة استانبول، وفي مراكز الولايات والألوية، وفي سجلات المحاكم الشرعية، التي هي أصدق شاهد على مجريات الأمور في تلك الدولة.

٨- الفروق بين معاملة اليهود والمسيحيين والمسلمين لخصومهم أثناء الحرب

هناك فروق واضحة بين حروب اليهود/ الإسرائيليين والغربيين اليونان والرومان والصليبيين الفرنسيين والإنجليز والأمريكان وبين حروب المسلمين، كما يتضح مما يلي:

- أن اليهود/ الإسرائيليين، قديماً وحديثاً، لم يعطوا أعداءهم سوى الاستسلام ومن ثم استعبادهم وحرمانهم من أبسط حقوقهم الإنسانية والقانونية، أو الحرب والقتل الذي يطال البشر والحيوان والشجر، دون التمييز بين كهل وامرأة وطفل، علاوة على اغتصاب النساء، وتدمير المباني، والبنية التحتية. هكذا كانت حرب يوشع قبل الميلاد، وحرب إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ في فلسطين حيث تلقي بقنابل بوزن طن على البيوت وأهلها نساءً وشيوخاً وأطفالاً وهم نيام. وهكذا حربها عام ١٩٨٢ وهذا العام-٢٠٠٦- في لبنان، عندما قتلت المدنيين ودمرت بيوتهم فوقهم، في قانا وسائر أرجاء لبنان. وهكذا حربها اليوم في فلسطين –بيت حانون-عندما حاول الجيش الإسرائيلي استرداد هيبته التي فقدها في لبنان بإطلاق قذائف صواريخه ومدافعه الأمريكية الفتاكة على

الأحياء السكنية ليلا لتقتل عائلات بأكملها ، أطفالاً ونساءً، وتلاحق الذين هربوا إلى الشوارع بوابل من القذائف.

- أن المحاربين الغربيين لا يعطون خصومهم سوى خيار الاستسلام دون قيد أو شرط، وأثناء الحرب يقتلون المدنيين من شيوخ ونساء وأطفال، ويغتصبون النساء، ويعذبون خصومهم.لقد قتل الرومان يهود القدس وهدموا المدينة وشتتوا أهلها واستولوا على ممتلكاتهم، وفعل الصليبيون الشيء نفسه بالمسلمين واليهود. ومارس الأمريكيون عملية تطهير عرقي بحق مواطني أمريكا الأصليين من الهنود الحمر. وقتل الفرنسيون والإنجليز المدنيين من المسلين في المساجد والمدارس والبيوت في الجزائر ومصر وفلسطين، كما يقتل الأمريكيون الآن المسلمين في أفغانستان والعراق، بعد ارتكاب أبشع أنواع التعذيب، واغتصاب الأطفال.هذه هي إنسانية وديمقراطية الغرب المتحضر، وهذه حضارته.!!

- وبعكس الإسرائيليين والغربيين، فإن المسلمين يعطون خصومهم ثلاثة خيارات : الدخول في الإسلام، أو البقاء على دينهم والحفاظ على حياتهم وممتلكاتهم مقابل دفع ضرائب أخف من التي كانوا يدفعونها من قبل، أو الحرب.وأثناء الحرب، لا يتعرض المسلمون للمدنيين من غير المحاربين ولا الشيوخ ولا النساء ولا الأطفال ولا الجرحى. ولا يهدمون البيوت ولا يقطعون الأشجار، ولا يعذبون الأسرى، ولا يمثلون بالجثث.

٩- الفروق بين معاملة اليهود والمسيحيين والمسلمين للأقليات التي يحكمونها أثناء السلم

- أن بريطانيا وفرنسا نكلت باليهود الذين كانوا تحت حكمها لأكثر من ألف عام، ولم تسمح لهم بحرية العبادة والمعتقد، وارتكبت مذابح بحقهم،وحصرتهم داخل جيتوات، وأبعدتهم، وصادرت أموالهم وعقاراتهم، ولم تسمح لهم بالمشاركة بحرية في العمل والاقتصاد.

- أن المسلمين حافظوا على حياة وممتلكات أهل الذمة (اليهود والمسيحيين) الذين كانوا تحت حكمهم ولم يتدخلوا في معتقداتهم الدينية، ولم يجبروهم على الإقامة داخل جيتوات، ولم يبعدوهم ولم يهدموا بيوتهم،كما سمح لهم بامتلاك الأرض والعقارات، وأشركوهم في العمل والاقتصاد، وذلك من بداية الحكم الإسلامي عام ٦٣٧م وحتى عزل السلطان عبد الحميد الثاني-طيب الله ثراه عام ١٩٠٩م. أما الذين تولوا الحكم في الدولة العثمانية بعد ذلك فقد كانت تغلب عليهم النزعة القومية أكثر من التسامح الإسلامي.

- أنّ إسرائيل منذ عام ١٩٤٨، دأبت على تقييد حرية العبادة للمسلمين والمسيحيين، وهدمت قسما من المساجد والكنائس، وحولت قسماً آخر إلى اصطبلات ومواخير للرذيلة، ومسارح، وقتلت وجرحت وعذبت المدنيين العرب الذين تحت حكمها، وصادرت ممتلكاتهم وأراضيهم، وأبعدت بعضهم ، وهدمت بيوتهم،وحشرتهم في جيتوات عن طريق تقييد الحركة بالحواجز وجدار الفصل العنصري، وقيدت مشاركتهم في العمل والاقتصاد.

١٠- الغرب واستغلال الديانات والمبادئ والقيم من أجل التوسّع والربح المادي

- استغل الغرب الديانة المسيحية فاضطهد اليهود لمدة تزيد على الألف عام بحجة رفضهم اعتناق المسيحية. واستغل الديانة المسيحية وحماية القبر المقدس والحجاج المسيحيين واحتل القدس، لكنه قتل المسيحيين في القسطنطينية ونهب أموالهم.واستغل أسطورة "عبء الرجل الأبيض" فاستعمر أجزاء من قارتي آسيا وإفريقيا. وبحجة تحرير العرب من "الاستعمار" العثماني المسلم احتل البلاد العربية وجزأها إلى دويلات أوهن من بيوت العنكبوت، لكنه كشف عن حقيقته عندما احتل القائد الصليبي اللنبي القدس وقال"الآن انتهت الحروب الصليبية" وعندما احتل القائد الصليبي الفرنسي "غورو" دمشق ركل قبر صلاح الدين الأيوبي وقال:"ها قد عدنا يا صلاح الدين". وعندما أعلن الصليبي الشرير المعاصر "جورج بوش" الحرب على العراق قال:"هذه حرب صليبية."

١١- بعد انكشاف كذب مزاعمه في "التحضير" و "التحرير" لجأ الغرب إلى ذرائع صدام الحضارات والعولمة والإرهاب التي جاءت أشدّ فتكاً من سابقتها

- صراع الشرق الأوسط في حقيقته صراع بين المصالح وليس صراعاً بين الحضارات

- العولمة تعني "الأمركة" أي الاستعمار الأمريكي، ففي مرحلة العولمة انتقلت أمريكا من الإمبريالية (الاستعمار غير المباشر) إلى الاستعمار التقليدي، بقواه العسكرية، وزادت عليه التدخل في معتقدات وثقافة وخصوصيات الشعوب، عن طريق إملاء ثقافتها، والتدخل في ديانة المسلمين ، وإملاء ما يجوز لهم أخذه من العقيدة الإسلامية وما يمنع التعاطي معه، بعد أن ألصقت بالإسلام تهمة الإرهاب.

- وبعد أن كانت الإمبريالية تُغلّف طعمها المر(أضرارها واستغلالها) بشيء من الحلوى(إقامة مستشفى، مكتبة عامة) وتعمق استغلالها لموارد البلاد بالتدريج ، جاء الاستعمار الأمريكي ليفرض نفسه دفعة واحدة، بالنار والحديد، وقتل المدنيين الأبرياء أطفالاً ونساءً وشيوخاً في مذابح جماعية، وإثارة النعرات والقلاقل الطائفية، وتجزئة الدولة الواحدة إلى دويلات تخدم مصالحها.

- مقاومة الغرب للإرهاب هي في حقيقتها مقاومة حركات التحرر الوطني التي تسعى إلى التخلص من نير الغرب- ووكيله الصهيوني- العسكري، والاقتصادي، والثقافي /الحضاري.

- صارت أمريكا تطلق اسم " العنف والإرهاب " على مقاومة الفلسطينيين واللبنانيين المشروعة للاحتلال، وتصف عدوان إسرائيل على العرب بأنه دفاع مشروع عن النفس، وتساوي بين المجرم والضحيّة ، وتطالب الطرفين بإنهاء العنف.!!

١٢ - ضرب الغرب رقما قياسياً في النفاق في تطبيق الشرعية الدولية

يجب أن نعلن رفضنا واستنكارنا لما يقوم به الغرب من كذب ونفاق وتجنٍ على الحقيقة حين يقسّم المسلمين إلى معتدل ومتطرف، بحيث أصبح يطلق صفة "معتدل"على المسلم الذي ابتعد عن أساسيات العقيدة الإسلامية السمحاء ووالى الغرب. كما أطلق صفة "متطرف" على المسلم الذي حافظ على حقه في حرية الاعتقاد والتفكير وعلى حقوقه الإنسانية الأخرى التي منحه إياها الله – سبحانه وتعالى- بصفته إنساناً،وفضّله على غيره من المخلوقات.

- قدّم الغرب دعماً هائلاً للمجاهدين المسلمين ضد الاحتلال السوفييتي لأفغانستان، ليس إيماناً منه بالحق في مقاومة المحتل، وإنما ليحل محل السوفييت، ولذلك عندما قاوم المجاهدون المسلمون احتلاله لأفغانستان تصدى لهم بالأسلحة المحرمة دولياً، ووصم مقاومتهم بِ "الإرهاب".وهكذا كان "ابن لادن" مسلماً معتدلاً وطيباً عندما كان يقاوم الاحتلال الروسي لأفغانستان الذي كانت أمريكا تقاومه لتحل محله، ولكن "ابن لادن" نفسه أصبح إرهابيا عندما قاوم الاحتلال الأمريكي للأرض الإسلامية في أفغانستان والعراق.

- جمّع الغرب اليهود من أماكن إقامتهم في شتى أنحاء العالم وأقام لهم دولة، بحجة إيمانه بحق تقرير المصير، ولكنه تجاهل حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني واقتلعه من وطنه، وحرمه من جميع حقوقه الإنسانية والقانونية.

- شنّ الغرب حربا عالمية ضد العراق الذي احتل الكويت لأسابيع قليلة، ولم يقتلع شعبها منها، ولكنه تجاهل الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين والجولان ومزارع شبعا الذي استمر لمدة تزيد على نصف القرن، والذي ظل يمارس جريمة التطهير العرقي بحق شعب فلسطين، كما ظل يحول دون إيجاد حلٍ لذلك الاحتلال.

- يقاوم الغرب إيران بشدة بسبب نجاحها أخيراً في امتلاك برنامجاً نووياً، لكنه زوّد إسرائيل بمفاعل نووي، ويدافع عنها ويحميها من عقوبات الأمم المتحدة.

- يقدس الغرب حق الغربيين في مقاومة كل ما يعتبرونه اعتداء على حقوقهم، ويصف جرائم واعتداءات إسرائيل على العرب أنها "دفاع مشروع عن النفس"، بينما يعتبر مقاومة الفلسطينيين للاحتلال الإسرائيلي أنها "إرهاب".

١٣- الغرب كذّاب ، عديم الرحمة مع غير الغربيين، مجرم وشرير

- لقد كذب الغرب عندما احتل فلسطين بحجة تحرير القبر المقدس، وعندما استعمر البلدان بحجة عبء الرجل الأبيض، وعندما احتل البلاد العربية بحجة تحريرها من الاستعمار التركي.

- الغرب يحترم حقوق الإنسان الغربي ويطبق عليه مبادئ الثورتين الفرنسية والأمريكية، لكنه عديم الرحمة ويمارس أقسى درجات الشر والإجرام بحق غير الغربيين.ومن أمثلة ذلك : جرائمه في الجزائر حيث تسبب بسقوط مليون شهيد، قام بقطع آذان الأسرى الجزائريين واستبدل الأسيرات بالخيول، كما أطلق قذائف مدافعه على المدنيين في مصر وفلسطين وهم في مساجدهم ومدارسهم، وقتل نابليون حامية يافا المسلمة التي تضم ثلاثة آلاف رجل، بعد أن أعطاهم الأمان وألقوا أسلحتهم واستسلموا.

- الغرب رفض – ولا يزال يرفض- تحقيق السلام في الشرق الأوسط كما رفض عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط لأن مصالحه كما حددها في مؤتمر بانرمان في لندن عام ١٩٠٧ تقتضي الحفاظ على التوتر، وعلى استمرار تجزئة العرب والمسلمين.

- إنّ قيام أمريكا والغرب وإسرائيل بفرض الحصار على الشعب الفلسطيني، وتجاوب عرب وبنوك فلسطينية معه يتعارض مع القانون الدولي ومع حق تقرير المصير، ومع قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ عام ١٩٧٤

التي دعت دول العالم مساعدة الشعب الفلسطيني وكافة الشعوب الواقعة تحت الاحتلال الأجنبي من أجل التخلص منه.

- تدعم أمريكا إسرائيل بلا حدود بحجة أن بينهما قِيَماً مشتركة، فإذا كان توفر القيم المشتركة يوجب الدعم والتعاون، فلماذا تعارض أمريكا والغرب التعاون بين لبنان وسوريا من جهة، وبين سوريا ولبنان وبعض حركات المقاومة الفلسطينية وإيران من جهة أخرى، طالما أن بينها قِيَماً مشتركة، وتاريخاً مشتركاً أكثر مما بين إسرائيل وأمريكا والغرب.وإذا كان تلقي الدعم للتحرر من الاحتلال خطأً ، فلماذا تلقت أمريكا دعما من فرنسا أثناء حربها للتحرر من الاحتلال البريطاني؟ أوَ ليسَ تمثال الحرية شاهداً على مساعدة فرنسا لأمريكا أثناء حربها لتحرر من الاحتلال البريطاني؟ ولماذا توجه الجمعية العامة للأمم المتحدة نداءات سنويا وتصدر قرارات تحثّ دول العالم على مساعدة الدول الواقعة تحت الاحتلال للتخلص من ذلك الاحتلال؟

- الدول الغربية العظمى والصهيونية والأنظمة العربية والإسلامية نجحت نجاحاً باهراً في خدمة أهدافها، بينما فشلت الشعوب العربية -وبعض الشعوب الإسلامية- فشلاً ذريعاً في تحقيق أهدافها في تحرير في فلسطين، وفي الديمقراطية الحقيقية والعدالة الاجتماعية.

- لم يحدث أن تخلى مستعمر طوعاً عن مستعمراته، وأمريكا لن تغير من موقفها العدائي من العرب والمسلمين بدون الإضرار بمصالحها عن طريق المقاطعة الثقافية والسياسية والاقتصادية، والمقاومة المسلحة ، إن لم تُجْدِ المقاطعة.

- في ظل انعدام الشرعية الدولية، وفشل الحلول الاشتراكية والقومية منذ حوالي مئة عام، لا خلاص لنا من ظلم وعدوان الغرب، بسلاحيه الثقافي والعسكري، إلا بالإسلام الذي يوحدنا ويمنحنا القوة لمقاطعته ثقافيا وسياسيا واقتصادياً كخطوة على طريق المقاومة والجهاد لهزيمته عسكريا، حتى تحل حضارة التسامح والإيمان محل حضارة النفاق وعبادة الربح المادي.هكذا قال حمورابي، وهكذا قال الإسلام:" (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ١٩٠ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ

فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ ١٩١ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٢) (البقرة ١٩١-١٩٢). وجاء بعده القانون الدولي والإعلان العالمي لحقوق الانسان، وقرارات الأمم المتحدة التي أعطت المحتل والمظلوم الحق في الثورة ومقاومة الظلم.

- أخطأ العرب والمسلمون – وفي مقدمتهم الفلسطينيون- عندما أخذوا يتراجعون عن حقهم في مقاومة إسرائيل التي احتلت الأرض، ودنست المقدسات، وقتلت الشعب، وراهنوا على حسن نية الغرب، كما شاركوا في مفاوضات سلام خارج الأمم المتحدة، دون الاعتماد على قراراتها السابقة.وكان أكبر خطأ ارتكبوه عندما تجاهلوا حقيقة أن جميع الأراضي التي احتلتها إسرائيل زيادة على ما خصصه لها قرار التقسيم هي أراض محتلة بالقوة يجب على إسرائيل أن تنسحب منها. ولذلك ارتكبوا خطأ جسيما بشأن فلسطين عندما وافقوا على الدخول في مفاوضات خارج الأمم المتحدة ، وعلى أساس حدود ما بعد حرب ١٩٦٧.وكان من المفروض أن يتمسكوا بقرار التقسيم وأن يطالبوا باسترجاع ٤٤% من أراضي فلسطين، بما في ذلك حق العودة،بدلا من الاكتفاء بِ ٢٢%.

- أخطأ العرب والمسلمون – وفي مقدمتهم الفلسطينيون- عندما وافقوا على نبذ العنف، الذي قصد به الحق في المقاومة، وعلى تغيير الميثاق الوطني الفلسطيني، والقبول بإعادة النظر في المناهج الفلسطينية وكان من المفروض أن يطلبوا من إسرائيل أن تنبذ في المقابل، العقيدة الصهيونية الداعية إلى دولة من النيل إلى الفرات، وأن إسرائيل دولة لليهود فقط- خلافا لجميع دول العالم، وأن تعيد النظر في أيديولوجيتها العنصرية بحق غير اليهود، وخاصة العرب والمسلمين.

- العرب والمسلمون- حكومات وشعوب- لم يعدوا العدة الكافية لمواجهة الصراع ولا يزالون يحلمون بأن يأتيهم الحل من المستعمر الذي تقتضي مصلحته استمرار النزاع والتوتر.

- كان العرب في الجاهلية أذيالاً للفرس والروم، ويحاربون بعضهم بعضاً لأتفه الأسباب، فبسبب سباق الفرسين داحس والغبراء، دارت الحرب بين قبيلتي عبس وذبيان لمدة أربعين عاماً، إلى أن أصلح بينهما الحارث بن عوف وهرم بن سنان ودفعا دية القتلى من الطرفين من مالهم الخاص.وقد اتضح من الفصل الثاني من هذه الدراسة أن العرب لم يتحدوا ولم تصبح لهم قوة إلا بالإسلام، وبعد ابتعادهم عن الإسلام كنظام حكم عادوا اليوم إلى انقساماتهم

في ظروف خاصة عن طريق التعيين، بعد أن هرمت، وأصبحت أعجز من أن تلبي ما نعلقه عليها من آمال.

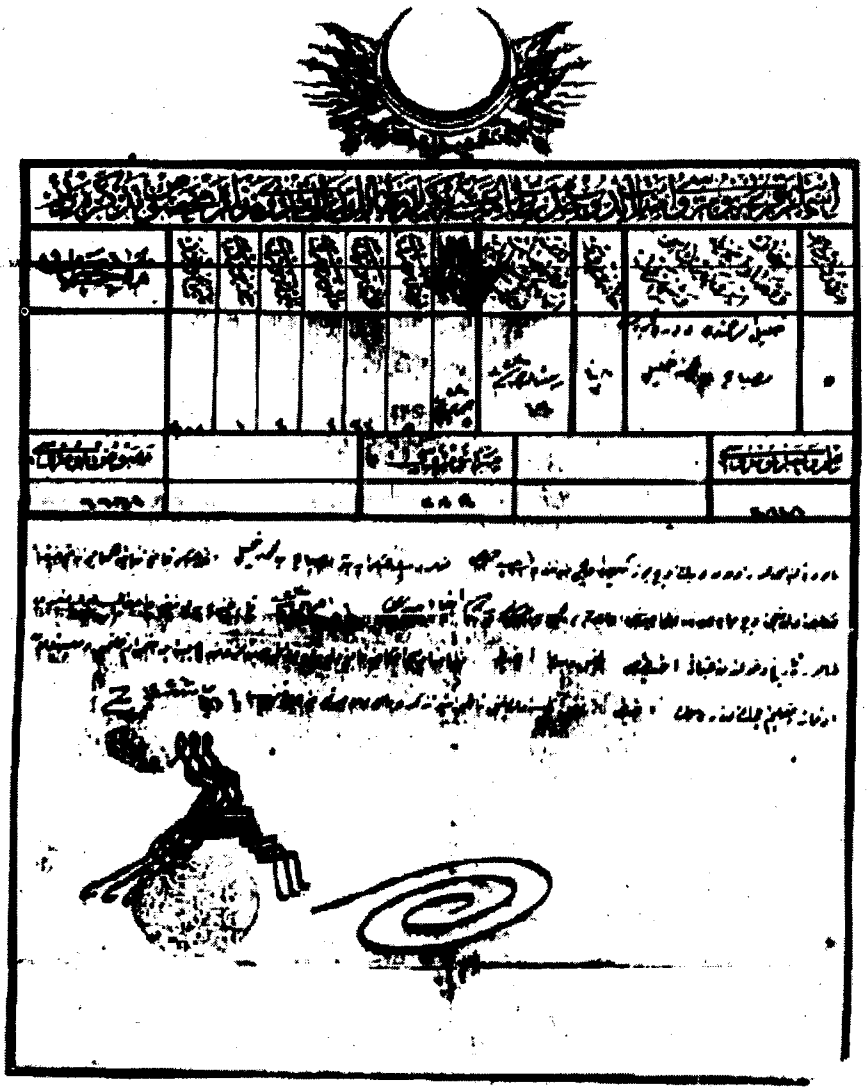
- توصي الدراسة بضرورة محاربة الفساد بلا هوادة في الدوائر الحكومية والمؤسسات والمنظمات غير الحكومية.ونظراً لأننا لا نزال تحت الاحتلال، ونمرّ في مرحلة تحرر وطني، وفي عملية محاولة تأسيس بنية تحتية من تحت الصفر، فإننا في حاجة إلى الاستعمال الرشيد للموارد على مستوى الوطن، وإلى إعادة النظر في طريقة عمل جميع المؤسسات غير الحكومية، بحيث تخصص جميع الموارد والطاقات لإقامة بنية تحتية ومستشفيات وتطوير الزراعة والصناعة، بحيث نضع أرجلنا عملياً على طريق "نأكل مما نزرع ، ونلبس مما نصنع."

هوامش الفصل الثاني عشر

Marc T. Stephens," Enforcement of International Law In the Israeli –Occupied Territories" (Ramallah – Al-Haq, 1984) (ص ١٤-٢٣-٤١)	١
Leo Benjamin, "Arab Jewish Brother Hood" (New York: Impress House, 1973" P.(47).	٢
Avi Shlaim, "War and Peace In The Middle East" (Penguin Books, 1995 P. (25)	٣
The Palestine Arab Office "Tension And Peace In the Middle East". N.d., n.p. P.(11	٤
Cheryl A. Rubenburg,"The Conduct of US Foreign Policy in the Middle East"American Arab Affairs Number 9 , Summer 1984 , p.(22-45	٥
د. محمد عباس: كاتب من مصر عن القدس العربي، القدس. التاريخ ١/١٠ /٩ ١٩٩ ، فؤاد أبو حجله، الحياة الجديدة ١١/١٠/٢٠٠٠.	٦
Henry Cattan, "The Question of Palestine"(London Croom Helm, 1988)p. (236)	٧
Mid East International 26/5/1985 , p. (5)	٨
WWW.IAP.ORG 20 Zionist Questions. Amazon.com Books Reviews. Joan Peters: "From Time Immemorial The origins of the Arab Jewish Conflict Over Palestine."	٩
Anis Al-Qassem,"Palestinian Rights and Israeli Institutionalized Racism" . p.(17)	١٠
Arnold Toynbee, "Experiences"(London:1969) p.(266)	١١
Jerusalem: Key to the World Order (London: Islamic Council of Europe, 1980)p.(150)	١٢
Thomas L. Friedman, "From Beirut to Jerusalem"(New York: Anchor Books. A Division of Random House, Inc..1995)p.(435)	١٣
Joseph Leftwich , "The Noble Arabs" South African Jewish Times " March 6, 1964. Aubrey Hodes, Dialogue With Ishmaiel. Israel's Future In the Middle Easrt"(New York: FUNK AND wagnalls,1968) p.64	١٤
Aubrey Hoods, "Dialogue With Ismaiel ,op. cit. p.(61)	١٥
S.D. Goitein, "Jews and Arbs. Their contacts Through Ages". (New York: Schocken Books Inc., 1955)P.(217).	١٦
عبد اللطيف صلاح، مجلة الوعي، العدد (٨٦) سنة ثامنة، محرم ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ص(٦).	١٧

Auri Avnery, "Israel Without Zionism "(New York:Macmillan,1968	
نوعم تشومسكي في كتابه " الثالوث الخطر: الولايات المتحدة .إسرائيل والفلسطينيون ص (٢١٨	١٨
Henry Cattan, "The Question of Palestine",op.cit.p. (240-241)	١٩
كيث وايتلام، " اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني "(الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وسلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٩) ص (١١)	٢٠
جون اسبوزيتو، " الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع"(سوريا- اللاذقية: دار الوار للطبعة والنشر، ٢٠٠٢) ص (٣١٤)	٢١
Stephen Zunes, "The Strategic Functions of US Aid to Israel" www.mepc.org/zunes.htm	٢٢
Auri Avneri, "The Other Israel News Letter of the Struggle for Israeli- Palestinian Peace. May 2006, 125/126 "p. (26)	٢٣
الحياة ٢٠٠٥/٧/٣٠	٢٤
محمد خليل شديد، "المعارضة الأمريكية لمؤتمر سلام، مصدر سبق ذاكره، (١٩)	٢٥
الحياة الجديدة ٢٠٠٣/٣/٢٨، انظر أيضاً: يوسف حداد"الصهيونية" الجزء الأول، ص(٤٥١)	٢٦
كليفورد لونجلي، "الشعب المختار"(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٣)ج ١ ص (٦، ٢٦) . الكاتب المصري شوقي جلال، "جريدة الأيام ١٩٩٩/١/٢" نقلا عن الحياة اللندنية	٢٧
David Fromkin,"Peace To End All Peace 1914-1922"(London: Pnguin Books, 1968)p.()	٢٨
إدوارد سعيد،"" غزة - أريحا سلام أمريكي"(القاهرة: دار المستقبل العربي،١٩٩٥) ص(٦٦)	٢٩
توفيق أبو بكر،" في الذكرى الحادية عشرة لاتفاق أوسلو" الأيام ٢٠٠٤/٩/١٥	٣٠
القدس٢٠٠٤/٧/٢٩	٣١
إدوارد سعيد،"" غزة - أريحا سلام أمزيكي"(القاهرة: دار المستقبل العربي،١٩٩٥) ص(١٣)	٣٢
Jimmy Carter, "Palestine Peace Not Apartheid"(New York: Simmon and Shuster,2006)p.(137, 141).	٣٣
Jimmy Carter, op. cit. p.(150).	٣٤
الحياة الجديدة٢٠٠٠/١٢/٩	٣٥
الحياة الجديدة ٢٠٠٠/١٠/١	٣٦
الرسالة ٢٠٠٦/١٠/٩ يوسف كامل إبراهيم	٣٧
محمد شديد "الولايات المتحدة والفلسطينيين) (القدس: جمعية الدراسات العربية، ١٩٨٥) ص(٢٢٠،١٠	٣٨
د.نصير عاروري، " القضية الفلسطينية في أربعين عاما بين ضراوة الواقع وطموح المستقبل" (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩) ص(٣٠٨-٣٢٠)	٣٩
. عبد الوهاب المسيري، "اليد الخفية" دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية" (القاهرة: دار الشروق،١٩٩٨* ص (٧٩)	٤٠
مجلة كنعان العدد ١٢٧ ، تشرين أول ٢٠٠٦، ص (٧)	٤١
Heryl Rubenburg"Istael and the American National Interest"n.d. n.p. p. (375)	٤٢
(الحياة الجديدة ٢٠٠٦/١١/٢٦ عن لوس أنجلوس تايمز)	٤٣
(الحياة ٢٠٠٦/٥/٢)	٤٤
Frank H. Epp, "Whose Land Is Palestine. The Middle Est Problem in Historical Perspective"(Grand Rapid-Michgan:Wiliam B.Edmans Publishing Company, 1974)p.(245)	٤٥
"Jerusalem the Key to World Order",(London: Islamic Council of Europe, 1980)p.(152)	٤٦
إبراهيم أبراش، "فلسطين في عالم متغير"(رام الله: المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، ٢٠٠٣٤٣) ص(١١٣)	٤٧
Auri Avneri, "The Other Israel News Letter,op.cit.125/126 "p.(26)	٤٨
Jimmy Carter, "Palestine Peace, op. cit. p.(202-203).	٤٩

الملحق رقم (١) وثيقة رسمية من الدولة العثمانية بإعفاء المرحوم الحاج مصباح محمد خليل النمورة من الخدمة العسكرية مقابل دفع مبلغ لخزينة الدولة.



الملحق رقم (٢)

أعداد الإسرائيليين الذي قتلتهم المقاومة الفلسطينية منذ بداية انتفاضة الحجارة يوم ٩-١٢-١٩٨٧ وحتى تاريخ ٢٨ــ٩ـ٢٠٠٠ حسب معلومات جمعية "بتسيلم الإسرائيلية لحقوق الإنسان"

السنة	مدنيون في مناطق محتلة	مدنيون في إسرائيل	مجموع القتلى المدنيين	عسكريون في مناطق محتلة	عسكريون في إسرائيل	مجموع القتلى العسكريين	المجموع العام
١٩٨٧	---	-	-	-	-	-	-
١٩٨٨	٦	٢	٨	٤	-	٤	١٢
١٩٨٩	٣	١٧	٢٠	٦	٥	١١	٣١
١٩٩٠	٤	١٣	١٧	٣	٢	٥	٢٢
١٩٩١	٧	٧	١٤	·١	٤	٥	١٩
١٩٩٢	١١	٨	١٩	١٤	١	١٥	٣٤
١٩٩٣	١٦	٦	٢٢	١٥	٥	٢٠	٤٢
١٩٩٣	١١	٣	١٤	٣	٢	٥	١٩
١٩٩٤	١١	٤٧	٥٨	١٢	٤	١٦	٧٤
١٩٩٥	٧	٩	١٦	٩	٢١	٣٠	٤٦
١٩٩٦	٣	٣٨	٤١	١٩	١٥	٣٤	٧٥
١٩٩٧	٤	٢٥	٢٩	-	-	-	٢٩
١٩٩٨	٨	١	٩	٣	-	٣	١٢
١٩٩٩	١	١	٢	٢	-	٢	٤
٢٠٠٠	٢	--	٢	١	-	١	٣
	٩٤	١٧٧	٢٧١	٩٢	٥٩	١٥١	٤٢٢

ملحوظات:

١) بدأت الانتفاضة بتاريخ ٩-١٢-١٩٨٧.

٢) عام ١٩٩٣ تم توقيع اتفاق أوسلو بتاريخ ١٣-٩-١٩٩٣ ولذلك فصلت إحصاءات القتلى عام ١٩٩٣ إلى فترتين: الأولى من بداية عام ١٩٩٣ وحتى تاريخ ١٣-٩-١٩٩٣، والفترة الثانية بعد توقيع الاتفاق من ١٤-٠٩-١٩٩٣ وحتى ٣١-١٢-١٩٩٣.

٣) اعتبرت الإحصائيات أن انتفاضة عام ١٩٨٧ استمرت حتى بداية انتفاضة الأقصى في ٢٨-٩-٢٠٠٠

٤) الجدول إعداد الباحث اعتماداً على الإحصاءات المذكورة في موقع جمعية بتسيلم الإسرائيلية لحقوق الانسان www.btselem.org

٥) أشارت بتسيلم إلى الملاحظات الأساسية التالية:

أ- البيانات قد تتغير حسب البحث المستمر والذي قد يسفر عن معلومات جديدة عن الأحداث.

ب-الأرقان لا تشمل : الوفيات التي حدثت بسبب تأخر تقديم العلاج نتيجة الحواجز ومنع التجول وتقييد الحركة.

٦) المعلومات المذكورة في موقع جمعية بتسيلم الإسرائيلية لحقوق الانسان www.btselem.org

الملحق رقم (٣)

أعداد الشهداء الفلسطينيين الذين استشهدوا في الضفة الغربية (و من ضمنها القدس) وقطاع غزة على أيدي الجيش الإسرائيلي و مدنيين إسرائيليين أثناء انتفاضة الحجارة من ١٩٨٧/١٢/٩ وحتى بداية انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠/٩/٢٨م

(حسب وجهة نظر إسرائيل)

السنة	شهداء برصاص الجيش الإسرائيلي	منهم أطفال دون ١٧ سنة	شهداء برصاص مدنيين إسرائيليين	منهم أطفال دون ١٧ سنة	المجموع العام
١٩٨٧	٢٢	٥	—	—	٢٢
١٩٨٨	٢٨٩	٤٨	١٥	٢	٣٠٤
١٩٨٩	٢٨٥	٧٤	١٧	٥	٣٠٢
١٩٩٠	١٢٥	٢٣	٩	٢	١٣٤
١٩٩١	٩١	٢٤	٦	٣	٩٧
١٩٩٢	١٣٤	٢٣	٢	—	١٣٦
١٩٩٢	١٢٤	٣٦	٥	١	١٢٩
١١٩٣	٣٠	٤	٨	—	٣٨
١١٩٤	١٠٦	١٦	٣٨	٨	١٤٤
١١٩٥	٤٢	٤	٢	١	٤٤
١١٩٦	٦٩	١٠	٣	١	٧٢
١١٩٧	١٨	٥	٢	—	٢٠
١١٩٨	٢١	٣	٦	—	٢٧
١١٩٩	٨	—	—	—	٨
٢٠٠٠	١٤	٢	—	—	١٤
المجموع	١٣٧٨	٢٨١	١١٣	٢٣	١٤٩١

ملحوظة: المعلومات مأخوذة عن موقع جمعية بتسيليم(Bitselem) الإسرائيلية لحقوق الانسان **www.btselem.org**

ملحق رقم (٤)

أعداد الشهداء الذين استشهدوا على أيدي الجيش الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وفي إسرائيل(عرب إسرائيل) أثناء انتفاضة الأقصى خلال المدة الواقعة بين ٢٨-٩-٢٠٠٠ و ٣٠-٤-٢٠٠٦

السنة	في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧	منهم أطفال دون ١٧ سنة	في إسرائيل (عرب إسرائيل)	المجموع العام
٢٠٠٦	٨٨	٢٣	٢	٩٠
٢٠٠٥	١٩٠	٥٢	—	١٩٠
٢٠٠٤	٨١٢	١٧٨	٧	٨١٩
٢٠٠٣	٥٧٣	١١٩	٩	٥٨٢
٢٠٠٢	٩٨٩	١٥٥	٣٠	١٠١٩
٢٠٠١	٤٥٣	٨٢	٩	٤٦٢
٢٠٠٠	٢٧٢	٨٣	١	٢٧٣
المجموع	٣٣٧٧	٦٩٢	٥٨	٣٤٣٥

ملحوظات:

١) البيانات مأخوذة عن موقع جمعية بتسيلم الإسرائيلية لحقوق الإنسان www.btselgem.or

٢) لا تشمل هذه الإحصائية الشهداء الذين سقطوا على أيدي ميليشيات المستوطنين المتعصبين العنصريين، ولا العمال الذين قتلوا على أيدي مدنيين إسرائيليين والذين هم جنود في الجيش لإسرائيلي.

٣) إحصائية عام ٢٠٠٠ تشمل المدة من بدء انتفاضة الأقصى يوم ٢٨-٩-٢٠٠٠ ولنهاية ذلك العام.

٤) تبدأ إحصائية عام ٢٠٠٦ منذ بدء العام وحتى تاريخ ٣٠-٤-٢٠٠٦ فقط

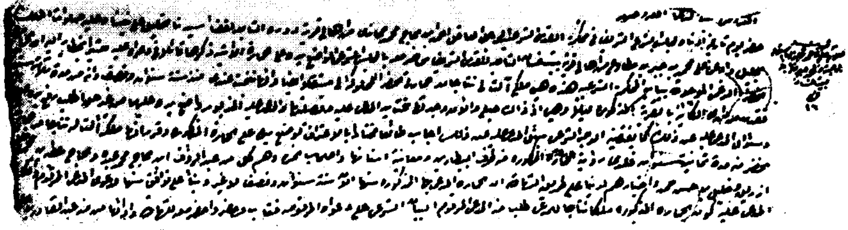
الملحق رقم(٥)

أعداد القتلى والجرحى الإسرائيليين الذين سقطوا على أيدب المقاومة الفلسطينية خلال انتفاضة الأقصى ٢٩-٩-٢٠٠٠- ١٥-١-٢٠٠٦

	المدنيين	قوات الأمن	المجموع
الجرحى	٥٣٣٠	٢٣٠٣	٧٦٣٣
القتلى	٧٦١	٣٢٣	١٠٨٤

المصدر: المعلومات عن موقع الجيش الإسرائيلي على الانترنت استنادا إلى معلومات جمعية بتسيلم الإسرائيلية لحقوق الإنسانwww.btselem.or

الملحق قم (٦) قاضي المحكمة الشرعية في القدس يحقق في سرقة حمارة المرحوم أحمد محمد حجازي (السويطي) ويعيدها إليه.أنظر سجل المحكمة الشرعية في القدس رقم (٣٧٠) رمضان (١٢٩٩-١٣٠١هـ) الموافق(١٨٨١-١٨٨٣م) صفحة (٣) نمرة(٦)



حضر بتاريخه أدناه إلى مجلس الشرع الشريف في محكمة القدس الشرعية الرجل العاقل أحمد بن الحاج محمد حجازي من أهالي قرية دورا التابعة لقضاء سيدنا الخليلعلى نبينا وعليه صلوات الملك الجليل،وادعى على محمد بن جبرين مطاوع من أهالي بين عنان التابعة للقدس الشريف. وحضر معه بالمجلس الشرعي الواضع يده على الحمارة الآتي ذكرها، قائلا في دعواه عليه، مشيرا بخطابه إليه، أنّ الحمارة الخضرا الدغمى الموجودة بباب المحكمة هذه هي ملكي ، آلت إليّ نتاجا من حمارتي الخضرا المملوكة لي مستقلاً أيضا. وأنها نتجت عندي منذ ست سنوات ونصف، وأنه منذ مدة ثلاث سنين فقدت من داري الكائنة بالقرية المذكورة ليلا، وهي إذ ذاك جبلى، والآن وجدتها تحت يد المدعى عليه والمدعى عليه المذكور واضع يده عليها من غير حق. أطلب رفع يده عنها وسؤال المدعي عليه عن ذلك كما يقتضي الوجه الشرعي. سئل المدعى عليه عن ذلك ، فأجاب طائعاً مختاراً بالاعتراف بوضع يده على الحمارة المذكورة، وقرر أنها ملكه، آلت له نتاجاً من من حمارته الخضرا منذ ثمانية سنوات. فلدى رؤية الحمارة المذكورة من طرف البيطاريين، ومعاينة أسنانها، وأصحاب الخبرة وهم كل من عبد الرؤوف ابن الحاج محمد عبده، والحاج عطية بن محمد خليل ازريق وخليل بن حسن حمد وإخبارهم إلينا عن طريف الشهادة أنّ الحماوة المدعى بها المذكورة سنها الآن ست نوات ونصف لا غير. وبناء على ذلك توافق سنها لدعوى الكدعي المرقوم، وإنكار المدعي عليه كون الحمارة المذكورة نتاجاً للمدعي ، طلب من المدعي المرقوم البيان الشرعي على دعواه المرقومة، فغاب وحضر وأحضر معه للشهادة وأدائها من عبد القادر بن علي ، وعبد القادر بن محمد الرشيد ، وكلاهما من أهالي القرية المذكورة، فشهد كل منهما بمفرده أشهد لله تعالى أن الحمارة الدغمى الخضرة الموجودة بباب المحكمة هي ملك المدعي المرقوم أحمد ابن الحاج محمد حجازي، نتجت من حمارته الخضرة المملوكة له مستلا أيضاً منذ ست سنوات ونصف ،وقد فقدت منذ مدة ثلاث سنين، وهي حبلى ، وهما شاهدان وشهيدان بذلك الشهادة الشرعية. فحيث صات شهادتهما موافقة لدعوى المدعي غب تزكيتهما سراً بارسال الورقة المستورة كلا من سليمان بن أحمد سالم وعلي بن محمد غبالة، وكلاهما من القرية المذكورة، وعلنا بالمواجهة من محمد بن إبراهيم سالم وعبد الحميد بن محمد القعقومي تزكية شرعية، وعندها غب قبول شهادتهما حلف المدعي المرقوم يمين الاستظهار المتوجب عليه شرعاً ن حكم بالمواجة أيضاً من قبل الشرع ثبوتياً كون الحمارة المرقومة ملك نتاج للمدعي ، كما ذكر. فصار التنبيه على المدعى عليه بتسلينها هي وفصيلتها للمدعي المرقوم حكماً وثبوتا شرعياً تحريرا في اليوم التاسع من شهر شوال تسعة وتسعين وماية وألف.

الملحق رقم (٧) قرارات مجلس الأمن الدولي المتعلقة بإسرائيل التي أجهضتها أمريكا عن طريق الفيتو.(1972-2006)

- بتاريخ 1972/9/10 طلب مجلس الأمن من إسرائيل وسوريا ولبنان وقف القتال، أيّدت القرار(١٣) دولة ، وأجهضته أمريكا، (مسودة قرار رقم (10784)

- بتاريخ 1973/7/24 أعرب المجلس عن أسفه الشديد بسبب استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية المحتلة، وطالب بعدم إجراء تغييرات فيها، وافقت على القرار 13 دولة وأجهضته أمريكا (قرار رقم 10974)

- بتاريخ 1975/12/8 أعرب المجلس عن اسفه الشديد بسبب تحدي إسرائيل لقراراته ، وعداءات إسرائيل على لبنان وطالب بوقفها. (13) دولة أيّدت القرار وأمريكا أجهضته (قرار رقم 11898)

- بتاريخ26/1/1976، أكد المجلس الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني في تقرير المصير، والدولة، وعودة اللاجئين ، وانسحاب إسرائيل من الأراضي التي تحتلها منذ عام 1967. أيدت القرار (٩) دول وأمريكا أجهضته أمريكا. (قرار رقم 11940)

- بتاريخ25/3/1976، أعرب المجلس عن أسفه لرفض إسرائيل وقف أعمالها الرامية إلى تغيير وضع القدس ، وطالبها بوقف ممارستها والاستيطان ومصادرة الأراضي. كما قرر إنشاء لجنة من أعضاء المجلس لتفحص الوضع وتقدم تقريراً للمجلس بموجب المادة 29 من الميثاق. أيّدت القرار دول أيّدت القرار (٩) دول، وأجهضته أمريكا ، وامتنعت بريطانيا وفرنسا عن التصويت.(رقم القرار12022)

- بتاريخ29/6/1976، أكد المجلس الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني. أيّد القرار(١٠) وأجهضته أمريكا. (رقم القرار12119)

- بتاريخ 30/4/1980 أكد المجلس الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني : حق تقرير المصير ، الدولة ، عودة اللاجئين، انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة عام 1967 . أيّد القرار(١٠) دول وأجهضته أمريكا. (قرار رقم 13911)

- بتاريخ19/1/1982 شجب المجلسCondemned) إسرائيل بسبب عدم تنفيذها لقراره رقم (497/ 1981) بشأن ضم الجولان. وقرّر أن ضم إسرائيل للجولان يمثل عدواناً بموجب المادة (39) من ميثاق الأمم المتحدة، وطالب جميع الدول بتنفيذ قرار مجلس الأمن هذا . كما قرر إنشاء لجنة من مجلس الأمن لتفحص الوضع وتقدم تقريراً للمجلس ، حسب المادة (29) من الميثاق . (٩) دول أيّدت القرار وأجهضته أمريكا، وامتنعت فرنسا وبريطانيا واليابان عن التصويت. (قرار رقم 14832)

- بتاريخ2/4/1982 ، شجب المجلس (denounced) طرد إسرائيل رؤساء البلديات المنتخبين الفلسطينيين، وانتهاكها لحقوق الإنسان الفلسطيني. (13) دولة أيّدت القرار وأجهضته أمريكا. (قرار رقم14943)

- بتاريخ20/4/1982، أدان المجلس (condemned) بأشد الألفاظ الهجوم على الحرم الشريف في القدس ، وإطلاق الجنود الإسرائيليين النار على المصلين المسلمين داخل

الحرم، وطلب من إسرائيل مراعاة اتفاقية جنيف. (13) دولة أيّدت القرار وأجهضته أمريكا. (قرار رقم 14985)

- بتاريخ8/6/1982 ، أدان المجلس(condemned) عدم امتثال إسرائيل لقراراته التالية بشأن لبنان 508(1982) 509(1982) وطلب أن توقف إسرائيل اعتداءاتها على لبنان خلال ست ساعات. (14) دولة أيّدت القرار ، وأجهضته أمريكا. (قرار رقم 15185)

- بتاريخ25/6/1982 طلب المجلس (demanded) من جميع الأطراف وقف القتال في لبنان، وانسحاب القوات المسلحة الفلسطينية والإسرائيلية من بيروت. (14) دولة أيّدت القرار وأجهضته أمريكا. (قرار رقم 15255)

- بتاريخ6/8/1982 أدان المجلس إسرائيل بشدّة (strongly condemned) بسبب عدم تنفيذها لقراراته رقم 516(1982) ، 517(1982) التي دعت إلى وقف إطلاق النار في لبنان، وطلب من إسرائيل أن تنفذّها. (13) دولة أيّدت القرار، وأجهضته أمريكا. (قرار رقم15347)

- بتاريخ1/9/1983، قرّر المجلس بأن المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة غير قانونيّة، وأعرب عن أسفه (deplored) لاستمرارها، وطلب من الدول عدم تقديم مساعدة لإسرائيل تستعملها في المستوطنات. (13) دولة أيّدت القرار، وأمريكا أجهضته. (قرار رقم15895)

- بتاريخ28/2/1984، أصدر المجلس نداء عاجلاً لوقف إطلاق النار في كافة أنحاء لبنان، وعدم التدخل في شؤونه الداخلية. (13) دولة أيّدت القرار، وأمريكا أجهضته. (قرار رقم 16351)

- بتاريخ6/9/1984 ، طلب المجلس من إسرائيل احترام حقوق المدنيين، ورفع التقييدات التي تفرضها على المناطق التي تحتلها في لبنان. (14) دولة أيّدت القرار، وأجهضته أمريكا . (قرار رقم 16732)

- بتاريخ1985/3/12، كرّر المجلس طلبه المذكور في القرار السابق. (١١) دولة أيّدت القرار، وأمريكا أجهضته. (قرار رقم17000)

- بتاريخ 1985/9/13 ، أعرب المجلس عن أسفه (deplored)بسبب إجراءات إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة وطلب منها التوقف عنها. (10) دول أيّدت القرار، وأمريكا أجهضته . (قرار رقم 17459)

- بتاريخ 1986/1/17 ، أعرب المجلس عن أسفه deplore بسبب أعمال العنف التي تقوم بها إسرائيل في جنوب لبنان، خلافاً للقانون الدولي، وطلب منها التوقف عن تلك الأعمال. (١١) دولة أيّدت القرار ، وأمريكا أجهضته .(قرار رقم 17730)

- بتاريخ 1986/1/30، أعرب المجلس عن أسفه للأعمال الاستفزازية التي تقوم بها إسرائيل في الحرم الشريف في القدس، وطالبها بالتوقف عن أعمالها غير القانونية التي تهدف إلى تغيير وضع الأراضي العربية المحتلة. (13) دولة أيّدت القرار ، وأمريكا أجهضته (قرار رقم 17769)

- بتاريخ1986/2/6 ، أدان المجلس (condemned) إسرائيل بسبب اعتراضها بعنف لطائرة مدنية ، واعتقالها لطاقمها. (10) دول أيّدت القرار، وأمريكا أجهضته. (قرار رقم 17796)

- بتاريخ 1988/1/15 ، أعرب المجلس عن أسفه لهجوم إسرائيل على لبنان، وطلب منها تنفيذ قراراته بشأن لبنان، (13) دولة أيّدت القرار ، وأمريكا أجهضته. (قرار رقم 19434)

- بتاريخ 1988/1/29، طلب المجلس من إسرائيل أن تتوقف عن انتهاك حقوق الفلسطينيين في الأراضي المحتلة. (14) دولة أيّدت القرار ، وأمريكا أجهضته. (قرار رقم 19466)

- بتاريخ 1988/4/14 ، حثّ المجلس إسرائيل على إلغاء أوامر إبعاد الفلسطينيين، وأدان (condemned) انتهاكاتها لحقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة (14) دولة أيّدت القرار، وأمريكا أجهضته. (قرار رقم 19780)

- بتاريخ ٦/5/ 1988 أدان المجلس إسرائيل (condemned) بسبب غزوها جنوب لبنان (14) دولة أيّدت القرار، وأمريكا أجهضته. (قرار رقم 19868)

- بتاريخ 1988/12/14 ، أعرب المجلس عن أسفه لهجوم إسرائيل برّاً وبحراً على لبنان، واستمرار رفض إسرائيل تنفيذ قراراته. (14) دولة أيّدت القرار ، وأمريكا أجهضته(قرار رقم 20332)

- بتاريخ 1989/2/17 ، أعرب المجلس عن أسفه الشديد لانتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان الفلسطيني وإطلاقها النار عليهم، واستمرار إسرائيل في عدم تطبيق قراراته . (14) دولة أيّدت القرار ، وأمريكا أجهضته. (قرار رقم 20463)

- بتاريخ /9/ 6 / 1989 أعرب المجلس عن أسفه الشديد لانتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان، وطلب منها التوقف عن إبعاد الفلسطينيين. (14) دولة أيّدت القرار ، وأمريكا أجهضته.(قرار رقم ٢٩٧٦٦)

- بتاريخ1989/11/6 ، أعرب المجلس عن أسفه الشديد لانتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان، وحصارها لمدينة بيت ساحور ومصادرتها لمحتويات بيوتها، وطلب من إسرائيل التوقف عن ممارساتها غير القانونية. (14) دولة أيّدت القرار ، وأمريكا أجهضته. (قرار رقم ٢٠٩٤٥)

- بتاريخ 1990/5/30 ، قرر المجلس تشكيل لجنة من أعضائه لفحص الأوضاع في القدس وبقية الأراضي الفلسطينية المحتلة المتعلق بسياسات وممارسات إسرائيل هناك، وىن تقدّم اللجنة تقريراً بشأن طرق ووسائل تأمين الحماية للفلسطينيين. (14) دولة أيّدت القرار، وأمريكا أجهضته. (قرار رقم ٢١٣٢١٦)

- بتاريخ 1995/5/17 ، طالب المجلس إسرائيل بإلغاء مصادرة أراضي الفلسطينيين، (14) دولة أيّدت القرار، وأمريكا أجهضته. (قرار رقم 1995 / 394)

- بتاريخ 1997/3/7 ، طلب المجلس من إسرائيل الامتناع عن مصادرة الأراضي ، والأعمال التي تهدف إلى تغيير وضع القدس.(14) دولة أيّدت القرار، وأمريكا أجهضته. (قرار رقم 1997 / 199)

- بتاريخ 1997/3/21 ، طلب المجلس من إسرائيل التوقف عن إقامة مستوطنة جبل أبو غنيم قرب القدس. (13) دولة أيّدت القرار، وأمريكا أجهضته . (قرار رقم 1997 / 241)
-بتاريخ ٢٠٠١/٠٣/٢٦ أبدى مجلس الأمن قلقه من توسيع الاستيطان وخاصة في جبل "أبو اغنيم"، ودعا إلى فك الحصار عن الشعب الفلسطيني، وتزويده بعائدات الضرائب التي تحتجزها إسرائيل، كما أعرب عن دعمه فكرة إرسال لجنة تقصي الحقائق التي تقرر أقامتها في شرم الشيخ. أمريكا أجهضت القرار رقم (S/٢٠٠١/٢٧٠).

-بتاريخ ٢٠٠١/١٢/١٤ طلب مجلس الأمن وقف أعمال العنف، وإدانة أعمال الإرهاب، وخاصة استهداف المدنيين، وعمليات الإعدام خارج نطاق القانون ودعا إلى إرسال مراقبين دوليين للأراضي الفلسطينية المحتلة. أمريكا أجهضت القرار رقم (S/٢٠٠١/١١٩٤)
-بتاريخ ٢٠٠٢/١٢/١٩ أدان مجلس الأمن إسرائيل لقيامها بقتل عدد من موظفي الأمم المتحدة، ومن ضمنهم موظف أمم متحدة في جنين، كما أدان هدم مباني الأمم المتحدة في بيت لاهيا. أمريكا أجهضت القرار رقم (S/٢٠٠٢/١٣٨٥).
-بتاريخ ٢٠٠٣/٩/١٦ طلب مجلس الأمن وقف أعمال العنف ضد المدنيين وأن تتوقف إسرائيل عن عمليات إبعاد الفلسطينيين، وعن تهديد حياة الرئيس ياسر عرفات، وتنفيذ خارطة الطريق. أمريكا أجهضت القرار رقم (S/٢٠٠٣/٨٩١).
-بتاريخ ٢٠٠٣/١٠/١٤ قرر مجلس الأمن أن إقامة سور العزل على الأرض الفلسطينية غير قانوني وطالب إسرائيل بالتقيد باتفاقية جنيف، والتوقف عن مصادرة الأراضي. أمريكا أجهضت القرار رقم (S/٢٠٠٣/٩٨٠).
-بتاريخ ٢٠٠٤/٣/٢٤ أدان مجلس الأمن الدولي إسرائيل بسبب إعدامها بشكل غير قانوني للشيخ أحمد ياسين وستة فلسطينيين آخرين على باب مسجد في غزة، وأدان الأعمال الإرهابية ضد المدنيين، ودعا إلى وقف أعمال إسرائيل غير القانونية. أمريكا أجهضت القرار رقم (S/٢٠٠٤/٢٤٠).
-بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٥ أدان مجلس الأمن الاعتداءات الإسرائيلية على قطاع غزة التي تسببت بوقوع خسارة في الأرواح، ودعا إلى وقف القتال، وأن تحترم إسرائيل التزاماتها القانونية.أمريكا أجهضت القرار رقم (S/٢٠٠٤/٧٨٣).
-بتاريخ ٢٠٠٦/٧/١٢ أدان مجلس الأمن الاعتداءات الإسرائيلية على قطاع غزة التي تسببت في مقتل وجرح عشرات المدنيين الفلسطينيين، وتدمير الممتلكات والبنية التحتية للفلسطينيين. ودعا إلى إطلاق سراح الأسير الإسرائيلي، وأعضاء المجلس التشريعي والوزراء الفلسطينيين المعتقلين بشكل غير قانوني، وطلب أن توقف إسرائيل عملياتها العسكرية، والقوة غير المتوازنة ضد المدنيين، وأن تسحب قواتها إلى مواقعها الأصلية.أمريكا أجهضت القرار.(S/٢٠٠٦/٥٠٨)
- بتاريخ ٢٠٠٦/١١/١١ وفي أعقاب قيام إسرائيل بقتل ١٨ مدنيا فلسطينيا في بلدة بيت حانون في قطاع غزة، وافقت عشر دول على مشروع قرار لمجلس الأمن أدان العمليات الإسرائيلية في غزة وإطلاق الصواريخ الفلسطينية على إسرائيل ودعا إلى انسحاب القوات الإسرائيلية فورا من قطاع غزة وتوقف جميع الأطراف عن العنف، وامتنعت أربع دول عن التصويت، لكن أمريكا أجهضت القرار.

ملحق رقم(٨)

بعض قرارات مجلس الأمن الدولي التي أدانت اعتداءات إسرائيل ومخالفاتها لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها والقانون الدولي وتصويت الدول العظمى عليها ١٩٤٨-٢٠٠٦م

ملحوظة:

١- فيما يلي قائمة بأهم قرارات مجلس الأمن الدولي التي أدانت اعتداءات إسرائيل ومخالفاتها لميثاق الأمم المتحدة، وقراراته والقانون الدولي ١٩٤٨-٢٠٠٠. وقد قام المؤلف بترجمة أهم نقاط كل قرار من النص الإنجليزي.

٢- تم تسجيل أسماء الدول التي امتنعت عن التصويت على القرار في نهاية القرار.

-بتاريخ ١٩٤٨/٩/١٤ عبر المجلس عن صدمته العميقة إزاء عملية اغتيال الوسيط الدولي الكونت برنادوت التي نفذتها عصابة " شترن" اليهودية المتطرفة في القسم الذي يخضع للاحتلال الإسرائيلي من القدس . (١٩٤٨/٥٧)

-بتاريخ١٩٤٨/١٠/١٩ أبدى المجلس قلقه بسبب عدم قيام إسرائيل بتقديم تقرير له عن حادث اغتيال برنادوت رغم أنه سبق أن تقدم بطلب لها بهذا الشأن . (١٩٤٨/٥٩)

-بتاريخ ١٩٥١/٥/١٨عندما أبعدت إسرائيل المدنيين العرب من المناطق منزوعة السلاح ولم تسمح بعودتهم طلب منها المجلس أن تمتثل إلى طلب رئيس الهدنة وتعيدهم ، إلا أنها رفضت. (١٩٥١/٩٣) .

-بتاريخ ١٩٥٣/١٠/٢٧ طلب المجلس من إسرائيل أن تتوقف عن العمل في تجفيف بحيرة الحولة في المنطقة المنزوعة السلاح ، إلا أنها رفضت . (١٩٥٣/١٠٠)

-بتاريخ ١٩٥٣/١١/٢٤ أدان المجلس بشده اعتداء إسرائيل على قرية قبية الذي ذهب ضحيته أرواح و خسائر ووصف الاعتداء بأنه يخالف اتفاقات الهدنة وميثاق الأمم المتحدة . (١٩٥٣/١٠١)

-بتاريخ ١٩٥٥/٣/٢٩ أدان المجلس اعتداء إسرائيل على غزة ، وطلبت منها وقف الاعتداءات . (١٩٥٥/١٠٦)

-بتاريخ ١٩٥٦/١/١٩ أدان المجلس اعتداءات إسرائيل على الأراضي السورية ووصف الاعتداءات بأنها انتهاك صارخ لاتفاق وقف لإطلاق النار ولقراره رقم ١٩٤٨/٥٤ وميثاق الأمم المتحدة . وذكّر المجلس إسرائيل بأنّه سبق أن طلب منها وضع حدٌ للاعتداءات كما و طلب منها أن تمتثل لالتزاماتها وفي حالة عدم قيامها بذلك حذرها من اتخاذ إجراءات أشد . (١٩٥٦/١١١)

-بتاريخ ١٩٦١/٤/١١ حثّ المجلس إسرائيل على التقيد بقرار لجنه الهدنة بشأن القدس . (١٩٦١/١٦٢)

-بتاريخ ١٩٦٢/٤/٩ ، طلب المجلس من إسرائيل أن تمتنع بدقة عن الأعمال العسكرية التي تنتهك اتفاقات الهدنة في منطقة بحيرة طبريا . (١٩٦٢/١٧١).

-بتاريخ ١٩٦٦/١١/٢٥ ، أدان المجلس إسرائيل بسبب عدوانها المدبر والواسع النطاق على قرية السموع بالضفة الغربية ، والخسارة الجسيمة التي تسببت بها في الأرواح و الممتلكات. وأكد المجلس لإسرائيل انه لا يمكن احتمال أعمال الرد والانتقام ، وانه في حالة تكرارها لمثل تلك الأعمال فإن المجلس سينظر في اتخاذ إجراءات أخرى ، اكثر فعالية ، حسب ميثاق الأمم المتحدة ليضمن عدم تكرارها . (١٩٦٦/٢٢٨).

- بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٤ طلب المجلس من إسرائيل العودة إلى خطوط وقف إطلاق النار(١٩٦٧/٢٣٦).

بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٤ طلب المجلس من إسرائيل أن تحترم حقوق الإنسان في المناطق التي تأثرت بالنزاع . (١٩٦٧/٢٣٧) .
بتاريخ ١٩٦٨/٣/٢٤ ، أدان المجلس الاعتداء الواسع النطاق الذي شنته إسرائيل على قرية الكرامة الأردنية ، الذي شكل انتهاكاً صارخاً للميثاق ، وقرارات وقف إطلاق النار. كما شجب المجلس الخسارة الفادحة في الأرواح والممتلكات التي نجمت عن الاعتداء . وأكد المجلس أن مثل هذه الاعتداءات وأعمال الرد و الانتقام لا يمكن احتمالها ، وانه في حال تكرارها فأن المجلس سينظر في اتخاذ إجراءات أكثر فاعلية ، بموجب الميثاق ، لضمان عدم تكرارها . وطلب من إسرائيل أن تمتنع عن الأعمال التي تخالف قراراته رقم ٢٧٣ لعام ١٩٦٧.(١٩٦٨/٢٢٨)
بتاريخ ١٩٦٨/٤/٢٧ طالب المجلس إسرائيل بعدم إجراء العرض العسكري في القدس، الذي من شأنه أن يزيد من التوتر وله آثار جانبية على السلام.ولكن إسرائيل تجاهلت قرار المجلس وأجرت العرض .
بتاريخ١٩٦٨/٥/٢ ، أدان المجلس إسرائيل لإجرائها العرض العسكري ، بدون أي اعتبار لقرار مجلس الأمن الإجماعي .(قرار رقم ١٩٦٨/٢٥٠ ورقم ١٩٦٨/٢٥١).
بتاريخ ١٩٦٨/٥/٢١ أدان المجلس إسرائيل لرفضها الامتثال لقرارت الجمعية العامة للأمم المتحدة التالية أرقامها : بتاريخ ١٩٦٧/٧/٤، ورقم بتاريخ ١٩٦٧/٧/١٤. واعتبر المجلس أن إجراءات إسرائيل ومنها مصادرة الممتلكات التي تهدف إلى تغيير وضع تلك الإجراءات .(١٩٦٨/٢٥٢)
بتاريخ ١٩٦٨/٨/١٦ شنّت إسرائيل غارات شديدة وواسعة النطاق على مدينة السّلط الأردنية بتاريخ رقم ٢٤٨ ، فأدان المجلس الخسارة الجسيمة في الحياة والممتلكات ، وأضاف أنه يعتبر أنّ الغارات المتكررة والمدبرة سلفاً تعّرض السلام للخطر ، وشجب المجلس الغارات التي شنتها إسرائيل خلافاً لقرارات الأمم المتحدة، وحذّر أنه في حالة تكرارها فإن المجلس سوف يأخذ بعين الاعتبار رفض إسرائيل الامتثال لقرار (١٩٦٨/٢٥٦).
بتاريخ ١٩٦٨/٩/٢٧ شجب المجلس رفض إسرائيل السماح بعودة النازحين الفلسطينيين في أعقاب حرب عام ١٩٦٧، وطلب من إسرائيل أن توافق على استقبال ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة .(١٩٦٨/٢٥٩) امتنعت أمريكا وكندا والدنمارك.
بتاريخ ١٩٦٨/١٢/٣١ ، شنّت إسرائيل هجوماً مدبراً وواسع النطاق على مطار بيروت المدني فأدان المجلس إسرائيل بسبب هجومها المدبّر خلافاً لالتزاماتها بموجب الميثاق ، وقرارات وقف إطلاق النار ،وحذّر في حالة تكرارها لمثل هذه الاعتداءات فأنه سوف ينظر في اتخاذ إجراءات أخرى حتى يعطي تأثيراً لقراراته ، وقرّر أن لبنان يستحق تعويضات عن الأضرار التي لحقت به. (١٩٦٨/٢٦٢)
بتاريخ ١٩٦٩/٤/١ أدان المجلس اعتداءات إسرائيل المتكررة على الأردن.(١٩٦٨/٢٦٥)
امتنعت أمريكا وبريطانيا وكولومبيا وباراغواي.
بتاريخ١٩٦٩/٧/٣ طالب المجلس مرة أخرى إسرائيل بإلغاء جميع الإجراءات التي استمرت في القيام بها من أجل تغيير وضع القدس . (١٩٦٩/٢٦٧) .
بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢٦ أدان المجلس العدوان الإسرائيلي الجوي المدبر على جنوب لبنان خلافاً لقرارات الأمم المتحدة والميثاق ، وأبدى حزنه على الخسارة الفادحة في الأرواح و الممتلكات. و بحث في الحوادث العنيفة التي تنتهك قرارات وقف إطلاق النار وحذّر أنه في حالة تكرارها فسوف يتخذ إجراءات أكثر فاعلية بموجب الميثاق لضمان عدم تكرار مثل هذه الأعمال.(١٩٦٩/٢٧٠).

-بتاريخ١٥/١٩٦٩/٩ في أعقاب قيام متطرف يهودي بإحراق المسجد الأقصى المبارك ،أدان المجلس إسرائيل لعدم امتثالها لقراراته رقم ٢٥٢(١٩٦٨)، ورقم ٢٦٧ (١٩٦٩).
-بتاريخ ١٩٦٩/٩/١٥ أدان المجلس إسرائيل لعدم لقراراته رقم ٢٥٢ (١٩٦٨) ، ٢٦٧ (١٩٦٩) وطالب المجلس إسرائيل أن تراعي بدقة نصوص اتفاقية جنيف والقانون الدولي الذي يحكم الاحتلال . كما اعتبر المجلس أن عملية حرق وتدنيس الأماكن المقدسة تهدد السلام والأمن الدوليين كما أنها تؤكدّ الحاجة إلى أن تمتنع إسرائيل عن انتهاكات القرارات السابقة و أن تلغي الإجراءات التي قامت بها من أجل تغيير وضع القدس .(١٩٦٩/٢٧١)
" أمريكا امتنعت عن التصويت" "
-بتاريخ ١٩٧٠/٥/١٢ اعتدت إسرائيل على لبنان ، فطالبها المجلس بالانسحاب من أراضي اللبنانيين . (١٩٧٠/٢٧٩).
-بتاريخ ١٩٧٠/٥/١٩ أدان المجلس هجوم إسرائيل المدبر والواسع النطاق على لبنان انتهاكا لالتزاماتها بموجب الميثاق.(١٩٧٠/٢٨٠) امتنعت أمريكا وكولومبيا وسيراليون ونيكاراغوا عن التصويت
-بتاريخ ١٩٧٠/٩/٥ اعتدت إسرائيل على لبنان ، فطلب منها المجلس أن تنسحب فوراً من الأراضي اللبنانية .(١٩٧٠/٢٨٥).
-بتاريخ١٩٧١/٩/٢٥ أدان المجلس إسرائيل لعدم التزامها لقراراته رقم (١٩٦٨/٢٥٢) و رقم (١٩٦٩/٢٦٧) بشأن القدس أكد أن جميع قرارات إسرائيل الرامية تغيير وضع القدس باطلة و طلب من إسرائيل إلغاءها . (١٩٧١/٢٩٨) .
-بتاريخ ١٩٧٢/٢/٢٨ في أعقاب اعتداء إسرائيل على لبنان طلب المجلس منها الامتناع عن القيام بأي عمل عسكري ضد لبنان .(١٩٧٢/٣١٣) .
-بتاريخ ١٩٧٢/٧/٢١ أدان المجلس اعتداءات إسرائيل المتكررة على لبنان وطلب منها إطلاق سراح الجنود اللبنانيين والسوريين المختطفين وأعلن بأنها إذا لم تطلق سراحهم ولم تمتثل لقرارات المجلس ، فإن المجلس سيجتمع لاتخاذ قرارات اشد . (١٩٧٢/٣١٦)
-بتاريخ ١٩٧٢/٧/٢١ أدان المجلس رفض إسرائيل إطلاق سراح الجنود السوريين واللبنانيين وطلب منها إطلاق سراحهم دون تأخير ..(١٩٧٢/٣١٧)
" أمريكا امتنعت عن التصويت "
-بتاريخ ١٩٧٣/٤/٢١ أدان المجلس بشدة اعتداء إسرائيل على مطار بيروت المدني الذي تسبب في مقتل العديد من المدنيين ، كما أدان اعتداءات إسرائيل المتكررة على لبنان ، أدان عدم امتثال إسرائيل لقرارات المجلس ، وطلب منها التوقف عن اعتداءاتها على لبنان.. (١٩٧٣/٣٣٢). " أمريكا امتنعت عن التصويت "
-بتاريخ ١٩٧٣/٨/١٥ أدان المجلس إسرائيل لانتهاكها سيادة لبنان ، واختطافها طائرة مدنية عراقية ، وطلب من إسرائيل التوقف عن أعمال الخطف ، (١٩٧٣/٣٣٧) .
-بتاريخ ١٩٧٤/٤/٢٤ قامت إسرائيل باعتداء جديد على لبنان ، فأدان المجلس الاعتداء الذي تسبب في خسائر فادحة في الأرواح ، وكرر طلبه بأن تطلق إسرائيل سراح المختطفين اللبنانيين . (١٩٧٤/٣٤٧) .
-بتاريخ ١٩٧٦/٥/٢٦ أدان غالبية أعضاء مجلس الأمن قيام إسرائيل بتغيير الأوضاع في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧م وإقامة المستوطنات فيها ، وقرر أن اتفاقية جنيف-التي تمنع مثل هده الأعمال – تنطبق على الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م. (١٩٢٢)
-بتاريخ ١٩٧٦/١١/١١ أدان غالبية أعضاء المجلس عدم قيام إسرائيل بإبداء أي احترام لقرارات المجلس رقم : (١٩٦٧/٢٣٧) ، (١٩٦٨/٢٥٢) ، (١٩٧١/٢٩٨) ، واعتبر المجلس أن اتفاقية جنيف تنطبق على الأراضي التي تحتلها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧م ،

وأدان إجراءات إسرائيل التي تهدف إلى تغيير وضع الأراضي المحتلة عام (١٩٦٧م) ، (١٩٦٩) .
-بتاريخ ١٩٧٨/٣/١٩ بعد اعتداءات إسرائيلية جديدة على لبنان طلب المجلس من إسرائيل التوقف عن اعتداءاتها على لبنان وسحب قواتها منه فوراً ، (١٩٧٨/٤٢٥) .
-بتاريخ ١٩٧٨/٥/٣ أدان المجلس اعتداء إسرائيل على قوات الأمم المتحدة في لبنان وطلب منها إنهاء انسحابها من لبنان دون تأخير ، (١٩٧٨/٤٢٧).
-بتاريخ ١٩٧٨/٩/١٨ أعرب المجلس عن عميق حزنه على الخسارة في أرواح قوات الأمم المتحدة في لبنان بسبب الاعتداء الإسرائيلي وطالب إسرائيل أن تتعاون بشكل كامل وفوري مع الأمم المتحدة لتطبيق قرارات مجلس الأمن ، (١٩٧٨/٤٣٤).
-بتاريخ ١٩٧٨/١١/٣٠ طالب المجلس إسرائيل بالتوقف عن التدخل في شؤون قوات الأمم المتحدة في لبنان .(٢١٠٦)
-بتاريخ ١٩٧٩/١/١٩ اعتدت إسرائيل على قوات الطوارئ الدولية فأدان المجلس عدم تعاون إسرائيل مع تلك القوات وذكر أنه في حالة استمرار إسرائيل في عرقلة أعمال قوات الأمم المتحدة فسيتخذ المجلس الإجراءات التي ينص عليها الميثاق لضمان تنفيذ إسرائيل الكامل لقرار المجلس رقم (١٩٧٨/٤٥٢) ، (١٩٧٩/٤٤٤) .
امتنعت روسيا وتشيكوسلوفاكيا عن التصويت
بتاريخ ١٩٧٩/٣/٢٢أدان المجلس عدم تنفيذ إسرائيل لقراراته : (١٩٦٧/٢٣٧) ، (١٩٦٨/٢٥٢) ، (١٩٧١/٢٩٨) ، وقرّر المجلس أن المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة لا أساس قانونياً لها . أكد انطباق معاهدة جينيف عليها، وطالب إسرائيل بالتوقف عن إقامة المستوطنات وإلغاء المستوطنات السابقة ، (١٩٧٩/٤٤٦) .
-بتاريخ ١٩٧٩/٦/١٤ أدان المجلس أعمال إسرائيل ضد لبنان التي تسببت في إزهاق أرواح بريئة وتشريد المدنيين اللبنانيين و الفلسطينيين وطالب المجلس إسرائيل بالتوقف عن حملاتها ضد لبنان،(١٩٧٩/٤٥٠) .
-بتاريخ ١٩٧٩/١٢/٢٠ أدان المجلس إسرائيل لعدم تعاونها مع اللجنة التي أقامها المجلس بموجب قرارة رقم: (١٩٧٩/٤٤٦) ، لفحص الوضع الخاص بالمستوطنات واعتبر أن سياسة المستوطنات لا أساس قانونياً لها وطالب إسرائيل بالتوقف عنها . (١٩٧٩/٤٥١).
"أمريكا امتنعت عن التصويت"
-بتاريخ ١٩٧٩/١٢/١٩ لاحظ المجلس بقلق استمرار انتهاكات إسرائيل لوقف إطلاق النار، والاعتداءات على قوات الأمم المتحدة والصعوبات التي وضعتها إسرائيل أمام تنفيذ قرارات المجلس ، كما أبدى المجلس قلقة من التهديدات التي تتسبب بها إسرائيل لأمن وحرية حركة قوات الأمم المتحدة ، (١٩٧٩/٤٥٩) .
-بتاريخ ١٩٨٠/٣/١ أدان المجلس بشدة رفض إسرائيل التعاون مع اللجنة التي شكلها المجلس بشأن المستوطنات وأبدى أسفه بسبب رفض إسرائيل الرسمي لقرارات المجلس : (١٩٧٩/٤٤٦) و (١٩٧٩/٤٥٢) ، وأدان المجلس قرار إسرائيل الرسمي بدعم المستوطنات وحرمان إسرائيل لرئيس بلدية الخليل فهد القواسمي لأداء شهادة أمام المجلس ، كما أكد المجلس على انطباق اتفاقية جينيف على الأراضي المحتلة و أن المستوطنات لا أساس لها ، وتشكل انتهاكاً صارخاً لاتفاقية جينيف ، ودعا الدول أن لا تقدم أية مساعدة تستخدم للمستوطنات ، (١٩٨٠/٤٦٥) .
-بتاريخ ٩٨٠/٤/٢٤ أدان المجلس القصف المتعمد بالقذائف لمقر قوات الأمم المتحدة والمستشفى الخاص بها من قبل إسرائيل وأعاد التأكيد على تصميمه على قراراته : (٤٢٧،٤٣٤ لعام ١٩٧٨ و٤٤٤ ، ٤٥٠ ، ٤٥٩ لعام ١٩٧٩) الخاصة بلبنان أدان أعمال إسرائيل المخالفة لقراراته . (١٩٨٠/٤٦٧) . امتنعت أمريكا وروسيا وألمانيا عن التصويت

-بتاريخ ١٩٨٠/٥/٨ أعرب المجلس عن عميق قلقة لقيام إسرائيل بإبعاد رئيسي بلديتي الخليل وحلحول وقاضي الخليل الشرعي وطالبها بإلغاء قرار الإبعاد ، وطالب المجلس إسرائيل إلغاء جميع قرارات إبعاد الفلسطينيين غير المشروعة وعودة المبعدين . (١٩٨٠/٤٦٨) . " أمريكا امتنعت عن التصويت"

-بتاريخ ١٩٨٠/٥/٢٠ أدان المجلس بشدة رفض إسرائيل تنفيذ قراره رقم (١٩٨٠/٤٦٨)، وطالبها بإلغاء قرارات الإبعاد غير القانونية بحق القادة الفلسطينيين. (١٩٨٠/٤٦) . " أمريكا امتنعت عن التصويت"

-بتاريخ ١٩٨٠/٦/٥ أدان المجلس بشدة محاولات اعتداء الإسرائيليين على حياة رؤساء بلديات نابلس ورام الله والبيرة ، وطالبها بتقديم تعويضات لهم ، كما أبدى أسفه لعدم تطبيق إسرائيل لاتفاقية جينيف و طالبها باحترام تلك الاتفاقية والتقيد بها كما طالب جميع الدول بعدم تقديم أية مساعدات للمستوطنات ، وأعاد التأكيد على الأهمية القصوى لإنهاء احتلال إسرائيل الطويل للأراضي العربية المحتلة عام (١٩٦٧م) ومن ضمنها القدس . (١٩٨٠/٤٧١). " أمريكا امتنعت عن التصويت"

-بتاريخ ١٩٨٠/٦/١٧ في أعقاب اعتداء إسرائيلي جديد على لبنان أدان المجلس الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان ، التي لها نتائج خطيرة على الأمن والسلام في الشرق الأوسط ، وأعاد المجلس تأكيده أنه في حالة استمرار قيام إسرائي بتعطيل عمل قوات الأمم المتحدة فإن المجلس سوف يمتحن وسائل عملية لضمان تنفيذ إسرائيل لقراره رقم "٤٢٥"، (١٩٨٠/٤٧٤).

-بتاريخ ١٩٨٠/٦/٣٠ أعاد المجلس التذكير أنه لا يجوز اكتساب الأراضي عن طريق القوة كما أعاد التأكيد على الحاجة الملحة لإنهاء إسرائيل احتلالها للأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس. وشجب المجلس استمرار إسرائيل في عدم الامتثال لقراراته وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة وأعادت التأكيد على أن جميع إجراءات اسرائيل التي تهدف إلى تغيير وضع القدس لاشرعية لها وباطلة من أساسها ويجب إلغاؤها وتشكل انتهاكا صارخا لاتفاقية جينيف ويعيق السلام ،وطالب إسرائيل بأن تتقيد بقراراته السابقة وأنه في حالة عدم تنفيذها فإنه سيلجأ إلى الوسائل التي تضمن تنفيذ إسرائيل الكامل لقراراته. (١٩٨٠/٤٧٦). وقد امتنعت " أمريكا عن التصويت على هذه الفقرة ".

-بتاريخ ١٩٨٠/٨/٢١ قامت إسرائيل بسنّ التشريع الأساسي الخاص بتغيير وضع القدس، خلافاً للقانون الدولي وقرارات المجلس ، فقرر المجلس أنه لا يعترف بذلك القانون والأعمال التي تهدف إلى تغيير وضع القدس ، (١٩٨٠/٤٧٨) . امتنعت أمريكا عن التصويت

-بتاريخ ١٩٨٠/١٢/١٩ أعاد المجلس التأكيد على انطباق اتفاقية جينيف، وأبدى قلقه لإبعاد رئيسي بلديتي الخليل وحلحول وأصدر أمره بضرورة عودة هذين الرئيسين إلى بلدهما . (١٩٨٠/٤٨٤) .

-بتاريخ ١٩٨١/٦/١٩ أدان المجلس بشده اعتداء إسرائيل على المفاعل النووي العراقي الذي شكل انتهاكاً صريحاً للميثاق وأنماط السلوك الدولي، لا سيما وأن العراق كان قد وقع اتفاقية عدم انتشار الأسلحة النووية وأن منشآته تحت اشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، وطالب إسرائيل بدفع التعويضات للعراق ، كما طالبها بوضع منشآتها النووية تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، (١٩٨١/٤٨٧).

-بتاريخ ١٩٨١/٦/١٩ أدان المجلس انتهاك إسرائيل لقراراته السابقة وذكّر بتصميمه على تنفيذ قراره رقم (١٩٧٨/٤٢٥) والقرارات المتعلقة به وأدان أعمال إسرائيل المخالفة لقرارات الأمم المتحدة ،(١٩٨١/٤٨٨) .

-بتاريخ ١٩٨١/٧/٢١ بمنسابة اعتداء إسرائيل على لبنان طالب المجلس بوقف جميع أعمال القتال في لبنان ، (١٩٨١/٤٩٠) .

-بتاريخ ١٩٨١/١٢/١٧ أعادا لمجلس التأكيد على عدم جواز اكتساب الأرض بالقوة كما قرر أن فرض القوانين الإسرائيلية على مرتفعات الجولان السورية باطل من أساسه وطالب إسرائيل بإلغائه ، كما طالبها بوقف اعتداءاتها على لبنان وسحب قواتها منه وأعاد تأكيده على تصميمه تنفيذ قراره رقم : "١٩٧٨/٤٢٥" ، (١٩٨١/٤٩٧) .

-بتاريخ ١٩٨٢/١/٢٨ قرر المجلس دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى جلسة طارئة لبحث الوضع في الأراضي العربية المحتلة. (١٩٨٢/٥٠٠). أمريكا امتنعت عن التصويت.

-بتاريخ ١٩٨٢/٢/٢٥ طالب المجلس إسرائيل بوضع حدٍ لاعتداءاتها على لبنان وسحب قواتها منه ، (١٩٨٢/٥٠١) .

-بتاريخ ١٩٨٢/٦/٥ أعرب المجلس عن بالغ قلقة من اعتداءات إسرائيل استقلال سيادة لبنان، (١٩٨٢/٥٠٩) .

-بتاريخ ١٩٨٢/٦/٦ طالب المجلس إسرائيل سحب قواتها من لبنان بدون شروط ، (١٩٨٢/٥١٢) .

-بتاريخ ١٩٨٢/٦/١٩ طالب المجلس إسرائيل بوقف العنف ضد المدنيين ، (١٩٨٢/٥١٢؟

-بتاريخ ١٩٨٢/٧/٤ طالب المجلس إسرائيل برفع حصارها عن بيروت حالا. (١٩٨٢/٥١٥) " أمريكا امتنعت عن التصويت"

-بتاريخ ١٩٨٢/٨/١ طالب المجلس بوقف إطلاق النار في لبنان ، (١٩٨٢/٥١٦) .

-بتاريخ ١٩٨٢/٨/٤ أدان المجلس إسرائيل لعدم امتثالها لقراراته رقم : (٥٠٨ ، ٥٠٩، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥١٦ لعام ١٩٨٢م) وطالب إسرائيل بإعادة قواتها التي غادرت إسرائيل يوم ١٩٨٢/٥/١ فوراً. (١٩٨٢/٥١٧) . """ أمريكا امتنعت عن التصويت"

-بتاريخ ١٩٨٢/٨/٢١ طالب المجلس إسرائيل بمراعاة نصوص قراراته وأن تسهل عملية إعادة انتشار المراقبين الدوليين ، (١٩٨٢/٥١٨) .

-بتاريخ ١٩٨٢/٩/١٧ أدان المجلس غارات إسرائيل على بيروت وطالبها بالانسحاب إلى مواقعها السابقة واحترام استقلال لبنان ، (١٩٨٢/٥٢٠) .

-بتاريخ ١٩٨٢/٩/١٩ أدان المجلس مذابح الفلسطينيين في لبنان ، (١٩٨٢/٥٢١) .

-بتاريخ ١٩٨٥/١٠/٤ أدان المجلس بشده عدوان إسرائيل المسلح على تونس الذي انتهكت فيه الميثاق والقانون الدولي والأنماط المتعارف عليها ، ولاحظ المجلس باهتمام أن العدوان تسبب بخسارة هائلة في الأرواح و الممتلكات وأن إسرائيل اعترفت بمسئوليتها عنه وطالب إسرائيل بالتوقف عن مثل هذه الاعتداءات وحث أعضاء الأمم المتحدة باتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع إسرائيل من تكرار هده الأعمال ، (١٩٨٥/٥٧٣)

-بتاريخ ١٩٨٦/٩/٢٣ أدان المجلس بأشد الألفاظ الاعتداءات التي ارتكبتها إسرائيل بحق قوات الأمم المتحدة في لبنان وأعرب عن عميق أسفه للخسائر في الأرواح ، وطالب بانسحاب قوات إسرائيل من جنوب لبنان. (١٩٨٦/٥٨٧) " أمريكا امتنعت عن التصويت"

-بتاريخ ١٩٨٦/١٢/٨ أدان المجلس إطلاق القوات الإسرائيلية النار الذي تسبب في مقتل وجرح الطلاب المدنيين الأبرياء في جامعة بيرزيت ،وطالب إسرائيل بالتقيد بدقة باتفاق جينيف وأعاد التأكيد بان اتفاقية جينيف تنطبق على الأراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م . (١٩٨٦/٥٩٢) " أمريكا امتنعت عن التصويت"

-بتاريخ ١٩٨٧/١٢/٢٢ أدان المجلس بشدة سياسات وممارسات إسرائيل التي تنتهك حقوق الإنسان الفلسطيني في الأراضي المحتلة، وبشكل خاص إطلاق النار الذي تسبب في

قتل وجرح المدنيين الفلسطينيين العزل ، وأعاد المجلس التأكيد انطباق اتفاقية جينيف على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م ، ومن ضمنها القدس وطالب مرة أخرى إسرائيل أن تتقيد بدقة باتفاقية جينيف . (١٩٨٧/٦٠٥) "أمريكا امتنعت عن التصويت"

-بتاريخ ١٩٨٨/١/٥ أبدى المجلس دهشته لقرار إسرائيل الاستمرار في عملية إبعاد الفلسطينيين ، وطالب إسرائيل بالامتناع عن إبعاد الفلسطينيين ، و طلب منها التقيد باتفاقية جينيف ، وأكد على انطباق تلك الاتفاقية على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م، (١٩٨٨/٦٠٧) .

-بتاريخ ١٩٨٨/٨/١٤ أعرب المجلس عن عميق اسفه لأنّ إسرائيل تحّدت قراره رقم (١٩٨٨/٦٠٧) بتاريخ : ١٩٨٨/١/٥ وأبعدت من جديد ، مدنيين فلسطينيين ، وطالب المجلس إسرائيل بإلغاء قرار الإبعاد وأن تؤمن عودة المبعدين سالمين إلى ديارهم ، وأن توقف عمليات الإبعاد . (١٩٨٨/٦٠٨) . "أمريكا امتنعت عن التصويت"

-بتاريخ ١٩٨٨/٤/١٦ قامت إسرائيل باعتداء على تونس اغتالت القائد الفلسطيني خليل الوزير وفي ١٩٨٨/٤/٢٥ أدان المجلس بشده العدوان على سلامة وسيادة تونس الذي شكل انتهاكاً صارخاً للميثاق والقانون الدوليين ، وعبر المجلس عن تصميمه على اتخاذ الخطوات الضرورية لضمان تنفيذ هدا القرار.(١٩٨٨/٦١١). "أمريكا امتنعت عن التصويت"

-بتاريخ ١٩٨٩/٧/٦أبدى المجلس دهشته لقيام إسرائيل بإبعاد فلسطينيين بتاريخ ١٩٨٩/٦/٢٩ ، متحدية قرارات المجلس : (١٩٨٨/٦٠٧ بتاريخ ١٩٨٨/١/٥ و ١٩٨٨/٦٠٨ بتاريخ ١٩٨٨/١/١٤) وأعرب المجلس عن اسفه لاستمرار إسرائيل بإبعاد الفلسطينيين ، وطالب بضمان عودة المبعدين سالمين إلى ديارهم . (١٩٨٩/٦٣٦) "أمريكا امتنعت عن التصويت"

-بتاريخ ١٩٨٩/٨/٣٠ أبدى المجلس اسفه لقيام إسرائيل - سلطات الاحتلال - بإبعاد فلسطينيين مرة أخرى متحدية قرارات المجلس : (١٩٨٨/٦٠٧ بتاريخ ١٩٨٨/١/٥ و ١٩٨٨/٦٠٨ بتاريخ ١٩٨٨/١/١٤ و ٦٣٦ عام ١٩٨٩م) ، وإبعاد فلسطينيين آخرين، شجب المجلس استمرار إبعاد إسرائيل للفلسطينيين وطالب بضمان عودة المبعدين سالمين إلى ديارهم .

-بتاريخ ١٩٩٠/١٠/١٢ أعرب المجلس عن ذعره بسبب العنف الذي حدث في المسجد الأقصى في القدس يوم "١٩٩٠/١٠/٨" وتسبب باستشهاد ما يزيد على عشرين فلسطينياً وجرح أكثر من ١٥٠ شخصاً، وأدان المجلس عمل القوات الإسرائيلية التي تسببت في هده الإصابات والخسارة في الأرواح ، وطالب إسرائيل بالتقيد بنصوص اتفاقية جينيف وطلب من أمين عام الأمم المتحدة تزويده بتقرير عن نتائج التحقيقات ، (١٩٩٠/٦٧٢) .

-بتاريخ ١٩٩٠/٤/٢٤ أعرب المجلس عن ذعره لرفض إسرائيل لقراره رقم (١٩٩٠/٦٧٢)، ورفضها استقبال لجنة التحقيق ، وأدان المجلس رفض إسرائيل أن تستقبل لجنة أمين عام الأمم المتحدة ، وحثّ إسرائيل على إعادة النظر في قرارها وأصرّ على أن تمتثل إسرائيل لقراره رقم (١٩٩٠/٦٧٣) .

-بتاريخ ١٩٩٠/١٢/٢٠ أعرب المجلس عن ذعره من قرار إسرائيل إبعاد أربعة فلسطينيين خلافاً لالتزاماتها بموجب معاهدة جينيف ، وأعرب المجلس عن بالغ قلقه لرفض إسرائيل لقرارات رقم : (٦٧٢ و ٦٧٣ لعام ١٩٩٠) وأدان المجلس وطالبها أن تقبل بشكل واقعي بتطبيق اتفاقية جينيف على الأراضي العربية المحتلة ، وحثّ الأطراف السامية الموقعة على تلك الاتفاقية أن تؤكد احترام إسرائيل لتلك الاتفاقية ، (١٩٩٠/٦٨١).

-بتاريخ ١٩٩١/٥/٢٤ وبعد أن علم المجلس برُغبِ زائد قيام إسرائيل بإبعاد أربعة فلسطينيين خلافاً لقرارات مجلس الأمن و لاتفاق جنيف بتاريخ ١٩٩١/٥/١٨ ، أعلن المجلس أن ذاك العمل ينتهك اتفاقية جنيف وشجب هذا العمل وكرر طلبه بأن تمتنع إسرائيل – القوه المحتلة – عن إبعاد الفلسطينيين وأن تؤمّن عودتهم إلى ديارهم بسلام، (١٩٩١/٦٩٤).

-بتاريخ ١٩٩٢/١/٦ أبدى المجلس دهشته من قرار إسرائيل بإبعاد ثمانية فلسطينيين و أدان قرار إسرائيل بشدة استئناف عمليات الإبعاد ، وأكد انطباق معاهدة جنيف على الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ومن ضمنها القدس ، وطلب من إسرائيل أن تتوقف عن عمليات الإبعاد و أن تضمن عودتهم بسلام (١٩٩٢/٧٢٦) .

-بتاريخ ١٩٩٢/١٢/١٨ بعد أن علم المجلس بقلق عميق عن قيام إسرائيل بإبعاد مئات الفلسطينيين ، أدان المجلس بشدة عمل إسرائيل وأعرب عن معارضته الحازمة له، وأكد انطباق اتفاق جنيف على الأراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ومن ضمنها القدس ، وأن الإبعاد يخالف التزامات إسرائيل بموجب تلك الاتفاقية ، وطالبها بعودة المبعدين (١٩٩٢/٧٩٩) .

بتاريخ ١٩٩٤/٣/١٨: أدان مجلس الأمن بشدة المذبحة التي ارتكبتها إسرائيل في مدينة الخليل والأحداث التي تبعتها مما أودى بحياة ما يزيد على خمسين شخصا من المدنيين الفلسطينيين، وإصابة عدة مئات آخرين بجروح. امتنعت أمريكا عن التصويت على فقرتين في ديباجة القرار بشأن الحاجة إلى توفير الأمن والحماية للشعب الفلسطيني نتيجة مذبحة الحرم، وتأكيد المجلس على قراراته التي أكدت انطباق اتفاقية جنيف الرابعة على الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس. رقم القرار ٩٠٤ (١٩٩٤)

بتاريخ ١٩٩٦/٩/٢٨: أعرب مجلس الأمن عن بالغ قلقه إزاء الأحداث المأساوية التي وقعت في القدس ومناطق نابلس ورام الله وبيت لحم وقطاع غزة والتي أسفرت عن سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى المدنيين الفلسطينيين، وإزاء المصادمات التي وقعت بين الجيش والإسرائيلي والشرطة الفلسطينية ووقوع إصابات في الجانبين.ودعا إلى التوقف فورا عن جميع الأعمال التي أدت إلى تفاقم الحالة.وإلى ضمان سلامة المدنيين، والاستئناف الفوري للمفاوضات.امتنعت الولايات المتحدة عن التصويت. رقم القرار ١٠٧٣ (١٩٩٦)

- بتاريخ ٢٠٠٠/١٠/٧ أدان مجلس الأمن الاستفزازات التي قامت بها إسرائيل في الحرم الشريف بالقدس يوم ٢٠٠٠/٩/٢٨ والعنف الذي أدى إلى استشهاد ما يزيد على (٨٠) فلسطينيا وعدد من الجرحى. وأدان استعمال إسرائيل المفرط للقوة الذي أدى إلى وفيات والإصابة بجروح.وطلب توقف فوري للعنف والتقيد باتفاقية جنيف الرابعة. وقد وافق على القرار (١٤) عضوا وامتنعت أمريكا عن التصويت على القرار رقم ١٣٢٢ (٢٠٠٠).

بتاريخ ٢٠٠٢/٣/١٢: طلب مجلس الأمن وقف فوري لأعمال العنف.رقم القرار ١٣٩٧ (٢٠٠٢).

- بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٣٠: أبدى مجلس الأمن قلقه على تدهور الوضع بما في ذلك القنابل الانتحارية ضد إسرائيل والاعتداءات العسكرية على مقر الرئيس عرفات.ودعا إلى وقف إطلاق النار حالا،وإلى انسحاب القوات الإسرائيلية من المدن.وأعاد تكرار طلبه في القرار ١٣٩٧ (٢٠٠٢) بتاريخ ٢٠٠٢/٣/١٢ لوقف فوري لأعمال العنف والتدمير لتنفيذ خطة "تينيت" Tenet رقم القرار ١٤٠٢ (٢٠٠٢).

- بتاريخ ٢٠٠٢/٤/٤: أعاد مجلس الأمن التأكيد على قراراته رقم ١٣٩٧ بتاريخ ٢٠٠٢/٣/١٢، ورقم ١٤٠٢ (٢٠٠٢) بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٣٠. وأبدى المجلس قلقه البالغ

بسبب تدهور الوضع في جنين ولاحظ أن قراره رقم ١٤٠٢ (٢٠٠٢) لم تنفذه إسرائيل بعد، وطلب تنفيذ ذلك القرار بدون تأخير رقم القرار ١٤٠٣ (٢٠٠٢).
- بتاريخ ٢٠٠٢/٤/١٩: أبدى مجلس الأمن قلقه على الوضع الإنساني في مخيم جنين وعلى عدد القتلى والجرحى، وطلب رفع القيود عن المخيم، وتوفير المستلزمات الطبية والإنسانية كما طلب من الأمم المتحدة إرسال لجنة للتحقيق في قتل المدنيين.
رقم القرار ١٤٠٥ (٢٠٠٢).
-بتاريخ ٢٠٠٢/٩/٢٤: طلب مجلس الأمن من إسرائيل وقف جميع أعمال العنف وتدمير البنية التحتية الفلسطينية المدنية والعسكرية والانسحاب غير المشروط من المدن الفلسطينية إلى المواقع التي كانت تحتلها قبل أيلول عام ٢٠٠٠م. رقم القرار ١٤٣٥ (٢٠٠٢).
- بتاريخ ٢٠٠٣/١١/١٩: قرر مجلس الأمن المصادقة على خارطة الطريق المبنية على خطة عمل اللجنة العربية، وطلب من الدول الوفاء بالتزاماتها بموجب القانون الدولي.
رقم القرار ١٥١٥ (٢٠٠٢).
- بتاريخ ٢٠٠٤/٤/٢٨: قرر مجلس الأمن الدولي منع انتشار الأسلحة النووية والكيماوية في منطقة الشرق الأوسط. رقم القرار ١٥٤٠ (٢٠٠٤).
-بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٩: طلب مجلس الأمن الدولي من إسرائيل أن تحترم التزاماتها بموجب القانون الدولي، وأعرب عن بالغ قلقه للوضع الإنساني الناتج عن تدمير بيوت الفلسطينيين في رفح، ودعا إلى وقف العنف. رقم القرار ١٥٤٤ (٢٠٠٤).

الملحق رقم(٩-أ)

تصويت أمريكا وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا في الجمعية العامة للأمم المتحدة على القرارات الخاصة بحقوق الشعب الفلسطيني (١٩٦٧-١٩٩٧)

Year	USA			Israel			U.K.			France		
	Y	N	A	Y	N	A	Y	N	A	Y	N	A
1997	1	16	3	–	20	–	16	–	4	16	–	4
1996	2	15	3	1	18	1	16	–	4	16	–	4
1995	–	14	2	–	17	1	–	1	4	1	3	_
1994	–	13	3	–	15	2	0	0	3	0	0	4
1993	0	11	4	0	14	2	0	0	7	0	0	9
1992	–	20	6	–	24	0	0	2	7	0	2	7
1991	3	22	5	–	25	3	18	3	9	19	3	8
1990	2	21	5	–	26	1	16	5	7	19	4	5
1989	2	23	5	2	27	–	16	6	8	16	5	7
1988	4	25	5	2	30	2	16	6	12	19	5	10
1987	5	26	5	5	29	3	21	5	13	21	5	12
1986	10	23	4	5	27	2	14	7	3	16	7	11
1985	7	25	5	2	31	2	20	5	12	19	6	12
1984	5	26	7	1	31	3	18	7	13	19	7	12
1983	9	28	7	4	32	2	22	8	14	22	8	13
1982	27	25	3	6	42	3	35	10	10	25	14	16
1981	2	22	6	–	29	2	11	5	15	11	3	17
1980	5	10	2	3	12	1	7	4	6	7	2	9
1979	13	11	2	8	15	3	15	5	6	15	–	11
1978	9	11	3	6	13	4	13	7	4	12	4	8
1977	6	9	3	2	13	2	8	4	6	8	3	7
1976	6	10	3	3	10	2	9	4	6	8	2	6
1975	4	9	–	1	12	2	4	6	3	5	3	7
1974	3	6	2	11	–	–	3	1	7	10	–	1
1973	2	4	1	3	2	–	3	1	3	6	–	1
1972	–	4	3	–	7	–	3	2	2	3	1	3
1971	1	3	2	–	6	–	3	1	2	3	1	2
1970	2	3	–	1	4	–	2	–	3	3	–	2
1969	1	1	1	1	2	–	1	–	2	1	–	2
1968	1	1	–	1	1	–	1	–	1	1	–	1
المجموع	132	437	100	68	534	43	311	105	196	321	88	211

دليل الاختصارات: Y : Yes تعني أن الدولة صوتت بنعم على القرار

N : No تعني أن الدولة عارضت القرار . A : Abstention تعني الامتناع عن التصويت إلى القرار

وبذلك تكون خلاصة التصويت كما هي موضحة في الملحق (٨-ب) والملحق (٨-ج)

الملحق رقم (٩-ب)

خلاصة تصويت أمريكا وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا في الجمعية العامة للأمم المتحدة على القرارات المتعلقة بحقوق الشعب الفلسطيني ١٩٦٧-١٩٩٧

الدولة	نعم	لا	امتناع	مجموع
الولايات المتحدة	١٣٢	٤٣٧	١٠٠	٦٩٩
بريطانية	٣١١	١٠٥	١٩٦	٦١٢
فرنسا	٣٢١	٨٨	٢١١	٦٢٠
إسرائيل	٦٨	٥٣٤	٣٣	٦٣٥
المجموع	٨٣٢	١١٦٤	٥٤٠	٢٥٣٦

الملحق رقم (٩-ج)

عدد قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة المتعلقة بالصراع العقدي وحقوق الشعب الفلسطيني التي رفضتها أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإسرائيل أو امتنعت عن التصويت عليها وأعاقت بذلك إيجاد حل للنزاع ١٩٦٧-١٩٩٧

الدولة	نعم	لا
أمريكا	١٣٢	٥٣٧
بريطانيا	٣١١	٣٠١
فرنسا	٣٢١	٢٩٩
إسرائيل	٦٨	٥٦٧
المجموع	٨٣٢	١٧٠٤

المصادر والمراجع

أولاً:المصادر والمراجع العربية

١-الكتب الدينية

"القرآن الكريم" (القدس: دار الأيتام الإسلامية الصناعية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م).

المعافري، ابن هشام "السيرة النبوية " (القاهرة:مكتبة مصطفى ألبابي الحلبي، ١٩٥٥)

السيد سابق، "فقه السنة "(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) .

صابوني، محمد علي. "صفوة التقاسيم في تفسير القرآن الكريم"(القاهرة:دار الصابوني،١٩٧٦).

دائرة المعارف الإسلامية، إصدار أحمد الشناوي وآخرون.

"الكتاب المقدس:العهد القديم والعهد الجديد"(القدس: جمعية الكتاب المقدس في العالم العربي، ١٠٨٤).

عبد الملك وآخرون، بطرس قاموس الكتاب المقدس (القدس: مجمع الكنائس في الشرق

ديب، سهيل."التوراة: تاريخها ، وغاياتها."

العالم، يوسف حامد. "المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، "(هيرندن-فرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٤١٢هـ، ١٩٩١م).

أركون، محمد. "الفكر الإسلامي، قراءة علمية"(بيروت: مركز الإنماء الدولي، ١٩٩٦)(الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،١٩٩٦)

الغزالي، محمد. "تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل"(هيرندن-فرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

"الكرامة الإنسانية في ضوء القرآن الكريم" (جينيف-سويسرا: اللجنة الدولية للصليب الأحمر،١٩٧٣).

المباركفوري، صفي الدين. "الرحيق المختوم في بحث السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام"(مكة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤١١هـ/١٩٩١م).

٢-السجلات والوثائق الرسمية واليوميات وتقارير لجان تحقيق

سجلات المحكمة الشرعية في القدس سجل رقم (٢٨١) .

العلمي، الشيخ سعد الدين. " وثائق الهيئة العليا" ١٩٦٧-١٩٨٤" (القدس:الهيئة الإسلامية العليا، ١٩٨٤) .

حكومة فلسطين ، تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، الكتاب الأبيض رقم (٥٤٧٩) القدس: مكتب الطباعة والقرطاسية ، ١٩٣٧

العسلي، كامل "وثائق تاريخية مقدسية " المجلد الأول (عمان : د.ن.، ١٩٨٣)

العسلي، كامل "مقدمة حول بعض المصادر الأولية لتاريخ القدس" (عمان: الجامعة الأردنية ، ١٩٨٣).

"السلطان عبد الحميد الثاني -مذكراتي السياسية" (بيروت : مؤسسة الرسالة،١٩٨٢)

علي، محمد علي. "ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية" الجزء الأول . د. ن.

وثائق فلسطين ١٨٣٥-١٩٨٧"(منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الثقافة، ١٩٨٧).

تقرير منظمة العفو الدولية (www.amnestyusa.org)

تقرير الأمم المتحدة:UNRWA Camp Profile of Jenin

٣-الموسوعات والمعاجم

الموسوعة الفلسطينية-القسم العام (دمشق :هيئة الموسوعة الفلسطينية ، ١٩٨٤
الموسوعة الفلسطينية-القسم الثاني – الدراسات الخاصة (بيروت:هيئة الموسوعة الفلسطينية ، ١٩٩٠)
الأب لويس معلوف،"المنجد في اللغة والأدب"(بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٠)

٤- قرارات الأمم المتحدة، ودراسات خاصة بالنزاع العربي الإسرائيلي صادرة عن الأمم المتحدة

قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ١٩٤٧-٢٠٠٦
منشأ القضية الفلسطينية وتطورها ١٩١٧- ١٩٨٨ الأمم المتحدة، نيويورك، ١٩٩٠
"الوضع القانوني لضفة الغربية وغزة"(نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٨٢)

٥-مراجع خاصة بالانتفاضة الفلسطينية

شعبان ، إبراهيم."الانتفاضة الفلسطينية في عامها الأول . دراسة في ضوء القانون الدولي العام."(القدس، ١٩٨٩٨٩).
عدوان، عبد الجبار. "الانتفاضة الفلسطينية على طريق الاستقلال الوطني" ج ١ "أنياب الخروف". د. ن.
البرغوثي، عبد اللطيف."ديوان الانتفاضة الشعبي"(بير زيت: ١٩٩٧).
الحوالي، الشيخ الدكتور سفر بن عبد الرحمن. " الانتفاضة والتتار الجديد" (الرياض: مجلة البيان ، د. ت.).
ريجي، أندرو. "الأبعاد الاقتصادية للانتفاضة"
حبيب الله، غانم والمدني، رشاد."فلسطين والانتفاضة"(الناصرة: شركة فينوس للطباعة والنشر،١٨٨٩).
المدهون، ربعي."الانتفاضة الفلسطينية :الهيكل التنظيمي وأساليب العمل"(عكا:دار الأسوار،١٩٨٩).
الخولي، لطفي." الانتفاضة والدولة الفلسطينية"(القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر،١٩٨٨).
أبو صالح، زياد والمدني، رشاد."الانتفاضة في نظر الإسرائيليين"(القدس:العرب للصحافة،١٩٩٠).
أبو صالح، زياد."نحالين في الانتفاضة"(القدس:الجمعية الفلسطينية الأكاديمية لشئون الدولية،١٩٨٩).
"الانتفاضة، المفاوضات، النظام الإقليمي الجديد، البديل الوطني الواقعي التوحيدي."(الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين،١٩٨٩).
أبو الحمص، نعيم."الفلسطينيون جيل الانتفاضة"(القدس:١٩٩٠).
أبو عمرو، زياد. "الانتفاضة: أسبابها وعوامل استمرارها"(القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية،١٩٨٩).
أبو عمشة، عادل."الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الضفة الغربية وقطاع غزة قبل وأثناء الانتفاضة" (نابلس: ١٩٨٩).

شيف، زئيف. وإهود ، معاري. "انتفاضة"(القدس وتل أبيب:دار شوسكن للنشر، ١٩٩٠).

٦-المراجع العربية

أبراش،إبراهيم "فلسطين في عالم متغير"(رام الله: المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، ٢٠٠٣)
إبراهيم، نصار "عولمة أمريكا صراع حضارات..أديان ثقافات أم هيمنة اقتصادية وسياسية؟" مقال حصل عليه المؤلف من الكاتب.
أبو الرب، هاني "تاريخ فلسطين في صدر الإسلام".(بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٢)
أبو زعرور، محمد بن سهو سعيد "العولمة: وأهميتها، نشأتها، أهدافها، الخيار البديل" (عمان: دار البيارق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م)
أبو سرية، عبد الحافظ. " زلزال الخليل"(الخليل: نادي شباب الخليل، ١٩٩٥)
أبو عليقة، طلال. "الدبلوماسية والاستراتيجية في الصراع العربي الإسرائيلي" (القدس: د.ن، ١٩٩٨)
أبو عصب، سمير "مفاهيم سياسية بعد الحادي عشر من أيلول" د.ن.، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م
أبو فرحة، غازي أحمد. " تعاقب الأجيال. الجيل الباني والجيل المستهلك إنهيار الأمم والأفراد والجماعات" ، ٢٠٠٤م.
أبو لغد، إبراهيم."إعلان المبادئ الفلسطيني الإسرائيلي . آفاق الحاضر ولمستقبل"(بير زيت: جامعة بير زيت، ١٨٨٤).
أبو هدبا، عبد العزيز (محرر) " التراث الفلسطيني جذور وتحديات " (الطيبة : مركز لحياء التراث العربي ١٩٩١.
أبيشار،عوديد."كتاب الخليل" الترجمة اليدوية بخط يد، دون ذكر المترجم. مكتبة بلدية الخليل العامة.
أحمد، فتحي تاريخ الريف الفلسطيني في العهد العثماني منطقة بني زيد نموذجا "(رام الله، د.ن. ، ١٩٩٢)
ارشيدات وآخرون، عصام " دراسات في القضية الفلسطينية" (عمان : دار الكندي، ١٩٩٢)
أرونسون، جفري. "سياسة الأمر الواقع في الضفة العربية. إسرائيل والفلسطينيون من حرب ١٩٦٧ إلى الانتفاضة"(بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية وجامعة البحرين، ١٩٩٠).
"أزمة الديمقراطية في الوطن العربي": (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤)
اسبوزيتو، جون " الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع"(سوريا- اللاذقية: دار الحوار للطباعة والنشر، ٢٠٠٢)
الأشهب نعيم، "الشرق الأوسط الكبير أعلى مراحل التبعية"(رام الله:دار الشروق، ٢٠٠٥).
"إسرائيل والتعذيب- الترجمة الكاملة لما ورد في مقال الصاندي تايمز . تقديم فيليسا لانجر"(القدس: منشورات صلاح الدين، ١٩٧٧).
أمين، جلال "عولمة القهر، الولايات المتحدة والعرب قبل وبعد أحداث سبتمبر ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)
بازيلي،"سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين التاريخية والسياسية " ترجمة ياسر جابر.(بيروت دار الحداثة، ١٩٨٨)
بدر، كامليا نظرة على الأحزاب والحركات السياسية الإسرائيلية"(القدس: جمعية الدراسات العربية،١٩٨٥)

البشري ، طارق " العرب في مواجهة العدوان"(القاهرة: دار الشروق ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)
بكتيه، جان "القانون الدولي الإنساني، تطوره ومبادئه" (جنيف: معهد هنري دونان،١٩٨٤)
البكري، المحامي علاء الدين،"الوضع القانوني للبلديات في الضفة الغربية"(القدس :جمعية الدراسات العربية، ١٩٨٣).
البكري، المحامي علاء الدين،"الأوضاع القانونية لملكية الأراضي في الضفة الغربية"(القدس :جمعية الدراسات العربية، ١٩٨٢).
بويصير، صالح مسعود. "جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن"(رام الله: وزارة الثقافة الفلسطينية، ٢٠٠١).
بولنغ، غيل."حق العودة الفردي واللاجئين الفلسطينيين عام ١٩٤٨. دراسة تحليلية في القانون الدولي(القدس: بديل: المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، ٢٠٠١)"
بويل، فرانسيس "فلسطين والفلسطينيون والقانون الدولي " (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)
بلايفير، إما. " الاعتقال الإداري في الضفة الغربية"(رام الله: الحق، ١٩٨٦).
"تحديات المرحلة المقبلة للمجتمع الفلسطيني" المؤتمر الأول، القدس: شباط ١٩٩٤
ترتون،أ.س." أهل الذمة في الإسلام"(القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧) ترجمة حسن حبشي.
تشومسكي، نوعم "الثالوث الخطر : الولايات المتحدة . إسرائيل . والفلسطينيون " (القاهرة :الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين فرع جمهورية مصر العربية، ١٩٩٣)
تشومسكي، نوعم "الربح فوق الجميع.اللبرالية والنظام العولمي"(رام الله: دار التنوير للطباعة والنشر، ٢٠٠٠)
تشومسكي، نوعم. "النزعة الإنسانية العسكرية الجديدة"(بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، ٢٠٠١).
التكروري، عثمان الأستاذ عمر ياسين، "الضفة الغربية وقانون الاحتلال الحزبي" (القدس: نقابة المحامين الفلسطينيين، ١٩٨٦)
توما، إميل. "جذور القضية الفلسطينية"(القدس، ١٩٧٦)
التونسي، محمد خليفة. " الخطر اليهودي. بروتوكولات حكماء صهيون"(القاهرة: مطابع دار الكتاب العربي، ١٩٤٠).
توينبي، آرنولد. "مختصر دراسة التاريخ"(القاهرة: جامعة الدول العربية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٠) ترجمة فؤاد محمد شبل.
جازيت، الجنرال شلومو " العصا والجزرة .الحكم الإسرائيلي في الضفة الغربية" "(نيقوسيا-قبرص: مؤسسة بيان للطباعة والنشر، د.ن. ، د. ت.)
جاف، إنجيلا. "وهمن الشرعية تحليل قانوني لإبعاد إسرائيل الجماعي للفلسطينيين في كانون الأول ١٩٩٢"(رام الله: الحق ، ١٩٩٣)
جبارة، تيسير. "مدينة خليل الرحمن دراسة تاريخية جغرافية"(الخليل: رابطة الجامعيين، ١٩٨٧)
جبارة تيسير ، "دراسات في تاريخ فلسطين الحديث"(القدس: مطبعة الرائد، ١٩٨٥).
جبريل، سمير. و طلب، جمال، "مناطق عربية محتلة. حقائق وأرقام"(القدس جمعية الدراسات العربية، ١٩٨٥).
الجعبري، سليمان. "خطة الفصل الإسرائيلية١٩٩٥ ورقة إعلامية"(القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية،١٩٩٥).
الجعفري، وليد. "المشروع الإسرائيلي للإدارة الذاتية جذوره، تطوره، وأخطاره"(بيروت:

مؤسسة الدراسة الفلسطينية، ١٩٧٩).

جلوك،ألبرت " مدخل إلى نظرية علم الآثار" ، نشرة أبحاث جامعة بير زيت

الجنرال جلوب (القائد البريطاني للجيش العربي الأردني)، "جندي بين العرب" عمان : دار النشر للجامعيين،)

الجوزية ، ابن قيم " أحكام أهل الذمة" (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١) ج١.

حتي ، فيليب " تاريخ سورية ولبنان وفلسطين "(بيروت: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،١٩٥٩)

حداد، يوسف أيوب "هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين؟ "(بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلان)ج ١ ، ج ٢.

حرب، أسامة الغزالي." الإستراتيجية الإسرائيلية والمقاومة في الأرض المحتلة"(القاهرة: مركز الدراسات لاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٧).

حزب التحرير، "حتمية صراع الحضارات"(صفر ١٤٢٣هـ أيار ٢٠٠٢م)

الحسن، هاني." العودة إلى الينابيع-٢- الخروج من مأزق أوسلو. وثيقة لحوار"د. ن. ١٩٨٨م.

الحسيني، مازن (مترجم) " الإمبراطورية الجديدة : قصة الحرب الأمريكية على العراق " (رام الله : دار البيرق العربي و دار التنوير للنشر، ٢٠٠٤)

الحلاق، حسان. "موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية في فلسطين ١٨٩٧-١٩٠٩"(كفر قرع: دار الهدى، ١٩٩٠).

حلبي، أسامة. "مصادرة الأرض في الضفة الغربية المحتلة"(القدس:جمعية الدراسات العربية، ١٩٨٦).

حليلة، سمير. "تأثير سياسة الانتداب البريطاني والاستيطان الصهيوني على ملكية الأرض في فلسطين ١٩٢٨-١٩٣٩"(بير زيت: جامعة بير زيت، مركز الوثائق والأبحاث، ١٩٨٦).

حمدان، غسان."التطبيع :استراتيجية الاختراق الصهيوني"(بيروت: دار الأمان للطباعة والنشر، ١٤٠٩هـ/١٩٩١م).

الحوت، بيان. "فلسطين. القضية .الشعب. الحضارة التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن لعشرين"(١٩١٧) (بيروت : دار الاستقلال لدراسات والنشر،١٩٩١) .

الحوت، بيان. " القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨"(كفر قرع: دار الهدى، ١٩٨٦).

الخالدي،مصطفى و فروخ، عمر. "التبشير في البلاد العربية. عرض لجهود المبشرين التي ترمي لإخضاع لشرق للاستعمار "(صيدا-بيروت: المكتب المصري للطباعة والنشر، ١٩٥٧).

خان، ظفر الإسلام "تاريخ فلسطين القديم من أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي"(بيروت:دار النفائس، ١٩٧٢) .

الخربطلي ، حسن علي "العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة الإسلامية"(القاهرة : جامعة الدول العربية، ١٩٦٩) .

خنفر، خلقي "تاريخ الحضارة الإسلامية"(جامعة الخليل، ١٩٩١)

دابيير، ج. أي "نقض الأطروحة الإسرائيلية حول الوطن البديل سلسلة دراسات صامد الاقتصادي (عمان ، دار الكرمل للنشر ١٩٨٥) بيروت : دار صامد للدراسات ، ١٩٨٥

الدباغ ، القبائل العربية وسلالاتها في بلادنا فلسطين"(بيروت: دار الطليعة،١٩٧٩)

الدباغ، مصطفى مراد "الموجز في تاريخ الدول الإسلامية وسلالاتها في فلسطين"(منشورات اليسار، ١٩٨٨)

الدباغ، مصطفى مراد "بلادنا فلسطين" الخليل: رابطة الجامعيين، ١٩٨٤

دراسة تحليلية للقانون الدولي "(بيت لحم : بديل / المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة و اللاجئين، ٢٠٠١

دوماني، بشارة من قسم التاريخ بجامعة بنسلفانيا " التاريخ وإعادة التأريخ لفلسطين العثمانية والانتدابية " آفاق فلسطينية، العدد (٦)، صيف ١٩٩١.

ديورانت، ول "قصة الحضارة" ترجمة محمد بدران مجلد ١٣ ص ١٣٠ عن د. مروان القدومي،

رافق، عبد الكريم "العرب والعثمانيون"(عكا: مكتبة ومطبعة السروجي، ١٩٧٨)

الراوي،جابر إبراهيم "القضية الفلسطينية في القانون الدولي الراهن"(عمان: دار الجليل، ١٩٨٥)

رسول، رسول محمد "استدراج التعالي الغربي"(عمان: دار أسامة، ٢٠٠٠) ص (٧٢)

رشيد ،فايز "تزوير التاريخ في الرد على كتاب نتنياهو "مكان تحت الشمس". (عمان:د.ن، ١٩٩٧

رضوان، فتحي "الحرب مع إسرائيل مقدمات ونتائج"(القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠).

الرفاعي ، محمد خضر. "اتفاقيات السلم المصرية الإسرائيلية في ضوء القانون الدولي"(عمان:دار الجليل،١٩٨٤).

رفعت ، احمد محمد، الطيار، صالح بكر "الإرهاب الدولي"(باريس: مركز الدراسات العربي/الأوروبي،١٩٩٨)

رودنسن، مكسيم. "إسرائيل واقع استعماري"(القدس: المؤسسة العربية للطباعة والنشر/ د. ت. ترجمة إحسان الحصيني).

الريّس، ناصر " المستوطنات الإسرائيلية في ضوء الدولي " (رام الله : مؤسسة الحق، ١٩٩٩)

الزرو، صلاح. " المتدينون في المجتمع الإسرائيلي"(الخليل: رابطة الجامعيين، ١٩٩٠).

زريق، قسطنطين. نحن والتاريخ"(بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١).

زريق، إيليا. " اللاجئون الفلسطينيون والعملية السلمية"(بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧).

زلوم، عبد القديم " نظام الحكم في الإسلام " كتاب موسّع مبني على كتاب " تقي الدين نبهاني، منشورات حزب التحرير." (بيروت : دار الأمة للطباعة والنشر ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

زيدان، عبد الكريم." أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام. رسالة دكتوراة، كلية الحقوق ، جامعة القاهرة، ١٩٨٨."

الزين، حسن "أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي "(بيروت: د.ن، ١٩٨٢)

ستيرنهل، زنيف " الأساطير المؤسسة لإسرائيل" (رام الله ، مدار- المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، سنة ٢٠٠١ .

سالم، وليد. "حق العودة البدائل الفلسطينية"(بانوراما: المركز الفلسطيني لتعميم الديمقراطية وتنمية المجتمع، ١٩٩٧).

سعيد، إدوارد "إسرائيل العراق الولايات المتحدة"() بيروت:دار الآداب).

سعيد، إدوارد " غزة - أريحا سلام أمريكي"(القاهرة: دار المستقبل العربي،١٩٩٥)

سعيد، إدوارد، "أوسلو- سلام بلا أرض"(القاهرة: دار المستقبل، ١٩٩٥)

سمارة، عادل. "مثقفون في خدمة الآخر . بيان ال ٥٥ نموذجاً"(رام الله: مركز المشرف

العامل للدراسات الثقافية والتنموية، ٢٠٠٣).

سمور، زهدي عبد المجيد "تاريخ العرب المعاصر" (القدس: جامعة القدس المفتوحة، ٢٠٠٣).

سنجر، دانييل. "الصراع في العالم في الألفية الثالثة. ألفية مَن؟.. لنا أم لهم؟"

سوسة، أحمد "العرب واليهود في التاريخ" (دمشق: العربي للنشر والإعلان والطباعة والتوزيع، ١٩٧٢)

السويدان، طارق "فلسطين... التاريخ المصور" (نابلس: مكتبة دار الأعلام، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

"السياسة المائية في الضفة الغربية المحتلة" (القدس: الملتقى الفكي العربي، ١٩٨١).

"سيادة القانون وحقوق الانسان" (جينيف : لجنة الحقوقيين الدولية، ١٩٦٦).

السيد وآخرون، عزمي طه "الثقافة الإسلامية" (القدس: جامعة القدس المفتوحة، ٢٠٠١،

شاحاك، إسرائيل "التاريخ اليهودي والديانة اليهودية. وطأة ثلاثة آلاف سنة" (بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٥) ترجمة صالح سوداح.

الشاذلي، سعد الدين "الحرب الصليبية الثامنة" (الجزائر: دار الحكمة، ١٩٩١)جزءان.

شاش، السفير طاهر "التطرف الإسرائيلي. جذوره وخصائصه "(القاهرة: دار الشروق، ١٩٦٨

الشاعر، ناصر الدين. " عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية. وجهة نظر إسلامية"(نابلس: مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، ١٩٩٩).

شبيب، سميح "حكومة عموم فلسطين"(القدس: دار البيادر، ١٩٠٠)

شبيب، نبيل " قضية فلسطين الحق والباطل "(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩)

شحادة ، رجا. "قانون المحتل"(بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٠ و الكويت: جامعة الكويت، ١٩٩٠).

شحادة ، رجا. و كتاب، جوناثان. "الضفة الغربية وحكم القانون((بيروت: دار الحكمة لنشر بالتعاون مع لجنة الحقوقيين الدولية) وجمعية القانون في خدمة الانسان، ١٩٨٢).

شديد، محمد خليل " الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية" (القدس : جمعية الدراسات العربية، ١٩٨٥)

شديد، محمد خليل "المعارضة الأمريكية لمؤتمر سلام في الشرق دولي الأوسط"(القدس: مركز دراسات البيادر، ١٩٨٥)

شرابي، هشام " المقاومة الفلسطينية في وجه أمريكا وإسرائيل" (بيروت: دار النهار، ١٩٧٠)

شرابي، هشام " الدبلوماسي ولاستراتيجية في الصراع العربي الإسرائيلي"(عكا: دار الأسوار، ١٩٨٢).

"شعب تحت الحصار : موجز تقرير الحق السنوي لعام ١٩٨٩"(الحق: القانون من أجل الإنسان، ١٩٨٩).

شفيق، منير " القضية الفلسطينية الأشد تعقيداً" في كتاب "القضية الفلسطينية في نصف قرن" تحرير نخبة من الأساتذة، (لندن: منشورات فلسطين المسلمة، ١٩٩٩)

شفيق، منير "الإسلام في معركة الحضارة"(القدس: وكالة أبو عرفة للصحافة والنشر، ١٩٨٢)

شفيق، منير "الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات "(تونس: دار البراق للنشر، ١٤١١هـ/١٩٩١م)

شلبي،أحمد "مقارنة الأديان"(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦) ثلاثة أجزاء.

شوفاني، الياس "الموجز في تاريخ فلسطين السياسي" (بيروت:مؤسسة الدراسات الفلسطينية،١٩٩٦)

شولش، الكزاندر " تحولات جذرية في فلسطين ١٨٥٦-١٨٨٢" (كفر عقب: دار الهدى، ١٩٩٠) .

شيخ الإسلام، جعفر صراع الحضارات ومستقبل الدعوة الإسلامية "بحث قدم لمؤتمر عقدته مجلة "البيان" في الخرطوم ١٧ رجب.

صايغ، روزماري. "الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة"(القدس: منشورات صلاح الدين، ١٩٨٣).

الصدر، محمد باقر "اقتصادنا، دراسة موضوعية للمذاهب الاقتصادية للماركسية والرأسمالية والإسلام"(بيروت: دار الكتاب اللبناني،١٩٧٧). ص(٢٥٧-٢٦٥)

طلال، الحسن بن."حق الفلسطينيين في تقرير المصير. دراسة للضفة الغربية وقطاع غزة"(لندن: كورتيت، ١٩٨١).

طنطاوي، محمد سعيد شيخ الجامع الأزهر، "بنو إسرائيل في القرآن والسنة" (القاهرة: دار الشروق، -١٩٦٨)

طومسون،توماس ل. " التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي" ترجمة صالح سوداح . (بيروت : بيسان ، ١٩٩٥).

العابدي، محمود "من تاريخنا" - المجموعة الثانية(عمان: جمعية عمال لمطابع التعاونية،١٩٦٣).

عاروري، نصير " القضية الفلسطينية في أربعين عاما بين ضراوة الواقع وطموح المستقبل" (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩) .

"عام على أحداث مجزرة الحرم الإبراهيمي بالخليل"(رام الله: مؤسسة الحق، ١٩٩٥).

عبد الحي، سليم وليد:"الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي"(القدس جمعية الدراسات العربية، د. ت.)

عبد الشافي، حيدر. "إشكاليات العمل الوطني الفلسطيني. الوحدة وصنع القرار"(نابلس: مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، ١٩٩٣).

عبد العزيز ، أمير. "نظام الإسلام"ن. د.ت.

عبد المجيد، محمد بحر "اليهود في الأندلس"(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠)

عبد المنعم "أمريكا والعالم والحرب الباردة وما بعدها"(القاهرة: نهضة مصر للطباعة سعيد، والنشر، ٢٠٠٣)

عبد الله، غسان. "المبعدون الفلسطينيون"(عكا: دار الأسوار، ١٩٨٣).

عبد الهادي، مهدي."الانفصال الأردني: أسبابه وآثاره"(القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، ١٠٩٨).

عبوشي، واصف. "فلسطين قبل الضياع"(لندن: دار رياض الريس للكتب والنشر،١٩٨٦).

عثمان، حسن صالح. "فلسطين في سيرة البطل عبد الحليم الجيلاني"(عمان: دار الجليل، ١٩٩٣).

عربيد، مسعد و مكاوي، إبراهيم. "تمهيدا لوعي نقدي"(كاليفورنيا: مؤسسة فلسطين للنشر، ٢٠٠٤ و رام الله: مركز الشرق العامل للدراسات الثقافية والتنموية، ٢٠٠٤).

عريقات ، صائب. "السلام على السلام"١٩٦٧-١٩٨٧ (القدس: منشورات البيادر، ١٩٨٧)

عريقات ، صائب. "المفاوضات الطريق المسدود"(القدس: مركز دراسات البيادر، ١٩٨٥).

عكاوي، ديب."دولة فلسطين والقانون الدبلوماسي الدولي"(عكا: دار الأسوار، ١٩٩١).

علوش، ناجي. " المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨"(د.ن. ، ١٩٧٠).
علوش، ناجي."الأساطير والواقع . الصهيونية والأمة العربية"(رام الله: دار الشروق،١٩٩٨).
عمر فروخ،"العرب في حضارتهم وثقافتهم"(بيروت: دار العلم للملايين،١٩٦٦)
عمرو، يونس " خليل الرحمن العربية مدينة لها تاريخ" (الخليل: جامعة الخليل، ١٩٨٧).
عوديد أبيشار، " كتاب الخليل " الترجمة العربية بخط يد، بدون ذكر المترجم، مكتبة بلدية الخليل .
عوض، عبد العزيز محمد،"الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤"رسالة ماجستير، جامعة عين شمس(القاهرة" دار المعارف، ١٩٦٩).
العويسي، عبد الفتاح " جذور القضية الفلسطينية "(الخليل : دار الحسن للطباعة والنشر،١٩٩٢)
العويسي، عبد الفتاح "تاريخ فلسطين منذ أقدم الأزمنة إلى الفتح الإسلامي"(د.ن. ، ٢٠٠١).
غارودي، روجيه " ملف إسرائيل . دراسة للصهيونية السياسية " (القدس : وكالة أبو عرفة ، ١٩٨٦)
غارودي ، روجيه "الإسلام"(دار عطية للطباعة والنشر، والتوزيع، ١٩٩٧).
غارودي، روجيه "الإرهاب الغربي" ج١ (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)
غارودي ، روجيه. "إسرائيل بين اليهودية والصهيونية"(بيروت: دار التضامن، ١٩٩٠).
غارودي ، رجاء " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " (القاهرة : دار الغد العربي، ١٩٩٦)
غارودي، روجيه " حفارو القبور. الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها"(القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠)
غارودي، روجيه " فلسطين أرض الرسالات السماوية"(دمشق: دار طلاس للنشر، ١٩٩١)
غارودي، روجيه " محاكمة الصهيونية الإسرائيلية"(لبنان: الفهرست، ١٩٩٨)
غارودي، روجيه "أمريكا طليعة الانحطاط" (القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٠هـ،١٩٩٩م)
غارودي، روجيه "في سبيل حوار الحضارات" (بيروت: عويدات للنشر والطباعة ،١٩٩٩)
غارودي، روجيه "كيف صنعنا القرن العشرين"(القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)
غازي فلاح،"الفلسطينيون المنسيون" عرب النقب (١٩٠٦- ١٩٨٦) الطيبة : مركز إحياء التراث العربي، ١٩٨٩) .
غرين، ستيفن "الانحياز علاقة أمريكا السرية بإسرائيل" (القدس: الخدمات البشرية المستقلة، ١٩٩٢).
غزاوي، المحامي عمر."الصهيونية والأقلية القومية العربية في فلسطين"(عكا: دار الأسوار، ١٩٧٩).
الغنوشي، راشد " حقوق المواطنة، حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي" (هيرندن- فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٣)
الغني، مصطفى عبد "حقيقة الغرب بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية "(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١)
غنيم، أحمد. "القدس نداء أخير"(القدس : د.ن.، ١٩٩٩).
غوستاف لوبون، "اليهود في تاريخ الحضارات الأولى"
غيل ج . بولنغ (Gail j. Boling)، "حق العودة الفردي و اللاجئين الفلسطينيين عام

١٩٤٨م.
فروخ، عمر. "العرب في حضارتهم وثقافتهم"(بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٦).
فريح، غازي محمد "النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة"(بيروت:دار النفائس، ١٩٩٠)
فلسطين ، تاريخها وقضيتها " (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية1983) .
قاسم، عبد الستار."الطريق إلى الهزيمة" (د. ن. ١٩٩٨)
قاسم، عبد الستار."قبور المثقفين"
قاسم، عبد الستار."إبراهيم والميثاق مع بني إسرائيل"(القدس: ١٩٩١الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية،).
قاسم، عبده قاسم "اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني"(القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦).
قاسم، عبده قاسم "أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى : (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧).
القرضاوي، يوسف "المسلمون والعولمة"(القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)
القرضاوي، يوسف "غير المسلمين في المجتمع الإسلامي" (بيروت: دار الرسالة) ١٩٨٣
القرضاوي، يوسف " الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا" (القاهرة: مكتبة وهبه، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
القصص، أحمد "أسس النهضة الراشدة"(دار الهدى للطباعة والنشر ١٩٩٢)
الكاشف، سيدة إسماعيل "مصر الإسلامية وأهل الذمة"(القاهرة: الهيئة المصرية العامة،١٩٩٣)
كامل، محمد إبراهيم."السلام الضائع في كامب ديفيد"(القاهرة: كتاب الأهالي، ١٩٨٣)ز
الكفراوي، الشيخ محمد."مجزرة المسجد الأقصى المبارك ٢٠ ربيع الأول، ١٤١١هـ/٨/١٠/١٩٩٠م") د.ن.
القضية الفلسطينية في أربعين عاماً بين ضراوة الواقع .. وطموحات المستقبل. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها جمعية الخريجين في الكويت. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية-الكويت: جمعية الخريجين في الكويت، ١٩٨٩.
كشطاني، خالد " نحو اللاعنف " (القدس: المركز الفلسطيني لدراسة اللاعنف ، ١٩٨٦)
كميل، منصور " الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل . العروة الأوثق " (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٦)
كويجلي، جونز."هدم إسرائيل للبيوت في الضفة الغربية وقطاع غزة التبعات القانونية"(رام الله: الحق، ١٩٩٤).
الكيالي، عبد الوهاب "تاريخ فلسطين الحديث"(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠)
كيت وايتلام"اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني"(الكويت: عالم المعرفة ، ايلول ١٩٩٩)
كيسنجر، هنري "هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟"(بيروت: دار الكتاب العربي:٢٠٠٢)
الكيلاني، زيد إبراهيموآخرون، "دراسات في الفكر الإسلامي"(عمان: دار الفكر للنشر، ١٩٨٨)
لاتندرس، آن. " المقاومة الفلسطينية والتغير المدني في القدس ١٩٦٧-١٩٩٤"(القدس:

الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية١٩٩٥).

لانجر، فيليسا. "الغضب والأمل . مسيرة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال"(بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٣).

لوستك، إيان " العرب في الدولة اليهودية" (القدس: مكتب أبو عرفة ، ١٩٨٢) ترجمة غسان عبد الله

لوتسكي، ي. "تاريخ الأقطار العربية "(بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٥).

لونجلي، كليفورد "الشعب المختار" (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣) ثلاثة أجزاء

ماجواير، كيت. "تهويد للقدس الخطوات الإسرائيلية للاستيلاء على القدس"(بيروت: الآفاق الجديدة وومركز الدراسات العربية، ١٩٨١).

المبيض، سليم عرفات "غزة وقضاوها"(القاهرة: الهيئة العربية العامة للكتاب، ١٩٨٧)

متز ،ادم "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري" (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٧) (بيروت: دار الكتاب العربي) ١٩٦٧)

محافظة، علي. "الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني ١٩١٨-١٩٤٨"(عمان: مركز الكتب الأردني، ١٩٨٩).

"المجزرة في الحرم الإبراهيمي الشريف. الحادث وما أعقبه"(القدس: مركز المعلومات الفلسطيني لحقوق الإنسان، ١٩٩٤).

المسيري، عبد الوهاب "اليد الخفية" دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية" (القاهرة: دار الشروق،١٩٩٨).

المسيري ، عبد الوهاب "مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي" (د.ن. ط١، ٢٠٠٤)

"مشروع غزة أريحا أولاً، خطوة على طريق الدولة ، أم شكل جديد للاستعمار الإسرائيلي"(القدس: دار الشرارة، للنشر،١٩٩٣).

مصطفى، مهند "الردع الإسرائيلي والحرب على لبنان"، قضايا إسرائيلية، العدد (٢٣) لعام ٢٠٠٣م).

مرعي، عبد الرحمن. "الإمبريالية اليهودية:قراءة أولية في المسألة اليهودية والمشروع الصهيوني"(رام الله: دار الكتاب،١٩٩٩).

معوز، موشي. "القيادات الفلسطينية في الضفة الغربية" د. ن. د. ت.

المغربي، فؤاد. "سياسة الولايات المتحدة الخارجية والقضية الفلسطينية"(بير زيت- جامعة بير زيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، ٢٠٠٢).

اتفاقيات جينيف المؤرخة في ١٢ آب ١٩٤٩(جينيف: اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ١٩٩٥)

المنجرة، المهدي الحرب الحضارية الأولى(المغرب- الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،٢٠٠٥) .

منصور،كميل."الولايات المتحدة وإسرائيل العروة الأوثق"(بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٨٨٦).

موسى، محمد "أضواء على العلاقات الدولية والنظام الدولي"(بيروت: دار البيارق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ج١.

ميساروس وآخرون، اشتفان "الإمبراطورية الجديدة قصة الحرب الأمريكية على العراق"ترجمة وتقديم مازن الحسيني(رام الله: دار البيرق العربي للنشر والتوزيع،٢٠٠٤).

النبهاني ، تقي الدين "النظام الاقتصادي في الإسلام" ط٤(د.م. منشورات حزب التحرير،١٩٩٠) .

النتشه،رفيق شاكر "الاستعمار وفلسطين .إسرائيل مشروع استعماري " (عمان : دار

الجليل، ١٩٨٤).

النتشـه، جـواد بحـر ."إنتمـاء فلسـطين بـين دعـاوي التـوراتيين وحقـائق الماضـي والحاضر"(الخليل: مركز دراسات المستقبل، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

النتشه، جواد بحر ."مكانة بيت المقدس بين نصوص الوحي وحركة الإنسان"(الخليل: مركز دراسات المستقبل، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

النجار وآخرون، إبـراهيم "الثقافـة الإسـلامية وطرائـق تدريسـها"(القـدس: جامعـة القـدس المفتوحة، ١٩٩٣)

النجار، عبد الوهاب قصص الأنبياء" (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر).

نخلة ، محمد عرابي "تاريخ العرب الحديث"، (القدس: جامعة القدس المفتوحة،١٩٩٨)

نزال، غسان. "مخيم جنين أسطورة هزت العالم" د.ن. د. ت.

نسيبة، زكـي حسـن "اليهـود فـي القـدس العربيـة الإسـلامية بعد الفتـح العمـري وحتـى القـرن التاسع عشر"، (د. ن . ١٩٩٠).

نسيم يوسـف، جوزيـف "دراسـات فـي تـاريخ العلاقـات بـين الشـرق والغـرب فـي العصـور الوسطى" (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨).

النعيمي، أحمد نوري."اليهود في الدولة العثمانية"(عمان: مؤسسة البشير،١٩٧٩ ،بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩).

النمر، إحسان. "تاريخ جبل نابلس والبلقاء(نابلس: د.ن. ١٩٧٥)" أربعة أجزاء.

النمورة، محمود طلب." الفلسطينيون ومؤسسات الحكم المحلي بين الحكم الذاتي والاحتلال وحق تقرير المصير- الجزء الأول – العهد العثماني ١٩٩٤) .

النمورة، محمود طلب. "الجريمـة غربيـة أمريكيـة وفلسطين الضحية" (دورا- الخليل: مطبعة بابل الفنية" ٢٠٠٢) .

النمـورة، محمـود طلـب ."توثيـق انتهاكـات حقـوق الإنسـان ووسـائل المقاومـة المدنيـة فـي الأراضـــي الفلســـطينية المحتلـــة١٩٦٧-١٩٨٧(القـــدس: جمعيـــة الدراســـات العربية،١٩٨٩)(مخطوطة).

النمورة، محمود طلب."موسوعة ناحية دورا. الأرض والإنسان والتـاريخ والتـراث . الجزء الأول: الأرض والمقاومة الوطنية دفاعاً عنها"(الخليل- حلحول :مطبعة بابل الفنية، ١٩٩٧).

"النمـورة، محمـود طلـب. "الفلكلـور فـي الريـف الفلسـطيني"د. ن. (دور المستشـرقين فـي استغلال الفلكلور).

نوفل، أحمد."الطريق إلى فلسطين"(الكتلة الإسلامية في جامعة الخليل)د.ت.

نيكسـون، رتشـارد " أمريكـا والفرصـة التاريخيـة" (بيـروت: مكتبـة نيسـان، ١٩٩٢) .ترجمـة محمد زكريا إسماعيل

هاردنـج، لانكستر. "آثار الأردن"(عمان: اللجنـة الأردنيـة للتعريـب والترجمـة والنشـر- رسـالة المعلم)تعريب : سليمان موسى.

هرسيغور، ميخائيل، موريس سترون، "إسرائيل فلسطين الواقـع مـا وراء الأسـاطير" (رام الله: مشاعل للصحافة والدراسات، ٢٠٠٠).

هلال، إياد. "المعاهدات الدولية في الشريعة الإسلامية"(بيروت: دار النهضـة الإسلامية، ١٤ ١٢هـ/١٩٩١م).

هنتنغتـون، صـاموئيل "صـدام الحضـارات إعـادة صـنع النظـام العـالمي" (....١٩٩٩) ترجمـة طلعت الشايب.

هندي، صالح ذيابدراسات في الثقافة الإسلامية. عمان: كلية مجتمع عمان، ١٩٨٤م).

هوليداي، فرد "دراسات شرق أوسطية"(دمشق: دار علاء الدين، ٢٠٠٤) .

هيكل، محمد حسنين."حديث المبادرة"(بيروت: مطبعة بيروت، د. ت.).
وطاش، السفير طاهر."التطرف الإسرائيلي:جذوره، وخصائصه""(القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٧).
ولفنسون ،إسرائيل" تاريخ اليهود في بلاد العرب" (القاهرة:لجنة التأليف والترجمة والنشر،١٩٢٧) .
يكن، فتحي "العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري"(بيروت: دار الرسالة، ١٩٨٢.
يوسف، حمد أحمد عبد الله "بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية" .

٧- مقالات في صحف ومجلات دورية

الياسيني، محمد وليد "الصهيونية"مجلة "كنعان" العدد ١١٣، نيسان ٢٠٠٣ .
لاميان، جين "المسيحيون الصهاينة والمزج الخطير بين النبوءة والسياسة" الأيام ٨-١٠-٢٠٠٤ .
بيترسون، سكوت " ما زال ميدان معركة الخليج حاراً من اليورانيوم المخصب" مجلة كنعان، العدد (١٠١)نيسان ٢٠٠٠ م.
الأيام ٢٠٠٤/٩/١٥، أبو بكر، توفيق في الذكرى الحادية عشرة لاتفاق أوسلو" الأيام ٢٠٠٤/٩/١٥م.
الحياة الجدديدة ٣/٤/ ٢٠٠٦كينيدي،بول "في عصر العولمة هل تعيد الإمبراطورية شراء ما باعته؟.
هيكل، محمد حسين صراع الحضارات" الحياة الجديدة ١٥-٣-٢٠٠٦.
باغي، إسماعيل أحمد، "الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني "(الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
يحيى رباح " نحن و الدولة المارقة " الحياة الجديدة ٢٢/٢٠/٢٠٠٤.
ناهض منير " معركة هرمجدون والرؤساء الأمريكيين السبعة"جريدة الحياة الجديدة
فهمي هويدي، ١٥ ركن تحدد معالم المشروع الحضاري الإسلامي" القدس ١٩٩٥/٨/١.
مجلة المجال التي يصدرها مكتب المعلومات والسفارات الأمريكية، من تصريح "جون بولتون، مساعد وزير الخارجية الأمريكية أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الأمريكي.
مجلة كنعان، العدد ١١٣، تشرين الثاني ١٩٩٩، ص(٦٣).سمارة، عادل "الغرب والصهيونية" .
حداد، يوسف أيوب "الصهيونية المسيحية" مجلة "كنعان" العدد ١١٣، نيسان ٢٠٠٣.
القدامي، إحسان أثر الثقافة والأخلاق والدين في القانون الدولي الإنساني". المجلة الدولية للصليب الأحمر ٢٠٠٤/٩/١٤ موقع www.icrc.org
مقال الكاتب المصري ممدوح طه بعنوان :"عن كارتر وليس عن أمريكا" الحياة الجديدة ٢٠٠٦/٢/٢٦.

٨- صحف ودوريات فضائيات ومواقع انترنت

قضايا إسرائيلية، العدد ٢٣ لعام ٢٠٠٦م.
حق العودة- تصدر عن مركز "بديل" .

الحياة الجديدة، الرسالة ، الاستقلال، الصنارة ، الفجر، مجلة الطريق مجلة الوعي . مجلة كنعان، النهار.

حبيب، كمال السعيد "صدام الحضارات يتحول من شعار إلى استراتيجية- أمريكا تعلن الحرب العالمية الثالثة على العالم الإسلامي"Latif.net.
فضائية الجزيرة – الاتجاه المعاكس٥-١٢-٢٠٠٠م.
موقع الدكتور الشيخ "محمود عكام" على الانترنت.

ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية

١- الديانات

The Glorious Koran", Translation and Commentary by Abdullah Yousuf Ali, (Beruit: Dar Alfikr, 193
Good News Bible"(Canberra: The Bible Society of Australia Inc., 1992).
Makenzie, John H, S. J., "Dictionary of the Bible"(Milk way-USA: Truce Publishing Co.,1965).
George Arthur Buttric, et. al. "The Interpreters Dictionary of the Bible. An Illustrated Encyclopedia in four volumes"(New York: Abingdon Press, 1962)
Lewis, Bernard. et. al. "The Encyclopedia of Islam" vol. I (Leiden: E. J. Brill, 1965)London: Luzac and 1965) .
Encyclopedia Judaica, (Jersalem: Keter Publishing House, 1971)
The Jewish Encyclopedia(New York and London: Funk and Wagnals Co, 1916)
The Universal Jewish Encyclopedia(New York: The Universal Jewish Encyclopedia Co, Inc.)
Gilbert ,Martin. "Jewish Historical Atlas" (London: Widen field and Niclson, n.d.) .
"Jewish Values"(Jerusalem: Keter Books, 1974).
The plain Truth about the old and new Bible, www.bibletools.org
Waxon ,Meyer, "A Handbook of Judaism as Professed and Practised Through Ages"(New York Publishing Company, 1947).

٢-المصادر والوثائق والقواميس والموسوعات والتقارير الرسمية وتقارير لجان تحقيق وحقوق إنسان

Maoz ,Moshe, (Compiler), "Palestine During the Ottoman Period. Documents From Archives and Collections in Israel "(Jerusalem: The Hebrew University, 1970).
Laqueur, Walter and Rubin Barry, (editors)."The Arab Israeli

Reader. A Documentary History of he Middle East Conflict"(New York: Penguins Books,1995).
Lucas, Yehuda, "Documents on the Israeli Palestine Conflict 1967-1983"(London: Cambridge University Press, 1984).
Notes and Documents From the Turkish Archives.(Jerusalem: The Israel Oriental Society, 1982).
Ureyl, Heid. "Ottoman Documents From Palestine"(Oxford : The Clarendon Press, 1960).
The Karp Repot. An Israel Government inquiry into settler violence against Palestinians On the West. Bank (Washington: Institute of Palestine studies 1989.)
Palestine Royal Commission Report Presented by the Secretary the Colonies to Parliament by Command of His Majesty , July 1937. London . Published by His Majesty"s Stationary Service , 1937. Cmd. 5479
Israeli League For Human and Civil Rights (The Shahak Papers) Compiled and edited by Adnan Amad (Beirut: NEEBII, 1973)
National Lawyers Guild "Treatment of Palestinians in Israeli Occupied West Bank and Gaza" Report of the National Lawyers Guild 1977 Middle East Delegation"(New York,1978)
Lexicon Universal Encyclopedia, (New York: Lexicon Publications Ltd., 1988) .
Encyclopedia Britannica

٣ ـ ﻗﺮارات وتقارير صادرة عن الأمم المتحدة الأمم المتحدة

United Nations Resolutions on Palestine and the Israeli Arab Conflict"(Washington: Institute of Palestine Studies, Four Volumes -1947-1991. From 1992- 2006 on internet.
The Legal Status of the West Bank and Gaza (New York: United Nations,1982).
The Status of Jerusalem(New York: United Nations,1979).
Mallison, Thomas , and Mallison, Sally."An International Law Analysis of the Major United Nations Resolutions Concerning the Palestine Question"(New York: United Nations,1979).
"Acquisition of Land In Palestine"(New York: United Nations,1980).
United Nations, The Question of Palestine .A Brief Survey. (New York: United Nations,1982).
U. N. Division of Human Rights. A Special Bulletin on the Commemoration of he International Day For the Solidarity With he People of Palestine, 1991.

Quigley, John. "Strategic and Domestic Influences Upon US Policy in the Middle East". Fifth UN Seminar on the Question of Palestine, 9-15March 1982.(New York, 1982).
U. N. "The Origin and Evolution of the Palestine Problem". Part Two. 1917-1988.
Jamal R. Nasser, "The Camp David Accords and the Fundamental Rights of the Palestinian People" .United Nations Division For Human Rights>The Fifth United Nations Seminar on the Question of Palestine March 1982. New York.
The Right of Return of the Palestinian People(United Nations: New York, 1978).
The Right of Self-Determination of the Palestinian People(United Nations: New York:1979).
Jerusalem, United Nations and the Question of Palestine.(United Nations: New York,1994).
Soglo ,The Saturin K, ‹The Fundamental Rights Of The People of Palestine" Seventh United Nations Seminar On the Question of Palestine. 9-13 August 1982. Dakar- Republic of Senegal.
Pressburg ,Gail," .Strategic and Domestic Influences Upon US Policy in the Middle East" Fifth UN Seminar on the Question of Palestine.(New York,1982).
U.N.History vol. one
United Nation. The Question of Palestine. A Brief Survey .(New York: United Nations, 1982)
Cristescu. Aureliu. "The Right to Self-Determination"(New York: United Nations, 1981).

٤ - دراسات وتقرير بشأن السلام

Pursuing Peace .An American Strategy for the Arab –Israeli Peace. Final; Report of the of the Washington Institute's Strategic Study Group.(Washington: The Washington Institute for Near East Policy, 1992).
Towards Arab- Israeli Peace .Report of A Study Group.(Washington: The Brooking Institute, 1988).
The West Bank and Gaza. Israel's Options For Peace. Report of Jaffee Center for Strategic Studies.(Tel-Aviv: Tel-Aviv University- Jaffee Center for Strategic Studies, 1989).
"Great Britain and Palestine 1915-1945"()London: Royal Institute For International Affairs,1946.
"The Bitter Year. Arabs Under Israeli Occupation in 1982"(Washington D.C.. : Arab –American Anti-Discrimination

Committee, 1982).
"World Almanac and Book of Facts " (World Almanac Books, 2003)
Sara Roy, "The Gaza Strip A Survey"(Jerusalem: The West Bank Data Base Project, 1986).
Gazit, Shlomo. "The Palestine Refugee Problem"(Tel-Aviv: Tel-Aviv University- The Jaffee Center for Strategic Studies,1995).
Hess,Arieh. "Trilateral Confederation, A New Vision For Peace. The Just Way to Peaceful Co-existence on Both Sides of the Jordan River: Israel Palestine Center for Research and Information".January , 1999.
The Palestinian Expert Conference on Final Status Issues. Papers and Proceedings.(Palestine-Ramallah: Miftah-The Palestinian Iniriative for he Promotion of Global Dialogue and Democracy, 1999).
Agreement on the Gaza and the Jericho Area .Cairo, May4, 1884.

٥-الكتب الإنجليزية

A Nation Under Siege. Al-Haq Annual Report on Human Rights in Occupied Palestinian Territories(Ramallah: Al-Haq, 1990).
Abu Lugd, Ibrahim, "Palestinian Rights Affirmation and Denial"(*Wilmette, Illinois: Medina Press, 1982).
Akawi, Yasser, et. al., "From Communal Strife to Global Struggle. Justice for the Palestinian People"(Jerusalem: The Alternative Information Center, 2004).
Ali, Sayyed Amir, "A Short History of the Saracens"(London: Macmillan and Co. Ltd.,1961).
Ali, Sayyed Amir, "The spirit of Islam"(London:Methung,1965).
Al-Katib,Rouhi."The Humanization of Jerusalem"(Beirut: P.L.O. Research center, 1970).
Allen, Richard, 'Imperialism and Nationalism in the fertile crescent. Sources and prospects of Arab Israeli conflict, '(New York: Oxford University Press, 1974).
Al-Qassem, Anis," Palestinian Rights and Israeli Institutionalized Racism" (London: The International Organization for the Elimination of All Forms of Racial Discrimination-EAFORD, 1984).
Amin, Samir, et. al., "Globalization and the Palestinian Struggle"(Jerusalem: The Alternative Information Center, 2002).
Amiri, M.A, "Palestine Arab Origin and Heritage" (London: Longman, 1978).
Antonius, George, "The Arab Awakening"(New York: Capricorn

Books, 1965).

Arakie, Margaret," The Broken Sword of Justice. America, Israel and the Palestine Tragedy"(London: Quartet Books, 1973).

Are. Thomas L., "Israeli Peace/ Palestinian Justice. Liberation Theology and the Peace Process"(Regina-Canada: Clarity, 1994).

Armstrong ,Karen," Jerusalem: One City Three Faiths"(New Yoke:: Knopf, 1996)

Aruri, Naseer, et. al.“ .Reagan and The Middle East”(Belmont, Massahusetts: Association of Arab-American University Graduates,1993)

Aruri ,Naseer, et. al.,(editor) Occupation :Israel Over Palestine"((Belmont, Massahusetts: Association of Arab-American University Graduates,1993).

Asali, K. J. "Jerusalem in History"(Brooklyn, N.Y.: Olive Branch Press, 1990).

Ashby, Philip H." The Conflict of Religions"(New York: Charles Scriber's Sons, 1965).

Ashoor ,Yadh ben, “Islam and International Humanitarian Law”. Extracts from International Review of the Red Cross. April- March 1980

Avnery , Auri, “Israel Without Zionism "(New York:Macmillan,1968

Ayyubi, Nazih N.," Over –Stating the Arab State. Politics and Society in the Middle East"(London: L. B. Tauris Publishers,1995).

Baksh ,Salahhuddin Khuda and D.S. Margolouth, "The renaissance of Islam"(atna: The Jubilee Printing and Publication House, 1937) Translated by Metz , from German

Baron ,W,"A Social, Religious History of the Jews," (Frankfort a.m. klostermanann, 1957)

Barton, George A. "The Religions of the World"(Chicago: University of Chicago,1949).

Baseman ,Bob, "Pictorial Guide and Souvenir".

Beling, Willard A." Middle East Peace Plans(London: Croom Helm,1986)".

Ben -Ami, Shlomo." Israel's Foreign Policy Agenda"(Tel-Aviv: Tel-Aviv University-The Jaffee Center for Strategic Studies, 1999).

Benjamin ,Leo, "Arab Jewish Brother Hood" (New York: Impress House, 1973"

Benvenisti , Meron, et. Al. "The West Bank Handbook. A Political Lexicon"(Jerusalem: The Jerusalem Post, 1986).

Benvenisti , Meron, "The Shepherd's War"(Jerusalem : The West

Bank Data Base Project and the Jerusalem Post, 1989).
Benvenisti , Meron. "The West Bank Data Base Project A Survey of Israeli Policies"(Jerusam: 1984, 1885, 1986).
Benvenisti , Eyal." Legal Dualism. The Absorption of the Occupied Territories i9nto Israel "(Jerusalem: The West Bank Data Base Project,1989).
Ben-Zvi, Abraham, " Between Lausane and Geneva International Conferences and the Arab- Israeli Conflict"(Tel-Aviv: Tel-Aviv University-The Jaffee Center for Strategic Studies, 1989).
Berger ,David, (editor) "A History of Hate and the Dimension of Anti-Semitism"(Philadelphia-New York: The Jewish Publication Society of America,1986).
Berger, Elmer, "Zionist Ideology: Obstacle to Peace"((London: The International Organization for the Elimination of All Forms of Racial Discrimination-EAFORD.
Bishop, William W."International Law Cases and Materials"(Boston: Little Brown & Co.1962).
Bouquet ,A.C," Comparative Religion"(Harmonds worth Middlewsex : Penguins,1951) .
Braude ,Benjamin and Bernard Lewis," Christians and Jews in the Ottoman Empire" (London: Holmes and Meir Publishing Inc.,1982)
Breasted ,James Henry and James Henry Robinson, "A General History of the World"(London: Ginn and Co.,1965)
Breasted, "Ancient Times History",(London: Ginn and Co.,1965)
British Government Foreign Office No.371/4183(1919). Doreen Ingrams, The Palestine Papers"
Brokleman, Carl, "History of Islamic Peoples"(London: Routledge & Kegan Paul Ltd.,1956).
Bull, Vivian, "The West Bank-Is It Viable? "(Lexington, Massachusetts: Lexington Books, 1975).
Burns ,Edward Mcnall, et. Al (editors) "Western civilization, Their History and Their Culture) USA: WW. Norton and Company, Inc., 1980
Bury ,J. B, A History of the Roman Empire From Its Foundation To the Death of Marcus Aurelius" (27 B.C.-180 A.D.)(London: John Murray, 1930)
Bying ,Edward," The World of the Arabs" (Boston: Little Brown and Co., 1944)
Caradon, Lord. Goldberg, Arther J. El-Zayyat Mohammad and Eban ,,Abba "UN Security Council Resolution 242- A Study f Diplomacy"(Georgetown: Institute For the Study of Diplomacy – Georgetown University, 1981).

Carter, George, " Outlines of English ?history"(London. Rolefe Brothers Ltd.,1924).

Carter, Jimmy, "Palestine Peace not Apartheid"(New York: Simmon and Schuster, 2006).

Cattan ,Henry, "Palestine the Road to Peace" (Londom: Longman, 1971).

Cattan ,Henry, "Palestine, the Arabs and Israel"(London : Longman, 1969) .

Cattan ,Henry, "The Question of Palestine"(London Croom Helm, 1988).

Cattan, Henry, "Palestine and International Law"(London: Longman, 1976).

Chazan ,Robert, "Church State and Jew in the Middle Ages"(New York): Behrman House Inc. Publishers, 1980) .

Chomsky ,Noam, "Pirates and Emperors"(New York: Clermont Research Publications,1986).

Cohen ,Amnon, " Palestine in the Eighteenth Century"(Jerusalem: The Hebrew University, 1975).

Cohen ,Amnon, "Jewish Life Under Islam-Jerusalem in the Sixteenth Century"(Cambridge Massachusets and London: Harvard University Press,1984)

Cohen, Hayem J. "The Jews of the Middle East 1860-1972" (Jerusalem: Israel Universities Press, 1973).

Cohen ,Mark , "The Jews Under Islam From the Rise of Islam to Sabbati Zvi. Reproduced Bibliographical Essays in Medieval Jewish Studies. " (Princeton: Princeton University Program in Near Eastern Studies,1081).

Cohen ,Mark R, "Under Crescent and Cross. The Jews in the Middle Ages" (Princeton- New Jersey: Princeton University Press, 1994).

Copland, Miles, "The Game of Nations"(London: Widenfield and Nicholson, 1969)

Curtis Richard S., "A Changing Image .Perceptions of the Israeli Arab Dispute. "(Published by the American Educational Trust, 1982).

Davies, John, H., "The Evasive Peace .A Study of the Zionist Arab Problem"(London: John Murray,1969).

Davis, Mack & Uval –Davis(editors)"Israel and the Palestinians"(London: Ithaca Press, 1975).

Delman, Jeffree. And Bakri, Musa. "Israel's Use of Electric Shock in the interrogation of Palestinian Detainees"(Jerusalem: Palestine Human Rights Information Center,1991).

Deloah ,Charles , "Seeds of Conflict from Isaac and Ishmael to Dayan and Sadat sons of Abraham " (Plain field ,N.J. ,U.S.A : Lagos International , 1974)

Denstein , Yoram, "Models of Autonomy"(Tel-Aviv: (Tel-Aviv University,1981).

Deshen, Shlomo and Zenner, P. Walter, "Jews among Muslim Communities of the in the Pre-Colonial Middle East"(London: Macmillan Ltd.. 1996).

Dillman, Jeffrey and Bakri, Musa "Israel's Use of Electric Shock Torture in the interrogation of the Palestinian Detainees"(Jerusalem: Palestine Human Rights Information Center, 1991).

Edward ,John, "Jews in Christian Europe 1400-1700 (London: Rotltledge, 1988).

Efrat, Elisha, "Geography Politics In Israel Since 1967"(London Frank Cass,1988).

Eisenburg ,Lura Z, and Neil Caplan, "Negotiating Arab- Israeli Peace" (Bloomington: Indiana University Press,1998).

Elazer, Daniel J. (editor), "Governing Peoples and Territories"(Philadelphia: Institute for the Study of Human Issues, 1982).

Elazer, Daniel J. (editor), "Judea , samaria and Gaza, Views n the Present and the Future"(Washington. D. C. : American Institute for the Public Policy Research, 1982).

Elbogen, Isamar, "A Century of Jewish Life"(Philadelphia: The Jewish Publication Society of America, 1946).

Elleson ,Stanely, "The Arab Israeli Conflict who Owns the land " (USA- Portland, Dregm: Multnomah Press (1991)

Ellul ,Jacques, Introduction to: Bat Yoer" The Thimmi.Jews and Christians under Islam" (London and Toronto: Associated University Press, 1985)

Emma Plyfair, Demolishing and Sealing of Houses as a Punitive Measure in the Israeli Occupied West Bank"(Ramallah: Al-Haq Law in Service of Man,1987)

Epp ,Frank H, "Whose Land Is B Palestine. The Middle East Problem In Historical Perspective" (Grand Rapid, Michigan-USA : William and Eardmans Publishing Co,1974)

Epp ,Frank H," The Palestinians: Portrait of a People in Conflict"(Toronto, Canada:McClelland and Stewart Ltd.,1976).

Epp ,Frank H, "The Israelis: Portrait of a People in Conflict"(Scotdale, Pennsylvania,1980,).

Ferna, Elizabeth Warnock, et. al., "The Struggle for Peace: Israelis

and Palestinians,1992"(Austin: University of Texas Press, 1992).
Findley ,Paul, "The Dare speak Out. People and Institutions Confront Israel's Lobby" (Connecticut: Lawrence and Hill Co.,)
Fink, Reubin, "America and Palestine"(New York: Zionist Emergency Council, 1944)
Finkelstein ,Norman," Image and realty of the Palestine Israel Conflict".
Forrest, A.C., " The Unholy Land " (Toronto , Montreal: Mc Clelland and Stewart Limited, 1971) .
Franji, Abdallah, "" The PLO and Palestine(London: Zed Books,1983).
Franklestein ,Louis, "The Jews .Their History"(New York: Scocken Books, 1970)
Friedman ,Thomas L, "From Beirut to Jerusalem"(New York: Anchor Books. A Division of Random House, Inc..1995).
Fromkin ,David, " A Peace To End All Peace 1914-1922" (London: Penguin Book, 1989)
Gannea ,Clermont, "The Arab in Palestine" The Survey of Palestine- special papers. The Committee of the Palestine Exploration Fund, 1881)
Gathorne-Hardey, G.M., "A Short History of International Affairs1920-1939" (London: Oxford University Press, 1942).
Gazit, Shlomo, "The Palestinian Refugee Problem"(Tel-Aviv: Tel-Aviv University-Jaffee Center for Strategic Studies, 1995).
Gerson, Allan."Israel, The West Band and International Law"(London: Frank and Cass, 1978).
Gilbert ,Martin," The Routledge Atlas of the Arab-Israeli Cnflict"(London: Routledge,1995).
Gish , Arthur G. "Hebron Journal"(Scottdale, Pennsylvania: Herald Press, 2001).
Glubb, Sir John, " The Empire f the Arabs "(London: Hodder and Stoghton, 1963).
Glubb, Sir John, "Soldier with the Arabs"(London: Hodder and Stoghton,,1958).
Glubb, Sir John," The Middle East Crisis"(London: Hodder and Stoghton,1967).
Goitein ,S.D, "Jews And Arabs. Their contacts Through Age" (New York .Schocken Books Inc. 1955)
Goitein ,S.D, "Studies in Islamic History and Institutions"(Leiden: E.J.Brill, 1968).
Gold, Dore, "Jerusalem"("(Tel-Aviv: Tel-Aviv University-Jaffee

Center for Strategic Studies, 1995).

Goldburg, Harvey E. "Jewish Life in Muslim Libya. Rivals and Relatives"(Chicago: Chicago University Press, 1990).

Graetz" ‹History of the Jews" (Philadelphia: The Jewish Publication Society ofAmerica,1967) Volumes.

Great Britain – Palestine. Report by Sir William Fitzgerald on the Administration of Jerusalem.28 August, 1945. No. 14 of 1946. Printed by the Government Printer, Palestine

Green, Stephen. "Taking Sides :American Secret Relations With a Militant Israel 1948-1967" (London & Boston: Faber and Faber,1984),

Grossman, David. And Derman , Amiram. "The Impact of Regional Road Construction on the Land Use in the West Bank"(Jerusalem: The West Bank Data Base Project, 1989).

Grunebaum, G.E.Von, "Classical Islam A Short History 600-1250"(London: Goerge Allen and Unuin Ltd.,1970).

Gullaume, Alfred, "Islam"(Penguin, 1956).

Hadawi ,Sami, "Palestine and the United Nations" (General Union of Palestine Students , 1965).

Hadawi ,Sami, and Walter Lehn, "Zionism and the Lands of Palestine"((London: The International Organisation for the Elimination of All Forms of Racial Discrimination-EAFORD, 1977).

Hadawi ,Sami,"Better Harvest"(N.Y.: Olive Branch Press,1990)

Hammond. Harols Earl, "We Hols These ruths. A Documentay History of the United States"(New Yprk: Cambridge Book Co., INC., 1964)

Harkabi, Yehoshofat, "Israel's Fateful Decisions"(London: I.B.Taurus & Co.Ltd., Publishers,1988).

Hess ,Moses, " Rome And Jerusalem. A Study In Jewish Nationalism" (New York :Bloch Publishing C50,1943).

Hilterman, Joost, "Israel's Deportation Policy in the Occupied West Bank and Gaza"(Ramallah: Al-Haq, 1986).

Hirst, David, "The Gun and the Olive Branch. The Roots of Violence in the Middle East"(New York: Thunder Mouth Press-Nations Book,2003).

Hitti ,Philip, "History of the Arabs"(London: Macmillan &CO.1940)

Hodes ,Aubrey, Dialogue With Ishmaiel. Israel's Future in the Middle East"(New York: Funk and wagnals,1968) .

Human Rights Violations in the West Bank. In Their Own Words. (Geneva: Commission of the Church World Council of Churches, 1983).

Hunter, Jane, "Undercutting Sanctions . Israel ,The U.S. and South Africa"(Washington: Washington Middle East Associates, 1987).
Hyamson ,Albert, Palestine, The Rebirth of an Ancient Nation "(London: Sigwiick Jackson & Co.,1917)
Hyamson ,Albert. M, "The British Consulate In Jerusalem In Relation to the Jews in Palestine 1838-1014"(London :Edward Goldson –For the Jewish Historical Society of the England,1941).
Hyamson ,Albert. M, "Palestine A Policy" (London : Methuen And Co., 1942)
IADL) International Associations of Democratic Lawyers," Report of the IADL Mission to the Palestinian Occupied Territories-2001"
Ibrahim ,Nassar and Majed Nassar, "Theses on Globalisation and Palestinian Resistance" in Samir Amin et. Al. " Globalisation and Palestinian Struggle"(Jerusalem: the Alternative Information center, 2002)
"Israel Pocket History .History Until 1880"(Jerusalem: Keter Publishing House Ltd., 1973).
"Israel Pocket History .History From1880"(Jerusalem: Keter Publishing House Ltd., 1973).
Israeli Settlements in the Occupied Territories. A Guide . A Special Report of the Foundation For Middle East Peace March 2002. (Internet).
Israel's War Against Education in the Occupied West Bank, A Penalty For the Future"(Ramallah: Al-Haq, 1988).
Jerusalem the Key to World Order",(London: Islamic Council of Europe, 1980).
Jiryes, Sabri, "The Arabs in Israel".
Josephus, "The Jewish Antiquities"(Cambridge: Harvard University Press, 1956).
Josephus, "The Jewish War"(Cambridge: Harvard University Press, 1956).
Kahan, David." Agriculture and Water Resources in the West Bank and Gaza(1967-1987)"(Jerusalem: The West Bank Data Base Project.1987).
Kallai, Zacharia, " Historical geography of the Bible "(Jerusalem: The Magnes Oress, -Hebrew University,1986).
Kaminker, Sara, "Footloose in Jerusalem, n. p. 1982".
Kegely ,Charles W. Jr, Eugene R Witt Kopf, " American Foreign Policy : Pattern and Process " (New York : St . Martens Press, 1991) ..
Khoury , Fred J. "The Arab Israeli Dilemma"(New York: Syracuse University Press, 1976).

Kirk ,George,, :A Short History of the Middle East" New York: Fredrick A Preager, Publishers,1959)
Klieman, Aharon, "Constructive Ambiguity in Middle East Peace-Making" (Tel-Aviv: Tel-Aviv University-The Tami Steinmetz Center for Peace Research, 1999).
Kramer, Joel, "Jerusalem Problems and Prospects"(New York: Praeger, 1980).
Kritzeck, James, "Sons of Abraham Jews ,Christians and Moslems" (Baltimore: Helion, 1965).
Kushner ,David, (editor) “Palestine In the Late Ottoman Period “(Jerusalem: Yad Ishak Ben (Jerusalem: Izhak zvi, 1986)
Kyle, Melvine Grove, "Excavating Kirjarth Sepher's Ten Cities"(New York: Arno Press, 1977).
Landshut ,S, "Jewish Communities in the Moslem Countries of the Middle East A Survey” (London: he Jewish Chronicle Ltd. 1950,)
Langer, Felicia, "These are my Brothers. Israel and the Occupied Territories"(London: Ithaca Press, 1979),
Laqueur- "History of Zionism" (San Fransisco: Holt, Reinhart and Winston. N,p.).
Leftwich ,Joseph , “The Noble Arabs” South African Jewish Times “ March 6, 1964.
Lenczowski ,George, (edizor (, "United States interests in the Middle East"(Washington D.C.: American Enterprise Institure For Policy Research, 1968)
Lewis ,Bernard," The Jews of Islam "(Princeton: Princeton University Press, 1984).
Lewis ,Bernard, "The Future of the Middle East"(London: Phoenix-A Division of Oreion Publishing Group Ltd,1887).
Lewis ,Bernard, et. al. "The Encyclopedia of Islam".
Lewis, Bernard ,(Editor) Islam From the Birth of the Prophet Muhammad to the Capture of Constantinople” Vol. II : Religion and Society.(New York & Oxford: Oxford University Press, 1987) Bernard Lewis, The Arabs in History" London : Hutchinson, 1975).
Lewis, Bel`rnard and Braude "Christians and Jews in the Ottoman Empire "
Lienthal ,Alfred , “What Price is Israel?(Chicago : Henry Regenery Co., 1953)
Lienthal ,Alfred,"The Other Side of the Coin. An American Perspective of the Arab Israel Conflict" (New York: The Devin AdairCo., 1945).
Lilenthal ,Alfred, "The Zionist Connection 11. what Price is Peace? (New Brunsaich, New Jersey, Dodd Mead & Co.,1982)

Linowitz ,Sol. M, "The Legal Basis For the State of Israel ."
Locke Richard and Stewart Antony, "Bantustan Gaza "Council for the Advancement of Arab British Understanding)n.d.
Louvish, Misha , "The Challenge of Israel"(Jerusalem: Israel Universities Pres, 1968).
Mahmoud S. F. "The Story of Islam".
Malison ,W. Thomas and sally v. Malison, " The Palestine Problem in International Law and World Order " (London : 1986)
Mansour, Christopher, and Stevens P. Richard, "Internal Control In Israel and South Africa.The Mechanisms of Colonial –Settler Regimes "(London: The International Organisation for the Elimination of All Forms of Racial Discrimination-EAFORD,1987).
Maoz ,Moshe,(editor)"Studies On Palestine Durung the Ottoman Period"(Jerusalem: The Hebrew University Institute of Asian and African Studies, 1973).
Maoz, Moshe, "Palestinian Leadership on the West Bank. The Changing Role of Mayors Under Jordan and Israel "(London: Frasnk and Cass, 1984).
Marcus ,Jacob R," The Jew in the Medieval World. A Source Book 315-179". (New York: Atheneum, 1956).
Margoliouth, D.S," The Relation between Arabs and Israelites prior to the rise of Islam " (London: Humphrey Milford, oxford university press, (924)
Margolis ,Max l, and Alexander Marx "History of the Jewish People " (New York: Meridian Books &The Jewish Publication Society of America , 1966
Marie, Sami Khalil, "Education , Culture and Identity Among Palestinians in Israel"((London: The International Organisation for the Elimination of All Forms of Racial Discrimination-EAFORD,1981).
Mariuot ,Elizabeth, " Zionism A System of Apartheid "(The Organization for Elimination of All kinds of Racial Discrimination) (EAFORD)
Marlowe, John, "Arab Nationalism and British Imperialism A Study in Power Politics"(London: The Cresset Press, 1961).
McAleavy, Tony, "The Arab Israeli Conflict" (Cambridge: Cambridge University Press, 1998).
McTague, John T. "British Policy in Palestine 1917-1922"(New York: and London: University Press of Americas, n.d.).
Meo, Leila, "U.S. Strategy in the Gulf Intervention Against Liberation"(Belmont, Massachusetts: Association of Arab-American Graduates, 1981).

Metzger, Jan et. al. ,"This Land Is Our Land .The West Bank Under Israeli Occupation"(London: Zed Press, 1983).
Moffet, Martha Roadstrum." Perpetual Emergency.A Legal Analysis of Israel's Use of Defence (Emergency) Regulations, 1945, in the occupied Territories" (Ramallah:Al-Haq, 1989).
Moleah, Alfred T.," Zionism and Apartheid: The Negation of Human Rights"(London: The International Organization for the Elimination of All Forms of Racial Discrimination-EAFORD,1981).
Mosses , Hess. "Rome and Jerusalem. A Study in Jewish Nationalism"(new York: Bloch Publishing Co., 1943).
Muller, Patric, ""Occupation in Hebron"(Jerusalem: Alternative information Center, 2004).
Muller, Andreas,"A Wall on the Green Line"(Jerusalem: Alternative information Center, 2004).
Mustafa, U. "The United States and Jordan With Special Reference to the Palestine Question"(Ann Arbor, Michigan: University Microfilms International, 1966).
Nakhleh, Emile A., "The West Bank and Gaza Toward the Making of a Palestinian State"(Washington D.C., American Enterprise Institute for Public Policy research.1979).
Nammourah, Mahmoud. "Palestinian Municipalities Under Israeli Occupation: Legal and Administrative Aspects 1967-1989"(Jerusalem: American Near East Refugee Aid(ANERA)),1989).
Nammourah, Mahmoud. And Obedat, Adnan. "Palestinian Co-operative Movement 1929-1991.(Jerusalem and Geneva: The Welfare Association, 1991).
Nasser, Jamal, "The Resentful Arab. The Truth About the Palestine Question" n p. , 1964.
Nixon, Anne Elizabeth, et. al. "The Stats of Palestinian Children During the Uprising" in the Occupied Territories"(Jerusalem :Radda Barnen –Swedish Save the Children Fund, 1990.)Four Volumes.
Newman , David (editor)"The Impact of Gush Emunim. Politics and Settlement in the West Bank."(London: Croom Helm, 1985)
Nusaibeh, Hazem Zaki, "Palestine and the United Nations"(London, Quartet Books, 1981).
Origin of the Palestine Israel Conflict"(Berkley C.A.: Jews For Justice in the Middle East. 3rd edition) (www.Cactus48.com)
Osgood ,Robert Endicott, " Ideals and Self – Interest in American Foreign Relations " (Chicago and London: The University of Chicago Press 1953).

Ott, David, H. ,"Palestine in Perspective: Politics, Human Rights and the West Bank".

Owen , Roger and Stutcliffe , Bob, (editors)"Studies in the Theory of Imperialism'(London: Longman, 1972).

Paine, Thomas, "Rights of Man" Edited by Hyapatia Braudlagh Bonner (London: Watts Co.,1937).

Palestine Arab Office“ ‹Tension and Peace in the Middle East”

Palumbo , Michael, "Imperial Israel. The History of the Occupation of the West Bank "Bloomsbury , n.d.

Parkes ,James, "The Jew of the Medieval Community. A Study in His Political and Economic Situation" (New York : Hermon Press,1976)

Parkes , James, "Whose Land? A History of he peoples of Palestine" (Penguin Books , 1971).

Peretz, Don, "The West Bank: History, Politics, Society and Economics."(London: West View Press, 1896).

Peters, F.E., "Children of Abraham. Judaism, Christianty and Islam"(Princeton: Princeton University Press, 1982).

Peters, Joan, "From Time Immemorial. The Origins of the Arab Jewish Conflict Over Palestine"(New York: Harper and Row, 1984).

Plano ,H, (Tr.), The Talmud Fredrick Wame &Co. London, N.D

Plyfair, Emma, "Administrative Detention in the Occupied West Bank" (Ramallah: Al-Haq,1986).

Polikov ,Leon, ”History of Anti-Semitism” (London: Routledge and Kegan Paul, 1965) .

Porath, Y. "The Emergence of Palestinian National Movement 1918-1929"(London: Frank Cass, 1974).

Punishing the Innocent. House Demolishing and SEALING IN THE West Bank. A Palestine Chronicle(London: Council For the Advancement of Arab British Understanding,1987)

Quigley ,John, " U.S. Responsibilities Under International Law and Israel's Violations of International Low in the West Bank Gaza and the Golan. Fifth UN Seminar on the Question of Palestine . 9 – 15 May 1982. New York.

Rayner, Robert M., "A Concise History f Europe 1789-1914"(London: Longmans Green & Co., 1958).

Revusky, Abraham, "Jews In Palestine"(New York: The Vanguard Press, 1945).

Rigby,Andrew. "Economic Aspects of the Intifada"(Jerusalem: Palestinian Academic Society for the Study of International Affairs,1988).

Robinson ,Cyril E, "A History of Rome(753B.C. –A.D. 410) (London: Methuen and Co.Ltd.,1946)
Robinson, J.H., and Breasted J."A General History of Europe from the Origins of Civilization to the Present Time"(London: Ginn and Co.,1921).
Rogow, Arnold A.,(Editor0"The Jew in a Gentile World"(New York:)The Macmillan Co.,1961.
Rolef, Susan Hattis, "Political Dictionary of the State of Israel"(New York: Macmillan Publishing Co., London: Collier Macmillan, Publishers, 1987).
Roy, sara, "The Gaza Strip. A Survey"(Jerusalem: West Bank Data Base Project, 1986).
Rubenburg ,Cheryl, "Israel and the American National Interest" A Critical Examination"(Illinos: University of Ilinois Press, n.d.).
Rubin ,Barry, " US Foreign Policy and Rogue States " Middle Eastern Review of International Affairs (MERIA) Vol. 3, No 3, September 1999 IT
Runciman, Steven, "A History of the Crusades"(Penguin, 1954).
Runes, Dagobert, "The Jew and the Cross"(New York: Philosophical Library, 1965).
Ruth ,Cecil, A History of the Jews"(New York: Schocken,1961).
Ruth ,Cecil," The European Age in Jewish History " in , Louis Franklestein (editor)"The Jews in History"(New York: Schocken, 1970).
Sahliyeh, Emiel, "In Search of Leadership West Bank Politics Since 1967"(Washington D.C.,: The Brookings Institute, 1988).
Said ,Edward," Culture and Imperialism"(New York: Alfred A. Knope, 1993).
Said ,Edward," The Palestine Question and the American Context" (Washington D.C.: Institute for Palestine Studies, 1979).
Said ,Edward," The Politics of Dispossession. The Struggle For Palestinian Self-Determination.
Saleh, Abdul Jawad and Dr Walid Mustafa,"The Collective Destruction of Palestinian villages and Zionist Colonization 1882-1982"(London: Jerusalem Center for Development Studies,1987).
Samara, Adel, "The Political Economy of the West Bank 1967-1987(London: Khamasin, 1988)".
Sandronisky ,Seth, "PLO Advisor Speaks About Law and Power" A Forum For Anti- Authoritarian Political Opinion, Research and Humor. Eat The State 2002
Segal, Haggai, "Dear Brothers. The West Bank Jewish Underground"(New York: Beit Shammai Publications, Inc.,1988).

Shadid Mohammad, The United Sates and the Palestinians(London: Croom Helm: 1981).

Shah, Samirah, "The By-Pass Road Network in the West Bank"(Ramallah:Al-Haq,1979).

Shahak ,Israel, "Jewish History, Jewish Religion the weight of 3000 years"(London: Plutu Press,1977)

Shahak ,Israel, "Israel's Global Role In Weapon for Repression"(Belmont, Massachusetts: Association For Arab American University Graduates, Inc.,1982).

Shalev , Aryeh, "The Autonomy :Problems and Possible Solutions"(Tel-Aviv: Center for Strategic Studies- Tel-Aviv University).

Shalev ,Aryeh,"Intifada, Causes, and Effects" (Tel- Aviv: Jaffee Center for Strategic Studies, 1991) .

Shamgar, Meir.(editor)"Military Government in the Territories Administered by Israel"(Jerusalem: Hebrew University, 1982).

Shefer, Gabriel (editor)"Dynamics of Dependence: U.S. Israeli Relations" (Boulder and London: Westview Press, 1986).

Shehadeh. Raja, "From Occupation to Interim Accord. Israel and the Palestinian Territories"(London: Kluwer Law International,1997).

Shehadeh. Raja, "Occupiers Law"(Ramallah: Al-Haq,1986)

Shlaim ,Avi, "War and Peace In The Middle East" (Penguin Books, 1995

Sokolow ,Nahum, "History of Zionism 1600-1918" (London : Longmans Green And Co.,1919) Volume One and volume two.

Spanier, John, "American Foreign Policy Since World War II"(New Delhi: Tata Mac Grow-Hill Publishing Co Ltd.,1984)

Stavrianos, Leftwen S. et. al. (editors)"Readings in World History"(Boston: Allyn and Bacon, Inc.,1962).

Stephens ,Marc T," Enforcement of International Law In the Israeli –Occupied Territories" (Ramallah – Al-Haq , West Bank Affiliate of the International Commission of Jurists 1984).

Stillman ,Norman A, "The Jews of Arab Lands. A History and a Source Book"(Philadelphia: The Jewish Publication Society of America,1979) .

Stone ,Mitchel W, "The Armageddon Story March 25, 2002. www.swans.com.library.

Studies in Civil Rights in the Administered Territories. The Legal Administrative System. Association of For Civil Rights in Israel.(Jerusalem: 1985).

Szmarmach, Paul E., "Aspects of Jewish Culture in the Middle

Ages"(New York: State University of New York Press, 1979.

Tague , John J. Mc, 'British Policy In" Palestine 1917-1922) 'New York: Lenham University Press of America, n., d.,)

Talal, Hasan Bin, Crown Prince of Jordan, "Search For Peace. The Politics of he Middle Ground In the Arab East"(London: Macmillan, 1984)

Talmon ,T.L, "Israel Among the Nations) Quoted in, N Gordon Levin Jr.(edition), The Zionist Movement in Palestine and World Politics, 1880- 1913" (Lexington and London: D.C. Heath, and Co. 1947).

Tauchman ,B. W, "Bible and the Sword: England and Palestine from the Broze Age to Balfour "(New York: Amo Press ,1984) .

Tekiner, Roselle, "Jewish Nationality Status as the Basis for Institutionalized Racism in Israel"(London: The International Organization for the Elimination of All Forms of Racial Discrimination-EAFORD,1985).

Teveth, Shapti., "The Cursed Blessing" The Story of Israel's Occupation of the West Bank."(London: Weidenfield and Nicholson, 1970).

The Karp Report, An Israeli Government Inquiry into Settler Violence Against Palestinians on the West Bank"(Washington: Institute of Palestine Studies, 1984).

The Palestine Arab Office "Tension And Peace In the Middle East"

The Palestinian Problem: Aggression, Resistance, Ways of Settlement.(Moscow: Social Sciences to day Editorial Board USSR Academy of Sciences,1984).

The World Al-Manac and Book of Facts 1 985 .

Tibawi, A.L. "A modern History of Syria, Including Palestine" (London: Macmillan,1969).

Tierney, Brian Eyal., "Great Issues in Western Civilization"(New York: Random House Dictionary,1976).

Tillman ,Seth p, " The United States in the Middle East " (Bloomington : Indiana University Press 1982)

Towards A State of Independence. The Palestinian Uprising December 1 987-August 1988"(Jerusalem: Facts Information Committee, 1988).

Toynbee ,Arnold J., "A Study of History. Vol. 12.(London: Oxford University Press, 1994).

Toynbee ,Arnold, "Experiences"(London:1969)

Tritton, Arthur Stanely, "The Caliphs and Their Muslim Subjects: A Study of the Covenant of Umar"(London: Frank Cass, 1970).

Tschigri ,Dan, "Defining the National Interest: Lessons of Early US

Involvement with Palestine". American Arab Affairs, Volt- No 9 summer 1984.

Twersky, Isadore (editor)"Studies in Medieval Jewish History and Literaure"(Massachusetts: Harvard Unversity Press, 1984).

Uprising in Palestine. The First Year.(Jerusalem: Arab Studies Society-The Palestinian Human rights Information Center,1989).

Usher, Graham. "Palestine in Crisis. The Struggle For Peace and Political Independence After Oslo"(London: Plato Press,1995).

Von Grunbaum. G. E., "Classical Islam"(London: George Allen and Unuin Ltd, 1970)

We Hold These Truths . A Documentary History of The United States"(New York: Cambridge Book Co.,Inc.,1964). USA: Declaration of Independence

Weiler, Joseph, "Israel and the Creation of a Palestinian State. A European Perspective" (London And Sydney, Croom Helm, 1985).

Welchman, Lynn, "A Thousand and One Homes: Israel's Demolition and Sealing of Houses in the Occupied Palestinian Territories"((Ramallah: Al-Haq,)1993.

Werblosky ,Prof R.J. Zwi, "Israel and the Palestinians"(Jerusalem: Israeli Universities Group For Middle Eastern Affairs, 1974).

Whitelam ,Keith,"The Invention of Ancient Israel, The Silencing of Palestinian History"(Routledge, London & New York, 1996).

Whittome, Candy, "The Right to Unite. The Family Reunion Question in he Occupied Palestinian Territories: Law and Practice." (Ramallah: Al-Haq,1990).

Winks, Robin W.,"British Imperialism. Gold Gold Glory"(New York: Holt, Reinhart and Winston, 1953).

Wistrich, Robert S., "Anti-semitism"(London: Thames Mandurin, 1992).

Wolf, Lucen."Notes on the Diplomatic History of the Jewish Question"(London: The Jewish Historical Society of England,1919).

Yahia ,F,"The Palestine Question and International Law"(Beirut: Palestine Liberation Organization-Research Center, 1970).

Yiftachel ,Oren, "The shrinking Space of Citizenship. Ethnocratic Politics in Israel Barriers To Peace, Middle east Report,223, Summer 2002.

Yoer ,Bat, "The Dhimmi. Jews and Christians under Islam"(London and Toronto: Associated University Press, 1985) .

Zanguil Israel, Simon Maurace, "" Speeches , Articles and Letters of Israel Zanguil (London: The Soncino Press, 1937).

Zmirnach ,Paul E, (editor)"Aspects of Jewish Culture in the Middle Ages(New York: State University of New York Press,1979)".

Zuker, David (Deddi) et, al., "Human Rights in the Occupied Territories 1979-1983 Final Report"(Tel-Aviv :International Center ForPeace I the Middle East, 1985).

٦-مواقع الكترونية

The Library of the Congress Country Studies.geographic.org

The Origin of the Palestine –Israel Conflict" (Berkley C.A. "Jews for Just in the Middle East 2000) 3rd ed. (www.cactus48.com)

www.aljazeera.net www.ebroadcast.com-au

www.Al-mashad.org www.arabook.com/detail

www.btselem.org www.cactus.com

www.hrw.org Human Rights Watch ،www.zmag.org (ZMagazine)

WWW.IAP.ORG 20 Zionist Questions.

www.Jewishuirtuallibrary.org www.Latef.Net

www.Jews@jewish.com www.mediamonitors.net

www.middle-east-online.com

www.un.org/unrwa/refugees/wb/jenin.html)

Zunes ,Stephen, " US Middle East Policy and the Roots of Terrorism" Common Courage Press 2003. Internet.

Zunes ,Stephen, " US Policy Towards Jerusalem Foreign Policy in Focus, July 2000.

Zunes ,Stephen, "Self – Determination FPIF Special Report, May 2002. www.fpif.org.

Zunes ,Stephen, "The Strategic Functions of US Aid to Israel" www.mepc.org/zunes.htm

www.opednew.com – American Illegal Proxy war, July 19, 2006 www.conscioustalk.net

Israel Ministry of Foreign Affairs 2002. www.Israel.org.(mfa/go.asp

(www.PalestineRemembered.com), (23 Zionist Myths exposed www.jap.org),

Paper delivered by G.J. Newberger of Naturi Karta at the Tripoli Conference on Zionism and Racism. www.jews notzionists.org

٧-مجلات دوريات

Mallison ,Sally V, and W.Thomas Mallison, "The Changing U.S. Position on Palestinian Self-Determination". Journal of Palestine Studies Vol. XXVI, No 3, spring 1987.

Neff ,Donald, " Jerusalem in US Policy " Journal of Palestine Studies, Vol. xx iii, No. 1. Autumn 1993.

Rubenburg ,Cheryl A, "The Conduct of US Foreign Policy in the Middle East" American Arab Affairs Number 9 , Summer 1984
Corm ,Gorges," Thought on the Roots of the Arab Israeli Conflict" Journal of Palestinian studies. Vol. XXI, No. 3 spring 1992 Fallah ,Gazi," How Israel Controls the Bedouins in Israel?" Journal of Palestine Studies"
Gill , Moshe, "The Constitution of Medina: A Reconsideration. In" Israel Oriental Studies, IV. Tel –Aviv University, 1974.
Glock ,Albert, "Journal of Palestine Studies" Vol. XX111, No. (3) Spring 1994.
Khalidy ,Walid ,"The Palestinian Problem :An Overview". Journal of Palestine Studies. Vol. Xxi, No. 1 , Autumn
Chomsky ,Noam, " US Policy – State " Z Magazine, IT.
Ball ,George, "What Is An Ally?" American Arab Affairs, No 6, Fall 1983 .
Ball ,George, "،America's Waning Moral Authority "American Arab Affairs, (Spring 1985) No.(12).
Fienburg, Nathan." The West Bank Legal Status "New Out Look No. 7. VOl. 20 ,November, 1977.
Dan Tschigri, "US Involvement With Palestine" American Arab Affairs, NO. 9, Summer 1884.
Nakara, Hanna Dib."Land seizure under various Defense and Emergency Regulations"Journal of Palestine Studies,Vol.14, No.2, (Winter 1985)
Christison, Cathleen, "US Policy and the Palestinians" Journal of Palestine Studies Vol.26, No. 4, (Summer 1997)
Said Edward, "he Real Meaning of the Hebron Agreement" Journal of Palestine Studies, Vol.26, N0. 3, (Spring 1997.)
Kaminker, Sara." For Arabs Only Building. Restrictions on East Jerusalem " Journal of Palestine Studies, Vol.26, N0. 3, (Spring 1997.

١-توثيق انتهاكات حقوق الإنسان ووسائل المقاومة المدنية للاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٨٧.(القدس: جمعية الدراسات العربية،١٩٨٩).
(توثيق حوالي مائة نوع من أنواع انتهاكات إسرائيل لحقوق الانسان الفلسطيني، ووسائل المقاومة المدنية التي قام بها الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية – ومن ضمنها القدس المحتلة- وقطاع غزة ١٩٦٧-١٩٨٧ على ورق وذاكرة حاسوب ، مصنفة حسب النوع، والفترة والمنطقة(الموقع).

٢-Palestinian Municipal Councils Under Israeli Occupation-Legal and Administrative Aspects ١٩٦٧-١٩٨٩. (Jerusalem: American Near East Refugee Aid -ANEARA-١٩٨٩).
٣- Palestinian Co-operative Movement (١٩٢٠-١٩٩١) (Jerusalem and Geneva: Welfare Association, ١٩٩٢), Co-Author together with Mr. Adnan Obeidat.

٤- الفلسطينيون ومؤسسات لحكم المحلي بين الحكم الذاتي والاحتلال وحق تقرير المصير من العهد العثماني إلى الانتفاضة. الجزء الأول – العهد العثماني(١٧٩٤-١٩١٧) . ١٩٩٤م.
٥-موسوعة ناحية دورا: الأرض والإنسان والتاريخ والتراث. الجزء الأول، الأرض والمقاومة الوطنية دفاعاً عنها. (المائة قرية وخربة التابعة إلى دورا، والقرى التي دمرت ولم توثق، و الأرض المشاع في فلسطين وقسمتها في نهاية العهد العثماني، وموقف الإدارات التي تعاقبت على فلسطين من ملكية الأرض)، ١٩٩٧م.
٦- الفلكلور في الريف الفلسطيني، وتطبيقات من محافظة الخليل، وناحية دورا،مع خلفية عن دور المستشرقين في تشويه التراث ١٩٩٨م.
٧- الجريمة غربية أمريكية وفلسطين الضحية، أيلول عام ٢٠٠٠م.

دراسات قيد الإعداد :
Palestine, International Legitimacy and Palestinian Self-Determination, Not An Internal Israeli Civil Rights Issue.
A Reply to Jimmy Carter's Book: "Palestine Peace , Not Apartheid".
١- "فلسطين قضية الشرعية الدولية وحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، وليست حقوق مدنية إسرائيلية داخلية."الرد على كتاب الرئيس الأمريكي جيمي كارتر الذي صدر في نهاية هذا العام ٢٠٠٦ بعنوان: فلسطين ، سلام ، وليس تمييزاً عنصرياً".
٢-موسوعة البلديات في فلسطين منذ العهد العثماني وحتى اليوم. القانون، والإدارة ، والسياسة والعلاقة المتبادلة بين البلديات والإدارات التي تعاقبت على فلسطين.

٣- موسوعة ناحية دورا: التاريخ، والإنسان و حمايل دورا الست والثلاثون وشجرات أنسابها ، والمؤسسات.(المؤلف يبحث عن ناشر أو جهة تمول هذه الدراسات).

هذا الكتاب

- يحلل كلّ واردة وشاردة تتصل بالقضية الفلسطينية من كافة الأوجه الإنسانية والدينية والقانونية والسياسية منذ أقدم العصور وحتى اليوم، مستندا إلى الأدلة والبراهين العلمية الموثوقة، بحيث يمكن النظر إليه كمرافعة قضائية ناجحة تدافع عن قضية عادلة، أصحابها مظلومون، وأعداؤهم مجرمون: قضية طالما تعامل معها الغرب بمنطق القوة الغاشمة، وليس بقوة المنطق القائم على العدل.
- يثبت أنّ الخلاف الحالي ليس بين العرب واليهود الذين عاشوا معاً في ظل تسامح الإسلام قرونا عديدة، وإنما هو بين الغرب المستعمر والمشرق العربي والإسلامي من أجل النفط والربح، وأنّ النزاع الحالي لم يبدأ مع وعد بلفور، ولا مع حملة نابليون عام١٧٩٨م، وإنما تعود جذوره إلى القرن السادس عشر عندما اعتنقت بريطانيا البروتستنتية وقررت الاستفادة من عودة اليهود إلى فلسطين، وإلى رغبة الغرب في استعادة سيطرته على المشرق زمن اليونان والرومان والصليبيين.
- يدعو العرب والمسلمين إلى إعادة النظر في ما قام به الغرب من تزوير لتاريخهم، وأن يعرفوا أنّ الغرب هو الذي صنع النزاع خدمة لمصالحه، وأنّ إسرائيل هي مجرد العصا التي يضربنا الغرب بها، فإلى متى نستمر في الارتماء في حضن اليد التي تضربنا بتلك العصا؟!.
- يفنّد الادعاءات الغربية والصهيونية بأنّ فلسطين ملك اليهود الذين عمّرت مملكتهم الموحّدة فيها مدة ٧٣ عاماً، ويثبت أنّ فلسطين ملك العرب والمسلمين الذين استوطنوها وحكموها لآلاف السنين. كما يفنّد ادعاءات الغرب بأنّ الدولة الإسلامية أهملت فلسطين، وأنّ حكمها للفلسطين كان حكم استعمار، ويؤكد أنّ العرب والمسلمين لو سلموا من الاستعمار الغربي وشروره، لكانوا بألف خير.
- يقارن بين الحضارة الإسلامية التي تقوم على العدل والتسامح والثبات لأنّ مصدرها الله سبحانه وتعالى، وبين الحضارة الغربية التي تقوم على القتل والاغتصاب والنفاق والنفعية والتمييز، وتتغير بتغير المصلحة والظروف، والتي حولت ديانة الحب والتسامح المسيحية إلى أداة للعدوان تحت أعذار ومقولات الشعوب المختارة، وصراع الحضارات المزعوم،والإرهاب والعولمة التي هي الأمركة والاستعمار الجديد.
- يذكّر الأمة أنه لم يحدث أن تخلى وحش طوعاً عن فريسته، ولا مستعمر عن مستعمرته، وأنه آن الأوان أن نتوقف عن خداع أنفسنا بأنّ الغرب يمكن يوما أن يكون حكما عادلاً في هذا النزاع الذي صنعه، وهو المستفيد الرئيسي منه. ويجب أن لا نثق بوعود الغرب، بعد قرن من غدره لنا،عملا بقوله سبحانه وتعالى:(ٱلَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ) (سورة الأنفال) ، آية رقم (٥٦).
- يؤكد أنه لا خلاص لنا من ظلم الغرب، بسلاحيه الثقافي والعسكري، إلا بالإسلام الذي يمنحنا القوة لمقاطعته ثقافيا وسياسيا واقتصاديا كخطوة على طريق المقاومة والجهاد لهزيمته عسكريا. هكذا قال الإسلام: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ١٩٠ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ... ١٩١) (البقرة ١٩٠-١٩١).
- وبعد القرآن الكريم، جاء القانون الدولي ليعطى المحتل والمظلوم الحق في الثورة ومقاومة الاحتلال.